

تاريخ الطب

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطبرك

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء السابع

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة السادسة



دارالمعارف

[illegible]

عَزَّ وَجَلَّ ٥ ثُمَّ جَدَّ ابْنُ الْعَبَّاسِ مَعَهُ ذَلِكَ اشْتَعِلَ نَارُ عَلِيٍّ وَالْمَاءُ عَلَى نَارِهِ
 وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَجَدَ ابْنُ الْعَبَّاسِ أَخَاهُ ابْنُ حَقَّقَهُ وَالْمَاءُ عَلَى الْحَبِيرَةِ
 رَادِي بَنَانٍ وَارْمِينِيَّةٍ وَوَجَدَ أَخَاهُ عَمِيَّ بْنَ عَمَّارٍ عَلَى الْمَاءِ عَلَى الْمَوْصِلِ
 وَفِيهَا عَزَلَ عَنْهُ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ عَنِ الْكُوفَةِ وَسَوَادُ بْنُ دَاوُدَ الْمَدِينَةِ
 وَمُكَدَّ وَابْنُ الْمَمْلُوكِ وَآلِي مَوْصَعِدٍ وَمَا كَانَ الْبَدْرُ عَلَى الْكُوفَةِ
 وَسَوَادُهَا عَيْتِي بْنُ مَوْسَى ٥ وَفِيهَا عَزَلَ ابْنُ رُوَيْحَةَ وَابْنُ الْحَبِيرَةِ
 الْوَلِيدُ بْنُ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا هَا أَخَاهُ نَوْسَفَ بْنَ عَزَّ وَجَلَّ فَذَكَرَ الْوَلِيدُ
 أَنَّ قَدَمَ الْمَدِينَةِ لَمْ يَرْجِعْ حَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ وَفِيهَا اشْتَقَى
 عَيْتِي بْنُ مَوْسَى عَلَى الْكُوفَةِ ابْنُ زَيْلِ ٥ وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَى الْمَصْرِ
 فِي هَذِهِ السَّنَةِ سَتَيْبُ بْنُ مَعُوبَةَ الْمُهَلَّبِي ٥ وَفِي قَضَائِهَا الْحَاجُّ مِنْ أَطْلَافِ
 وَفِيهَا فَارِشُ عَمْرِو بْنِ الْأَشْعَثِ ٥ وَفِي السَّنَةِ مَنُصَّرَ مِنْ حَمُورِ ٥
 وَفِي الْحَبِيرَةِ وَارْمِينِيَّةٍ وَادْرِيحَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَزَّ وَجَلَّ وَفِي الْمَوْصِلِ مُحَمَّدُ
 عَلَى بَعُورِ السَّامِ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ ٥ وَفِي مِصْرَ ابْنُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدَ الْمَلِكِ
 ابْنُ رَيْدٍ ٥ وَفِي خَزَائِنِ الْأَمَانِ وَالْحَبَابِ ابْنُ مُسْلِمٍ ٥ وَفِي دِيَارِ الْمَشْرِقِ
 خَلَّازُ بْنُ تَرْمَكٍ ٥ وَخَرَجَ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ دَاوُدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَزَّ وَجَلَّ
 ابْنُ عَمَّاسٍ ٥ ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ ثَلَاثِينَ وَمِائَةً ٥
 ثُمَّ الْبَدْرُ لَنَا فِي حَقِّهِ مِنَ الْمَاءِ يَعُونُ لَنَا وَفِي السَّنَةِ
 يَتْلُوهُ فِي الْحَبْرِ وَالْثَانِي عَشَرَ سَنَةً ثَلَاثِينَ وَتَلْثِينَ وَمِائَةً
 وَالْعَمْدَةُ وَحَدَّثَ اللَّهُ عَلَى سَمْعِ بَابِ عَبْدِ اللَّهِ وَحَدَّثَ سَمْعًا
 وَحَسَنًا اللَّهُ وَبِعَمِّ الْوَحِيلِ ٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝ عَوْنُكَ اللَّهُمَّ

ثُمَّ دَخَلْتُ سَنَفَ لَيْلٍ وَتَلَقَّيْتُ مَا يَدْعُو

دُخْرًا كَانَ فِي قَدْرِ اللَّهِ مِنَ الْخَيْرَاتِ

فَمِنْ ذَلِكَ نَافَكَ مِنْ تَوَجُّهِهِ إِلَى الْعَبَّاسِ عَمَّ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ وَالْيَعْلَى السَّعْدِيَّ

وَأَعْمَالَهُمْ وَكَوْنَهُ دَخَلَ وَالْحُزْنَ وَغَمَّانَ وَمَهْرًا مَفْرُوقَ وَبُوحِيْفَه

أَيْضًا عَمَّ السَّعْدِيَّ بْنِ عَلِيٍّ عَلَى كَوْنِ الْأَهْوَارِ ۝ وَبِعَمَّا قَتْلَ دَاوُدَ بْنِ

مَرْكَانَ أَحَدِ بْنِ زَيْدٍ بِمَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ ۝ وَبِعَمَّا مَاتَ دَاوُدَ

ابْنِ عَلِيٍّ بِالْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ مِنْهَا ۝ وَكَانَتْ وَلَايَةُ هَذَا

عَمْدٍ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ ۝ وَاسْتَحْلَفَ دَاوُدَ بْنَ عَلِيٍّ حَضْرَتَهُ الْوَفَاءَ

عَلَى عَمَلِهِ ابْنَهُ مُؤَيَّسَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَتْ أُمُّ الْعَبَّاسِ وَفَاتَهُ دَخَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ

وَمَكَّةَ وَالطَّائِفَ وَالْيَمَامَةَ خَالَهُ زَيْدًا بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ

الْحَارِثِيِّ ۝ وَوَجَّهَ عَمْدٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ عَلَى الْبَيْتِ قَدِيمِ

الْبَيْتِ فِي جُمَادَى الْأُولَى ۝ فَأَقَامَ زَيْدًا بِالْمَدِينَةِ وَمَنْحَى عَمْدًا إِلَى الْبَيْتِ ۝

ثُمَّ وَجَّهَ زَيْدًا إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَدِينَةِ ابْنِ زَيْدٍ مِنْ حَسَّانِ السُّلَمِيِّ وَهُوَ أَبُو

جُمَادٍ الْأَوَّلِ إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ بَنِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَدَّانِ فَقَتَلَ

وَقَتَلَ أَصْحَابَهُ ۝ وَفِيهَا كَتَبَ أَبُو الْعَبَّاسِ إِلَى ابْنِ عَمْدٍ بِإِقْرَارِهِ

عَلَى مُصِيرِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمَا ۝ وَالْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ صَلَحَ ابْنُ عَلِيٍّ عَلَى الْإِمَامِ

السُّلَمِيِّ ۝ وَفِيهَا وَجَّهَ عَمْدٌ إِلَى الْأَشْجَعِ الْأُرَيْقِيَّةِ فَقَاتَلَهُمْ قِتَالًا

شَدِيدًا حَتَّى قَتَلَهُمَا ۝ وَفِيهَا خَرَجَ

شَرِيكُ

أَخْبَرَنِي ذَلِكَ أَبُو عَمْرٍو عَنْ زَيْدِ بْنِ عِيْنٍ قَالَ وَكَذَلِكَ فِيمَنْ أَكْثَرُ
 الْحَيَاةِ قَالَ هَذَا مِنْ حَدِيثِي عَنِّي وَاحِدٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ أَبِي عَبْدِ
 الرَّحْمَنِ اسْتَعْمَلَ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَبِهِ عُمَرَانِ عِيْنٌ
 ثَانِيٌّ فَخَرَجُوا فَلَمَّا كَانُوا بِالْحِجْزَةِ لَقِيَهُمْ جُذُرٌ مَحْجُوذَةٌ لَمْ يَخُذُوا قَالَ
 أَبُو جَعْفَرٍ وَخَجَّ الْمَنَانِيُّ هَذِهِ السُّنَّةُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَدْرٍ وَنَحْوُ حَدِيثِي ذَلِكَ لَمْ يَدْخُلْ ثَلَاثٌ عَمْرٍو دُكْرَةٌ
 عَنْ مَيْمُونٍ عَنْ عِيْنٍ عَنْ مَعْشَرٍ وَكَذَلِكَ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو وَكَانَ
 الْعَامِلُ عَلَيْهِمْ كَمَا مَكَدَنِيهِ وَالطَّائِفَةُ هَذِهِ السُّنَّةُ عَبْدُ اللَّهِ
 ابْنُ سُلَيْمٍ وَعَلَى الْعِرَاقِ عُمَرَانِ بْنِ سَدْرٍ وَفِيهِ وَفِيهِ الْكُوفَةُ
 الْحَجَّاجُ بْنُ عَمْرٍو الْحَمْدِيُّ فِيمَا ذَكَرُوا عَلَى وَفَاءٍ الْبَغْدَادِيُّ
 مَيْمُونٌ وَعَلَى غَرَّائِيٍّ بَصْرِيُّ سَيَّارٌ

فَمِنْ خَلْفِ سَنَةِ ثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ

ذَكَرَ الْأَجْدَاثِ الَّتِي كَانَتْ فِيهَا

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ إِنَّمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ دُخُولُ أَمِيرٍ حَايِطٍ
 سَدْرٍ وَتُرُوءُهُ دَاوِلَامَارِيهَا وَمَطْلُ بَقْعَةٍ عَلَى بَنِي جَدِيعِ الْكُرْمَانِيِّ
 أَيَّامُ عِلَّالٍ حَرْبٍ بَصْرِيٍّ سَيَّارٍ

فِي الْحَجْرِ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ

ذَكَرَ

بيان

ذكرت في مقدمة الجزء الأول من هذه الطبعة ؛ أننى اتخذت النسخة المطبوعة في أوربا أصلاً في التحقيق ؛ باعتبارها النسخة الكاملة التى نُشرت نشرًا علميًا على أساس المخطوطات المتنوعة التى وقعت للمصححين ؛ وأثبت في حواشيها فروق النسخ التى رجعوا إليها ؛ ولاسيما الفروق التى لها دلالات خاصة ؛ وزدت عليها فروق النسخ التى حصلت عليها بعد ؛ مع ما عنى من التعليق والشرح والتوضيح ؛ كما أنى أثبت في الهامش أرقام صفحاتها ، ورمزتُ إليها بالحرف (ط) .

ومن النسخ التى حصلت عليها لتحقيق هذا الجزء ؛ مما لم يرجع إليه مصححو الطبعة الأوربية ما يأتى :

١ - جزء مصور من أجزاء النسخة المخطوطة المحفوظة بمكتبة أحمد الثالث باستانبول برقم ٢٩٢٩ ؛ وهى التى رجعت إلى بعض أجزائها فيما سبق . وقد وضعت أجزاء هذه النسخة على أساس تجزئة الناسخ ، وتقع في خمسة عشر مجلدًا ، كتب على صفحة عنوان هذا الجزء : « الجزء الحادى عشر من التاريخ تأليف أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى ، وهو تاريخ الملوك وأنسابهم ومواليدهم والرسل وأخبارهم والكائن في زمان كل منهم » ، والحمد لله وحده . وبآخره : « تم الجزء الحادى عشر من التاريخ بعون الله ولطفه يتلوه في الجزء الثانى عشر سنة ثلاث وثلاثين ومائة » ، والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله وصحبه وسلم تسليمًا ، وحسبنا الله ونعم الوكيل . وعليه وقفية من المقرّ الأشرف الجمالى الأستاذ دار ، لهذا المجلد وما قبله وما بعده ، على مدرسته التى أنشأها بخط الموازيين^(١) في الشارع الأعظم » ، في سنة ٧٣٧هـ . وبهذا الجزء نقص في أوله وخروم في داخله ؛ يبدأ بحوادث سنة ١١٨ ، وينتهى بآخر حوادث سنة ١٣٢ . كتب بخط نسخى مشكول يغلب عليه الصحة

(١) موقعها الآن جامع الكردى بقصبة رضوان بالقاهرة .

والإتقان ، يبدو أنه في القرن السادس . ويقع في ٢٣٩ ورقة ؛ في كل ورقة ١٩ سطراً ، وفي كل سطر عشر كلمات تقريباً ، وقد رمزت إليه بالحرف (ا) .

٢ - جزء مصور عن أصله المخطوط بالمكتبة التيمورية بدار الكتب المصرية ، ناقص من آخره ؛ يبدأ بحوادث سنة ١٣٣ ، وينتهي في أثناء الكلام على حوادث سنة ١٤٥ ، ويقع في ١٠٠ ورقة . وعلى صفحة العنوان : « الجزء الثاني عشر من التاريخ تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى . . . » ، وهو متمم للجزء السابق ؛ وعليه نفس الوقفية السابقة ؛ وبخط النسخ نفسه . وقد رمزت لهذا الجزء بالحرف (ي) ، وبمقابلة هذا الجزء بما قبله ، والجزء الذى وصف في مقدمة الجزء الأول ، والجزء الذى وصف في مقدمة الجزء السادس ، يتبين أن هذه الأجزاء من نسخة واحدة ؛ ولعلها كانت من كتب المحمودية التى تفرقت على مدى الأيام شرقاً وغرباً ؛ ولم يبق منها إلا بعض الكتب والأجزاء التى يكشف عنها الزمن بين حين وحين .

٣ - جزء مصور عن أصله المخطوط المحفوظ بمكتبة بنته خدابخش بالهند برقم ٣٣٣٠ ، بعنوان « الجزء الثانى عشر من كتاب التاريخ الكبير تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبرى رحمه الله » . يبدأ بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٢٩ ، وينتهي بأثناء الكلام على حوادث سنة ١٥٨ ، وفي آخره تملك بخط محمد بن محمد بن أبي بكر مؤرخ بسنة ١٠١٩ ، ومطالعة لمحمد بن محمد الشهير بالعسكرى . ويقع في ٢١٢ ورقة ، كتب بخط نسخى مشكول ، يبدو أنه في القرن الثامن ؛ مسطرته ١٧ سطراً ، وفي كل سطر ١١ كلمة تقريباً .

وقد رمزت إليه بالحرف (هـ) .

والله الموفق للصواب .

رجب سنة ١٣٨٤ هـ

نوفمبر سنة ١٩٦٥ م

محمد أبو الفضل إبراهيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ثم دخلت سنة أربع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[ذكر الوقعة بين الحرشي والسُغْد]

ففي هذه السنة كانت وقعة الحرشي بأهل السُغْد وقتله مَنْ قتل من دهاقينها
• ذكر الخبر عن أمره وأمرهم في هذه الوقعة :

ذكر عليّ عن أصحابه أن الحرشي غزا في سنة أربع ومائة فقطع النهر ،
وعرض الناس ، ثم سار فتزل قصر الريح على فرسخين من الدَّبُوسِيَّة ، ولم ١٤٤٢/٢
يجتمع إليه جنده .

قال : فأمر الناس بالرحيل ، فقال له هلال بن عُلَيْم الحنظليّ : يا هاناه ،
إنك وزيراً خيراً منك أميراً ، الأرض حرب^(١) شاغرة برجلها ، ولم يجتمع
لك جندك ، وقد أمرت بالرحيل ! قال : فكيف لي ؟ قال : تأمر بالنزول ،
ففعل .

وخرج النِيلان ابن عمّ ملك فرغانة إلى الحرشي ، وهو نازل على مُغُون^(٢)
فقال له : إن أهل السُغْد بخُجَنْدَة ؛ وأخبره خبرهم^(٣) وقال : عاجلهم قبل
أن يصيروا إلى الشَّعب ، فليس لهم علينا جوارحتي يمضي الأجل . فوجه
الحرشيّ مع النِيلان عبد الرحمن القشيريّ وزِيَاد بن عبد الرحمن القشيريّ في
جماعة ، ثم ندم على ما فعل^(٤) فقال : جاءني عَلِيجٌ لا أدري صدق أم كذب ،
فغررتُ بجند من المسلمين . وارتحل^(٥) في أثرهم حتى نزل في أَشْرُوسْتَة ، فصالحهم
بشيء يسير ، فبينما هو يتعشى إذ قيل له : هذا عطاءُ الدَّبُوسِيّ
— وكان فيمن وجهه مع القشيريّ — ففرع وسقطت اللقمة من يده ، ودعا

(١) ف : « جرت » . (٢) ب : « معون » .

(٣) ابن الأثير : « نجبرهم » . (٤) ب : « لما فعلوا » .

(٥) ب : « فارتحل » .

بعطاء ، فدخل عليه ، فقال : ويلك ! قاتلتم أحداً ؟ فقال : لا ، قال : الحمد لله ، وتعشئ ، وأخبره بما قدم له عليه . فسار جواداً^(١) مغزاً ، حتى لحق القشيري بعد ثلاثة ، وسار فلما انتهى إلى خُجَندة ، قال للفضل^(٢) بن بسام : ما ترى ؟ قال : أرى المعاجلة ، قال : لا أرى ذلك ، إن جرح رجلٌ فإلى أين يرجع ! أو قتل قتيل فإلى من يُحمَل ! ولكني أرى النزول والتأني والاستعداد للحرب ، فنزل فرفع^(٣) الأبنية وأخذ في التأهب ، فلم يخرج أحد من العدو ، فجبَّ الناسُ الحرشي ، وقالوا : كان هذا يُذكر بأسه بالعراق ورأيه ، فلما صار بخراسان ماق^(٤) . قال : فحمل رجلٌ من العرب ، فضرب باب خجندة بعمود ففتَّح الباب ، وقد كانوا حفروا في ربضهم وراء الباب الخارج خندقاً ، وغطَّوه بقصب ، وعكَّوه بالتراب مكيدة ، وأرادوا إذا التقوا إن انهزموا أن يكونوا قد عرفوا الطريق ، ويشكل على المسلمين فيسقطوا في الخندق .

قال : فلما خرجوا قاتلوهم فانهزموا ، وأخطَّوهم الطريق ، فسقطوا في الخندق فأخرجوا من الخندق أربعين رجلاً ، على الرجلِ درعانِ درعان ، وحصرهم الحرشي ، ونصب عليهم الحجانيق ، فأرسلوا إلى ملكِ قَرَغانة : غدرت بنا ، وسألوه أن ينصرهم ، فقال لهم : لم أغبر ولا أنصركم ؛ فانظروا لأنفسكم ؛ فقد أتوكم قبل انقضاء الأجل ، ولستم في جوارى . فلما أيسوا من نصره طلبوا الصلح ، وسألوا الأمان وأن يردَّهم إلى السَّغْد ، فاشتَرط عليهم أن يردَّوا من في أيديهم من نساء العرب وذرائعهم ، وأن يؤدوا^(٥) ما كسروا من الخراج ، ولا يغتالوا أحداً ، ولا يتخلف منهم بخجندة أحد ، فإن أحدثوا حدثاً حلت دماؤهم .

قال : وكان السَّفير فيما بينهم موسى بن مشكان^(٦) مولى آل بسام ،

(١) ف : « جراداً » .

(٢) ب : « الفضل » .

(٣) ف : « ورفع » .

(٤) ماق ، أى حمق .

(٥) ح ، ف : « يردوا » .

(٦) ح : « مسكان » ، ف : « مشكام » .

فخرج إليه كارزنج ، فقال له : إن لي حاجة أحب أن تشفعني فيها ، قال : وما هي ؟ قال : أحب إن جني منهم رجل جناية بعد الصلح ألا تأخذني بما جني ، فقال الحرشي : ولي حاجة فاقضها ، قال : وما هي ؟ قال : لا يلحقني في شرطي ما أكره . قال : فأخرج الملوك والتجار من الجانب الشرق ، وترك أهل خُجَستَدة الذين هم أهلها على حالهم ، فقال كارزنج للحرشي : ما تصنع ؟ قال : أخاف عليكم معرة الجند . قال : وعظماؤهم مع الحرشي في العسكر نزلوا على معارفهم من الجند ، ونزل كارزنج على أيوب بن أبي حسان ، فبلغ الحرشي أنهم قتلوا امرأة من نساء كن في أيديهم ، فقال لهم : بلغني أن ثابتاً الأشتيخني قتل امرأة ودفنها تحت حائط ، فجحدها فأرسل الحرشي إلى قاضي خُجَستَدة ، فنظروا فإذا المرأة مقتولة . قال : فدعا الحرشي بثابت ، فأرسل كارزنج غلامه إلى باب السرادق ليأتيه بالخبر ، وسأل الحرشي ثابتاً وغيره عن المرأة ، فجحده ثابت وتيقن الحرشي أنه قتلها فقتله . فرجع غلام كارزنج إليه بقتل ثابت ، فجعل يقبض على لحيته ويقرضها بأسنانه ، وخاف كارزنج أن يستعرضهم ^(١) الحرشي ، فقال لأيوب بن أبي حسان : إني ضيفك وصديقك ، ١٤٤٥/٢ فلا ^(٢) يحمل بك أن يقتل صديقك ^(٣) في سراويل خلقي ، قال : فخذ سراويلي . قال : وهذا لا يحمل ، أقتل في سراويلاتكم ! فسرح غلامك إلى جلنج ابن أخي يميثوني بسرراويل جديد — وكان قد قال لابن أخيه : إذا أرسلت إليك أطلب سراويل فاعلم أنه القتل — فلما بعث بسرراويل أخرج فرندة خضراء فقطعها عصائب ، وعصبتها برءوس شاكريته ، ثم خرج هو وشاكريته ، فاعترض الناس فقتل ناساً ، ومر يبعي بن حُصَيْن فنفعه نفحة ^(٤) على رجله ، فلم يزل يخمَعُ منها ^(٥) . وتضعض أهل العسكر ، ولقي الناس منه شراً حتى انتهى إلى ثابت بن عثمان بن مسعود في طريق ضيق ، فقتله ثابت بسيف عثمان بن مسعود . وكان في أيدي السغد أسراء من المسلمين فقتلوا منهم خمسين ومائة ، ويقال : قتلوا منهم أربعين ؛ قال : فأقلت منهم غلام فأخبر

(١) ابن الأثير : « أن يقتل » .
 (٢) ب : « ضيفك » .
 (٣) ب : « ضيفك » .
 (٤) نفحة ، أي ضربه .
 (٥) يخمَع ، أي يعرج .

الحرثي - ويقال: بل أتاها رجل فأخبره - فسألهم فجحدهوا ، فأرسل إليهم من علم علمهم ، فوجد الخبر حقاً ، فأمر بقتلهم ، وعزل التجار عنهم - وكان التجار أربعمائة ، كان معهم مالٌ عظيمٌ قدِموا به من الصين - قال : فامتنع أهل السغد ، ولم يكن لهم سلاح ، فقاتلوا بالخشب ، فقتلوا عن آخرهم . فلما كان الغد دعا الحرثي - ولم يعلموا ما صنع أصحابهم - فكان يختم في عنق الرجل ويخرج من حائط إلى حائط فيقتل ، وكانوا ثلاثة آلاف - ويقال سبعة آلاف - فأرسل جرير بن هميان والحسن بن أبي العسرطة^(١) ويزيد بن أبي زينب فأحصوا أموال التجار - وكانوا اعتزلوا وقالوا : لا نقاتل - فاصطفي أموال السغد^(٢) وذاريهم ، فأخذ منها ما أعجبه ، ثم دعا مسلم بن بُدَيْل العدوي ، عدى الرباب ، فقال : قد وليتك المقسم ، قال : بعد ما عمل فيه عمالك ليلة ! ولّه غيري ؛ فولاه عبيد الله بن زهير بن حيّان العدوي ، فأخرج الخمس ، وقسم الأموال ؛ وكتب الحرثي إلى يزيد بن عبد الملك ، ولم يكتب إلى عمر بن هبيرة ، فكان هذا مما وجد فيه عليه عمر بن هبيرة ، فقال ثابت قُطُنَةُ يذكر ما أصابوا من عظمائهم :

أَقْرَ الْعَيْنِ مَصْرَعُ كَارزَنْجٍ وَكَشِينٍ وَمَا لاقى بيار^(٣)
وَدِيَوَاشْنِي وَمَا لاقى جَلَنْجُ بِحِصْنِ خُجَنْدَ إِذْ دَمَرُوا فَبَارُوا^(٤)

ويروى : «أقر العين مصرع كارزنج ، وكشيش» ؛ ويقال : إن ديواشني دِهْمَانُ أَهْلِ سَمَرْقَنْدَ ، واسمه ديواشنج فأعربوه ديواشني . ١٤٤٧/٢

ويقال : كان على أقباض خُجَنْدَةَ عَلِيَّاءَ بنِ أَحْمَرَ الْيَشْكِرِي ، فاشترى رجل منه جُؤنة بدرهمين ، فوجد فيها سبائك ذهب ، فرجع وهو واضع يده على عينه كأنه رمد ، فردّ الجُؤنة ، وأخذ الدرهمين ، فطلب فلم يوجد .

(١) ح : «العرطة» .

(٢) ب : «أموال أهل السغد» .

(٣) ابن الأثير : «بياد» .

(٤) ابن الأثير : «فبادوا» .

قال : وسرح الحرثي سليمان بن أبي السري مولى بني عؤافة إلى قلعة لا يُطيف بها وادي السغد إلا من وجه واحد . ومعه شوكر بن حميك وخوارزم شاه وعورم صاحب أخرون وشومان ؛ فوجه سليمان بن أبي السري على مقدمته المسيب بن بشر الرياحي ، فتلقوه من القلعة على فرسخ في قرية يقال لها كوم ، فهزمهم المسيب حتى ردّهم إلى القلعة فحصرهم سليمان ، ودهقائها يقال له ديواشني .

قال : فكتب إليه الحرثي فعرض عليه أن يمدّه ، فأرسل إليه : ملتقانا ضيق فسر^(١) إلى كيس ؛ فإننا في كفاية الله إن شاء الله . فطلب الديواشني أن ينزل على حكم الحرثي ، وأن يوجهه مع المسيب بن بشر إلى الحرثي ، فوفى له سليمان ووجهه إلى سعيد الحرثي ، فألفظه وأكرمه مكيدة ، فطلب أهل القلعة الصلح بعد مسيره على ألاّ يعرض لمائة أهل بيت منهم ونسائهم^(٢) وأبنائهم ويسلمون القلعة . فكتب سليمان إلى الحرثي أن يبعث الأمانة في قبض ما في القلعة .

قال : فبعث محمد بن عزيز الكندي وعلباء بن أحمر اليشكري ، فباعوا ما في القلعة مزادة ، فأخذ الخمس ، وقسم الباقي بينهم . وخرج الحرثي إلى ١٤٤٨/٢ كيس فصالحوه على عشرة آلاف رأس . ويقال : صالح دهقان كيس ، واسمه ويك . على ستة آلاف رأس ، يوفيه في أربعين يوماً على ألاّ يأتيه فلما فرغ من كيس خرج إلى ربنجن ، فقتل الديواشني ، وصلبه على ناووس وكتب على أهل ربنجن كتاباً بمائة إن فقد من موضعه ؛ وولّى نصر بن سيار قبض صلح كيس ، ثم عزل سورة بن الحرّ وولّى نصر بن سيار ، واستعمل سليمان بن أبي السري على كيس ، ونسّف حريها وخراجها ، وبعث برأس الديواشني إلى العراق ، ويده اليسرى إلى سليمان بن أبي السري إلى طخارستان .

قال : وكانت خزار منيعة ، فقال المجشّرين مزامح لسعيد بن عمرو الحرثي : ألا أدلك على من يفتحها لك بغير قتال ؟ قال : بلى ، قال : المسربل بن الخريت بن راشد الناجي ، فوجهه إليها — وكان المسربل صديقاً للملكها ، واسم الملك سبقرى . وكانوا يحبّون المسربل — فأخبر الملك ما صنع

(٢) ب : « ولا نسائهم » .

(١) ب : « ولكن سر » .

الحرشيّ بأهل خُجَندة وخوفه، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن تنزل بأمان،
قال: فما أصنع بمن لحق بي من عوامّ الناس؟ قال: نصيرهم معك في أمانك،
١٤٤٩/٢ فصالحهم فأمنوه^(١) وبلاده.

قال: ورجع الحرشيّ إلى مَرو ومعه سبقرى، فلما نزل أسنان وقدم
مهاجر بن يزيد الحرشيّ، وأمره أن يوافيه ببرزون بن كُشانيشاه قتل سبقرى
وصلبه ومعه أمانه — ويقال: كان هذا دهقان ابن ماجر قدم على ابن هبيرة
فأخذ أماناً لأهل السغد، فحبسه الحرشيّ في قهندز مَرو، فلما قدم مَرو
دعا به، وقتله وصلبه في الميدان، فقال الرازي:

إِذَا سَعِيدٌ سَارَ فِي الْأَخْمَاسِ فِي رَهَجٍ يَأْخُذُ بِالْأَنْفَاسِ
دَارَتْ عَلَى التُّرْكِ أَمْرُ الْكَاسِ وَطَارَتْ التُّرْكُ عَلَى الْأَحْلَاسِ
* وَلَوْ فِرَارًا غُطِّلَ ائْتِْيَاسِ *

* * *

وفي هذه السنة عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن بن الضحّاك بن
قيس الفهريّ عن المدينة ومكة، وذلك للنصف من شهر ربيع الأوّل، وكان
عامله على المدينة ثلاث سنين.
وفيها وليّ يزيد بن عبد الملك المدينة عبد الواحد النَّضْرِيّ^(٢).

ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن
ابن الضحّاك عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال

وكان سبب ذلك — فيما ذكر محمد بن عمر، عن عبد الله بن محمد بن أبي
يحيى ١٤٥٠/٢ — قال: خطب عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهريّ فاطمة
ابنة الحسين، فقالت: والله ما أريد النكاح، ولقد قعدت على بني هؤلاء؛

(١) ح: «فأمنه».

(٢) ب، ح: «البصري».

وجعلت تحاجزه وتكره أن تنابذه لما تخاف منه . قال : وألحّ عليها وقال :
والله لئن لم تفعل لأجلدنّ أكبر بنيك في الخمر — يعني عبد الله بن الحسن —
فبينما هو كذلك ؛ وكان على ديوان المدينة ابن هرمز (رجل من أهل الشام) ،
فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه ، ويدفع^(١) الديوان ، فدخل على فاطمة بنت
الحسين يودّعها ، فقال : هل من حاجة ؟ فقالت : تخبر أمير المؤمنين بما
ألقى من ابن الضحّاك ، وما يتعرّض منّي . قال : وبعثت رسولا بكتاب إلى
يزيد تخبره وتذكر قرابتها ورحمها ، وتذكر ما ينال ابن الضحّاك منها ،
وما يتوعدها به .

قال : فقدم ابن هرمز والرسول معاً . قال : فدخل ابن هرمز على يزيد ،
فاستخبره عن المدينة ، وقال : هل كان من مغرّبة خبر ؟ فلم يذكر ابن هرمز
من شأن ابنة الحسين ، فقال الحاجب : أصلح الله الأمير ! بالباب رسول فاطمة
بنت الحسين ، فقال ابن هرمز : أصلح الله الأمير ! إن فاطمة بنت الحسين
يوم خرجت حملتني^(٢) رسالة إليك ، فأخبره الخبر .

١٤٥١/٢

قال : فنزل من أعلى فراشه ، وقال : لا أمّ لك ! ألم أسألك هل من مغرّبة
خبر ، وهذا عندك^(٣) لا^(٤) تخبرني^(٥) ! قال : فاعتذر بالنسيان . قال : فأذن
للرسول فأدخله ، فأخذ الكتاب ، فاقرأه . قال : وجعل^(٦) يضرب بخيزران
في يديه^(٧) وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضحّاك ! هل من رجل يُسمعي صوته
في العذاب وأنا على فراشي ؟ قيل له : عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النّفسريّ .
قال : فدعا بقرطاس ، فكتب بيده :

إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النّفسريّ وهو بالطائف : سلام
عليك ؛ أما بعد فإني قد وليتُك المدينة ، فإذا جاءك كتابي هذا فاهبط
واعزل عنها ابن الضحّاك ، وأغرمه أربعين ألف دينار ، وعذّبه حتى أسمع
صوته وأنا على فراشي .

قال : وأخذ البريد الكتاب ، وقدم به المدينة ، ولم يدخل على ابن الضحّاك

(١) ب : « ويحمل » . (٢) ب : « حملتني يوم خرجت » .

(٣) ح : « معك » . (٤) ب : « فلا » .

(٥) ح : « تخبرني إياه » . (٦) ب : « فجعل » .

(٧) ف وابن الأثير : « يده » .

وقد أوجست نفس ابن الضحّاك ، فأرسل إلى البريد ، فكشف له عن طرف
المفرش ، فإذا ألف دينار ، فقال : هذه ألف دينار لك ، ولك العهد والميثاق ؛
لئن أنت أخبرتني خبر وجهك هذا دفعتها إليك ، فأخبره ، فاستنظر البريد
ثلاثاً حتى يسير ، ففعل . ثم خرج ابن الضحّاك ، فأغذّ السيّر حتى نزل ١٤٥٢/٢
على مسلمة بن عبد الملك ، فقال : أنا في جوارك ، فغدا مسلمة على يزيد
فرقه (١) وذكر حاجة جاء لها (٢) ، فقال : كل حاجة تكلمت فيها هي
في يدك ما لم يكن ابن الضحّاك ، فقال : هو والله ابن الضحّاك ! فقال : والله
لا أعفيه أبداً وقد فعل ما فعل ، قال : فردّه إلى المدينة إلى النّضريّ .

قال عبد الله بن محمد : فرأيتُه في المدينة (٣) عليه جُبّة من صوف يسأل
الناس ، وقد عذّب ولقي شرّاً ، وقدم النّضريّ يوم السبت للنصف من شوال
سنة أربع ومائة .

قال محمد بن عمر : حدثني إبراهيم بن عبد الله بن أبي فرّوة ، عن
الزّهريّ ، قال : قلت لعبد الرحمن بن الضحّاك : إنك تقدم على قومك وهم
ينكرون (٤) كل شيء خالف فعلهم ، فالزم ما أجمعوا عليه ، وشاور القاسم
ابن محمد وسالم بن عبد الله ؛ فإنهما لا يألوانك رشداً . قال الزّهريّ : فلم يأخذ
بشيء من ذلك ، وعادى الأنصار طرّاً ، وضرب أبا بكر بن حزم ظمّاً وعدواناً
في باطل ، فما بقي منهم شاعر إلا هجاه ، ولا صالح إلاّ عابه وأناه بالقبيح ،
فلما ولي هشام رأيتُه ذليلاً .

وولي المدينة عبد الواحد بن عبد الله بن بيشر فأقام بالمدينة لم يقدم عليهم
وال أحبّ عليهم منه ، وكان يذهب مذاهب الخير ، لا يقطع أمراً إلاّ استشار
فيه القاسم وسالماً (٥) .

وفي هذه السنة غزا الجراح بن عبد الله الحكميّ — وهو أمير على أرمينية
وأذربيجان — أرض الترك ففتح على يديه بلسنجر ، وهزم الترك وغرقهم وعامة ١٤٥٣/٢

(١) ب : « فرقه » .

(٢) ب : « بها » .

(٣) ف : « بالمدينة » .

(٤) ب : « ينظرون » .

(٥) في ابن الأثير : « القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله بن عمر » .

ذرائعهم^(١) في الماء ، وسبوا ما شاءوا ، وفتح الحصون التي تلي بلسنجر وجلا عامة أهلها .

وفيها ولد — فيما ذكر — أبو العباس عبد الله بن محمد بن عليّ في شهر ربيع الآخر .

وفيها دخل أبو محمد الصادق وعِدّة من أصحابه من خراسان إلى محمد ابن عليّ ، وقد ولد أبو العباس قبل ذلك بخمس عشرة ليلة ، فأخرجه إليهم في خِرْقَة ، وقال لهم : والله ليتمنّ هذا الأمر حتى تدركوا ثأركم من عدوكم .

* * *

وفي هذه السنة عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرّشيّ عن خراسان ، وولّاها مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة الكلابيّ

ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن

عمرو الحرّشيّ عن خراسان

ذكر أنّ سبب ذلك كان من موجدة^(٢) وجدها عمر عليّ الحرّشيّ في أمر الديواشنيّ ، وذلك أنّه كان كتب إليه يأمره بتخليته وقتله ، وكان^(٣) يستخفّ بأمر ابن هبيرة ، وكان البريد والرّسول^(٤) إذا ورد من العراق قال له : كيف أبو المثنّى ؟ ويقول لكتابه : اكتب إلى أبي المثنّى ١٤٥٤/٢ ولا يقول : « الأمير » ، ويكثر أن يقول : قال أبو المثنّى وفعل أبو المثنّى ، فبلغ ذلك ابن هبيرة فدعا جُمَيْل بن عمران ، فقال له : بلغني أشياء عن الحرّشيّ ، فاخرج إلى خراسان ، وأظهر أنّك قدمت^(٥) تنظر في الدواوين ، واعلم لي علمه . فقدم جُمَيْل ، فقال له الحرّشيّ : كيف تركت أبا المثنّى ؟ فجعل ينظر في الدواوين . فقيل للحرّشيّ : ما قدم جميل لينظر في الدواوين ، وما قدم إلا ليعلم عِلْمَكَ ، فسمّ بطيخةً ، وبعث بها إلى جميل ، فأكلها ففرض ،

(٢) ب : « كان موجدة » .

(٤) ف : « أو الرّسول » .

(١) ح : « وذرائعهم » .

(٣) ب : « وإنه كان » .

(٥) ب : « خرجت » .

وتساقط شعره ، ورجع إلى ابن هبيرة ، فعولج واستبيل^(١) وصحّ ، فقال لابن هبيرة : الأمر أعظم مما بلغك ؛ ما يرى سعيد إلا أنك عامل من عماله . فغضب عليه وعزله وعذبه ، ونفخ في بطنه النمل^(٢) ، وكان يقول حين عزله : لو سألتني عمر درهمًا يضعه في عينه ما أعطيته ؛ فلما عذب أدّى ، فقال له رجل : ألم تزعم أنك لا تعطيه درهمًا ! قال : لا تعنتني ؛ إنه لما أصابني الحديد جزعت ، فقال أذينة بن كليب — أو كليب بن أذينة :

تَصَبَّرْ أَبَا يَحْيَى فَقَدْ كُنْتَ - عَلِمْنَا - صَبُورًا وَنَهَاضًا بِثِقَلِ الْمَغَارِمِ

وقال علي بن محمد : إنما غضب عليه ابن هبيرة أنه وجه معقل بن عروة إلى هَرَاة ؛ إما عاملاً وإما في غير ذلك من أموره ، فنزل قبل أن يمرّ على الحَرَشِيِّ ، وأتى هَرَاة ، فلم ينفذ له ما قدم فيه ، وكتب إلى الحَرَشِيِّ ، فكتب الحَرَشِيُّ إلى عامله : أن احمل إلى معقلاً ، فحمله ، فقال له الحَرَشِيُّ : مامتلك من إتياني قبل أن تأتي هَرَاة ؟ قال : أنا عامل لابن هبيرة ولا تقي كما ولاك ، فضربه مائتين وحلّقه^(٣) . فعزله ابن هبيرة ، واستعمل على خراسان مسلم بن سعيد بن أسلم بن زُرْعَةَ ، فكتب إلى الحَرَشِيِّ يلخّنه ، فقال سعيد : بل هو ابن اللّخاء . وكتب إلى مسلم أن احمل إلى الحَرَشِيِّ مع معقل بن عروة ، فدفعه إليه ، فأساء به وضيق عليه ، ثم أمره يوماً فعذّبه ، وقال : اقتله بالعذاب . فلما أمسى ابن هبيرة سمّر فقال : مَنْ سِيدُ قَيْسٍ ؟ قالوا : الأبير ، قال : دعوا هذا ، سِيدُ قَيْسِ الْكَوْثَرِ بن زفر ، لو بَوَّقَ بَلِيلَ لُوفَاهِ عَشْرُونَ أَلْفًا ، لا يقولون : لم^(٤) دعوتنا ولا يسألونه ، وهذا الحمار الذي في الحبس — قد أمرت بقتله — فارسها ؛ وأما خيرُ قَيْسٍ لها فعسى أن أكونه ؛ إنه لم يعرض إلى أمر أرى أني أقدر فيه على منفعة وخير إلا جرّته^(٥) إليهم ، فقال له أعرابي من بني فزارة : ما أنت كما تقول ، لو كنت كذلك ما أمرت بقتل فارسها . فأرسل إلى معقل أن كُفَّ عما كنتُ أمرتك به .

(٢) النمل هنا : بشور صغار مع ورم يسير .

(٤) ط : « لما » .

(١) استبيل ، أي برئ وشفي .

(٣) حلّقه : وسمه بحلقة في فخذ .

(٥) ح : « لأجرته » .

قال عليّ: قال مسلم بن المغيرة: لما هرب ابن هبيرة أرسل خالد في طلبه سعيد بن عمرو الحرشيّ، فلحقه بموضع من الفُرات يقطعه إلى الجانب الآخر في سفينة، وفي صدر السفينة غلام لابن هبيرة يقال له قُبَيْضُ، فعرفه الحرشيّ فقال له: قُبَيْضُ؟ قال: نعم، قال: أفي السفينة أبو المثنى؟ قال: نعم. قال: فخرج إليه ابن هبيرة، فقال له الحرشيّ: أبا المثنى، ما ظنّك بي؟ قال: ظنيّ بك أنّك لا تدفع رجلاً من قومك إلى رجل من قريش، قال: هو ذاك، قال: فالتجاء.

قال عليّ: قال أبو إسحاق بن ربيعة: لما حبس ابن هبيرة الحرشيّ دخل عليه معقل بن عروة القشيريّ، فقال: أصلح الله الأمير! قيّدت فارس قيس وفضحته، وما أنا براضٍ^(١) عنه؛ غير أنّي لم أحبّ أن تبلغ منه^(٢) ما بلغت، قال: أنت بيني وبينه، قدمت العراق فوليته البصرة، ثم وليته خراسان، فبعث إلىّ بيزون حطيم^(٣) واستخفّ بأمرى، ونحان فعزلته، وقلت له: يابن نَسْعَة، فقال لي: يابن بُسْرة. فقال معقل: وفعل ابن الفاعلة! ودخل على الحرشيّ السجن، فقال: يابن نَسْعَة، أماك دخلت واشتريت بثمانين عتراً جرباً، كانت مع الرّعاء ترادفها^(٤) الرجال^(٥) مطية الصادر والوارد^(٦)، تجعلها ندّاً لبنت الحارث بن عمرو بن حَرْجَة! وافترى عليه، فلما عزّل ابن هبيرة، وقدم^(٧) خالد العراق استعدى الحرشيّ على معقل ابن عروة، وأقام البيّنة أنه قذفه، فقال للحرشيّ: اجلده، فحدّه، وقال: لولا أنّ ابن هبيرة وهنّ في عضديّ لنقبت عن قلبك، فقال رجل من بني كلاب لمعقل: أسأت إلى ابن عمك وقذفتّه، فأداله الله منك، فصرت لا شهادة لك في المسلمين، وكان معقل حين ضرب الحدّ قذف الحرشيّ أيضاً، فأمر خالد بإعادة الحدّ، فقال القاضي: لا يُحمد. قال: وأمّ عمر ابن هبيرة بُسْرة بنت حسان، عدوية من عدوى الرّباب.

(٢) ب: «يبلغ به».

(٤) ف: «يرادّ فيها».

(٦) ب: «الوارد والصادر».

(١) ب: «عنه براض».

(٣) الحطم: داء في قوائم الدابة.

(٥) ط: «الرعاء».

(٧) ح: «ودخل».

[ولاية مسلم بن سعيد على خراسان]

وفي هذه السنة ولّى عمرُ بن هبيرة مسلّم بن سعيد بن أسلم بن زُرعة بن عمرو بن خُوَيْلِد الصَّعِقِ خراسان بعد ما عزل سعيد بن عمرو والحرشي عنها .
• ذكر الخبر عن سبب توليته إياها :

ذكر عليّ بن محمد أنّ أبا الذّيّال وعليّ بن مجاهد وغيرهما حدّثوه ، قالوا : لما قتل سعيد بن أسلم ضمّ الحجاج ابنه مسلم بن سعيد مع ولده ، فتأدّب وتبّل ، فلما قدم عدى بن أرطاة أراد أن يوليّه ، فشاور كاتبه ، فقال : ولّه ولايةٌ خفيفةٌ ثمّ ترفعه ، فولّاه ولاية ، فقام بها وضبطها وأحسن ؛ فلما وقعت فتنة يزيد بن المهلب حمل تلك الأموال إلى الشام ، فلما قدم عمر بن هبيرة أجمع على أن يوليّه ولاية ، فدعاه ولم يكن شاب بعد ، فنظر فرأى شيبةً في لحيته ، فكبّر . ١٤٥٨/٢

قال : ثمّ سمر^(١) ليلةً ومسلم في سمرّه ، فتخلف مسلم بعد السّمّار ، وفي يد ابن هبيرة سفسرّ جلة ، فرمى بها ، وقال : أيسرّك^(٢) أن أوليّك خراسان ؟ قال : نعم ، قال : غدوة إن شاء الله . قال : فلما أصبح جلس ، ودخل الناس ؛ فعقد لمسلم على خراسان وكتب عهده ، وأمره بالسير ، وكتب إلى عمال الخراج أن يكتابوا مسلم بن سعيد ، ودعا بجبلة بن عبد الرحمن مولّى باهلة فولّاه كرمّان ، فقال جبلة : ما صنعت بي الملوّية ! كان مسلم يطمع^(٣) أن ألبى ولايةً عظيمةً فأولّيه كورة ، فعقد له على خراسان وعقد لي على كرمّان ! قال : فسار مسلم فقدم خراسان في آخر سنة أربع ومائة — أو ثلاث ومائة — نصف النهار ، فوافق باب دار الإمارة مغلقاً ، فأتى دار الدواب فوجد الباب مغلقاً فدخل المسجد ، فوجد باب المقصورة مغلقاً ، فصلى . وخرج وصيفٌ من باب المقصورة فقبل له : الأمير ، فشئى بين يديه حتى أدخله مجلس الوالى في دار الإمارة ، وأعلّم الحرشي ، وقيل له : قدم مسلم بن سعيد ابن أسلم ، فأرسل إليه : أقدمت أميراً أو وزيراً أوزائراً ؟ فأرسل إليه : مثلى لا يقدم خراسان زائراً ولا وزيراً ، فأتاه الحرشي فشتمه وأمر بحبسه ، فقيل له : إن أخرجته نهراً قتل ، فأمر بحبسه عنده حتى أمسى ، ثمّ حبسه ليلاً . ١٤٥٩/٢

(١) ح : « سمر » . (٢) ح : « أبشرك » . (٣) كذا في ب ، وفي ط : « ينبغي يطمع » .

وقيده ، ثم أمر صاحب السجن أن يزيده قيئداً . فأتاه حزينا ، فقال : مالك ؟ فقال : «مِرتُ أن أزيدك قيئداً ، فقال لكاتبه : اكتب إليه : إن صاحب سجنك ذكر أنك أمرته أن يزيدي قيئداً ، فإن كان أمراً ممن فوقك فسمعا وطاعة ، وإن كان رأياً رأيته فسرك الحققة^(١) ، وتمثل :

هُمُ إِن يَشْقُفُونِي يَقْتُلُونِي وَمَنْ أَثْقَفَ فليس إلى خلود^(٢)
ويروى :

فإِذَا تَشْقُفُونِي فاقْتُلُونِي فَمَنْ أَثْقَفَ فليس إلى خلود
هُمُ الْأَعْدَاءُ إِن شَهِدُوا وَغَابُوا أُولُو الْأَحْقَادِ وَالْأَكْبَادُ سَوْدُ
أَرِيغُونِي إِرَاغَتِكُمْ فَإِنِّي وَحَذَفَةَ كَالشَّجَا تَحْتَ الْوَرِيدِ
ويروى : « أريدوني إرادتكم » .

قال : وبعث مسلم على كوره رجلا من قبله على حربها .

قال : وكان ابن هبيرة حريصاً ، أخذ قهرماناً^(٣) ليزيد بن المهلب ، له علم بخراسان وبأشرافهم^(٤) ، فحبسه فلم يدع منهم شريفاً إلا قتره^(٥) ، فبعث أبا عبيدة العنبري ورجلا يقال له خالد ، وكتب إلى الحرشي وأمره أن يدفع الذين ستمهم إليه يستأديهم فلم يفعل ، فرد رسول ابن هبيرة ، فلما استعمل ابن هبيرة مسلم بن سعيد أمره بحماية تلك الأموال ، فلما قدم مسلم أراد أخذ الناس بتلك الأموال التي قرفت^(٦) عليهم ، ف قيل له : إن فعلت هذا بهؤلاء لم يكن لك بخراسان قرار ، وإن لم تعمل في هذا حتى توضع عنهم فسدت عليك وعليهم خراسان ؛ لأن هؤلاء الذين تريد أن تأخذهم بهذه الأموال أعيان البلد قرفوا بالباطل ؛ إنما كان على مهزّم بن جابر ثلثمائة ألف فزادوا مائة ألف فصارت أربعمائة ألف ، وعامة من ستموا لك ممن كثر عليه بمنزله .

(١) الحققة : أرفع السير وأتعبه للظهر .

(٢) من أبيات نزاله بن جعفر بن كلاب ، ذكرها صاحب الأغاني في ١١ : ٨٣ ، وفي اللسان :

ثقفته ثَقَفًا ، أى صادفته .

(٣) ب : « ترجماناً » . (٤) ب : « بأهل خراسان وأشرافهم » .

(٥) قرفه : أتهمه ورماه . (٦) ط : « قرفت » ، وأثبت ما في الأصول .

فكتب مسلم بذلك إلى ابن هُبيرة ، وأوفد وفداً فيهم مِهْزَمَ بن جابر ، فقال له مِهْزَمُ بن جابر : أيها الأمير؛ إنَّ الذي رُفِعَ إليك الظلم والباطل ، ما علينا من هذا كله لو صدق إلا القليل الذي لو أخذنا به أدَيْنَاهُ ، فقال ابن هُبيرة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ ، فقال : اقرأ ما بعدها : ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ﴾ ^(١) . فقال ابن هُبيرة : لا بُدَّ من هذا المال ، قال : أما والله لئن أخذته لتأخذته من قوم شديدة شوكتهم ونكايتهم في عدوك ، وليضرنَّ ذلك بأهل خراسان في عدتهم وكراهم وحلفتهم ؛ ونحن في ثغر نكابد فيه عدواً لا ينتضى حربهم ؛ إنَّ أحدنا ليلبس الحديد حتى يخلص صدره إلى جلده ، حتى إنَّ الخادم التي تخدم الرجل لتصرف وجهها عن مولاها وعن الرجل الذي تخدمه لريح الحديد ؛ وأنتم في بلادكم متفضلون في الرِّقاق وفي المعصرة ؛ والذين قرفوا بهذا المال وجوه أهل خراسان وأهل الولايات والكلف العظام في المغازي ؛ وقبَلْنَا قوم قدِموا علينا من كلِّ فجٍّ عميق ، فجاءوا على الحُمُرات ، فَوَلُّوا الولايات ، فاقتطعوا الأموال ؛ فبئى عندهم موقرة جمعة .

١٤٦١/٢

فكتب ابن هُبيرة إلى مسلم بن سعيد بما قال الوفد ، وكتب إليه أن استخراج هذه الأموال ممن ذكّر الوفد أنها عندهم . فلما أتى مسلماً كتابُ ابن هُبيرة أخذ أهلَ العهد بتلك الأموال ، وأمر حاجب بن عمرو الحارثي أن يعذبهم ، ففعل وأخذ منهم ما فرّق عليهم .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن عبد الله النَّضْرِيُّ ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي .

وكان العامل على مكة والمدينة والطائف في هذه السنة عبدُ الواحد بن عبد الله النَّضْرِيُّ ، وعلى العراق والمشرق عمر بن هُبيرة ، وعلى قضاء الكوفة حسين بن الحسن الكِنْدِيُّ ، وعلى قضاء البصرة عبد الملك بن يَعْلَى .

ثم دخلت سنة خمس ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة الجراح بن عبد الله الحكمي اللان؛ حتى جاز ذلك إلى مدائن وحصون من وراء بساتنجَر ، ففتح بعض ذلك ، وجلّى^(١) عنه بعض أهله ، وأصاب غنائم كثيرة .

وفيهما كانت غزوة سعيد بن عبد الملك أرض الروم ، فبعث سرية في نحو من ألف مقاتل ، فأصيبوا - فيما ذكر - جميعاً .

وفيهما غزا مسلم بن سعيد الترك ، فلم يفتح شيئاً ، ففقل^(٢) ثم غزا أفشينَة (مدينة من مدائن السغد) بعد في هذه السنة ، فصالح ملكها وأهلها .

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر عليّ بن محمد عن أصحابه ، أن مسلم بن سعيد مرّزَبَ بهرام سيس فجعله المرزبان . وأن مسلماً غزا في آخر الصيف من سنة خمس ومائة ، فلم يفتح شيئاً وقفل ، فاتبعه الترك فلقوه ، والناس يعبرون نهر بلخ وتجم على الساقة ، وعبيد الله بن زهير بن حيّان على خيل تجم ، فحاموا عن الناس حتى عبروا . ومات يزيد بن عبد الملك ، وقام^(٣) هشام ، وغزا مسلم أفشين فصالح ملكها^(٤) على ستة آلاف رأس ، ودفع إليه القلعة ، فانصرف لتمام سنة خمس ومائة .

• • •

[ذكر موت يزيد بن عبد الملك]

وفي هذه السنة^(٥) مات الخليفة يزيد بن عبد الملك بن مروان ، لخمس ليال بقين من شعبان منها ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

(٢) ب : « وقفل » .

(٤) ب وابن الأثير : « أهلها » .

(١) ب : « وغل » .

(٣) ب : « وولى هشام » .

(٥) ب : « وفيها » .

وقال الواقديّ : كانت وفاته ببلقاء من أرض دمشق ، وهو يوم مات ابن ثمان^(١) وثلاثين سنة .

وقال بعضهم : كان ابن أربعين سنة .

وقال بعضهم : ابن ست وثلاثين سنة ؛ فكانت خلافته في قول أبي معشر وهشام بن محمد وعليّ بن محمد أربع سنين وشهراً ، وفي قول الواقديّ أربع سنين .

وكان يزيد بن عبد الملك يكنى أبا خالد ؛ كذلك قال أبو معشر وهشام ابن محمد والواقديّ وغيرهم .

وقال عليّ بن محمد : توفّي يزيد بن عبد الملك وهو ابن خمس وثلاثين سنة أو أربع وثلاثين سنة في شعبان يوم الجمعة لخمس بقين منه سنة خمس ومائة .

وقال : ومات بأربد من أرض البلقاء ، وصلى عليه ابنه الوليد وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهشام بن عبد الملك يومئذ بمحّص ؛ حدثني بذلك عمر ابن شبّة ، عن عليّ .

وقال هشام بن محمد : توفّي يزيد بن عبد الملك ، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

قال عليّ : قال أبو ماوية أو غيره من اليهود ليزيد بن عبد الملك : إنك تملك^(٢) أربعين سنة ، فقال رجل من اليهود : كذب لعنه الله ، إنما رأى أنه يملك أربعين قصبّة ، والقصبّة شهر ، فجعل الشهر سنة .

• • •

ذكر بعض سيره وأموره

حدثني عمر بن شبّة ، قال : حدثنا عليّ ، قال : كان يزيد بن عاتكة من فتيانهم ، فقال يوماً وقد طرب ، وعنده حباّبة وسلاّمة : دعوني أطير ، فقالت حباّبة : إلى من تدعُ الأمة ! فلما مات قالت سلاّمة القسّ :

(٢) ب : « تمكث » .

(١) ب : « ومات وهو ابن » .

لا تَلُمْنَا إِنْ خَشَعْنَا أَوْ هَمَمْنَا بِالْخُشُوعِ^(١)
 قَدْ لَعَمْرِي بَتْ لَيْلِي كَأَنِّي الدَّاءَ الْوَجِيعَ
 ثُمَّ بَاتَ الْهَمُّ مِنِّي دُونَ مَنْ لِي مِنْ ضَجِيعِ^(٢)
 لِلَّذِي حُلَّ بِنَا الْيَوْمَ مَ مِنَ الْأَمْرِ الْفَظِيعِ
 كُلَّمَا أَبْصَرْتُ رَبِّعًا خَالِيًا فَاضَتْ دُمُوعِي
 قَدْ خَلَا مِنْ سَيِّدٍ كَا نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعِ

ثم نادت : وأمير المؤمنين ! والشعر لبعض الأنصار .

قال عليّ : حجّ يزيد بن عبد الملك في خلافة سليمان بن عبد الملك
 فاشترى حَبَابَةَ - وكان اسمها العالية - بأربعة آلاف دينار من عثمان بن سهل
 ابن حنيفة ، فقال سليمان : هممت أن أحجر على يزيد ؛ فردّ يزيد حَبَابَةَ
 فاشترها رجل من أهل مصر ، فقالت سَعْدَةُ ليزيد : يا أمير المؤمنين ، هل
 بقي من الدنيا شيء تتمناه بعد ؟ قال : نعم حَبَابَةُ ، فأرسلت سَعْدَةُ رجلاً
 فاشترها بأربعة آلاف دينار ، وصنعتها^(٣) حتى ذهب عنها كلال السفر ،
 فأتت بها يزيد ، فأجلستها من وراء السر ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أبقى
 شيء من الدنيا تتمناه ؟ قال : ألم تسأليني عن هذا مرة فأعلمتُكِ ! فرفعت
 السر ، وقالت : هذه حَبَابَةُ ، وقامت وخلتها عنده ، فحظيت سَعْدَةُ
 عند يزيد وأكرمها وجابها . وسَعْدَةُ امرأة يزيد ، وهي من آل عثمان
 ابن عفان^(٤) .

قال عليّ عن يونس بن حبيب : إن حَبَابَةَ جارية يزيد بن عبد الملك
 غنّت يوماً :

بين التراقِ واللهاةِ حرارةُ
 ما تطمئنّ وما تسوغُ فتبرؤُ

(١) الأغاني ٨ : ٣٤٦ - ٣٤٨ ، قال : « والشعر للأحوص والنوح لمعبد ، صنعه لسلامة
 وناحت به عليّ يزيد » . (٢) في رواية الأغاني :

ونجى الهم مِنِّي بات أدنى من ضلوعي
 (٣) صنعها ؛ أي زينها ونظفها .

(٤) الخبر في الأغاني ١٥ : ١٢٤ ؛ مع اختلاف في الرواية .

فأهوى ليطير فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن لنا فيك حاجة^(١) ، فرضت
ونقلت^(٢) ، فقال : كيف أنت يا حباية ؟ فلم تجبه ، فبكى وقال :
لئن تسَلُّ عنك النفس أو تذهل الهوى^(٣) فبالياس يسَلُّ القلب لا بالتجلد
وسمع جارية لها تمثّل :

كفى حَزْناً بِالْهَائِمِ الصَّبِّ أَنْ يَرَى منازلَ مَنْ يَهْوَى مُعْطَلَةً قَفَرًا
فكان يتمثّل بهذا .

قال عمر : قال عليّ : مكث يزيد بن عبد الملك بعد موت حباية سبعة
أيام لا يخرج إلى الناس ؛ أشار عليه بذلك مسلّمة ، وخاف أن يظهر منه
شيء يسفهه عند الناس .

١٤٦٦/٢

(١) ح : « الحاجة » .

(٢) نقلت ، أى اشتد مرضها .

(٣) يقال : ذهل الشيء وعن الشيء ، أى تركه . وفى ب : « تدع الهوى » .

خلافة هشام بن عبد الملك

وفي هذه السنة استخلف هشام بن عبد الملك لليال بقين من شعبان منها ، وهو يوم استخلف ابن أربع وثلاثين سنة وأشهر .

حدثني عمر بن شبة ، قال : حدثني علي ، قال : حدثنا أبو محمد القرشي وأبو محمد الزياتي والمنهال بن عبد الملك وسُحيم بن حفص العُجَيتي ، قالوا : ولد هشام بن عبد الملك عام قُتِل مُصعب بن الزبير سنة اثنتين وسبعين . وأمه عائشة بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، وكانت حمقاء ، أمرها أهلها ألا تكلم عبد الملك حتى تلد ، وكانت تثنى الوسائد وتركب الوسادة وترجرها كأنها دابة ، وتشترى الكُنْدُر^(١) فتمضغه وتعمل منه تماثيل ، وتضع التماثيل على الوسائد^(٢) ، وقد سمت كل تماثل باسم جارية ، وتنادى : يا فلانة ويا فلانة ؛ فطلقها عبد الملك لحملها . وسار عبد الملك إلى مُصعب فقتله ، فلما قتله بلغه مولد هشام ، فسمّاه منصوراً ، يتفائل بذلك ، وسمته أمه باسم أبيها هشام ، فلم ينكر ذلك عبد الملك ، وكان هشام يكنى أبا الوليد .

وذكر محمد بن عمر عن حدثه أن الخلافة أتت هشاماً وهو بالزيتونة ١٤٦٧/٢ في منزله في دُويرة له هناك .

قال محمد بن عمر : وقد رأيتها صغيرة ، فجاءه البريد بالعصا والخاتم ، وسلم عليه بالخلافة ، فركب هشام من الرُصافة حتى أتى دمشق .

* * *

وفي هذه السنة قدم بكير بن ماهان من السند — وكان بها مع الجنيد بن عبد الرحمن ترجماناً له — فلما عَزَلَ الجنيد بن عبد الرحمن ، قدم الكوفة ومعه أربع لبنات من فضة ولينة من ذهب ، فلقى أبا عكرمة الصادق وميسرة ومحمد بن خنيس وسالم الأعين وأبا يحيى مولى بني سلمة ؛ فذكروا له أمر

(٢) ب : « الوسادة » .

(١) الكندر : اللبان .

دعوة بنى هاشم ، فقَبِلَ ذلك ورضيَّه ، وأنفق ما معه عليهم ، ودخل إلى محمد ابن عليّ . ومات ميسرة فوجه محمد بن عليّ بكُـكَيْـر بن ماهان إلى العراق مكان ميسرة ، فأقامه مقامه .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ، والنضريّ على المدينة .

قال الواقديّ : حدّثني إبراهيم بن محمد بن شُرْجَبِيل ، عن أبيه ، قال : كان إبراهيم بن هشام بن إسماعيل حجّ ، فأرسل إلى عطاء بن [أبي] رباح : متى أخطب بمكة ؟ قال : بعد الظهر ، قبل التّروية بيوم ، فخطب قبل الظهر ، وقال : أمرني رسولُ بهذا عن عطاء ، فقال عطاء : ما أمرتهُ إلاّ بعد الظهر ، قال : فاستحيا إبراهيم بن هشام يومئذ ، وعدّوه منه جهلاً .

* * *

[ذكر ولاية خالد القسريّ على العراق]

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عمر بن هُبيرة عن العراق وما كان إليه من عمل المشرق . وولّى ذلك كلّهُ خالد بن عبد الله القسريّ في شوال ١٤٦٨/٢ .

ذكر محمد بن سلام الجُمُحِيّ ، عن عبد القاهر بن السريّ ، عن عمر بن يزيد بن عمير الأسديّ (١) قال : دخلت على هشام بن عبد الملك ، وعنده خالد بن عبد الله القسريّ ، وهو يذكر طاعة أهل اليمن ، قال : فصفتك تصفيقةً بيدي دقّ الهواء منها ، فقلت : تالله ما رأيتُ هكذا خطأ ولا مثله خطأً ! والله ما فتححت فتنة في الإسلام إلا بأهل اليمن ، هم قتلوا أمير المؤمنين عثمان ، وهم خلَعُوا أمير المؤمنين عبد الملك ، وإن سيوفنا لتقطر من دماء آل المهلب . قال : فلما قمت تبغني رجلٌ من آل مروان كان حاضراً ، فقال : يا أخا بني تميم ، ورت بك زنادي ، قد سمعت مقاتلك ، وأمير المؤمنين مولّاً خالداً العراق ، وليست لك بدار .

(١) في ابن الأثير : « الأسدي ، بضم الهزّة وتشديد الياء ؛ هكذا يقول المحدثون ، وأما النحاة فإنهم يخففون الياء ؛ وهي عند الجميع نسبة إلى أسيد بن عمرو بن تميم بضم الهزّة وتشديد الياء » .

ذكر عبد الرزاق أن حماد بن سعيد الصنعاني أخبره قال : أخبرني زياد ابن عبيد الله ، قال : أتيت الشام ، فافترضت ؛ فبينما أنا يوماً على الباب باب هشام ، إذ خرج عليّ رجل من عند هشام ، فقال لي : ممن أنت يا فتى ؟ قلت : يمان ، قال : فمن أنت ؟ قلت : زياد بن عبيد الله بن عبد الممدان ، قال : فتبسم ، وقال : قم إلى ناحية العسكر فقل لأصحابي : ارتحلوا فإنّ أمير المؤمنين قد رضى عني ، وأمرني بالمسير ، ووكل بي من يخرجني ١٤٦٩/٢

قال : قلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : خالده بن عبد الله القسريّ ، قال : ومُرهم يا فتى أن يعطوك منديل ثيابي وبرذوني الأصفر . فلما جُزّت قليلاً ناداني ، فقال : يا فتى ، وإن سمعت بي قد ولّيت العراق يوماً فالحق بي . قال : فذهبتُ إليهم ، فقلت : إنّ الأمير قد أرسلني إليكم بأنّ أمير المؤمنين قد رضى عنه ؛ وأمره بالمسير . فجعل هذا يحتضني وهذا يقبل رأسي ، فلما رأيت ذلك منهم ، قلت : وقد أمرني أن تعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر ، قالوا : إى والله وكرامة ، قال : فأعطوني منديل ثيابه وبرذونه الأصفر ، فما أمسى بالعسكر أحد أجود ثياباً^(١) مني ، ولا أجود مركباً مني ، فلم ألبث إلا يسيراً حتى قيل : قد ولّى خالده العراق ، فركبني من ذلك هم ، فقال لي عريف لنا : ما لي أراك مهموماً ! قلت : أجل قد ولّى خالده كذا وكذا ، وقد أصبتُها هنا رزيقاً عشت به ، وأخشى أن أذهب إليه فيتغيّر عليّ فيفوتني ها هنا وها هنا ، فلست أدري كيف أصنع ! فقال لي : هل لك في خصلة ؟ قلت : وما هي ؟ قال : توكلني بأرزاقك وتخرج ، فإن أصبت ما تحبّ فلي أرزاقك ، وإلا رجعت فدفعتهإي إليك ، فقلت نعم . وخرجت ، فلما قدمت الكوفة لبست من صالح ثيابي . وأذن للناس ، فركبتهم حتى أخذوا مجالسهم ، ثم دخلت فقممت بالباب ، فسلمت ودعوت وأثّبت ، فرفع رأسه ، فقال : أحسنت بالرحب^(٢) والسعة ، فما رجعتُ إلى منزلي حتى أصبت ستمائة دينار بين نَقْدٍ وعَرَضٍ^(٣) .

١٤٧٠/٢

ثم كنت أختلفُ إليه ، فقال لي يوماً : هل تكتب يا زياد ؟ فقلت :

(١) ب : « ثوباً » . (٢) ف : « بالقرب » . (٣) العرض : ما سوى التقدين من المتاع .

أقرأ ولا أكتب ، أصلح الله الأمير ! فضرب بيده على جبينه ، وقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! سقط منك تسعة أعشار ما كنت أريده منك ، وبقي لك واحدة فيها غنى الدهر قال : قلت : أيها الأمير ، هل في تلك الواحدة ثمن غلام ؟ قال : وماذا حينئذ ! قلت : تشتري غلاماً كاتباً تبعث به إلى فيعلمني ، قال : هيهات ! كبرت عن ذلك ، قال : قلت : كلا ، فاشتري غلاماً كاتباً حاسباً بستين ديناراً ، فبعث به إلى ، فأكتب على الكتاب ، وجعلت لا آتيه إلا ليلاً ، فما مضت إلا خمس عشرة ليلة حتى كتبت ما شئت وقرأت ما شئت . قال : فإنتي عنده ليلة ، إذ قال : ما أدرى هل أنجحت من ذلك الأمر شيئاً ؟ قلت : نعم ، أكتب ما شئت ، وأقرأ ما شئت ، قال : إنني أراك ظفرت منه بشيء يسير فأعجبك ، قلت : كلا ، فرجع شاذكونه^(١) ، فإذا طومار ، فقال : اقرأ هذا الطومار ، فقرأت ما بين طرفيه ، فإذا هو من عامله على الرى ، فقال : اخرج فقد ولّيتك عمله ، فخرجت حتى قدمت الرى ، فأخذت عامل الخراج ، فأرسل إلى : إن هذا أعرابى مجنون ، فإن الأمير لم يول على الخراج عربياً قط ، وإنما هو عامل المعونة ، فقل له : فليقرني على عملي وله ثلثمائة ألف ، قال : فنظرت في عهدي ، فإذا أنا على المعونة ، فقلت : والله لا انكسرت ، ثم كتبت إلى خالد : إنك بعثتني على الرى ، فظننت أنك جمعتها لي . فأرسل إلى صاحب الخراج أن أقره على عمله ويعطيني ثلثمائة ألف درهم . فكتب إلى أن اقبل ما أعطاك ، واعلم أنك مغبون . فأقمت بها ما أقمت ، ثم كتبت : إني قد اشنمت إليك فارفعني إليك ، ففعل ، فلما قدمت عليه ولاقي الشرطة .

١٤٧١/٢

* * *

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف عبد الواحد بن عبد الله النضرى وعلى قضاء الكوفة حسين بن حسن الكندى ، وعلى قضاء البصرة موسى بن أنس . وقد قيل إن هشاماً إنما استعمل خالد بن عبد الله القسرى على العراق وخراسان في سنة ست ومائة ، وإن عامله على العراق وخراسان في سنة خمس ومائة كان عمر بن هبيرة .

(١) ط : « شاذكونه » ؛ وفي القاموس : « الشاذكونة ، بفتح الذال : ثياب غلاظ مضرية تعمل باليمن ؛ وإلى بيعها نسب أبو أيوب الحافظ ؛ لأن أباه كان يبيعها » .

ثم دخلت سنة ست ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

ففي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك عن المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضري وعن مكة والطائف ، وولى ذلك كله خاله إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي ، فقدم المدينة يوم الجمعة لسبع عشرة^(١) مضت من جمادى الآخرة سنة ست ومائة ، فكانت ولاية النضري على المدينة سنة وثمانية أشهر .

١٤٧٢/٢

وفيهما غزا سعيد بن عبد الملك الصائفة .

وفيهما غزا الحجاج بن عبد الملك اللان ، فصالح أهلها ، وأدوا الجزية .

وفيهما ولد عبد الصمد بن علي في رجب .

وفيهما مات الإمام طاوس مولى بحير بن ريسان الحميري بمكة وسالم ابن عبد الله بن عمر ، فصلت عليهما هشام . وكان موت طاوس بمكة وموت سالم بالمدينة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الحكيم بن عبد الله بن أبي فروة ، قال : مات سالم بن عبد الله سنة خمس ومائة في عقب ذي الحجة ، فصلى عليه هشام بن عبد الملك بالبقيع ، فرأيت القاسم بن محمد بن أبي بكر جالساً عند القبر وقد أقبل هشام ما عليه إلا كدراعة^(٢) ، فوقف على القاسم فسلم عليه ، فقام إليه القاسم فسأله هشام : كيف أنت يا أبا محمد ؟ كيف حالك ؟ قال : بخير ، قال : إني أحب والله أن يجعلكم بخير . ورأى في الناس كثرة ، فضرب^(٣) عليهم بعث أربعة آلاف ؛ فسمي عام الأربعة الآلاف .

وفيهما استقضى إبراهيم بن هشام محمد بن صفوان الجُمحي ثم عزله ، واستقضى الصلت الكندي .

* * *

(٢) ح : « درعه » .

(١) ح : « لتسع عشرة » .

(٣) ح : « فبعث » .

[ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية وربيعية]

وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بين المضرية واليمانية وربيعية بالبروقان من أرض بلخ .

* ذكر الخبر عن سبب هذه الوقعة : ١٤٧٣/٢

وكان سبب ذلك - فيما قيل - أن مسلم بن سعيد غزا ، فقطع النهر ، وتباطأ الناس عنه ؛ وكان ممن تباطأ عنه البخترى بن درهم ، فلما أتى النهر رد نصر بن سيار وسليم بن سليمان بن عبد الله بن خازم وبلعاء بن مجاهد بن بلعاء العنبري وأبا حفص بن وائل الحنظلي وعقبة بن شهاب المازني وسالم بن ذؤابة إلى بلخ ، وعليهم جميعاً نصر بن سيار ، وأمرهم أن يخرجوا الناس إليه . فأحرق نصر باب البختري وزياد بن طريف الباهلي ، فنعهم عمرو بن مسلم من دخول بلخ - وكان عليها - وقطع مسلم بن سعيد النهر فنزل نصر البروقان ، فأناه أهل صغانيان ، وأناه مسلمة العقفاني من بني تميم ، وحسان بن خالد الأسدي ؛ كل واحد منهما في خمسمائة ، وأناه سنان الأعرابي وزرعة بن علقمة وسلمة بن أوس والحجاج بن هارون النميري في أهل بيته ، وتجمعت بكر والأزد بالبروقان ، رأسهم البخترى ، وعسكر بالبروقان على نصف فرسخ منهم ، فأرسل نصر إلى أهل بلخ : قد أخذتم أعطيائكم فالحقوا بأمركم ، فقد قطع النهر . فخرجت مضر إلى نصر ، وخرجت ربيعة والأزد إلى عمرو ابن مسلم ، وقال قوم من ربيعة : إن مسلم بن سعيد يريد أن يخلع ؛ فهو يكرهنا على الخروج . فأرسلت تغلب إلى عمرو بن مسلم : إنك منا ، وأنشدوه^(١) شعراً قاله رجل عزا باهلة إلى تغلب^(٢) - وكان بنو قتيبة من باهلة - فقالوا : إننا من تغلب ، فكرهت بكر أن يكونوا في تغلب فتكثر تغلب ، فقال رجل منهم :

زَعَمْتَ قَتِيْبَةً أَنَهَا مِنْ وَاِئِلْ نَسَبٌ بَعِيدٌ يَاقَتِيْبَةُ فَاصْعَدِي
وَذَكَرَ أَنَّ بَنِي مَعْنٍ مِنَ الْأَزْدِ يُدْعَوْنَ بِأَهْلَةٍ ، وَذَكَرَ عَنْ شَرِيكِ بْنِ

(١) ب : « وأنشدوا » . (٢) ابن الأثير : « قاله رجل من باهلة إلى تغلب » .

أبي قيلة المعنى أن عمرو بن مسلم كان يقف على مجالس بني معن، فيقول: لئن لم نكن منكم ما نحن بعرب؛ وقال عمرو بن مسلم حين عتراه التغلبي إلى بني تغلب: أما القرابة فلا أعرفها، وأما المنع فأني سأمنعكم؛ فسفر الضحاك بن مزاحم ويزيد بن المفضل الحُدَافِي، وكلما نصراً وناشداه فانصرف. فحمل أصحاب عمرو بن مسلم والبخري على نصر، ونادوا: يال بكر! وجالوا، وكرّ نصر عليهم؛ فكان أول قتل رجل من باهلة، ومع عمرو بن مسلم البخري وزباد بن طريف الباهلي، فقتل من أصحاب عمرو بن مسلم في المعركة ثمانية عشر رجلاً، وقتل كردان أخو الفُرافِصة ومُسَعَّدة ورجل من بكر بن وائل يقال له إسحاق، سوى من قتل في السكك، وانهمزم عمرو بن مسلم إلى القصر وأرسل إلى نصر: ابعث إلى بلعاء بن مجاهد، فأثاء بلعاء، فقال: خذ لي أماناً منه، فأمنه نصر، وقال: لولا أني أُشِميت بك بكر بن وائل لقتلتك.

١٤٧٥/٢

وقيل: أصابوا عمرو بن مسلم في طاحونة، فأثوا به نصراً في عنقه حبلاً، فأمنه نصر^(١)، وقال له ولزباد بن طريف والبخري بن درهم: الحقوا بأميركم.

وقيل: بل التقى نصر وعمرو بالبروقان، فقتل من بكر بن وائل واليمن ثلاثون، فقالت بكر: علام نقاتل إخواننا وأميرنا، وقد تقرّبنا إلى هذا الرجل فأنكر قرايتنا! فاعتزلوا. وقالت الأزْد، ثم انهزموا ودخلوا حصناً فحصرهم نصر، ثم أخذ عمرو بن مسلم والبخري أحد بني عبّاد وزباد بن طريف الباهلي، فضربهم نصر مائة مائة، وخلق رءوسهم ولحاهم، وألبسهم المسوح. وقيل: أخذ البخري في غيضة كان دخلها، فقال نصر في يوم البروقان:

أَرَى العَيْنَ لَجَّتْ فِي ابْتِدَارٍ وَمَا الَّذِي^(٢) يَرُدُّ عَلَيْهَا بِالدَّمْعِ ابْتِدَارُهَا!
فَمَا أَنَا بِالْوَانِي إِذَا الْحَرْبُ شَمَرَتْ تَحَرَّقُ فِي شَطْرِ الْخَمِيسِينَ نَارُهَا
وَلَكِنِّي أَدْعُو لَهَا خِنْدِفَ التِّي تَطْلُعُ بِالْعَبَاءِ الثَّقِيلِ فِقَارُهَا^(٣)

١٤٧٦/٢

(٢) ب: «فا الذي».

(١) ب: «فانصرف».

(٣) ب، ح: «فقارها».

وَمَا حَفَظْتُ بَكْرٌ هُنَالِكَ حِلْفَهَا فصار عليها عارٌ قيس وعارها
فإن تكُ بَكْرٌ بالعِراقِ تَنْزَرَتْ ففي أرضِ مَرٍو عُلَّها وأزوارها
وقد جَرَبَتْ يَوْمَ الْبَرُوقَانِ وَقَعَةً لِحَنْدِفٍ إِذْ حَانَتْ وَأَنَّ بَوَارِها
أَتْنِي لِقَيْسٍ فِي بَجِيلَةَ وَقَعَةً وقد كان قبلَ اليومِ طَالَ انتِظارها
يعنى حين أخذ يوسف بن عمر خالداً وعياله^(١) .

وذكر علي بن محمد أن الوليد بن مسلم قال : قاتل عمرو بن مسلم نصر بن
سيار فهزمه عمرو ، فقال لرجل من بني تميم كان معه : كيف ترى أستاذك قومك
يا أخا بني تميم ؟ يعيرهم بهزيمتهم ، ثم كرت تميم فهزموا أصحاب عمرو ،
فانجلى الرهج وبلعاء بن مجاهد في جمع من بني تميم يشلُّهم ، فقال التميميُّ
لعمرو : هذه أستاذك قومي . قال : وانهزم عمرو ، فقال لبلعاء لأصحابه : لا تقتلوا
الأسرى ولكن جرّوهم ، وجوبوا سراويلاتهم عن أديبارهم ، ففعلوا ، فقال بيان
العنبري يذكر حربهم بالبروقان : ١٤٧٧/٢

أَتَانِي وَرَحَلِي بِالْمَدِينَةِ وَقَعَةً لَّالِ تَمِيمٍ أَرْجَفَتْ كُلَّ مُرْجَفٍ
تَظَلُّ عِيُونُ الْبُرْشِ بِكَرٍ بنِ وَائِلٍ إِذَا ذُكِرَتْ قَتْلَى الْبَرُوقَانِ تَذْفُ
هُمْ أَاسَلَمُوا لِلْمَوْتِ عَمْرُو بنِ مُسْلِمٍ وَوَلُّوا شِلَالاً وَالْأَسْنَةُ تَرْعُفُ
وكانت من الفتیان في الحربِ عادة ولم يصبروا عندَ القنا المُتَقَصِّفِ

* * *

[خبر غزو مسلم بن سعيد الترك]

وفي هذه السنة غزا مسلم بن سعيد الترك؛ فورد عليه عزله من خراسان
من خالد بن عبد الله ، وقد قطع النهر لحربهم وولاية أسد بن عبد الله عليها .
• ذكر الخبر عن غزوة مسلم بن سعيد هذه الغزوة :

ذكر علي بن محمد عن أشياخه أن مسلماً غزا في هذه السنة ، فخطب
الناس في ميدان يزيد ، وقال : ما أُخْلِفُ بعدى شيئاً أهمّ عندى من قوم

يتخلفون بعدى مخلقي الرقاب، يتواثبون الجدران على نساء المجاهدين؛ اللهم
 افعل بهم وافعل ! وقد أمرتُ نصرًا ألاَّ يجد متخلفًا إلاَّ قتله، وما أرى لهم ١٤٧٨/٢
 من عذاب ينزله الله بهم^(١) - يعني عمرو بن مسلم وأصحابه - فلما صار
 ببخارى أتاه كتاب من خالد بن عبد الله القسري بولايته على العراق، وكتب
 إليه: أتمم غزاتك. فسار إلى فترغانة، فقال أبو الضحاك الرواحي -
 أحد بني رَوَاحَة من بني عبس، وعداده في الأزدي، وكان ينظر في الحساب:
 ليس على متخلف العام معصية، فتخلف أربعة آلاف. وسار مسلم بن
 سعيد، فلما صار بفترغانة بلغه أن خاقان قد أقبل إليه، وأتاه شُمَيْلٌ - أو
 شُبَيْلٌ - بن عبد الرحمن المازني، فقال: عاينت عسكر خاقان في موضع
 كذا وكذا، فأرسل إلى عبد الله بن أبي عبد الله الكرمانى مولى بني سليم،
 فأمره^(٢) بالاستعداد للمسير، فلما أصبح ارتحل بالعسكر، فسار ثلاث
 مراحل في يوم؛ ثم سار من غد حتى قطع وادي السبوح، فأقبل إليهم خاقان،
 وتوافت إليه الخيل؛ فأنزله عبد الله بن أبي عبد الله قومًا من العُرَّاء والموالى،
 فأغار الترك على الذين أنزلهم عبد الله ذلك الموضع فقتلوه، وأصابوا دواب مسلم
 وقتل المسيب بن بشر الرياحي، وقتل البراء - وكان من فرسان المهلب -
 وقتل أخو غوزك، وثار الناس في وجوههم، فأخرجوهم من العسكر، ودفع^(٣)
 مسلم لواءه إلى عامر بن مالك الحِمَاسِي، ورحل بالناس فساروا ثمانية أيام، وهم ١٤٧٩/٢
 مطيفون بهم؛ فلما كانت الليلة التاسعة أراد النزول، فشاور الناس فأشاروا
 عليه بالنزول، وقالوا: إذا أصبحنا وردنا الماء، والماء منا غير بعيد؛ وإنك
 إن نزلت المَرَجَ تفرق الناس في الثَّار، وانتَهَب عسكرك، فقال لسورة بن
 الحرّ: يا أبا العلاء، ما ترى؟ قال: أرى ما رأى الناس ونزلوا. قال: ولم
 يرفع بناء في العسكر، وأحرق الناس ما ثقل من الآنية والأمتعة، فحرقوا
 قيمة ألف ألف، وأصبح الناس فساروا، فوردوا الماء فإذا دون النهار أهل
 فرغانة والشَّاش، فقال مسلم بن سعيد: أعزِم على كل رجل إلاَّ اختلط
 سيفه؛ ففعلوا فصارت الدنيا كلها سيوفًا، فتركوا الماء وعبروا، فأقام يومًا،

(٢) ب: «فأمر».

(١) ح: «عليهم».

(٣) ب: «ورفع».

ثم قطع من غدٍ ، وأتبعهم ابن الخاقان . قال : فأرسل حميد بن عبد الله وهو على الساقة إلى مسلم : قف ساعة فإنّ خلفي مائتي رجل من الترك حتى أقاتلهم—وهو مثقلٌ بجراحة— فوقف الناس ، فعطف على الترك ، فأسر أهل السغد وقائدهم وقائد الترك في سبعة ، وانصرف البقية ، ومضى حميد ورؤى بنشابة في ركبته ، فأت .

١٤٨٠/٢

وعطش الناس ، وقد كان عبد الرحمن بن نعيم العامري حمل عشرين قرية على إبله ، فلما رأى جهد الناس أخرجها ، فشرّبوا جرّعاً ، واستسقى يوم العطش مسلم بن سعيد فأتوه بإناء ، فأخذه جابر—أو حارثة^(١)—بن كثير أخو سليمان بن كثير من فيه ، فقال مسلم : دعوه ، فما نازعني شربتي إلا من حرّ دَحَلَه ، فأتوا حُجَينْدَةَ ، وقد أصابتهم سحابة وجهد ، فانتشر الناس فإذا فارسان يسألان عن عبد الرحمن بن نعيم ، فأتياه بعهدده على خراسان من أسد بن عبد الله ، فأقرأه عبد الرحمن مسلماً ، فقال : سماعاً وطاعة ، قال : وكان عبد الرحمن أوّل من اتخذ الخيام في مفازة آمل .

قال : وكان أعظم الناس غنى يوم العطش إسحاق بن محمد الغداني ، فقال حاجب الفيل لثابت قُطْنَةَ ، وهو ثابت بن كعب :

نَقَضَى الْأُمُورَ وَبَكَرٌ غَيْرُ شَاهِدِهَا بَيْنَ الْمَجَازِيفِ وَالسَّكَاكِ مَشْغُولٌ
مَا يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ غَيْرَ قُطْنَتِهِ وَمَا سِوَاهَا مِنَ الْآبَاءِ مَجْهُولٌ

وكان لعبد الرحمن بن نعيم من الولد نعيم وشديد وعبد السلام وإبراهيم والمقداد ، وكان أشدهم نعيم وشديد ، فلما عُرِزَ مسلم بن سعيد ، قال الخرج التغلبي : قاتلنا الترك ، فأحاطوا بالمسلمين حتى أيقنوا بالهلاك ؛

١٤٨١/٢

فنزطت إليهم وقد اصفرّت وجوههم ، فحمل حوثرّة بن يزيد بن الحرّ بن الحنيفة بن نصر بن يزيد بن جَعَوْنَةَ على الترك في أربعة آلاف ، فقاتلهم ساعة ثم رجع ، وأقبل نصر بن سيار في ثلاثين فارساً ، فقاتلهم حتى أزالهم عن مواضعهم ، وحمل الناس عليهم ؛ فانهزم الترك .

قال : وحوثرّة هذا هو ابن أخي رَقَبَةَ بن الحرّ . قال : وكان عمر بن

(١) ح : « أو جارية » ، ابن الأثير : « وحارثة » .

هيرة قال لمسلم بن سعيد حين ولّاه خراسان : ليكن حاجبك من صالح مواليك ، فإنه لسانك والمعبر عنك ، وحُثَّ صاحب شُرطتك على الأمانة ، وعليك بعمال العذر . قال : ومسا عمال العذر ؟ قال : مُرُّ^(١) أهل كل بلد أن يختاروا لأنفسهم ، فإذا اختاروا رجلاً فولّه ، فإن كان خيراً كان لك ، وإن كان شراً كان لهم دونك ؛ وكنت معذوراً .

قال : وكان مسلم بن سعيد كتب إلى ابن هُبيرة أن يوجه إليه توبة بن أبي أسيد مولى بني العنبر ، فكتب ابن هيرة إلى عامله بالبصرة : احمل إلى توبة بن أبي أسيد ، فحملة فقدم — وكان رجلاً جميلاً جهيراً له سَمْتٌ — فلما دخل على ابن هيرة ، قال ابن هيرة : مثل هذا فليول^(٢) ، ووجه^(٣) به إلى مسلم ، فقال له مسلم : هذا خاتمي فاعمل برأيك ؛ فلم يزل معه حتى قدم أسد بن عبد الله ، فأراد توبة أن يشخص مع مسلم ، فقال له أسد : أقم معي فأنا أحوج إليك من مسلم . فأقام معه ، فأحسن إلى الناس وألان جانبه ، وأحسن إلى الجند وأعطاهم أرزاقهم ، فقال له أسد : حلفهم بالطلاق فلا^(٤) يتخلف أحد عن مغزاه ، ولا يدخل بديلاً ، فأبى ذلك توبة فلم يحلفهم بالطلاق .

قال : وكان الناس بعد توبة^(٥) يحلفون الجند بتلك الأيمان ، فلما قدم عاصم ابن عبد الله أراد أن يحلف الناس بالطلاق فأبوا ، وقالوا : نحلف بأيمان توبة . قال : فهم يعرفون ذلك ، يقولون : أيمان توبة .

[حجّ هشام بن عبد الملك]

وحجّ بالناس في هذه السنة هشام بن عبد الملك ؛ حدثني بذلك أحمد ابن ثابت عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي وغيره ، لا خلاف بينهم في ذلك .

قال الواقدي : حدثني ابن أبي الزناد ، عن أبيه ، قال : كتب إلى

(١) ابن الأثير : « تأمر » . (٢) ب : « ووجهه إلى مسلم » .

(٣) كذا في ح وفي ط : « ولا » . (٤) ح : « موته » .

هشام بن عبد الملك قبل أن يدخل المدينة أن اكتب لى سُنَن الحج ، فكتبها له ، وتلقاه أبو الزناد . قال أبو الزناد : فلانى يومئذ فى الموكب خلفه ، وقد لقيه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان ، وهشام يسير ، فنزل له ، فسلم عليه ، ثم سار إلى جنبه ، فصاح هشام : أبو الزناد ! فتقدمت ، فسرت إلى جنبه الآخر ، فأسمع سعيداً يقول : يا أمير المؤمنين ، إن الله لم يزل ينعم على أهل بيت أمير المؤمنين ، وينصر خليفته المظلوم ، ولم يزالوا يتلعون فى هذه المواطن الصالحة أبا تراب ، فأمر المؤمنين ينبغى له أن يلعب فى هذه المواطن الصالحة ؛ قال : فشقّ على هشام ، وثقل عليه كلامه ، ثم قال : ما قدمنا لشم أحد ولا للعه ، قدمنا حجّاجاً . ثم قطع كلامه وأقبل على فقال : يا عبد الله بن ذكوان ، فرغت مما كتبت إليك ؟ فقلت : نعم ، فقال أبو الزناد : وثقل على سعيد ما حضرته يتكلم به عند هشام ، فرأيت منكرأ^(١) كلما رآنى .

وفى هذه السنة كلم إبراهيم بن محمد بن طلحة هشام بن عبد الملك - وهشام واقف قد صلى فى الحِجْر - فقال له : أسألك بالله وبجرمة هذا البيت والبلد الذى خرجت معظماً لحقه ، إلا رددت على ظلامتى ! قال : أى ظلامه ؟ قال : دارى ، قال : فأين كنت عن أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : ظلمنى والله ، قال : فعن الوليد بن عبد الملك ؟ قال : ظلمنى والله ، قال : فعن سليمان ؟ قال : ظلمنى ، قال : فعن عمر بن عبد العزيز ؟ قال : يرحمه الله ، ردّها والله علىّ ، قال : فعن يزيد بن عبد الملك ؟ قال : ظلمنى والله ، هو قبضها منى بعد قبضى لها ، وهى فى يديك . قال هشام : أما والله لو كان فىك ضربٌ لضربتك ، فقال إبراهيم : فى والله ضرب بالسيف والسوط . فانصرف هشام والأبرش خلفه فقال : أبا مجاشع ، كيف سمعت هذا اللسان ؟ قال : ما أجود هذا اللسان ! قال : هذه^(٢) قریش وألسنتها ، ولا يزال فى الناس بقايا^(٣) ما رأيت مثل هذا .

(١) ابن الأثير : « وكان منكراً » .

(٢) ط : « هذا » ، وما أثبتته من ب .

(٣) ف : « الناس فى بقايا » .

وفي هذه السنة قدم خالد بن عبد الله القسريّ أميراً على العراق .

* * *

[ولاية أسد بن عبد الله القسريّ على خراسان]

وفيهما استعمل خالد أخاه أسد بن عبد الله أميراً على خراسان ، فقدمها ومسلم بن سعيد غازٍ بفرغانة ، فذكر عن أسد أنه لما أتى النهر ليقطع ، منعه الأشهب بن عبيد التيميّ أحد بني غالب ، وكان على السفن بآمل ، فقال له أسد : أقطعي ، فقال : لا سبيل إلى إقطاعك ؛ لأنني نهيت عن ذلك ، قال : لا طفوه وأطعموه^(١) ، فأبى ؛ قال : فإني الأمير ، ففعل ، فقال أسد : اعرفوا هذا حتى نَشْرُكه في أمانتنا ، فقطع النهر ، فأتى السَّغْد ، فنزل مرَّجها^(٢) ، وعلى خراج سَمَرْقَنْد هاني بن هاني ، فخرج في الناس يتلقى^(٣) أسداً ، فأَتَوْه بالمرج ، وهو جالس على حَجَّسَر ، فتفأل الناس ، فقالوا : أسد على حَجَّسَر ! ما عند هذا خير . فقال له هاني : أقدمتَ أميراً فنُفعل بك ما نفعل بالأمرء ؟ قال : نعم ، قدمتُ أميراً . ثم دعا بالغداء فتغدّى بالمرج ، وقال : مَنْ ينشط بالمسير وله أربعة عشر درهماً - ويقال : قال ثلاثة عشر درهماً - وها هي ذى في كمي ؟ وإنه ليبيكي ويقول : إنما أنا رجل مثلكم^(٤) . وركب فدخل سَمَرْقَنْد وبعث رجلين معهما عهد عبد الرحمن بن نعيم على الجند ، فقدم الرجلان ١٤٨٥/٢ على عبد الرحمن بن نعيم ، وهو في وادي أفشين^(٥) على السَّاقَة - وكانت الساقَة على أهل سَمَرْقَنْد الموالى^(٦) وأهل الكوفة - فسألا عن عبد الرحمن فقالوا : هو في الساقَة ، فأتياه بعهد وكتاب بالقسفل والإذن لهم فيه ، فقرأ الكتاب . ثم أتى به مسلماً وبعهده ، فقال مسلم : سمعاً وطاعة ، فقام عمرو ابن هلال السدوسيّ - ويقال التيميّ - فقنعه سوطين لما كان منه بالبَرْوقان إلى بكر بن وائل ، وشتمه حسين بن عثمان بن بشر بن المحتفز ، فغضب

(١) ب : « وأطعموه »

(٢) ابن الأثير : « بالمرج » .

(٣) ف : « ليلقى » .

(٤) ح : « منكم » .

(٥) ح : « أداني أفشين » .

(٦) ب : « والموالى » .

عبد الرحمن بن نعيم ، فزجرهما ثم أغلظ لهما ، وأمر بهما فدفعا ، وقفل بالناس وشخص معه مسلم .

فذكر علي بن محمد عن أصحابه ، أنهم قدموا على أسد ، وهو بسمرة قند ، فشخص أسد إلى مَرَوْ ، وعزل هائناً ، واستعمل على سمرة قند الحسن بن أبي العمرة الكندي من ولد آكل المَرَار . قال : فقد مَتَّ على الحسن امرأته الجَنُوب ابنة القعقاع بن الأعم رأس الأزد ، ويعقوب بن القعقاع قاضي خراسان ؛ فخرج يتلقاها ، وغزاهم الترك ، فقليل له : هؤلاء الترك ^(١) قد أتوك — وكانوا ^(٢) سبعة آلاف — فقال : ما أتونا بل أتيناهم وغلبناهم على بلادهم واستعبدناهم ، وإيم الله مع هذا لأديننكم منهم ، ولأقرنن ^(٣) نواصي خيلكم بنواصي خيلهم .

قال : ثم خرج فتباطأ حتى أغاروا وانصرفوا ، فقال الناس : خرج إلى امرأته يتلقاها مسرعاً ، وخرج إلى العدو متباطئاً . فبلغه فخطبهم ، فقال : تقولون وتعيبون ! اللهم أقطع آثارهم وعجل أقدارهم ، وأنزل بهم الضراء وارفع عنهم السراء ! فشتمه الناس في أنفسهم .

وكان خليفته حين خرج إلى الترك ثابت قُطْنَة ، فخطب الناس فحصر فقال : من يطع الله ورسوله فقد ضلّ ، وأرنج عليه ، فلم ينطق بكلمة ، فلما نزل عن المنبر قال :

إِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيباً فَأِنِّى بِسِنِّى إِذَا جَدَّ الْوَغَى لَخَطِيبٍ ^(٤)
فقليل له : لو قلت هذا على المنبر ، لكنت خطيباً ، فقال حاجب الفيل الشكرى يعبره حصّره :

أَبَا الْعَلَاءِ لَقَدْ لَاقَيْتَ مُعْضِلَةً يَوْمَ الْعُرُوبَةِ مِنْ كَرْبٍ وَخُنِيقٍ
تَلَوَّى اللِّسَانَ إِذَا رُمَتْ الْكَلَامَ بِهِ كَمَا هَوَى زَلَقٌ مِنْ شَاهِقِ النَّيْقِ

(١) ب : « الأتراك » . (٢) ح : « وهم » .

(٣) ابن الأثير : « ولأقرنن » .

(٤) أورد الجاحظ الشعر في البيان والتبيين ١ : ٢٣١ ، وروايته :

فَالَا أَيْكُنْ فِيهِمْ خَطِيباً فَأِنِّى بِسُمْرِ الْقَنَا وَالسَّيْفِ جَدُّ خَطِيبٍ

لَمَّا رَمَتْكَ عُيُونُ النَّاسِ ضَاحِيَةً أَنْشَأْتَ تَجَرُّضُ لَمَّا قَمْتَ بِالرِّيقِ ١٤٨٧/٢
 أَمَّا الْقِرَانُ فَلَا تُهْدَى لِمُحْكَمَةٍ مِنَ الْقِرَانِ وَلَا تُهْدَى لِتَوْفِيقٍ
 وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ وَلَدَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ عَلِيٍّ فِي رَجَبٍ .

• • •

وَكَانَ الْعَامِلُ عَلَى الْمَدِينَةِ وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ
 الْخَزَوِيِّ . وَعَلَى الْعِرَاقِ وَخُرَاسَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ ، وَعَامِلُ خَالِدٍ عَلَى
 صَلَاةِ الْبَصْرَةِ عَقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، وَعَلَى شَرْطِهَا مَالِكُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ ،
 وَعَلَى قَضَائِهَا ثَمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ ، وَعَلَى خُرَاسَانَ أُسَيْدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ .

ثم دخلت سنة سبع ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من خروج عباد الرُّعَيْنِيّ باليمن محكَّمًا ، فقتله يوسف ابن عمر ، وقتل معه أصحابه كلهم وكانوا ثلثمائة .

وفيهما غزا الصّائفة معاوية بن هشام ، وعلى جيش الشّام ميمون بن مهران ، فقطع البحر حتى عبر إلى قُبْرُس ، وخرج معهم البعث الذي هشام كان أمر به في حجته سنة ست ، فقدموا في سنة سبع على الجعائل ^(١) ، غزا منهم نصفهم ^(٢) ١٤٨٨/٢ وقام النصف . وغزا البر ^(٣) مسلمة بن عبد الملك .

وفيهما وقع بالشّام طاعون شديد .

وفيهما وجّه بكير بن ماهان أبا عكرمة وأبا محمد الصّادق ومحمد بن خنيس وعمار العبادي في عيّدة من شيعتهم ، معهم زياد خال الوليد الأزرق دعاة إلى خراسان ، فجاء رجل من كتادة إلى أسد بن عبد الله ، فوشى بهم إليه ، فأقن بأبي عكرمة ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه ، ونجا عمار ، فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وأرجلهم ، وصلبهم . فأقبل عمار إلى بكير بن ماهان ، فأخبره الخبر ، فكتب به إلى محمد بن عليّ ، فأجابه : الحمد لله الذي صدّق مقاتلكم ودعوتكم ، وقد بقيت منكم قتلى ستقتل .

وفي هذه السنة حمل مسلم بن سعيد إلى خالد بن عبد الله ، وكان أسد ابن عبد الله له مكرّمًا بخراسان لم يعرض له ولم يحبس ، فقدم مسلم وابن هبيرة يُجمع على الحرب ، فنهاه عن ذلك مسلم ، وقال له : إن القوم فينا أحسن رأياً منكم فيهم .

١٤٨٩/٢ وفي هذه السنة غزا أسد جبال نَمْرُون ملك الغرّشستان مما يلي جبال الطالقان ، فصالحه نَمْرُون وأسلم على يديه ، فهم اليوم يتولون اليمن .

• • •

[غَزَوْا الْغُورَ]

وفيهما غزا أسد الغُور وهي جبال هَرّاة .

(١) ب : « الجبال » . (٢) ح : « النصف » . (٣) ابن الأثير : « في البر » .

• ذكر الخبر عن غزوة أسد هذه الغزوة :

ذكر عليّ بن محمد عن أشياخه ، أن أسداً غزا الغُور ، فعمد أهلها إلى أنقالم فصيّروها في كهف ليس إليه طريق ، فأمر أسد باتخاذ توابيت ووضع فيها الرجال ، ودلّاها بالسلاسل ، فاستخرجوا ما قدروا عليه ، فقال ثابت قُطْنَة :

أَرَى أَسْداً تَضْمَنَ مُفْطَعَاتٍ تَهَيَّبَهَا الْمَلُوكُ ذَوُو الْحِجَابِ
سَمَا بِالْخَيْلِ فِي أَكْنَافٍ مَرَوْ وَتَوَفَّرُ هُنَّ بَيْنَ هَلَا وَهَابِ
إِلَى غُورَيْنِ حَيْثُ حَوَى أَزَبٌ وَصَلْتُ بِالسُّيُوفِ وَبِالْحِرَابِ
هَدَانَا اللَّهُ بِالْقَتْلِ تَرَاهَا مُصَلَّبَةً بِأَفْوَاهِ الشُّعَابِ
مَلَا حِجْمٌ لَمْ تَدْعُ لِسِرَاةٍ كَلْبٍ مُهَاتِرَةً وَلَا لِبْنَى كِلَابِ
فَأَوْرَدَهَا النَّهَابَ وَأَبَ مِنْهَا بِأَفْضَلِ مَا يَصَابُ مِنَ النَّهَابِ
وَكَانَ إِذَا أَنَاخَ بِدَارِ قَوْمٍ أَرَاهَا الْمُخْزِيَاتِ مِنَ الْعَذَابِ
أَلَمْ يُزِرِ الْجِبَالَ جِبَالٌ مُلِعَ تَرَى مِنْ دُونِهَا قِطْعَ السَّحَابِ
بَارَّعَنَ لَمْ يَدْعَ لَهُمْ شَرِيداً وَعَاقَبَهَا الْمُمِصُّ مِنَ الْعِقَابِ
وملّع من جبال خوط فيها تعمل الحزُم الملعبة .

١٤٩٠/٢

* * *

وفي هذه السنة نقل أسد من كان بالبرُوقان من الجند إلى بلُخ ، فأقطع كل من كان له بالبرُوقان مسكناً مسكناً بقدر مسكنه ، ومن لم يكن له مسكن أقطعه مسكناً ، وأراد أن ينزلهم على الأخماس ، فقبل له : إنهم يتعصبون ، فخلط بينهم ، وكان قسم لعمارة مدينة بلُخ الفعّلة على كل كورة على قدر خراجها ، وولّى بناء مدينة بلُخ برمك أبا خالد بن برمك ، — وكان البرُوقان منزل الأمراء وبين البرُوقان وبين بلُخ فرسخان وبين المدينة والنوبهار قدر غَدَوَتَيْنِ — فقال أبو البريد في بنيان أسد مدينة بلُخ :

شَعَفْتُ فَوَادِكَ فَالْهَوَى لَكَ شَاعِفٌ رِثْمٌ عَلَى طِفْلِ بِحَوْمَلٍ عَاطِفٌ

تَرَعَى الْبَرِيرَ بِجَانِبِي مُتَهَدِّلٍ رَيَّانَ لَا يَعْشُو إِلَيْهِ آلِفُ
 بِمَحَاضِرٍ مِنْ مُنْحَنَى عَظَفَتْ لَهُ بَقَرُ تَرْجَحُ زَانَهُنَّ رَوَافِ
 إِنَّ الْمُبَارَكَةَ الَّتِي أَحْصَنْتَهَا عَصِمَ الدَّلِيلُ بِهَا وَقَرَّ الْخَائِفُ
 ١٤٩١/٢ فَأَرَاكَ فِيهَا مَا رَأَى مِنْ صَالِحٍ فَتَحًا وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ رَوَاعِفُ
 فَمَضَى لَكَ الْإِسْمُ الَّذِي يَرْضَى بِهِ عَنْكَ الْبَصِيرُ بِمَا نَوَيْتَ اللَّاطِفُ
 يَا خَيْرَ مَلِكٍ سَاسَ أَمْرَ رَعِيَّةٍ إِنِّي عَلَى صِدْقِ الْيَمِينِ لِحَالِفُ
 اللَّهُ آمَنَهَا بِصُنْعِكَ بَعْدَمَا كَانَتْ قُلُوبٌ خَوْفَهُنَّ رَوَاجِفُ

• • •

وَحَجَّ بِالنَّاسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ إِبْرَاهِيمُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي بِذَلِكَ أَحْمَدُ بْنُ ثَابِتٍ،
 عَنْ ذِكْرِهِ، عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عِيسَى، عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ. وَكَذَلِكَ قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَهْشَامُ
 وَغَيْرُهُمَا .

وَكَانَتْ عَمَالُ الْأَمْصَارِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ عَمَالَهَا الَّذِينَ ذَكَرْنَاهُمْ قَبْلَ فِي سَنَةِ
 مِائَةِ وَثَمَانِ .

ثم دخلت سنة ثمان ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

ففيها كانت غزوة مسلمة بن عبد الملك حتى بلغ قيسارية، مدينة الروم مما يلي الجزيرة، ففتحها الله على يديه.

وفيهما أيضاً غزا إبراهيم بن هشام ففتح أيضاً حصناً من حصون الروم. وفيها وجهه بكير بن ماهان إلى خراسان عدة؛ فيهم عمار العبادي؛ ١٤٩٢/٢ فوشى بهم رجل إلى أسد بن عبد الله، فأخذ عماراً فقطع يديه ورجليه ونجا أصحابه، فقدموا على بكير بن ماهان فأخبروه الخبر، فكتب بذلك إلى محمد بن علي، فكتب إليه في جواب الكتاب: الحمد لله الذي صدق دعوتكم ونجى شيعتكم.

وفيهما كان الحريق بدابق؛ فذكر محمد بن عمر أن عبد الله بن نافع حدثه عن أبيه، قال: احترق المرعي حتى احترق الدواب والرجال.

[غزو الختل]

وفيهما غزا أسد بن عبد الله الختل؛ فذكر عن علي بن محمد أن خاقان أتى أسداً وقد انصرف إلى القواديان، وقطع النهر، ولم يكن بينهم قتال في تلك الغزاة. وذكر عن أبي عبيدة، أنه قال: بل هزموا أسداً وفضحوه؛ فتغنى عليه الصبيان:

أَزْ خُتْلَانَ آمَنِي بِرُو تَبَاهِ آمَنِي^(١)

قال: وكان السبل محارباً له، فاستجلب خاقان، وكان أسد قد أظهر أنه يشكو بسرخ دره، فأمر أسد الناس فارتحلوا، ووجه راياته، وسار في ليلة ١٤٩٣/٢ مظلمة إلى سرخ دره، فكبر الناس، فقال أسد: ما للناس؟ قالوا:

(١) شعر فارسي معناه: «لقد قدم من بلاد الختل عليه الخزي والعار».

هذه علامتهم إذا قفلوا ، فقال لعروة المنادى : نادِ إنَّ الأمير يريد غورين ؛ ومضى وأقبل خاقان حين انصرفوا إلى غورين النهر فقطع النهر ، فلم يلتق هو ولا هم ، ورجع إلى بلخ ، فقال الشاعر في ذلك يمدح أسد بن عبد الله :

ندبتُ لى من كل خمس ألفين^(١) من كل لحاف عريض الدفين

قال : ومضى المسلمون إلى الغوريان فقاتلوهم يوماً ، وصبروا لهم ، وبرز رجل من المشركين ، فوقف أمام أصحابه وركز رمحه ، وقد أعلم بعصاة خضراء - وسلم بن أحوز واقف مع نصر بن سيار - فقال سلم لنصر : قد عرفت رأى أسد ، وأنا حامل على هذا العليج ؛ فلعلى أن أقتله فيرضى . فقال : شأنك ، فحمل عليه ، فما اختلج رمحه حتى غشيه سلم فطعنه ، فإذا هو بين يدي فرسه ، ففحص برجله ، فرجع سلم فوقف ، فقال لنصر : أنا حامل حملة أخرى ؛ فحمل حتى إذا دنا منهم اعترضه رجل من العدو ، فاختلفا ضربتين ، فقتله سلم ، فرجع سلم جريحاً ، فقال نصر لسلم : قف لي حتى أحمل عليهم ، فحمل حتى خالط العدو ، فصرع رجلين ورجع جريحاً ، فوقف فقال : أترى ما صنعنا يرضيه ؟ لا أرضاه الله ! فقال : لا والله فيما أظن . وأتاهما رسول أسد فقال : يقول لكما^(٢) الأمير : قد رأيت موقفكما منذ اليوم وقلة غنائكما عن المسلمين ، لعنكما الله ! فقالا : آمين إن عدنا لمثل هذا . وتحاجزا يومئذ ، ثم عادوا من الغد فلم يلبث المشركون أن انهزموا ، وحوى المسلمون عسكرهم ، وظهروا على البلاد فأسروا وسبوا وغنموا ، وقال بعضهم رجع أسد في سنة ثمان ومائة مفلولا من الختل ، فقال أهل خراسان :

أز ختلان آمذى بـرو تباه آمذى بيـدل فراز آمذى^(٣)

قال : وكان أصاب الجند في غزاة الختل جوع شديد ، فبعث أسد

(١) كذا في ح ، وفي ط : « ندبت » ، وفي ب : « بدبت » .

(٢) ب : « لكم » .

(٣) مثل سابقه وزاد عليه ما معناه : « رجع مكسور الخاطر » .

بكيشين مع غلام له ، وقال : لا تبعهما بأقل من خمسمائة ، فلما مضى الغلام ، قال أسد : لا يشتريهما إلا ابن الشَّخِير ، وكان في المسلحة ، فدخل ابن الشَّخِير حين أمسى ، فوجد الشاتين في السوق ، فاشتراهما بخمسمائة ، فذبح إحداهما وبعث بالأخرى إلى بعض إخوانه ، فلما رجع الغلام إلى أسد أخبره بالقصة ، فبعث إليه أسد بألف درهم .

قال : وابن الشَّخِير هو عثمان بن عبد الله بن الشَّخِير ، أخو مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير الحرشي .

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام وهو على المدينة ومكة والطائف . حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن ١٤٩٥/٢ أبي معشر ، وكذلك قال محمد بن عمر الواقدي .

وكان العمال في هذه السنة على الأمصار في الصلاة والحروب والقضاء هم العمال الذين كانوا في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم قبل .

ثم دخلت سنة تسع ومائة ذكر الأحداث التي كانت فيها

فمما كان فيها من ذلك غزوة عبد الله بن عقبة بن نافع الفهري على جيش في البَحْرَ وغزوة معاوية بن هشام أرض الروم ، ففتح حصناً بها يقال له طيبة ، وأصيب معه قوم من أهل أنطاكية

* * *

[خبر مقتل عمر بن يزيد الأسدي]

وفيها قتل عمر بن يزيد الأسدي ؛ قتله مالك بن المنذر بن الحارود .
* ذكر الخبر عن ذلك :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن خالد بن عبد الله شهد عمر بن يزيد أيام حرب يزيد بن المهلب ، فأعجب به يزيد بن عبد الملك ، وقال : هذا رجل العراق ، فغاض ذلك خالداً ، فأمر مالك بن المنذر وهو على شرطة البصرة أن يعظم عمر بن يزيد ، ولا يعصى له أمراً حتى يعرفه الناس ، ثم أقبل يعتل عليه حتى يقتله ، ففعل ذلك ، فذكر يوماً عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ، فافترى عليه مالك ، فقال له عمر بن يزيد : تفتري على مثل عبد الأعلى ! فأغاض له مالك ، فضربه بالسياط حتى قتله .

* * *

[غزو غورين]

وفيها غزا أسد بن عبد الله غورين ، وقال ثابت قُطْنَةُ :

أَرَى أَسَدًا فِي الْحَرْبِ إِذْ نَزَلَتْ بِهِ وَقَارَعَ أَهْلَ الْحَرْبِ فَازَ وَأَوْجَبَا
تَنَاوَلَ أَرْضَ السَّبَلِ ، خَاقَانُ رِدْوَه فَحَرَّقَ مَا اسْتَعَصَى عَلَيْهِ وَخَرَبَا
أَتَتْكَ وَفُودُ التَّرْكِ مَا بَيْنَ كَابِلِ وَغُورِينَ إِذْ لَمْ يَهْرُبُوا مِنْكَ مَهْرَبَا
فَمَا يَغْمُرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ لَيْثٍ غَابَةٍ أَبِي ضَارِيَاتٍ حَرَّشُوهُ فَعَقَبَا

أَزَبَّ كَأَنَّ الْوَرَسَ فَوْقَ ذِرَاعِهِ كَرِيهَ الْمُحْيَا قَدْ أَسَنَّ وَجَرًا
أَلَمْ يَكُ فِي الْحِصْنِ الْمُبَارَكِ عَصْمَةٌ لِحِجْنِكَ إِذْ هَابَ الْجَبَانُ وَأَرْهَبَا !
بَنَى لَكَ عَبْدُ اللَّهِ حِصْنًا وَرِثْتَهُ قَدِيمًا إِذَا عُدَّ الْقَدِيمُ وَأُنْجَبَا ١٤٩٧/٢

• • •

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن خراسان
وصرف أخاه أسدًا عنها .

• ذكر الخبر عن عزل هشام خالدًا وأخاه عن خراسان :
وكان سبب ذلك أن أسدًا أخا خالد تعصب حتى أفسد الناس ، فقال
أبو البريد فيذكر علي بن محمد لبعض الأزد : أدخلني على ابن عمك عبد الرحمن
ابن صبح ، وأوصيه بي ، وأخبره عني ، فأدخله عليه - وهو عامل لأسد
على بلخ - فقال : أصلح الله الأمير ! هذا أبو البريد البكري أخونا وناصرنا ،
وهو شاعر أهل المشرق ، وهو الذي يقول :

إِنْ تَنْقُضِ الْأَزْدُ حِلْفًا كَانَ أَكْذَاهُ فِي سَالَفِ الدَّهْرِ عَبَادٌ وَمَسْعُودٌ
وَمَا لَكَ وَسُودٌ أَكْذَاهُ مَعًا لَمَّا تُجَرَّدُ فِيهَا أَىَّ تَجْرِيدٍ
حَتَّى تَنَادَوْا أَتَاكَ اللَّهُ ضَاحِيَةً وَفِي الْجُلُودِ مِنَ الْإِيْقَاعِ تَقْصِيدٌ
قَالَ : فاجذب أبو البريد يده ، وقال : لعنك الله من شفيح كذب !
أصلحك الله ! ولكنى الذى أقول :

١٤٩٨/٢

الْأَزْدُ إِخْوَتُنَا وَهُمْ حُلَفَاؤُنَا مَا بَيْنَنَا نَكْتُ وَلَا تَبْدِيلُ
قَالَ : صدقت ، وضحك . وأبو البريد من بنى علباء بن شيان بن ذهل
ابن ثعلبة .

قال : وتعصب على نصر بن سيار ونفر معه من مضر ، فضر بهم
بالبساط ، وخطب في يوم الجمعة فقال في خطبته : قبح الله هذه الوجوه ! وجوه
أهل الشقاق والنفاق ، والشغب والفساد . اللهم فرق بينى وبينهم ، وأخرجنى
إلى مهاجرى ووطنى ، وقل من يروم ما قبلى أو يترمرم ، وأمير المؤمنين
خالى ، وخالد بن عبد الله أخى ، ومعى اثنا عشر ألف سيف يمان .

ثم نزل عن منبره، فلما صلى ودخل عليه الناس، وأخذوا مجالسهم، أخرج كتاباً من تحت فراشه، فقرأه على الناس، فيه ذكر نصّر بن سيار وعبد الرحمن بن نعيم الغامديّ وسورة بن الحرّ الأبانّي - أبان بن دارم - والبختريّ بن أبي درهم من بني الحارث بن عبّاد، فدعاهم فأنبهم، فأزيم القوم، فلم يتكلم منهم أحد، فتكلم سورة، فذكر حاله وطاعته ومناصحته، وأنه ليس ينبغي له أن يقبل قول عدو مبطل، وأن يجمع بينهم وبين من قرّفهم^(١) بالباطل. فلم يقبل قوله، وأمر بهم فجزّوا، فضرب عبد الرحمن بن نعيم، فإذا رجل عظيم البطن، أرسح^(٢)؛ فلما ضرب التوى، وجعل سراويله يزل^(٣) عن موضعه، فقام رجل من^(٤) أهل بيته، فأخذ رداءه هروّياً، وقام مادّاً ثوبه بيده، وهو ينظر إلى أسد، يريد أن يأذن له فيؤزّره. فأومى إليه أن افعّل، فدنا منه فأزّره - ويقال بل أزّره أبو نميلة - وقال له: انتزراً بأباه زهير، فإن الأمير وال مؤدّب. ويقال: بل ضربهم في نواحي مجلسه.

فلما فرغ قال: أين تيس بن حيمان؟ - وهو يريد ضربه؛ وقد كان ضربه قبل - فقال: هذا تيس بن حيمان؛ وهو قريب العهد بعقوبة الأمير، وهو عامر بن مالك بن مسلمة بن يزيد بن حجر بن خيسق بن حيمان بن كعب بن سعد. وقيل إنه خلفهم بعد الضرب، ودفعهم إلى عبد ربه بن أبي صالح مولى بنى سليم - وكان من الحرس - وعيسى بن أبي بريق، ووجههم إلى خالد، وكتب إليه: إنهم أرادوا الوثوب عليه؛ فكان ابن أبي بريق كلما نبت شعر أحدهم حلقه، وكان البختريّ بن أبي درهم، يقول: لوددت أنه ضربني وهذا شهراً - يعنى نصر بن سيار لما كان بينهما^(٥) بالبروقان - فأرسل بنو تميم إلى نصّر: إن شئتم انتزعناكم من أيديهم، فكفّهم نصر، فلما قدم بهم على خالد لام أسداً وعنفه، وقال: ألا بعثت برعوسهم! فقال عرفجة التميمي:

فَكَيْفَ وَأَنْصَارُ الْخَلِيفَةِ كُلَّهُمْ عُنَاةٌ وَأَعْدَاءُ الْخَلِيفَةِ تُطْلَقُ!

(٢) الرشح: قلة لحم العجز والفخذين.

(٤) ح، ف: «من بعض أهل بيته».

(١) ح، ف: «فرقيم».

(٣) ب: «ينزل».

(٥) ح، ف: «بينهم».

بَكَيْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ دُمُوعِي وَحَقُّ لِي وَنَصْرُ شُهَابِ الْحَرْبِ فِي الْغَلِّ مَوْثُقٌ
وقال نصر :

بَعَثْتُ بِالْعِتَابِ فِي غَيْرِ ذَنْبٍ فِي كِتَابٍ تَلَوْتُ أَمْ تَمِيمٌ
إِنْ أَكُنْ مَوْثِقًا أَسِيرًا لَدَيْهِمْ فِي هُمُومٍ وَكُرْبَةٍ وَسُهُومٍ
رَهْنٌ قَسِيرٌ فَمَا وَجَدْتَ بَلَاءً كَأَسَارِ الْكِرَامِ عِنْدَ اللَّثِيمِ
أَبْلَغِ الْمُدْعِينَ قَسْرًا وَقَسْرُ أَهْلِ عَوْدِ الْقِنَا ذَاتِ الْوُصُومِ
هَلْ فَطِمْتُكُمْ عَنِ الْخِيَانَةِ وَالْغَدْرِ رَأْمٌ أَنْتُمْ كَالْحَاكِرِ الْمُسْتَدِيمِ؟
وقال الفرزدق :

أَخَالِدُ لَوْلَا اللَّهُ لَمْ تَعْطَ طَاعَةً وَلَوْلَا بَنُو مِرْوَانَ لَمْ تَوْثِقُوا نَصْرًا
إِذَا لِلْقَيْمِ دُونَ شَدِّ وَثَاقِهِ بَنِي الْحَرْبِ لَا كُشِفَ اللَّقَاءُ وَلَا ضَجْرًا
وخطب أسد بن عبد الله على منبر بلخ ، فقال في خطبته : يَا أَهْلَ
بَلْخَ ، لَقَبْتُمُونِي الزَّاعِ وَاللَّهِ لَا زَيْغَ قُلُوبِكُمْ .

فلما تعصب أسد وأفسد الناس بالعصبية ، كتب هشام إلى خالد بن
عبد الله : اعزل أخاك ، فعزله فاستأذن له في الحج ، فقفل أسد إلى العراق
ومعه دهاقين خراسان ، في شهر رمضان سنة تسع ومائة ، واستخلف أسد على
خراسان الحكم بن عوانة الكلبي ، فأقام الحكم صيفيَّة ، فلم يغز .

[ذكر الخبر عن دعاة بني العباس]

وذكر علي بن محمد أن أول من قدم خراسان من دعاة بني العباس زياد
أبو محمد مولى هَمْدَانَ في ولاية أسد بن عبد الله الأولى ، بعثه محمد بن علي
ابن عبد الله بن العباس ، وقال له : ادع الناس إلينا وانزل في اليمن ، والطف
بمُضَرٍّ^(١) . ونهاه عن رجل من أبرشهر^(٢) ، يقال له غالب ؛ لأنه كان مفرطاً
في حبِّ بني فاطمة .

(١) ابن الأثير : « مضر » .

(٢) ابن الأثير : « نيسابور » .

ويقال : أول من جاء أهل خراسان بكتاب محمد بن عليّ حرّ بن عثمان ، مولى بني قيس بن ثعلبة من أهل بلسخ .

قال : فلما قدّم زياد أبو محمد ، ودعا إلى بني العباس ، ذكر سيرة بني مروان وظلمهم ، وجعل يُطعم الناس الطعام ، فقدم عليه غالب من أبرشهر ؛ فكانت بينهم منازعة ؛ غالب يفضل آل أبي طالب وزياد يفضل بني العباس . ففارقه غالب ، وأقام زياد بمرو شتوة ، وكان يختلف إليه من أهل مرو يحيى بن عقيل الخزاعي وإبراهيم بن الخطاب العدوي .

قال : وكان ينزل برّزن سويد الكاتب في دور آل الرقاد ، وكان على خراج مرو الحسن بن شيخ ، فبلغه أمره ، فأخبر به أسد بن عبد الله ، فدعا به ^(١) . وكان معه رجل يكنى أبا موسى فلما نظر إليه أسد ، قال له : أعرفك ؟ قال : نعم ، قال له أسد : رأيتك في حانوت بدمشق ، قال : نعم ، قال لزياد : فما هذا الذي بلغني عنك ؟ قال : رُفِعَ إليك الباطل ، إنما قدمت خراسان في تجارة ، وقد فرقت مالي على الناس ، فإذا صارَ إلى خرجت . قال له أسد : اخرج عن بلادى ، فانصرف ، فعاد إلى أمره ^(٢) ، فعاد الحسن أسداً ، وعظّم عليه أمره ، فأرسل إليه ، فلما نظر إليه ، قال : ألم أنهك عن المقام بخراسان ! قال : ^(٣) ليس عليك أيها الأمير منى بأس ، فأحفظه وأمر بقتلهم ، فقال له أبو موسى : فاقض ^(٤) ما أنست قاض . فازداد غضبا ، وقال له : أنزلتني منزلة فرعون ! فقال له : ما أنزلتُك ولكن الله أنزلك . فقتلوا ، وكانوا عشرة من أهل بيت الكوفة ، فلم ينجُ منهم يومئذ إلا غلامان استصغرها ، وأمر بالباقيين فقتلوا بكشان شاه .

وقال قوم : أمر أسد بزياد أن يحطّ وسطه ، فشدّ بين اثنين ، فضرب فنبأ السيف عنه ، فكبر أهل السوق ، فقال أسد : ما هذا ؟ ف قيل له ، لم يحكك السيف فيه ، فأعطى أبا يعقوب سيفاً ، فخرج في سراويل ، والناس قد اجتمعوا عليه ، فضربه ، فنبأ السيف ، فضربه ضربة أخرى ، فقطعه باثنتين .

(١) ابن الأثير : « فدعا » . (٢) ح : « مرو » .

(٣) ح ، ف : « فقال له زياد » . (٤) ب ، ف : « اقص » .

وقال آخرون: عرض عليهم البراءة، فمن تبرأ منهم مما^(١) رفع عليه خلتي سبيله، فأبى البراءة ثمانية منهم، وتبرأ اثنان.

١٥٠٣/٢

فلما كان الغد أقبل أحدهما وأسد في مجلسه المشرف على السوق بالمدينة^(٢) العتيقة، فقال: أليس هذا أسيرنا بالأمس! فأتاه، فقال له: أسألك أن تلحقني بأصحابي، فأشرفوا به على السوق، وهو يقول: رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً^(٣)؛ فدعا أسد بسيف يُخارخذه، فضرب عنقه بيده قبل الأضحى بأربعة أيام، ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيراً، فنزل على أبي النجم، فكان يأتيه الذين لقوا زياداً فيحدثهم ويدعوه، فكان على ذلك سنة أو سنتين، وكان كثير أمياً، فقدم عليه خدّاش، وهو في قرية تدعى مرعم، فغلب كثيراً على أمره. ويقال: كان اسمه عمار فسُمّي خدّاشاً، لأنه خدّش الدين.

وكان أسد استعمل عيسى بن شداد البرجُمي لأمّته الأولى في وجه وجهه على ثابت قطنة، فغضب، فهجا أسداً، فقال:

أَرَى كُلَّ قَوْمٍ يَعْرِفُونَ أَبَاهُمْ وَأَبُو بَجِيلَةَ بَيْنَهُمْ يَتَذَنَّبُ
إِنِّي وَجَدْتُ أَبِي أَبَاكَ فَلَا تَكُنْ إِلْبَا عَلَى مَعَ الْعَدُوِّ تُجَلِّبُ
أَرَى بِسَهْمِي مِنْ رِمَاكَ بِسَهْمِهِ وَعَدُوٌّ مِنْ عَادِيَتَ غَيْرُ مَكْذِبِ
أَسَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ جَلَّلَ عَفْوُهُ أَهْلَ الذُّنُوبِ فَكَيْفَ مِنْ لَمْ يُذْنِبِ!
أَجْعَلَنِي لِلْبُرْجُمِيِّ حَقِييَّةً وَالْبُرْجُمِيُّ هُوَ اللَّثِيمُ الْمُخَقَّبُ
عَبْدٌ إِذَا اسْتَبَقَ الْكِرَامُ رَأْيَتُهُ يَأْتِي سُكِينًا حَامِلًا فِي الْمَوَكِبِ
إِنِّي أَعُوذُ بِقَبْرِ كُرْزٍ أَنْ أَرَى تَبَعًا لِعَبْدٍ مِنْ تَمِيمٍ مُخَقَّبِ

١٥٠٤/٢

* * *

[ولاية أشرس بن عبد الله على خراسان]

وفي هذه السنة استعمل هشام بن عبد الملك على خراسان أشرس.

(٢) ح، ف: «في المدينة».

(١) ح: «من».

(٣) ف: «إماما».

ابن عبد الله السُّلَمي، فذكر علي بن محمد، عن أبي الذَّيَّال العدويّ ومحمد بن حمزة، عن طرخان ومحمد بن الصلت الثَّقَفِيّ أن هشام بن عبد الملك عزل أسد ابن عبد الله عن خراسان، واستعمل أشرس بن عبد الله السُّلَمي عليها، وأمره أن يكتب خالد بن عبد الله القسريّ - وكان أشرس فاضلاً خيراً، وكانوا يسمونه الكامل لفضله عندهم - فصار إلى خراسان، فلما قدمها فرحوا بقدمه، فاستعمل على شرطته عميرة أبا أمية اليشكريّ ثم عزله وولّى السَّمط، واستقضى على مروّ أبا المبارك الكنديّ، فلم يكن له عِلْم بالقضاء، فاستشار مقاتل بن حَيَّان، فأشار عليه مقاتل بمحمد بن زيد فاستقضاه، فلم يزل قاضياً حتى عزل أشرس.

وكان أول من اتخذ الرابطة بخراسان واستعمل على الرابطة عبد الملك بن دثار الباهليّ، وتولى أشرس صغير الأمور وكبيرها بنفسه.

قال: وكان أشرس لما قدم خراسان كَبَّر الناس فرحاً به، فقال رجل:

لَقَدْ سَمِعَ الرَّحْمَنُ تَكْبِيرَ أُمَّةٍ غَدَاةً أَتَاهَا مِنْ سَلِيمٍ إِمَامُهَا
إِمَامٌ هُدَى قَوَى لَهُمْ أَمْرَهُمْ بِهِ وَكَانَتْ عَجَافاً مَا تُبِخُ عَظَامُهَا^(١)

وركب^(٢) حين قدم حماراً، فقال له حَيَّان النبطي: أيها الأمير، إن كنت تريد أن تكون والي خراسان فاركب الخيل، وشدّ حزام فرسك، وألزم السوط خاصرته حتى تقدم النار، وإلاّ فارجع. قال: أرجع إذن،^(٣) ولا أقترح النار يا حَيَّان. ثم أقام وركب الخيل.

قال عليّ: وقال يحيى بن حُضَيْن: رأيتُ في المنام قبل قدوم أشرس قائلاً يقول: أتاكم الوعرُ الصّدر، الضّعيفُ الناهضة، المشثوم الطائر، فانتبهت فزغاً ورأيت في الليلة الثانية: أتاكم الوعرُ الصدر، الضّعيف الناهضة، المشثوم الطائر، الخائن قومه؛ جفر، ثم قال:

لَقَدْ ضَاعَ جَيْشُ كَانَ جَعَرَ أَمِيرَهُمْ فَهَلْ مِنْ تَلَافٍ قَبْلَ دَوْسِ الْقَبَائِلِ!

(١) ب: «تمج»، ح: ف: «تصح».

(٢) ح: ف: «فركب».

(٣) ح: ف: «إذا أرجع».

فإن صُرِفَتْ عَنْهُمْ بِهِ فَلَعَلَّهُ وَإِلَّا يَكُونُوا مِنْ أَحَادِيثِ قَائِلٍ
وكان أشرس يلقب جَعْفَرًا بخراسان .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام ، كذلك حدثني أحمد بن
ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال
الواقدي وغيره .

وقال الواقدي : خطب الناس إبراهيم بن هشام بمنى في هذه السنة الغد
١٥٠٦/٢ من يوم النحر بعد الظهر . فقال سلوني ، فأنا ابن الوحيد ، لا تسألون أحداً
أعلم مني . فقام إليه رجل من أهل العراق فسأله عن الأضحية ؛ أواجبة^(١)
هي أم لا ؟ فما درى أى شيء يقول له ! فنزل .

* * *

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام ،
وعلى البصرة والكوفة خالد بن عبد الله ، وعلى الصلاة بالبصرة أبان بن ضبارة
اليزني ، وعلى شُرطتها بلال بن أبي بُردة ، وعلى قضائها ثمامة بن عبد الله
الأنصاري ؛ من قِبَل خالد بن عبد الله ، وعلى خُراسان أشرس بن عبد الله .

ثم دخلت سنة عشر ومائة ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة مسلمة بن عبد الملك التّرك؛ سار إليهم نحو باب اللّان حتّى لقي خاقان في جموعه، فاقتتلوا قريباً من شهر، وأصابهم مطر شديد، فهزم الله خاقان، فانصرف، فرجع مسلمة فسلّك على مسجد ذى القرنين.

وفيهما غزا - فيما ذكر - معاوية بن هشام أرض الروم، ففتح صمّاله^(١). وفيها غزا الصائفة عبد الله بن عقبة الفهري. وكان على جيش البحر - فيما ذكر الواقدي - عبد الرحمن بن معاوية بن حديج.

١٥٠٧/٢

وفي هذه السنة دعا الأشرس أهل الذّمة من أهل سمرقند ومن وراء النهر إلى الإسلام، على أن توضع عنهم الجزية، فأجابوا^(٢) إلى ذلك، فلما أسلموا وضع عليهم الجزية، وطالبهم^(٣) بها، فنصبوا له الحرب.

. . .

ذكر الخبر عمّا كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن وليهم في ذلك

ذكر أن أشرس قال في عمله بخراسان: ابغوني رجلاً له ورع وفضل أوّجه إلى من وراء النهر، فيدعوهم^(٤) إلى الإسلام. فأشاروا عليه بأبي الصيّداء صالح بن طريف، مولى بني ضبّة، فقال: لست بالماهر بالفارسيّة، فضموا معه^(٥) الربيع بن عمران التميمي، فقال أبو الصيّداء: أخرج على شريطة أن من أسلم لم يؤخذ منه الجزية، فلما أخرج خراسان على رؤوس الرجال، قال أشرس: نعم، قال أبو الصيّداء لأصحابه: فإني أخرج فإن لم يف العمال أعنتموني عليهم، قالوا: نعم.

(١) ح : «صلة» .
(٢) ح : «وطلبهم» .
(٣) ح : «إليه» .
(٤) ح : «فأجابوه» .
(٥) ح : «ف يدعهم» .

فشخص إلى سمرقند ، وعليها الحسن بن أبي العمرطة الكندي على ١٥٠٨/٢
 حربها وخراجها^(١) ، فدعا أبو الصيдаء أهل سمرقند ومن حولها إلى الإسلام ،
 على أن توضع عنهم الجزية ، فسارع الناس ، فكتب غوزك إلى أشرس :
 إن الخراج قد انكسر ؛ فكتب أشرس إلى ابن أبي العمرطة : إن في الخراج
 قوة للمسلمين ؛ وقد بلغني أن أهل السغد وأشباههم لم يسلموا رغبة ، وإنما
 دخلوا في الإسلام تعوذاً من الجزية ؛ فانظر من اختن وأقام الفرائض وحسن
 إسلامه ، وقرأ سورة من القرآن ، فارفع عنه خراجته . ثم عزل أشرس ابن
 أبي العمرطة عن الخراج ، وصيره إلى هاني بن هاني ، وضم إليه الأشحيد ، فقال
 ابن أبي العمرطة لأبي الصيдаء : لست من الخراج الآن في شيء ، فدونك
 هانئاً والأشحيد ؛ فقام أبو الصيдаء بمنعهم من أخذ الجزية من أسلم ، فكتب
 هاني : إن الناس قد أسلموا وبنوا المساجد . فجاء دهاقين بخارى إلى أشرس
 فقالوا : ممن تأخذ الخراج ، وقد صار الناس كلهم عرباً ؟ فكتب أشرس إلى
 هاني وإلى العمال : خذوا الخراج ممن كنتم تأخذونه منه ، فأعادوا الجزية
 على من أسلم ، فامتنعوا ؛ واعتزل من أهل السغد سبعة آلاف ، فتزلوا على
 سبعة فراسخ من سمرقند ، وخرج إليهم أبو الصيдаء وربيع بن عمران
 التميمي والقاسم^(٢) الشيباني وأبو فاطمة الأزدي وبشر بن جرموز الضبي
 وخالد بن عبد الله النحوي وبشر بن زبور الأزدي وعامر بن قشير - أو بشير ،
 الحُجَيندي^(٣) ، وبيان^(٤) العنبري وإسماعيل بن عَقْبَة ، لينصروهم .

قال : فعزل أشرس ابن أبي العمرطة عن الحرب ، واستعمل مكانه
 الحُشَر بن مزاحم السلمى ، وضم إليه عُمَيْرَة بن سعد الشيباني .

قال : فلما قدم الحُشَر كتب إلى أبي الصيдаء يسأله أن يقدم
 عليه هو وأصحابه ، فقدم أبو الصيдаء وثابت قطنة ، فحبسهما ، فقال
 أبو الصيдаء : غدرتم^(٥) ورجعتم^(٦) عما قلتم ! فقال له هاني : ليس بغدر

(١) ف : « وعلى خراجها » .

(٢) في ابن الأثير : « والهيثم الشيباني » .

(٣) ابن الأثير : « وبجير الحُجَيندي » .

(٤) ابن الأثير : « بنان » . (٥) ب : « أغدرتم » .

(٦) ح ، ف : « ثم رجعت » .

ما كان فيه حتقن الدماء . وحمل أبا الصيذاء إلى الأشرس ، وحبس ثابت
قطنة عنده ؛ فلما حمل أبو الصيذاء اجتمع أصحابه ولوا أمرهم أبا فاطمة ،
ليقاتلوا هائثاً ، فقال لهم : كفوا حتى أكتب إلى أشرس فيأتيناً رأيته فنعمل
بأمره . فكتبوا إلى أشرس ، فكتب أشرس : ضعوا عليهم الخراج ، فرجع
أصحاب أبي الصيذاء ، فضعف أمرهم ، فتتبع الرؤساء منهم فأخذوا ،
وحملوا إلى مَرَوْ ، وبقي ثابت محبوساً ، وأشرك أشرس مع هاني بن هاني
سليمان بن أبي السري مولى بني عوافة في الخراج ، فألح هاني والعمال في جباية
الخراج ، واستخفوا بعظماء العجم ، وسلط المجشتر عميرة بن سعد على الدهاقين ،
فأقيموا وخرقت ثيابهم ، وألقيت مناطقهم في أعناقهم ، وأخذوا (١) الجزية
ممن أسلم من الضعفاء ، فكفرت السغد وبخارى ، واستجاشوا الترك ، فلم
يزل ثابت قطنة في حبس المجشتر ، حتى قدم نصر بن سيار والياً على المجشتر ،
فحمل ثابتاً إلى أشرس مع إبراهيم بن عبد الله الليثي فحبسه . وكان نصر بن
سيار اللطيف ، وأحسن إليه ، فلدحه ثابت قطنة ، وهو محبوس عند أشرس
فقال :

١٥١٠/٢

ما هاج شوقك من نوئي وأحجار
لم يبق منها ومن أعلام عرصتها
ومائل في ديار الحى بعدهم
ديار ليلي ففار لا أنيس بها
بدلت منها وقد شط المزار بها
بين السماء في حزم مشرقة
نقارغ الترك ما تنفك نائحة
إن كان ظني بنصر صادقاً أبداً
يصرف الجند حتى يستفي بهم

١٥١١/٢

ومن رؤوم عفاها صوب أمطار
إلا شجيج وإلا موقد النار
مثل الربيثة في أهدامه العارى
دون الجحون وأين الحزن من داري (٢)
وإدى المخافة لا يسرى بها السارى
ومعق دوننا آذيه جار (٣)
منا ومنهم على ذى نجدة شار
فيما أدبر من نقضى وإمراى
نهباً عظيماً ويحوى ملك جبار

(٢) ف : « واين الحجر » .

(١) ف : « وأخذت الجزية » .

(٣) ب : « ومنرق » .

وَتَعَثُرُ الْخَيْلُ فِي الْأَقْيَادِ آوَنَةً
حَتَّى يَرَوْهَا دُوَيْنَ السَّرْحِ بَارِقَةً
لَا يَمْنَعُ الثُّغْرَ إِلَّا دُو مُحَافَظَةً
إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ مِنْ جَذْمِ الَّذِي نَضَرْتُ
لِذَاكِرٍ مِنْكَ أَمْرًا قَدْ سَبَقَتْ بِهِ
نَاضَلْتُ عَنِّي نِضَالَ الْحُرِّ إِذْ قَصَرْتُ
وَصَارَ كُلُّ صَدِيقِي كُنْتُ أَمَلُهُ
وَمَا تَلَبَّسْتُ بِالْأَمْرِ الَّذِي وَقَعُوا
وَلَا عَصَيْتُ إِمَامًا كَانَ طَاعَتُهُ

تَحْوَى النَّهَابَ إِلَى طُلَابٍ أَوْتَارِ
فِيهَا لَوَاءٌ كَظِلِّ الْأَجْدَلِ الضَّارِي
مِنْ الْخَضَارِمِ سَبَّاقِ بَأَوْتَارِ
مَنْهُ الْفُرُوعُ وَزَنْدِي الثَّاقِبُ الْوَارِي
مَنْ كَانَ قَبْلَكَ يَا نَضْرَ بْنَ سَيَّارِ
دُونِي الْعَشِيرَةُ وَاسْتَبَطْتُ أَنْصَارِي
أَلْبَا عَلَى وَرَثَ الْجَبَلِ مِنْ جَارِي
بِهِ عَلَى وَلَا دَنْسْتُ أَطْمَارِي
حَقًّا عَلَى وَلَا قَارَفْتُ مِنْ عَارِ

١٥١٢/٢

قال عليّ: وخرج أشرس غازياً فنزل آمل، فأقام ثلاثة أشهر،
وقدّم قطن بن قتيبة بن مسلم فعبر النهر في عشرة آلاف، فأقبل أهل
السَّغْدَ وأهل بُخَارَى معهم خاقان والترك، فحصرُوا قطن بن قتيبة في
خَنْدَقِهِ، وجعل خاقان يَنْتَخِبُ كُلَّ يَوْمٍ فَارِسًا، فيعبرُ في قطعة من الترك
النهر. وقال قوم: أقحموا دوابَّهم عُرْيًا، فعبروا وأغاروا على سرح الناس،
فأخرج أشرس ثابت قُطْنَةً بكفالة عبد الله بن بَسْطَامِ بن مسعود بن عمرو،
فوجهه مع عبد الله بن بَسْطَامِ في الخيل^(١) فاتبعوا الترك، فقاتلهم بآمل
حتى استنقذوا ما بأيديهم؛ ثم قطع الترك النهر إليهم راجعين، ثم عبر أشرس
بالناس إلى قطن بن قتيبة، ووجه أشرس رجلاً يقال له مسعود - أحد بني
حَيَّان - في سرية، فلقىهم العدو، فقاتلهم، فأصيب^(٢) رجال من المسلمين ١٥١٣/٢
وهزم مسعود؛ حتى رجع إلى أشرس، فقال بعض شعرائهم:

خَابَتْ سَرِيَّةُ مَسْعُودٍ وَمَا غَنِمَتْ
حَلُّوا بَارِضٍ قِفَارٍ لَا أَنْيَسَ بِهَا
إِلَّا أَفَانِينَ مِنْ شَدِّ وَتَقْرِيْبِ
وَهُنَّ بِالسَّفْحِ أَمْثَالُ الْيَعَاسِيْبِ

(١) ب: «في خيل».

(٢) ح، ف: «وأصيب».

وأقبل العدو ، فلما كانوا بالقرب لقيهم المسلمون فقاتلوهم ، فجالوا جولة ، فقتل في تلك الجولة رجال من المسلمين ، ثم كرّ المسلمون وصبروا لهم ، فانهزم المشركون . ومضى أشرس بالناس ؛ حتى نزل بيكسند ، فقطع العدو عنهم الماء ، فأقام أشرس والمسلمون في عسكرهم يومهم ذلك وليتهم ، فأصبحوا وقد نفد ماؤهم ، فاحتفروا فلم ينبطوا ، وعطشوا فارتحلوا إلى المدينة التي قطعوا عنهم المياه منها ، وعلى مقدمة المسلمين قطن بن قتيبة ، فلقىهم العدو فقاتلوهم ، فجهدوا من العطش ، فمات منهم سبعمائة ، وعجز الناس عن القتال ، ولم يبق في صف الرّباب إلا سبعة ، فكاد ضرار بن حصين يؤسّر من الجهد الذي كان به ، فحضر الحارث بن سريج^(١) الناس ، فقال : أيها الناس ، القتل بالسيّف أكرم في الدنيا وأعظم أجراً عند الله من الموت عطشاً . فتقدّم الحارث بن سريج وقطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد ، ابن أخي وكيع ، في فوارس من بني تميم وقيس ، فقاتلوا حتى أزالوا الترك عن الماء ، فابتدره الناس فشبّروا وارتووا .

قال : فرّ ثابت قطنة بعبد الملك بن دثار الباهلي ، فقال له : يا عبد الملك ، هل لك في آثار الجهاد ؟ فقال : أنظرني ريثما أغتسل وأتحنط ، فوقف له حتى خرج ومضيا ، فقال ثابت لأصحابه : أنا أعلم بقتال هؤلاء منكم ، وحضّهم ، فحملوا على العدو^(٢) ، واشتدّ القتال ، فقتل ثابت في عدّة من المسلمين ؛ منهم صخر بن مسلم بن النعمان العبدى وعبد الملك بن دثار الباهلي والوجيه الخراساني والعقار بن عقبة العودي . فضمّ قطن بن قتيبة وإسحاق بن محمد بن حسان^(٣) خيلاً من بني تميم وقيس ؛ تبايعوا على الموت ، فأقدموا على العدو ، فقاتلوهم فكشفوهم ؛ وركبهم المسلمون يقتلونهم ؛ حتى حجزهم الليل ، وتفرّق العدو . فأتى أشرس بخارى فحصر أهلها .

قال عليّ بن محمد ، عن عبد الله بن المبارك : حدثني هشام بن عمار

(١) سريج ، ضبطها ابن الأثير : « بالسّين المهملة والجيم » ؛ وفي ب : « شريح » .

(٢) ح : « فحملهم على لقاء العدو » .

(٣) ابن الأثير : « إسحاق بن محمد بن حبان » .

ابن القعقاع الضبيّ عن فضيل بن غزوان ، قال : حدثني وجيه البستاني ونحن نطوف بالبيت ، قال : لقينا الترك ، فقتلوا منا قوماً ، وصرعت وأنا أنظر إليهم ، يجلسون فيستقون حتى انتهوا إلىّ ، فقال رجل منهم : دعوه فإن له أثراً هو واطئه ، وأجلاً هو ^(١) بالغه ؛ فهذا أثر قد وطئته ، وأنا أرجو

١٥١٥/٢

الشهادة . فرجع إلى خراسان ؛ فاستشهد مع ثابت .

قال : فقال الوازع بن مائق : مرّ بي الوجيه في بغلين يوم أشرس ، فقلت : كيف أصبحت يا أبا أسماء ؟ قال : أصبحت بين حائر ^(٢) وحائر ^(٣) اللهم لفّ بين الصفين ؛ فخالط ^(٤) القوم وهو متنكب قوسه وسيفه ، مشتمل في طيئلسان واستشهد ^(٥) ، واستشهد الهيثم بن المنخل العبدى .

قال على ، عن عبد الله بن المبارك ، قال : لما التقى أشرس والترك ، قال ثابت قطنة : اللهم إني كنت ضيف ابن بسطام البارحة ، فاجعلني ضيفك الليلة ؛ والله لا ينظر إلىّ بنو أمية مشدوداً في الحديد ؛ فحمل وحمل أصحابه ، فكذب أصحابه وثبت ؛ فرمى برذونه فشبّ ، وضربه فأقدم ، وضرب فارتث ، فقال وهو صريع : اللهم إني أصبحت ضيفاً لابن بسطام ، وأمست ضيفك ؛ فاجعل قيراي من ثوابك الجنة .

قال على : ويقال إن أشرس قطع النهر ، ونزل بيكنند ؛ فلم يجد بها ماء ؛ فلما أصبحوا ارتحلوا ، فلما دنوا من قصر بخارا خداه - وكان منزله منهم على ميل - تلقاهم ألف فارس ، فأحاطوا بالعسكر وسطع رهج الغبار ، فلم يكن الرجل يقدر أن ينظر إلى صاحبه . قال : فانقطع منهم ستة آلاف ، فيهم قطن بن قتيبة وغزوك من الدهاقين ، فانتهوا إلى قصر من قصور بخارى ، وهم يرون أن أشرس قد هلك ، وأشرس في قصور بخارى ؛ فلم يلتقوا إلا بعد يومين ، ولحق غوزك في تلك الوقعة بالترك ، وكان قد دخل القصر مع قطن ، فأرسل إليه قطن رجلاً ، فصاحوا برسول قطن ؛ ولحق بالترك .

١٥١٦/٢

(٢) ف : « جانر » .

(٤) ح ، ف : « ثم خالط » .

(١) ح : « فهو » .

(٣) ب : « وحائن » .

(٥) ب : « فاستشهدوا » .

قال : ويقال إن غوزك وقع يومئذ وسط خيل ، فلم يجد بداً من اللحاق بهم . ويقال إن أشرس أرسل إلى غوزك يطلب منه طاساً ، فقال لرسول أشرس : إنه لم يبقَ معي شيء أتدهن به غير الطاس ، فاصفح عنه . فأرسل إليه : اشرب في قِرْعَةٍ ، وابعث إلى الطاس ، ففارقه .

قال : وكان على سَمَرْقَنْد نصرين سيار ، وعلى خراجها عميرة بن سعد الشيباني ، وهم محصورون ، وكان عميرة ممن قدم مع أشرس ، وأقبل قُريش ابن أبي كهْمَس على فرس ، فقال لِقَطَّان : قد نزل الأمير والناس ، فلم يُفَقِّد أحد من الجند غيرك ، فضى قطن والناس إلى العسكر ، وكان بينهم ميل .

* * *

[ذكر وقعة كمرجة]

قال : ويقال إن أشرس نزل قريباً من مدينة بُخارى على قدر فرسخ ؛ وذلك المنزل يقال له المسجد ؛ ثم تحول منه إلى مَرَج يقال له ^(١) بوادرة ، فاتاهم سبابة — أو شبابة — مولى قيس بن عبد الله الباهلي ؛ وهم نزول بكَمَرْجَة — وكانت كَمَرْجَة من أشرف مدن خراسان وأعظمها أيام أشرس في ولايته ^(٢) — فقال لهم : إن خاقان مارُّ بكم غداً ، فأرى لكم أن تُظهروا عدتكم ، فيرى جيداً واحتشاداً ، فينقطع طمعه منكم . فقال له رجل منهم : استوثقوا من هذا فإنه جاء ليقت في أعضادكم ، قالوا : لانفعل ، هذا مولانا وقد عرفناه بالنصيحة ، فلم يقبلوا منه ، وفعلوا ما أمرهم به المولى ، وصبتهم خاقان ، فلما حاذى بهم ارتفع إلى طريق بُخارى كأنه يريد بها ؛ فتحدّر بجنوده من وراء تل بينهم وبينه ، فزولوا وتأهبوا وهم لا يشعرون بهم ، فلما كان ذلك ما فاجأهم أن طلوعوا على التل ، فإذا جبل حديد : أهل قَرْغَانَة والطار بَسَنْد وأفشينة ونَسَف وطوائف من أهل بخارى . قال : فأسقط في أيدي القوم ، فقال لهم كليب بن قَسَنان الذهلي : هم يريدون مزاحفتكم فسرّبوا دوابكم المحففة في طريق النهر ، كأنكم تريدون أن تسقوها ، فإذا جردتموها فخذوا طريق الباب ،

(٢) ب ، ف : « وولايته » .

(١) ح ، ف : « يسمى » .

وتسربوا الأول فالأول ؛ فلما رآهم الترك يتسربون شدوا عليهم في مضايق ؛ وكانوا هم أعلم بالطريق من الترك ، وصبقوهم إلى الباب فلقوهم عنده ، فقتلوا رجلاً كان يقال له المهلب ، كان حاميتهم ، وهو رجل من العرب ، فقاتلوهم فغلبوهم على الباب الخارج من الخندق فدخلوه ، فاقتلوا ، وجاء رجل من العرب بحزمة قصب قد أشعلها^(١) ، فرمى بها وجوههم ففتحوا ، وأخلوا ١٥١٨/٢ عن قتلى وجرحى ، فلما أمسوا انصرف الترك ، وأحرق العرب القنطرة ، فأتاهم خسرو بن يزدجرد في ثلاثين رجلاً ، فقال : يا معشر العرب ، لم تقتلون أنفسكم وأنا الذى جئت بخاقان ليرد على مملكتي ، وأنا آخذ لكم الأمان ! فشتموه ، فانصرف .

قال : وجاءهم^(٢) بازغرى في مائتين — وكان داهية — من وراء النهر ، وكان خاقان لا يخالفه ، ومعه رجلان من قرابة خاقان ، ومعه أفراس من رابطة أشرس ، فقال : آمينونا حتى ندنو منكم ، فأعرض^(٣) عليكم ما أرسلنى إليكم به خاقان . فآمنوه ، فدنا من المدينة ، وأشرفوا عليه ومعه أسراء من العرب ، فقال بازغرى : يا معشر العرب ، أحذروا إلى رجلا منكم أكلمه برسالة خاقان ، فأحذروا حبيباً مولى متهرة من أهل درقين ، فكلموه فلم يفهم ، فقال : أحذروا إلى رجلا يعقل عني ، فأحذروا يزيد بن سعيد الباهلى ، وكان يشدو شدوا من التركية^(٤) ، فقال : هذه خيل الرابطة ووجوه العرب معه أسراء . وقال : إن خاقان أرسلنى إليكم ؛ وهو يقول لكم : إني أجعل من كان عطاؤه منكم ستمائة ألفاً ، ومن كان عطاؤه ثلسمائة ستمائة ؛ وهو يجمع بعد هذا على الإحسان إليكم ، فقال له يزيد : هذا أمر لا يلتزم ؛ كيف ١٥١٩/٢ يكون العرب وهم ذئاب مع الترك وهم شاء ! لا يكون بيننا وبينكم^(٥) صلح . فغضب بازغرى ، فقال التركيان اللذان معه : ألا نضرب عنقه ؟ قال : لا ، نزل إلينا^(٦) بأمان . وفهم ما قال له يزيد ، فخاف فقال : بلى يا بازغرى إلا أن

(١) ب : « فأشعلها » . (٢) ابن الأثير : « وأتاهم » .

(٣) ب : « وأعرض » . (٤) ابن الأثير : « وكان يفهم بالتركية يسيراً » .

(٥) ب : « وبينهم » .

(٦) ابن الأثير : « إنه نزل إلينا بأمان » .

تجعلونا نصفين ، فيكون نصفٌ في أثقالنا ويسير النصف معه ؛ فإن ظفر خاقان فنحن معه ؛ وإن كان غير ذلك كنا كسائر مدائن أهل السُغد . فرضى بازغرى والتركمان بما قال ، فقال له : أعرض على القوم ما تراضينا به ، وأقبل فأخذ بطرف الحبل فجذبوه حتى صار على سُور المدينة ، فنادى : يا أهل كَمَسْرَجَة ، اجتمعوا ، فقد جاءكم قوم يدعونكم إلى الكفر بعد الإيمان ، فما ترون ؟ قالوا : لا نجيب ولا نرضى ، قال : يدعونكم إلى قتال المسلمين مع المشركين ، قالوا : نموت جميعاً قبل ذلك . قال : فأعلموهم .

قال : فأشرفوا عليهم ، وقالوا : يا بازغرى ، أتبيع الأسرى في أيديكم فنفاذى بهم ؟ فأما ما دعوتنا إليه فلا نجيبكم إليه ، قال لهم : أفلا تشترون أنفسكم منا ؟ فما أنتم عندنا إلا بمنزلة من في أيدينا منكم - وكان في أيديهم الحجاج بن حُميد النضرى - فقالوا له : يا حجاج ، ألا تكلم ؟ قال : على رقباء ، وأمر خاقان بقطع الشجر ^(١) ، فجعلوا يلقون الحطب الرطب ، ويلقي أهل كَمَسْرَجَة الحطب اليابس ، حتى سوى الخندق ، ليقطعوا إليهم ^(٢) ، فأشعلوا فيه النيران ، فهاجت ريحٌ شديدة - صنعاً من الله عز وجل - قال : فاشتعلت النار في الحطب ، فاحترق ما عملوا في ستة ^(٣) أيام في ساعة من نهار ، ورميناهم فأوجعناهم وشغلناهم بالجراحات . قال : وأصابنا بازغرى نصابة في سرته ، فاحتقن بوله ، فمات من ليلته ، فقطع أترাকে آذانهم ، وأصبحوا بشر ، منكسين رؤسهم ببيكونه ، ودخل عليهم أمر عظيم . فلما امتد النهار جاءوا بالأسرى وهم مائة ؛ فيهم أبو العوجاء العتكي وأصحابه ، فقتلوهم ، ورموا إليهم برأس الحجاج ابن حُميد النضرى . وكان مع المسلمين مائتان من أولاد المشركين كانوا رهائن في أيديهم ، فقتلوهم واستماتوا ، واشتد القتال ، وقاموا على باب الخندق فسار على السور خمسة أعلام ، فقال كليب : من لي بهؤلاء ؟ فقال ظهير بن مقاتل الطُفَافى : أنا لك بهم ؛ فذهب يسعى . وقال لفتيان : امشوا خلفي ، وهو جريح ، قال : فقتل يومئذ من الأعلام اثنان ، ونجا ثلاثة . قال : فقال ملك من الملوك لحمد بن وساج : العجب أنه لم يبقَ ملك فيما وراء النهر إلا

(١) ابن الأثير : « وأمر خاقان بقطع الشجرة » . (٢) ح ، ف : « ليقطعوا النهر » .

(٣) ابن الأثير : « سبعة أيام » .

قاتل بكسـرّجة غيرى ، وعزّ على ألا أقاتل مع أكفائي ولم ير مكاني . فلم يزل أهل كسـرّجة بذلك ؛ حتى أقبلت جنود العرب ، فزلت فرغانة . فعبّر خاقان أهل السغد وفرغانة والشاش والدهاقين ، وقال لهم : زعمتم أن في ١٥٢١/٢ هذه خمسين حماراً ، وأنا نفتحها في خمسة أيام ؛ فصارت الخمسة الأيام شهرين . وشتمهم وأمرهم بالرحلة ، فقالوا : ما ندع جهداً ، ولكن أحضرنا غداً فانظر ؛ فلما كان من الغد جاء خاقان فوقف ، فقام إليه ملك الطار بسند ؛ فاستأذنه في القتال والدخول عليهم ، قال : لا أرى أن تقاتل في هذا الموضع — وكان خاقان يعظمه — فقال : اجعل لي جاريتين من جواري العرب ، وأنا أخرج عليهم ؛ فأذن له ، فقاتل فقتل منهم ثمانية ، وجاء حتى وقف على ثلثة وإلى جنب الثلثة بيت فيه حرق يفضي إلى الثلثة ، وفي البيت رجل من بني تميم مريض ، فرماه بكلّوب^(١) فتعلق بذرعه ، ثم نادى النساء والصبيان ، فجذبوه فسقط لوحه وركبته ؛ ورماه رجل بحجر ؛ فأصاب أصل أذنه فصرع ، وطعنه رجل فقتله . وجاء شاب أمرد من الترك ، فقتله وأخذ سلبه وسيفه ، فغلبناهم على جسده — قال : ويقال : إن الذي انتدب لهذا فارس أهل الشاش — فكانوا قد اتخذوا صنّاعاً ، وألصقوها^(٢) بحائط الخندق ، فنصبوا قبالة ما اتخذوا أبواباً له ؛ فأقعدوا الرّماة وراءها ؛ وفيهم غالب بن المهاجر الطائي عم أبي العباس الطوسي ورجلان ، أحدهما شيباني والآخر ناجي ، ١٥٢٢/٢ فجاء فاطم في الخندق ، فرماه الناجي فلم يخطئ قصبه أنفه ، وعليه كاشخودة تبتية ، فلم تضره الرمية ، ورماه الشيباني وليس يرى منه غير عينيه ؛ فرماه غالب ابن المهاجر ، فدخلت النشاب في صدره ، فنكس فلم يدخل خاقان شيئاً أشد منه .

قال : فيقال : إنه إنما قتل الحجاج وأصحابه يومئذ لما دخله من الجزع ، وأرسل إلى المسلمين أنه ليس من رأينا أن نرتحل عن مدينة ننزلها دون افتتاحها ، أو نرحلهم عنها . فقال له كليب بن قنّان : وليس من ديننا أن نعطي

(١) الكلوب : المهاز .

(٢) ف : « فالصقوها » .

بأيدينا حتى نُقْتَلَ ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فرأى الترك أن مقامهم عليهم ضرر ، فأعطوهم الأمان على أن يرحل هو وهم عنهم بأهاليهم وأموالهم إلى سَمَرْقَنْد أو الدَّبُوسِيَّة ، فقال لهم : اختاروا لأنفسكم في خُروجكم مِن هذه المدينة .

قال : ورأى أهل كِسَمَرْجَة ما هم فيه من الحصار والشدّة ، فقالوا : نشاور أهل سَمَرْقَنْد ، فبعثوا غالب بن المهاجر الطائي ، فانحدر في موضع من الوادي ، ففضى إلى قصر يسمى فرزاونة ، والدّهقان الذى بها صديق له ، فقال له : إني بُعِثْتُ إلى سَمَرْقَنْد ؛ فاحمِلْنِي ، فقال : ما أجد دابة إلا بعض دوابّ خاقان ، فإن له في روضة خمسين دابة ؛ فخرجا جميعاً إلى تلك الرّوضة ، فأخذ برذوناً فركبه ، وكان إلفه برذون آخر ، فتبعه فأتى سَمَرْقَنْد من ليلته ، فأخبرهم بأمرهم ، فأشاروا عليه بالدَّبُوسِيَّة ، وقالوا : هي أقرب ، فرجع إلى أصحابه ، فأخذوا من الترك رهائن ألاّ يعرضوا لهم ، وسألوهم رجلاً من الترك يتقوّن به مع رجال منهم ، فقال لهم الترك : اختاروا مَنْ شِئْتُمْ ، فاختروا كورصول يكون معهم ، فكان معهم حتى وصلوا إلى حيث أرادوا . ويقال : إن خاقان لما رأى أنه لا يصل إليهم شتم أصحابه ، وأمرهم بالارتحال عنهم ؛ وكلمه المختارين غوزك وملك السُّغْد وقالوا : لا تفعل أيها الملك ؛ ولكن أعطهم أماناً يخرجون عنها ، ويرون أنك إنما فعلت ذلك بهم من أجل غوزك أنه مع العرب في طاعتها ، وأن ابنه المختار طلب إليك في ذلك مخافة على أبيه ؛ فأجابهم إلى ذلك ، فسرّح إليهم كورصول يكون معهم ، بمنعهم ممن أرادهم .

قال : فصار الرّهْن من الترك في أيديهم ، وارتحل خاقان ، وأظهر أنه يريد سَمَرْقَنْد — وكان الرّهْن الذى في أيديهم من ملوكهم — فلما ارتحل خاقان — قال كورصول للعرب : ارتحلوا ، قالوا : نكره أن نرتحل والترك لم يعضوا ، ولا نأمنهم أن يعرضوا لبعض النساء فتحمى العرب فنصير إلى مثل ما كنا فيه من الحرب .

قال : فكف عنهم ؛ حتى مضى خاقان والترك ، فلما صلوا الظاهر أمرهم

كور صول بالرحلة ، وقال : إنما الشدة والموت والخوف حتى تسيروا فرسخين ،
ثم تصبروا إلى (١) قرى متصلة ؛ فارتحلوا وفي يد الترك من الرهن من العرب
نفر ، منهم شعيب البكري أو النصرى ، وسبّاع بن النعمان وسعيد بن عطية ،
وفي أيدي العرب من الترك خمسة ، قد أردفوا خلف كل رجل من الترك رجلا
من العرب معه خنجر ، وليس على التركي غير قباء ، فساروا بهم .

ثم قال العجم لكور صول : إن الدبوسية فيها عشرة آلاف مقاتل ؛
فلا تأمن أن يخرجوا علينا ، فقال لهم العرب : إن قاتلوكم قاتلناهم معكم .
فساروا ، فلما صار بينهم وبين الدبوسية قدر فرسخ أو أقل نظروا أهلها إلى
فرسان وبياذقة (٢) وجمع . فظنوا أن كسرة رجة قد فتحت ، وأن خاقان قصد
لهم . قال : وقربنا منهم وقد تأهبوا للحرب ؛ فوجه كليب بن قنان رجلا
من بني ناجية يقال له الضحّاك على يرذون يركض ، وعلى الدبوسية عتقل بن
وراد السغدّي ، فأتاهم الضحّاك وهم صفوف ؛ فرسان ورجالة ، فأخبرهم
الخبر ، فأقبل أهل الدبوسية يركضون ، فحمل من كان يضعف عن المشي
ومن كان مجروحاً .

ثم إن كليلاً أرسل إلى محمد بن كراز ومحمد بن درهم ليُعْلِمَا سبّاع
ابن النعمان وسعيد بن عطية أنهم قد بلغوا مأمنهم ، ثم خلّوا عن الرهن ؛
فجعلت العرب ترسل رجلاً من الرهن الذين في أيديهم من الترك ، وترسل الترك
رجلاً من الرهن الذين في أيديهم من العرب ؛ حتى بقي سبّاع بن النعمان في
أيدي الترك ، ورجل من الترك في أيدي العرب ، وجعل كل فريق منهم يخاف
على صاحبه الغدر ، فقال سبّاع : خلّوا رهينة الترك ، فخلّوه وبقي سبّاع
في أيديهم ، فقال له كور صول : لم فعلت هذا ؟ قال : وثقتُ برأيك في ،
وقلت : ترفع نفسك عن الغدر في مثل هذا ؛ فوصله وسلّحه وحمله على
برذون ، وردّه إلى أصحابه .

قال : وكان حصار كسرة رجة ثمانية وخمسين يوماً ، فيقال إنهم لم
يسقوا إبلهم خمسة وثلاثين يوماً .

قال : وكان خاقان قسَمَ في أصحابه الغنم ، فقال : كُلُّوا لحومها واملئوا جلودها ترابًا ، واكبسوا خندقكم ؛ ففعلوا فكبسوه ، فبعث الله عليهم سحابة فطمرت ، فاحتمل المطر ما ألقوا ، فألقاه في النهر الأعظم .
وكان مع أهل كَمَرَجَة قومٌ من الخوارج ، فيهم ابن شُنُجِج مولى بنى ناجية .

* * *

[ذكر ردة أهل كرَدَر]

وفي هذه السنة ارتدَّ أهل كرَدَر ، فقاتلهم المسلمون وظفروا بهم ؛ وقد كان الترك أعانوا أهل كرَدَر ؛ فوجه أشرس إلى مَنْ قرب من كرَدَر من المسلمين ألف رجل رداء لهم ؛ فصاروا إليهم ، وقد هزم المسلمون الترك ، فظفروا بأهل كرَدَر . وقال عَرْفَجَة الدارمي :

نَحْنُ كَفَيْنَا أَهْلَ مَرٍ وَغَيْرَهُمْ وَنَحْنُ نَفَيْنَا التُّرْكَ عَنْ أَهْلِ كُرْدَرِ
فَإِنْ تَجَعَلُوا مَا قَدْ غَنِمْنَا لِغَيْرِنَا فَقَدْ يُظْلَمُ الْمَرْءُ الْكَرِيمُ فَيَصْبِرُ ١٥٢٦/٢

* * *

وفي هذه السنة جعل خالد بن عبد الله الصَّلَاة بالبصرة مع الشرطة ؛ والأحداث والقضاء إلى بلال بن أبي بُردة ؛ فجمع ذلك كله له ، وعزل به ثُمَامَة بن عبد الله بن أنس عن القضاء .

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام بن إسماعيل ؛ كذلك قال أبو معشر والواقدي وغيرهما ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف إبراهيم بن هشام ، وعلى الكوفة والبصرة والعراق كلها خالد بن عبد الله ، وعلى خراسان أشرس ابن عبد الله .

ثم دخلت سنة إحدى عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سعيد بن هشام الصائفة اليمنى حتى أتى قيسارية .

قال الواقدي : غزا سنة إحدى عشرة ومائة على جيش البحر عبد الله بن أبي مریم ، وأمر هشام على عامة الناس من أهل الشام ومصر الحكم بن قيس ابن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف .

وفيهما سارت الترك إلى أذربيجان ، فلقبهم الحارث بن عمرو فهزمهم .

وفيهما ولّى هشام الجراح بن عبد الله الحكمي على أرمينية .

وفيهما عزل هشام أشرس بن عبد الله السلمي عن خراسان ، وولاهما الجعيد ابن عبد الرحمن المري (١) .

• • •

ذكر السبب الذي من أجله عزل هشام أشرس

عن خراسان واستعماله الجعيد

ذكر علي بن محمد ، عن أبي الذيال ، قال : كان سبب عزل أشرس أن شداد بن خالد (٢) الباهلي شخص إلى هشام فشكاه ، فعزله واستعمل الجعيد بن عبد الرحمن (٣) على خراسان سنة إحدى عشرة ومائة .

قال : وكان سبب استعماله إيّاه أنه أهدى لأم حكيم بنت يحيى بن الحكم امرأة هشام قلادة فيها جوهر ، فأعجبت هشاماً ، فأهدى لهشام قلادة أخرى ، فاستعمله على خراسان ، وحمله على ثمانية من البريد ؛ فسأله أكثر من تلك الدواب فلم يفعل ؛ فقدم خراسان في خمسمائة — وأشرس بن عبد الله

(١) ط : « المزي » ، تحريف . (٢) ابن الأثير : « خويلد » .

(٣) في ابن الأثير : « وهو الجعيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث بن خارجة بن سنان ابن أبي حارثة المري » .

يقاتل أهل بخارى والسُغُنْد - فسأل عن رجل يسير معه إلى ما وراء النهر ،
فدُلَّ على الخطّاب^(١) بن محرز السَلَسِيّ خليفة أشرس ، فلما قدم آمُلْ
أشار عليه الخطّاب أن يقيم ويكتب إلى من يَزِمُ ومن حوله ؛ فيقدّموا عليه ،
فأبى وقطع النهر ، وأرسل إلى أشرس أن أمِدَّتْني بخيل ، وخاف أن يقتطع
قبل أن يصل إليه ، فوجّه إليه أشرس عامرَ بن مالك الحِمَاسِيّ ، فلما كان في
بعض الطريق عرض له الترك والسُغُنْد ليقطعوه قبل أن يصل إلى الجُنَيْد ، فدخل
عامر حائطاً حصيناً ، فقاتلهم على ثُلُمة الحائط ، ومعه وَرْدُ بن زياد بن
أدهم بن كلثوم ؛ ابن أخى الأسود بن كلثوم ؛ فرماه رجل من العدو بِنُشَابَةٍ ،
فأصاب عَرَضَ منخره ، فأنفذ المنخرين ، فقال له عامر بن مالك :
يا أبا الزاهرية ؛ كأنك دجاجة مقرّقة^(٢) . وقتل عظيم من عظماء الترك عند
الثُلُمة ، وخاقان على تل خلفه أجمّة^(٣) ، فخرج عاصم بن عمير السَمَرْقَنْدِيّ
وواصل بن عمرو القيسِيّ في شتَا كَرِيّة ، فاستدارا حتى صارا من وراء ذلك
الماء ، فضصّوا خشباً وقصباً وما قدروا عليه ، حتى اتَّعَذُّوا رَصْفاً^(٤) ، فعبّروا عليه
فلم يشعر خاقان إلا بالتكبير ، وحمل واصل والجُنَيْد على العدو فقاتلهم ؛
فقتل تحت واصل بردون ، وهُزِمَ خاقان وأصحابه .

١٥٢٨/٢

وخرج عامر بن مالك من الحائط ، ومضى إلى الجُنَيْد وهو في سبعة آلاف ؛
فقتل الجُنَيْد وأقبل معه ، وعلّى مقدّمة الجُنَيْدُ حِمَارَ بن حَرَمٍ . فلما انتهى
إلى فرسخين من بِيكْسَنْد ، تلقّته خيل الترك فقاتلهم ؛ فكاد الجُنَيْد أن يهلك
ومن معه ، ثم أظهره الله ؛ فسار حتى قدم العسكر . وظفر الجُنَيْد ، وقتل
الترك ، وزحف إليه خاقان فالتقوا دون زَرْمان^(٥) من بلاد سَمَرْقَنْد ؛ وقطن
ابن قتيبة على ساقّة الجُنَيْد ، وواصل في أهل بخارى - وكان يترزله - فأسر^(٦)
ملك الشاش ، وأسرَ الجُنَيْد من الترك ابن أخى خاقان في هذه الغزاة ؛ فبعث به
إلى الخليفة ، وكان الجُنَيْد استخلف في غزاته هذه مجشّر بن مزاحم على مَرَو ،

١٥٢٩/٢

(١) ابن الأثير : « خطاب بن محرز السلمي » .

(٢) الفرق : صوت الدجاجة ، والدجاجة تقع على الذكرو الأنثى والتاء دخلته على أنه الواحد .

(٣) الرصف : ما يوصف بعضه إلى بعض في مسيل ؛ خشب أو حجارة .

(٤) ابن الأثير : « رزمان » . (٥) كذا في ح ، وفي ط : « فأسم » .

وولّى سورة بن الحرّ من بنى أبان بن دارم بلخ ، وأوفد لما أصاب في وجهه ذلك ثُمارة بن معاوية العدويّ ومحمد بن الجراح العبدىّ وعبد ربّه بن أبى صالح السّلمىّ إلى هشام بن عبد الملك ثمّ انصرفوا ؛ فتواقفوا بالترمذ ، فأقاموا بها شهرين .

ثمّ أتى الجُنيد مرّو وقد ظفر ، فقال خاقان : هذا غلام متّرف ، هزّمتنى العامّ وأنا مهلكه في قابل ؛ فاستعمل الجُنيد عُمّاله ، ولم يستعمل إلا مُضَرّياً ؛ استعمل قَطَن بن قتيبة على بُخارى ، والوليد بن القعقاع العبسىّ على هَرَاة ، وحبيب بن مرّة العبسىّ على شَرّطه ، وعلى بلخ مسلم بن عبد الرحمن الباهلى . وكان نصر بن سيار على بلخ ؛ والذي بينه وبين الباهليّين متباعد لما كان بينهم بالبَرّوقان ، فأرسل مسلم إلى نصر فصادفوه نائماً ، فجعأوا به في قميص ليس عليه سَرَويل ، ملبّباً ، فجعل يضمّ عليه قميصيّته ، فاستحيا مسلم ، وقال : شيخ من مُضَرّ جثّم به على هذه الحال ! ثمّ عزل الجُنيد مسلماً عن بلخ ، ولأها يحيى بن ضُبَيْعة ، واستعمل على خراج سمرقند شداد بن خالد الباهلى ، وكان مع الجُنيد السّهرىّ بن قمعنب .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومى ؛ وكان إليه من العمل في هذه السنة ما كان إليه في السنة التى قبلها ؛ وقد ذكرت ذلك قبل . وكان العامل على العراق خالد بن عبد الله ، وعلى خراسان الجُنيد بن عبد الرحمن .

ثم دخلت سنة اثنتى عشرة ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة فافتتح خمرشنة ،
وحرق فرندية من ناحية مَلَطِيَّة .

• • •

[ذكر خبر قتل الجراح الحكيم]

وفيهما سار الترك من التلّان ، فلقبهم الجراح بن عبد الله الحكيم فيمن
معه من أهل الشام وأذريجان ، فلم يتتأّم إليه جيشه ؛ فاستشهد الجراح ١٥٣١/٢
ومن كان معه بمرج ^(١) أردبيل ؛ وافتتحت الترك أردبيل ؛ وقد كان استخلف
أخاه الحجاج بن عبد الله على أرمينية .

ذكر محمد بن عمر أن الترك قتلت الجراح بن عبد الله ببكنجر ،
وأن هشاماً لما بلغه خبره دعا سعيد بن عمرو الحرشي ، فقال له : إنه بلغني
أن الجراح قد انحاز عن المشركين ، قال : كلاً يا أمير المؤمنين ، الجراح
أعرف بالله من أن ينحاز عن العدو ، ولكنه قُتِل ، قال : فما الرأي ؟ قال :
تبعني على أربعين دابة من دواب البريد ؛ ثم تبعني إلى كل يوم أربعين
دابة عليها أربعون رجلاً ، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافوني . ففعل ذلك
هشام .

فذكر أن سعيد بن عمرو أصاب للترك ثلاثة جموع وفوداً إلى خاقان
بمن أسروا من المسلمين وأهل الذمة ، فاستنقذ الحرشي ما أصابوا وأكثروا
القتل فيهم .

وذكر علي بن محمد أن الجنيد بن عبد الرحمن قال في بعض ليالي حربه ^(٢)
الترك بالشعب : ليلة كليلة الجراح ويوم كيومه ؛ فقيل له : أصلحك الله !

إنَّ الجَرَّاحَ سَيرَ إلیه فقتلَ أهلَ الحِجَی والحِفاظَ ، فجنَّ علیهِ اللیل ، فانسلَّ
الناسُ من تحتِ اللیل إلی مدائنَ لهم بأذَرَبِيجانَ ، وأصبحَ الجَرَّاحُ فی قلة
فقتل .

* * *

وفی هذه السنة وجَّهَ هشامُ أخاهُ مسلحةً بن عبد الملك فی أثرَ التَّرك فسارَ ١٥٣٢/٢
فی شتاءٍ شدیدِ البردِ والمطرِ والثلوجِ فطلبهم - فیما ذکر - حتی جازَ البابَ فی
آثارهم ، وخلفَ الحارثُ بن عمرو الطائی بالباب .

* * *

[ذكر وقعة الجنيدي مع الترك]

وفی هذه السنة كانت وقعة الجنيدي مع التَّرك ورئسهم خاقان بالشَّعب .
وفیها قتل سَوْرَة بن الحرّ ، وقد قیل إن هذه الوقعة كانت فی سنة ثلاث عشرة
ومائة .

ذكر الخبر عن هذه الوقعة وما كان سببها وكيف كانت :

ذكر علی بن محمد عن أشياخه أن الجنيدي بن عبد الرحمن خرج غازياً
فی سنة اثنتی عشرة ومائة يريد طَخَارِستانَ ، فنزل علی نهر بَلْخَ ، ووجَّهَ عُمارةَ
ابن حُرَيمَ إلی طَخَارِستانَ فی ثمانية عشر ألفاً وإبراهيم بن بسام اللبَّي في عشرة
آلاف فی وجه آخر ، وجاشت التَّرك فأتوا سَمَرْقَنْدَ ، وعليها سَوْرَة بن الحرّ ؛
أحد بنی أبان بن دارم ، فكتب سَوْرَة إلی الجنيدي : إن خاقان جاش بالتَّرك ،
فخرجتُ إلیهم فما قدرتُ أن أَمْنَعُ حائطَ سَمَرْقَنْدَ ؛ فالغوثُ (١) !

فأمر الجنيدي الناس بالعبور ، فقام إلیه المجشَّر بن مزاحم السلمی وابن
بسَاطم الأزدی وابن صُبُح الخَرَقی ، فقالوا : إن التَّركَ ليسوا كغيرهم ،
لا یلقونك صفّاً ولا زحفّاً ، وقد فرقت جندك ، فسلم بن عبد الرحمن بالنَّيرُودَ ،
والبختری بهرّة ، ولم یحضرك أهل الطالْقان ، وعُمارة بن حُرَيم غائب (٢) . وقال له
المجشَّر : إن صاحب خراسان لا یعبُر النهر فی أقلّ من خمسين ألفاً ؛ فاكتب إلی

١٥٣٣/٢

(١) ابن الأثير : « فالغوث الغوث » . (٢) بعدها فی ابن الأثير : « بطخارستان » .

عمارة فليأتك ، وأمهل ولا تعجل^(١) ، قال : فكيف بسورة ومن معه من المسلمين !
للم أكن إلا في بني مرة ، أو من طلع معي من أهل الشام لعبرت . وقال :
أليس أحق الناس أن يشهد الوغى^(٢) وأن يقتل الأبطال ضخم على ضخم^(٣)
وقال :

ما علّتي ما علّتي ما علّتي ! إن لم أقاتلهم فجزوا ليمتي

قال : وعبر فتزل كيس^(٤) ، وقد بعث الأشهب بن عبيد الحظلي ليعلم علم
القوم ، فرجع إليه وقال : قد أتوك فتأهب للمسير .
وبلغ الترك فعمّروا^(٥) الآبار التي في طريق كيس وما فيه من الركابا ،
فقال الجنيّد : أيّ الطريقين إلى سمرقند أمثل ؟ قالوا : طريق المحترقة .
قال الجبشّر بن مزاحم السلمى : القتل بالسيف أمثل من القتل بالنار ؛ إن
طريق المحترقة فيه الشجر والحشيش ولم يزرع منذ سنين ، فقد تراكم بعضه
على بعض ، فإن لقيت خاقان أحرق ذلك كله ، فقتلنا بالنار والدخان ؛
ولكن خذ طريق العقبة ، فهو بيننا وبينهم سواء .

١٥٣٤/٢

فأخذ الجنيّد طريق العقبة ، فارتقى في الجبل ، فأخذ الجبشّر بعنان
دابته ، وقال : إنه كان يقال : إن رجلاً من قيس مترقاً يهلك على يديه
جند من جنود خراسان ؛ وقد خيفنا أن تكونه . قال : أفرخ روعاك ، فقال
الجبشّر : أمّا إذا كان بيننا مثلك فلا يُفرخ . فبات في أصل العقبة ، ثم
ارتحل حين أصبح ؛ فصار الجنيّد بين مرتحل ومقيم ؛ فتلقى فارساً ، فقال :
ما اسمك ؟ فقال : حرب ؛ قال : ابن من ؟ قال : ابن محرّبة ، قال : من
بني من ؟ قال : من بني حسنظلة ، قال : سلط الله عليك الحرب والحرب
والكلّاب . ومضى بالناس حتى دخل الشعب وبينه وبين مدينة سمرقند أربعة^(٦)
فراسخ ، فصبّحه خاقان في جمع عظيم^(٧) ، وزحف إليه أهل السغد والشاش
وفسّر غانة وطائفة من الترك . قال : فجدل خاقان على المقدمة وعليها^(٨) عثمان

(١) « تستعجل » . (٢) ف : « أن يشهدوا » . (٣) كذا في ح ، ف ،
وفي ط : « ضخماً على ضخم » . (٤) في اللسان عن شمر : « عورت عيون المياه إذا دفنتها
وسدّتها ، وعورت الركبة إذا كبستها بالتراب حتى تشد عيونها » . (٥) ط : « أربع » .
(٦) ب : « كبير » . (٧) ح : « عليها » .

ابن عبد الله بن الشَّخِير ، فرجعوا إلى العسكر والترك تتبعهم ؛ وجاءهم من كل وجه ؛ وقد كان الإخريد قال للجنيذ : ردّ الناس إلى العسكر ؛ فقد جاءك جمع كثير ؛ فطلع أوائل العدو والناس يتغدّون ، فرآهم عبيد الله بن زهير بن حيّان ، فكره أن يُعلم الناس حتى يفرغوا من غداهم ؛ والتفت أبو الذّيال ، فرآهم ، فقال : العدو ! فركب الناس إلى الجنيذ ، فصيّر تمياً والأرد في الميمنة وربيعة في الميسرة مما يلي الجبل ؛ وعلى مجففة^(١) خيل بني تميم عبيد الله بن زهير بن حيّان ، وعلى المجردة عمر - أو عمرو - بن جرفاس^(٢) بن عبد الرحمن بن شقران المنقرى ، وعلى جماعة بني تميم عامر ابن مالك الحماني ، وعلى الأزد عبد الله بن بيسطام بن مسعود بن عمرو المعنى ؛ وعلى خيلهم : المجففة والمجرودة فضيل بن هناد وعبد الله بن حوذان ؛ أحدهما على المجففة ، والآخر على المجردة - ويقال : بل كان بشر بن حوذان أخو عبد الله بن حوذان الجهمي - فالتقوا وربيعة ممّا يلي الجبل في مكان ضيق ؛ فلم يقدم عليهم أحد ؛ وقصد العدو للميمنة وفيها تميم والأزد في موضع واسع فيه مجال للخيل . فترجل حيّان بن عبيد الله بن زهير بين يدي أبيه ، ودفع برذونه إلى أخيه عبد الملك ، فقال له أبوه : يا حيّان ، انطلق إلى أخيك فإنه حدّث وأخاف عليه . فأبى ، فقال : يا بُنَيَّ ، إنك إن قتلت على حالك هذه قتلت عاصياً . فرجع إلى الموضع الذي خلف فيه أخاه والبرذون ؛ فإذا أخوه قد لحق بالعسكر ، وقد شدّ البرذون ، فقطع حيّان مِقْوَدَه وركبه ؛ فأبى العدو ؛ فإذا العدو قد أحاط بالموضع الذي خلف فيه أباه وأصحابه ، فأمدّهم الجنيذ بنصر بن سيار في سبعة معه ؛ فيهم جميل بن غزوان العدوي ، فدخل عبيد الله بن زهير معهم ، وشدّوا على العدو فكشفوهم ثم كرّوا عليهم ؛ فقتلوا جميعاً ، فلم يفلت منهم أحد ممن كان في ذلك الموضع ، وقتل عبيد الله بن زهير وابن حوذان وابن جرفاس والفضيل بن هناد .

وجالت الميمنة والجنيذ واقف في القلب ، فأقبل إلى الميمنة ، فوقف تحت

(١) يقال : فريس مجففة ، عليه تجفاف ، وهو ما جلل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح .

(٢) ابن الأثير : « جرفاش » .

راية الأزْد - وقد كان جفاهم - فقال له صاحب راية الأزْد: ماجئتنا لتجربونا ولا لتكرمنا؛ ولكنك قد علمت أنه لا يوصل إليك ومنا رجل حي؛ فإن ظفرنا كان لك؛ وإن هلكنا لم تبك علينا. ولعمري لئن ظفرنا وبقيت لأكلك كلمة أبداً. وتقدم فقتل. وأخذ الراية ابن مُجاعة فقتل، فتداول الراية ثمانية عشر رجلاً منهم فقتلوا، فقتل يومئذ ثمانون رجلاً من الأزْد.

قال: وصبر الناس يقاتلون حتى أعيوا؛ فكانت السيوف لا تحياك ولا تقطع شيئاً، فقطع عبيدُهم الخشب يقاتلون به، حتى ملَّ الفريقان فكانت المعانقة، فتحاجزوا، فقتل من الأزْد حمزة بن مُجاعة العتكي ومحمد بن عبد الله بن حوْذان الجهمي، وعبد الله بن بسطام المعني وأخوه زُئيم والحسن ابن شيخ والنضيل الحارثي - وهو صاحب الخيل - ويزيد بن الفضل الحداني؛ وكان حججاً فأنفق في حجه ثمانين ومائة ألف؛ فقال لأمه وحشيّة: ادعي الله أن يرزقني الشهادة، فدعت له، وغشي عليه؛ فاستشهد بعد مقدّمه من الحج بثلاثة عشر يوماً، وقاتل معه عبدان له؛ وقد كان أمرهما بالانصراف فقتلا؛ فاستشهدا.

١٥٣٧/٢

قال: وكان يزيد بن الفضل حمل يوم الشعب على مائة بعير سويقاً للمسلمين؛ فجعل يسأل عن الناس، ولا يسأل عن أحد إلا قيل له: قد قتل؛ فاستقدم وهو يقول: لا إله إلا الله؛ فقاتل حتى قُتل.

وقاتل يومئذ محمد بن عبد الله بن حوْذان وهو على فرس أشقر، عليه تجفاف مذهب، فحمل سبع مرات يقتل في كل حملة رجلاً، ثم رجع إلى موقفه، فهابه من كان في ناحيته، فناداه ترجمان للعدو^(١): يقول لك الملك: لا تقبل وتحول إلينا؛ فرفض صنمنا الذي نعبد ونعبدك؛ فقال محمد: أنا أقاتلكم لتتركوا عبادة الأصنام وتعبدوا الله وحده. فقاتل واستشهد.

وقتل جُشم بن قرط الهلالي من بني الحارث، وقتل النضر بن راشد العبدى؛ وكان دخل على امرأته والناس يقتتلون، فقال لها: كيف أنت إذا أتيت بأبي ضمرة في لبد مضرّجا بالدماء؟ فشقت جيبها ودعت بالويل؛

١٥٣٨/٢

فقال : حسبك ، لو أعولت على كل أنثى لعصيتها شوقاً إلى الحور العين ؛ ورجع فقاتل حتى استشهد رحمه الله . قال : فبينما الناس كذلك إذ أقبل رهج ، فطلعت فرسان ، فنادى منادى الجنيدي : الأرض ، الأرض ! فترجل وترجل الناس ، ثم نادى منادى الجنيدي : ليخندق كل قائد على حياله ؛ فخندق الناس . قال : ونظر الجنيدي إلى عبد الرحمن بن مكية يحمل على العدو ، فقال : ما هذا الخروطوم السائل ؟ قيل له : هذا ابن مكية ، قال : ألسان البقرة ! لله دره أي رجل هو ! وتحاجزوا ، وأصيب من الأزد مائة وتسعون .

وكانوا لقوا خاقان يوم الجمعة ، فأرسل الجنيدي إلى عبد الله بن معمر بن سُمَيْر اليشكري أن يقف في الناحية التي تلي كيس ويحبس من مر به ، ويحوز الأثقال والرجالة ؛ وجاءت الموالى رجالة ، ليس فيهم غير فارس واحد والعدو يتبعونهم ؛ فثبت عبد الله بن معمر للعدو ، فاستشهد في رجال من بكر ، وأصبحوا يوم السبت ، فأقبل خاقان نصف النهار ؛ فلم ير موضعاً للقتال فيه أيسر من موضع بكر بن وائل ، وعليهم زياد بن الحارث ، فقصده لهم ، فقالت بكر لزياد : القوم قد كثرونا ، فخل عنا نحمل عليهم قبل أن يحمِلوا علينا ، فقال لهم : قد مارست^(١) سبعين سنة ، إنكم إن حملتم عليهم فصعدتم انهمزتم ؛ ولكن دعوهم حتى يقرّبوا . ففعلوا ، فلما قربوا منهم حملوا عليهم فأفروا لهم ، فسجد الجنيدي ، وقال خاقان يومئذ : إن العرب إذا أحرّجوا استقتلوا ؛ فخلوهم حتى يخرجوا ؛ ولا تعرّضوا لهم ؛ فإنكم لا تقومون لهم .

وخرج جوار للجنيدي يولون ؛ فانتدب رجال من أهل الشام ، فقالوا : الله الله يا أهل خراسان ! إلى أين ؟ وقال الجنيدي : ليلة كليلة الجراح ، ويوم كيومه .

• • •

[ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحر]

وفي هذه السنة قتل سورة بن الحر التميمي .

(١) بملها في ح ، ف : « مث » .

• ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر عليّ عن شيوخه ، أن عبيد الله بن حبيب قال للجنيّد : اختر بين أن تهلك أنت أو سورة ، فقال : هلاك سورة أهون عليّ ، قال : فاكتب إليه فليأتك في أهل سمرقند ؛ فإن الترك إن بلغهم أن سورة قد توجه إليك انصرفوا إليه فقاتلوه . فكتب إلى سورة يأمره بالقدوم - وقيل : كتب أغثنى - فقال عبادة بن السليل المحاربيّ أبو الحكم بن عبادة لسورة : انظر أبرّد بيت بسمرقند فمّم فيه ، فإنك إن خرجت لا تبالي أسخط عليك الأمير أم رضى . وقال له حليّس بن غالب الشيبانيّ : إن الترك بينك وبين الجنيّد ؛ فإن خرجت كرّوا عليك فاخطفوك .

فكتب إلى الجنيّد : إني لا أقدر على الخروج ؛ فكتب إليه الجنيّد : ١٥٤٠/٢
يا بن اللخناء ، «(انخرج وإلا وجهت إليك^(١) شدّاد بن خالد^(٢) الباهليّ - وكان له عدوّاً - فاقدّم وضع فلاناً بفرخشاذ في خمسمائة ناشب ، والزّم الماء فلا تفارقه .

فأجمع على المسير ، فقال الوّجف بن خالد العبدىّ : إنك لمهلك نفسك والعرب بمسيرك ؛ ومهلك من معك ، قال : لا يُخرج حملى^(٣) من التّدور حتى أسير ؛ فقال له عبادة وحليّس : أما إذ أبيت إلا المسير فخذ على النهر ، فقال : أنا لا أصل إليه على النهر في يومين ، وبينى وبينه من هذا الوجه ليلة فأصبحه ؛ فإذا سكنت الزّجل^(٤) سرت فأعبره^(٥) .

فجاءت عيون الأتراك فأخبروهم ، وأمر سورة بالرحيل ؛ واستخلف عليّ سمرقند موسى بن أسود ؛ أحد بنى ربيعة بن حنظلة ، وخرج في اثني عشر ألفاً ، فأصبح على رأس جبل ؛ ولما دلّه على ذلك الطريق عِلج يسمى كارتقبد ؛ فتلقاه خاقان حين أصبح وقد سار ثلاثة فراسخ ، وبينه وبين

(١ - ١) ح ، ف : « لتقدمن أو لأوجهن » .

(٢) ابن الأثير : « خليل » .

(٣) ح : « حمل » .

(٤) الزجل : جمع زجلة ؛ وهى الجماعة من الناس ، وفى ابن الأثير : « سكنت الرجل » ، وما أثبتته من تصويبات ط .

(٥) ح ، ف : « فأصبحه » .

الجنيد فرسخ : فقال أبو الذبّال : قاتلهم في أرض ختّارة ، فصبر وصبروا حتى اشتدّ الحرّ .

وقال بعضهم : قال له غوزك : يومك يوم حارّ فلا تقاتلهم حتى نحمي عليهم الشمس وعليهم السلاح تثقلهم . فلم يقاتلهم خاقان ؛ وأخذ برأى غوزك ، وأشعل النار^(١) في الحشيش ، وواقفهم وحال بينهم وبين الماء ، فقال سرّوة لعبادة : ما ترى يا أبا السليل ؟ قال : أرى والله أنه ليس من الترك أحد إلا وهو يريد الغنيمة ؛ فاعقِر هذه الدوابّ وأحرق هذا المتاع ، وجرد السيف ؛ فإنهم يُخلّون لنا الطريق . قال أبو الذبّال : فقال سرّوة لعبادة : ما الرأي ؟ قال : تركت الرأي ، قال : فما ترى الآن ؟ قال : أن ننزل فنشرع الرّماح ، ونزحف زحفاً ، فإنما هو فرسخ حتى نصل إلى العسكر ، قال : لا أقوى على هذا ؛ ولا يقوى فلان وفلان . . . وعدّ رجالاً ؛ ولكن أرى أن أجمع الخيل ومن أرى أنه يقاتل فأصكّهم ؛ سلمت أم عطيت ؛ فجمع الناس وحملوا فانكشفت الترك ، وثار الغبار فلم يبصروا ، ومن وراء الترك اللّهب^(٢) ؛ فسقطوا فيه ، وسقط فيه العدو والمسلمون ، وسقط سرّوة فاندمت فخذة ، وتفرّق الناس ، وانكشفت الغمة والناس متفرّقون ، فقطعتهم الترك ، فقتلوهم فلم ينج منهم غير ألفين - ويقال : ألف - وكان من نجا عاصم بن عمير السّمّرقنديّ ، عرفه رجل من الترك فأجاره ؛ واستشهد حليس بن غالب الشيباني ، فقال رجل من العرب : الحمد لله ؛ استشهد حليّس ، ولقد رأيته يرمى البيت أيام الحجاج ويقول : درى عقاب ، بلبن وأخشاب ؛ وامرأة قائمة ، فكلّمنا رى بحسّج قالت المرأة : يا ربّ بى ولا بينك ! ثم رُزق الشهادة .

١٥٤٢/٢

وانحاز المهلب بن زياد العجليّ في سبعمئة ومعه قريش بن عبد الله العبدىّ إلى رُستاق يسمى المرغاب ؛ فقاتلوا أهل قَصْر من قصورهم ؛ فأصيب المهلب بن زياد ، وولّوا أمرهم الوجفّ بن خالد ، ثم أتاهم الأشكند صاحب نَسَف في خيّل ومعه غوزك ، فقال غوزك : يا وجفّ ، لكم الأمان ، فقال

(١) ب : « النيران » .

(٢) اللّهب : الصدع في الجبل ، أو الشعب الصغير فيه .

قريش : لا تثقوا بهم ؛ ولكن إذا جئنا الليل خرجنا عليهم حتى تأتي سمرقند ؛ فإننا إن أصبحنا معهم قتلونا .

قال : فعصوه وأقاموا ، فساقوهم إلى خاقان ؛ فقال : لا أجيز أمان غوزك ، فقال غوزك للوجف : أنا عبد لخاقان من شاكريته ، قالوا : فلم غررتنا ^(١) ؟ فقاتلهم الوجف وأصحابه ، فقتلوا غير سبعة عشر رجلاً دخلوا الحائط . وأمسوا ، فقطع المشركون شجرة فألقوها على ثلثة الحائط ؛ فجاء

١٥٤٣/٢

قريش بن عبد الله العبدى إلى الشجرة فرمى بها ؛ وخرج فى ثلاثة فباتوا فى ناووس ^(٢) فكمنوا ^(٣) فيه وجبن الآخرون فلم يخرجوا ، فقتلوا حين أصبحوا . وقتل سورة ؛ فلما قُتل خرج الجنيد من الشعب يريد سمرقند مبادراً ، فقال له خالد بن عبيد الله بن حبيب : سِرْ سِر ^(٤) ؛ ومجشتر بن مزاحم السلمى يقول : أذكرك الله أقم ؛ والجنيد يتقدم ، فلما رأى المجشتر ذلك نزل فأخذ بلجام الجنيد ، فقال : والله لا تسير ولنزلن طائعا أو كارها ، ولانددك تهلكتنا بقول هذا المجبرى ، انزل . فنزل ونزل الناس فلم يتنام ^(٥) نزولهم حتى طلع الترك ، فقال المجشتر : لو لقونا ونحن نسير ، ألم يستأصلونا ! فلما أصبحوا تناهضوا ، فأنكشفت طائفة ، وجال الناس ، فقال الجنيد : أيها الناس ؛ إنها النار ؛ فراجعوا . وأمر الجنيد رجلاً فنادى : أى عبد قاتل فهو حر ؛ فقاتل العبيد قتالا شديداً عجب الناس منه ؛ جعل أحدهم يأخذ اللبد فيجوبه ويجعله فى عنقه ، يتوقى به . فسر الناس بما رأوا من صبرهم ، فكر العدو ، وصبر الناس حتى انهزم العدو . ففضوا ، فقال موسى بن النعم ^(٦) للناس : أتفرحون بما رأيتم من العبيد ! والله إن لكم منهم ليوماً أرونان ^(٧) . ومضى الجنيد فأخذ العدو رجلاً من عبد القيس فكتفوه ، وعلقوا فى عنقه رأس بلعاء العنبرى بن مجاهد بن بلعاء ؛ فلقى الناس فأخذ بنو تميم الرأس فدفنوه ، ومضى الجنيد إلى سمرقند ؛ فحمل

١٥٤٤/٢

(١) ب : « عرضتنا » . (٢) ح ، ف : « فأتوا ناووساً » .

(٣) ب : « كنوا » . (٤) ابن الأثير : « سرو أسرع » .

(٥) ابن الأثير : « فلم يستم » . (٦) ابن الأثير : « النعراء » .

(٧) يوم أرونان ، قال فى اللسان : الشديد فى كل شيء من حر أو برد أو جلبة أو صياح ،

قال النابغة الجعدي :

فظلّ لنسوة النعمان منّا على سفوان يوم أرونان

عيال من كان مع سورة إلى مرو ، وأقام بالسغد أربعة أشهر ؛ وكان صاحب رأى خراسان في الحرب المجشتر بن مزاحم السلمى وعبد الرحمن بن صبح الحرقي وعبيد الله بن حبيب الهجري ، وكان المجشتر ينزل الناس على راياتهم ، ويضع المسالحي ليس لأحد مثل رأيه في ذلك ، وكان عبد الرحمن ابن صبح إذا نزل الأمر العظيم في الحرب لم يكن لأحد مثل رأيه ؛ وكان عبيد الله بن حبيب على تعبئة القتال ، وكان رجال من الموالي مثل هؤلاء في الرأي والمشورة والعلم بالحرب ؛ فنههم الفضل بن بسام مولى بني ليث وعبد الله ابن أبي عبد الله مولى بني سليم والبختري بن مجاهد مولى بني شيان .

قال : فلما انصرف الترك إلى بلادهم بعث الجنيدي سيف بن وصاف العجلي من سمرقند إلى هشام ، فجب عن السير وخاف الطريق ، فاستعفاه فأعفاه ؛ وبعث نهار بن توسعة أحد بني تيم اللات وزميسيل بن سويد^(١) المرئي ؛ مرة غطفان ، وكتب إلى هشام : إن سورة عصاني ، أمرته بلزوم الماء فلم يفعل ، فتفرق عنه أصحابه ، فأنتنى طائفة إلى كيسان ، وطائفة إلى نيسف ، وطائفة إلى سمرقند ، وأصيب سورة في بقية أصحابه .

١٥٤٥/٢

قال : فدعا هشام نهار بن توسعة ، فسأله عن الخبر فأخبره بما شهد ، فقال نهار بن توسعة :

لعمرك ما حابيتني إذ بعثتني ولكنما عرضتني للمتألف
دعوت لها قوماً فهابوا ركوبها وكننتُ امرأ ركاية للمخاوف^(٢)
فأيقنتُ إن لم يدفع الله أني طعامُ سباعٍ أو لطير عوائف
قرين عراك وهو أيسر هالك عليك وقد زملتُه بصحائف
فإني وإن آثرت منه قرابة لأعظم حظاً في جباة الخلائف
على عهد عثمان وقدنا وقبله وكنا أولى مجد تلبد وطارف

قال : وكان عراك معهم في الوفد ، وهو ابن عم الجنيدي ، فكتب إلى الجنيدي : قد وجهت إليك عشرين ألفاً مدداً ؛ عشرة آلاف من أهل البصرة عليهم عمرو بن مسلم ، ومن أهل الكوفة عشرة آلاف عليهم عبد الرحمن

(٢) ط : « ركاية للمخاوف »

(١) ابن الأثير : « وزيل بن سويد » .

ابن نُعَيْم ، ومن السلاح ثلاثين ألف رمح ومثلها تِرَسة ، فافرض فلا غاية لك في الفريضة لخمسة عشر ألفاً .

قال : ويقال إن الجُنَيْد أوفد الوفد إلى خالد بن عبد الله ، فأوفد خالد إلى هشام : إن سَورَةَ بن الحَرِّ خرج يتصيد مع أصحاب له فهجم عليهم التَّرك ، فأصيبوا . فقال هشام حين أتاه مصاب سورة : إنا لله وإنا إليه راجعون ! مُصَاب سَورَةَ بن الحَرِّ بخراسان والجراح بالباب ! وأبلى ^(١) نصر بن سيار يومئذ بلاء حسناً ، فانقطع سيفه ، وانقطع سيور ركابه ؛ فأخذ سيور ركابه ؛ فضرب بهارجلًا حتى أثخنه ، وسقط في اللهب مع سَورَةَ يومئذ عبد الكريم ابن عبد الرحمن الحنفى وأحد عشر رجلاً معه . وكان ممن سلم من أصحاب سَورَةَ ألف رجل ، فقال عبد الله بن حاتم بن النعمان : رأيت فساطيط مبنية بين السماء والأرض ؛ فقلت : لمن هذه ؟ فقالوا : لعبد الله بن بسطام وأصحابه ، فقتلوا من غد ؛ فقال رجل : مررت في ذلك الموضع بعد ذلك بحين فوجدت رائحة المسك ساطعة . قال : ولم يشكر الجُنَيْد لنصر ما كان من بلائه ، فقال نصر :

١٥٤٦/٢

إِنْ تَحْسُدُونِي عَلَى حُسْنِ الْبَلَاءِ لَكُمْ يَوْمًا ، فَمِثْلُ بَلَائِي جَزَّ لِي الْحَسَدَا
يَأْبَى إِلَهُ الَّذِي أَعْلَى بِقُدْرَتِهِ كَعَبِي عَلَيْكُمْ وَأَعْطَى فَوْقَكُمْ عَضْدَا
وَضَرَبَى التَّركَ عَنْكُمْ يَوْمَ فَرَقَكُمْ بِالسَّيْفِ فِي الشَّعْبِ حَتَّى جَاوَزَ السَّنَدَا
قال : وكان الجُنَيْد يوم الشَّعْب أخذ في الشَّعْب ، وهو لا يرى أن أحدًا
يأتيه من الجبال ، وبعث ابن الشَّخِير في مقدمته ، واتخذ ساقه ^(٢) ؛ ولم
يتخذ مجنبتين .

١٥٤٧/٢

وأقبل خاقان فهزم المقدمة ، وقتل من قتل منهم ، وجاءه خاقان من قبل ميسرته وجبغويه من قبل الميمنة ، فأصيب رجال من الأزد وتيم ، وأصابوا له سرادقات وأبنية ، فأمر الجُنَيْد حين أمسى رجلاً من أهل بيته ، فقال له : امش في الصفوف والدراجة ، وتسمع ما يقول الناس ؛ وكيف حالهم ؛ ففعل

ثم رجع إليه ، فقال : رأيتهم طيبة أنفسهم ، يتناشدون الأشعار ، ويقرءون القرآن ، فسرّه ذلك ، وحمّد الله .

قال : ويقال نهضت العبيد يوم الشعب من جانب العسكر وقد أقبلت الترك والسُّغْد ينحدرون ؛ فاستقبلهم العبيد وشدّوا عليهم بالعصيّ ، فقتلوا منهم تسعة ، فأعطاهم الجنيّد أسلابهم .

وقال ابن السَّجَّاف في يوم الشعب ؛ ويعني هشامًا :

أَذْكُرُ يَتَامَى بَأَرْضِ التُّرْكِ ضَائِعَةً هَزَلَى كَأَنَّهُمْ فِي الْحَائِطِ الْحَجَلُ
وَارْحَمْ ، وَإِلَّا فَهَبَهَا أُمَةٌ دَمِيرَتْ لَا أَنْفُسَ بَقِيَتْ فِيهَا وَلَا ثَقُلُ
لَا تَأْمُنَنَّ بِقَاءِ الدَّهْرِ بَعْدَهُمْ وَالْمَرْءُ مَا عَاشَ مَمْدُودٌ لَهُ الْأَمَلُ
لَا قَوْأَ كِتَابٍ مِنْ خَاقَانَ مُعْلِمَةٍ عَنْهُمْ يَضِيقُ فِضَاءُ السَّهْلِ وَالْجَبَلُ
لَمَّا رَأَوْهُمْ قَلِيلًا لَا صَرِيخَ لَهُمْ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمْ لِلَّهِ وَابْتَهِلُوا
وَبَايَعُوا رَبَّ مُوسَى بَيْعَةً صَدَقَتْ مَا فِي قُلُوبِهِمْ شَكٌّ وَلَا دَغْلُ

١٥٤٨/٢

قال : فأقام الجنيّد بِسَمَرْقَنْدَ ذلك العام ، وانصرف خاقان إلى بخارى وعليها قَطَنَ بن قتيبة ، فخاف الناس الترك على قَطَنَ ، فشاورهم الجنيّد ، فقال قوم : الزم سَمَرْقَنْدَ ، واكتب إلى أمير المؤمنين بمدّك بالجنود . وقال قوم : تسير فتأتي رِبَنْجَنَ ، ثم تسير منها إلى كِسَ ، ثم تسير منها إلى نَسَفَ ، فتصل منها إلى أرض زَمَ ؛ وتقطع النهر وتنزل آمِلَ ، فتأخذ عليه بالطريق .

فبعث إلى عبد الله بن أبي عبد الله ، فقال : قد اختلف الناس على — وأخبره بما قالوا — فما الرأي ؟ فاشتراط عليه ألاّ يخالفه فيما يشير به عليه من ارتحال أو نزول أو قتال ، قال : نعم ؛ قال : فإني أطلب إليك خِصَالًا ، قال : وما هي ؟ قال : تخندق حينما نزلت ؛ ولا يفوتنك حمل الماء ولو

١٥٤٩/٢

كنت على شاطئ نهر ، وأن تطيعني ^(١) في نزولك وارتحالك . فأعطاه ما أراد . قال : أما ما أشار به عليك في مقامك بِسَمَرْقَنْدَ حتى يأتيك الغياث ، فالغياث يبطل عنك ^(٢) ، وإن سرت فأخذت بالناس غير الطريق فتت في أعضادهم ؛

فانكسروا عن عدوهم ، فاجترأ عليك خاقان ؛ وهو اليوم قد استفتح بخارى فلم يفتحوا له ، فإن أخذت بهم غير الطريق تفرق الناس عنك مبادرين إلى منازلهم ، ويبلغ أهل بخارى فيستسلموا لعدوهم ؛ وإن أخذت الطريق الأعظم هابك العدو؛ والرأى لك أن تعمد إلى عيالات من شهيد الشعب من أصحاب سيرة فتقتسمهم على عشائرتهم وتحملهم معك ؛ فلإني أرجو بذلك أن ينصرك الله على عدوك ، وتعطى كل رجل تخلف بسمرقند ألف درهم وفرساً .

قال : فأخذ برأيه ، فخلف في سمرقند عثمان بن عبد الله بن الشخير في ثمانمائة : أربعمائة فارس وأربعمائة راجل ، وأعطاهم سلاحاً . فشم الناس عبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم ، وقالوا : عرضنا لخاقان والترك ، ما أراد إلا هلاكنا !

فقال عبيد^(١) الله بن حبيب لحرب بن صبيح : كم كانت لكم الساقة اليوم ؟ قال : ألف وستمائة ، قال : لقد عرضنا للهلاك . قال : فأمر الجنييد بحمل العيال . ١٥٥٠/٢

قال : وخرج والناس معه ، وعلى طلائعه الوليد بن القعقاع العبسي وزياد ابن خيران الطائي ، فسرح الجنييد الأشهب بن عبيد^(٢) الحنظلي ، ومعه عشرة من طلائع الجند ، وقال له : كلما مضيت مرحلة فسرّح إلى رجلا يعلمني الخبر .

قال : وسار الجنييد ؛ فلما صار بقصر الريح^(٣) أخذ عطاء الدبوسي بلجام الجنييد وكبحته ، فقرع رأسه هارون الشاشي مولى بني حازم بالرمح حتى كسره على رأسه ، فقال الجنييد هارون : خلّ عن الدبوسي ، وقال له : مالك يا دبوسي ؟ فقال : انظر أضعف شيخ في عسكرك فسلحه سلاحاً تاماً ، وقلّده سيفاً وجعبة وترساً ، وأعطه ربحاً ، ثم سِر بنا على قدر مشيه ؛ فإننا لا نقدر على السوق والقتال وسرعة السير ونحن رجالة . ففعل ذلك الجنييد ؛

(١) ط : « عبد » ؛ وما أثبتته من تصويبات ط .

(٢) ط : « عبيد الله » ؛ وأثبت ما في التصويبات .

(٣) ح : « الرمح » .

فلم يعرض للناس عارض حتى خرجوا من الأماكن المخوفة ، ودنا من الطواويس ، فجاءتنا الطلائع بإقبال خاقان ، فعرضوا له بكترمينية ، أول يوم من رمضان . فلما ارتحل الجنيد من كرمينية قدم محمد بن الرندي في الأساورة آخر الليل ، فلما كان في طرف مفازة كترمينية رأى ضعف العدو ؛ فرجع إلى الجنيد فأخبره ؛ فنادى منادى الجنيد : ألا يخرج المكتوبون ^(١) إلى عدوهم ؟ فخرج الناس ، ونشبت الحرب ، فنادى رجل : أيها الناس ، صرتم حرورية فاستقتلتم . وجاء عبد الله بن أبي عبد الله إلى الجنيد يضحك ، فقال له الجنيد : ما هذا بيوم ضحك ! فقيل له : إنه ضحك تعجباً ، فالحمد لله الذى لم يلقك هؤلاء إلا في جبال معطشة ؛ فهم على ظهر وأنت مخندق آخر النهار ، كالتين وأنت معلق الزاد ؛ فقاتلوا قليلاً ثم رجعوا . وكان عبد الله بن أبي عبد الله قال للجنيد وهم يقاتلون : ارتحل ، فقال الجنيد : وهل من حيلة ؟ قال : نعم ، تمضى برايتك قدّر ثلاث غلاء ^(٢) ، فإن خاقان ودّ أنك أقمت فينطوى عليك إذا شاء . فأمر بالرحيل وعبد الله بن أبي عبد الله على الساقة . فأرسل إليه : انزل ، قال : أنزل على غير ماء ! فأرسل إليه : إن لم تنزل ذهبت خراسان من يدك ؛ فنزل وأمر الناس أن يسقوا ، فذهب الناس الرجال والنساء ؛ وهم صفّان ؛ فاستقوا وابتوا ، فلما أصبحوا ارتحلوا ، فقال عبد الله ابن أبي عبد الله : إنكم معشر العرب أربعة جوانب ؛ فليس يعيب بعضهم بعضاً ؛ كل ربع لا يقدر أن يزول عن مكانه : مقدّمة - وهم القلب - ومجئتان وساقة ؛ فإن جمع خاقان خيله ورجاله ثم صدم جانباً منكم - وهم الساقة - كان بوارسكم ، وبالخرى أن يفعل ؛ وأنا أتوقع ذلك في يومى ، فشدوا الساقة بخيل . فوجه الجنيد خيل بنى تميم والمجففة ، وجاءت الترك فالت على الساقة ؛ وقد دنا المسلمون من الطواويس فاقتتلوا ، فاشتد الأمر بينهم ، فحمل سلم بن أحوز على رجل من عظماء الترك فقتله . قال : فتطير الترك ، وانصرفوا من الطواويس ؛ ومضى المسلمون ؛ فأتوا بخارى يوم المهرجان . قال : فتلقونا بدراهم بخارية ، فأعطاهم عشرة عشرة ، فقال عبد المؤمن بن خالد : رأيتُ

١٥٥٢/٢

(٢) غلاء : جمع غلوة ؛ وهى مرمى السهم .

(١) ب : « المكذبون » .

عبد الله بن أبي عبد الله بعد وفاته في المنام ، فقال : حَدَّثَ النَّاسَ عَنِّي بِرَأْيِ يَوْمِ الشَّعْبِ .

قال : وكان الجُنَيْدُ يذكر خالد بن عبد الله ، ويقول : رَبَّذَةَ مِنَ الرَّبِّذِ^(١) ، صَنْبُورَ ابْنِ صَنْبُورِ^(٢) ، قُلَّ ابْنُ قُلٍّ ، هَيْفَةَ مِنَ الْهَيْفِ - وزعم أن الهَيْفَةَ الضَّبْعُ ، والعُجْرَةُ الخنزيرة ، والقل : الفرد - قال : وقدمت الجند مع عمرو بن مسلم الباهلي في أهل البصرة وعبد الرحمن بن نعيم الغامدي^(٣) في أهل الكوفة وهو بالصَّغَانِيَانِ ، فسرح معهم الحوْثَرَةُ بن يزيد^(٤) العنبري فيمن انتدب معه من التجار وغيرهم ، وأمرهم أن يحملوا ذراري أهل سمرقند ، ويدعوا فيها المقاتلة . ففعلوا .

١٥٥٣/٢

قال أبو جعفر : وقد قيل : إن وقعة الشَّعْبِ بين الجُنَيْدِ وخاقان كانت في سنة ثلاث عشرة ومائة .

وقال نصر بن سيار يذكر يوم الشَّعْبِ وقتال العبيد :

إِنِّي نَشَأْتُ حُسَايَ ذُوو عَدَدٍ يَاذَا الْمَاعِجِ لَا تَنْقُصْ لَهُمْ عَدَدَا
إِنْ تَحْسَدُونِي عَلَى مِثْلِ الْبَلَاءِ لَكُمْ يَوْمًا فَمِثْلُ بِلَائِي جَرَّ لِي الْحَسَدَا
يَأْبَى إِلَهُ الَّذِي أَعْلَى بِقَدْرَتِهِ كَعَبِي عَلَيْكُمْ وَأَعْطَى فَوْقَكُمْ عُدَا
أَرْمِي الْعَدُوَّ بِأَفْرَاسٍ مُكَلَّمَةٍ حَتَّى اتَّخَذَنْ عَلَى حُسَايَ هَنَّا يَدَا^(٥)
مَنْ ذَا الَّذِي مِنْكُمْ فِي الشَّعْبِ إِذْ وَرَدُوا لَمْ يَتَّخِذْ حَوْمَةَ الْأَثْقَالِ مُعْتَمَدَا !
فَمَا حَفِظْتُمْ مِنَ اللَّهِ الْوَصَاةَ وَلَا أَنْتُمْ بِصَبْرٍ طَلَبْتُمْ حُسْنَ مَاوَعَدَا
وَلَا نَهَاكُمْ عَنِ التَّوَنُّابِ فِي عَتَبٍ إِلَّا الْعَبِيدُ بِضَرْبِ يَكْبِيرِ الْعَمَدَا
هَلَّا شَكَّرْتُمْ دِفَاعِي عَنْ جُنَيْدِكُمْ^(٦) وَقَعَ الْقَنَا وَشَهَابُ الْعَرَبِ قَدْ وَقَدَا !

(١) في اللسان عن اللحياني : « إنما أنت ربذة من الربذ ، أى متن لاخير فيك » .

(٢) في ابن الأثير : « الصنبور الذى لا أخ له . وقيل : الملقق » .

(٣) ط : « العامري » ، وما أثبتته من تصويبات ط .

(٤) ابن الأثير : « زيد » . (٥) ط : « حسادها » ، وهو خطأ وصوابه في ابن الأثير .

(٦) ابن الأثير : « هلا شديتم » .

وقال ابن عرس العبدى ، يمدح نصراً يوم الشعب ويذم الجنيد ؛ لأن ١٥٥٤/٢
نصراً أبلى يومئذ :

يا نصرُ أنت فتى نزارٍ كُلِّها فَلَكَ المائِرُ والفَعَالُ الأَرَفُ
فَرَجَتْ عَنْ كُلِّ القَبَائِلِ كُرْبَةً بِالشَّعْبِ حِينَ تَخَاضَعُوا وَتَضَعَعُوا
يَوْمَ الجُنَيْدِ إِذِ القَنَا مُتَشَاجِرُ والنَّحْرُ دَامَ والخَوَافِقُ تَلَمَعُ (١)
مَا زِلْتَ تَرْمِيهِمْ بِنَفْسِ حُرَّةٍ حَتَّى تَفَرَّجَ جَمْعُهُمْ وَتَصَدَّعُوا
فَالنَّاسُ كُلُّ بَعْدَهَا عَتَقَاوَكُمُ وَلَكِ المَكَارِمُ والمَعَالِي أَجْمَعُ

وقال الشرعى الطائى :

تَذَكَّرْتُ هِنْدًا فِي بِلَادِ غَرِيبَةٍ فَيَالِكَ شَوْقًا ، هَلْ لِيَسْمَلِكَ مَجْمَعُ !
تَذَكَّرْتُهَا وَالشَّاشُ بَنَى وَبَيْنَهَا وَشَعْبُ عِصَامٍ وَالْمَنَايَا تَطْلُعُ
بِلَادُ بِهَا خَاقَانُ جَمُّ زُحُوفُهُ وَنِيلَانُ فِي سَبْعِينَ أَلْفًا مُقْنَعُ
إِذَا دَبَّ خَاقَانُ وَسَارَتْ جَنُودُهُ أَتَتْنَا الْمَنَايَا عِنْدَ ذَلِكَ شُرْعُ
هَنَالِكَ - هِنْدُ - مَا لَنَا النِّصْفُ مِنْهُمْ وَمَا إِنَّ لَنَا يَا هِنْدُ فِي الْقَوْمِ مَطْمَعُ
أَلَا رُبَّ خَوْذٍ خَدَلَةٍ قَدْ رَأَيْتُهَا ١٥٥٥/٢ يَسُوقُ بِهَا جَهْمُ مِنَ الشَّغْدِ أَصْمَعُ
أُحَامِي عَلَيْهَا حِينَ وَلَّى خَلِيلُهَا تُنَادِي إِلَيْهَا الْمُسْلِمِينَ فَتَسْمَعُ (٢)
تَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهَا صَفَّ قَوْمِهَا أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ يَغَارُ فَيَرْجِعُ !
أَلَا رَجُلٌ مِنْكُمْ كَرِيمٌ يَرُدُّنِي يَرَى الْمَوْتَ فِي بَعْضِ الْمَوَاطِنِ يَنْفَعُ !
فَمَا جَاوَبُوهَا غَيْرَ أَنَّ نَصِيفَهَا بِكَفِّ الْفَتَى بَيْنَ الْبَرَازِيقِ أَشْنَعُ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نَبَوَّةَ فِي قُلُوبِهَا وَرُعْبًا مَلَأَ أَجْوَافَهَا يَتَوَسَّعُ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي أَلَوْكَأَ صَحِيفَةً إِلَى خَالِدٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَتَوَزَّعُ
بِأَنَّ بَقَايَانَا وَأَنَّ أَمِيرَنَا إِذَا مَا عَدَدْنَاهُ الدَّلِيلُ الْمَوْقِعُ

١٥٥٦/٢ هُمُ أَطْمَعُوا خَاقَانَ فِينَا وَجُنْدُهُ أَلَا لَيْتَنَا كُنَّا هَشِيمًا يُزَعَزَعُ

وقال ابن عرس - واسمه خالد بن المعارك من بني غنم بن وديعة بن لكيز بن أفصى . وذكر على بن محمد عن شيخ من عبد القيس أن أمه كانت أمة ، فباعه أخوه تميم بن معارك من عمرو بن لقيط أحد بني عامر بن الحارث ؛ فأعتقه عمرو لما حضرته الوفاة ، فقال : يا أبا يعقوب ؛ كم لي عندك من المال ؟ قال : ثمانون ألفاً ، قال : أنت حرٌّ وما في يديك لك . قال : فكان عمرو ينزل مَرَّو الروذ ؛ وقد اقتتل عبد القيس في ابن عرس ؛ فردَّوه إلى قومه ، فقال ابن عرس للجنيدي :

أَيْنَ حُمَاةُ الْحَرْبِ مِنْ مَعْشِرٍ كَانُوا جَمَالَ الْمَنْسَرِ الْحَارِدِ !
بَادُوا بِأَجَالٍ تَوَافَوْا لَهَا وَالْعَائِرُ الْمُمَهْلُ كَالْبَائِدِ
فَالْعَيْنُ تُجْرِي دَمْعَهَا مُسْبِلًا مَا لِدُمُوعِ الْعَيْنِ مِنْ ذَائِدِ
انْظُرْ تَرَى لِلْمَيْتِ مِنْ رَجْعَةٍ أَمْ هَلْ تَرَى فِي الدَّهْرِ مِنْ خَالِدِ !
كُنَّا قَدِيمًا يُتَّقَى بِأُسْنَا وَنَدْرًا الصَّادِرِ بِالْوَارِدِ

١٥٥٧/٢

حَتَّى مُنِينَا بِالذِّى شَامَنَا كَعَاوِرِ النَّاقَةِ لَا يَنْشِي
فَتَقَتْ مَا لَمْ يَلْتِمِ صَدْعُهُ تَبْكِي لَهَا إِنْ كَشَفْتَ سَاقَهَا
تَرْكُنَا أَجْزَاءَ مَعْبُوطَةٍ تَرْقَتْ الْأَسْيَافُ مَسْلُوكَةً
تَسَاقُطُ الْهَامَاتُ مِنْ وَقْعِهَا إِذْ أَنْتِ كَالطُّفْلِ فِي خِدْرِهَا
إِنَّا أَنَاسُ حَرْبُنَا صَعْبَةٌ أَضَحَتْ سَمَرْقُنْدُ وَأَشْيَاعُهَا
من بعد عز ناصر آيد مبندنا ذى حنق جاهد
بالحجفل المختشد الزائد جدعا وعقرا لك من قائد !
يقسمها الجازر للناهد تزيل بين العضد والساعد
بين جناحي مبرق راعد لم تدر يوما كيدة الكائد
تعصف بالقائم والقاعد أضحت سمرقند وأشياؤها

١٥٥٨/٢

وكم ثوى في الشعب من حازم
يَسْتَنْجِدُ الخَطْبَ وَيَغْشَى الوغى
لَيْتَكَ يَوْمَ الشَّعْبِ فِي حُفْرَةٍ
تَلْعَبُ بِكَ الحَرْبُ وَأَبْنَاوَهَا
طَارَ لَهَا قَلْبُكَ مِنْ خِيفَةٍ
لَا تَحْسِبَنَّ الحَرْبَ يَوْمَ الضحى
أَبْغَضْتُ مِنْ عَيْنِكَ تَبْرِيجَهَا
جُنَيْدُ مَا عِيْضُكَ مَنْسُوبُهُ^(١)
خَمْسُونَ أَلْفًا قَتَلُوا ضَيْعَةً
لَا تَمْرِينَ الحَرْبَ مِنْ قَابِلٍ
قَلَّدَتْهُ طَوْقًا عَلَى نَحْرِهِ
قَصِيدَةً حَبَّرَهَا شَاعِرٌ
جَلَدِ القَوَى ذِي مِرَّةٍ مَاجِدٍ
لَا هَائِبٍ غُسٍّ وَلَا نَاكِدٍ^(٢)
مَرْمُوسَةٍ بِالْمَدْرِ الجَامِدِ
لَعَبَ صُقُورٍ بِقَطَا وَارِدِ
مَا قَلْبُكَ الطَّائِرُ بِالْعَائِدِ
كَشْرِبِكَ المَزَاءِ بِالْبَارِدِ^(٣)
وَصُورَةٍ فِي جَسَدٍ فَاسِدٍ
نَبْعًا وَلَا جَدُّكَ . بالصَّاعِدِ
وَأَنْتَ مِنْهُمْ دَعْوَةُ النَاشِدِ
مَا أَنْتَ فِي الْعَدَوَةِ بِالحَامِدِ^(٤)
طُوقَ الحِمَامِ الغَرْدِ الفَارِدِ
تَسْعَى بِهَا البُرْدُ إِلَى خَالِدِ

* * *

وحجَّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي ؛ كذلك حدثني
أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وقد قيل : إن الذي حجَّ بالناس في هذه السنة سليمان بن هشام .
وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها الذين كانوا في سنة إحدى
عشرة ومائة ، وقد ذكرناهم قبل .

(١) النفس : الضعيف اللئيم .

(٢) المزاء : الخمر اللذيذة الطعم ، سميت بذلك للذعفا في الفم .

(٣) مندوبه ، بالرفع بدل اشتغال مما قبله .

(٤) ب وابن الأثير : « بالجامد » .

ثم دخلت سنة ثلاث عشرة ومائة
ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

• • •

[قتل عبد الوهاب بن بخت]

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ هَلَاكَ عَبْدِ الْوَهَابِ بْنِ بُخْتٍ ، وَهُوَ مَعَ الْبَطَّالِ
عَبْدِ اللَّهِ بِأَرْضِ الرُّومِ ؛ فَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو ، عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَمْرِو ؛ أَنَّ
عَبْدَ الْوَهَابِ بْنِ بُخْتٍ غَزَا مَعَ الْبَطَّالِ سَنَةَ ثَلَاثِ عَشْرَةٍ وَمِائَةٍ ، فَانْهَزَمَ النَّاسُ
عَنِ الْبَطَّالِ وَانْكَشَفُوا ، فَجَعَلَ عَبْدُ الْوَهَابِ يَكْرَهُ فَرَسَهُ وَهُوَ يَقُولُ (١) : مَا رَأَيْتُ
فَرَسًا أَجَبَنَ مِنْهُ ، وَسَقَلَكُ اللَّهُ دُمِي إِنْ لَمْ أَصْفِكَ دَمَكَ . ثُمَّ أُلْقِيَ بِيَضْتِهِ عَنْ
رَأْسِهِ وَصَاحَ : أَنَا عَبْدُ الْوَهَابِ بْنِ بُخْتٍ ؛ أَمِنْ الْجَنَّةِ تَفَرُّونَ ! ثُمَّ تَقَدَّمَ
فِي نَحْوِ الْعَدُوِّ ؛ فَرَبَّ رَجُلٍ وَهُوَ يَقُولُ : وَاعْطِشَاهُ ! فَقَالَ : تَقَدَّمَ ؛ الرَّبِّي
أَمَامَكَ ؛ فَخَالَطَ الْقَوْمَ فَقُتِلَ وَقُتِلَ فَرَسُهُ .

• • •

وَمِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ تَفْرِيقِ مُسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الْجَيْشِ فِي بِلَادِ خَاقَانَ
فَفَتَحَتْ مَدَائِنَ وَحِصُونًا عَلَى يَدَيْهِ ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ ، وَأَسْرَ وَسَبَى ، وَحَرَقَ خَلْقًا
كَثِيرًا مِنَ التُّرْكِ أَنْفُسَهُمْ بِالنَّارِ ؛ وَدَانَ لِمُسْلِمَةَ مَنْ كَانَ وَرَاءَ جِبَالِ بَلَنْجَرِ
وَقَتَلَ ابْنَ خَاقَانَ .

وَمِنْ ذَلِكَ غَزْوَةُ مُعَاوِيَةَ بْنِ هِشَامٍ أَرْضَ الرُّومِ فَرَابِطَ مِنْ نَاحِيَةِ مَرْعَشٍ
ثُمَّ رَجَعَ .

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ صَارَ مِنْ دُعَاةِ بَنِي الْعَبَّاسِ جَمَاعَةٌ (٢) إِلَى خُرَاسَانَ ، فَأَخَذَ
الْجُنَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ رِجَالًا مِنْهُمْ فَقَتَلَهُ ، وَقَالَ : مَنْ أَصِيبَ (٣) مِنْهُمْ قَدِمَهُ
هَلَسَ .

• • •

(١) ب ، ح : « ويقول » .

(٢) ف : « دعاة » .

(٣) ابن الأثير : « أصيب » .

وحجّ بالناس في هذه السنة - في قول أبي معشر - سليمان بن هشام بن عبد الملك؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت، عمّن ذكره، عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي .

وقال بعضهم : الذي حجّ بالناس في هذه السنة إبراهيم بن هشام المخزومي . وكان عمّال الأمصار في هذه السنة هم الذين كانوا عمّالها في سنة إحدى عشرة واثنتي عشرة ؛ وقد مضى ذكرنا لهم .

ثم دخلت سنة أربع عشرة ومائة

ذكر الإخبار عن الأحداث التي كانت فيها

فمن ذلك غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وسليمان بن هشام على الصائفة اليمنى ؛ فذكر أن معاوية بن هشام أصاب رِبَضَ^(١) أقرن، وأن عبد الله البطال التقى وقسطنطين في جَمْعٍ فهُزِمَهم ؛ وأسر قسطنطين ؛ وبلغ سليمان ابن هشام قيسارية .

* * *

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك إبراهيم بن هشام عن المدينة ، وأمر عليها خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم . قال الواقدي : قدم خالد بن عبد الملك المدينة للنصف من شهر ربيع الأول ؛ وكانت إمرة إبراهيم ابن هشام على المدينة ثمانى سنين .

وقال الواقدي : في هذه السنة ولي محمد بن هشام الخزومي مكة . وقال بعضهم : بل ولي محمد بن هشام مكة سنة ثلاث عشرة ومائة ، فلما عزل إبراهيم أقر محمد بن هشام على مكة . وفي هذه السنة وقع الطاعون - فيما قيل - بواسط .

وفيها قفل^(٢) مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعد ما هزم خاقان وبنى الباب فأحكم ما هنالك .

١٥٦٢/٢

وفي هذه السنة ولي هشام مروان بن محمد أرمينية وأذربيجان .

* * *

واختلف فيمن حج بالناس في هذه السنة ، فقال أبو معشر - فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه : حج بالناس سنة أربع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ؛ وهو على المدينة .

(٢) ابن الأثير : « أقبل » .

(١) الرِبَض : سور المدينة .

وقال بعضهم : حجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام ؛ وهو أمير مكة ، فأقام خالد بن عبد الملك تلك السنة ، لم يشهد الحجّ .
قال الواقدي : حدثني بهذا الحديث عبد الله بن جعفر ، عن صالح بن كيسان .

قال الواقدي : وقال لي أبو معشر : حجّ بالناس سنة أربع عشرة ومائة خالد بن عبد الملك ، ومحمد بن هشام على مكة . قال الواقدي : وهو الثبّت عندنا .

• • •

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة هم العمّال الذين كانوا في السنة التي قبلها ؛ غير أنّ عامل المدينة في هذه السنة كان خالد بن عبد الملك ، وعامل مكة والطائف محمد بن هشام ، وعامل أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد .

ثم دخلت سنة خمس عشرة ومائة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها من ذلك غزوة معاوية بن هشام أرض الروم .
وفيهما وقع الطاعون بالشام .

١٥٦٣/٢

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ؛ وهو أمير مكة والطائف ، كذلك قال أبو معشر ، فيما حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة عمّالها في سنة أربع عشرة ومائة ، غير أنه اختلف في عامل خراسان في هذه السنة ، فقال المدائني : كان عاملها الجعيد بن عبد الرحمن ، وقال بعضهم : كان عاملها عمارة بن حُرَيْم المَرِّي . وزعم الذي قال ذلك أن الجعيد مات في هذه السنة ، واستخلف عمارة بن حُرَيْم . وأما المدائني فإنه ذكر أن وفاة الجعيد كانت في سنة ست عشرة ومائة .

وفي هذه السنة أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة ، فكتب الجعيد إلى الكور : إن مرو كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان ، فكفرت بأنعم الله ، فاحملوا إليها الطعام .

قال علي بن محمد : أعطى الجعيد في هذه السنة رجلاً درهماً ، فاشترى به رغيفاً ، فقال لهم : تشكون الجوع ورغيف بدرهم ! لقد رأيتني بالهند وإن الحبة من الحبوب لتباع عدداً بالدرهم ؛ وقال : إن مرو كما قال الله عز وجل : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً ﴾ (١) .

ثم دخلت سنة ست عشرة ومائة ذكر ما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك ما كان من غزوة معاوية بن هشام أرض الروم الصائفة .
وفيهما كان طاعونٌ شديد بالعراق والشَّام ؛ وكان أشدَّ ذلك - فيما ذكر - بواسط .

* * *

[وفاة الجُنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله خراسان]
وفيهما كانت وفاة الجُنيد بن عبد الرحمن وولاية عاصم بن عبد الله بن
يزيد الهلالي خراسان .

* ذكر الخبر عن أمرهما :

ذكر علي بن محمد ، عن أشياخه ، أن الجُنيد بن عبد الرحمن تزوج
الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فغضب هشام على الجُنيد ، وولّى عاصم بن
عبد الله خراسان ؛ وكان الجُنيد سَقَى^(١) بطنه ، فقال هشام لعاصم : إن
أدركته وبه رمق فأزهق نفسه ، فقدم عاصم وقد مات الجُنيد .

قال : وذكروا أن جبلة بن أبي رواد دخل على الجُنيد عائداً ، فقال :
يا جبلة ، ما يقول الناس ؟ قال : قلت يتوجعون^(٢) للأمر ؛ قال : ليس عن
هذا سألتك ، ما يقولون ؟ وأشار نحو الشَّام بيده . قال : قلت : يقدم على
خراسان يزيد بن شجرة الرَّهاوي ، قال : ذلك سيّد أهل الشَّام ، قال : ومن ؟
قلت : عصمة أو عصام ، وكنيت عن عاصم ، فقال : إن قدّم عاصم
فعدوّ جاهد ؛ لا مرحباً به ولا أهلاً .

٥/٢

قال : فمات في مرضه ذلك في المحرم سنة ست عشرة ومائة ، واستخلف
عمارة بن حُرَيم . وقدم عاصم بن عبد الله ، فحبس عمارة بن حُرَيم
وعمال الجُنيد وعذبهم . وكانت وفاته بمرو ، فقال أبو الجُوَيْرية عيسى
ابن عصمة يرثيه :

(١) ح : « يشكو بطنه » ، والسق : ماء أصفر يقع في البطن ، يقال : سقى بطنه ، أى
اجتمع فيه ماء أصفر .
(٢) ب : « يتوجمون » .

هلك الجُودُ والجُنيدُ جميعاً فعلى الجود والجُنيد السلامُ
 أصبحا ثاويين في أرض مَرُو ماتَغْنَتْ على الغُصونِ الحمامُ^(١)
 كنتما نُزْهَةً الكرامِ فلما مِتَّ ماتَ النَّدى وماتَ الكِرامُ
 ثم إنَّ أبا الجورِية أتى خالد بن عبد الله القسريّ وامتدحه ، فقال له
 خالد : ألسْتَ القاتل :

* هلك الجود والجُنيد جميعاً *

مالك عندنا شيء ، فخرج فقال :
 تَظَلُّ لاميعة الآفاقِ تحمِلُنَا إلى عُمارة والقُودِ السَّراهِيدِ
 قصيدة امتدح بها عُمارَةُ بن حُرَيم ، ابنَ عَمِّ الجُنيد ؛ وعُمارة هو جدُّ
 أبي الهيثمِ دام صاحب العصبية بالشَّام .
 قال : وقدم عاصم بن عبد الله فحبس عمارَةَ بن حُرَيم وعمال الجُنيد وعذَّبهم .

* * *

[ذكر خلع الحارث بن سريج]

وفي هذه السنة خلع الحارث بن سريج ، وكانت الحرب بينه وبين
 عاصم بن عبد الله .

* ذكر الخبر عن ذلك :

١٥٦٦/٢

ذكر عليّ عن أشياخه ، قال : لما قدم عاصم خراسان والياً ، أقبل الحارث
 ابن سُرَيج من التَّخُدِّ حتَّى وصل إلى الفارياب ، وقدم أمامه بشر بن جَرْمُوز .
 قال : فوجّه عاصم الخطَّابَ بن محرز السُّلَميَّ ومنصورَ بن عمر بن أبي الحَرَفَاءِ
 السُّلَميَّ وهلال بن عُلَيم التَّميميَّ والأشهبَ الحنظليَّ وجريز بن هميان
 السدوسيَّ ومقاتل بن حيَّان النَّبطيَّ مولى مصقلة إلى الحارث ؛ وكان خطَّاب
 ومقاتل بن حيَّان قالا : لا تلقوه إلا بأمان ، فأبى عليهما القوم ؛ فلما انتهوا
 إليه بالفارياب قيدهم وجسَّهم ، ووكل بهم رجال يحفظهم . قال : فأوثقوه
 وخرجوا من السَّجَن ، فركبوا دوابَّهم ، وساقوا دوابَّ البريد ، فرأوا بالطالقان

(١) ح ، ف : « ما تنى » .

فهم سهرَب صاحب الطالِقان بهم ، ثم أمسك وتركهم . فلما قدموا مرو أمرهم عاصم فخطبوا وتناولوا الحارث ، وذكروا خبث سيرته وغدره . ثم مضى الحارث إلى بلخ وعليها نصر ، فقاتلوه ؛ فهزم أهل بلخ ومضى نصر إلى مرو .

وذكر بعضهم : لما أقبل الحارث إلى بلخ وكان عليها التُّجِيبِيّ بن ضُبَيْعة المَرِّي ١٥٦٧/٢ ونصر بن سيار ، ولأهما الجُنَيْد . قال : فأنتهى إلى قنطرة عطاء وهي على نهر بلخ على فرسخين من المدينة ، فتلقى نصر بن سيار في عشرة آلاف والحارث بن سُريج في أربعة آلاف ، فدعاهم الحارث إلى الكتاب والسنة والبيعة للرضا ؛ فقال قطن بن عبد الرحمن بن جَزِيّ الباهليّ : يا حارث ؛ أنت تدعو إلى كتاب الله والسنة ؛ والله لو أن جبريل عن يمينك وميكائيل عن يسارك ما أجبتك ؛ فقاتلهم فأصابته رمية في عينه ؛ فكان أول قتيل . فانهزم أهل بلخ إلى المدينة ، وأتبعهم الحارث حتى دخلها ؛ وخرج نصر من باب آخر ، فأمر الحارث بالكف عنهم ، فقال رجل من أصحاب الحارث : إني لأمشي في بعض طرق بلخ إذ مررت بنساء يبكين وامرأة تقول : يا أبتاه ! ليت شعري من دهاك ! وأعرابي إلى جَنْبِي يسير ؛ فقال : مَنْ هذه الباكية ؟ فقيل له : ابنة قَطَن بن عبد الرحمن بن جَزِيّ ، فقال الأعرابي : أنا وأبيك دهيئتُك ، فقلت : أنت قتلتك ؟ قال : نعم .

قال : ويقال : قدم نصر والتُّجِيبِيّ على بلخ ، فحبسه نصر ، فلم يزل محبوساً حتى هزم الحارث نصرًا ؛ وكان التُّجِيبِيّ ضرب الحارث أربعين سوطاً في إمرة الجُنَيْد ، فحوّله الحارث إلى قلعة باذكر بزَمَ ، فجاء رجل من بني حَنْسِيفَة فادّعى عليه أنه قتل أخاه أيام كان على هَرَاة ، فدفعه الحارث إلى الحَنْفِيّ ، فقال له التُّجِيبِيّ : أفتدى منك بمائة ألف ، فلم يقبل منه وقتله . وقوم يقولون : قَتَلَ التُّجِيبِيّ في ولاية نصر قبل أن يأتيه الحارث .

قال : ولما غلب الحارث على بلخ استعمل عليها رجلاً من ولد عبد الله ابن خازم ، وسار ، فلما كان بالجوزجان دعا وابصة بن زُرارة العبديّ ، ودعا دجاجة ووحشاً العجليّين وبشر بن جُرْموز وأبا فاطمة ، فقال :

ما ترون ؟ فقال أبو فاطمة : مَرَوْ بِسَيْضَةِ خَرَّاسَانٍ ؛ وَفَرَسَانِهِمْ كَثِيرٌ ؛ لَوْلَمْ يَلْقَوْكَ إِلَّا بِعَبِيدِهِمْ لَانْتَصَفُوا مِنْكَ ، فَأَقِمْ فَإِنْ أَتَوْكَ قَاتَلْتَهُمْ وَإِنْ أَقَامُوا قَطَعْتَ الْمَادَّةَ عَنْهُمْ ، قَالَ : لَا أَرَى ذَلِكَ ، وَلَكِنْ ^(١) أَسِيرُ إِلَيْهِمْ . فَأَقْبَلَ الْحَارِثُ إِلَى مَرَوْ ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى بَلْخَ وَالْجَوْزْجَانَ وَالْفَارِيَّابَ وَالطَّالِقَانَ وَمَرَوْ الرَّوْذَ ، فَقَالَ أَهْلُ الدِّينِ ^(٢) مِنْ أَهْلِ مَرَوْ : إِنْ مَضَى إِلَى أَبْرِشَهْرٍ وَلَمْ يَأْتِنَا فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا ، وَإِنْ أَتَانَا نَكَبَ ^(٣) .

قَالَ : وَبَلَغَ عَاصِمًا أَنَّ أَهْلَ مَرَوْ يَكْتُبُونَ الْحَارِثَ ، قَالَ : فَأَجْمَعَ عَلَى الْخُرُوجِ وَقَالَ : يَا أَهْلَ خَرَّاسَانَ ، قَدْ بَايَعْتُمُ الْحَارِثَ بْنَ سُرَيْجٍ ^(٤) ، لَا يَقْصِدُ مَدِينَةَ إِلَّا خَلَيْتُمُوهَا لَهُ ، إِنِّي لَأَحِقُّ بِأَرْضِ قَوْمِ أَبْرِشَهْرٍ ، وَكَاتَبْتُ مِنْهَا إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَتَّى يَمْدَنِّي بِعَشْرَةِ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ . فَقَالَ لَهُ الْحِجْشَرُ بْنُ مَزَاحِمٍ : إِنْ أَعْطَوْكَ بَيْعَتَهُمْ بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ فَأَقِمْ ، وَإِنْ أَبَوْا فَسِرْحَنِي تَنْزِلَ أَبْرِشَهْرٍ ، وَتَكْتُبْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَيَمْدَكَ بِأَهْلِ الشَّامِ . فَقَالَ خَالِدُ بْنُ هَرِيمٍ أَحَدُ بَنِي ثَعْلَبَةَ بْنِ يَرْبُوعٍ وَأَبُو مُحَارِبٍ هَلَالُ بْنُ عُلَيْسٍ : وَاللَّهِ لَا نَخْلِيكَ وَالذَّهَابَ ، فَيَلْزِمُنَا دَيْنُكَ عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَنَحْنُ مَعَكَ حَتَّى نَمُوتَ إِنْ بَذَلْتَ الْأُمُوالَ . قَالَ : أَفْعَلْ ، قَالَ يَزِيدُ بْنُ قُرَّانَ الرِّيَّاحِيُّ : إِنْ لَمْ أَقَاتِلْ مَعَكَ مَا قَاتَلْتَ قَابِتَةً الْأَبْرَدُ بْنُ قُرَّةَ الرِّيَّاحِيُّ طَالِقًا ثَلَاثًا — وَكَانَتْ عِنْدَهُ — فَقَالَ عَاصِمٌ : أَكَلِكُمْ عَلَى هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ . وَكَانَ سَلَمَةُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ صَاحِبَ حَرَسِهِ يَحْلِفُهُمْ بِالطَّلَاقِ .

١٥٦٩/٢

قَالَ : وَأَقْبَلَ الْحَارِثُ بْنُ سُرَيْجٍ إِلَى مَرَوْ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ — يُقَالُ فِي سِتِينَ أَلْفًا — وَمَعَهُ فَرَسَانُ الْأَزْدِ وَتَمِيمٌ ؛ مِنْهُمْ مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَحَمَّادُ بْنُ عَامِرِ بْنِ مَالِكِ الْحِمَّانِيِّ وَدَاوُدُ الْأَعْمَرُ وَبُشَيْرُ بْنُ أَنَيْفٍ الرِّيَّاحِيُّ وَعِطَاءُ الدَّبُوسِيُّ . وَمِنَ الدِّهَاقِينَ الْجَوْزْجَانُ وَتَرْسَلُ دَهْقَانَ الْفَارِيَّابِ ^(٥) وَسَهْرَبُ ^(٦) الْمَلِكِ الطَّمَالِقَانَ ، وَقَرِيَّاقُسَ دَهْقَانَ مَرَوْ ، فِي أَشْبَاهِهِمْ .

قَالَ : وَخَرَجَ عَاصِمٌ فِي أَهْلِ مَرَوْ وَفِي غَيْرِهِمْ ؛ فَعَسَكَرَ بِجِيَّاسٍ عِنْدَ الْبَيْعَةِ ،

(١) ح : « وَلَكِنِّي » . (٢) ابْنُ الْأَثِيرِ : « أَهْلُ الرَّأْيِ » .

(٣) ب : « نَكَبْتُ » . (٤) ط : « شَرِيحٌ » وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَهُ مِنَ التَّصَوِّبَاتِ .

(٥) ط : « لِفَارِيَّابٍ » .

(٦) ط : « سَهْرَكٌ » ، وَأَنْظُرْ ص ٩٥ س ١ .

وأعطى الجند ديناراً ديناراً ، فخفّ عنه الناس ، فأعطاهم ثلاثة دنانير
ثلاثة دنانير ، وأعطى الجند وغيرهم ؛ فلما قرب بعضهم من بعض أمر بالقناطر
فكسّرت ، وجاء أصحاب الحارث فقالوا : تحصرونا في البريّة ! دعونا نقطع
إليكم فنناظركم فيما خرجنا له ، فأبَوْا وذهب رجالُهم يُصلِحون القناطر ،
فأتاهم رجالة أهل مَسْرُو فقاتلوه ؛ قال محمد بن المثنى الفراهيديّ برأيته إلى
عاصم فأماها في ألفين فأقّى الأزد ؛ ومال حماد بن عامر بن مالك الحِمَانيّ
إلى عاصم ، وأقّى بني تميم .

قال سلمة الأزديّ : كان الحارث بعث إلى عاصم رسلاً - منهم محمد
ابن مسلم العنبريّ - يسألونه العملَ بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم .
قال : والحارث بن سريج يومئذ على السواد . قال : فلما مال محمد بن المثنى
بدأ أصحاب الحارث بالحملة ، والتقى الناس ؛ فكان أوّل قتيل غياث بن
كلثوم من أهل الجارود ، فانهزم أصحاب الحارث ، فغرق بشر كثير من
أصحاب الحارث في أنهار مَسْرُو والنهر الأعظم ، ومضت الدّهاقين إلى بلادهم ؛
فضُرب يومئذ خالد بن علباء^(١) بن حبيب بن الجارود على وجهه ، وأُرسِل
عاصم بن عبد الله المؤمن بن خالد الحنفيّ وعِلباء بن أحمر اليشكريّ ويحيى بن
عقيل الحُزاعيّ ومقاتل بن حَيَّان النّبَطِيّ إلى الحارث يسأله ما يريد ؟ فبعث
الحارث محمد بن مسلم العنبريّ وحده ، فقال لهم : إنّ الحارث وإخوانكم
يقرعونكم السلام ، ويقولون لكم : قد عطشنا وعطشت دوابنا ، فدعونا ننزل
الليلة ، وتختلف الرّسل فيما بيننا وتتناظر ؛ فإن وافقناكم على الذي تريدون
ولّا كنتم مِن وراء أمركم ؛ فأبوا عليه وقالوا مقالا غليظاً ؛ فقال مقاتل
ابن حَيَّان النّبَطِيّ : يا أهل خراسان ؛ إنا كنا بمنزلة بيت واحد وثغرنا واحد ؛
ويدنا على عدونا واحدة ؛ وقد أنكرنا ما صنع صاحبكم ؛ وجهه إليه أميرنا بالفقهاء
والقرّاء من أصحابه ، فوجهه رجلاً واحداً . قال محمد : إنما أتيتمكم مبلغاً ،
نطلب كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وسيأتيكم الذي تطلبون من
غد إن شاء الله تعالى .

وانصرف محمد بن مسلم إلى الحارث ، فلما انتصف الليل سار الحارث فبلغ عاصمًا ، فلما أصبح سار إليه فالتقوا ، وعلى يمينه الحارث رايض بن عبدالله بن زرارة التغلبي ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فحمل يحيى بن حُضَيْن - وهو رأس بكر بن وائل ، وعلى بكر بن وائل زياد بن الحارث بن سريج - فقتلوا قتلاً ذريعاً ، فقطع الحارث وادى مَرَوْ ؛ فضرب رواقاً عند منازل الرهبان ، وكفّ عنه عاصم . قال : وكانت القتلى مائة ، وقتل سعيد بن سعد بن جزء الأزدي ، وغرق خازم بن موسى بن عبد الله بن خازم - وكان مع الحارث بن سريج - واجتمع إلى الحارث زهاء ثلاثة آلاف ، فقال القاسم بن مسلم : لما هُزم الحارث كفّ عنه عاصم ، ولو ألحّ عليه لأهلكه . وأرسل إلى الحارث : إني رادّ عليك ما ضمنت لك ولأصحابك ؛ على أن ترتحل ؛ ففعل .

١٥٧٢/٢

قال : وكان خالد بن عبيد الله بن حبيب أقي الحارث ليلة هزم ، وكان أصحابه أجمعوا على مفارقة الحارث ، وقالوا : ألم تزعم أنه لا يردّ لك راية ! فأتاهم فسكنهم .

وكان عطاء الدبوسي من الفُرسان ، فقال لغلامه يوم زرق : أسرج لي يردّوني لعلّي ألعب هذه الحمارة ، فركب ودعا إلى البراز ، فبرز له رجل من أهل الطالقان ، فقال بلغته : إي كبير خسر .

* * *

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله : وحجّ بالناس في هذه السنة الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وهو وليّ العهد ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره . وكانت عمال الأمصار في هذه السنّة عمالها في التي قبلها إلا ما كان من خراسان فإن عاملها في هذه السنة عاصم بن عبد الله الهلالي .

١٥٧٣/٢

ثم دخلت سنة سبع عشرة ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمما كان فيها غزوة معاوية بن هشام الصائفة اليسرى وغزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة اليمنى من نحو الجزيرة ، وفرق سراياه في أرض الروم .

وفيهما بعث مروان بن محمد - وهو على أرمينية - بعثين ، فافتتح أحدهما حصوناً ثلاثة من اللان ونزل الآخر على ثوماناشاه ، فنزل أهلها على الصلح . وفيها عزل هشام بن عبد الملك عاصم بن عبد الله عن خراسان ، وضمها إلى خالد بن عبد الله ، فولاهما خالد أخاه أسد بن عبد الله . وقال المدائني : كان عزل هشام عاصماً عن خراسان وضم خراسان إلى خالد بن عبد الله في سنة ست عشرة ومائة .

• • •

ذكر الخبر عن سبب عزل

هشام عاصماً وتوليته خالداً خراسان

وكان سبب ذلك - فيما ذكر على عن أشياخه - أن عاصم بن عبد الله كتب إلى هشام بن عبد الملك : أمّا بعد يا أمير المؤمنين ، فإنّ الرائد لا يكذب أهله ؛ وقد كان من أمر أمير المؤمنين إلى ما يحقّ به على نصيحته ؛ وإنّ خراسان لا تصلح إلّا أن تضمّ إلى صاحب العراق ؛ فتكون موادّها ومنافعها ومعونتها^(١) في الأحداث والنوائب^(٢) من قريب ؛ لتباعد أمير المؤمنين عنها وتباطؤ غيائه عنها .

فلما مضى كتابه خرج إلى أصحابه يحيى بن حُصَيْن والمجشّر بن مزاحم وأصحابهم ، فأخبرهم ، فقال له المجشّر بعد ما مضى الكتاب : كأنّك بأسد قد طلع عليك . فقدم أسد بن عبد الله ؛ بعث به هشام بعد كتاب عاصم بشهر ، فبعث الكُميت بن زيد الأسديّ إلى أهل مَرَوْ بهذا الشعر :

أَلَا أَبْلَغُ جَمَاعَةً أَهْلَ مَرَوْ
رِسَالَةً نَاصِحٍ يُهْدِي سَلَامًا
وَأَبْلَغُ حَارِثًا عَنَّا اعْتِذَارًا
وَلَوْ لَا ذَاكَ قَدْ زَارَتْكَ خَيْلٌ
فَلَا تَهْنُوا وَلَا تَرْضَوْا بِخَسْفٍ
وَكُونُوا كَالْبَغَايَا إِنْ خُدِعْتُمْ
وَلَا فَارَقُوا الرِّايَاتِ سُودًا
فَكَيْفَ وَأَنْتُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا
وَمَنْ وَلَّى بِدِمَّتِهِ رَزِينًا
وَمَنْ غَشَى قُضَاعَةً ثُوبَ خِزْيٍ
فَمَهْلًا يَا قُضَاعَ فَلَا تَكُونِي
وَكُنْتَ إِذَا دَعَوْتَ بَنِي نِزَارٍ
فَجُدَّعَ مِنْ قُضَاعَةٍ كُلُّ أَنْفٍ
قَالَ : وَرَزِينُ الَّذِي دُكِّرَ كَانَ خَرَجَ عَلَى خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بِالْكُوفَةِ ،
فَاعْطَاهُ الْأَمَانَ ثُمَّ لَمْ يَتَفَ بِهِ .

١٥٧٥/٢

وقال فيه نصر بن سيار حين أقبل الحارث إلى مَرَوْ وسود راياته — وكان
الحارث يرى رأى المرجئة :

دَعَّ عَنْكَ دُنْيَا وَأَهْلًا أَنْتَ تَارِكُهُمْ
إِلَّا بَقِيَّةَ أَيَّامٍ إِلَى أَجَلٍ
أَكْثَرَ تَقَى اللَّهَ فِي الْإِسْرَارِ مُجْتَهِدًا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ بِالْأَعْمَالِ مُرْتَهَنٌ
إِنِّي أَرَى الْغَبْنَ الْمُرْدَى بِصَاحِبِهِ
مَا خَيْرُ دُنْيَا وَأَهْلٍ لَا يَدُومُونَا!
فَاطْلُبْ مِنَ اللَّهِ أَهْلًا لَا يَمُوتُونَا
إِنَّ التَّقَى خَيْرُهُ مَا كَانَ مَكْنُونًا
فَكَنْ لِدَاكَ كَثِيرَ الْهَمِّ مَحْزُونًا
مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ مَغْبُونًا

تَكُونُ لِلْمَرْءِ أَطْوَارًا فَتَمْنَحُهُ (١)
 بَيْنَا الْفَتَى فِي نَعِيمِ الْعَيْشِ حَوْلَهُ
 تَخْلُو لَهُ مَرَّةً حَتَّى يُسَرَّ بِهَا
 هَلْ غَابِرٌ مِنْ بَقَايَا الدَّهْرِ تَنْظُرُهُ
 فَاْمْنَحْ جِهَادَكَ مَنْ لَمْ يَرْجُ آخِرَةَ
 وَاقْتُلْ مُوَالِيَهُمْ مِنَّا وَنَاصِرَهُمْ
 وَالْعَائِبِينَ عَلَيْنَا دِينَنَا وَهُمْ
 وَالْقَاتِلِينَ سَبِيلُ اللَّهِ بَغْيَتُنَا
 فَاقْتُلْهُمْ غَضَبًا لِلَّهِ مُنْتَصِرًا
 لِرِجَاؤِكُمْ لِرُكُومِ الشَّرِكِ فِي قَرْنٍ
 لَا يُبْعِدُ اللَّهُ فِي الْأَجْدَاثِ غَيْرَكُمْ
 أَلْقَى بِهِ اللَّهُ رُعبًا فِي نُحُورِكُمْ
 كَيْمَا نَكُونَ الْمُوَالِي عِنْدَ خَائِفَةٍ
 وَهَلْ تَعْيُونَ مِنَّا كَاذِبِينَ بِهِ
 يَأْبَى الَّذِي كَانَ يُبْلِي اللَّهُ أَوْلَكُمْ

يَوْمًا عِثَارًا وَطَوْرًا تَمْنَحُ اللَّيْنَا (٢)
 دَهْرٌ فَأَمْسَى بِهِ عَنْ ذَاكَ مَرْبُونَا ١٥٧٦/٢
 حِينًا وَتَمْقِرُهُ (٣) طَعْمًا أَحَابِينَا
 إِلَّا كَمَا قَدْ مَضَى فِيمَا تُقْضُونَا
 وَكُنْ عَدُوًّا لِقَوْمٍ لَا يُصَلُّونَا
 حِينًا تَكْفُرُهُمْ وَالْعَنَّهُمْ حِينًا
 شَرُّ الْعِبَادِ إِذَا خَابَرْتَهُمْ دِينَا
 لَبَّعْدَ مَا نَكْبُوا عَمَّا يَقُولُونَا
 مِنْهُمْ بِهِ وَدَعِ الْمُرْتَابَ مَقْتُونَا
 فَانْتُمْ أَهْلُ إِشْرَاكِ وَمَرْجُونَا
 إِذْ كَانَ دِينُكُمْ بِالْشَّرِكِ مَقْرُونَا
 وَاللَّهُ يَقْضِي لَنَا الْحُسْنَى وَيُعْلِينَا
 عَمَّا تَرُومُ بِهِ الْإِسْلَامَ وَالِدِينَا
 غَالٍ وَمُهْتَضِمٌ ، حَسْبِيَ الَّذِي فِينَا
 عَلَى النِّفَاقِ وَمَا قَدْ كَانَ يُبْلِينَا

١٥٧٧/٢ قال : ثم عاد الحارث لمحاربة عاصم ، فلما بلغ عاصمًا أن أسد بن عبد الله قد أقبل ، وأنه قد سير على مقدمته محمد بن مالك الحمداني ، وأنه قد نزل الدندانتقان ، صالح الحارث ، وكتب بينه وبينه كتاباً على أن ينزل الحارث أي كورخراسان شاء ، وعلى أن يكتب جميعاً إلى هشام ؛ يسألانه كتاب الله وسنة نبيه ؛ فإن أبي اجتماعاً جميعاً عليه . فحتم على الكتاب بعض الرؤساء ، وأبى يحيى

(١) ف : « أحياناً » .

(٢) ب : « منها عِثَاراً » .

(٣) تمقره : أي تمر الطعم له .

ابن حُصَيْنَ أَنْ يَخْتَمَ، وَقَالَ : هَذَا خَلْعٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ خَلَفَ بِنَ
خَلِيفَةَ لِيَحْيَى :

أَبَى هُمْ قَلْبِكَ إِلَّا اجْتَمَاعَا وَيَأْبَى رُقَادُكَ إِلَّا امْتِنَاعَا
بِغَيْرِ سَمَاعٍ وَلَمْ تَلْقَنِى أُحَاوِلُ مِنْ ذَاتِ لَهْوٍ سَمَاعَا
حَظَنَّا أُمِيَّةَ فِي مُلْكِهَا وَنَخْطِرُ مِنْ دُونِهَا أَنْ تُرَاعَى
نَدَافِعُ عَنْهَا وَعَنْ مُلْكِهَا إِذَا لَمْ نَجِدْ بِيَدَيْهَا امْتِنَاعَا
أَبَى شَعْبٌ مَا بَيْنَنَا فِي الْقَدِيمِ وَبَيْنَ أُمِيَّةٍ إِلَّا انْصِدَاعَا
أَلَمْ نَخْطِطْ هَامَةَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَنَنْتَزِعَ الْمُلْكَ مِنْهُ انْتِزَاعَا
جَعَلْنَا الْخِلَافَةَ فِي أَهْلِهَا إِذَا اصْطَرَعَ النَّاسُ فِيهَا اصْطِرَاعَا
نَصَرْنَا أُمِيَّةَ بِالْمُشْرِفِ إِذَا انْخَلَعَ الْمُلْكُ عَنْهَا انْخِلَاعَا
وَمَنَا الَّذِي شَدَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ وَلَوْ غَابَ يَحْيَى عَنِ التَّغْرِضَاعَا
عَلَى ابْنِ سُرَيْجٍ نَقَضْنَا الْأُمُورَ وَقَدْ كَانَ أَحْكَمَهَا مَا اسْتَطَاعَا
حَكِيمٌ مَقَالَتُهُ حِكْمَةٌ إِذَا شَتَّتَ الْقَوْمَ كَانَتْ جَمَاعَا
عَشِيَّةَ زَرْقٍ وَقَدْ أَرْمَعُوا قَمَعْنَا مِنَ النَّاكِثِينَ الزَّمَاعَا
وَلَوْلَا فَتَى وَائِلٍ لَمْ يَكُنْ لِيُنْضِجَ فِيهَا رَثِيسُ كُرَاعَا
فَقُلْ لِأُمِيَّةٍ تَرَعَى لَنَا أَيَادِي لَمْ نُجْزَهَا وَاضْطِنَاعَا
أَتْلَهَيْنَ عَنْ قَتْلِ سَادَاتِنَا وَنَأْبَى لِحَقْلِكَ إِلَّا اتِّبَاعَا
أَمَنْ لَمْ يُبْعَلْكَ مِنَ الْمُشْتَرِينَ كَاخَرَ صَادَفَ سُوقًا فَبَاعَا !
أَبَى ابْنُ حُصَيْنٍ لِمَا تَصَنَعَيْنِ إِلَّا اضْطِلَاعَا وَإِلَّا اتِّبَاعَا
وَلَوْ يَأْمُنُ الْحَارِثُ الْوَاثِلِينَ لِرَاعِكَ فِي بَعْضٍ مَنْ كَانَ رَاعَا
وَقَدْ كَانَ أَضْعَرَ ذَا نَيْرَبٍ أَشَاعَ الضَّلَالَةَ فِيهَا أَشَاعَا
كَفَيْنَا أُمِيَّةَ مَخْتُومَةً أَطَاعَ بِهَا عَاصِمٌ مَنْ أَطَاعَا

فلولا مَرَاكِزُ رَايَاتِنَا مِنْ الْجَنْدِ خَافَ الْجَنْودُ الضِّيَاعَا
وَصَلَّنَا الْقَدِيمَ لَهَا بِالْحَدِيثِ وَتَابَى أَمِيَّةٌ إِلَّا انْقِطَاعَا
ذَخَائِرُ فِي غَيْرِنَا نَفْعُهَا وَمَا إِنْ عَرَفْنَا لَهُنَّ انْتِفَاعَا
وَلَوْ قَدَمَتْهَا وَبَانَ الْحِجَا بُلَا رَتَعَتْ بَيْنَ حَشَاكِ ارْتِيَاعَا
فَأَيْنَ الْوَفَاءَ لِأَهْلِ الْوَفَاءِ وَالشُّكْرُ أَحْسَنُ مِنْ أَنْ يُضَاعَا!
وَأَيْنَ ادْخَارُ بَنِي وَائِلٍ إِذَا الدُّخْرُ فِي النَّاسِ كَانَ ارْتِجَاعَا!
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ أَسْيَافَنَا تُدَاوِي الْعَلِيلَ وَتُشْفِي الصُّدَاعَا!
إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللَّوَاءِ أَسْلَمَ أَهْلُ الْقِلَاعِ الْقِلَاعَا
إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللَّوَاءِ أَشَارَ النُّسُورَ بِهِ وَالضُّبَاعَا
إِذَا ابْنُ حُضَيْنٍ غَدَا بِاللَّوَاءِ ذَكَّى وَكَانَتْ مَعْدُ جُدَاعَا

١٥٧٩/٢

قال : وكان عاصم بن سليمان بن عبد الله بن شراحيل اليشكري من أهل الرأى ، فأشار على يحيى بنقض الصحيفة ؛ وقال له : « غمراتٌ ثم ينجلين » ، وهى المغمضات ، فغمض .

قال : وكان عاصم بن عبد الله فى قرية بأعلى مَرَوْ لكندة ، ونزل الحارث قرية لبني العنبر ؛ فالتقوا بالخيـل والرجال ، ومع عاصم رجل من بني عبيس فى خمسمائة من أهل الشام وإبراهيم بن عاصم العُقَيْلَى فى مثل ذلك ؛ فنادى منادى عاصم : مَن جاء برأسٍ فله ثلثمائة درهم ؛ فجاء رجل من عماله برأس وهو عاض على أنفه ، ثم جاءه رجل من بني ليث - يقال له ليث بن عبد الله - برأس ، ثم جاء آخر برأس ، فقبل لعاصم : إن طمع الناس فى هذا لم يدعوا ملاحاً ولا عِلْجاً إلا أتوك برأسه ؛ فنادى مناديه : لا يأتنا أحد برأس ؛ فن أتانا به

١٥٨٠/٢

فليس له عندنا شيء ؛ وانهمز أصحاب الحارث فأسروا منهم أسارى ، وأسروا عبد الله بن عمرو المازنى رأس أهل مَرَوْ الرّوذ ، وكان الأسراء ثمانين ؛ أكثرهم من بني تميم ، فقتلهم عاصم بن عبد الله على نهر الدانلثقان . وكانت الهلابة بعثت من الشام رجلاً يعدل بألف يكنى أبا داود ، أيام العصية فى

خمسائة ؛ فكان لا يمرّ بقرية من قرى خراسان إلا قال : كأنكم بي قد مررت راجعاً حاملاً رأس الحارث بن سريج ؛ فلما التقوا دعا إلى البراز ، فبرز له الحارث بن سريج ؛ فضربه فوق منكبه الأيسر فصرعه ، وحامى عليه أصحابه فحملوه فخلوط ؛ فكان يقول : يا أبرشهر الحارث بن سريجاه ! يا أصحاب المعموراه ! ورمى فرس الحارس بن سريج في لبّانه ، فترع النشابة ؛ واستحضره وألح عليه بالضرب حتى نزقه^(١) وعرقه ، وشغله عن ألم الجراحة . قال : وحمل عليه رجل من أهل الشام ؛ فلما ظن أن الرمح مخالطه ؛ مال عن فرسه واتبع الشامي ، فقال له : أسألك بحزمة الإسلام في دمي ! قال : انزل عن فرسك ؛ فنزل وركبه الحارث ، فقال الشامي : خذ السرج ؛ فوالله إنه خير من الفرس ، فقال رجل من عبد القيس :

تَوَلَّيْتُ قَرِيْشَ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَاتَّقَيْتُ بِنَا كُلَّ فَيْحٍ مِنْ خُرَاسَانَ أَغْبَرَا
فَلَيْتَ قَرِيْشاً أَصْبَحُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ يَعْمُومُونَ فِي لُجٍّ مِنَ الْبَحْرِ أَخْضَرَا ١٥٨١/٢

قال : وعظم أهل الشام يحيى بن حُضَيْنٍ لما صنع في أمر الكتاب الذي كتبه عاصم ، وكتبوا كتاباً ، وبعثوا مع محمد بن مسلم العنبري ورجل من أهل الشام ، فلقوا أسد بن عبد الله بالرّيّ - ويقال : لقوه ببيتهق - فقال : ارجعوا فإنّي أصلح هذا الأمر ، فقال له محمد بن مسلم : هُدِمت داري ، فقال : أبنيها لك ، وأردّ عليكم كلّ مظلمة .

قال : وكتب أسد إلى خالد ينتحل أنه هزم الحارث ، ويخبره بأمر يحيى . قال : فأجاز خالد يحيى بن حُضَيْنٍ بعشرة آلاف دينار وكساه مائة حلّة^(٢) . قال : وكانت ولاية عاصم أقلّ من سنة - قيل كانت سبعة أشهر - وقدم أسد ابن عبد الله وقد انصرف الحارث ، فحبس عاصماً وسأله عما أنفق ، وحاسبه فأخذه بمائة ألف درهم ، وقال : إنك لم تغز ولم تخرج من مَرّو ، ووافق عمارة بن حُرَيْم^(٣) وعمال الحنيد مجوسين عنده ؛ فقال لهم : أسير فيكم بسيرتنا أم بسيرة قومكم ؟ قالوا : بسيرتك ، فخلّى سبيلهم .

(١) نزقة : ضربه ضرباً شديداً . (٢) ابن الأثير : « ومائة من الخيل » .

(٣) ابن الأثير : « وأطلق عمارة بن حريم » .

قال عليّ عن شيوخته : قالوا : لما بلغ هشام بن عبد الملك أمرُ الحارث ١٥٨٢/٢ ابن سريج ، كتب إلى خالد بن عبد الله : ابعث أخاك يصلح ما أفسد ، فإن كانت رجيةً فلتكن به . قال : فوجه أخاه أسدًا إلى خراسان ، فقدم أسد وما يملك عاصم من خراسان إلا مَرَّو وناحية أبرشهر ، والحارث بن سريج بمَرَّو الروذ وخالد بن عبيد الله الهجريّ بآمل ، ويخاف^(١) ، إن قصد للحارث بمَرَّو الروذ دخل بخالد بن عبيد الله مَرَّو من قبيل آمل ، وإن قصد لخالد دخلها الحارث من قبيل مَرَّو الروذ ، فأجمع على أن يوجه عبد الرحمن بن نعيم الغامديّ في أهل الكوفة وأهل الشام في طلب الحارث إلى ناحية مَرَّو الروذ . وسار أسد بالناس إلى آمل ، واستعمل على بني تميم الحوثر بن يزيد العنبري ، فلقبهم خيل لأهل آمل ، عليهم زياد القرشيّ مولى حيّان النبطيّ عند ركايا عثمان ، فهزمهم حتى انتهوا إلى باب المدينة ، ثم كرّوا على الناس ، فقتل غلام لأسد بن عبد الله يقال له جبلة ؛ وهو صاحب عكمه ، وتحصّنوا في ثلاث مدائن لهم .

قال : فنزل عليهم أسد وحصرهم ، ونصب عليهم الحنايق ، وعليهم خالد ابن عبيد الله الهجريّ من أصحاب الحارث ، فطلبوا الأمان ، فخرج إليهم رويد ابن طارق القطعيّ ومولى لهم ، فقال : ما تطلبون ؟ قالوا : كتاب الله وسنة نبيه ١٥٨٣/٢ صلى الله تعالى عليه وسلم ، قال : فلكم ذلك ، قالوا : على ألاّ تأخذ أهل هذه المدن بجنائتنا . فأعطاهم ذلك ، واستعمل عليهم يحيى بن نعيم الشيبانيّ أحد بني ثعلبة بن شيبان ، ابن أخى مصقلة بن هبيرة . ثم أقبل أسد في طريق زم يريد مدينة بلخ ؛ فلتقاه مولى لمسلم بن عبد الرحمن ، فأخبره أن أهل بلخ قد بايعوا سليمان بن عبد الله بن خازم . فقدم بلخ ، واتخذ سفناً وسار منها إلى الترمذ ، فوجد الحارث محاصراً سنناً الأعرابيّ السلميّ ، ومعه بنو الحجاج بن هارون النميريّ ، وبنو زُرعة وآل عطية الأعور النميريّ في أهل الترمذ ، والسبل مع الحارث ، فنزل أسد دون النهر ، ولم يطق القطوع إليهم ولا أن يمدّهم ، وخرج أهل الترمذ من المدينة ، فقاتلوا الحارث قتالاً شديداً ، وكان الحارث استطرد لهم ، ثم كرّ عليهم ، فانهزموا فقتل يزيد بن الهيثم بن

(١) ب : « يخاف » ، ابن الأثير : « فخاف » .

المنخل وعاصم بن معول النجلى في خمسين ومائة من أهل الشام وغيرهم ؛ وكان بشر بن جرموز وأبو فاطمة الأيادى ومن كان مع الحارث من القرى يأتون أبواب الترمذ ، فيبكون ويشكون بنى مروان وجوزهم ؛ ويسألونهم النزول إليهم على أن يمالئوهم على حرب بنى مروان فيأبؤن عليهم ؛ فقال السبل وهو مع الحارث : يا حارث ؛ إن الترمذ قد بنيت بالطبول والمزامير ؛ ولا تفتتح بالبكاء وإنما تفتح بالسيف ، فقاتل إن كان بك قتال . وتركه السبل وأتى بلاده .

قال : وكان أسد حين مرّ بأرض زمّ تعرض للقاسم الشيبانى وهو فى حصن بزّم يقال له باذكر ؛ ومضى حتى أتى الترمذ ، فنزل دون النهر ، ووضع سريره على شاطئ النهر ؛ وجعل الناس يعبرون ؛ فنزلت سفينته عن سفن المدينة قاتلهم الحارث فى سفينة ؛ فالتقوا فى سفينة فيها أصحاب أسد ، فيهم أصغر بن عينة الحميرى ، وسفينة أصحاب الحارث فيها داود الأعسر ، فرمى أصغر فصكّت السفينة ، وقال : أنا الغلام الأحمرى ، فقال داود الأعسر : لأمر ما انتميت إليه ، لا أرض لك ! وألرزق سفينته بسفينة أصغر فاقتلوا ؛ وأقبل الأشكند وقد أراد الحارث الانصراف — فقال له : إنما جئتكم ناصراً لك ؛ وكمن الأشكند وراء دبر ؛ وأقبل الحارث بأصحابه ؛ وخرج إليه أهل الترمذ ، فاستطرد لهم فاتبعوه ، ونصر مع أسد جالس ينظر ؛ فأظهر الكراهية ، وعرف أن الحارث قد كادهم ، فظنّ أسد أنه إنما فعل ذلك شفقة على الحارث حين ولّى ؛ فأراد أسد معاتبة نصر ؛ فإذا الأشكند قد خرج عليهم ؛ فحمل على أهل الترمذ فهربوا . وقتل فى المعركة يزيد بن الهيثم بن المنخل الجرموزى من الأزد وعاصم بن معول — وكان من فرسان أهل الشام — ثم ارتحل أسد إلى بلخ ، وخرج أهل الترمذ إلى الحارث فهزموه ؛ وقتلوا أبا فاطمة وعكرمة وقوماً من أهل البصائر ، ثم سار أسد إلى سمرقند فى طريق زمّ ؛ فلما قدم زمّ بعث إلى الهيثم الشيبانى — وهو فى باذكر ؛ وهو من أصحاب الحارث — فقال : إنكم إنما أنكرتم على قومكم ما كان من سوء سيرتهم ؛ ولم يبلغ ذلك النساء ولا استحلال الفروج ولا غلبة المشركين على مثل سمرقند ؛ وأنا أريد سمرقند ؛

وعلى عهد الله وذمته ألا يبدأك مني شرٌّ ؛ ولك المؤاساة واللفظ والكرامة والأمان ولئن معك ؛ وأنت إن غمصت ما دعوتك إليه فعلى عهد الله وذمة أمير المؤمنين وذمة الأمير خالد إن أنت رميت بسهم ألا تؤمنك بعده ؛ وإن جمعت لك ألف أمان لا أفي لك به . فخرج إليه على ما أعطاه من الأمان فأمنه ، وسار معه إلى سمرقند فأعطاهم عطاء بن ، وحملهم على ما كان من دواب ساقها معه ، وحمل معه طعاماً من بخارى ، وساق معه شاء كثيرة ١٥٨٦/٢ من شاء الأكراد قسمها فيهم ؛ ثم ارتفع إلى ورغسر وماء سمرقند منها ، فسکر الوادي وصرفه عن سمرقند ؛ وكان يحمل الحجارة بيديه حتى يطرحها في السکر^(١) ، ثم قفل من سمرقند حتى نزل بلخ .

وقد زعم بعضهم أن الذي ذكرت من أمر أسد وأمر أصحاب الحارث كان في سنة ثمان عشرة .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة خالد بن عبد الملك .

وكان العامل فيها على المدينة ، وعلى مكة والطائف محمد بن هشام بن إسماعيل ، وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله ، وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد .

وفيها توفيت فاطمة بنت علي وسكينة ابنة الحسين بن علي .

* * *

[أمر أسد بن عبد الله مع دعاة بني العباس]

وفي هذه السنة أخذ أسد بن عبد الله جماعة من دعاة بني العباس بخراسان ، فقتل بعضهم ، ومثل ببعضهم ، وحبس بعضهم ؛ وكان فيمن أخذ سليمان بن كشير ومالك بن الهيثم وموسى بن كعب ولاهيز بن قريظ وخالد بن إبراهيم وطلحة بن رزيق ؛ فأتى بهم ، فقال لهم : يا فسقة ، ألم يقل الله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴾ ! (٢)

(١) مكر النهر ؛ سد فاه . والسكر : الشق ومنفرج الماء .

(٢) سورة المائدة الآية ٩٥ .

فذكر أن سليمان بن كثير قال : أتكلم أم أسكت ؟ قال : بل تكلم ،
قال : نحن والله كما قال الشاعر :

لو بغير الماء خلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصاري^(١)

تدري ما قصتنا ؟ صيدت والله العقارب بيدك أيها الأمير ؛ إنا أناس
من قومك ، وإن هذه المضرة إنما رفعوا إليك هذا لأننا كنا أشد الناس على
قتيبة بن مسلم ؛ وإنما طلبوا بثأرهم . فتكلم ابن شريك بن الصامت الباهلي ،
وقال : إن هؤلاء القوم قد أخذوا مرة بعد مرة ، فقال مالك بن الحيثم :
أصلح الله الأمير ! ينبغي لك أن تعتبر كلام هذا بغيره ؛ فقالوا : كأنك
يا أبا باهلة تطلبنا بثأر قتيبة ! نحن والله كنا أشد الناس عليه ؛ فبعث بهم
أسد إلى الحبس ، ثم دعا عبد الرحمن بن نعيم فقال له : ما ترى ؟ قال :
أرى أن تمن بهم على عشائهم ؛ قال : فالتميميان اللذان معهم ؟ قال : تخلى
سبيلهما ، قال : أنا إذا من عبد الله بن يزيد نفى ، قال : فكيف تصنع
بالربيعي ؟ قال : أخلتى والله سبيله . ثم دعا بموسى بن كعب وأمر به فألجم^(٢)
بلجام حمار ، وأمر باللجام أن يجذب فجدب حتى تحطمت أسنانه ، ثم
قال : اكسروا وجهه ، فدق أنفه ، ووجأ لحيته ، فندّر ضرس له . ثم دعا
بلاهر بن قريط ، فقال لاهز : والله ما في هذا الحق^(٣) ، أن تصنع بنا هذا ، وترك
اليائنين والربيعيين ، فضربه ثلثمائة سوط ، ثم قال : اصلبوه ، فقال الحسن بن
زيد الأزدي : هو لي جار وهو يرى مما قُدِّف به ؛ قال : فالآخرون ؟ قال :
أعرفهم بالبراة ، فخلت سبيلهم .

(١) لعدي بن زيد ، الأغاني ٢ : ١٦٤ . والاعتصار أن يغص الإنسان بالطعام فيمتصر
الماء ، وهو أن يشربه قليلا قليلا .
(٢) ح : « وألجم » .
(٣) ابن الأثير : « ما هذا بحق » .

ثم دخلت سنة ثمان عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك غزوة معاوية وسليمان ابني هشام بن عبد الملك أرض الروم .

[ولاية عمار بن يزيد على شيعة بني العباس بخراسان]

وفيها وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد إلى خراسان والياً على شيعة بني العباس ؛ ففزّل - فيما ذكر - مرو ، وغيّر اسمه وتسمّى بخيداش ، ودعا إلى محمد بن علي ؛ فسارع إليه الناس ، وقبلوا ما جاءهم به ؛ وسمعوا إليه وأطاعوا ، ثم غيّر ما دعاهم إليه ، وتكذّب وأظهر دين الخرميّة ؛ ودعا إليه ورخص لبعضهم في نساء بعض ؛ وأخبرهم أن ذلك عن أمر محمد بن علي ؛ فبلغ أسد بن عبد الله خبره ، فوضع عليه العيون حتى ظفر به ، فأتي به ؛ وقد تجهّز لغزو بلخ ؛ فسأله عن حاله ، فأغلظ خيداش له القول ، فأمر به فقطعت يده ، وقلع لسانه وسُملت عينه .

[ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع أصحابه]

فذكر علي بن محمد عن أشياخه ، قال : لما قدم أسد آمل في مبدئه ، ١٥٨٩/٢ أتوه بخيداش صاحب الهاشميّة ، فأمر به قرعة الطبيب ، فقطع لسانه ، وسمل عينه ، فقال : الحمد لله الذي انتقم لأبي بكر وعمر منك ! ثم دفعه إلى يحيى بن نعيم الشيباني عامل آمل . فلما قفل من سمرقند كتب إلى يحيى فقتله وصلبه بآمل ، وأتي أسد بجزور مولى المهاجر بن دارة الضبي ، فضرب عنقه بشاطئ النهر . ثم نزل أسد منصرفه من سمرقند بلخ ، فسرّح جديعاً الكرمانى إلى القلعة التي فيها ثقل الحارث وثقل أصحابه - (١) واسم القلعة التبوشكان من طخارستان العليا ، وفيها بنو برزى التغلبيون ، وهم أصحاب الحارث - فحصرهم الكرمانى حتى فتحها ، فقتل مقاتلتهم وقتل بني برزى ،

(١) من هنا تبدأ المقابلة على نسخة ١ ، الجزء الحادى عشر من تجرئة هذه النسخة .

وسبي عامة أهلها من العرب والموالى والذراريء، وباعهم فيمن يزيد في سوق بلخ، فقال علي بن يعلى - وكان شهد ذلك : نقم على الحارث أربعمائة وخمسون رجلاً من أصحابه ؛ وكان رئيسهم جرير بن ميمون القاضي ؛ وفيهم بشر بن أنيف الحنظلي وداود الأعسر^(١) الخوارزمي . فقال الحارث : إن كنتم لابد مفارقاً وطلبتم الأمان ، فاطلبوه وأنا شاهد ؛ فإنه أجدر أن يجيبوكم ، وإن ارتحلتم قبل ذلك لم يعطوا الأمان ، فقالوا : ارتحل أنت وخلقنا . ثم بعثوا بشر بن أنيف ورجلاً آخر ، فطلبوا الأمان فأمنهما أسد ووصلهما ، فغدروا بأهل القلعة ، وأخبراه أن القوم ليس لهم طعام ولا ماء ، فسرّح أسد الكرمانى في ستة آلاف ؛ منهم سالم بن منصور البسجلى^(٢) ، على ألفين ، والأزهر بن جرّموز النميرى في أصحابه ، وجند بلخ وهم ألفان وخمسمائة من أهل الشام ؛ وعليهم صالح بن القعقاع الأزدي ؛ فوجه الكرمانى منصور بن سالم في أصحابه ، فقطع نهر ضرغام ؛ وبات ليله^(٣) وأصبح ، فأقام حتى متّع النهار ؛ ثم سار يومه قريباً من سبعة عشر فرسخاً ، فأتعب خيله ، ثم انتهى إلى كشم من أرض جبغويه ؛ فأنتهى إلى حائط فيه زرع قد قصّب ، فأرسل أهل العسكر دوابهم فيه ، وبينهم وبين القلعة أربعة فراسخ . ثم ارتحل فلما صار إلى الوادى جاءتة الطلائع فأخبرته بمجىء القوم ورأسهم المهاجر بن ميمون ؛ فلما صاروا إلى الكرمانى كابدهم^(٤) فانصرفوا ، وسار حتى نزل جانباً من القلعة ؛ وكان أول ما نزل في زهاء^(٥) خمسمائة في مسجد كان الحارث بناه ؛ فلما أصبح تنامت إليه الخيل ، وتلاحقت من أصحاب الأزهر وأهل بلخ .

فلما اجتمعوا خطبهم الكرمانى ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يأهل بلخ ؛ لا أجد لكم مثلاً غير الزانية ؛ من أتاها أمكنته^(٦) من رجلها^(٧) ؛ أتاكم الحارث في ألف رجل من العجم فأمكنتموه من مدينتكم ، فقتل أشرافكم ، وطرّد أميركم ، ثم سرتّم معه من مكائفيه إلى مَرّو فخذلتموه ، ثم انصرف إليكم منهزماً فأمكنتموه من المدينة ؛ والذي نفسى بيده لا يبلغنى عن رجل

(١) ١ : « الأعسر » . (٢) ح ، ف : « العجلى » .
(٣) ١ : « ليلته » . (٤) ح ، ف : « كاتهم » .
(٥) ف : « رهط » . (٦) ف : « مكنته » . (٧) ١ : « رجلها » .

منكم كتب كتاباً إليهم في ستهم إلا قطعتُ يده ورجله وصلبته ؛ فأما من كان معي من أهل مَرَوْ فهم خاصتي ، ولست أخاف غدرهم ، ثم نهدي إلى القلعة فأقام بها يوماً وليلة من غير قتال ؛ فلما كان من الغد نادى مناد : إنا قد نبذنا إليكم بالعهد ؛ فقاتلوهم ؛ وقد عطش القوم وجاعوا ؛ فسألوا أن يتزلوا على الحكم ويترك لهم نساؤهم وأولادهم ، فزّلوا على حكم أسد ، فأقام أياماً . وقدم المهلب بن عبد العزيز العتكي بكتاب أسد ، أن يحملوا إلى خمسين رجلاً منهم ؛ فيهم المهاجر بن ميمون ونظراؤه من وجوههم ؛ فحملوا إليهم فقتلهم ؛ وكتب إلى الكرماني أن يصير الذين بقوا عنده أثلاثاً ، فثلث يصلبهم ، وثلث يقطع أيديهم وأرجلهم ، وثلث يقطع أيديهم ؛ ففعل ذلك الكرماني ، وأخرج أثقالهم فباعها فيمن يزيد ، وكان الذين قتلهم وصلبهم أربعمائة . واتخذ أسد مدينة بلخ داراً في سنة ثمان عشرة ومائة ، ونقل إليها الدواوين واتخذ المصانع ، ثم غزا طخارستان ثم أرض جينغويه ، ففتح وأصاب سببياً .

* * *

وفي هذه السنة عزل هشام خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم عن ١٥٩٢/٢ المدينة ، واستعمل عليها محمد بن هشام بن إسماعيل . ذكر الواقدي أن أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمرته^(١) على المدينة ؛ فصعد المنبر ، وصلى بالناس ستّة أيام ، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملاً على المدينة .

* * *

وفي هذه السنة مات علي بن عبد الله بن العباس ؛ وكان يكنى أبا محمد ، وكانت وفاته بالحميصة من أرض الشام ؛ وهو ابن ثمان-أو سبع-وسبعين سنة . وقيل إنه ولد في الليلة التي ضرب فيها علي بن أبي طالب وذلك ليلة سبع عشرة من رمضان من سنة أربعين ، فسماه أبوه علياً ، وقال : سميت باسم أحب الخلق إلى ، وكناه أبا الحسن ، فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريرته ، وسأله عن كنيته فأخبره ، فقال : لا يجتمع في عسكري هذا

الاسم والكنية لأحد ؛ وسأله : هل وُلِدَ له من ولد ؟ وكان قد ولد له يومئذ محمد بن عليّ ، فأخبره بذلك ، فكناه أبا محمد .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام وهو أمير مكة والمدينة والطائف . وقد قيل إنّما كان عامل المدينة في هذه السنة خالد بن عبد الملك ، وكان إلى محمد بن هشام فيها مكة والطائف ؛ والقول الأول قول الواقديّ .

وكان على العراق خالد بن عبد الله ، وإليه المشرق كله ، وعامله على خراسان أخوه أسد بن عبد الله ، وعامله على البصرة وأحداثها وقضاها والصّلاة بأهلها بلال بن أبي بُردة ، وعلى أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد بن مروان . ١٥٩٣/٢

ثم دخلت سنة تسع عشرة ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة الوليد بن القعقاع العبسي أرض الروم .
وفيهما غزا أسد بن عبد الله الحنظل ، فافتتح قلعة زغرذك ؛ وسار منها إلى
خيداش ، وبلا يديه من السبي والشاء ؛ وكان الجيش قد هرب إلى الصين .

* * *

[ذكر غزو الترك ومقتل خاقان]

وفيهما لقي أسد خاقان صاحب الترك فقتله ، وقتل بشراً كثيراً من أصحابه ،
وسلم أسد والمسلمون ، وانصرفوا بغنائم كثيرة وسبى .
ذكر الخبر عن هذه الغزوة :

ذكر علي بن محمد عن شيخه ؛ أنهم قالوا : كتب ابن السائجي إلى
خاقان أبي مزاحم - وإنما كنى أبا مزاحم لأنه كان يزاحم العرب - وهو
مؤال^(١) ، يعلمه دخول أسد الحنظل وتفرق جنوده فيها ؛ وأنه بجال مضبعة^(٢) . ١٥٩٤/٢
فلما أتاه كتابه أمر أصحابه بالجهاز - وكان لخاقان مرء وجبل حمى لا يقربهما
أحد ، ولا يتصيد فيهما ، يتركان للجهاد فضاء ، ما كان في المريج ثلاثة أيام ،
وما في الجبل ثلاثة أيام - فتجهزوا وارتعوا ودبغوا مسوك الصيد ؛ واتخذوا
منها أوعية ؛ واتخذوا القسي والنشاب ، ودعا خاقان ببرذون مسرج ملجم ،
وأمر بشاة فقطعت ثم علقت في المعاليق ، ثم أخذ شيئاً من مِلح فصيره في
كيس ، وجعله في منطقتة ؛ وأمر كل تركي أن يفعل مثل ذلك ، وقال : هذا
زادكم حتى تلقوا العرب بالحنظل .

وأخذ طريق خشوراع ؛ فلما أحس ابن السائجي أن خاقان قد أقبل
بعث إلى أسد : اخرج عن الحنظل فإن خاقان قد أظلك . فشتم رسوله ، ولم
يصدقه ؛ فبعث صاحب الحنظل : إنني لم أكذبك ؛ وأنا الذي أعلمته دخولك ؛

(١) كذا في ١ ، والوك : العهد . (٢) المضبعة : الهران .

وتفرق جندك ، وأعلمته أنها فُرْصَة له ، وسألته المدد ، غير أنك أمعرت^(١) البلاد ، وأصببت الغنائم ؛ فإن لقيك على هذه الحال ظفّر بك ؛ وعادني العرب أبداً ما بقيت . واستطال على خاقان واشتدت مؤوته ؛ وامتّن على بقوله : أخرجت العرب من بلادك ، ورددت عليك ملكك ؛ فعرف أسد أنه قد صدّقه ، فأمر بالأنقال أن تُقدّم ، وولّى عليها إبراهيم بن عاصم العقيلي^{١٥٩٥/٢} الجزري ، الذي كان ولي سجستان بعد ، وأخرج معه المشيخة ، فيهم كثير ابن أمية وأبوسليمان بن كثير الخزاعي وفُضَيْل بن حَيَّان المهرى وسنان بن داود القطعي ، وكان على أهل العالية سنان الأعرابي السلمي ، وعلى الأقباض عثمان ابن شباب الهمداني ، جد قاضي مَرَو ، فسارت الأنقال ؛ فكتب أسد إلى داود بن شُعيب والأصبغ بن ذؤالة الكلبي - وقد كان وجههما في وجه : إن خاقان قد أقبل ، فانضمّا إلى الأنقال ؛ إلى إبراهيم بن عاصم .

قال : ووقع إلى داود والأصبغ رجل دَبُوسِي ، فأشاع أن خاقان قد كسر^(٢) المسلمين ، وقتل أسداً .

وقال الأصبغ : إن كان أسد ومَن معه أصيبوا فإنّ فينا هشاماً ننحاز إليه ؛ فقال داود بن شعيب : قبح الله الحياة بعد أهل خراسان ! فقال الأصبغ : حبّذا الحياة بعد أهل خراسان ! قتل الجراح ومن معه فما ضرّ المسلمين كثير ضرّ ، فإن هلك أسد وأهل خراسان فلن يخذل الله دينه ، وإنّ الله حيّ قيوم ؛ وأمير المؤمنين حيّ وجنود المسلمين كثير . فقال داود : أفلا ننظر ما فعل أسد فنخرج على علم ! فسارا حتى شارفا عسكر إبراهيم فإذا هما بالنيران ، فقال داود : هذه نيران المسلمين أراها متقاربة ونيران الأتراك متفرقة ؛ فقال الأصبغ : هم في مَضِيق . ودنوا فسمعوا نهي الحمير ، فقال داود : أما علمت أن الترك ليس لهم^(٣) حمير ! فقال الأصبغ : أصابوها بالأمس ؛ ولم يستطيعوا أكلها في يوم ولا اثنين ؛ فقال داود : نسرّح فارسين فيكبران ؛ فبعثا فارسين ؛ فلما دنوا من العسكر كبراً ، فأجابهما^(٤) العسكر

(١) أمعرت البلاد ، أى سلبت ما فيها . (٢) ح ، ف : « هزم » .

(٣) ب : « لها » .

(٤) أ : « فأجابهم » .

بالتكبير ، فأقبلوا إلى العسكر الذى فيه الأثقال ؛ ومع إبراهيم أهل الصغانيان وصغان خذاه ؛ فقام إبراهيم بن عاصم مبادراً .

قال : وأقبل أسد^(١) من الختل نحو جبل الملح يريد أن يخوض نهر بلخ ، وقد قطع إبراهيم بن عاصم بالسبي وما أصاب . فأشرف أسد على النهر وقد أتاه أن خاقان قد سار من سوياب^(٢) سبع عشرة ليلة ، فقام إليه أبو تمام بن زحر وعبد الرحمن بن خنفر الأزديان ، فقالا : أصلح الله الأمير ! إن الله قد أحسن بلاءك في هذه الغزوة فغنمت وسلمت فاقطع هذه النطفة ، واجعلها وراء ظهرك . فأمر بهما فوجئت رقابهما ، وأخرجنا من العسكر وأقام يومه . فلما كان من الغد ارتحل وفي النهر ثلاثة وعشرون موضعاً يخوضه الناس ، وفي موضع مجتمع ماء يبلغ دفتى السرج ، فخاضه الناس ، وأمر أن يحمل كل رجل شاة ، وحمل هو بنفسه شاة ؛ فقال له عثمان بن عبد الله بن مطرف ابن الشخير : إن الذى أنت فيه من حمل الشاة ليس بأخطر مما تخاف ؛ ١٥٩٧/٢ وقد فرقت الناس وشغلتهم ، وقد أظلاك عدوك ، فدع هذا الشاء^(٣) لعنة الله عليه ، وأمر الناس بالاستعداد . فقال أسد : والله لا يعبر رجل ليست معه شاة حتى تفى هذه الغنم إلا قطعت يده ، فجعل الناس يحملون الشاء ؛ الفارس يحملها بين يديه والراجل على عنقه ؛ وخاض الناس . ويقال : لما حفر سنايك الخيل النهر صار بعض المواضع سباحة^(٤) فكان بعضهم يميل فيقع عن دابته ، فأمر أسد بالشاء أن تقذف ، وخاض الناس ، فما استكملوا العبور حتى طلعت عليهم الترك بالدتهم ، فقتلوا من لم يقطع ، وجعل الناس يقتحمون النهر . ويقال كانت المسلحة على الأزد وتميم ، وقد خلّف ضعفة الناس — وركب أسد النهر ، وأمر بالإبل أن يقطع بها إلى ما وراء النهر ، حتى تحمل عليها الأثقال ؛ وأقبل رهج من ناحية الختل ؛ فإذا خاقان ؛ فلما توافى معه صدر من جنده حمل على الأزد وبنى تميم فانكشفوا ، وركض أسد حتى انصرف إلى معسكره ، وبعث إلى أصحاب الأثقال الذين كان سرح أمامه . أن انزلوا وخذقوا مكانكم في بطن الوادى . قال : وأقبل خاقان ، فظن المسلمون

(٢) ط : « سويات » ، وما أثبتته من التصويبات .

(٤) ط : « سباحة » .

(١) ا : « إبراهيم » .

(٣) ف : « الشاة » .

أنه لا يقطع إليهم وبينهم وبينه النهر؛ فلما نظر خاقان إلى النهر أمر الأشكند
 — وهو يومئذ أصم بهذ نفس^(١) — أن يسير في الصف حتى يبلغ أقصاه ،
 ١٥٩٨/٢ ويسأل الفرسان وأهل البصّر بالحرب والماء : هل يطاق قطع النهر والحمل
 على أسد ؟ فكلّهم يقول : لا يطاق ؛ حتى انتهى إلى الأشتيخن ، فقال :
 بلى يطاق ، لأننا خمسون ألف فارس ؛ فإذا نحن اقتحمنا دفعة واحدة
 ردّ بعضنا عن بعض الماء فذهب جسرّيته . قال : فضربوا بكوساتهم^(٢)
 فظنّ أسد ومن معه أنه منهم وعيد ، فأقحموا دوابّهم ، فجعلت تنخر أشدّ
 النخير ؛ فلما رأى المسلمون اقتحامَ الترك ولّوا إلى العسكر ، وعبرت الترك فسطح
 رهّج عظيم لا يبصر الرّجل دابّته ، ولا يعرف بعضهم بعضاً ؛ فدخل المسلمون
 عسكرهم وحوّوا ما كان خارجاً ، وخرج الغلمان بالبراذع والعمد ،
 فضربوا وجوه الترك ؛ فأدبروا ، وبات أسد ؛ فلما أصبح — وقد كان عباً أصحابه
 من الليل تخوّفاً من غدر خاقان وغدّوه عليه ، ولم ير شيئاً — دعا وجوه
 الناس فاستشارهم ، فقالوا له : اقبل العافية ، قال : ما هذه عافية ، بل هي بليّة ،
 لقينا خاقان أمس فظفر بنا وأصاب من الجند والسلاح ؛ فما منعه منّا اليوم
 إلا أنه قد وقع في يديه أسراء فأخبروه بموضع الانتقال أمامنا ، فترك لقاءنا
 طمعاً فيها . فارتحل فبعث أمامه الطلائع ، فرجع بعضهم فأخبره أنه عاين
 طوقات^(٣) الترك وأعلاماً من أعلام الإشكند ، في بشر قليل . فسار والدوابّ
 مثقلة ، فقليل له : انزل^(٤) أيها الأمير واقبل العافية ، قال : وأين العافية فأقبلتها!
 إنما هي بليّة وذهاب الأنفس والأموال . فلما أمسى أسد صار إلى منزل ،
 ١٥٩٩/٢ فاستشار الناس : أينزلون أم يسرون ؟ فقال الناس : اقبل العافية ؛ وما عسى
 أن يكون ذهاب المال بعافيتنا وعافية أهل خراسان ! ونصر بن سيار مطرق ،
 فقال أسد : مالك يا بن سيار مطرقاً لا تتكلم ! قال : أصلح الله الأمير ! خلكتان
 كلتاكما لك ، إن تسير تُغيث منّ مع الانتقال وتخلصهم ، وإن أنت
 انتهيت إليهم وقد هلكوا فقد قطعت فحمة لا بدّ من قطوعها . فقبل رأيه
 وسار يومه كلّهُ .

(١) ط : « نسا » ؛ وأثبت ما في التصويبات . (٢) الكوس : الطبل .

(٣) في اللسان : الطاق : ضرب من الملابس ، قيل هو الطيلسان الأخضر . (٤) ب : « أقبل » .

قال : ودعا أسد سعيداً الصغير — وكان فارساً مولى باهلة ، وكان عالماً بأرض الخُتَل — فكتب كتاباً إلى إبراهيم يأمره بالاستعداد ؛ فإنَّ خاقان قد توجه إلى ما قبلك ، وقال : سيرُ بالكتاب إلى إبراهيم حيث كان قبل الليل ؛ فإن لم تفعل فأسد يرى من الإسلام إن لم يقتلك ؛ وإن أنت لحقت بالحارث فعلى أسد مثلُ الذي حلف ، إن لم يبع امرأتك الدلالُ في سوق بلخ وجميع أهل بيتك . قال سعيد : فادفع إلى فرسك الكُمَيْت الذَّنوب^(١) قال : لعمرى لئن جُدتَ بدمك ، وبخلتُ عليك بالفرس إلى للئيم . فدفعه إليه ، فسار على دابة من جنائبه ، وغلامه على فرس له ، ومعه فرس أسد يجنبه ؛ ١٦٠٠/٢ فلماً حاذى^(٢) الترك وقد قصدوا الأثقال طلبته طلائعهم ؛ فتحول على فرس أسد ، فلم يلحقوه ، فأتى إبراهيم بالكتاب ، وتبعه بعض الطلائع — يقال عشرون رجلاً — حتى رأوا عسكر إبراهيم^(٣) ، فرجعوا إلى خاقان فأخبروه . فغدا خاقان على الأثقال ، وقد خندق إبراهيم خندقاً ؛ فأناهم وهم قيام عليه ؛ فأمر أهل السَّغْد بقتالهم ؛ فلما دنوا من مسلحة المسلمين ثاروا في وجوههم فهزمهم ، وقتلوا منهم رجلاً ، فقال خاقان : اركبوا ، وصعد خاقان تلاً فجعل ينظر العورة ، ووجه القتال ، قال : وهكذا كان يفعل ؛ ينفر في رجلين أو ثلاثة ، فإذا رأى عورة أمر جنوده فحملت من ناحية العورة . فلما صعد التل رأى خلف العسكر جزيرة دونها مخاضة ، فدعا بعض قواد الترك ، فأمرهم أن يقطعوا فوق العسكر في مقطع وصفه حتى يصيروا إلى الجزيرة ، ثم ينحدروا في الجزيرة حتى يأتوا عسكر المسلمين من دُبُر ، وأمرهم أن يبدءوا بالأعاجم وأهل الصغانيان ، وأن يدعوا غيرهم ؛ فإنهم من العرب ، وقد عرفهم بأبنيتهم وأعلامهم ، وقال لهم : إن أقام القوم في خندقهم فأقبلوا إليكم دخلنا نحن خندقهم ؛ وإن ثبتوا على خندقهم فادخلوا من دُبُرهم عليهم . ففعلوا ودخلوا عليهم من ناحية الأعاجم ، فقتلوا صغان خُذاه وعمامة أصحابه ، واحتوا ١٦٠١/٢ على أموالهم ، ودخلوا عسكر إبراهيم فأخذوا عامة ما فيه ، وترك المسلمون التعبئة واجتمعوا في موضع ، وأحسوا بالهلاك ، فإذا رهج قد ارتفع وتربة سوداء ؛

(١) الكيت : الذي خالط حسرته قنوء . والذنوب : الفرس الوافر الذنب .

(٢) ب : « حاذته » . (٣) ب : « إبراهيم وعسكره » .

فإذا أسد في جنده قد أتاها ، فجعلت الترك ترتفع عنهم إلى الموضع الذي كان فيه خاقان ، وإبراهيم يتعجب من كفتهم وقد ظفروا وقتلوا مَنْ قتلوا وأصابوا ما أصابوا ، وهو لا يطمع في أسد .

قال : وكان أسد قد أغذ السير ، فأقبل حتى وقف على التلّ الذي كان عليه خاقان ، وتنحى خاقان إلى ناحية الجبل ، فخرج إليه مَنْ بَقِيَ مِمَّنْ كان مع الأتقال ، وقد قتل منهم بشرٌ كثيرٌ ؛ قتل يومئذٍ بركة بن خوليّ الراسبيّ وكثير بن (١) أمية ومشيخة من خزاعة . وخرجت امرأة صغّان خُذاه إلى أسد ، فبكت زوجها ، فبكى أسد معها حتى علا صوته ، ومضى خاقان يقود الأسراء من الجند في الأوْهاق (٢) ويسوق الإبل موقرةً والحواري .

قال : وكان مصعب بن عمرو الخزاعيّ ونفر من أهل خراسان قد أجمعوا على مواقتهم ، فكفّهم أسد ، وقال : هؤلاء قوم قد طابت لهم الرّيح واستكلبوا ، فلا تعرّضوا لهم . وكان مع خاقان رجل من أصحاب الحارث بن سُرّيج فأمره فنادى : يا أسد ؛ أما كان لك فيما وراء النهر مغزى ! إنك لشديد الحرص ، قد كان لك عن الحسّلت مندوحةٌ ؛ وهى أرض آبائي وأجدادى . فقال أسد : ١٦٠٢/٢ كان ما رأيت ؛ ولعلّ الله أن ينتقم منك . قال كورمغانون - وكان من عظماء الترك : لم أرَ يوماً كان أحسن من يوم الأتقال ، قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : أصبت أموالاً عظيمة ، ولم أرَ عدواً أسمع من أسراء العرب ؛ يعدو أحدهم فلا يكاد يبرح مكانه .

وقال بعضهم : سار خاقان إلى الأتقال ، فارتحل أسد ؛ فلما أشرف على الظّهر ، ورأى المسلمين الترك امتنعوا ، وقد كانوا قاتلوا المسلمين فامتنعوا ، فأتوا الأعاجم الذين كانوا مع المسلمين فقاتلوهم ، فأسروا أولادهم .

قال : فأردف كلّ رجل منهم وصيفاً أو وصيفة ، ثم أقبلوا إلى عسكر أسد عند مغيب الشمس . قال : وسار أسد بالنّاس ، حتى نزل مع الثقل . وصبّحوا أسداً من الغد ؛ وذلك يوم الفطر ، فكادوا يمتنعونهم من الصلاة . ثم انصرفوا ومضى أسد إلى بلخ ؛ فعسكر في مرّجها حتى أتى الشتاء ، ثم

(١) ط : « أبو » ، وانظر الفهرس . (٢) الوق : الجبل .

تفرّق الناس في الدور ، ودخل المدينة ، ففي هذه الغزاة قيل له بالفارسية :

أَزْ خُتْلَانْ آمَدِيه بَرُوْتَبَاهْ آمَدِيه^(١)

آبار جِبارْ آمَدِيه خُشك نِزار آمَدِيه ١٦٠٣/٢

قال : وكان الحارث بن سريج بناحية طخارستان ؛ فانضمّ إلى خاقان ؛ فلما كان ليلة الأضحى قيل لأسد : إنّ خاقان نزل جِزّة ، فأمر بالنيران فرفعت على المدينة ، فجاء الناس من الرّسّاتيق إلى مدينة بلخ ، فأصبح أسد فصلّى وخطب الناس ، وقال : إن عدوّ الله الحارث بن سريج استجلب طاغيته ليطغى نور الله ، ويبدّل دينه ، والله مذلّه إن شاء الله . وإن عدوّكم الكلب أصاب من إخوانكم مَنْ أصاب ، وإن يُردّ الله نصركم لم يضرّكم قلتكم وكثرتهم ، فاستنصروا الله . وقال : إنه بلغني أنّ العبد أقرب ما يكون إلى الله إذا وضع جبهته لله ؛ وإني نازل وواضع جبهتي ، فادعوا الله واسجدوا^(٢) لربكم ، وأخلصوا له الدعاء . ففعلوا ثم رفعوا رءوسهم ، وهم لا يشكّون في الفتح ، ثم نزل عن المنبر . وضحّى وشاور الناس في المسير إلى خاقان ، فقال قوم : أنت شاب ، ولست ممن تخوف من غارة ، على شاة ودابة تخاطر ١٦٠٤/٢ بخروجك . قال : والله لأخرجن ؛ فلما طَفَّر ولما شهادة .

ويقال : أقبل خاقان ، وقد استمدّ مَنْ وراء النهر وأهل طخارستان وجبّغويه الطُّخاريّ بملوكهم وشاكريّتهم بثلاثين ألفاً ، فنزلوا خُلم ، وفيها مسلحة ؛ عليها أبو العوجاء بن سعيد العبدى ، فناوشهم فلم يظفروا منه بشيء ، فساروا على حاميتهم في طريق فيروزبخشين من طخارستان . فكتب أبو العوجاء إلى أسد بمسيرهم . قال : فجمع الناس ، فأقرأهم كتاب أبي العوجاء وكتاب الفُرافصة صاحب جِزّة بعد مرور خاقان به ، فشاور أسد الناس ، فقال قوم : تأخذ بأبواب مدينة بلخ ، وتكتب إلى خالد والخليفة تستمدّه . وقال آخرون : تأخذ في طريق زم ، وتسبق خاقان إلى مَرَوْ . وقال قوم : بل تخرج إليهم وتستنصر الله عليهم ؛ فوافق قولهم رأى أسد

(١) انظر ص ٤٣ و ٤٤ من هذا الجزء .

(٢) ف : « فاجبوا » .

وما كان عزم عليه من لقائهم . ويقال : إن خاقان حين فارق أسداً ، ارتفع حتى صار بأرض طخارستان عند جبهويه ، فلما كان وسط الشتاء أقبل فرّجاً بجزة ، وصار إلى الجوزجان وبث الغارات ؛ وذلك أن الحارث بن سريج أخبره أنه لا نهوض بأسد ، وأنه لم^(١) يبق معه كبير^(٢) جند ؛ فقال البخترى ابن مجاهد مولى بني شيبان : بل بث الخيول حتى تنزل الجوزجان . فلما بث الخيل ، قال له البخترى : كيف رأيت رأيي ؟ قال : وكيف رأيت صنع الله عز وجل حين أخذ برأيك ! فأخذ أسد من جبلة بن أبي رواد عشرين ومائة ألف درهم ، وأمر للناس بعشرين عشرين ، ومعه من الجنود من أهل خراسان وأهل الشام سبعة آلاف رجل ، واستخلف على بلخ الكرمانى بن على ، وأمره ألا يدع أحداً يخرج من مدينتها ، وإن ضرب الترك باب المدينة . فقال له نصر بن سيار الليثي والقاسم بن بخيت المراغي من الأزدي وسلم بن سليمان السلمى وعمرو بن مسلم بن عمرو ومحمد بن عبد العزيز العتكي وعيسى الأعرج الحنظلي والبخترى بن أبي درهم البكرى وسعيد الأحمر وسعيد الصغير مولى باهلة : أصلح الله الأمير ؛ ائذن لنا في الخروج ، ولا تهجن طاعتنا . فأذن لهم ثم خرج فتزل باباً من أبواب بلخ وضربت له قبة^(٣) ؛ فازتان^(٤) ، وألصق إحداهما بالأخرى ، وصلى بالناس ركعتين طوّهما ، ثم استقبل القبلة ونادى في الناس : ادعوا الله ؛ وأطال في الدعاء ، ودعا بالنصر ، وأمن الناس على دعائه ؛ فقال : نصرتهم ورب الكعبة ! ثم افتل من دعائه فقال : نصرتهم ورب الكعبة إن شاء الله ، ثلاث مرات ، ثم نادى مناديه : برئت ذمة الله من رجل حمل امرأة ممن كان من الجند ، قالوا : إن أسداً إنما خرج^(٥) هارباً ، فخلّف أم بكر أم ولده ولده ؛ فنظر فإذا جارية على بعر ، فقال : سلوا لمن هذه الجارية ؟ فذهب بعض الأساورة فسأل ثم رجع ، فقال : لزياد بن الحارث البكرى – وزياد جالس – فقطب أسد ، وقال : لا تنتهون حتى أسطو بالرجل منكم يكرّم على ، فأضرب ظهره وبطنه ، فقال زياد : إن كانت لي فهي حرّة ،

١٦٠٥/٢

١٦٠٦/٢

(٢) ح : « كثير » .

(١) ح : « ولم يبق » .

(٤) ب : « جاء » .

(٣) الفازة : بناء من خرق وغيرها بين للمساكر

لا والله أيتها الأمير ما معي امرأة ، فإن هذا عدو حاسد .

وسار أسد ، فلما كان عند قنطرة عطاء ، قال لمسعود بن عمرو الكرماني ، وهو يوشك خليفة الكرماني على الأزد : ابغني خمسين رجلاً ودابة أخلفهم على هذه القنطرة ، فلا تندع أحداً ممن جازها أن يرجع إليها ، فقال مسعود : ومن أين أقدر على خمسين رجلاً ! فأمر به فصُرِعَ عن دابته ، وأمر بضرب عنقه ، فقام إليه قوم فكلّموه فكف عنه ؛ فلما جاز القنطرة نزل منزلاً ، فأقام فيه حتى أصبح ؛ وأراد المقام يومه ، فقال له العُدّافر ^(١) بن زيد : ليأتمر الأمير على المقام يومه حتى يتلاحق الناس . قال : فأمر بالرحيل وقال : لا حاجة ١٦٠٧/٢ لنا ^(٢) إلى المتخلفين ، ثم ارتحل ، وعلى مقدّمته سالم بن منصور البسجكي في ثلثمائة ، فلقى ثلثمائة من الترك طليعة لخاقان ، فأسر قائدهم وسبعة منهم معه ، وهرب بقيتهم ، فأتى به أسد . قال : فبكي التركي ، قال : ما يبكيك ؟ قال : لست أبكي لنفسي ، ولكني أبكي لهلاك خاقان ، قال : كيف ؟ قال : لأنه قد فرق جنوده فيما بينه وبين مسرو .

قال : وسار أسد ؛ حتى نزل السدرة — قرية ببلخ — وعلى خيل أهل العالية ريحان بن زياد العامري العبدلي من بني عبد الله بن كعب . قال : فعزله ، وصير على أهل العالية منصور بن سالم ، ثم ارتحل من السدرة ، فنزل خريستان ، فسمع أسد صهيل فرس ، فقال : لمن هذا ؟ فقيل : للعقار بن دُعَيْر ، فتطير من اسمه واسم أبيه ، فقال : ردّوه ، قال : إني مقتول بجرأني ^(٣) على الترك ، قال : أسد : قتلك الله ! ثم سار حتى إذا شارف العيين الحارة استقبله بشر بن رزين — أو رزين بن بشر — فقال بشارة ورزاة ؛ ما وراءك يا رزين ؟ قال : إن لم تغشنا غلبنا على مدينتنا ، قال : قل للمقدام بن عبد الرحمن يطاول رمحي ، فسار فنزل ^(٤) من مدينة الجوزجان بفرسخين ، ثم أصبحنا ١٦٠٨/٢ وقد تراءت الخيلان ، فقال خاقان للحارث : من هذا ؟ فقال : هذا محمد ابن المشي ورايته ؛ ويقال : إن طلائع الخاقان انصرفت إليه فأخبرته . أن رهجاً

(١) ط : « العُدّافر » ، تصحيف . (٢) ابن الأثير : « بنا » .

(٣) كذا في أ ، وفي تصويبات ط : « أني تفوتل بجرأني » . (٤) ف : « ونزل » .

ساطعاً طلع من قبَلِ بلُخ ، فدعا خاقان الحارث ، فقال : ألم تزعم أن أسداً ليس به نهوض ! وهذا رَهَجٌ قد أقبل من ناحية بلُخ ، قال الحارث : هذا اللص الذي كنت قد أخبرتك أنه من أصحابي . فبعث خاقان طلائع ، فقال : انظروا هل ترون على الإبل سريراً وكراسي ؟ فجاءته الطلائع ، فأخبروه أنهم عاينوها ، فقال خاقان : اللصوص لا يحملون الأسرة والكراسي ، وهذا أسد قد أتاكَ . فسار أسد غلّةً فلقبه سالم بن جناح ، فقال : أبشر أيها الأمير ، قد حزرتهم ولا يبلغون أربعة آلاف ، وأرجو أن يكون (١) عقيرة الله . فقال الجبشتر بن مزاحم ، وهو يسايره : أنزل أيها الأمير رجالك ؛ فضرب وجهه دابته ، وقال : لو أطعنت يا جبشتر ما كنّا قد منّا هاهنا ، وسار غير بعيد ، وقال : يأهل الصّباح ، انزلوا ، فترلوا وقربوا دوابهم ، وأخذوا النّسبل والقسي . قال : وخاقان في مرج قد بات فيه تلك الليلة .

قال : وقال عمرو بن أبي موسى : ارتحل أسد حين صلتى الغداة ، فرّ بالجوزجان وقد استباحها خاقان حتى بلغت خيله الشُّبُورقان . قال : وقصور الجوزجان إذ ذاك ذليلة . قال : وأتاه المقدم بن عبد الرحمن بن نعيم الغامدي في مقاتلته وأهل الجوزجان — وكان عاملها — فعرضوا عليه أنفسهم ، فقال : أقيموا في مدينتكم ، وقال للجوزجان بن الجوزجان : سير معي ؛ وكان على التعبئة القاسم بن بُخَيْت المِراغِي ؛ فجعل الأزدي وبنو تميم والجوزجان بن الجوزجان وشاكريته ميمنته (٢) ، وأضاف إليهم أهل فلسطين ، عليهم مصعب بن عمرو الخزاعي ، وأهل قنسرين عليهم صغراء بن أحمر ، وجعل ربيعة ميسرة ، عليهم يحيى بن حُصَيْن ، وضم إليهم أهل حِمَص عليهم جعفر بن حنظلة البهراني ، وأهل الأزدي وعليهم سليمان بن عمرو المقرئ من حِمَيْر ؛ وعلى المقدمة منصور بن مسلم البسْجَلِي ، وأضاف إليهم أهل دمشق عليهم حملة بن نعيم الكلبي ، وأضاف إليهم الحرس والشرطة وغللمان أسد . قال : وعيى خاقان الحارث بن سُريج وأصحابه وملك السُغد وصاحب الشّاش وخرّاً بَغْرَةَ أبا خاناخرة ، جد كاوس وصاحب الحُتَل وجبغويه ، والتّرك

(١) بعدها في ابن الأثير : « خاقان » .

(٢) ب : « ميمنة » .

كلهم ميمنة. فلما التقوا حمل الحارث ومَن معه من أهل السُّغد والبايئة^(١) وغيرهم على الميسرة ، وفيها ربيعة وجندان من أهل الشام ؛ فهزمهم فلم يردَّهم شئٌ دون رواق أسد ؛ فشَدَّت عليهم الميمنة - وهم الأزد وبنو تميم والجوزجان - فما وصلوا إليهم حتى انهزم الحارث والأترک ، وحمل الناس جميعاً ، فقال أسد : اللهمَّ إنهم عصوني فانصرهم ؛ وذهب التُّرك في الأرض عباديد لا يلوذون على أحد ، فتبعهم الناس مقدار ثلاثة فراسخ يقتلون مَن يقدرون عليه ، حتى انتهوا إلى أغنامهم ؛ فاستاقوا أكثر من خمس وخمسين^(٢) ومائة ألف شاة ودواب كثيرة . وأخذ خاقان طريقاً غير الجادة في الجبل ، والحارث بن سُرَيج يحميه ، ولحقهم أسد عند الظهر . ويقال : لما واقف أسد خاقان يوم خريستان كان بينهم نهر عميق ، فأمر أسد برواقه فرفع ، فقال رجل من بني قيس بن ثعلبة : يا أهلَ الشام ؛ أهكذا^(٣) رأيكم ، إذا حضر الناس رفعتم الأبنية^(٤) ! فأمر به فُحِطَ ، وهاجت ريح الحرب التي تسمى الحفافة ، فهزمهم الله ، واستقبلوا القبلة يَدْعُونَ الله ويكبرون . وأقبل خاقان في قريب من أربعمائة فارس عليهم الحمرة ، وقال لرجل يقال له سوري : إنما أنت ملك الجوزجان إن أسلمت العرب ، فمن رأيت من أهل الجوزجان مولياً^(٥) فاقتله . وقال الجوزجان لعثمان بن عبد الله الشَّخِير : إني لأعلم ببلادي وطريقها ؛ فهل لك في أمر فيه هلاك خاقان ولك فيه ذكرٌ ما بقيت ؟ قال : ما هو ؟ قال : تتبعني ؛ قال : نعم ؛ فأخذ طريقاً يسمي وراذك ، فأشرفوا على طوقات خاقان وهم آمنون ، فأمر خاقان بالكُوسات فضربت ضربة الانصراف . وقد شَبَّت الحرب ، فلم يقدر التُّرك على الانصراف ، ثم ضربت الثانية فلم يقدرُوا ، ثم ضربت الثالثة فلم يقدرُوا لاشتغالهم ، فحمل ابنُ الشَّخِير والجوزجان على الطوقات ، وولَّى خاقان مدبراً منهزماً ، فحوى المسلمون عسكرهم وتركوا قدورهم تغلي ونساء من نساء العرب والمواليات ومن نساء التُّرك ، وحل بخاقان ببرذونه فحماه الحارث بن سريج . قال : ولم يعلم الناس أنه

(١) ف : « والثابتة » . (٢) ح ، ف : « خمسين » .

(٣) ح ، ف : « هكذا » . (٤) ف : « الأولوية » .

(٥) كذا في أ ، ب ، وهو الصواب ، وفي ط : « قد أتاه » .

خاقان، ووجد عسكر الترك مشحوناً من كل شيء من آنية الفضة وصناعات الترك . وأراد الخصى أن يحمل امرأة خاقان ، فأعجلوه عن ذلك ، فطعنها بخنجر فوجدوها تتحرك ، فأخذوا خفيها وهو من لبود^(١) مضرب .

قال : فبعث أسد بجواري الترك إلى دهاقين خراسان ، واستنقذ من كان في أيديهم من المسلمين .

قال : وأقام أسد خمسة أيام . قال : فكانت الخيول التي فرق تقبل فيصيبهم أسد ، فاغتم الظفر وانصرف إلى بلخ يوم التاسع من خروجه ، فقال ابن السجف المجاشعي :

لو سرت في الأرض تقيس الأرضاً تقيس منها طولها والعرضا
لَمْ تَلَقْ خَيْرًا مَرَّةً ونقضا من الأمير أسدٍ وأمضى
أَفْضَى إِلَيْنَا ، الْخَيْرُ حِينَ أَفْضَى وَجَمَعَ الشَّمْلَ وَكَانَ رَفْضًا ١٦١٢/٢
ما فاتهُ خاقانُ إِلَّا رَكْضًا قد فُضَّ مِنْ جُمُوعِهِ مَافُضًا
يَابْنَ سُرِيحَ قَدْ لَقِيتَ حَمْضًا حَمْضًا بِهِ يُشْفَى صُدَاعُ الْمَرَضَى
قال : وارتحل أسد ، فنزل جَزَّةَ الجوزجان من غد ، وخاقان بها ، فارتحل هارباً منه . وندب أسد الناس ، فانتدب ناساً كثيرين من أهل الشام وأهل العراق ، فاستعمل عليهم جعفر بن حنظلة البهراني ، فساروا ونزلوا مدينة تسمى ورد من أرض جَزَّةَ ، فباتوا بها فأصابهم ريح ومطر - ويقال : أصابهم الثلج - فرجعوا . ومضى خاقان فنزل على جبيغويه الطخاري ، وانصرف البهراني إلى أسد ، ورجع أسد إلى بلخ ، فلقوا خيل الترك التي كانت بمرور الرود منصرفة لتغير على بلخ ، فقتلوا من قلدروا عليه منهم ؛ وكان الترك قد بلغوا بيعة سرور الرود ، وأصاب أسد يومئذ أربعة آلاف درع ؛ فلما صار يبلخ أمر الناس بالصوم لافتتاح الله عليهم .

قال : وكان أسد يوجه الكرمان في السرايا ، فكانوا لا يزالون يصيبون الرجل والرجلين والثلاثة وأكثر من الترك ؛ ومضى خاقان إلى طخارستان العليا ،

(١) في اللسان : كل شعر أو صوف متلبد بفضه على بعض فهو لب ولبدة ، والجمع ألباد ولبد على توهم طرح الماء .

فأقام عند جبغويه الحَزْلُخِيّ تعزّزاً به ، وأمر بصنيعة الكُوسات ، فلما جفّت وصاّحت^(١) أصواتها ارتحل إلى بلاده؛ فلما ورد شروسة، تلقّاه خرابغره ١٦١٣/٢ أبو خاناخره ، جدّ كاوس أبي أفشين باللّعبّين ، وأعدّ له هدايا ودوابّ له ولجنده - وكان الذى بينهما متباعداً - فلما رجع منهزماً أحبّ أن يتخذ عنده يداً ، فأتاه بكلّ ما قدر عليه . ثم أتى خاقان بلاده ، وأخذ في الاستعداد للحرب ومحاصرة سمرقند ، وحُصِّل الحارث بن سُريج وأصحابه على خمسة آلاف بِرْدُون ، وفرق براذين في قوَاد الترك ، فلاعب خاقان يوماً كُور صُول بالنرد على خَطَر^(٢) تُدْرِجَة ، فمسرّكور صول الترقشّى ، فطلب منه التُدْرِجَة ، فقال : أنثى ، فقال : الآخر ذكر ؛ فتنازعا ، فكسر كُور صول يَدَ خاقان ، فحلف خاقان ليكسرنّ يد كُور صُول ؛ وبلغ كور صول، فتتحتّى وجمع جمعاً من أصحابه ، فبيّت خاقان فقتله؛ فأصبحت الترك تفرقوا عنه وتركوه مجرّداً ، فأتاه زُرَيْق بن طُفَيْل الكُشَانِيّ وأهل بيت الحموكيّين - وهم من عظماء الترك - فحملة ودفنه ، وصنع به ما يصنع بمثله إذا قتل . ففترقت الترك في الغارات بعضها على بعض ، وانحاز بعضهم إلى الشّاش ؛ فعند ذلك طمع أهل السُّغْد في الرّجعة إليها . قال : فلم يسلم من خَيْل التّرك ١٦١٤/٢ التي تفرقت في الغارات إلّا زَرّ بن الكسى ، فإنه سلم حتى صار إلى طَخَارستان ، وكان أسد بعث من مدينة بلخ سيف بن وصّاف العجلىّ على فرس ، فسار حتى نزل الشُّبُورقان^(٣) . قال : وفيها إبراهيم بن هشام مسلحة ، فحملة منها على البريد حتى قدم على خالد بن عبد الله ، فأخبره، ففطع به هشام فلم يصدّقه ، وقال للربيع حاجبه : ويحك ! إن هذا الشيخ قد أتانا بالطامة الكبرى إذا كان صادقاً ؛ ولا أراه صادقاً، اذهب فعِدّه ثم سلّه عمّا يقوله وأتّني بما يقول . فانطلقت إليه ففعل الذى أمره به ، فأخبره بالذى أخبر به هشاماً . قال : فدخل عليه أمر عظيم ؛ فدعا به بعد ، فقال : من القاسم بن بُخَيْت منكم ؟ قال : ذلك صاحب العسكر ، قال : فإنه قد أقبل ، قال : فإن كان قد أقبل فقد

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « صلح » .

(٢) الخطر : السبق يتراهن عليه .

(٣) ب : « النور » ، ح : « السبوريان » ، ف : « البشوريان » .

فتح الله على أمير المؤمنين - وكان أسد وجهه حين فتح الله عليه - فأقبل القاسم بن بُخيت ، فكبّر على الباب ، ثم دخل يكبّر وهشام يكبّر لتكبيره ، حتى انتهى إليه ، فقال : الفتح يا أمير المؤمنين ؛ وأخبره الخبر ، فترل هشام عن سريرته فسجد سجدة الشكر ؛ وهي واحدة عندهم . قال : فحسدت القيسية أسداً وخالدأ ؛ وأشاروا على هشام أن يكتب إلى خالد بن عبد الله ، فيأمر أخاه أن يوجه مقاتل بن حيان ، فكتب إليه ، فدعا أسد مقاتل بن حيان على رؤوس الناس ، فقال : سر إلى أمير المؤمنين فأخبره بالذي عاينت وقل الحق ؛ فإنك لا تقول غير الحق إن شاء الله ، وخذ من بيت المال حاجتك . قالوا : إذاً لا يأخذ شيئاً^(١) ، قال : أعطه من المال كذا وكذا ، ومن الكسوة كذا وكذا ، وجهّزه .

١٦١٥/٢

فسار فقدم^(٢) على هشام بن عبد الملك وهو والأبرش جالسان ، فسأله فقال : غزونا الختل ، فأصبنا أمراً عظيماً ، وأنذر أسد بالترك فلم نحفل بهم حتى لحقوا واستنقذوا من غنائمنا ، واستباحوا^(٣) بعض عسكرنا ، ثم دفعونا دفعة قريباً من خلم ، فانتهى الناس إلى مشاتهم ، ثم جاءنا مسير خاقان إلى الجوزجان ، ونحن قريبو العهد بالعدو^(٤) ؛ فسار بنا حتى التقينا برُستاق بيننا وبين أرض الجوزجان ، فقاتلناهم وقد حازوا ذراري من ذراري المسلمين ، فحملوا على ميرتنا فكشفوهم . ثم حملت ميمنتنا عليهم ، فأعطانا الله عليهم الظفر ، وتبعناهم فراسخ حتى استبحنا عسكر خاقان ؛ فأجلّبي عنه - وهشام متكئ فاستوى جالساً عند ذكره عسكر خاقان - فقال ثلاثاً : أنتم استبحتم عسكر خاقان ! قال : نعم ، قال : ثم ماذا ؟ قال : دخلوا الختل وانصرفوا^(٥) .

١٦١٦/٢

قال هشام : إن أسداً لضعيف ، قال : مهلاً يا أمير المؤمنين ؛ ما أسدٌ بضعيف وما أطاق فوق ما صنع ، فقال له هشام : حاجتك ؟ قال : إن يزيد بن المهلب أخذ من أبي حيان مائة ألف درهم بغير حق ؛ فقال له هشام : لا أكلفك شاهداً ، أحلف بالله إنه كما قلت ، فحلف ، فردّها عليه من بيت

(٢) ب : « وقدم » .

(٤) ب : « عهد بغزو » .

(١) ساقطة من ح ، ف .

(٣) ف : « واستباحوا » .

(٥) كذا في أ ، ب .

مال خراسان ؛ وكتب إلى خالد أن يكتب إلى أسد فيها ؛ فكتب إليه ، فأعطاه أسد مائة ألف درهم ، فقسّمها بين ورثة حيّان على كتاب الله وفرائضه . ويقال : بل كتب إلى أسد أن يستخبر عن ذلك ، فإن كان ما ذكر حقاً أعطى مائة ألف درهم .

وكان الذي جاء بفتح خراسان إلى مرو عبد السلام بن الأشهب بن عتبة الحنظلي . قال : فأوفد أسد إلى خالد بن عبد الله وفدًا في هزيمته يوم سان ، ومعهم طوقات خاقان ورءوس من قتلوا منهم ، فأوفدهم خالد إلى هشام ، فأحلفهم أنهم صدّقوا ، فحلفوا ، فوصلهم ، فقال أبو الهندي الأسدي لأسد يذكر وقعة سان :

أبا مُنْذِرٍ رُمْتَ الْأُمُورَ فَقِسْتَهَا (١) وساءَلْتُ عَنْهَا كَالْحَرِيصِ الْمُسَاوِمِ
فَمَا كَانَ ذُو رَأْيٍ مِنَ النَّاسِ قِسْتُهُ بَرَأَيْكَ إِلَّا مِثْلَ رَأْيِ الْبِهَاثِ ١٦١٧/٢
أبا مُنْذِرٍ لَوْلَا مَسِيرُكَ لَمْ يَكُنْ عِرَاقٌ وَلَا انْقَادَتْ مُلُوكُ الْأَعَاجِمِ
وَلَا حَجٌّ بَيَّتَ اللَّهُمَّ حُجَّ-رَاكِبٌ (٢) وَلَا عَمَرَ الْبَطْحَاءُ بَعْدَ الْمَوَاسِمِ
فَكَمْ مِنْ قَتِيلٍ بَيْنَ سَانٍ وَجَزَّةٍ كَثِيرِ الْأَيَادِي مِنْ مُلُوكٍ قَمَاقِمِ (٣)
تَرَكْتَ بَارِضَ الْجَوْرِجَانِ تَزُورُهُ سِبَاعٌ وَعَقِبَانُ لِحَزِ الْغَلَاصِمِ
وَذَى سُوْقَةٍ فِيهِ مِنَ السَّيْفِ خُطَّةٌ بِهِ رَمَقٌ حَامَتَ عَلَيْهِ الْحَوَاسِمِ (٤)
فَمِنْ هَارِبٍ مِنَّا وَمِنْ دَائِرٍ لَنَا أَسِيرٌ يُقَاسِي مُبْهَمَاتِ الْأَدَاهِمِ (٥)
فَلَنُكَ نَفُوسٌ مِنْ تَمِيمٍ وَعَامِرٍ وَمِنْ مُضَرَّ الْحَمْرَاءِ عِنْدَ الْمَازِمِ
هُمْ أَطْمَعُوا خَاقَانَ فِينَا فَأَصْبَحَتْ جَلَابِئُهُ تَرْجُو احْتِوَاءَ الْمَغَانِمِ (٦) ١٦١٨/٢
قال : وكان السبيل أوصى عند موته ابن السائحي حين استخلفه بثلاث خصال ، فقال : لا تستطل على أهل الحُتُلِ استطالتي التي كانت عليهم ؛

(١) ابن الأثير : « وقستها » . (٢) ابن الأثير : « من حج » .

(٣) ابن الأثير : « كسير الأيادي » بالسين .

(٤) ابن الأثير : « به رمق ملق لحوم الحوام » .

(٥) ابن الأثير : « مهمات الأدهم » .

(٦) ابن الأثير : « جلابئُهُ تَرْجُو غُلُوَّ الْمَغَانِمِ » .

فإني ملك ولست بملك ؛ إنما أنت رجل منهم ، فلا يحتملون لك ما يحتملون للملوك ، ولا تدع أن تطلب الجيش ^(١) حتى تردّ إلى بلادكم ، فإنه الملك بعدى والملوك هم النظام ، والناس ما لم يكن لهم نظام طعام ، ولا تحاربوا العرب واحتالوا لهم كل حيلة تدفعونهم بها عن أنفسكم ما قدرتم . فقال له ابن السائجى : أما ما ذكرت من تركي الاستطالة على أهل الختل فإنى قد عرفت ذلك ، وأما ما أوصيت من ردّ الجيش ^(٢) فقد صدق الملك ، وأما قولاك : لا تحاربوا العرب ، فكيف تنهى عن حربهم ، وقد كنت أكثر الملوك لهم محاربة ! قال : قد أحسنت إذ سألت عما لا تعلم ؛ إني قد جربت قوتكم بقوتي ، فلم أجدكم تقعون منى موقعاً ، فكنت إذا حاربتم لم أقلت منهم إلا جريضاً ، وإنكم إن حاربتموهم هلكتم في أول محاربتكم إياهم .

قال وكان الجيش ^(٢) ، قد هرب إلى الصين ، وابن السائجى الذى أخبر أسد بن عبد الله بمسير خاقان إليه ، فكره محاربة أسد .

١٦١٩/٢

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه]

وفى هذه السنة خرج المغيرة بن سعيد وبيان فى نفر ، فأخذهم خالد فقتلهم .
 ذكر الخبر عن مقتلهم :

أما المغيرة بن سعيد ، فإنه كان — فيما ذكر — ساحراً . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، قال : سمعت المغيرة بن سعيد ، يقول : لو أردت أن أحيى عاداً أو ثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً لأحييتهم . قال الأعمش : وكان المغيرة يخرج إلى المقبرة فيتكلم ، فيرى مثل الجراد ^(٣) على القبور ؛ أو نحوهذا من الكلام .

وذكر أبو نعيم ، عن النضر بن محمد ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، قال : قدم علينا رجل من أهل البصرة يطلب العلم ؛ فكان عندنا ، فأمرت جاريتى يوماً أن تشتري لى سمكاً بدرهمين ، ثم انطلقت أنا

(١) ابن الأثير : « الجيش » ، والعبارة فيه : « اطلب الجيش حتى ترد إلى بلادكم ؛ فإنه الملك بعدى — وكان الجيش هرب إلى الصين » .

(٢) ابن الأثير : « الجيش » . (٣) ا ، ب : « الجرى » .

والبصريّ إلى المغيرة بن سعيد ، فقال لى : يا محمد ، أتحب أن أخبرك ، لم افترق حاجباك ؟ قلت : لا ، قال أفتحب أن أخبرك لم سماك أهلاك محمداً ؟ قلت : لا ، قال : أما إنك قد بعثت خادملك يشتري لك سمكاً بدرهمين . قال : ١٦٢٠/٢
فنهضنا عنه . قال أبو نعيم : وكان المغيرة قد نظر في السحر ، فأخذه خالد القسرى فقتله وصلبه .

وذكر أبو زيد أن أبا بكر بن حفص الزهرى ، قال : أخبرنى محمد بن عقيل ، عن سعيد بن مرادابند ، مولى عمرو بن حريث ، قال : رأيتُ خالداً حين أتى بالمغيرة وبيان في ستة رهط أو سبعة ، أمر بمسيره فأخرج إلى المسجد الجامع ، وأمر بأطنان^(١) قصب ونفط فأحضرا ، ثم أمر المغيرة أن يتناول طناً فكع عنه وتأتى ، فصبت السياط على رأسه ، فتناول طناً فاحتضنه ، فشد عليه ، ثم صب عليه وعلى الطن نفط ، ثم ألهمت فيهما النار فاحترقا ، ثم أمر الرهط ففعلوا ، ثم أمر بياناً آخرهم فقدم إلى الطن مبادراً فاحتضنه ، فقال خالد : ويلكم ! فى كل أمر تحصقون ، هلا رأيتم هذا المغيرة ! ثم أحرقه .

قال أبو زيد : لما قتل خالد المغيرة وبياناً أرسل إلى مالك بن أعين الجثنى فسأله فصدقه عن نفسه ، فأطلقه ، فلما خلا مالك بمن يثق به — وكان فيهم أبو مسلم صاحب خراسان — قال :

ضَرَبْتُ لَهُ بَيْنَ الطَّرِيقَيْنِ لَاحِجاً وَطَنْتُ عَلَيْهِ الشَّمْسَ فِيمَنْ يَطِينُهَا
وَأَلْقَيْتُهُ فِي شُبْهَةٍ حِينَ سَالَى كَمَا اسْتَبَهَا فِي الْخَطِّ بَيْنَ وَشِينِهَا ١٦٢١/٢
فقال أبو مسلم حين ظهر أمره : لو وجدته لقتلته بإقراره على نفسه .

قال أحمد بن زهير ، عن على بن محمد ، قال : خرج المغيرة بن سعيد في سبعة نفر ، وكانوا يُدعون الوصفاء ، وكان خروجهم بظهر الكوفة ، فأخبر خالد القسرى بخروجهم وهو على المنبر ، فقال : أطعموني ماء ، فنعى ذلك عليه ابن نوفل^(٢) ، فقال :

أَخَالِد لَا جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا وَأَيُّرُ فِي حِرَامِكَ مِنْ أَمِيرٍ

(١) أطنان : جمع طن ؟ وهو حزمة القصب .

(٢) هو يحيى بن نوفل ، والشعر في البيان والتبيين ٢ : ٦٦٧ ، مع اختلاف في الرواية .

تَمَنَّى الْفَخْرَ فِي قَيْسٍ وَقَسَرَ كَأَنَّكَ مِنْ سَرَاةِ بَنِي جَرِيرٍ
وَأَمَّكَ عِلْجَةً وَأَبُوكَ وَغَدُّ وَمَا الْأَذْنَابُ عِدْلًا لِلصُّدُورِ
جَرِيرٌ مِنْ ذَوَى يَمَنِ أَصِيلٌ كَرِيمُ الْأَصْلِ ذُو خَطَرٍ كَبِيرٍ
وَأَنْتَ زَعَمْتَ أَنَّكَ مِنْ يَزِيدٍ وَقَدْ أُدْحِقْتُمْ دَحَقَ الْعُبُورِ^(١)
وَكُنْتَ لَدَى الْمُغِيرَةِ عَبْدَ سَوْءٍ تَبُولُ مِنَ الْمَخَافَةِ، لِلزَّئِيرِ
وَقُلْتَ لِمَا أَصَابَكَ: أَطْعِمُونِي شَرَابًا ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ
لِأَعْلَاجِ ثَمَانِيَةِ وَشَيْخٍ كَبِيرِ السِّنِّ لَيْسَ بِذِي نَصِيرِ

١٦٢٢/٢

* * *

[خبر مقتل بهلول بن بشر]

وفي هذه السنة حكّم بهلول بن بشر الملقب كثارة فقتل .

• ذكر الخبر عن مخرجه ومقتله :

ذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى أن بهلولاً كان يتأله^(٢)، وكان له قوت دائق، وكان مشهوراً بالبأس عند هشام بن عبد الملك، فخرج يريد الحج، فأمر غلامه أن يتتبع له خلاً بدرهم، فجاءه غلامه بخمر، فأمر بردها وأخذ الدرهم، فلم يجب إلى ذلك، فجاء بهلول إلى عامل القرية - وهي من السواد - فكلّمه، فقال العامل: الخمر خير منك ومن قومك؛ ففضى بهلول في حشجته حتى فرغ منه، وعزم على الخروج على السلطان، فلقى بمكة من كان على مثل رأيه، فاتعدوا قرية من قرى الموصل، فاجتمع بها أربعون رجلاً، وأمروا عليهم البهلُول، وأجمعوا على ألا يمرّوا بأحد إلا أخبروه أنهم أقبلوا من عند هشام على بعض الأعمال، ووجههم^(٣) إلى خالد ليُسَفِّدَهم في أعمالهم، فجعلوا لا يمرّون بعامل إلا أخبروه بذلك. وأخذوا دواب من دواب البريد، فلما انتهوا إلى القرية التي كان ابتاع فيها الغلام الخلّ فأعطى خمرًا، قال بهلول: نبداً بهذا العامل الذي قال ما قال؛ فقال له أصحابه: نحن نريد قتل خالد؛ فإن

١٦٢٣/٢

(١) الدحق: الدفع. (٢) يتأله: يتعب. (٣) كذا في ح، وفي ط: «وجههم».

بدأنا بهذا شهيرنا وحذرنا خالد وغيره ؛ فننشدك الله أن تقتل (١) هذا فيقتل منا خالد الذي يهدم المساجد ؛ ويبني البيع والكنائس ، ويولّي المجوس على المسلمين ، ويُنكح أهل الذمة المسلمين ؛ لعلنا نقتله فيريح الله منه . قال : والله لا أدعُ ما يلزمني لما بعده ؛ وأرجو أن أقتل هذا الذي قال لي ما قال وأدرك خالدًا فأقتله ؛ وإن تركتُ هذا وأتيتُ خالدًا شهر أمرنا فأقلت هذا ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ يَدِينُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ۖ ﴾ (٢) ، قالوا : أنت ورأيك . فأناه فقتله ، فنذر بهم الناس وعلموا أنهم خوارج ، وابتدروا إلى الطريق هربًا ، وخرجت البرد إلى خالد فأخبروه (٣) أن خارجة قد خرجت ؛ وهم لا يدرون حينئذ من رئيسهم .

فخرج خالد من واسط حتى أتى الحيرة وهو حينئذ في الحلق (٤) ، وقد قدم في تلك الأيام قائد من أهل الشام من بني القيس في جيش قد وجّهوا مددًا (٥) لـ عامل خالد على الهند ، فنزلوا الحيرة ، فلذلك قصدوا خالد ، فدعا رئيسهم فقال : قاتل هؤلاء المارقة ؛ فإن من قتل منهم رجلاً أعطيته عطاء سوى ما قبض بالشام ، وأعفيته من الخروج إلى أرض الهند - وكان الخروج إلى أرض الهند شاقًا عليهم - فسارعوا إلى ذلك ، فقالوا : نقتل هؤلاء النفر ونرجع إلى بلادنا . فتوجه القيس إلىهم في ستمائة ، وضم إليهم خالد مائتين من شرط الكوفة ، فالتقوا على الفرات ، فعبأ القيس أصحابه ، وعزل شرط الكوفة ، فقال : لا تكونوا معنا - وإنما يريد في نفسه أن يخلو هو وأصحابه بالقوم فيكون الظفر لهم دون غيرهم لما وعدهم خالد - وخرج إليهم بهلول ، فسأل عن رئيسهم حتى عرف مكانه ، ثم تنكّر (٦) له ، ومعه لواء أسود ، فحمل عليه فطعنه في فرج درعه ؛ فأنفذه . فقال : قتلتني قتلك الله ! فقال بهلول : إلى النار أبعذك الله .

وولّى أهل الشام مع شرط أهل الكوفة منهزمين حتى بلغوا باب الكوفة ، وبهلول وأصحابه يقتلونهم . فأما الشاميون فإنهم كانوا على خيل جياد فقاتوه ؛ وأما شرط الكوفة فإنه لحقهم ، فقالوا : اتق الله فينا فإننا مكروهون مقهورون ؛

(١) ف : « تفعل » . (٢) سورة التوبة: ١٢٣ . (٣) ابن الأثير : « فأعلموه » .

(٤) ط : « الخلق » . (٥) ح : « أمداد » . (٦) كذا في أ .

فجعل يقرع رؤوسهم بالرّمح ، ويقول : الحقوا! النّجاء النّجاء ! ووجد البهلؤل مع القينى بصدرة فأخذها .

وكان بالكوفة ستة نفر يرون رأى البهلؤل ، فخرجوا إليه يريدون اللّحاق به فقتلوا ، وخرج إليهم البهلؤل وحمل البصدرة بين يديه ، فقال : من قتل هؤلاء النفر حتى أعطيتهم هذه الدراهم ؟ فجعل هذا يقول (١) : أنا ، وهذا يقول : أنا ؛ حتى عرفهم ؛ وهم يرون أنه من قبيل خالد جاء ليعطيهم مالا لقتلهم من قتلوا . فقال بهلؤل لأهل القرية : أصدق هؤلاء ، هم قتلوا النفر (٢) ؟ قالوا : نعم ؛ وخشى بهلؤل أنهم ادّعوا ذلك طمعاً فى المال ، فقال لأهل القرية : انصرفوا أنتم ؛ وأمر بأولئك فقتلوا ، وعاب عليه أصحابه فحاجتهم ، فأقروا له بالحجة .

١٦٢٥/٢

وبلغت هزيمة القوم خالداً وخبر من قُتيل من أهل صريّفين ، فوجّه قائداً من بنى شيبان أحد بنى حوشب بن يزيد بن رويم ؛ فلقبهم فيما بين الموصل والكوفة ، فشدّ عليهم البهلؤل ، فقال : نشدتك بالرحم ! إني جانح مستجير ! فكفّ عنه ؛ وانهمزم أصحابه ، فأتوا خالداً وهو مقيم بالحيرة ينتظر ، فلم يرعه إلا القتل قد هجم عليه ؛ فارتحل البهلؤل من يوده يريد الموصل ؛ فخافه عامل الموصل ، فكتب إلى هشام : إن خراجة خرجت فعانت وأفسدت ؛ وأنه لا يأمن على ناحيته ، ويسأله جنداً يقاتلهم به ؛ فكتب إليه هشام : وجّه إليهم كثارة بن بشر - وكان هشام لا يعرف البهلؤل إلا بلقبه - فكتب إليه العامل : إن الخراج هو كثارة .

١٦٢٦/٢

قال : ثم قال البهلؤل لأصحابه : إنا والله ما نصنع بابن النصرانية شيئاً - يعنى خالداً - وما خرجت إلا لله ، فلم لا نطلب الرأس الذى يسلط (٣) خالداً وذوى خالد ! فتوجّه يريد هشاماً بالشام ، فخاف عمّال هشام موجدته إن تركوه يحوز بلادهم حتى ينتهى إلى الشام ، فجند له خالد جنداً من أهل العراق ، وجند له عامل الجزيرة جنداً من أهل الجزيرة ، وجّه إليه هشام جنداً من أهل الشام ؛ فاجتمعوا بدير بين الجزيرة والموصل ، وأقبل بهلؤل حتى انتهى

(٢) ١ : « قتلوا من قتلوا من النفر » ..

(١) ف : « يقول هذا » .

(٣) ابن الأثير : « سلط » .

إليهم - ويقال : التَّقْوَا بالكُسْحِيلِ دون الموصل - فأقبل بهلول ، فنزل على باب الدَّيْر ، فقالوا له : تزحزح عن باب الدير حتى نخرج إليك ، فتنحني وخرجوا ؛ فلما رأى كثرتهم وهو في سبعين جعل من أصحابه ميمنة وميسرة ، ثم أقبل عليهم فقال : أكلتكم يرجو أن يقتلنا ثم يأتي بلده وأهله سالماً ؟ قالوا : إنا نرجو ذلك إن شاء الله ، فشدّ على رجل منهم فقتله ، فقال : أما هذا فلا يأتي أهله أبداً ؛ فلم يزل ذلك ديدنه حتى قتل منهم ستة نفر ؛ فانهزموا ، فدخلوا الدَّيْر فحاصروهم ، وجاءتهم الأمداد فكانوا عشرين ألفاً ، فقال له أصحابه : ألا نعقر دوابنا ، ثم نشدّ عليهم شدة واحدة ؟ فقال : لا تفعلوا حتى نبلي الله عزراً ما استمسكنا ^(١) على دوابنا ، فقاتلوهم يومهم ذلك كله إلى جنح العصر حتى أكثروا ^(٢) فيهم القتل والجراح .

١٦٢٧/٢

ثم إن بهلولاً وأصحابه عقروا دوابهم وترجلوا ، وأصلتوا لهم السيوف ، فأوجعوا فيهم ؛ فقتل عامة أصحاب بهلول وهو يقاتل ويدود عن أصحابه ، وحمل عليه رجل من جنديلة قيس يكنى أبا الموت ، فطعنته فصرعه ، فوافاه من بقي من أصحابه ، فقالوا له : ولّ أمرنا من بعدك من يقوم به ، فقال : إن هلكت فأمر المؤمنين دعامة الشيباني ، فإن هلك دعامة فأمر المؤمنين عمرو البشكري ، وكان أبوالموت إنما ختل البهلول . ومات بهلول من ليلته ، فلما أصبحوا هرب دعامة وخلاهم ، فقال رجل من شعرائهم :

لبئس أمير المؤمنين دعامة ^(٣) دعامة في الهيجاء شرّ الدعائم

وقال الضحّاك بن قيس يشرّى بهلولاً ، ويذكر أصحابه :

بدلت بعد أبي يشر وصحبته قوماً على مع الأحزاب أعوانا
كانهم لم يكونوا من صحابتنا ولم يكونوا لنا بالأمس خلاناً
يا عين أذرى دموعاً منك تهتاناً وابكى لنا صحبة بانوا وإخوانا
خلوا لنا ظاهر الدنيا وباطنها وأصبحوا في جنان الخلد جيرانا
قال أبو عبيدة : لما قتل بهلول خرج عمرو البشكري فلم يلبث أن قتل . ثم

(٢) ف : « فأكثرنا » .

(١) ب : « ما استمكننا » .

(٣) ا : « معترفاً به » .

خرج العنزى صاحب^(١) الأشهب - وبهذا كان يعرف - على خالد في ستين ، فوجه إليه خالد السمط بن مسلم^(٢) البجلي في أربعة آلاف ، فالتقوا بناحية الفرات ، فشد العنزى على السمط ، فضربه بين أصابعه فألقى سيفه ، وشلت يده ، وحمل عليهم فانهزمت الحرورية فقتلواهم عبيد أهل الكوفة وسفلتهم ، فرمؤهم بالحجارة حتى قتلوهم .

١٦٢٨/٢

قال أبو عبيدة : ثم خرج وزير السخثيانى على خالد في نفر ؛ وكان مخرجه بالحيرة ، فجعل لا يمر بقرية إلا أحرقتها ، ولا أحد إلا قتله ؛ وغلب على ما هنالك وعلى بيت المال ، فوجه إليه خالد قائداً من أصحابه وشُرطاً من شُرط الكوفة ، فقاتلوه وهو في نفر ؛ فقاتل حتى قتل عامة أصحابه ، وأئخن بالجراح ؛ فأخذ مرثئاً ، فأتى به خالد ، فأقبل على خالد فوعظه ، وتلا عليه آيات من القرآن . فأعجب خالد ما سمع منه ، فأمسك عن قتله وحبسه عنده ، وكان لا يزال يبعث إليه في الليالي فيؤتى به فيحادثه ويسأله ، فبلغ ذلك هشاماً وسعى به إليه ، وقيل : أخذ حرورياً قد قتل وحرق وأباح الأموال ، فاستبقاه فاتخذته سميراً . فغضب هشام ، وكتب إلى خالد يشتمه ، ويقول : لا تستبق فاسقاً قتل وحرق ، وأباح الأموال ؛ فكان خالد يقول : إني أنفس به عن الموت لما كان يسمع من بيانه وفصاحته . فكتب فيه إلى هشام يرفق من أمره - ويقال : بل لم يكتب ولكنه كان يؤخر أمره ويدفع عنه - حتى كتب إليه هشام يؤنبه ويأمره بقتله وإحراقه ؛ فلما جاءه أمر عزيمة لا يستطيع دفعه بعث إليه وإلى نفر من أصحابه كانوا أخذوا معه ؛ فأمر بهم فأدخلوا المسجد ، وأدخلت أطنان القصب فشُدوا فيها ، ثم صب عليهم النقط ، ثم أخرجوا فنصبوا في الرحبة ، ورُموا بالنيران ؛ فما منهم أحد إلا من اضطرب وأظهر جزعاً ، إلا وزيراً فإنه لم يتحرك ، ولم يزل يتلو القرآن حتى مات .

١٦٢٩/٢

* * *

وفي هذه السنة غزا أسد بن عبد الله الحُتَل . وفيها قتل أسد بدرطرخان ملك الحُتَل .

(١) ابن الأثير : « وخرج البخري صاحب الأشهب » .

(٢) ابن الأثير : « السمط بن مسلم » .

ذكر الخبر عن غزوة أسد

الختل هذه الغزوة وسبب قتله بدر طرخان

ذكر على بن محمد عن أشياخه الذين ذكرناهم قبل أنهم قالوا : غزا أسد ابن عبد الله الختل وهي غزوة بدر طرخان ، فوجه مصعب بن عمرو الخزاعي إليها ، فلم يزل مصعب يسير حتى نزل بقرب بدر طرخان ؛ فطلب الأمان على أن يخرج إلى أسد . فأجابه مصعب ، فخرج إلى أسد فطلب منه أشياء^(١) فامتنع ، ثم سأله بدر طرخان أن يقبل منه ألف ألف درهم ، فقال له أسد : إنك رجل غريب من أهل الباميان ، اخرج من الختل كما دخلتها . فقال له بدر طرخان : دخلت أنت خراسان على عشرة من المخذقة^(٢) ، ولو خرجت منها اليوم لم تستقل على خمسمائة بعير ؛ وغير ذلك أنى^(٣) دخلت الختل بشيء فارددوه على حتى أخرج منها كما دخلتها . قال : وما ذاك ؟ قال : دخلتها شاباً^(٤) فكسبت المال بالسيف ، ورزق الله أهلاً وولداً ، فاردد على شباني حتى أخرج منها ؛ هل ترى أن أخرج من أهلي وولدي ! فما بقائي بعد أهلي وولدي ! فغضب أسد .

قال : وكان بدر طرخان يثق بالأمان ، فقال له أسد : أختم في عنقك ؛ فإني أخاف عليك معرفة الجند ، قال : لست أريد ذلك ؛ وأنا أكتفي من قبلك برجل يبلغ^(٥) بي مصعباً . فأبى أسد إلا أن يختم في عنقه ، فختم في رقبته ودفعه إلى أبي الأسد موله ، فسار به أبو الأسد ، فانتهى إلى عسكر المصعب عند المساء . وكان سلمة بن أبي عبد الله في الموالي مع مصعب ، فوافى أبو الأسد سلمة ، وهو يضع الدراجة^(٦) في موضعها ، فقال سلمة لأبي الأسد : ما صنع الأمير في أمر بدر طرخان ؟ فقصّ الذي عرض عليه بدر طرخان وإباء أسد ذلك ، وصرّحه معه إلى المصعب ليدخله الحصن ، فقال سلمة : إن الأمير لم يُصِبْ

(١) ح ، ف : « أسياًفاً » . (٢) ابن الأثير : « الدواب » .

(٣) ابن الأثير : « فإني » . (٤) ح : « سباباً » .

(٥) ب : « يبلغني » . (٦) الدراجة : العجلة التي يدب الشيخ والصبي عليها .

١٦٣١/٢ فيما صنع ، وسينظر في ذلك ويندم ؛ إنما كان ينبغي له أن يقبض ما عرض عليه أو يجبسه فلا يدخله حصنه ؛ فإنما إنما دخلناه^(١) بقناطر اتخذناها ، ومضايق أصلحناها ؛ وكان يمنعه أن يغير علينا رجاء الصلح ؛ فأما إذ يش من الصلح فإنه لا يدع الجهد . فدعه الليلة في قبتي ؛ ولا تنطلق به إلى مصعب ؛ فإنه ساعة ينظر إليه يدخله حصنه .

قال : فأقام أبو الأسد وبدر طرخان معه في قبة سلمة ، وأقبل أسد بالناس في طريق ضيقت ، فقطع^(٢) الجند ، ومضى أسد حتى انتهى إلى نهر وقد عطش — ولم يكن أحد من خدمه — فاستسقى ؛ وكان السعدي بن عبد الرحمن أبو طعمة الجرمي معه شاكري له ، ومع الشاكري قرن تبتي ؛ فأخذ السعدي القرن ؛ فجعل فيه سويقا ، وصب عليه ماء من النهر ، وحركه وسقى أسدا وقوماً من رؤساء الجند ، فنزل أسد في ظل شجرة ، ودعا برجل من الحرس ، فوضع رأسه في فخذه ، وجاء المجبش بن مزاحم السلمى يقود فرسه حتى قعد تجاهه حيث ينظر أسداً ، فقال أسد : كيف أنت يا أبا العبد بس ؟ قال : كنتُ أمس أحسنَ حالاً متى اليوم ، قال : وكيف ذاك ؟ قال : كان بدر طرخان في أيدينا وعرض ما عرض ؛ فلا الأمير قبيل منه ما عرض عليه ولا هو شدّ يده عليه ؛ لكنه خلّى سبيله ؛ وأمر بإدخاله حصنه لما عنده — زعم — من الوفاء . فندم أسد عند ذلك ، ودعا بدليل من أهل الختل ورجل من أهل الشام نافذ ، فاره الفرس فأتى بهما ، فقال للشامي : إن أنت أدركت بدر طرخان قبل أن يدخل حصنه فلك ألف درهم ؛ فتوجّها حتى انتهيا إلى عسكر مصعب ؛ فنادى الشامي : ما فعل العليج ؟ قيل : عند سلمة ، وانصرف الدليل إلى أسد بالخبر ، وأقام الشامي مع بدر طرخان في قبة سلمة ، وبعث أسد إلى بدر طرخان فحوّله إليه فشتّمه ، فعرف بدر طرخان أنه قد نقض عهده ، فرفع حصاة فرمى بها إلى السماء ، وقال : هذا عهد الله ؛ وأخذ أخرى فرمى بها إلى السماء ، وقال : هذا عهد (محمد صلى الله عليه) ، وأخذ يصنع كذلك بعهد أمير المؤمنين وعهد المسلمين ؛ فأمر أسد بقطع يده ، وقال أسد : من ها هنا من أولياء

١٦٣٢/٢

أبى فديك ؟ (رجل من الأزد قتله بدر طرخان) ، فقام رجل من الأزد فقال : أنا ، قال : اضرب عنقه ؛ ففعل . وغلب أسد على القلعة العظمى ، وبقيت قلعة فوقها صغيرة فيها ولده وأمواله ، فلم يوصل إليهم ^(١) ، وفرق أسد الخيل في أودية الخنسل .

قال : وقدم أسدمرو ، وعليها أيوب بن أبى حسان التميمي ^(٢) ، فعزله ١٦٣٣/٢ واستعمل خالد بن شديد ، ابن عمه . فلما شخص إلى بلخ بلغه أن عمارة بن حرّيم ^(٣) تزوج الفاضلة بنت يزيد بن المهلب ، فكسّب إلى خالد بن شديد : احمل عمارة على طلاق ابنة يزيد ؛ فإن أبى فاضربه مائة سوط ؛ فبعث إليه فأثاه وعنده العذافر بن زيد التميمي ، فأمره بطلاقها ، ففعل بعد إباء منه ؛ وقال عذافر : عمارة والله فتى قيس وسيدها ، وما بها عليه أبهة ؛ أى ليست بأشرف منه . فتوفى خالد بن شديد ، واستخلف الأشعث بن جعفر البسجلى .

* * *

[ظهور الصحارى بن شبيب الخارجي]

وفيهما شري ^(٤) الصحارى بن شبيب ، وحكم بجبل .

* ذكر خبره :

ذكر عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أن الصحارى بن شبيب أتى خالداً يسأله الفريضة ، فقال : وما يصنع ابن شبيب بالفريضة ! فودّعه ابن شبيب ، ومضى ، وندم خالد وخاف أن يفتق عليه فتقاً ، فأرسل إليه يدعوه ، فقال : أنا كنت عنده آنفاً ؛ فأبوا أن يدعوه ، فشدّ عليهم بسيفه ، فتركوه فركب وسار ^(٥) حتى جاوز واسطاً ، ثم عقّر فرسه وركب زورقاً ليخفى مكانه ، ثم قصد إلى نفر من بنى تميم اللات بن ثعلبة ، كانوا بجبل ، فأثاهم متقلداً سيفاً فأخبرهم خبره وخبر خالد ، فقالوا له : وما كنت ترجو بالفريضة ! كنت لأن تخرج إلى ابن النصرانية فتضربه بسيفك أحرى . فقال : إني والله ما أردت

(٢) ب : « التيمى » .

(١) ابن الأثير : « إليها » .

(٣) ف : « خزيم » .

(٤) شري ؛ أى اتخذ مذهب الشراة ؛ وهم الخوارج ؛ وفي الأثير : « خرج الصحارى » .

(٥) ح ، ف : « فصار » .

الفريضة ، وما أردت إلا التوصل إليه لئلا ينكرني ، ثم أقتل ابن النصرانية غيلة بقتله فلاناً - وكان خالد قبّل ذلك قد قتل رجلاً من قَعَمَدَةِ الصُّفَرِيَّةِ صَبْرًا - ثم دعاهم الصحاريّ إلى الوثوب معه فأجابه بعضهم ، وقال بعضهم : ننتظر (١) ؛ وأبى بعضهم وقالوا : نحن في عافية ، فلما رأى ذلك قال :

لَمْ أَرِدْ مِنْهُ الْفَرِيضَةَ إِلَّا (٢) طَمَعًا فِي قَتْلِهِ أَنْ أَنَالَا
فَأَرْيَحَ الْأَرْضَ مِنْهُ وَمِمَّنْ عَاثَ فِيهَا وَعَنِ الْحَقِّ مَا لَا
كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ أَرَاهُ تَرَكَ الْحَقَّ وَسَنَّ الضَّلَالَا
إِنْنِي شَارٍ بِنَفْسِي لِرَبِّي تَارِكُ قِيَلَا لِدِهِمْ وَقَالَا
بَاتِعُ أَهْلِي وَمَالِي أَرْجُو فِي جَنَانِ الْخُلْدِ أَهْلًا وَمَالَا

قال : فبايعه نحو من ثلاثين ، فشرى بجبيل ، ثم سار حتى أتى المبارك . فبلغ ذلك خالدًا ، فقال : قد كنت خفتها منه . ثم وجه إليه خالد جندًا ، فلقوه بناحية المناذير ، فقاتلهم قتالًا شديدًا ، ثم انطوا عليه فقتلوه وقتلوا جميع أصحابه (٣) .

* * *

قال أبو جعفر : وحجّ بالناس في هذه السنة أبو شاكر مسلمة بن هشام ابن عبد الملك ، وحجّ معه ابن شهاب الزُّهْرِيُّ في هذه السنة .

١٦٣٥/٢

وكان العامل في هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام ، وعلى العراق والمشرق خالد بن عبد الله القسريّ ، وعامل خالد على خراسان أخوه أسد بن عبد الله .

وقد قيل : إنّ أخا خالد أسدًا هلك في هذه السنة ، واستخلف عليها جعفر بن حنظلة البهرانيّ .

وقيل : إنّ أسدًا أخا خالد بن عبد الله إنّما هلك في سنة عشرين ومائة . وكان على أرمينية وأذربيجان مروان بن محمد .

(١) ب : « ننتظر » . (٢) ب : « لم أرد قولي الفريضة » .

(٣) ح ، ف : « فقتلوه وجميع أصحابه » .

ثم دخلت سنة عشرين ومائة ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة سليمان بن هشام بن عبد الملك الصائفة وافتتاحه - فيما ذكر -
سنندرة ، وغزوة إسحاق بن مسلم الثقيلي وافتتاحه قلاع تومانشاه وتخريبه
أرضه ، وغزوة مسروان بن محمد أرض الترك .

* * *

[خبر وفاة أسد بن عبد الله القسري]

وفيهما كانت وفاة أسد بن عبد الله في قول المدائني .

• ذكر الخبر عن سبب وفاته :

وكان سبب ذلك أنه كانت به - فيما ذكر - دُبَيْلَة ^(١) في جوفه ؛ فحضر
المِهْرَجَان وهو ببلخ ، فقدم عليه الأمراء والدّهاقين ؛ فكان ممن قدم عليه
إبراهيم بن عبد الرحمن الحنفي عامله على هَرَاة وخُرَّاسَان ، ودهقان هَرَاة ؛
فقد ما بهديّة قُومَت بألف ألف ؛ فكان فيما قَدِمَ ما به قَصْرَان : قَصْر من فضّة
وقصر من ذهب ، وأباريق من ذهب وأباريق من فضّة وصحاف ^(٢) من ذهب وفضّة ؛
فأقبلوا وأسَد جالس على السرير ، وأشرف خُرَّاسَان على الكراسي ، فوضعا
القَصْرَيْن ؛ ثم وضعَا خَلْفَهُمَا الأباريق والصّحاف ^(٣) والديباج المروي والقوهي
والهروي وغير ذلك ؛ حتى امتلأ السّماط ؛ وكان فيما جاء به الدّهقان أسدًا كَرَّةً ^(٤)
من ذهب ؛ ثم قام الدهقان خطيبًا ، فقال : أصْلَحَ اللهُ الأمير ! إنّنا معشر
العجم ؛ أكلنا الدّنيا أربعمائة سنة ؛ أكلناها بالحلم والعقل والوقار ؛ ليس
فيها كتاب ناطق ، ولا نبي مرسل ؛ وكانت الرّجال عندنا ثلاثة : ميمون
النّقية أيما توجه فتح الله على يده ، والذي يليه رجل تمت مروتة في بيته فإن
كان كذلك رُجِي ^(٥) وعُظِمَ ، وقوّد وقَدَمَ ؛ ورجل رُحِبَ صدره ، وبسط

(١) الدبيلة : دمل كبير يظهر في الجوف . (٢) ح ، ف : « وصحائف » .

(٣) ح ، ف : « والصحائف » . (٤) أ : « أكرة » ، وهما بمعنى ، واللغة الجيدة « كرة » .

(٥) كذا في أ ، ب وفي ط : « رجب وحيى » .

يده فُرْجِيَّ ؛ فإذا كان كذلك قُدُودٌ وَقَدْ مَ ؛ وإن الله جعل صفات هؤلاء الثلاثة الذين أكلنا الدنيا بهم أربعمائة سنة فيك أيها الأمير ؛ وما نعلم أحداً هو أتمَّ كَسْخُذَانِيَّةً منك ؛ إنك^(١) ضبّطت أهل بيتك وحشمك ومواليك ؛ فليس منهم أحد يستطيع أن يتعدّى على صغير ولا كبير ، ولا غنى ولا فقير ، فهذا تمام الكُسْخُذَانِيَّة ، ثم بنيت الإيوانات في المفاوز ؛ فيجىءُ الجائى من المشرق والآخر من المغرب ؛ فلا يجدان عيباً إلا أن يقولوا : سبحان الله ما أحسن ما بئى ! ومن يُمنّ نقيبتك أنك لقيت خاقان وهو فى مائة ألف ، معه الحارث ابن سريج فهزمته وفلّته^(٢) ، وقتلت أصحابه ، وأبجت عسكره . وأما رُحْبُ صدرك وبَسْطُ يدك ، فإننا ما ندرى أى المالين أقرّ لعينك ؟ أمالٌ قدم عليك ، أم مال خرج من عندك ! بل أنت بما خرج أقرّ عيناً . فضحك أسد ، وقال : أنت خير دهاقين خراسان وأحسنهم هدية ، وناولته تفاحة كانت فى يده ؛ وسجد له دهقان هَرَاة ، وأطرق أسد ينظر إلى تلك الهدايا ؛ فنظر عن يمينه ، فقال : يا عُدَا فِر بن يزيد ، مرّ من يحمل هذا القَصْرَ الذهب ، ثم قال : يا معن بن أحمر رأس قيس — أو قال قنسرين — مرّ بهذا القصر يحمل ، ثم قال : يا فلان خذ إبريقاً ، ويا فلان خذ إبريقاً ، وأعطى الصِّحَاف^(٣) حتى بقيت صحفتان ، فقال : قم يا بن الصيياء ، فخذ صحيفة^(٤) ، قال : فأخذ واحدة فرزنها^(٥) فوضعها ، ثم أخذ الأخرى فرزنها ، فقال له أسد : مالك ؟ قال : آخذ أرزنها ، قال : خذهما جميعاً ؛ وأعطى الصُّرَفَاء وأصحاب البلاء ؛ فقام أبو اليعفور — وكان يسير أمام صاحب خراسان فى المغازى — فنادى : هلم إلى الطريق ، فقال أسد : ما أحسن ما ذكرت بنفسك ! خذ ديباجتين ، وقام ميمون العذّاب فقال : إلىّ ، إلى يساركم ، إلى الجادة ؛ فقال : ما أحسن ما ذكرت نفسك ! خذ ديباجة ، قال : فأعطى ما كان فى السَّماط كَلّه ، فقال نهر بن تَوْسِعة :

تَقْلُونَ إِنْ نَادَى لِرَوْعٍ مُثَوَّبٌ وَأَنْتُمْ غَدَاةَ الْمَهْرَجَانِ كَثِيرُ

(١) ا ، ب : « لأنك » . (٢) ابن الأثير : « وقتلته » .

(٣) ح ، ف : « الصحنات » . (٤) ا ، ح : « صحيفة » .

(٥) رزن الشئ : رفعه لينظر ما ثقله .

ثم مرض أسد ، فأفاق إفاقة فخرج يوماً ، فأَتَيْ بِكُمْتَرَى أَوَّلَ مَا جَاء ، فأطعمَ الناسَ منه واحدةً واحدةً ؛ وأخذَ كُمْتَرَاةَ فرمى بها إلى خراسان دهقان هراة ، فانقطعت الدُّبَيْلَةُ ، فهلك . واستخلف جعفرًا البهراني ، وهو جعفر بن حنظلة سنة عشرين ومائة فعمل أربعة أشهر ، وجاء عهد نصر بن سيار في رجب سنة إحدى وعشرين ومائة ، فقال ابن عيرس العبدى :

نَعَى أَسَدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ نَاعٍ فَرِيعَ الْقَلْبِ لِلْمَلِكِ الْمُطَاعِ
بِبَلْخِ وَأَفَقَ الْمِقْدَارُ يُسْرِى وما لقضاء ربك مِنْ دَفَاعِ
فَجَوْدَى عَيْنُ بِالْعَبْرَاتِ سَحَا أَلَمْ يُحْزَنْكَ تَفْرِيقُ الْجَمَاعِ !
أَتَاهُ حِمَامُهُ فِي جَوْفِ صَبِغٍ ^(١) وكم بالصيغِ من بطل شجاع !

١٦٣٩/٢

كُتَابُ قَدْ يُجَبِّوْنَ الْمَنَادَى عَلَى جُرْدٍ مَسُومَةٍ سِرَاعِ
سُقَيْتَ الْغَيْثِ إِنَّكَ كُنْتَ غَيْثًا مَرِيعًا عِنْدَ مُرْتَادِ النَّجَاعِ
وقال سليمان بن قتة مولى بنى تيم بن مرة - وكان صديقًا لأسد :

سَقَى اللَّهُ بَلْخًا ، سَهْلَ بَلْخٍ وَحَزْنَهَا وَمَرَّوَى خُرَّاسَانَ السَّحَابِ الْمُجَمَّمَا
وَمَا بِي لِيُتَسْقَاهُ وَلَكِنْ حُفْرَةً بِهَا غَيْبُوا شِلُوا كَرِيمًا وَأَعْظَمَا
مُرَاجِمَ أَقْوَامٍ وَمُرْدَى عَظِيمَةٍ وَطَلَّابَ أَوْتَارٍ عِفْرَنًا عَثْمَمَا
لَقَدْ كَانَ يُعْطَى السَّيْفَ فِي الرُّوحِ حَقُّهُ وَيُرَوَّى السَّنَانَ الزَّاعِيَّ الْمُقَوَّمَا

* * *

[أمر شيعة بنى العباس بخراسان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة وجهت شيعة بنى العباس بخراسان إلى محمد بن على بن العباس سليمان بن كثير ليعلمه أمرهم وما هم عليه .
ذكر الخبر عن سبب توجيههم سليمان إلى محمد :

وكان السبب في ذلك موجدة كانت من محمد بن على على من كان بخراسان من شيعة من أجل طاعتهم ، كانت لخدش الذي ذكرنا خبره قبل وقبولهم منه ما روى عليه من الكذب ؛ فترك مكاتبهم ؛ فلما أبطأ عليهم

١٦٤٠/٢

كتابته ، اجتمعوا فذكروا ذلك بينهم ؛ فأجمعوا على الرضا بسليمان بن كشير ليلقاه بأمرهم ، ويخبره عنهم ، ويرجع إليهم بما يردّ عليه ؛ فقدم - فيما ذكر - سليمان بن كشير على محمد بن عليّ وهو متنكر لمن بخراسان من شيعة ، فأخبره عنهم ، فمَنَعَهُمْ في اتباعهم خدashaً وما كان دعا إليه ، وقال : لعن الله خدashaً ومنّ كان على دينه ! ثمّ صرف سليمان إلى خراسان ، وكتب إليهم معه كتاباً ، فقدم عليهم ، ومعه الكتاب مختوماً ، ففَقَصُوا خاتمه فلم يجدوا فيه شيئاً ، إلاّ : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، فغلظ ذلك عليهم وعلموا أنّ ما كان خدashaً أتاهم به لأمره مخالف .

وفي هذه السنة وجّه محمد بن عليّ بكير بن ماهان إلى شيعة بخراسان بعد منصرف سليمان بن كشير من عنده إليهم ، وكتب معه إليهم كتاباً يعلمهم أنّ خدashaً حمل شيعة على غير منهاجه . فقدم عليهم بكير بكتابه فلم يصدّقوه واستخفّوا به ؛ فانصرف بكير إلى محمد بن عليّ ، فبعث معه بعضيّ مضبّة بعضها بالحديد وبعضها بالشبّة ؛ فقدم بها بكير وجمع النقباء والشبّة ، ودفع إلى كلّ رجل منهم عصاً ، فعلموا أنّهم مخالفون لسيرته ؛ فرجعوا وتابوا .

• • •

وفي هذه السنة عزل هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله عن أعماله التي كان ولاه إياها كلّها .

١٦٤١/٢

ذكر سبب عزل هشام خالداً

قد قيل في ذلك أقوال ، نذكر ما حضرنا من ذلك ذكره ؛ فمّا قيل في ذلك : إنّ فروخ أبا المثنى كان قد تقبّل^(١) من ضياع هشام بن عبد الملك بموضع يقال له رُستاق الرّمان أو نهر الرّمان - وكان يُدعى بذلك فروخ الرّمانى - فنقل مكانه على خالد ، فقال خالد لحسان^(٢) النّبطى : ويحك ! اخرج إلى أمير المؤمنين فزدْ على فروخ ، فخرج فزاد عليه

(١) التّقليل : أن يأخذ العامل بخراج أو جباية أكثر مما أعطى .

(٢) في ابن الأثير : « حيان » ؛ وكذلك في كلّ ما يأتي بعد .

ألف ألف درهم ؛ فبعث هشام رجلين من صلحاء أهل الشام ، فحازا الضياع ، فصار حسان أثقل على خالد من فرّوخ ؛ فجعل يضربه ، فيقول له حسان : لا تفلسني وأنا صنيعتك ! فأبى إلا الإضرار به ، فلما قدم عليه بثق البثوق على الضياع : ثم خرج إلى هشام ، فقال : إن خالداً بثق البثوق على ضياعك . فوجه هشام رجلاً ، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره ، فقال حسان لخدام من خدم هشام : إن تكلمت بكلمة أقولها لك حيث يسمع هشام ، فلك عندى ألف دينار ، قال : فعجل لي الألف وأقول ما شئت ، قال : فعجلها له وقال له : بكّ صبيّاً من صبيان هشام ؛ فإذا بكى فقل له : اسكت ؛ والله لكأنك ابنُ خالد القسري الذي غلته ثلاثة عشر ألف ألف . فسمعها هشام فأغضى عليها . ثم دخل عليه حسان بعد ذلك ، فقال له هشام : ادن مني فدنا منه ، فقال : كم غلّة خالد ؟ قال : ثلاثة عشر ألف ألف ، قال : فكيف لم تخبرني بهذا ! قال : وهل سألتني ؟ ففوّرت في نفس هشام ، فأزعم على عزله .

وقيل : كان خالد يقول لابنه يزيد : ما أنت بدون مسلمة بن هشام ؛ فإنك لتفخر على الناس بثلاث لا يفخر بمثلها أحد : سكرت دجلة ولم يتكلف ذلك أحد ، ولي سقاية بمكة ، ولي ولاية العراق .

وقيل : إنهما أغضب هشاماً على خالد أن رجلاً من قريش دخل على خالد فاستخف به وعضّه بلسانه ، فكتب إلى هشام يشكوه ، فكتب هشام إلى خالد :

أمّا بعد ؛ فإن أمير المؤمنين - وإن كان أطلق لك يدك ورأيك فيمن استرعاك أمره ، واستحفظك عليه ، للذي رجا من كفايتك ، ووثق به من حسن تدبيرك - لم يفرشك^(١) غرة أهل بيته لتطأه بقدميك ، ولا تحدّ إليه بصرك ؛ فكيف بك وقد بسطت على غرتهم بالعراق لسانك بالتوبيخ ؛ تريد بذلك تصغير خطره^(٢) ، واحتقار قدره ؛ زعمت بالنصفة^(٣) منه حتى

(١) كذا في ١ ، ب ، وفي ط : « لم يفرشك » . ولم يفرشك ؛ أي لم يجعلهم لك بساطاً لتبسط نفوذك عليهم . (٢) الخطر : القدر ؛ وفي ب : « حظه » . (٣) النصفة : الانتصاف .

أخرجك ذلك إلى الإغلاظ في اللفظ عليه في مجلس العامة ، غير متحلل^(١) له حين رأيتَه مقبلا من صدر مهالك الذي مهد له الله ، وفي قومك من يعلوك بحسبه ، ويغمرُك بأوليته ، فزِلتَ مهالكَ بمارفع به آلُ عمرو من ضعتك خاصةً ، مساوين بك فروع غُرر القبائل وقرومها^(٢) قبيل أمير المؤمنين ؛ حتى حلت هضبةً أصبحت تنحو^(٣) بها عليهم مفتخرًا . هذا إن لم يدهده بك قلة شرك متحطماً وقيداً^(٤) . فهلاّ - يابن مجرشة^(٥) قومك - أعظمت رجلهم عليك داخلا ، ووسّعت مجلسه إذ رأيتَه إليك مقبلاً ، وتجافيت له عن صدر فراشك مكرماً ، ثم فاوضتَه مقبلاً ببشرِك ، إكراماً لأمر المؤمنين ، فإذا اطمأن به مجلسه نازعته بحبي السرار^(٦) ، معظماً لقربته ، عارفاً لحقه ؛ فهو سينّ البيتين ونابهم^(٧) ، وابن شيخ آل أبي العاص وحرب وغررتهم . وبالله يقسم أمير المؤمنين لك لولا ما تقدّم من حرمتك وما يكره من شامة عدوك بك لوضع^(٨) منك ما رفع ؛ حتى يردك إلى حال تفقد بها أهل الحوائج بعراقك ، وتزاحم المواكب ببابك^(٩) . وما أقربني من أن أجعلك تابعاً لمن كان لك تبعاً ؛ فانهض على أي حال ألفاك رسولُ أمير المؤمنين وكتابُه ، من ليل أو نهار ، ماشياً على قدمك بمن معك من خوك^(١٠) ؛ حتى تقف على باب ابن عمرو صاغراً^(١١) ، مستأذناً عليه ، متنصلاً إليه ؛ أذن لك أو منعه ؛ فإن حرّكتَه عواطف رحمة احتملك ، وإن احتملتَه ألفة وحمية^(١٢) من دخولك عليك فقيف ببابه حوّلاً غير متحلل ولا زائل ؛ ثم أمرُك بعدُ إليه ؛ عزل^(١٣) أو ولّني ، انتصر^(١٤) أو عفا ؛ فلعنك الله من متكل عليه بالثقة ؛ ما أكثر هفواتك ، وأقذع^(١٥) لأهل الشرف ألفاظك ؛ التي لا تزال تبلغ أمير المؤمنين

- (١) غير متحلل ؛ أي غير متزحزح ؛ يقال : حلحله ؛ إذا أزاله عن مكانه .
 (٢) القروم : جمع قروم ؛ وهو السيد . (٣) تنحو بها ؛ أي تطل وتشرق .
 (٤) دهده الحجر فتدهده : دحرجه فتدحرج ، والوقيد : الصريع .
 (٥) المجرشة : الماشطة ؛ يقال : جرش رأسه بالمشط ؛ إذا حكّه .
 (٦) السرار : المسارة ؛ أي جادلته في سرار مقرون بالحياة .
 (٧) ناب القوم : سيدهم . (٨) ح : « لخط » .
 (٩) ف : « على بابك » . (١٠) الحول : الحاشية .
 (١١) صاغراً : ذليلاً . (١٢) ح ، ف : « حميته وأنفته » .
 (١٣) ف : « عزلك » . (١٤) ح : « وانتصر » .
 (١٥) القذع : الحما والفحش .

من إقدامك بها على مَنْ هو أولى بما أنت فيه من ولاية مِصْرِي العراق ،
وأقدم وأقوم . وقد كتب أمير المؤمنين إلى ابن عمّه بما كتب به إليك من
إنكاره عليك ، ليرى في العفو عنك والسخط عليك رأيه ، مفوضاً ذلك إليه
مبسوطة فيه يده ، محموداً عند أمير المؤمنين على أيّهما آتى إليك ، موفّقاً
إن شاء الله تعالى .

وكتب إلى ابن عمرو^(١) :

أما بعد ، فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك ، وفهم ما ذكرت من بسطِ
خالد عليك لسانه في مجلس العامة محتقراً لقدرك ، مستصغراً لقربانك من
أمير المؤمنين ، وعواطف رحمة عليك وإسائكك عنه ، تعظيماً لأمر
المؤمنين وسلطانهم ، وتمسكاً بوثائق عصم^(٢) طاعته ، مع مؤلم ما تداخلك
من قبائح ألفاظه وشرارة منطقته ، وإكثابه عليك عند إطراقك عنه ، مروّياً
فيما أطلت أمير المؤمنين من لسانه^(٣) ، وأطال من عنانه ، ورفع من ضمته ، ونوّه
من خموله ؛ وكذلك أنتم آل سعيد في مثلها عند هذر الذنابي^(٤) وطائشة
أحلامها ، صُمّت من غير إفحام ، بل بأحلام تسخيف بالجلال^(٥) وزناً . وقد
حصد أمير المؤمنين تعظيمك إياه ، وتوقيرك سلطانه وشكره ؛ وقد جعل أمر
خالد إليك في عزلك إياه أو إقراره^(٦) ؛ فإن عزلته أمضى عزلك إياه ، وإن
أقررتَه فتلك منّة لك عليه لا يشركك أمير المؤمنين فيها . وقد كتب إليه
أمير المؤمنين بما يطرد عنه سِنَّة الحاجع عند وصوله إليه ، يأمره بإتيانك راجلاً على أية
حال صادفه كتاب أمير المؤمنين فيها ، وألفاه رسوله الموجّه إليه من ليله أو نهاره ،
حتى يقف ببابك ؛ أذنت له أو حجّجته ، أقررتَه أو عزلته ، وتقدّم أمير المؤمنين
إلى رسوله في ضربه بين يديك على رأسه عشرين سوطاً إلا أن تكره أن يناله

(١) في ابن الأثير : « رجل من آل عمرو بن سعيد بن العاص » ، وهو القرشي الذي دخل على
خالد ، وانظر ص ١٤٣ .

(٢) العصم : جمع عصمة ؛ وهي ما يعتصم به من عقد أو سبب .

(٣) الشرارة : مصدر ؛ كالشر ، وأكتب عليه : حمل وكر ، وروى في الأمر : نظر وفكر .

(٤) هذر في كلامه ، كضرب ونصر : هذى ، والذنابي : أذئاب الناس وسفلتهم .

(٥) أى تخف وزن الجبال ؛ وفي ط : « تحف » ، تحريف .

(٦) ح : « وإقراره » .

ذلك بسببك حرمة خدمته؛ فأَيُّهُمَا رأيت إِمضاءه كان لأَمير المؤمنين في برك وعظم
 حرمتك وقربتك وصلة رحمك موافقاً ، وإليه حبيباً ، فيما ينوى من قضاء حق
 آل أبي العاص وسعيد . فكاتبَ أمير المؤمنين فيما بدا لك مبتدئاً ومجيباً^(١)
 ومحادثاً وطالباً ؛ ما عسى أن يُنزل بك أهلك من أهل بيت أمير المؤمنين من
 حوائجهم التي تقعد بهم الحشمة عن تناولها من قبله لبعده دارهم عنه ، وقلة
 إمكان الخروج لإنزالها به؛ غير محتشم من أمير المؤمنين ، ولا مستوحش من
 تكرارها عليه ، على قَدَرِ قربتهم وأديانهم^(٢) وأنسابهم ، مستمنحاً^(٣) ومُسْتَرَفداً ،
 وطالباً مستزيداً . تجدد أمير المؤمنين إليك سريعاً بالبرِّ لما يحاول من صلة قربتهم ،
 وقضاء حقوقهم ، وبالله يستعين أمير المؤمنين على ما ينوى ، وإليه يرغب في
 العَوْن على قضاء حقِّ قربته ، وعليه يتوكل ، وبه يثق . والله وليّه ومولاه . والسلام .

١٦٤٦/٢

وقيل : إنَّ خالداً كان كثيراً ما يذكر هشاماً ، فيقول : ابن الحمقاء .
 وكانت أم هشام تستحرق ، وقد ذكرنا خبرها قبلُ .

وذكر أنه كتب إلى هشام كتاباً غاظبه ، فكتب إليه هشام : يا بن أمِّ
 خالد؛ قد بلغني أنك تقول : ما ولاية العراق لي بشرف ؛ فيابن اللخناء ، كيف
 لا تكون إمرة العراق لك شرفاً ، وأنت منْ بجيلة القليلة الذليلة ! أما والله إني
 لأظنَّ أنَّ أول من يأتيك صغير من قريش ؛ يشدّ يديك إلى عنقك .

وذكر أن هشاماً كتب إليه : قد بلغني قولك : أنا خالد بن عبد الله بن
 يزيد بن أسد بن كرز ؛ ما أنا بأشرف الخمسة . أما والله لأرُدَّكَ إلى بَغْلَتِكَ
 وطَيْسَانِكَ الفير وزى . ١٦٤٧/٢

وذكر أن هشاماً بلغه أنه يقول لابنه : كيف أنت إذا احتاج إليك بنو
 أمير المؤمنين ! فظهر الغضب في وجهه .

وقيل : إن هشاماً قدم عليه رجل من أهل الشام ، فقال : إني سمعت
 خالداً ذكر أمير المؤمنين بما لا تنطلق به الشفتان ؛ قال : قال : الأحوال ؟
 قال : لا ، بل قال أشدَّ من ذلك ، قال : فما هو ؟ قال : لا أقوله أبداً ،

(٢) ب « وأذناهم » ، ف : « وأربابهم » .

(١) ب : « ومجيباً » .

(٣) ف : « مستيحاً » .

فلم يزل يبلغه عنه ما يكره حتى تغبر له (١) .

وذكر أن دهقاناً دخل على خالد، فقال: أيها الأمير، إن غلة ابنك قد زادت على عشرة آلاف ألف؛ ولا آمن أن يبلغ هذا أمير المؤمنين فيستكره (٢) . وإن الناس يحبون جسدك، وأنا أحب جسدك وروحك؛ قال: إن أسد بن عبد الله قد كلمني بمثل هذا، فأنت أمرته؟ قال: نعم، قال: ويحك! دع ابني، فلربما طلب الدّرهم فلم يقدر عليه .

ثم عزم هشام - لما كثر عليه ما يتصل به عن خالد من الأمور التي كان يكرهها - على عزله؛ فلما عزم على ذلك أخفى ما قد عزم له عليه من أمره .

* * *

ذكر الخبر عن عمل هشام

في عزل خالد حين صبح عزمه على عزله

ذكر عمر أن عبيد بن جناد حدثه أنه سمع أباه وبعض الكتبة يذكر أن هشاماً أخفى عزل خالد، وكتب إلى يوسف بخطه - وهو على اليمن - أن يُقبل في ثلاثين من أصحابه. فخرج يوسف حتى صار إلى الكوفة، فعرّس قريباً منها، وقد ختن طارق - خليفة خالد على الخراج - ولده؛ فأهدى له ألف عتيق وألف وصيف وألف وصيفة؛ سوى الأموال والثياب وغير ذلك؛ فمرّ العاصم بيوسف وأصحابه ويوسف يصلي ورائحة الطيب تنفخ من ثيابه، فقال: ما أنتم؟ قالوا: سفّار (٣)؛ قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا طارقاً وأصحابه، فقالوا: إنا رأينا قومًا أنكرناهم، والرأى أن نقتلهم، فإن كانوا خوارج استرحنا منهم؛ وإن كانوا يريدونكم عرفتم ذلك فاستعددتم على أمرهم. فنهوهم عن قتلهم؛ فطافوا؛ فلما كان في السّحر وقد انتقل يوسف وصار إلى دور ثقيف، فمرّ بهم العاصم، فقال: ما أنتم؟ فقالوا: سفّار، قال: فأين تريدون؟ قالوا: بعض المواضع، فأتوا طارقاً وأصحابه، فقالوا: قد صاروا إلى دور ثقيف والرأى أن نقتلهم، فنهوهم وأمر يوسف بعض الشّقيتين، فقال: اجتمع لي من بها من مضر. ففعل، فدخل المسجد مع

(١) ف: «عليه» . (٢) ب: «فيستكره له ويستكره» .

(٣) كذا في أ، ب، وفي ط: «أسفار»، وأسفار وسفار: ذوو سفر .

١٦٤٩/٢ الفجر، فأمر المؤذن بالإقامة، فقال: حتى يأتي الإمام؛ فانتهره فأقام، وتقدم يوسف فقرأ: «إذا وقعت الواقعة»، و«سأل سائل»، ثم أرسل إلى خالد وطارق وأصحابهما، فأخذوا وإن القدور لتغلي.

قال عمر: قال علي بن محمد، قال: قال الربيع بن سابور مولى بني الحريش - وكان هشام جعل إليه الخاتم مع الحرس: أتى هشاماً كتاب خالد فغاضه^(١)، وقدم عليه في ذلك اليوم جندب مولى يوسف بن عمر بكتاب يوسف، فقرأه ثم قال لسالم مولى عنبسة بن عبد الملك: أجبه عن لسانك، وكتب هو بخطه كتاباً صغيراً، ثم قال لي: ائتني بكتاب سالم - وكان سالم على الديوان - فأتيته به، فأدرج فيه الكتاب الصغير، ثم قال لي: اختمه ففعلت، ثم دعا برسول يوسف، فقال: إن صاحبك لمتعد طوره، ويسأل فوق قدره؛ ثم قال لي: مزق ثيابه. ثم أمر به فضرب أسواطاً، فقال: أخرجه عني وادفع إليه كتابه. فدفعته إليه الكتاب، وقلت له: ويلك! النجاء! فارتاب بشير بن أبي ثلجة من أهل الأردن، وكان خليفة سالم وقال: هذه حيلة؛ وقد ولت يوسف العراق؛ فكتب إلى عامل لسالم على أجمة سالم، يقال له عياض: إن أهلاك قد بعثوا إليك بالثوب الماني؛ فإذا أتاك فالبسه واحمد الله، وأعلم ذلك طارقاً. فبعث عياض إلى طارق بن أبي زياد بالكتاب، وندم بشير على كتابه، وكتب إلى عياض: إن أهلاك قد بدا لهم في إمساك الثوب^(٢) فلا تتكل عليه؛ فجاء عياض بالكتاب الآخر إلى طارق، فقال طارق: الخبر في الكتاب الأول؛ ولكن صاحبك ندم وخاف أن يظهر الخبر فكتب بهذا. وركب طارق من الكوفة إلى خالد وهو بواسط؛ فسار يوماً وليلة، فصبحتهم، فرآه داود البربري - وكان على حجابة خالد وحرسه وعلى ديوان الرسائل - فأعلم خالداً، فغضب، وقال: قدم بغير إذن؛ فأذن له، فلما رآه قال: ما أقدمك؟ قال: أمرت كنت أخطأت فيه؛ قال: وما هو؟ قال: وفاة أسد رحمه الله، كتبت إلى الأمير أعزّيه عنه، وإنما كان ينبغي لي أن آتيه ماشياً. فرق خالد ودمعت عيناه، وقال: ارجع إلى عمالك؛

١٦٥٠/٢

(٢) ابن الأثير: «إرسال الثوب».

(١) كذا في ١، وفي ط: «غاضه».

قال : أردت أن أذكر للأمير أمراً أسيرُهُ ، قال : ما دون داود سرّ ، قال : أمر من أمرِي ، فغضب داود وخرج ، وأخبر طارق خالداً ، قال : فما الرأي ؟ قال : تركب إلى أمير المؤمنين فتعتذر إليه من شيء إن كان بلغه عنك . قال : فبئس الرجل أنا إذاً إن ركبت إليه بغير إذنه ، قال : فشيء آخر ، قال : وما هو ؟ قال : تسير في عملاك ، وأتقدمك^(١) إلى الشام ، فاستأذنه لك ؛ فإنك لا تبلغ أقصى^(٢) عملاك حتى يأتيك إذنه ، قال : ولا هذا ، قال : فأذهب فأضمن للأمير المؤمنين جميع ما انكسر في هذه السنين وأتيك بعهدك مستقبلاً^(٣) ، قال : وما يبلغ^(٤) ذاك ؟ قال : مائة ألف ألف ، قال : ومن أين آخذ^(٥) هذا ! والله ما أجد عشرة آلاف درهم ، قال : أتحمّل أنا وسعيد بن راشد أربعين ألف ألف درهم ، والزبنيّ وأبان بن الوليد عشرين ألف ألف ؛ وتفرّق الباقي على العمال ، قال : إني لأدأ للثيم ، أن كنت سوّغتُ قومًا شيئاً ثم أرجع فيه ، فقال طارق : إنما نقيك ونقي أنفسنا بأموالنا ونستأنف الدنيا ، وتبقى النعمة عليك وعلينا خير من أن يجيء من يطلبنا بالأموال ؛ وهي عند تجار أهل الكوفة ، فيتقاعسون ويتربصون بنا فنقتل ، ويأكلون تلك الأموال . فأبى خالد فودّعه طارق وبكى ، وقال : هذا آخر ما نلتقي في الدنيا ؛ ومضى .

ودخل داود ، فأخبره خالد بقول طارق ، فقال : قد علم أنك لا تخرج بغير إذن ؛ فأراد أن يختلّك ويأتى الشام ، فيتقبّل بالعراق هو وابن أخيه سعيد بن راشد . فرجع طارق إلى الكوفة ، وخرج خالد إلى الحمة^(٦) .

قال : وقدم رسول يوسف عليه اليمن ، فقال له : ما وراءك ؟ قال : الشرّ ، أمير المؤمنين ساخط ، وقد ضربني ولم يكتب جواب كتابك ، وهذا كتاب سالم صاحب الديوان . ففصّل الكتاب فقرأه ، فلما انتهى إلى آخره قرأ كتاب هشام بخطه : أن سرّ إلى العراق فقد وليتك إياه ، وإياك أن يعلم بذلك أحد ؛ وخذ ابن النصرانية وعماله فاشفئ منهم ؛ فقال يوسف : انظروا

(٢) ب : « آخر » .

(١) ف : « وأتقدمه » .

(٤) ف : « بلغ » .

(٣) ب : « مستقبلاً » .

(٦) ابن الأثير : « الحمة » ؛ وكذلك ما بعدها .

(٥) ف : « أجد » .

دليلاً عالمًا بالطريق ، فأتى بعدة ، فاختر منهم رجلاً وسار من يومه ، واستخلف على اليمن ابنه الصلت فشيّعه ؛ فلما أراد أن ينصرف سأله : أين تريد ؟ فضربه مائة سوط ، وقال : يابن اللخناء ، أيعنى عليك إذا استقرت في منزل ، فسار ، فكان إذا أتى إلى طريقين سأل ، فإذا قيل : هذا إلى العراق ، قال : أعرق ، حتى أتى الكوفة .

قال عمر : قال عليّ عن بشر بن عيسى ، عن أبيه ، قال : قال حسان النبطي : هياتُ لهشام طيباً ، فإني لبين يديه وهو ينظر إلى ذلك الطيب إذ قال لي : يا حسان ، في كم يقدم القادم من العراق إلى اليمن ؟ قال : قلت : لا أدري ، فقال :

أَمَرْتُكَ أَمْرًا حَازِمًا فَعَصَيْتَنِي فَأَصْبَحْتَ مَسْلُوبَ الْإِمَارَةِ نَادِمًا
قال : فلم يلبث إلا قليلاً حتى جاء كتاب يوسف من العراق قد قدمها ؛ وذلك في جمادى الآخرة سنة عشرين ومائة .

قال عمر : قال عليّ : قال سالم زنبيل : لما صرنا إلى النجف قال لي يوسف : انطلق فأنتي بطارق ؛ فلم أستطع أن آتبي عليه ، وقلت في نفسي : مَنْ لي بطارق في سلطانه ! ثم أتيت الكوفة ، فقلت لغلمان طارق : استأذنوا لي عليّ طارق ، فضربوني فصيحتُ له : ويلاك يا طارق ! أنا سالم رسول يوسف ، وقد قدم على العراق . فخرج فصاح بالغلمان ، وقال : أنا آتبه . قال : وروى أن يوسف قال لكيسان : انطلق فأنتي بطارق ؛ فإن كان قد أقبل فاحمله على إكاف ، وإن لم يكن أقبل فأت به سحجاً . قال : فأتيته بالحيرة دار عبد المسيح - وهو سيد أهل الحيرة - فقلت له : إن يوسف قد قدم على العراق ؛ وهو يأمرك أن تشد طارقاً وتأتيه به ؛ فخرج هو وولده وغلمانهم حتى أتوا منزل طارق - وكان لطارق غلام شجاع معه غلمان شجعاء لهم سلاح وعدة - فقال لطارق : إن أذنت لي خرجت إلى هؤلاء فيمن معي فقتلتهم ، ثم طرت على وجهك . فذهبت حيث شئت . قال : فأذن لكيسان ، فقال : أخبرني عن الأمير ، يريد المال ؟ قال : نعم ؛ قال : فأنا أعطيه ما سأل ؛ وأقبلوا إلى يوسف فتوافوا بالحيرة ، فلما عاينته ضربه ضرباً مبرحاً

— يقال خدسمائة سوط — ودخل الكوفة ، وأرسل عطاء بن مقدّم إلى خالد بالحمة .
 قال عطاء : فأتيْتُ الحاجب فقلتُ : استأذن لي على أبي الهيثم ، فدخل
 وهو متغيّر الوجه^(١) ، فقال له خالد : مالك ؟ قال : خير ، قال : ما عندك
 ١٦٥٤/٢ خير ، قال : عطاء بن مقدّم ، قال : استأذن لي على أبي الهيثم ، فقال :
 ائذن له ، فدخلت^(٢) : فقال : ويل أمها سُخْطَةً ! قال : فلم أَسْتَقِرَّ حتّى
 دخل الحكم بن الصلت ، فقعده معه ، فقال له خالد : ما كان ليلى على
 أحد هو أحبّ إلىّ منكم .

وخطب يوسف بالكوفة ، فقال : إن أمير المؤمنين أمرني بأخذ عمال
 ابن النصرانية ، وأن أشفيه منهم ، وسأفعل وأزيد والله يا أهل العراق ؛ ولأقتلن
 منافقيكم بالسيف وجنّاتكم بالعذاب وفسّاقكم . ثم نزل ومضى إلى واسط ،
 وأتى بخالد وهو بواسط .

قال عمر : قال حدثني الحكم بن النضر : قال : سمعت أبا عبيدة
 يقول : لما حبس يوسف خالدًا صالحه عنه أبان بن الوليد وأصحابه على تسعة
 آلاف ألف درهم ، ثم ندم يوسف ، وقيل له : لو لم تفعل لأخذت منه مائة
 ألف ألف درهم . قال : ما كنت لأرجع وقد رهنّت لساني بشيء . وأخبر أصحاب
 خالد خالدًا ، فقال : قد أسأتم حين أعطيتوه عند أوّل وهلة تسعة آلاف
 ألف ، ما آمن أن يأخذها ثم يعود عليكم ، فارجعوا . فجاءوا فقالوا : إنا قد
 أخبرنا خالدًا فلم يرض بما ضمنّا ، وأخبرنا أن المال لا يمكنه ، فقال : أنتم أعلم
 وصاحبكم ؟ فأما أنا فلا أرجع عليكم ؛ فإن رجعت لم أمنعكم ، قالوا : فلإنا قد
 ١٦٥٥/٢ رجعنا ، قال : وقد^(٣) فعلتم ! قالوا : نعم ، قال : فنتكم أتى النقص ؛ فوالله
 لا أرضى بتسعة آلاف ألف ولا مثليتها ولا مثلها ، فأخذ أكثر من ذلك .
 وقد قيل : إنه أخذ مائة ألف ألف .

وذكر الهيثم بن عدى ، عن ابن عياش ، أن هشامًا أزمع على عزّل
 خالد ، وكان سبب ذلك أنه اعتقد بالعراق أموالا وحفر أنهاراً ؛ حتّى بلغت

(٢) ١ ، ب : « فدخل » .

(١) ابن الأثير : « اللون » .

(٣) ف : « أفقد » .

غَلَّتْهُ عَشْرِينَ أَلْفَ أَلْفٍ ؛ مِنْهَا نَهْرُ خَالِدٍ ، وَكَانَ يُغَلِّ خَمْسَةَ آلَافٍ أَلْفٍ وَبَاجَوَى وَبَارُمَانَا وَالْمُبَارَكُ وَالْجَامِعُ وَكُورَةُ سَابُورَ وَالصَّلْحُ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَظْلُومٌ ؛ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ لِي - يَعْنِي أَنَّ عَمْرَ جَعَلَ لِبَسَجِيْلَةٍ رُبْعَ السَّوَادِ .

قَالَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ : أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ عِمَارَةَ ، عَنْ الْعُرْيَانِ بْنِ الْهَيْثَمِ ، قَالَ : كُنْتُ كَثِيرًا مَا أَقُولُ لِأَصْحَابِي : إِنِّي أَحْسَبُ ^(١) هَذَا الرَّجُلَ قَدْ تَخَلَّى مِنْهُ ؛ إِنْ قَرِيبًا لَا تَحْتَمِلُ هَذَا وَنَحْوَهُ ^(٢) ؛ وَهُمْ أَهْلُ حَسَدٍ ، وَهَذَا يُظْهِرُ مَا يُظْهِرُ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ؛ إِنْ النَّاسُ قَدْ رَمَوْكَ بِأَبْصَارِهِمْ ، وَهِيَ قَرِيشٌ ، وَلَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا إِلَّا ^(٣) ، وَهُمْ يَجِدُونَ مِنْكَ بُدًّا ؛ وَأَنْتَ لَا تَجِدُ مِنْهُمْ بُدًّا ؛ فَأَنْشَدَكَ اللَّهُ إِلَّا مَا كَتَبْتُ إِلَى هِشَامٍ تَخْبِرُهُ عَنْ أُمِّوَالِكَ ، وَتَعْرِضُ عَلَيْهِ مِنْهَا مَا أَحَبَّ ؛ فَمَا أَقْدِرُكَ عَلَى أَنْ تَتَّخِذَ مِثْلَهَا ؛ وَهُوَ لَا يَسْتَفْسِدُكَ ؛ وَإِنْ كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ فَلَعَمْرِي لِأَنْ يَذْهَبَ بَعْضُ وَيَبْقَى بَعْضُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذْهَبَ كُلُّهَا ؛ وَمَا كَانَ يَسْتَحْسِنُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ أَنْ يَأْخُذَهَا كُلُّهَا ، وَلَا آمَنُ أَنْ يَأْتِيَهُ بَاغٌ أَوْ حَاسِدٌ ^(٤) ، فَيَقْبَلُ مِنْهُ ؛ فَلَأَنْ تَعْطِيَهُ طَائِعًا خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعْطِيَهُ كَارِهًا . فَقَالَ : مَا أَنْتَ بِمَتَّهِمْ ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا . قَالَ : فَقُلْتُ أَطْعُنِي وَاجْعَلْنِي رَسُولَكَ ، فَوَاللَّهِ لَا يَحِلُّ عَقْدَةٌ إِلَّا شَدَّدْتُهَا ، وَلَا يَشُدُّ عَقْدَةٌ إِلَّا حَلَلْتُهَا . قَالَ : إِنَّا وَاللَّهِ لَا نَعْطِي عَلَى الذِّلَّةِ ، قَالَ : قُلْتُ : هَلْ كَانَتْ لَكَ هَذِهِ الضِّيَاعُ إِلَّا فِي سُلْطَانِهِ ! وَهَلْ تَسْتَطِيعُ الْامْتِنَاعُ مِنْهُ إِنْ أَخَذَهَا ! قَالَ : لَا ، قُلْتُ : فَبَادِرْهُ ، فَإِنَّهُ يَحْفَظُهَا لَكَ وَيَشْكُرُكَ عَلَيْهَا ؛ وَلَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُ عِنْدَكَ يَدٌ إِلَّا مَا ابْتَدَأَكَ بِهِ كُنْتُ جَدِيرًا أَنْ تَحْفَظَهُ ، قَالَ : لَا وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ أَبَدًا ، قَالَ : قُلْتُ فَمَا كُنْتُ صَانِعًا إِذَا عَزَلْتُ وَأَخَذْتُ ضِيَاعَكَ فَاصْنَعْهُ ، فَإِنْ إِخْوَتَهُ وَوَلَدَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ قَدْ سَبَقُوا ^(٥) لَكَ ، وَأَكْثَرُوا عَلَيْهِ فَيْكَ ، وَلَكِ صِنَائِعُ تَعُودُ عَلَيْهِمْ بِمَابِدَا لَكَ ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ اسْتِمَامَ مَا كَانَ مِنْكَ إِلَى صِنَائِعِكَ مِنْ هِشَامٍ . قَالَ : قَدْ أَبْصَرْتُ مَا تَقُولُ وَلَيْسَ إِلَيَّ ذَلِكَ سَبِيلٌ . وَكَانَ الْعُرْيَانُ يَقُولُ : كَأَنَّكُمْ بِهِ قَدْ عَزَلْتُمْ ، وَأَخَذْتُمْ مَا لَهُ

(١) ف : «لأحسب» . (٢) ح ، ف : «ولا نحوه» . (٣) الإل : الخلف والعهد . (٤) ب ، ح : «وحاسد» . (٥) أ : «شعوا» .

وتجسّى عليه ثم لا ينتفع بشيء . قال : فكان كذلك .

قال الهيثم : وحدّثني ابن عيّاش ، أن بلال بن أبي بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تعتب هشام عليه : إنه حدّث أمر لا أجد بدءاً من مشافهتك فيه ^(١) ؛ فإن رأيت أن تأذن لي ؛ فإنما هي ليلة ويومها إليك ، ويوم عندك ، وليلة ويومها منصرفاً . فكتب إليه ^(٢) : أن أقبل إذا شئت . فركب هو ووليان له الجمّازات ؛ فسار يوماً وليلة ، ثم صلى المغرب بالكوفة ؛ وهي ثمانون فرسخاً ، فأخبر خالد بمكانه ، فأتاه وقد تعصّب ، فقال : أبا عمرو ، أتعبت نفسك ، قال : أجل ، قال : متى عهدك بالبصرة ؟ قال : أمس ، قال : أحقّ ما تقول ! قال : هو والله ما قلت ، قال : فما أنصبتك ؟ قال : ما بلغني من تعتب أمير المؤمنين وقوله ، وما بغاك به ولده وأهل بيته ؛ فإن رأيت أن أتعرض له وأعرض عليه بعض أموالنا ، ثم ندعوه منها إلى ما أحب وأنفسنا به طيبة ، ثم أعرض عليه مالك ، فما أخذ منه فعلينا العوض منه بعد . قال : ما أتهمك وحتى أنظر ؛ قال : إني أخاف أن تعاجل ^(٣) ، قال : كلا ، قال : إن قريشاً من قد عرفت ، ولا سيما سرعتهم إليك قال : يا بلال ؛ إني والله ما أعطى شيئاً قسراً أبداً . قال أيها الأمير ، ١٦٥٨/٢ أتكلم ؟ قال : نعم ، قال : إن هشاماً أعذر منك ، يقول : استعملتُك . وليس لك شيء ، فلم تر من الحق عليك أن تعرض عليّ بعض ما صار إليك ؛ وأخاف أن يزيّن له حسان النبطي ما لا تستطيع إدراكه ، فاغنم هذه الفترة . قال : أنا ناظر في ذلك فانصرف راشداً . فانصرف بلال وهو يقول : كأنكم بهذا الرجل قد بُعث إليه رجل بعيد أتي ^(٤) ، به حمز ^(٥) ، بغيض النفس سخيف الدين ، قليل الحياء ، يأخذه بالإحسن والترات . فكان كما قال .

قال ابن عيَّاش : وكان بلال قد اتخذ داراً بالكوفة ، وإنما استأذن خالداً لينظر إلى داره ، فما نزلها إلّا مقيّداً ، ثم جعلت سجنًا إلى اليوم .

(٢) ح : « فكتب » .

(١) ف : « به » .

(٤) الأتي : الدخيل في القوم .

(٣) ا ، ح : « يعاجل » .

(٥) الحمز : الشدة .

قال ابن عيَّاش : كان خالد يخطب فيقول : إنكم زعمتم أني أغلبي أسعاريكم ؛ فعلى من يغلبها لعنة الله ! وكان هشام كتب إلى خالد لا تبيعن من الغلات شيئاً حتى تباع غلات أمير المؤمنين حتى بلغت كيلجة درهماً^(١) .
قال الهيثم ، عن ابن عيَّاش : كانت ولاية خالد في شوال سنة خمس ومائة ثم عزل في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة .

* * *

وفي هذه السنة قدم يوسف بن عمر العراق والياً عليها ، وقد ذكرت قبل سبب ولايته عليها .
وفي هذه السنة ولَّى خراسان يوسف بن عمر جُدَيْعَ بن عليّ الكرِمانيّ وعزل جعفر بن حنظلة .

١٦٥٩/٢

وقيل : إن يوسف لما قدم العراق أراد أن يولّي خراسان سلّم بن قُتَيْبَة ، فكتب بذلك إلى هشام ، ويستأذنه فيه ، فكتب إليه هشام : إن سلم بن قُتَيْبَة رجل ليس له بخراسان عشيرة ؛ ولو كان له بها عشيرة لم يقتل بها أبوه .

وقيل إن يوسف كتب إلى الكرِمانيّ بولاية خراسان مع رجل من بني سلّم وهو بمَـتـرُو ؛ فخرج إلى الناس يخطبهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر أسداً وقدمه خراسان ، وما كانوا فيه من الجهد والفتنة ، وما صنّع لهم على يديه . ثم ذكر أخاه خالداً بالحميل ، وأثنى عليه ؛ وذكر قدوم يوسف العراق ، وحث الناس على الطاعة ولزوم الجماعة ، ثم قال : غفر الله للميت — يعني أسداً — وعافى الله المعزول ، وبارك للقادم . ثم نزل .

* * *

وفي هذه السنة عزل الكرِمانيّ عن خراسان ، ووليّها نصر بن سيار بن ليث بن رافع بن ربيعة بن جُرَـجـيّ بن عوف بن عامر بن جُـنـدع بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وأمه زينب بنت حسان من بني تَغـلـب .

* * *

ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان
ذكر عليّ بن محمد عن شيوخه أن وفاة أسد بن عبد الله لما انتهت إلى

١٦٦٠/٢

هشام بن عبد الملك استشار أصحابه في رجل يصلح لخراسان ؛ فأشاروا عليه بأقوام ، وكتبوا له أسماءهم ؛ فكان ممن كتب له عثمان بن عبد الله بن الشَّخِير ويحيى بن حُضَيْن بن المنذر الرقاشي ونصر بن سيار الليثي وقطن بن قتيبة بن مسلم والمجشتر بن مزاحم السلمي أحد بني حرام ؛ فأما عثمان بن عبد الله ابن الشَّخِير ، فقليل له ؛ إنه صاحب شراب ، وقيل له : المجشتر شيخهم ، وقيل له : ابن حُضَيْن رجل فيه تيه وعظمة ، وقيل له : قطن بن قتيبة موتور ؛ فاختار نصر بن سيار ؛ فقليل له : ليست له بها عشيرة ، فقال هشام : أنا عشيرته . فولاه . وبعث بعده مع عبد الكريم بن سليط بن عقبة الهفاني ؛ هفان بن عدي بن حنيفة . فأقبل عبد الكريم بعده ، ومعه أبو المهند كاتبه مولى بنى حنيفة ، فلما قدم سَرَخَس ولا يعلم به ^(١) أحد ، وعلى سَرَخَس حفص بن عمر بن عباد التيمي أخو تميم بن عمر ، فأخبره أبو المهند ، فوجه حفص رسولاً ، فحملة إلى نصر ، ونفذ ابن سليط إلى مَرَو ، فأخبر أبو المهند الكرمانى ، فوجه الكرمانى نصر بن حبيب بن بحر بن ماسك بن عمر الكرمانى إلى نصر بن سيار ، فسبق رسول حفص إلى نصر بن سيار ؛ فكان أول مَنْ سلم عليه بالإمرة ، فقال له نصر : لعلك شاعر مكّار ! فدفع إليه الكتاب . وكان جعفر بن حنظلة ولّى عمرو بن مسلم مَرَو ، وعزل الكرمانى ولّى منصور بن عمر ^(٢) أبرشهر ، ولّى نصر بن سيار بخارى ، فقال جعفر ابن حنظلة : دعوتُ نصرّاً قبل أن يأتيه عهده بأيام ؛ فعرضتُ عليه أن أولّيه بخارى ، فشاور البخارى بن مجاهد ، فقال له البخارى ، وهو مولى بنى شيبان : لا تقبلها ، قال : ولم ؟ قال : لأنك شيخ مُضَر بخراسان ؛ فكأنك بعهدك قد جاء على خراسان كلها ؛ فلما أتاه عهده بعث إلى البخارى فقال البخارى لأصحابه : قد ولّى نصر بن سيار خراسان ؛ فلما أتاه سلم عليه بالإمرة ، فقال له : أنّى علمت ؟ قال : لما بعثت إلى ، وكنت قبل ذلك تأتيني ، علمت أنك قدوليت .

قال : وقد قيل إن هشاماً قال لعبد الكريم حين أتاه خبر أسد بن عبد الله بموته : مَنْ ترى أن نولّى خراسان ، فقد بلغنى أن لك بها وبأهلها علماً ؟

١٦٦١/٢

قال عبد الكريم : قلت : يا أمير المؤمنين ؛ أمّا رجلُ خراسان حزمًا ونجدةً فالكرماني ؛ فأعرض بوجهه ، وقال : ما اسمه ؟ قلت : جُدَيْع بن عليّ ، قال : لا حاجة لي فيه ؛ وتطيّر ، وقال : سمّ لي غيره ، قلت : اللسن^(١) المجرب يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيبانيّ أبو الميلاء ، قال : ربعة لا تُسدّ بها الثغور — قال عبد الكريم : فقلت في نفسي : كره ربعة واليمن ، فأرميه بمُضَر — فقلت : عقيل بن معقل الليثي ، إن اغتفرت هنةً ، قال : ما هي ؟ قلت : ليس بالعفيف ، قال : لا حاجة لي به ، قلت : منصور بن أبي الخرقاء السلميّ ، إن اغتفرت نكره فإنه مشثوم ، قال : غيره ، قلت : المحشّر بن مزاحم السلميّ ، عاقل^(٢) شجاع ، له رأي مع كذب فيه ، قال : لا خير في الكذب ، قلت : يحيى بن حُضَيْن ، قال : ألم أخبرك أنّ ربعة لا تسدّ بها الثغور ! قال : فكان إذا ذكرت له ربعة ، واليمن أعرض . قال عبد الكريم : وأخبرت نصرًا وهو أرجلُ القوم وأحزمهم وأعلمهم بالسياسة ، فقلت : نصر بن سيار الليثي ، قال : هو لها ، قلت : إن اغتفرت واحدة ؛ فإنه عفيف مجرب عاقل ، قال : ما هي ؟ قلت : عشيرته بها قليلة ، قال : لا أبا لك ، أتريد عشيرة أكثر مني ! أنا عشيرته .

وقال آخرون : لما قدم يوسف بن عمر العراق قال : أشيروا عليّ برجل أولته خراسان ، فأشاروا عليه بمسلمة بن سليمان بن عبد الله ابن خازم وقدّيد بن منيع المنقريّ ونصر بن سيار وعمرو بن مسلم ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ومنصور بن أبي الخرقاء وسلم بن قتيبة ويونس بن عبد ربه وزباد بن عبد الرحمن القشيريّ ؛ فكتب يوسف بأسمائهم إلى هشام ، وأطرى القيسية ، وجعل آخر من كتب اسمه نصر بن سيار الكنانيّ ، فقال هشام : ما بال الكنانيّ آخرهم ! وكان في كتاب يوسف إليه : يا أمير المؤمنين ، نصر بخراسان قليلُ العشيرة . فكتب إليه هشام : قد فهمت كتابك وإطراءك القيسية . وذكرت نصرًا وقلة عشيرته ، فكيف يقلّ منّ أنا عشيرته ! ولكنك تقيست عليّ ، وأنا متخذف عليك ؛ ابعث بعهد نصر ؛ فلم يقلّ منّ عشيرته

أمير المؤمنين ؛ بله ما إن تميماً أكثر أهل خراسان. فكتب إلى نصر أن يكتب يوسف بن عمر ، وبعث يوسف سائماً وافداً إلى هشام ؛ وأثنى عليه فلم يولّه ، ثم أوفد شريك بن عبد ربه النُصَيْري ، وأثنى عليه ليولّيه خراسان ، فأبى عليه هشام .

قال : وأوفد نصر من خراسان الحكم بن يزيد بن عمير الأسدي إلى هشام ، وأثنى عليه نصر ، فضر به يوسف ومنعه من الخروج إلى خراسان ؛ فلما قدم يزيد بن عمر بن هبيرة استعمل الحكم بن يزيد على كيرمان ، وبعث بعهد نصر مع عبد الكريم الحنفي - ومعه كاتبه أبو المهند مولى بني حنيفة - فلما أتى سرخس وقع الثلج ، فأقام ونزل على حفص بن عمر بن عباد التيمي ، فقال له : قدمت بعهد نصر على خراسان ؛ قال : وهو عامل يومئذ على سرخس -

١٦٦٤/٢

فدعا حفص غلامه ، فحمله على فرس وأعطاه مالا ، وقال له : طير واقتل الفرس ؛ فإن قام عليك فاشتر غيرَه حتى تأتى نصرًا . قال : فخرج الغلام حتى قدِم^(١) على نصر ببلخ ، فيجده في السوق ، فدفع إليه الكتاب ، فقال : أتدري ما في هذا الكتاب ؟ قال : لا ، فأمسكه بيده ، وأتى منزله ، فقال الناس : أتى نصرًا عهده على خراسان ، فأتاه قوم من خاصته ، فسألوه فقال : ما جاءني شيء ، فكث يومه ، فدخل عليه من الغد أبو حفص بن علي ، أحد بني حنظلة وهو صهره ؛ وكانت ابنته تحت نصر ، وكان أهوج كثير المال ؛ فقال له : إن الناس قد خاضوا وأكثروا في ولايتك ؛ فهل جاءك شيء ؟ فقال : ما جاءني شيء ، فقام ليخرج . فقال : مكانك ؛ وأقرأه الكتاب ، فقال : ما كان حفص ليكتب إليك إلا بحق ، قال : فيينا هو يكلمه إذ استأذن عليه عبد الكريم ، فدفع إليه عهده ، فوصله بعشرة آلاف درهم . ثم استعمل نصر على بلك مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم ، واستعمل وشاح ابن بكير بن وشاح على مرو الروذ ، والحارث بن عبد الله بن الحشرج على هراة ، وزباد بن عبد الرحمن القشيري على أبرشهر^(٢) ، وأبا حفص بن علي ختنه على خوارزم ، وقطن بن قتيبة على السغد . فقال رجل من أهل الشام من الياينة : ما رأيت عصبية مثل هذه ! قال : بلى ، التي كانت قبل هذه .

(١) ح ، ف : « فقدم » .

(٢) ابن الأثير : « نيسابور » .

١٦٦٥/٢ فلم يستعمل أربع سنين إلا مُضْرِبًا، وعمرت خُرَاسان عمارة لم تعمر قبل ذلك مثلها، ووضع الخراج، وأحسن الولاية والحباية، فقال سَوَّار بن الأشعر:

أَضَحَتْ خُرَاسَانُ بَعْدَ الْخَوْفِ أَمَنَةً مِنْ ظُلْمِ كُلِّ غُشُومِ الْحَكَمِ جَبَّارِ
لَمَّا أَتَى يُوسُفًا أَخْبَارُ مَا لَقِيتُ اخْتَارَ نَصْرًا لَهَا؛ نَصْرَ بَنِ سَيَّارِ

وقال نصر بن سيار فيمن كره ولايته:

تَعَزَّ عَنْ الصَّبَابَةِ لَا تَلَامُ كَذَلِكَ لَا يَلُمُ بَكَ احْتِمَامُ
أَنَّ سَخِطْتَ كَبِيرَةً بَعْدَ قُرْبٍ كَلِفْتَ بِهَا وَبَاشَرَكَ السَّقَامُ!
تُرْجَى الْيَوْمَ مَا وَعَدْتَ حَلِيشًا وَقَدْ كُذِبَتْ مَوَاعِدُهَا الْكِرَامُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ مَا صَنَعَ الْغَوَانِي عَمِيرٌ لَا يَرِيعُ بِهِ الْكَلَامُ
أَبَتْ لِي طَاعَتِي وَأَبَى بَلَاءِي وَفَوَزِي حِينَ يَغْتَرِكُ الْخَصَامُ
وَأَنَا لَا تُضِيعُ لَنَا مُلِمًا وَلَا حَسَبًا إِذَا ضَاعَ الدَّمَامُ
وَلَا نُغْضِي عَلَى غَدْرِ وَإِنَّا نُقِيمُ عَلَى الْوَفَاءِ فَلَا نُلَامُ
خَلِيفَتُنَا الَّذِي فَازَتْ يَدَاهُ بِقُدْحِ الْحَمْدِ وَالْمَلِكِ الْهَمَامُ
نَسُوهُمْ بِهِ وَلَنَا عَلَيْهِمُ إِذَا قَلْنَا مَكَارِمُهُ حِسَامُ
أَبُو الْعَاصِي أَبُوهُ وَعَبْدُ شَمْسٍ وَحَرْبُ الْقَمَاقِمَةِ الْكِرَامُ
وَمِرْوَانُ أَبُو الْخُلَفَاءِ عَالٍ عَلَيْهِ الْمَجْدُ فَهُوَ لَهُمْ نِظَامُ
وَبَيْتُ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ فِينَا وَبَيْتَاهُ الْمُقَدَّسُ وَالْحَرَامُ
وَنَحْنُ الْأَكْرَمُونَ إِذَا نُسِبْنَا وَعِزُّنَا الْبَرِيَّةُ وَالسَّنَامُ
فَأَمْسَيْنَا لَنَا مِنْ كُلِّ حَىٍّ خِرَاطِيمُ الْبَرِيَّةِ وَالزَّمَامُ
لَنَا أَيْدٍ نَرِيشُ بِهَا وَنُبْرِى وَأَيْدٍ فِي بَوَادِرِهَا السَّمَامُ
وَبِأَسْ فِي الْكَرْهَةِ حِينَ نَلْقَى إِذَا كَانَ النَّذِيرُ بِهَا الْحَسَامُ^(١)

١٦٦٦/٢

قال : وأتى نصرأ عهدہ فی رجب من سنة عشرين ومائة ، وقال له البختری :
اقرأ عهدك واخطب الناس ؛ فخطب الناس فقال فی خطبته : استمسكوا
أصحابنا بجُددِكم ، فقد عرفنا خيركم وشرکم .

* * *

وحجَّ بالناس فی هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ، كذلك حدَّثني
أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وقد قيل : إن الذي حجَّ بهم فيها سليمان بن هشام .
وقيل : حجَّ بهم يزيد بن هشام .

وكان العامل فی هذه السنة على المدينة ومكة والطائف محمد بن هشام ،
وعلى العراق والمشرق كله يوسف بن عمر ، وعلى خراسان نصر بن سيار — وقيل
جعفر بن حنظلة — وعلى البصرة كثير بن عبد الله السلمی من قبيل يوسف بن
عمر ، وعلى قضائها عامر بن عبيدة الباهلي ، وعلى أرمينية وأذربيجان
مروان بن محمد ، وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة .

ثم دخلت سنة إحدى وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة مسلمة بن هشام بن عبد الملك الروم ، فافتتح بها مطامير .
وغزوة مروان بن محمد بلاد صاحب سرير الذهب ، فافتتح قلاعته وخرَّب
أرضه ، وأذعن له بالجزية ، في كل سنة ألف رأس يؤدِّيه إليه ، وأخذ منه
بذلك الرهن ، وملكه مروان على أرضه .
وفيه ولد العباس بن محمد .

• • •

[ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علي]

وفيهما قُتل زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب في قول الواقدي
في صفر ؛ وأما هشام بن محمد فإنه زعم أنه قتل في سنة اثنتين وعشرين ومائة ،
في صفر منها .

• ذكر الخبر عن سبب مقتله وأموره وسبب مخرجه :

اختلف في سبب خروجه ؛ فأما الهيثم بن عدي فإنه قال — فيما ذكر
عنه ، عن عبد الله بن عياش — قال : قدم زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن
أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن عباس على خالد بن عبد الله وهو على العراق ،
فأجازهم ورجعوا إلى المدينة ؛ فلما وليّ ابن يوسف بن عمر كتب إلى هشام
بأسمائهم وبما أجازهم به ، وكتب يذكر أن خالداً ابتاع من زيد بن علي أرضاً
بالمدينة بعشرة آلاف دينار ، ثم ردّ الأرض عليه . فكتب هشام إلى عامل
المدينة أن يسرّحهم إليه ففعل ، فسألهم هشام فأقروا بالجارّة ، وأنكروا ما سوى
ذلك ، فسأل زيداً عن الأرض فأنكرها ، وحلفوا لهشام فصدّ قههم .

وأما هشام بن محمد الكلبي ، فإنه ذكر أن أبا مخنف حدثه أن أوّل أمر
زيد بن علي كان أن يزيد بن خالد القسريّ ادّعى مالاً قبيل زيد بن علي
ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن العباس
ابن عبد المطلب وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهريّ وأيوب بن

سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، فكتب فيهم يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك - وزيد بن عليّ يومئذ بالرّصافة يخاصم بني الحسن ابن الحسن بن عليّ بن أبي طالب في صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومحمد بن عمر بن عليّ يومئذ مع زيد بن عليّ - فلما قدمت كتب يوسف ابن عمر على هشام بن عبد الملك بعث إليهم فذكر لهم ما كتب به يوسف ابن عمر إليه مما ادّعى قبلهم يزيد بن خالد ، فأنكروا ، فقال لهم هشام : فلأنا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه ، فقال له زيد بن عليّ : أنشدك الله والرحم أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر ! قال : وما الذي تخاف (١) من يوسف بن عمر ؟ قال : أخاف أن يعتدي عليّ ، قال له هشام : ليس ذلك له ، ودعا هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر :

١٦٦٩/٢

أما بعد ، فإذا قدم عليك فلان وفلان ، فاجمع بينهم وبين يزيد بن خالد القسريّ ، فإن هم أقرّوا بما ادّعى عليهم فسرّح بهم إلىّ ، وإن هم أنكروا فسله بيّنة ، فإن هو لم يُقيم البيّنة فاستحلفهم بعد العصر بالله الذي لا إله إلا هو ؛ ما استودعهم يزيد بن خالد القسريّ وديعة ، ولا له قبلهم (٢) ، شيء ! ثم خلّ سبيلهم .

فقالوا له هشام : إنا نخاف أن يعتدي كتابناك ، ويطول علينا ، قال : كلا ، أنا باعث معكم رجلاً من الحرّس يأخذه بذلك ؛ حتى يعجل الفراغ ، فقالوا : جزاك الله والرحم خيراً ؛ لقد حكمت بالعدل . فسرّح بهم إلى يوسف ، واحتبس أيوب بن سلمة ؛ لأن أمّ هشام بن عبد الملك ابنة هشام ابن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي ، وهو في (٣) أخواله ، فلم يؤخذ بشيء من ذلك القرف .

فلما قدموا على يوسف ، أدخلوا (٤) عليه ، فأجلس زيد بن عليّ قريباً منه ، وألطفه في المسألة ، ثم سأله عن المال ، فأنكروا جميعاً ، وقالوا : لم يستودعنا مالاً ، ولا له قبّلنا حق ، فأخرج يوسف يزيد بن خالد إليهم ، فجمع بينه وبينهم ، وقال له : هذا زيد بن عليّ ، وهذا محمد بن عمر بن عليّ ،

١٦٧٠/٢

(١) ف : « فقال له : ما تخاف ؟ » . (٢) ح ، ف : « قبلكم » . (٣) أ : « من » . (٤) كذا في أ ، وفي ط : « فأدخلوا » .

وهذا فلان وفلان الذين كنت أدعيت عليهم ما أدعيت ، فقال : مالى قبلهم قليل ولا كثير ، فقال يوسف : أفبى^(١) تهزأ أم بأمر المؤمنين ! فعذب به يومئذ عذاباً ظناً أنه قد قتله ، ثم أخرجهم إلى المسجد بعد صلاة العصر ، فاستحلفهم فحلفوا له ، وأمر بالقوم فبسط عليهم ؛ ما عدا زيد بن علي فإنه كف عنه فلم يقتدر^(٢) عند القوم على شيء . فكتب إلى هشام يعلمه الحال ، فكتب إليه هشام : أن استحلفهم ، وخل سبيلهم ، فخلت عنهم فخرجوا فلحقوا بالمدينة ، وأقام زيد بن علي بالكوفة^(٣) .

• • •

وذكر عبيد بن جنادة ، عن عطاء بن مسلم الخفاف أن زيد بن علي رأى فى منامه أنه أضرم فى العراق ناراً ، ثم أطفأها ثم مات . فهايته ، فقال لابنه يحيى : يا بنى ، إني رأيت رؤيا قد راعتنى ، فقصتها عليه . وجاءه كتاب هشام بن عبد الملك بأمره بالقدوم عليه ، فقدم ، فقال له : الحق بأمرك يوسف ، فقال له : نشدتك بالله يا أمير المؤمنين ، فوالله ما آمن إن بعثتني إليه ألا أجتمع أنا وأنت حين على ظهر الأرض بعدها ، فقال : الحق بيوسف كما تؤمر ؛ فقدم عليه .

وقد قيل : إن هشام بن عبد الملك إنما استقدم زيداً من المدينة عن كتاب يوسف بن عمر ؛ وكان السبب فى ذلك — فيما زعم أبو عبيدة — أن يوسف بن عمر عذب خالد بن عبد الله ، فادعى خالد أنه استودع زيد بن علي وداود بن علي ابن عبد الله بن عباس ورجلين من قریش : أحدهما مخزومي والآخر جُمَحِي مالا عظيماً ، فكتب بذلك يوسف إلى هشام ، فكتب هشام إلى خاله إبراهيم ابن هشام — وهو عامله على المدينة — بأمره بحملهم إليه . فدعا إبراهيم بن هشام زيداً وداود ، فسألهما عما ذكر خالد ، فحلفا ما أودعهما خالد شيئاً ، فقال : إنكما عندى لصادقان ؛ ولكن كتاب أمير المؤمنين قد جاء بما تريان ، فلا بد من إنفاذه . فحملهما إلى الشام ، فحلفا بالآيمان الغلاظ ما أودعهما خالد شيئاً قط . وقال داود : كنت قدِمْتُ عليه العراق ، فأمرلى بمائة ألف

١٦٧١/٢

(١) ح : « أبى » . (٢) ١ ، ح : « يقدر » .

(٣) انظر بقية خبر هشام ص ١٦٦ .

درهم ، فقال هشام : أنما عندى أصدق من ابن النصرانية ، فاقدما على يوسف ، حتى يجمع بينكما وبينه فتكذبا به في وجهه .

وقيل : إن زيدا إنما قدم على هشام مخلصا ابن عمه عبد الله بن حسن بن حسن بن علي ، ذكر ذلك عن جويرية بن أسماء ، قال : شهدت زيد بن علي وجعفر بن حسن بن حسن يختصمان في ولاية وقوف علي ، وكان زيد يخاصم عن بني حسين ، وجعفر يخاصم عن بني حسن ؛ فكان جعفر وزيد يتبالغان بين يدي والي إلى كل غاية ، ثم يقومان فلا يعيدان مما كان بينهما ١٦٧٢/٢ حرفا ، فلما مات جعفر قال عبد الله : من يكفيننا زيدا ؟ قال حسن بن حسن بن حسن : أنا أكفيكه ، قال : كلا ، إنا نخاف لسانك ويدك ؛ ولكني أنا^(١) ، قال : إذن لا تبلغ حاجة لك وحجتك ، قال : أما حجتى فسأبلغها ؛ فتنازعا إلى الوالى - والوالى يومئذ عندهم فيما قيل إبراهيم بن هشام - قال : فقال عبد الله لزيد : أتطمع أن تنالها وأنت لأمة سندية ! قال : قد كان إسماعيل لأمة ؛ فقال أكثر منها ؛ فسكت عبد الله ، وتبالغا يومئذ كل غاية ؛ فلما كان الغد أحضرهم الوالى ، وأحضر قريشا والأنصار ، فتنازعا ، فاعترض رجل من الأنصار ، فدخل بينهما ، فقال له زيد : وما أنت والدخول بيننا ، وأنت رجل من قحطان ! قال : أنا والله خير منك نفسا وأبنا وأمنا . قال : فسكت زيد ، وانبرى له رجل من قريش فقال : كذبت ، لعمر الله هو خير منك نفسا وأبنا وأمنا وأولا وآخرًا ، وفوق الأرض وتحتها ، فقال الوالى : وما أنت وهذا ! فأخذ القرشي كفا من الحصى ، فضرب به الأرض وقال : والله ما على هذا من صبر ، وفطن عبد الله وزيد لشاة الوالى بهما ، فذهب عبد الله ليتكلم ، فطلب إليه زيد فسكت ، وقال زيد للوالى : أمنا والله لقد جمعتنا لأمر ما كان أبو بكر ولا عمر ليجمعانا على مثله ؛ وإني أشهد الله ألا أنازعه إليك محققا ولا مبطلا ما كنت حيا . ثم قال لعبد الله : انهض يابن عم ؛ فنهضا وتفرقا الناس .

وقال بعضهم : لم يزل زيد ينازع جعفر بن حسن ثم عبد الله بعده ؛

حتى ولّى هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم المدينة ،
فتنازعا ، فأغلظ عبد الله لزيد ، وقال : يا ابن الهندكية^(١) ! فتضاحك زيد ،
وقال : قد فعلتها يا أبا محمد ! ثم ذكر أمّه بشيء .

وذكر المدائني أن عبد الله لما قال ذلك لزيد قال زيد : أجل والله ،
لقد صبرت بعد وفاة سيدها فما تعبت بابها إذ لم يصبر غيرها . قال :
ثم ندم زيد واستحيا من عمته ؛ فلم يدخل عليها زماناً ، فأرسلت إليه :
يا ابن أخي ، إني لأعلم أن أمك عندك كأم عبد الله عنده .

وقيل : إن فاطمة أرسلت إلى زيد : إن سب عبد الله أمك فاسب
أمّه ؛ وأنها قالت لعبد الله : أقلت لأم زيد كذا وكذا ؟ قال : نعم ، قالت :
فبئس والله ما صنعت ! أما والله لنعم دخيلة القوم كانت !

فذكر أن خالد بن عبد الملك ، قال لهما : اغدوا علينا غداً ، فلست
لعبد الملك إن لم أفصل بينكما . فباتت المدينة تغلي كالمرجل^(٢) ، يقول قائل :
كذا وقائل كذا ؛ قائل يقول قال زيد كذا ، وقائل يقول : قال عبد الله كذا .
فلما كان الغد جلس خالد في المجلس في المسجد ، واجتمع الناس ،
فن شامت ومن مهموم ، فدعا بهما خالد ، وهو يحب أن يتشاما ، فذهب
عبد الله يتكلم ، فقال زيد : لا تعجل يا أبا محمد ، أعتق زيد ما يملك إن
خاصمك إلى خالد أبداً ؛ ثم أقبل على خالد فقال له : يا خالد ؛ لقد جمعت^(٣)
ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمر ما كان يجمعهم عليه أبو بكر ولا
عمر ؛ قال خالد : أما لهذا السفية أحد ؟ فتكلم رجل من الأنصار من آل
عمرو بن حزم ، فقال : يا ابن أبي تراب وابن حسين السفية ، ما ترى لوال^(٤)
عليك حقاً ولا طاعة ! فقال زيد : اسكت أيّها القحطاني ، فإننا لا نجيب
مثلك ، قال : ولم ترغب عني ! فوالله إني لخير منك ، وأبي خير من أبيك ،
وأمي خير من أمك ! فتضاحك زيد ، وقال : يا معشر قريش ، هذا الدين قد
ذهب ، أفذهبت الأحساب ! فوالله إنه ليذهب دين القوم وما تذهب أحسابهم .

١٦٧٤/٢

(٢) ب : « كالمرجل » .

(١) ب وابن الأثير : « السندية » .

(٤) ابن الأثير : « اللوال » .

(٣) ابن الأثير : « أجمعت » .

فتكلم عبد الله بن واقد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب، فقال : كذبتُ والله أيها القحطاني ؛ فوالله هو خير منك نفساً وأباً وأمّاً ومحتدّاً ، وتناوله بكلام كثير ؛ قال القحطاني : دعنا منك يا ابن واقد ؛ فأخذ ابن واقد كفّاً من ١٦٧٥/٢ حصيّ ؛ فضرب بها الأرض ، ثم قال له : والله ما لنا على هذا صبر ، وقام . وشخص^(١) زيد إلى هشام بن عبد الملك ، فجعل هشام لا يأذن له ، فيرفع إليه القصص ؛ فكلّما رفع إليه قصّة كتب هشام في أسفلها : ارجع إلى أميرك^(٢) ؛ فيقول زيد : والله لا أرجع إلى خالد أبداً ، وما أسأل مالا ؛ إنما أنا رجل مخاصم ؛ ثم أذن له يوماً بعد طول حبّس .

فذكر عمر بن شبة ، عن أيوب بن عمر بن أبي عمرو^(٣) ، قال : حدثني محمد بن عبد العزيز الزهرّي قال : لما قدم زيد بن عليّ على هشام بن عبد الملك أعلمه حاجبه بمكانه ، فرقى هشام إلى عليّة له طويلة ، ثم أذن له ، وأمر خادماً أن يتبعه ، وقال : لا يرينك ، واسمع ما يقول . قال : فأتبعته^(٤) الدّرَجَة — وكان بادناً — فوقف في بعضها ، فقال : والله لا يحبّ الدنيا أحد إلا ذلّ ، فلما صار إلى هشام قضى حوائجه ، ثم مضى نحو الكوفة ، ونسى هشام أن يسأل الخادم حتى مضى لذلك أيام ، ثم سأله فأخبره ، فالتفت إلى الأبرش . فقال : والله ليأتينك خلعه أول شيء ، وكان كما قال .

وذكر عن زيد أنه حلف لهشام على أمر ؛ فقال له : لا أصدّقك ، ١٦٧٦/٢ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن الله لم يرفع قدراً أحد عن أن يرضى بالله ، ولم يضع قدراً أحد عن ألا يرضى بذلك منه ، فقال له هشام : لقد بلغني يا زيد أنك تذكر الخلافة وتتمناها ، ولست هناك وأنت ابن أمة ! فقال زيد : إن لك يا أمير المؤمنين جواباً ، قال : تكلم ، قال : ليس أحدٌ أولي بالله ، ولا أرفع عنده منزلة من نبيّ ابتعثه ؛ وقد كان إسماعيل من خير الأنبياء ، وولد خيرهم محمداً صلى الله عليه وسلم ، وكان إسماعيل ابن أمة وأخوه ابن صريحة مثلك ؛ فاختره الله عليه ، وأخرج منه خير البشر ؛ وما على أحد من

(١) ابن الأثير : « فخص » . (٢) ب وابن الأثير : « منزلك » .

(٣) كذا في ب ، وهو الصواب ، وفي ط : « عمر » .

(٤) كذا في أ ، والدرجة : المرقاة .

ذلك جدّه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كانت أمه [أمة] ^(١) . فقال له هشام : اخرج ، قال : أخرج ثم لا ترائي إلّا حيث تكره ، فقال له سالم : يا أبا الحسين ؛ لا يظهرنّ هذا منك .

* * *

رجع الحديث إلى حديث هشام بن محمد الكلبيّ عن أبي مخنف ^(٢) . قال : فجعلت الشيعة تختلف إلى زيد بن عليّ ، وتأمّره بالخروج ، ويقولون : إنا نلرجو أن تكون المنصور ، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية . فأقام بالكوفة ، فجعل يوسف بن عمر يسأل عنه ، فيقال : هو هاهنا ، فيبعث إليه أن اشخص ، فيقول : نعم ؛ ويعتلّ له بالوَجع . فكث ما شاء الله ، ثم سأل أيضاً عنه فقبل له : هو مقيمٌ بالكوفة بعدُ لم يرح ، فبعث إليه ، فاستحثّه بالشخص ، فاعتلّ عليه بأشياء يبتاعها ، وأخبره أنه في جهازه ، ورأى جدّ يوسف في أمره فتحيّاً ، ثم شخص حتى أتى القادسية . وقال بعض الناس : أرسل معه رسولاّ حتى بلغه العُدَيب ، فلحقته الشيعة ، فقالوا ^(٣) له : أين تذهب عنّا ومعلك مائة ألف رجل من أهل الكوفة ، يضربون دونك بأسيا فهم غداً وليس قبلك من أهل الشام إلا عدّة قليلة ، لو أن قبيلة من قبائلنا نحو مذحج أو همدان أو تميم أو بكر نصبت لهم لكفتهم ^(٤) ، بإذن الله تعالى ! فنشذك الله لما رجعت ؛ فلم يزالوا به حتى ردّوه إلى الكوفة .

١٦٧٧/٢

* * *

وأما غير أبي مخنف ؛ فإنه قال ما ذكر عبيد بن جناد ، عن عطاء بن مسلم ، أن زيد بن عليّ لما قدّم على يوسف ، قال له يوسف : زعم خالد أنه قد أودعك مالا ، قال : أنّي يودعني مالا وهو يشتم آبائي على منبره ! فأرسل إلى خالد ، فأحضره في عباءة ، فقال له : هذا زيد ، زعمت أنك قد أودعته مالا ، وقد أنكرك ؛ فنظر خالد في وجههما ، ثم قال : أتريد أن تجمع مع إلثك

(١) تكلّة من ا ، وما هنا مصدرية . (٢) انظر أول الخبر ص ١٦٠ .

(٣) ح : « فالت » .

(٤) ف « لكفتهم » .

فِي لِمَا فِي هَذَا ! وَكَيْفَ أَوْدِعَهُ مَالًا وَأَنَا أَشْتَمُهُ وَأَشْتَمُ آبَاءَهُ عَلَى الْمَنْبَرِ !
قال : فَشْتَمُهُ يَوْسُفَ ، ثُمَّ رَدَّهُ .

وَأَمَّا أَبُو عُبَيْدَةَ ، فَذَكَرَ عَنْهُ ، أَنَّهُ قَالَ : صَدَّقَ هِشَامٌ زَيْدًا وَمَنْ كَانَ
يُوسُفَ قَرَفَهُ بِمَا قَرَفَهُ بِهِ ، وَوَجَّهَهُمْ إِلَى يَوْسُفَ ، وَقَالَ : لَإِنَّهُمْ قَدْ حَلَفُوا لِي ،
وَقَبِلْتُ أَيْمَانَهُمْ وَأَبْرَأْتُهُمْ مِنَ الْمَالِ ، وَلَئِنَّمَا وَجَّهْتُ بِهِمْ إِلَيْكَ لِتَجْمَعَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
خَالِدٍ فَيَكْذِبُوهُ . قَالَ : وَوَصَلَهُمْ هِشَامٌ ؛ فَلَمَّا قَدَمُوا عَلَى يَوْسُفَ أَنْزَلَهُمْ وَأَكْرَمَهُمْ ،
وَبَعَثَ إِلَى خَالِدٍ فَأَتَى بِهِ ، فَقَالَ : قَدْ حَلَفَ الْقَوْمُ ، وَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِبَرَاءَتِهِمْ ، فَهَلْ عِنْدَكَ بَيِّنَةٌ بِمَا ادَّعَيْتَ ؟ فَلَمْ تَكُنْ لَهُ بَيِّنَةٌ ، فَقَالَ الْقَوْمُ لَخَالِدٍ :
مَا دَعَاكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : غَلَّظَ عَلَيَّ الْعَذَابَ فَادَّعَيْتُ مَا ادَّعَيْتُ ،
وَأَمَلْتُ أَنَّ يَأْتِيَ اللَّهَ بِفَرَجٍ قَبْلَ قُدُومِكُمْ . فَأُطْلِقَهُمْ يَوْسُفَ ، فَمَضَى الْقُرَشِيَّانِ :
الْجُمَحِيُّ وَالْخَزَوْعِيُّ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ وَتَخَلَّفَ الْهَاشِمِيُّانِ : دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ وَزَيْدُ
ابْنِ عَلِيٍّ بِالْكُوفَةِ .

وَذَكَرَ أَنَّ زَيْدًا أَقَامَ بِالْكُوفَةِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ أَوْ خَمْسَةَ وَيَوْسُفَ يَأْمُرُهُ بِالْخُرُوجِ ،
وَيَكْتُبُ إِلَى عَامِلِهِ عَلَى الْكُوفَةِ وَهُوَ يَوْمُئِذٍ بِالْحِيرَةِ يَأْمُرُهُ بِالْإِزْعَاجِ ^(١) زَيْدًا ، وَزَيْدُ
يَذْكُرُ أَنَّهُ يَنَازِعُ بَعْضَ آلِ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي مَالٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ بِالْمَدِينَةِ ،
فَيَكْتُبُ الْعَامِلُ بِذَلِكَ إِلَى يَوْسُفَ ، فَيَقْرَهُ أَيَّامًا ، ثُمَّ يَبْلُغُهُ أَنَّ الشَّيْعَةَ تَتَخَلَّفُ
إِلَيْهِ ؛ فَيَكْتُبُ إِلَيْهِ أَنْ أَخْرِجْهُ وَلَا تُؤَخِّرْهُ ؛ وَإِنْ ادَّعَى أَنَّهُ يَنَازِعُ فَلْيُجَرِّ جَرًّا ^(٢) ،
وَلْيُؤَكِّلْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ فِيمَا يَطَالِبُ بِهِ ؛ وَقَدْ بَايَعَهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمْ سَلْمَةَ بْنَ
كَهِيلٍ وَنَصْرَ بْنَ خَزِيمَةَ الْعَبْسِيَّ وَمَعَاوِيَةَ بْنَ إِسْحَاقَ بْنَ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْأَنْصَارِيَّ
وَحُجْبَةَ بْنَ الْأَجْلَحِ الْكِنْدِيَّ وَنَاسَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ؛ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَاوُدُ
ابْنَ عَلِيٍّ قَالَ لَهُ : يَا بَنَ عَمِّ ، لَا يَغْرَتُكَ هَؤُلَاءُ مِنْ نَفْسِكَ ؛ فَبِأَهْلِ بَيْتِكَ
لَكَ عِبْرَةٌ ، وَفِي خِذْلَانِ هَؤُلَاءُ إِيَّاهُمْ . فَقَالَ : يَا دَاوُدُ ، إِنْ بَنَى أُمِيَّةٌ قَدْ عَثُوا
وَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ؛ فَلَمْ يَزَلْ بِهِ دَاوُدُ حَتَّى عَزَمَ عَلَى الشُّخُوصِ ، فَشَخَصَا حَتَّى
بَلَّغَا الْقَادِسِيَّةَ .

وَذَكَرَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ ، أَنَّهُ قَالَ : اتَّبَعُوهُ إِلَى الثَّلْعَلِيَّةِ وَقَالُوا لَهُ : نَحْنُ أَرْبَعُونَ

(١) الإِزْعَاجُ : نَقِيضُ الْإِقْرَارِ . (٢) كَذَا فِي ١ ، وَفِي ط : « جَرِيًّا » .

ألفاً ، إن رجعت إلى الكوفة لم يتخلف عنك أحدٌ ، وأعطوه الموائيق والأيمان المغلظة ، فجعل يقول : إني أخاف أن تخذلوني وتسلموني كفعلكم بأبي وجدتي . فيحلفون له ، فيقول داود بن عليّ : يا بن عمّ ، إن هؤلاء يغرونك من نفسك ^(١) ! أليس قد خذلوا من كان أعزّ عليهم منك ؛ جدك عليّ بن أبي طالب حتى قتل ! والحسن من بعده بايعوه ثم وثبوا عليه فانتزعوا رداءه من عنقه ، وانتهبوا فسطاطه ، وجرحوه ! أليس قد أخرجوا جدك الحسين ، وحلبوا له بأوكد الأيمان ثم خذلوه وأسلموه ، ثم لم يرضوا بذلك حتى قتله ! فلا تفعل ولا ترجع معهم . فقالوا : إن هذا لا يريد أن يظهر أنت ، ويزعم أنه وأهل بيته أحقّ بهذا الأمر منكم ، فقال : زيد لداود : إن علينا كان يقاتله معاوية بدعائه ^(٢) ونكرائه بأهل الشام ، وإن الحسين قاتله يزيد بن معاوية والأمر عليهم مقبل ؛ فقال له داود : إني لخائف إن رجعت معهم ألا يكون أحد أشدّ عليك منهم ؛ وأنت أعلم . ومضى داود إلى المدينة ورجع زيد إلى الكوفة .

١٦٨٠/٢

وقال عبيد بن جنادة ، عن عطاء بن مسلم الخفاف ، قال : كتب هشام إلى يوسف أن أشخص زيداً إلى بلده ، فإنه لا يقيم ببلد غيره فيدعوا أهلهم إلا أجابوه ، فأشخصه ، فلما كان بالثعلبية — أو القادسية — لحقه المشائيم — يعني أهل الكوفة — فردوه وبايعوه ، فأتاه سلمة بن كهيل ، فاستأذن عليه ، فأذن له ، فذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقه فأحسن . ثم تكلم زيد فأحسن ، فقال له سلمة : اجعل لي الأمان ، فقال : سبحان الله ! مثلك يسأل مثلي الأمان ! وإنما أراد سلمة أن يسمع ذلك أصحابه ، ثم قال : لك الأمان ، فقال : نشدتك بالله ، كم بايعك ؟ قال : أربعون ألفاً ، قال : فكم بايع جدك ؟ قال : ثمانون ألفاً ، قال : فكم حصل معه ؟ قال : ثلثمائة ، قال : نشدتك الله أنت خير أم جدك ؟ قال : بل جدتي ، قال : أفقررتك الذي خرجت فيهم خير أم القرن الذي خرج فيهم جدك ؟ قال : بل القرن الذي خرج فيهم جدتي ، قال : أفنطمع أن يني لك هؤلاء ، وقد غدر أولئك بجدك ! قال : قد بايعوني ، ووجبت البيعة في عني وأعناقهم ،

١٦٨١/٢

(٢) ابن الأثير : « بدعيه » .

(١) ب ، ح : « في نفسك » .

قال : أفأذن^(١) لي أن أخرج من البلد؟ قال : لم؟ قال : لا آمن أن يحدث في أمرك حدثٌ فلا أملك نفسي ، قال : قد أذنتُ لك ، فخرج إلى اليمامة ، وخرج زيد فقتل وصلب . فكتب هشام إلى يوسف يلومه على تركه سلمة ابن كهيل يخرج من الكوفة ، ويقول : مقامه كان خيراً من كذا وكذا من الخليل تكون معك .

وذكر عمر عن أبي إسحاق - شيخ من أهل أصبهان حدثه - أن عبد الله ابن حسن كتب إلى زيد بن علي : يا بن عمي ، إن أهل الكوفة نفخ العلانية ، خور السرية ، هُوج^(٢) في الرخاء ، جُزُع في اللقاء ، تقدمهم ألسنتهم ، ولا تشايهم قلوبهم ، لا يبيتون بعدة في الأحداث ، ولا ينوءون بدولة مرجوة ؛ ولقد تواترت إلى كتبهم بدعوتهم ، فصممت عن ندائهم ؛ وألبست قلبي غشاءً عن ذكرهم ؛ يأساً منهم واطراحاً لهم ؛ وما لهم مشكل إلا ما قال علي بن أبي طالب : إن أهملت خضمت ، وإن حوربت خرت ، وإن اجتمع الناس على إمام طعنتم ، وإن أجبتم إلى مشاققة نكصتم .

١٦٨٢/٢

وذكر عن هشام بن عبد الملك ، أنه كتب إلى يوسف بن عمر في أمر زيد بن علي : أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت ، ووضعهم ليأثم في غير مواضعهم ؛ لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم ، ووظفوا^(٣) عليهم شرائع دينهم ، ونحلوه^(٤) علم ما هو كائن ؛ حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفؤهم فيها إلى الخروج ، وقد قدم زين بن علي على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد ، ففصل أمير المؤمنين بينهما ، ورأى رجلاً جسدلاً لسيناً خليقاً يتمويه الكلام وصوغه ، واجترار الرجال بحلاوة لسانه ، وبكثرة مخارجه في حججه ، وما يدلي به عند لَدَد^(٥) الخصام من السطوة على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج^(٦) ؛ فجعل لإشخاصه إلى الحجاز ، ولا تخله والمقام قبلك ؛ فإنه إن أعاره القوم أسماءهم فحشاها

(١) ح : « فتأذن » . (٢) كذا في ١ . (٣) الوظيفة : ما يقدر بين

عل ورزق وطعام . (٤) نحله الشيء : نسب إليه . (٥) اللدد : شدة الخصومة .

(٦) الفلج : الفوز والظفر .

من لَيِّنَ لفظه ، وحلاوة منطقه ، مع ما يدلُّى به من القربة برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدَّهم مُبَيَّلاً إليه ؛ غيرَ متثدلة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم ، ولا مصونة عندهم أديانهم ؛ وبعض التحامل عليه فيه أذى له ، وإخراجه وتركه مع السلامة للجميع والحقن للدماء والأمن للفرقة أحبَّ إلى من أمر فيه سفكُ دمائهم ، وانتشار^(١) كلمتهم وقطع نسلهم ؛ والجماعةُ حَبْلُ الله المتين ، ودين الله القويم وعروته الوثقى ؛ فادع إليك أشرفَ أهلِ المِصرِ ، وأوعدهم العقوبة في الأبشار^(٢) ، واستصفاء^(٣) الأموال ؛ فإن من له عقد أو عهد منهم سبِطى عنه ، ولا يخفَّ معه إلا الرِّعاع وأهل السَّواد ومن تنهضه الحاجة ؛ استلذاذاً للفتنة ؛ وأولئك ممن يستعبد إبليس ؛ وهو يستعبدهم . فبادهم^(٤) بالوعيد . وأعضضهم بسوطيك^(٥) ، وجرِّد فيهم سيفك ، وأخيف الأشراف قبل الأوساط ، والأوساطَ قَبْلَ السَّفلة . واعلم أنك قائم على باب ألفة ، وداع إلى طاعة ، وحاضٌّ على جماعة ، ومشمِّرٌ لدين الله ؛ فلا تستوحش لكثرتهم ، واجعل معقلتك الذى تأوى إليه ، وصغوك^(٦) الذى تخرج منه الثقةَ برِّبك ، والغضبَ لدينك ، والمحاماة عن الجماعة ، ومناصبه من أراد كَسَّرَ هذا الباب الذى أمرهم الله بالدخول فيه ، والتشاح^(٧) عليه ؛ فإن أمير المؤمنين قد أعذر إليه وقضى من ذمامه^(٨) ، فليس له منزى^(٩) إلى ادعاء حقِّه هو له ظِلْمَتُهُ من نصيب نفسه ، أوفىء ، أو صلة لذى قربى ، إلا الذى خاف أمير المؤمنين من حَمَلٍ بادرة السفلة على الذى عسى أن يكونوا به أشقى وأضلَّ ؛ ولهم أمرٌ ، ولأمر المؤمنين أعزٌّ وأسهل إلى حياة الدِّين والذِّب عنه ، فإنه لا يجب أن يرى فى أمته حالاً متفاوتاً نكالا لهم مفنياً ؛ فهو يستديم النظرة ، ويتأتى للرشاد ، ويحْتَنِبهم على المخاوف ، ويستجرهم إلى

١٦٨٣/٢

١٦٨٤/٢

(١) انتشار الكلمة : تفرقها .

(٢) البشرة : ظاهر الجلد والجمع بشر ، وجمع الجمع أبشار .

(٣) استصنى المال : أخذ صفوه . (٤) بادهم : جاهرهم .

(٥) ب : « بسطوتك » .

(٦) صفوك ، أى ميلك ، وفى « صفوك » .

(٧) التشاح : الحرص ، يقال : تشاحوا على الأمر ؛ أى شح بعضهم على بعض .

(٨) أعذر إليه ؛ أى إلى زيد بن علي ، وأعذر : صار ذا عذر ، والذمام : الحق والحرمة .

(٩) منزى ، مفعل ، من نزا ينزرو ؛ إذا وثب .

المراشد ، ويعبدل بهم عن المهالك ؛ فعلّ الوالد الشفيق على ولده ، والرّاعى الخلدِ على رعيّته .

واعلم أنّ من حجّتك عليهم في استحقاق نصر الله لك عند معاندتهم توفيتك أطماعهم ، وأعطية ذريّتهم ، ونهيّتك جندك أن ينزلوا حرّيمهم ودورهم ؛ فانتهاز رضا الله فيما أنت بسبيله ؛ فإنه ليس ذنبٌ أسرع تعجيل عقوبة من بغى ؛ وقد أوقعهم الشيطان ، ودلائهم فيه ، ودلّهم عليه ؛ والعصمة بتارك البغى أولى ؛ فأمر المؤمنين يستعين الله عليهم وعلى غيرهم من رعيّته ، ويسأل الله ومولاه ووليّه أن يصلح منهم ما كان فاسداً ، وأن يسرع بهم إلى النّجاة والفوز ؛ إنه سميع قريب .

• • •

رجع الحديث إلى حديث هشام^(١) . قال : فرجع زيد إلى الكوفة ، فاستخفى ، قال : فقال له محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب حيث أراد الرجوع إلى الكوفة : أذكرك الله يا زيد لما لحقت بأهلك ؛ ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه ؛ فإنهم لا يفنون لك ؛ فلم يقبل منه ذلك ، ورجع .

قال هشام : قال أبو مخنف : فأقبلت الشيعة لما رجع إلى الكوفة يختلفون إليه ، ويبايعون له ، حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل ، فأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً ؛ إلّا أنه قد كان منها بالبصرة نحو شهرين ، ثم أقبل إلى الكوفة ، فأقام بها ، وأرسل إلى أهل السّواد وأهل الموصل رجالاً يدعون إليه .

قال : وتزوّج حيث قدم الكوفة ابنة يعقوب بن عبد الله السّلمى ، أحد بني فرقد ، وتزوج ابنة عبد الله بن أبي العنّبيس الأزديّ . قال : وكان سبب تزوجه إياها أنّ أمها أم عمرو بنت الصّلت كانت ترى رأى الشيعة ، فبلغها مكان زيد ، فأنته لتسلم عليه — وكانت امرأة جسيمة جميلة^(٢) لحيمة ، قد دخلت في السنّ ، إلّا أن الكبر لا يستين عليها —

فلما دخلت على زيد بن عليّ فسلمت عليه ظناً أنها شابة، فكلّمته فإذا أفصح الناس لساناً، وأجمله منظرًا، فسألها عن نسبها فانتسبت له، وأخبرته ممن هي، فقال لها: هل لكِ رحمك الله أن تتزوّجيني؟ قالت: أنت والله - رحمك الله - رغبةٌ لو كان من أمرى التزويج، قال لها: وما الذى يمنعك؟ قالت: يمنعني من ذلك أنى قد أسننتُ، فقال لها: كلاّ قد رضيتُ، ما أبعدك من أن تكوني قد أسننت! قالت: رحمك الله، أنا أعلم بنفسى منك؛ وبما أتى علىّ من الدهر؛ ولو كنت متزوجة يوماً من الدهر لما عدلتُ بك؛ ولكن لى ابنة أبوها ابن عمى؛ وهى أجمل منى، وأنا أزوجكها إن أحببت، قال: رضيتُ أن تكونَ مثلك، قالت له: لكنّ خالقتها ومصورها لم يرض أن يجعلها مثلى، حتى جعلها أبيضَ وأوسَمَ وأجسم، وأحسن منى دلاًّ وشكلاً^(١). فضحك زيد، وقال لها: قد رزقت فصاحةً ومنطقاً حسناً، فأين فصاحتها من فصاحتك؟ قالت: أما هذا فلا علم لى به؛ لأننى نشأتُ بالحجاز، ونشأت ابنتى بالكوفة، فلا أدرى لعلّ ابنتى قد أخذت لغة أهلها. فقال زيد: ليس ذلك بأكره إلىّ، ثم واعدّها موعداً فأتاها فتزوّجها، ثم بنى بها فولدت له جاريةً. ثم إنها ماتت بعد؛ وكان بها معجباً.

١٦٨٧/٢

قال: وكان زيد بن عليّ ينزل بالكوفة منازلَ شتى، فى دار امرأته فى الأزْد مرة، ومرة فى أصهاره السُّلَميّين، ومرة عند نصر بن خزيمة فى بنى عَبَّس، ومرة فى بنى غُبَر. ثم إنه تحوّل من بنى غُبَر إلى دار معاوية ابن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارى فى أقصى جَبانة سالم السلولى، وفى بنى نَهْد وبني تغلب عند مسجد بنى هلال بن عامر، فأقام يبايع أصحابه؛ وكانت بيعته التى يبايع عليها الناس: «إنا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجهاد الظالمين، والدّفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسّم هذا النّبي بين أهله بالسواء، وردّ الظالمين، وإقفال الحجر^(٢) ونصرنا أهل البيت علىّ من نصّب لنا وجهل حقنا»، أتبايعون على ذلك؟

(١) الشكل: غنّج المرأة ودلّا.

(٢) جمر الأمير الجند، أى أبقاهم فى ثمر العدو ولم يقفلهم.

فإذا قالوا : نعم ، وضع يده على يده ، ثم يقول : عليك عهدُ الله وميثاقه ودمته وذمة رسوله ، لتفینَ ببيعتي ولتقاتلنَ عدوى ولتنصحنَ في السرِّ والعلانية ؟ فإذا قال : نَعَمْ مسحَ يده على يده ، ثم قال ^(١) : اللهمَّ اشهد . فكث بذلك بضعة عشر شهراً ؛ فلما دنا خروجه أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ ، فجعل من يريد أن يني ويخرج معه يستعدُّ لو بتهيأ ، فشاع أمره في الناس .

* * *

[ذكر الخبر عن غزوة نصر بن سيار ما وراء النهر]

وفي هذه السنة غزا نصر بن سيار ما وراء النهر مرتين ، ثم غزا الثالثة ، فقتل كور صول .

* ذكر الخبر عن غزواته هذه :

ذَكَرَ عَلِيٌّ عَنْ شَيْوْخِهِ ، أَنَّ نَصْرًا غَزَا مِنْ بَلَّخَ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ مِنْ نَاحِيَةِ بَابِ الْحَدِيدِ ؛ ثُمَّ قَفَلَ إِلَى مَرْوَ ، فَخَطَبَ ^(٢) النَّاسَ ، فَقَالَ : أَلَا إِنَّ بَهْرَامِيسَ كَانَ مَانِحَ الْحُجُوسِ ، يَمْنَحُهُمْ وَيُدْفَعُ عَنْهُمْ ، وَيَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ؛ أَلَا إِنَّ أَشْبَدَادَ بْنَ جَرِيحُورَ كَانَ مَانِحَ النَّصَارَى ؛ أَلَا إِنَّ عَقِيْبَةَ الْيَهُودَى كَانَ مَانِحَ الْيَهُودِ يَفْعَلُ ذَلِكَ . أَلَا إِنِّي مَانِحُ الْمُسْلِمِينَ ، أَمْنَحُهُمْ وَأُدْفَعُ عَنْهُمْ ، وَأَحْمِلُ أَثْقَالَهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ؛ أَلَا إِنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنِّي إِلَّا تَوَقَّى الْخَرَجَ عَلَى مَا كَتَبَ وَرَفَعَ . وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ مَنْصُورَ بْنِ عَمْرِ بْنِ أَبِي الْخَرَّاءِ ، وَأَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ عَلَيْكُمْ ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْكُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ يُؤْخَذُ مِنْهُ جَزِيَّةٌ مِنْ رَأْسِهِ ، أَوْ تُقْتَلُ عَلَيْهِ فِي خَرَجِهِ ، وَخَفَّفَ مِثْلَ ذَلِكَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ، فَلْيَرْفَعْ ذَلِكَ إِلَى الْمَنْصُورِ بْنِ عَمْرِ ، بِحَوْلِهِ عَنِ الْمُسْلِمِ إِلَى الْمُشْرِكِ . قَالَ : فَمَا كَانَتْ الْجُمُعَةُ الثَّانِيَةَ ؛ حَتَّى أَتَاهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ مُسْلِمٍ ، كَانُوا يُؤْذُونَ الْجَزِيَّةَ عَنْ رءُوسِهِمْ وَثَمَانُونَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَدْ أَلْقَيْتَ عَنْهُمْ جَزِيَّتَهُمْ ^(٣) ، فَحَوَّلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ^(٤) ، وَأَلْقَاهُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ ^(٥) . ثُمَّ صَنَّفَ الْخَرَجَ حَتَّى وَضَعَهُ مَوَاضِعَهُ ، ثُمَّ وَظَّفَ الْوِظِيْفَةَ الَّتِي جَرَى عَلَيْهَا الصَّلْحُ . قَالَ : فَكَانَتْ مَرْوُ يُؤْخَذُ مِنْهَا

(١) ح : « يقول » .

(٢) ح : « الخطب » .

(٣) ح : « الجزية » .

(٤) ح : « ب » ، ح : « عنهم » .

(٥) ح : « حتى ألقاه على المشركين » .

مائة ألف سوى الحراج أيام بنى أمية . ثم غزا الثانية إلى ورغسّر وسمرقند
ثم قفل ، ثم غزا الثانية إلى الشاش من مَرَو ، فحال بينه وبين قطوع النهر (نهر
الشاش) كورصول في خمسة عشر ألفاً ، استأجر كل رجل منهم في كل
شهر بشقة حرير ، الشقة يومئذ بخمسة وعشرين درهماً ، فكانت بينهم
مراماة ، فنع نصرًا من القطوع إلى الشاش . وكان الحارث بن سريج يومئذ
بأرض الترك ، فأقبل معهم ؛ فكان بإزاء نصر ، فرمى نصرًا ؛ وهو على سريره
على شاطئ النهر بحسبان^(١) ، فوقع السهم في شِدْق وصيف لنصر يوضئه ،
فتحوّل نصر عن سريره . ورمى فرسًا لرجل من أهل الشام فنفق . وعبر
كورصول في أربعين رجلاً ، فبيّت أهل العسكر . وساق شاء لأهل بخارى ،
وكانوا في الساقة ، وأطاف بالعسكر في ليلة مظلمة ؛ ومع نصر أهل بخارى
وسمرقند وكيس وأشرؤسسة ، وهم عشرون ألفاً . فنادى نصر في الأخماس :
ألا لا يخرجن أحد من بنائه ، واثبتوا على مواضعكم . فخرج عاصم بن عمير
وهو على جُند أهل سمرقند ، حتى مرّت خيل كورصول ، وقد كانت الترك
صاحت صيحة ، فظن أهل العسكر أن الترك قد قطعوا كلهم . فلما مرّت
خيل كورصول على ذلك حمل على آخرهم ، فأسر رجلاً ؛ فإذا هو ملك
من ملوكهم صاحب أربعة آلاف قبة ، فجاءوا به إلى نصر ، فإذا هو شيخ
يسحب درعته شبرًا ، وعليه رانا ديباج فيهما حلق ، وقباء فرند مكفّف^(٢)
بالديباج ، فقال له نصر : من أنت ؟ قال : كورصول ، فقال نصر :
الحمد لله الذي أمكن منك يا عدوّ الله ! قال : فما ترجو من قتيل شيخ ،
وأنا أعطيك ألف بعير من إبل الترك ، وألف برذون تقوى بها جندك ، وخل
سبيلي ! فقال نصر لمن حوله من أهل الشام وأهل خراسان : ما تقولون ؟ فقالوا :
خل سبيله . فسأله عن سنّه ، قال : لا أدري ، قال : كم غزوت ؟ قال :
اثنتين وسبعين غزوة ، قال : أشهدت يوم العطش ؟ قال : نعم ، قال :
لو أعطيتني ما طلعت عليه الشمس ما أفلت^(٣) من يدي بعد ما ذكرت من
مشاهدك . وقال لعاصم بن عمير السغدّي : قم إلى سكيه فخذّه ؛ فلما

١٦٩٠/٢

١٦٩١/٢

(١) الحبان : السهام الصغار . (٢) ب : « مكلل » .

(٣) ح ، ف : « أفلت » .

أيقن بالقتل ، قال : مَنْ أَسْرَنِي ؟ قال نصر وهو يضحك : يزيد بن قُرَّان الحنظلي - وأشار إليه - قال : هذا لا يستطيع أن يغسل استه - أو قال : لا يستطيع أن يتم بوله - فكيف يأسرنى ! فأخبرني مَنْ أَسْرَنِي ؛ فإني أهلك أن أقتل سبع قتلات ، قيل له : عاصم بن عمير ، قال : لست أجد مسَّ القتل إذ كان الذي أسرنى فارساً من فرسان العرب . فقتله وصلبته على شاطئ النهر . قال : وعاصم بن عمير هو الهزارمرد ، قتل بنهاوند أيام قحطبة .

قال : فلما قتل كورصول تخدّرت الترك وجاءوا بأبنيتيه فحرقوها ، وقطعوا آذانهم ، وجردوا^(١) وجوههم ، وطفقوا يبكون عليه ؛ فلما أمسى نصر وأراد الرحلة ، بعث إلى كورصول بقارورة نِفْط ، فصبتها عليه ، وأشعل فيه النار لئلا يحملوا عظامه . قال : وكان ذلك أشدَّ عليهم من قتله . وارتفع نصر إلى فَرَغانة ، فسبى منها ثلاثين ألف رأس ، قال : فقال

عبر بن بُرْمُحمة الأزدي : كتب يوسف بن عمر إلى نصر : سرَّ إلى هذا الغارز^(٢) ذنبه بالشاش - يعنى الحارث بن سُريج - فإن أظفرك الله به وبأهل الشاش ، فخرّب بلادهم ، واسب ذراريهم ؛ وإياك وورطة^(٣) المسلمين . قال : فدعا نصرُ الناس ، فقرأ عليهم الكتاب ، وقال : ما ترون ؟ فقال يحيى بن حُصَيْن : امض لأمر أمير المؤمنين وأمر الأمير ، فقال نصر : يا يحيى ، تكلمت ليالى عاصم بكلمة ؛ فبلغت الخليفة فحظيت بها ، وزيد في عطائك ، وفرض لأهل بيتك ، وبلغت الدرجة الرفيعة ، فقلت : أقول مثلاً . سرَّ يا يحيى ، فقد وليت لك مقدّمتي ؛ فأقبل الناس على يحيى يلوونونه ، فقال نصر يومئذ : وأى ورطة أشدَّ من أن تكون في السفر وهم في القرار !

قال : فسار إلى الشاش ، فأناه الحارث بن سُريج فنصب عرّادتين^(٤) تلقاء بني تميم ؛ فقبل له : هؤلاء بنو تميم ، فنقلهما فنصبهما على الأزد - ويقال : على بكر بن وائل - وأغار عليهم الأخرم ، وهو فارس الترك ، فقتله المسلمون ، وأسروا سبعة من أصحابه ، فأمر نصر بن سيار برأس الأخرم ، فرمى به في عسكرهم بمنجنيق ، فلما رأوه ضجوا ضجة عظيمة ، ثم ارتحلوا

(١) ف : « وخدوا » . (٢) ح وابن الأثير : « الغادر دينه » .

(٣) ح : « ورطة » ، بدون واو . (٤) المرادة : شبه المنجنيق ، صغيرة .

منهزمين ، ورجع نصر ، وأراد أن يعبر ، فحِيلَ بينه وبين ذلك ، فقال أبو نميلة صالح بن الأبتار :

كنا وأوبئة نصر عند غيبته كراقيب النوء حتى جاده المطر
أودى بأخرم منه عارض برد مُسترجفُ بنايا القوم مُنهمر

١٦٩٣/٢

وأقبل نصر فتزل سمرقند في السنة التي لقي فيها الحارث بن سريج ، فأثابه بخارا خذاه منصرفاً ؛ وكانت المسلحة عليهم ، ومعهم دهقانان من دهاقين بخارى ، وكانا أسلما على يدى نصر ، وقد أجمعا على الفتك بواصل بن عمرو القيسى عامل بخارى وبيخار اخذاه يتظلمان من بخار اخذاه ، واسمه طوق شياده^(١) - فقال بخار اخذاه لنصر : أصلح الله الأمير ! قد علمت أنهما قد أسلما على يدك ، فها بالهما معلقي الخناجر عليهما ! فقال لهما نصر : ما بالكما معلقي الخناجر وقد أسلمتما ! قال : بيننا وبين بخار اخذاه عداوة فلا نأمنه على أنفسنا . فأمر نصر هارون بن السياوش مولى بنى سليم - وكان يكون على الرابطة - فاجتذبهما فقطعهما ، ونهض بخار اخذاه إلى نصر يساره في أمرهما ، فقالا : نموت كريمين ؛ فشد أحدهما على واصل ابن عمرو فطعنه في بطنه بسكين ، وضربه واصل بسيفه على رأسه ؛ فأطار قتحف رأسه فقتله ، ومضى الآخر إلى بخار اخذاه - وأقيمت الصلاة ، وبيخار اخذاه جالس على كرسي - فوثب نصر ، فدخل السرادق ، وأحضر بخار اخذاه ، فعثر عند باب السرادق فطعنه ، وشد عليه الجوزجان بن الجوزجان ، فضربه بجرز كان معه فقتله ، وحمل بخار اخذاه فأدخل سرادق نصر ، ودعا له نصر بوسادة فاتكأ عليها ، وأثابه قرعة الطبيب ، فجعل يعالجه وأوصى إلى نصر ، ومات من ساعته ، ودفن واصل في السرادق ، وصلى عليه نصر . وأما طوق شياده^(١) فكشطوا عنه لحمه ، وحملوا عظامه إلى بخارى . قال : وسار نصر إلى الشاش ، فلما قدم أشروسنة عرض دهقانها أباراخرة مالاً ، ثم نفذ إلى الشاش ، واستعمل على فترغانة محمد بن خالد الأزدي ، وجهه إليها في عشرة نفر ، ورد من فترغانة أخاجيش فيمن كان

١٦٩٤/٢

معه من دهاقين الخُتَل وغيرهم ، وانصرف منها بمائيل كثيرة ، فنصبها في أشروسنة .

وقال بعضهم : لما أتى نصر الشاش تلقاه قدر ملكها بالصلح والهدية والرهن ، واشترط عليه لإخراج الحارث بن سُرَيْج من بلده ، فأخرجه إلى فاراب ؛ واستعمل على الشاش نيزك بن صالح مولى عمرو بن العاص ، ثم سار حتى نزل قُبَاء من أرض فرغانة ، وقد كانوا أحسوا بمجيئه ، فأحرقوا الخشيش وحبسوا الميرة . ووجه نصر إلى ولي عهد صاحب فرغانة في بقية سنة إحدى وعشرين ومائة ، فحاصروه في قلعة من قلاعها ، فغفل عنهم المسلمون ، فخرجوا على دوابهم فاستاقوها ، وأسروا ناساً من المسلمين ، فوجه إليهم نصر رجالاً من بني تميم ، ومعهم محمد بن المثنى - وكان فارساً - فكايدهم المسلمون فأهملوا دوابهم وكنوا لهم ، فخرجوا فاستاقوا بعضهما ، وخرج عليهم المسلمون فهزموهم ، وقتلوا الدهقان ، وأسروا منهم أسراء ، وحمل ابن الدهقان المقتول على ابن المثنى ، فختله محمد بن المثنى ، فأسره ، وهو غلام أمرد ، فأتى به نصرأ ، فضرب عنقه .

وكان نصر بعث سليمان بن صول إلى صاحب فرغانة بكتاب الصلح بينهما . قال سليمان : فقدمت عليه فقال لي : مَنْ أنت ؟ قلت : شاكري خليفة كاتب الأمير ، قال : فقال : أدخلوه الخزائن ليرى ما أعددنا ، فقبل له : قم ، قال : قلت ليس بي مشي ، قال : قدموا له دابة يركبها ، قال : فدخلت خزانته ، فقلت في نفسي : يا سليمان ، شمت بك لإسرائيل وبشر بن عبيد ؛ ليس هذا إلا لكرهة الصلح ، وسأنصرف بخفي حنين . قال : فرجعت إليه ، فقال : كيف رأيت الطريق فيما بيننا وبينكم ؟ قلت : سهلاً كثير الماء والمرعى ؛ فكره ما قلت له ، فقال : ما علمك ؟ فقلت : قد غزت غرستان وغور والختل وطبرستان ، فكيف لا أعلم ! قال : فكيف رأيت ما أعددنا ؟ قلت : رأيت عُدّة حسنة ؛ ولكن أما علمت أن صاحب الحصار لا يسلم من خصال ! قال : وما هن ؟ قلت : لا يأمن أقرب الناس إليه وأحبهم إليه وأوثقهم في نفسه أن يثب به يطلب مرتبته ، ويتقرب بذلك ، أوفى ما قد جمع ، فيسلم برُمته ، أو يصيبه داء فيموت .

فقطّب وكره ما قلت له وقال : انصرف إلى منزلك ، فانصرفت فأقمت يومين ، وأنا لأشكّ في تركه الصلح ، فدعاني فحملتُ كتاب الصلح مع غلامي ، وقلت له : إن أتاكَ رسولُ يطلب الكتاب فانصرف إلى المنزل ، ولا تظهر الكتاب ، وقل لي : إني خلّفتُ الكتاب في المنزل . فدخلت عليه ، فسألني عن الكتاب ، فقلت : خلّفته في المنزل . فقال : ابعث من يجيئك به ، فقبل الصلح ، وأحسن جائزتي ، وسرح معي أمّه ، وكانت صاحبة أمره . قال : فقدمتُ على نصر ، فلما نظر إلىّ قال : ما مثلك إلا كما قال الأوّل :

• فأرسل حكيمًا ولا توصيه^(١) .

فأخبرته ، فقال : وفّقت ، وأذن لأمه عليه ، وجعل يكلمها والترجمان يعبر عنها ، فدخل تميم بن نصر ، فقال للترجمان : قل لها : تعرفين هذا ؟ فقالت : لا ، فقال : هذا تميم بن نصر ، فقالت : والله ما أرى له حلاوة الصغير ، ولا نبُل الكبير .

١٦٩٧/٢

قال أبو إسحاق بن ربيعة : قالت لنصر : كل ملك لا يكون عنده ستة أشياء فليس بملك : وزيرٍ يباثه^(٢) بكتاب نفسه وما شجر في صدره من الكلام ، ويشاوره ويتق بنصيحته ، وطباخ إذا لم يشته الطعام اتخذ له ما يشتهى ، وزوجة إذا دخل عليها مغتمًا فنظر إلى وجهها زال غمّه ، وحصن إذا فرغ أو جهد فرغ إليه فأنجاه - تعني البرذون - وسيف إذا قارع الأقران لم يخش خيانتته ، وذخيرة إذا حملها فأين وقع بها من الأرض عاش بها . ثم دخل تميم بن نصر في الأزفلة^(٣) وجماعة ، فقالت : من هذا ؟ قالوا : هذا فتى خراسان ، هذا تميم بن نصر ، قالت : ما له نبُل الكبار ولا حلاوة الصغار .

ثم دخل الحجاج بن قتيبة فقالت : من هذا ؟ فقالوا : الحجاج بن قتيبة ، قال : فحيّته ، وسألت عنه ؛ وقالت : يا معشر العرب ، ما لكم وفاء ؛ لا يصلح بعضكم لبعض . قتيبة الذي وطن لكم ما أرى ، وهذا ابنه تفعده دونك ! فحقلك أن تجلسه هذا المجلس ، وتجلس أنت مجلسه .

(١) الأغاني ٦ : ٨٢ ، وصدره • إذا كنت في حاجة مرسلًا •

(٢) كذا في ١ ، وفي ابن الأثير : « يث إليه ما في نفسه » .

(٣) الأزفلة : الجماعة من الناس . وفي ط : « مرفلة » تحريف ، صوابه من أ .

وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل المخزومي — ١٦٩٨/٢ —
 كذلك قال أبو معشر ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن
 إسحاق بن عيسى ، عنه . وكذلك قال الواقدي وغيره .
 وكان عامل هشام بن عبد الملك على المدينة ومكة والطائف في هذه السنة
 محمد بن هشام ، وعامله على العراق كلّه يوسف بن عمر ، وعامله على أذربيجان
 وأرمينية مروان بن محمد ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، وعلى قضاء البصرة
 عامر بن عبيدة ، وعلى قضاء الكوفة ابن شبرمة .

ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من أحداث

* * *

[خبر مقتل زيد بن علي]

فمن ذلك مقتل زيد بن علي .

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر هشام عن أبي مخنف ، أن زيد بن علي لما أمّر أصحابه بالتأهب للخروج والاستعداد ، أخذ من كان يريد الوفاء له بالبيعة فيما أمرهم به من ذلك ، فانطلق سليمان بن سُرّاقة البارق إلى يوسف بن عمر ، فأخبره خبره ، وأعلمه أنه يختلف إلى رجل منهم يقال له عامر ، وإلى رجل من بني تميم يقال له طُعْمَة ؛ ابن أخت لبارق ؛ وهو نازل فيهم . فبعث يوسف يطلب ^(١) زيد بن علي في منزلهما فلم يوجد عندهما ، وأخذ الرجلان ، فأتى بهما ، فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه . وتخوف زيد بن علي أن يؤخذ ، فتهجّل ^(٢) قبل الأجل الذي جعله بينه وبين أهل الكوفة . قال : وعلى أهل الكوفة يومئذ الحكم بن الصلت ، وعلى شرطه عمرو بن عبد الرحمن ، (رجل من القارة) ؛ وكانت ثقيف أخواله ؛ وكان فيهم ومعه عبيد الله بن العباس الكندي ، في أناس ^(٣) من أهل الشام ، ويوسف بن عمر بالحيرة . قال : فلما رأى أصحاب زيد بن علي الذين بايعوه ^(٤) أن يوسف بن عمر قد بلغه أمر زيد ، وأنه يدس إليه ، ويستبحث عن أمره ، اجتمعت إليه جماعة من رؤوسهم ، فقالوا : رحمك الله ! ما قولك في أبي بكر وعمر ؟ قال زيد : رحمهما الله وغفر لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلم تطلب ^(٥) إذأ بدم أهل هذا البيت ؛ إلا أن وثبا على سلطانكم ^(٦) .

١٦٩٩/٢

(١) ح ، ف : « فطلب » ، ابن الأثير : « في طلب » .

(٢) ب ، ح : « فتهجّل » (٣) ب وابن الأثير : « في ناس » .

(٤) ف : « بايعوا » . (٥) ف : « نطلب » .

(٦) ب ، ح : « سلطانكم » .

فنزعه من أيديكم ! فقال لهم زيد : إن أشد ما أقول فيما ذكرتُم أننا كنا أحقّ بسلطان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الناس أجمعين ، وإن القوم استأثروا علينا ، ودفعونا عنه ، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرًا ، قد ولّوا فعبدوا في الناس ، وعملوا بالكتاب والسنة . قالوا : فلم يظلمك هؤلاء ! وإن كان أولئك لم يظلموك ، فلم تدعوا إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ! فقال : وإن هؤلاء ليسوا كأولئك ؛ إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم ؛ وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى السنن أن تحيا ، وإلى البدع أن تطفأ ؛ فإن أنتم أحببتُمونا سعيدتم ، وإن أنتم أبيتم فليست عليكم بوكيل . فقارقه ونكثوا بيعته ، وقالوا : سبق الإمام — وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن عليّ أخا زيد بن عليّ هو الإمام ، وكان قد هلك يومئذ — وكان ابنه جعفر بن محمد حيًّا ، فقالوا : جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه ؛ وهو أحقّ بالأمر بعد أبيه ؛ ولا نتبع زيد بن عليّ فليس بإمام . فسأهم زيد الرافضة ، فهم اليوم يزعمون أن الذي سأمهم الرافضة المغيرة^(١) حيث فارقه . وكانت منهم طائفة قبل خروج زيد مروا إلى جعفر بن محمد بن عليّ ، فقالوا له : إن زيد بن عليّ فينا يبايع ؛ أفترى لنا أن نبايعه ؟ فقال لهم : نعم بابعوه ؛ فهو والله أفضلنا وسيدنا وخيرنا فجاءوا ، فكتبوا ما أمرهم به .

١٧٠١/٢

قال : واستتبّ لزيد بن عليّ خروجه ، فواعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة .

وبلغ يوسف بن عمر أن زيداً قد أزمع على الخروج ، فبعث إلى الحكم ابن الصلت ، فأمره أن يجمع أهل الكوفة في المسجد الأعظم يحصرهم فيه ، فبعث الحكم إلى العرفاء والشُرط والمناكب^(٢) والمقاتلة ، فأدخلهم المسجد ، ثم نادى مناديه : ألا إن الأمير يقول : من أدركناه في رحلة فقد برئت منه الذمّة ؛ ادخلوا المسجد الأعظم . فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بيوم ، وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصاريّ ، فخرج ليلاً ؛ وذلك ليلة الأربعاء ، في ليلة شديدة البرد ، من دار معاوية بن

(١) هو المغيرة بن سعيد العجلي ، وانظر ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

(٢) المناكب : قوم دون العرفاء ، وفي حديث النخعي : كان يتوسط العرفاء والمناكب .

إسحاق ، فرفعوا المهادي^(١) فيها النيران ، ونادوا : يا منصور أمت ، أمت يا منصور .
فكلما أكلت النار هُرْدِيًّا رفعوا آخر ، فما زالوا كذلك حتى طلع الفجر ؛ فلما
أصبحوا بعث زيد بن علي القاسم التَّنْعِي ثم الحضرمي ورجلا آخر من أصحابه ،
يناديان بشعارهما ، فلما كانوا في صحراء عبد القيس لقيهم جعفر بن العباس
الكندي ، فشدوا عليه وعلى أصحابه ، فقتل الرجل الذي كان مع القاسم
التنعي ، وارث القاسم ، فأتى به الحكم ، فكامه فلم يرد عليه شيئا ، فأمر به
فضربت عنقه على باب القصر ؛ فكان أول من قتل من أصحاب زيد
ابن علي هو وصاحبه . وأمر الحكم بن الصلت بدروب^(٢) السوق فغلقت ،
وغلقت أبواب المسجد على أهل الكوفة . وعلى أرباع الكوفة يومئذ ؛ على رُبْع
أهل المدينة إبراهيم بن عبد الله بن جرير البجلي ، وعلى مَدْحَج وأسد عمرو
ابن أبي بذل العبدى ، وعلى كِنْدَةَ وربيعة المنذر بن محمد بن أشعث بن
قيس الكندي ، وعلى تميم وهمدان محمد بن مالك الحمداي ثم الحيماني .

١٧٠٢/٢

قال : وبعث الحكم بن الصلت إلى يوسف بن عمر ، فأخبره الخبر ، فأمر
يوسف مناديه فنادى في أهل الشام : مَنْ يَأْتِي الكوفة فيقترب من هؤلاء القوم
فيأتيني بخبرهم ؟ فقال جعفر بن العباس الكندي : أنا ، فركب في خمسين
فارسا ، ثم أقبل حتى انتهى إلى جبانة سالم السلولي ، فاستخبرهم ، ثم رجع
إلى يوسف بن عمر فأخبره ، فلما أصبح خرج إلى تل قريب من الحيرة ،
فنزّل عليه ومعه قريش وأشراف الناس ؛ وعلى شُرْطته يومئذ العباس بن سعيد
المُزَنّي ، فبعث الريان بن سلمة الإراشي في ألفين ومعه ثلثمائة من القيقانية
رُجَالًا معهم النشاب .

١٧٠٣/٢

وأصبح زيد بن علي ، فكان جميع مَنْ وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية
عشر رجلا ، فقال زيد : سبحان الله ! أين الناس ! فقليل له : هم في المسجد
الأعظم محصورون ، فقال : لا والله ما هذا لمن يابِئنا بعذر . وسمع نصر
ابن خزيمة النداء ، فأقبل إليه ، فلقى^(٣) عمر بن عبد الرحمن صاحب شرطة
الحكم بن الصلت في خيله من جُهيّة عند دار الزبير بن أبي حكمة في الطريق

(١) في اللسان : « اهردي : قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانة » .

(٢) الدرب : الباب الأكبر . (٣) ح ، ف : « فلقاه » .

الذى يخرج إلى مسجد بنى عدى ، فقال نصر بن خزيمة : يا منصور أمت ؛ فلم يرد عليه شيئاً ، فشد عليه نصر وأصحابه ، فقتل عمر بن عبد الرحمن ، وانهزم من كان معه ، وأقبل زيد بن علي^(١) جبانة سالم حتى انتهى إلى جبانة الصائديين ، وبها خمسمائة من أهل الشام ، فحمل عليهم زيد بن علي^(٢) فيمن معه فهزمهم . وكان تحت زيد بن علي يومئذ برذون أدّهم بهم ؛ اشتراه رجل من بنى نهد بن كههمس بن مروان النجاري بخمسة وعشرين ديناراً ، فلما قتل زيد بعد ذلك أخذه الحكم بن الصلت . قال : وانتهى زيد بن علي^(٣) إلى باب دار رجل من الأزد ، يقال له أنس ابن عمرو - وكان فيمن بايعه - فنودي وهو في الدار فجعل يحيب ، فناداه زيد يا أنس : اخرج إلى رحمتك الله ، فقد جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً . فلم يخرج إليه ، فقال زيد : ما أخلفكم ! قد فعلتموها ، الله حسبيكم !^{١٧٠٤/ ٢} قال : ثم إن زيداً مضى حتى انتهى إلى الكناسة ، فحمل على جماعة بها من أهل الشام فهزمهم ؛ ثم خرج حتى ظهر إلى الجبانة ويوسف بن عمر على التل ينظر إليه هو وأصحابه ، وبين يديه حزام بن مرة المزني وزمزم بن سليم الثعلبي ؛ وهما على المحققة ، ومعه نحو من مائتي رجل ؛ والله لو أقبل على يوسف لقتله ، والريان بن سلامة يتبع أثر زيد بن علي بالكوفة في أهل الشام . ثم إن زيداً أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبد الله حتى دخل الكوفة ، وكانت فرقة من أصحاب زيد بن علي حيث وجه إلى الكناسة قد انشعبت^(٢) نحو جبانة ميخنف بن سليم . ثم قال بعضهم لبعض : ألا ننطلق^(٣) نحو جبانة كندة ! قال : فما زاد الرجل على أن تكلم بهذا الكلام . وطلع أهل الشام ؛ فلما رأوهم دخلوا زُقاقاً فضوا فيه ، وتخلّف رجل منهم ، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم خرج إليهم فقاتلهم ساعة . ثم إنهم صرّعوه ، فجعلوا يضربونه بأسيا فهم ؛ فنادى رجل منهم مقتع بالحديد : أن اكشفوا السمّ فغفر ثم اضربوا رأسه بعمود حديد ؛ ففعلوا ، وقتل وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه وقد قتل ، وانصرف أهل الشام ؛ وقد اقتطعوا

(٢) ب ، ح : « اتست » .

(١) ابن الأثير : « على » .

(٣) ف : « ألا ننطلقوا » .

رجلا ، ونجا سائرهم . فذهب ذلك الرجل حتى دخل دار عبد الله بن عوف ، فدخل أهل الشام عليه فأسروه ، فذهب به إلى يوسف بن عمر فقتله . ١٧٠٥/٢

قال : وأقبل زيد بن علي ، وقد رأى خيذلان الناس إتياءه ، فقال : يا نصر بن خزيمه ، أتخاف^(١) أن يكون قد جعلوها حسينية ! فقال له : جعلني الله لك الفداء ! أما أنا فوالله لأضربنّ معك بسيفي هذا حتى أموت ؛ فكان قتاله يومئذ بالكوفة . ثم إن نصر بن خزيمه قال لزيد بن علي : جعلني الله لك الفداء ! إن الناس في المسجد الأعظم محصورون ، فامض بنا نحوهم ، فخرج بهم زيد نحو المسجد ، فمرّ على دار خالد بن عرفة فقتله . وبلغ عبيد الله ابن العباس الكندي إقباله ، فخرج في أهل الشام ، وأقبل زيد فالتقوا على باب عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فكع^(٢) صاحب لواء عبيد الله — وكان لواؤه مع سلمان موله — فلما أراد عبيد الله الحملة ورآه قد كع عنه ، قال : احمل يابن الخبيثة ! فحمل عليهم ، فلم ينصرف حتى خضب لواءه بالدم .

ثم إن عبيد الله برز فخرج إليه واصل الحنّاط ، فاضطربا بسيفهما ، فقال للأحول : خذها منّي وأنا الغلام الحنّاط ! وقال الآخر : قطع الله يدي إن كِلْتا بَقْفِيْزٍ أَبْدَأ . ثم ضربه فلم يصنع شيئا . وانهمزم عبيد الله بن العباس وأصحابه ، حتى انتهوا إلى دار عمرو بن حُرَيْث . وجاء زيد وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل ؛ فجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب ، ويقولون : يا أهل المسجد ، اخرجوا . وجعل نصر بن خزيمه يناديهم ، ويقول : يا أهل الكوفة ، اخرجوا من الذلّ إلى العزّ ، اخرجوا إلى الدين والدنيا ؛ فإنكم لستم في دين ولا دنيا . فأشرف عليهم أهل الشام ، فجعلوا يرمونهم بالحجارة من فوق المسجد — وكان يومئذ جمع كبير بالكوفة في نواحيها ، وقيل في جبانة سالم — وانصرف الرّيان بن سلمة إلى الحيرة عند المساء ، وانصرف زيد بن عليّ فيمن معه ، وخرج إليه ناس من أهل الكوفة ، فنزل دار الرزق ، فأتاه الرّيان بن سلمة ، فقاتله عند دار الرزق قتالا شديدا ، فخرج من أهل

(١) ابن الأثير : « أنا أخاف » .

(٢) كع : جبن وضعف .

الشام وقتل منهم ناس كثير ، وتبعهم أصحاب زيد من دار الرزق ؛ حتى انتهوا إلى المسجد ؛ فرجع أهل الشام مساء يوم الأربعاء أسوأ شئ وظناً ؛ فلما كان من الغد غداة يوم الخميس ، دعا يوسف بن عمر الريان بن سلمة ، فلم يوجد حاضراً تلك الساعة .

وقال بعضهم : بل أتاه وليس عليه سلاحه فأقف به ، وقال له : أف ؟ ١٧٠٧/٢
لك من صاحب خيل ! اجلس . فدعا العباس بن سعيد المزنّي صاحب شرطته ، فبعثه في أهل الشام ، فسار حتى انتهى إلى زيد بن علي في دار الرزق ، وثم خشب للتجار^(١) كثير ، فالطريق متضايق . وخرج زيد في أصحابه ، وعلى مجنبتيه نصر بن خزيمة العبسي ومعاوية بن إسحاق الأنصاري ، فلما رأهم العباس - ولم يكن معه رجال - نادى : يا أهل الشام ، الأرض والأرض ! ففزّل ناس كثير ممن معه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة . وقد كان رجل من أهل الشام من بني عبّس يقال له نائل بن فروة قال ليوسف بن عمر : والله لأن أنا ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتله أو ليقتلني ، فقال له يوسف : خذ هذا السيف ؛ فدفع إليه سيفاً لا يمر بشئ إلا قطعه . فلما التقى أصحاب العباس بن سعيد وأصحاب زيد واقتتلوا ، بصّر نائل بن فروة بنصر بن خزيمة ، فأقبل نحوه ، ففرض نصرأ فقطع فسخّده ، وضربه نصر ضربة فقتله ؛ فلم يلبث نصر أن مات ، واقتتلوا قتالاً شديداً .

ثم إن زيد بن علي هزمهم وقتل من أهل الشام نحواً من سبعين رجلاً ، فانصرفوا وهم بشر حال . وقد كان العباس بن سعيد نادى في أصحابه أن اركبوا ؛ فإن الخيل لا تطيق الرجال في المضيق فركبوا ، فلما كان العشي ١٧٠٨/٢ عبّاهم يوسف بن عمر ثم سرّحهم ، فأقبلوا حتى التقواهم وأصحاب زيد ، فحمل عليهم زيد في أصحابه فكشفهم ، ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السبّخة ، ثم شدّ عليهم بالسبّخة حتى أخرجهم إلى بني سليم ، ثم تبعهم في خيله ورجاله ؛ حتى أخذوا على المسناة^(٢) .

ثم إن زيد أظهر^(٣) لهم فيما بين بارق ورؤاس ، فقاتلهم هنالك قتالاً شديداً .

(١) ط : « للنجار » ، وما أثبت من ح . (٢) المسناة : ضفيرة تبني لليل لترد الماء .

(٣) ط : « أظهر » ، وما أثبت من أ .

وصاحب لوائه يومئذ رجل يقال له عبد الصمد بن أبي مالك بن مسروح ، من بني سعد بن زيد ، حليف العباس بن عبد المطلب ، وكان مسروح السعدي تزوج صفية بنت العباس بن عبد المطلب ، فجعلت خيلهم لا تثبت لخياله ورجله ، فبعث العباس إلى يوسف بن عمر يعلمه ذلك ، فقال له : ابعث إلى الناشبة ، فبعث إليهم سليمان بن كيسان الكلبي في التيقانية والبخارية ؛ وهم ناشبة ، فجعلوا يرمون زيداً وأصحابه ، وكان زيد حريصاً على أن يصرفهم حين انتهوا إلى السبخة ، فأبوا عليه ، فقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري بين يدي زيد بن علي قتلاً شديداً ، فقتل بين يديه ، وثبت زيد بن علي ومن معه حتى إذا جنح الليل رمى بهم فأصاب جانب (١) جبهته اليسرى ، فتشبث (٢) في الدماغ ، فرجع ورجع أصحابه ، ولا يظن أهل الشام أنهم رجعوا إلا للمساء والليل .

١٧٠٩/٢

قال : فحدثني سلمة بن ثابت الليثي - وكان مع زيد بن علي ، وكان آخر من انصرف من الناس يومئذ ، هو وغلالم معاوية بن إسحاق - قال : أقبلت أنا وصاحبي نقص أثر زيد بن علي ، فنجدته قد أنزل ، وأدخل بيت حران ابن كريمة (مولى لبعض العرب في سكة البريد في دور أرحب وشاكر) . قال سلمة بن ثابت : فدخلت عليه ، فقلت له : جعلني الله فداك أبا الحسين ! وانطلق أصحابه فجاءوا بطبيب يقال له شقير (مولى لبني رؤاس) فانتزع النصل من جبهته ، وأنا أنظر إليه ، فوالله ما عدا أن انزعه جعل يصيح ، ثم لم يلبث أن قضى ؛ فقال القوم : أين ندفنه ، وأين نواريه ؟ فقال بعض أصحابه : نلبسه درعه ونطرحه في الماء ، وقال بعضهم : بل نحتر رأسه ونضعه بين القتلى ، فقال ابنه يحيى : لا والله لا نأكل لحم أبي الكلاب . وقال بعضهم : لا بل نحمله إلى العباسية ندفنه .

قال سلمة : فأشرت عليهم أن ننطلق به إلى الحفرة التي يؤخذ منها الطين ندفنه فيها ، فقبلوا رأيي وانطلقنا ، وحفرنا له بين حفرتين ، وفيه حينئذ ماء كثير ؛ حتى إذا نحن أمكننا له دفناه ، وأجرينا عليه الماء (٣) ، وكان معنا

١٧١٠/٢

(٢) ابن الأثير : « ثبت » .

(١) ح : « حاجب » .

(٣) ح ، ف : « الماء عليه » .

عبد له سندی . قال : ثم انصرفنا حتى نأى جبانة السبيع ، ومعنا ابنه ، فلم نزل بها ، وتصدع الناس عنا ، وبقيت في رهط معه لا يكونون^(١) عشرة . فقلت له : أين تريد ؟ هذا الصبح قد غشيك - ومعهم أبو الصَّبَّار العبدى - قال : فقال : النهرين ، فظننتُ أنه يريد أن يتشطط الفرات ويقاتلهم - فقلتُ له : لا تبرح مكانك ، تقاتلهم حتى تقتل ، أو يقضى الله ما هو قاض . فقال لى : أنا أريد نهرى كربلاء . فقلت له : فالتجاء قبل الصبح ، فخرج من الكوفة ، وأنا معه وأبو الصَّبَّار ورهط معنا ، فلمّا خرجنا من الكوفة سمعنا أذان المؤذنين ، فصلينا الغداة بالشُّخيلة ، ثم توجهنا سراعاً قبل نينوى ، فقال لى : إني أريد سابقاً مولى بشر بن عبد الملك بن بشر ، فأسرع السير ، وكنتُ إذا لقيت القوم أستطعمهم فأطعمهم الأُرغفة فأطعمهم إياه ، فيأكل وأناكل معه ؛ فانتبهنا إلى نينوى وقد أظلمنا ، فأتينَا منزل سابق ، فدعوتُ على الباب ، فخرج إلينا فقلت له : أما أنا فأتى الفيّوم ، فأكون به ؛ فإذا بدا لك أن ترسل إلى فأرسل . قال : ثم إني مضيت وخلفته عند سابق ؛ فذلك آخر عهدي به . قال : ثم إن يوسف بن عمر بعث أهل الشام يطلبون الجرحى في دور ١٧١١/٢ أهل الكوفة ، فكانوا يخرجون النساء إلى صحن الدار ، ويطوفون البيت يلتمسون الجرحى .

قال : ثم دلّ غلام زيد بن علىّ السندی يوم الجمعة على زيد ، فبعث الحكم بن الصلت العباس بن سعيد المزنى وابن الحكم بن الصلت ، فانطلقا فاستخرجاه ، فكره العباس أن يغلب عليه ابن الحكم بن الصلت . فتركه وسرح بشيراً إلى يوسف بن عمر غداة يوم الجمعة برأس زيد بن علىّ مع الحجاج بن القاسم بن محمد بن الحكم بن أبى عقيل ، فقال أبو الجؤيرية مولى جهينة :

قُلْ لِلَّذِينَ انْتَهَكُوا المحارمَ ورفَعُوا الشُّمَعَ بصَحْرَا سَالِمَ

كيف وجَدْتُم وقعَةَ الأكَاَرِمَ يا يوسفَ بنَ الحكمِ بنِ القاسمِ !

قال : ولما أتى يوسف بن عمر البشير ، أمر يزيد فصلب بالكُنْاسة ،

هو ونصر بن خُزَيْمة ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة الأنصارى وزيد النهدي ؛ وكان يوسف قد نادى : مَنْ جاء برأسٍ فله خمسمائة درهم ، فجاء محمد بن عباد برأس نصر بن خُزَيْمة ، فأمر له يوسف بن عمر بألف درهم ، وجاء الأحول مولى الأشعرين برأس معاوية بن إسحاق ؛ فقال : أنت قتلتَه ؟ فقال : أصلح الله الأمير ! ليس أنا قتلتَه ؛ ولكنى رأيته فعرفته ، فقال : أعطوه سبعمائة درهم ، ولم يمنعه أن يتم له ألفاً ، إلا أنه زعم أنه لم يقتله .

١٧١٢/٢

وقد قيل : إن يوسف بن عمر لم يعلم بأمر زيد ورجوعه من الطريق إلى الكوفة بعد ما شخص إلّا بإعلام هشام بن عبد الملك إياه ، وذلك أن رجلاً من بنى أمية كتب — فيما ذكر — إلى هشام ، يذكر له أمر زيد ، فكتب هشام إلى يوسف يشتمه ويجهله ، ويقول : إنك لسعافل ، وزيد غارز ذنبه بالكوفة يبايع له فألحج^(١) في طلبه ، فأعطيه الأمان فإن لم يقبل فقاتله . فكتب يوسف إلى الحكيم بن الصلت من آل أبي عتّيل وهو خليفته على الكوفة بطلبه ، فطلبه فخفى عليه موضعه ، فدرس يوسف مملوكاً خراسانياً ألكسن ، وأعطاه خمسة آلاف درهم ، وأمره أن يلطف لبعض الشيعة فيخبره أنه قد قدم من خراسان حباً لأهل البيت ؛ وأن معه مالاً يريد أن يقويهم به ؛ فلم يزل المملوك يلقي الشيعة ، ويخبرهم عن المال الذى معه حتى أدخلوه على زيد ، فخرج فدلّ يوسف على موضعه ، فوجه يوسف إليه الخيل ، فنادى أصحابه بشعارهم ، فلم يجتمع إليه منهم إلا ثلثمائة أو أقل ، فجعل يقول : كان داود ابن على أعلم بكم ؛ قد حذرتنى خذلانكم فلم أحذر !

وقيل : إن الذى دلّ على موضع زيد الذى كان دُفن فيه — وكان دُفن فى نهر يعقوب فيما قيل ، وكان أصحابه قد سَكروا^(٢) النهر ثم حفروا له فى بطنه ، فدَفَنُوهُ فى ثيابه ثم أَجْرُوا عليه الماء — عَيْبُ^(٣) قَصَّار كان به ، فاستجعل جُعلاً على أن يدلّهم على موضعه ، ثم دلّهم ، فاستخرجوه ، فقطعوا رأسه ، وصلبوا جسده ؛ ثم أمروا بحراسته لئلا يُنزل ، فكث يُحرَس زماناً .

١٧١٣/٢

(١) ط : « فألحج » . (٢) سَكروا النهر : سَدَرَاه .

(٣) كَذَا فى ب ، وفى ط « عتد » ، تصحيف .

وقيل إنه كان فيمن يجرّسه زهير بن معاوية أبو خيثمة، وبُعِثَ برأسه إلى هشام فأمر به فنصّب على باب مدينة دمشق، ثم أرسل به إلى المدينة، ومكث البسّان مصلوباً حتى مات هشام، ثم أمر به الوليد فأنزّل وأحرق. وقيل: إن حكيم ابن شريك كان هو الذي سعى بزيد إلى يوسف.

فأما أبو عبيدة معمر بن المثنى فإنه قال في أمر يحيى بن زيد: لما قُتِلَ زيد عمّد رجلٌ من بني أسد إلى يحيى بن زيد، فقال له: قد قُتِلَ أبوك، وأهلُ خراسان لكم شيعةٌ، فالرأى أن تخرج إليها. قال: وكيف لي بذلك؟ قال: تتوارى حتى يكفّ عنك الطلب ثم تخرج، فواراه عنده ليلة، ثم خاف فأتى عبد الملك بن بشر بن مروان، فقال له: إن قرابة زيد بك قريبة، وحقّه عليك واجب، قال له: أجّل؛ ولقد كان العفو عنه أقرب إلى التقوى، قال: فقد قتل وهذا ابنه غلاماً حداثاً^(١) لا ذنب له؛ وإن علم يوسف بن عمر بمكانه قتله، فتُجبره وتواريه عندك، قال: نعم وكرامة. فأتاه به فواراه عنده. فبلغ الخبر يوسف، فأرسل إلى ١٧١٤/٢ عبد الملك: قد بلغني مكان هذا الغلام عندك، وأعطى الله عهداً؛ لأن لم تأتني به لأكتبنّ فيك إلى أمير المؤمنين، فقال له عبد الملك: أتاك الباطل والزور؛ أنا أوارى من ينازعني سلطاني ويدعى فيه أكثر من حقّ! ما كنت أخشاك على قبول مثل هذا على ولا الاستماع من صاحبه، فقال: صدق والله ابن يثّر؛ ما كان ليوارى مثل هذا، ولا يستر^(٢) عليه؛ فكفّ عن طلبه؛ فلما سكن الطلبُ خرج يحيى في نفر من الزيدية إلى خراسان.

وخطب يوسف بعد قتل^(٣) زيد بالكوفة فقال:

يا أهل الكوفة، إن يحيى بن زيد يتنقّل في حِجَال نساءكم كما كان يفعل أبوه؛ والله لو أبدي^(٤) لي صفحته لعرفتُ خصيئته كما عرفتُ خصيئتي أبيه. وذكر عن رجل من الأنصار قال: لما جرى برأس زيد فُصِّل بالمدينة في سنة ثلاث وعشرين ومائة، أقبل شاعر من شعراء الأنصار فقام بحياه، فقال:

(١) ابن الأثير: «غلام حدث». (٢) ب: «يستر».

(٣) ف: «بعد ما قتل زيد». (٤) ط: «بدى»، وما أنبته من ف.

أَلَا يَا نَاقِضَ الْمِيثَاقِ أَبْشُرْ بِالَّذِي سَاكَ
نَقَضْتَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ قَدْ مَآ كَانَ قَدْ مَآ
لَقَدْ أَخْلَفَ إِبْلِيسَ الَّذِي قَدْ كَانَ مَذَاكَ

١٧١٥/٢ قال : فقيل له : ويلك ! أتقول هذا لمثل زيد ! فقال : إن الأمير غضبان فأردت أن أرضيه ، فرد عليه بعض شعرائهم :

أَلَا يَا شَاعِرَ السُّوءِ لَقَدْ أَصْبَحْتَ أَفَّاكَ
أَشْتَمُ ابْنِ رَسُولِ اللَّهِ هُ يُرْضِي مَنْ تَوَلَّاهُ (١)
أَلَا صَبَّحَكَ اللَّهُ بِخِزْيٍ ثُمَّ مَسَاكَ
وَيَوْمَ الْحَشْرِ لَا شَكَّ بَأَنَّ النَّارَ مَثْوَاكَ

وقيل : كان خيرا ش بن حوشب بن يزيد الشيباني على شرط يوسف ابن عمر ؛ فهو الذي نسبش زيدا ، وصلاته ، فقال السيد :

بِتَّ لَيْلِي مُسْهَدًا سَاهِرَ الطَّرْفِ مُقْصِدًا
وَلَقَدْ قُلْتُ قَوْلَةً وَأَطَلْتُ التَّبَلُّدَا
لَعَنَ اللَّهُ حَوْشَبًا وَخِرَاشًا وَمَزِيدًا
وَيَزِيدًا فَإِنَّهُ كَانَ أَعْتَى وَأَعْنَدَا
أَلَفَ أَلَفَ وَأَلَفَ أَلَفٍ مِنْ اللَّغْنِ سَرْمَدَا
إِنَّهُمْ حَارِبُوا إِلَّا هُ وَآذُوا مُحَمَّدَا
شَرَكُوا فِي دَمِ الْمَطْهَرِ زِيدَ تَعْنُدَا
ثُمَّ عَالُوهُ فَوْقَ جِذْعٍ صَرِيعًا مُجَرَّدَا
يَا خِرَاشَ بْنَ حَوْشَبٍ أَنْتَ أَشَقَى الْوَرَى غَدَا

(١) ورد هذا البيت محرفاً مضطرباً في ط ، وأثبت صوابه من أ .

قال أبو مخنف : ولما قتل يوسف زيد بن عليّ أقبل حتى دخل الكوفة فصعد المنبر ، فقال :

يا أهل المدرة الحبيثة ، إني والله ما تقرن بي الصعوبة ، ولا يقع مع لي بالشنان ، ولا أخوف بالذنب^(١) . هيهات ! حبيت بالساعد الأشد ، أبشروا يا أهل الكوفة بالصغار والهوان ، لا عطاء لكم عندنا ولا رزق ؛ ولقد هممت أن أخرب بلادكم ودوركم ، وأحرمكم أموالكم . أمّا والله ما علوت منبري إلا أسمعتمكم ما تكرهون عليه ، فإنكم أهل بغى وخلاف ، ما منكم إلا من حارب الله ورسوله ؛ إلا حكيم بن شريك المخاربى ؛ ولقد سألت أمير المؤمنين أن يأذن لي فيكم ؛ ولو أذن لقتلت مقاتلتكم ، وسبيت ذراريكم .

• • •

وفي هذه السنة قتل كلثوم بن عياض القشيري الذي كان هشام بن عبد الملك بعثه في خيول أهل الشام إلى إفريقية ؛ حيث وقعت الفتنة بالبربر . وفيها قتل عبد الله البطال في^(٢) جماعة من المسلمين بأرض الروم . وفيها ولد الفضل بن صالح ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ .

وفيها وجه يوسف بن عمر بن شبرمة على سجستان ، فاستقضى ابن أبي ليلى .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن هشام المخزومي ، كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحق بن عيسى ، عن أبي معشر ؛ وكذلك قال الواقدي وغيره .

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة العمال في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم قبل ؛ إلا أن قاضي الكوفة كان - فيما ذكر - في هذه السنة محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى .

(١) كذا في أ ، ح ، وفي ط : « الذنب » .

(٢) ف : « جماعة » .

ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السُّغْد]

فمن ذلك ما جرى بين أهل السُّغْد ونَصْر بن سيار من الصلح .

ذكر الخبر عن ذلك وسببه :

ذكر عليّ بن محمد ، عن شيوخته ، أن خاقان لما قُتِل في ولاية أسد ، تفرقت الترك في غارة بعضهم على بعض ؛ فطمع أهل السُّغْد في الرجعة إليها ، وانحاز قوم منهم إلى الشاش ، فلما ولي نصر بن سيار أرسل إليهم يدعوهم إلى الفئدة والمراجعة إلى بلادهم ، وأعطاهم كلّ ما أرادوا .

قال : وكانوا سألوا شُرُوطاً أنكرها أمراء خُرَاسان ؛ منها ألا يعاقب من كان مسلماً وارتدّ عن الإسلام ، ولا يعدّى عليهم في دين لأحد من الناس ، ولا يؤخذون بقبالة عليهم في بيت المال ، ولا يؤخذ أسراء المسلمين من أيديهم إلا بقضية قاض وشهادة العدول^(١) ؛ فعاب الناس ذلك على نصر ، وكنّموه فقال : أما والله لو عاينتم شؤكمتهم في المسلمين ونكاياتهم مثل الذي عاينت ما أنكرتم ذلك ! فأرسل رسولا إلى هشام في ذلك ؛ فلما قدم الرسول أبي أن ينفذ ذلك لنصر ، فقال الرسول : جرّبت يا أمير المؤمنين حربنا وصلحنا ، فاختر لنفسك . فغضب هشام ، فقال الأبرش الكلبي : يا أمير المؤمنين ، تألف القوم واحمل لهم ؛ فقد عرفت نكاياتهم كانت في المسلمين ، فأنفذ هشام ما سأل .

١٧١٨/٢

* * *

وفي هذه السنة أوفد يوسف بن عمر الحكيم بن الصلت إلى هشام بن

عبد الملك ، يسأله ضمّ خراسان إليه وعزّل نصر بن سيار .

(١) ابن الأثير : « عدول » .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما كان من الأمر فيه :

ذكر عليّ عن شيوخه ، قال : لما طالت ولاية نَصْر بن سيار ، ودانت له خُرَاسان ، كتب يوسف بن عمر إلى هشام حسداً له : إن خُرَاسان دَبْرَة دَبْرَة^(١) فإن رأى أمير المؤمنين أن يضمّها إلى العراق فأسرح إليها الحكم بن الصلت ؛ فإنه كان مع الجُنَيْد ، وولىّ جسم أعمالها ، فأمر بلاد أمير المؤمنين بالحكم . وأنا باعث بالحكم بن الصلت إلى أمير المؤمنين ، فإنه أديب أريب ، ونصيحتة لأمر المؤمنين مثل نصيحتنا ومودتنا أهل البيت .

فلما أتى هشاماً كتابه بعث إلى دار الضيافة ، فوجد فيها مقاتل بن عليّ السُّغْدِيّ ، فأتوه به ، فقال : أمين خراسان أنت ؟ قال : نعم ، وأنا صاحب الترك — قال : وكان قدم على هشام بخمسين ومائة من الترك — فقال : أتعرف الحكم بن الصلت ؟ قال : نعم ، قال : فما ولىّ بخراسان ؟ قال : ولىّ قرية يقال لها الفارياب ، خراجها سبعون ألفاً ، فأسره الحارث بن سُرَيْج ، قال : ويحك ! وكيف أفلت منه ! قال : عرك أذنه ، وقفّده^(٢) وخلصت سبيله . قال : فقدم عليه الحكم بعدُ بخراج العراق ، فرأى له جمالاً وبياناً ، فكتب إلى يوسف : إن الحكم قدم وهو على ما وصفت ، وفيما قبلك له سعة ، وخل الكنانى وعمله .

* * *

وفي هذه السنة غزا نصر فرغانة غزوته الثانية ، وأوفد مغراء بن أحمر إلى العراق ، فوقع فيه عند هشام .

* ذكر الخبر عن ذلك وما كان من هشام ويوسف بن عمر فيه :

ذكر أن نصراً وجّه مغراء بن أحمر إلى العراق وافداً ، منصرفه من ١٧٢٠/٢ غزوته الثانية فرغانة ، فقال له يوسف بن عمر : يا ابن أحمر ؛ يغلبكم ابن الأقطع يا معشر قيس على سلطانكم ! فقال : قد كان ذلك أصلح الله الأمير ! قال : فإذا قدمت على أمير المؤمنين فابقر بطنه . فقدموا على هشام ، فسألهم عن أمر خُرَاسان ، فتكلّم مغراء ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم ذكر

(١) الدبرة ، بالتحريك : قرحة الدابة ، ودبرت فهي دبرة ، كفرجة ، أى أنها موطن للقاتل .

(٢) الققد : صفع الرأس بيسط الكف .

يوسف بن عمر بخير ، فقال : ويحك ! أخبرني عن خراسان ، قال : ليس لك جند يا أمير المؤمنين أحد^(١) ولا أنجد منهم ، من سواذق^(٢) في السماء وفرسان^(٣) مثل القيلة ، وعدة وعدة من قوم ليس لهم قائد ، قال : ويحك ! فما فعل الكنانى ؟ قال : لا يعرف ولده من الكبر . فردّ عليه مقالته ، وبعث إلى دار الضيافة ، فأتى بشبيل بن عبد الرحمن المازنى ، فقال له هشام : أخبرني عن نصير ، قال : ليس بالشيخ يخشى خرقه ، ولا الشاب يخشى سفهه ، المجرب المجرب ، قد ولى عامة ثغور خراسان وحروبها قبل ولايته . فكتب إلى يوسف بذلك ، فوضع يوسف الأرصاد ، فلما انتهوا إلى الموصل تركوا طريق البريد ، وتكأ دوا حتى قدموا بيهق — وقد كتب إلى نصر بقول شبيل — وكان إبراهيم بن بسام في الوفد ، فكر به يوسف ، ونعى له نصراً ، وأخبره أنه قد ولّى الحكم بن الصلت بن أبي عقيل خراسان . فقسم له إبراهيم أمر خراسان كله ، حتى قدم عليه إبراهيم بن زياد رسول نصر ، فعرف أن يوسف قد مكر به وقال : أهلكنى يوسف .

١٧٢١/٢

وقيل : إن نصراً أوفد مغراء ، وأوفد معه حمالة بن نعيم الكلبي ، فلما قدموا على يوسف ، أطمع يوسف مغراء ، إن هو تنقص نصراً عند هشام أن يوليّه السند . فلما قدما عليه ذكر مغراء بأس نصر ونجدته ورأيه ، وأظن في ذلك ، ثم قال : لو كان الله متعنا منه ببقية ! فاستوى هشام جالساً ، ثم قال : ببقية ماذا ؟ قال : لا يعرف الرجل إلا ببجرمه ، ولا يفهم عنه حتى يئدنى منه ، وما يكاد يفهم صوته من الضعف لأجل كبره . فقام حمالة الكلبي ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كذب والله ، ما هو كما قال ؛ هو هو . فقال هشام : إن نصراً ليس كما وصف ، وهذا أمر يوسف بن عمر حسد لنصر ؛ وقد كان يوسف كتب إلى هشام يذكر كبر نصر وضعفه ، ويذكر له سلم بن قتيبة . فكتب إليه هشام : الله عن ذكر الكنانى ، فلما قدم مغراء على يوسف ، قال له : قد علمت بلاء نصر عندى ، وقد صنعت به

١٧٢٢/٢

(١) ا ، ب : « أعد » .

(٢) السواذق : الصقر .

(٣) كذا في أ وفي ط : « فراسية » .

ما قد علمت ، فليس لي في صحبتته خير ، ولا لي بخراسان مقام ؛ فأمره^(١) بالمقام . وكتب إلى نصر : إني قد حولت اسمي ، فأشخص إلى من قبلك من أهله .

وقيل : إن يوسف لما أمر مغراء بعبئ نصر ، قال : كيف أعيبه مع بلاته وآثاره الجميلة عندي وعند قومي ! فلم يزل به ، فقال : فيم أعيبه ؟ أعيب تجربته أم طاعته ؟ أم يضمن نقيته أم سياسته ؟ قال : عيبه بالكبر . فلما دخل على هشام تكلم مغراء ، فذكر نصراً بأحسن ما يكون ، ثم قال في آخر كلامه : لولا ... ، فاستوى هشام جالساً ، فقال : ما لولا ! قال : لولا أن الدهر قد غلب عليه ، قال : ما بلغ به ويحك الدهر ! قال : ما يعرف الرجل إلا من قريب ، ولا يعرفه إلا بصوته ، وقد ضعفت عن الغزو والركوب . فشق ذلك على هشام . فتكلم حملة بن نعيم . فلما بلغ نصراً قول مغراء بعث هارون بن السياوش إلى الحكم بن نميلة ، وهو في السراطين يعرض الجند ، فأخذ برجله فسحبه عن طنفسة له ، وكسر لواءه على رأسه ، وضرب بطن نفسه وجهه ، وقال : كذلك يفعل الله بأصحاب^(٢) الغدر !

وذكر علي بن محمد ، عن الحارث بن أفلح بن مالك بن أسماء بن خارجة : ١٧٢٣/٢ لما ولي^(٣) نصر خراسان أدنى مغراء بن أحمر بن مالك بن سارية النميري والحكم ابن نميلة بن مالك والحجاج بن هارون بن مالك ؛ وكان مغراء بن أحمر النميري رأس أهل قنسرين ، فأثر نصر مغراء وسنتي منزلته ، وشفعه في حوائجه ، واستعمل ابن عمه الحكم بن نميلة على الجوزجان ، ثم عقد للحكم على أهل العالية ، وكان أبوه بالبصرة عليهم ؛ وكان بعده عكابة بن نميلة ، ثم أوفد نصر وفداً من أهل الشام وأهل خراسان ، وصير عليهم مغراء ؛ وكان في الوفد حملة بن نعيم الكلبي ، فقال عثمان بن صدقة بن وثاب لمسلم بن عبد الرحمن ابن مسلم عامل طخارستان :

خَيْرَنِي مُسْلِمٌ مَرَاكِبُهُ فَقُلْتُ حَسْبِي مِنْ مُسْلِمٍ حَكَمًا

(١) كذا في ١ ، وهو الصواب ، وفي ط : « فأمرني » . (٢) ١ ، ف : « بأهل » .

(٣) ح ، ف : « تول » .

هَذَا فَتَى عَامِرَ وَسَيَّلَهَا كَفَى بَعْنُ سَادَ عَامِرًا كَرَمًا

يعنى الحكم بن نُمَيْلَةَ .

قال : فتغير نصر لقيس وأوحشه ما صنع مغراء . قال : وكان أبو نُمَيْلَةَ صالح الأبتار مولى بنى عبس ، خرج مع يحيى بن زيد بن علي بن حسين ، فلم يزل معه حتى قُتِلَ بالجو زَجان . وكان نصر قد وجد عليه لذلك ، فأتى عبيد الله بن بسام صاحب نصر ، فقال :

١٧٢٤/٢ قد كُنْتُ فِي هِمَّةٍ حَيْرَانَ مَكْتَبًا حَتَّى كَفَانِي عُيَيْدُ اللَّهِ تَهْمَامِي
نَادَيْتُهُ فَسَمَا لِلْمَجْدِ مُبْتَهَجًا^(١) كُفْرَةَ الْبَدْرِ جَلَّى وَجْهَ إِظْلَامِ
فَأَسْمُ بَرَأَى أَبِي لَيْثٍ وَصَوْلَتِهِ إِنْ كُنْتَ يَوْمَ حِفَافٍ بِأَمْرِي سَامِ
تَظْفَرُ يَدَاكَ بَعْنُ تَمَّتْ مُرُوتُهُ وَاخْتَصَّصَهُ رَبُّهُ مِنْهُ بِالْكَرَامِ
مَاضِي الْعِزَائِمِ لَيْثِي مَضَارِبُهُ عَلَى الْكَرْبَةِ يَوْمَ الرُّوعِ مِقْدَامِ
لَا هَدِيرٌ سَاحَةِ النَّادَى وَلَا مَزِلٌ فِيهِ وَلَا مُسْكِيَتْ إِسْكَاتٍ إِفْحَامِ
لَهُ مِنَ الْجِلْمِ ثَوْبَاهُ وَمَجْلِسُهُ إِذَا الْمَجَالِسُ شَانَتْ أَهْلَ أَحْلَامِ

قال : فأدخله عبيد الله على نصر ، فقال أبو نُمَيْلَةَ : أصلحك الله !
إني ضعيف ، فإن رأيت أن تأذن لراويتي ! فأذن له ، فأنشده :

١٧٢٥/٢ فَازَ قَدْحُ الْكَلْبِيِّ فَأَعْتَقَلَتْ مَعَهُ رَاءَ فِي سَعْيِهِ عُرُوقُ لَثِيمِ
فَلَبَّيْنِي نُمَيْرُ نَمَّ أَبِينِي أَلْعَبِدُ مَغْرَاءُ أَمَّ لَصِيمِ
فَلَيْتُنْ كَانَ مِنْكُمْ مَا يَكُونُ الْغَدْرُ وَالْكَفْرُ مِنْ خِصَالِ الْكَرِيمِ
وَلَيْتُنْ كَانَ أَصْلُهُ كَانَ عَبْدًا مَا عَلَيْكُمْ مِنْ غَدْرِهِ مِنْ شَتِيمِ
وَلَيْتَهُ لَيْتُ وَأَيُّ وُلَاةٍ بِأَيَادٍ بِيضٍ وَأَمْرٍ عَظِيمِ !
أَسْمَتُهُ حَتَّى إِذَا رَاحَ مَغْبُو طَأَّ بِخَيْرٍ مِنْ سَيِّبِهَا الْمَقْسُومِ

كَادَ سَادَاتِهِ بِأَهْوَنٍ مِنْ نَهْ قَمَةٍ عَيْرٍ بِقَفَرَةٍ مَرْقُومٍ -
 فَضَرَبْنَا لِغَيْرِنَا مِثْلَ الْكَلَا بِ ذِمِّهَا وَاللَّئِمُّ لِلْمَنْمُومِ -
 وَحَمِدْنَا لَيْثًا وَيَأْخُذُ بِالْقَضَى ل ذُوُّ الْجُودِ وَاللَّئِي وَالْحُلُومِ -
 فَاعْلَمُنْ يَا بَنِي الْقَسَاوِرَةِ الْعُلَا بِ وَأَهْلَ الصُّفَا وَأَهْلَ الْحَطِيمِ -
 أَنْ فِي شُكْرِ صَالِحِينَ لَمَّا يَدُ حَضَّ قَوْلَ الْمَرْهَقِ الْمَوْصُومِ -
 قَدْ رَأَى اللَّهُ مَا أَتَيْتُ وَلَنْ يَنْدَ قَصَّ نَبْحِ الْكَلَابِ زُهْرَ التَّجُومِ -
 فلما فرغ قال نصر : صدقت ، وتكلمت القيسية واعتذروا . قال : وأهان
 نصر قيساً وباعدهم حين فعل مغراء ما فعل ، فقال في ذلك بعض الشعراء :
 لَقَدْ بَغَضَ اللَّهُ الْكِرَامَ إِلَيْكُمْ كَمَا بَغَضَ الرَّحْمَنُ قَيْسًا إِلَى نَصْرِ
 رَأَيْتُ أَبَا لَيْثٍ يُهَيِّنُ سَرَائِهِمْ وَيُدْنِي إِلَيْهِ كُلَّ ذِي وَالٍ غَمْرِ

وحجج بالناس في هذه السنة يزيد بن هشام بن عبد الملك ؛ كذلك حدثني
 أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ؛
 وكذلك قال الواقدي أيضاً .

وكان عمال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا في السنة التي
 قبلها ، وقد ذكرتهم قبل .

ثم دخلت سنة أربع وعشرين ومائة

ذكر الإخبار عما كان فيها من الأحداث

[ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني]

فَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذَلِكَ مَقْدَمَ جَمَاعَةٍ مِنْ شِيعَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ الْكُوفَةِ
يُرِيدُونَ مَكَّةَ ، وَشَرَى ^(١) بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ - فِي قَوْلِ بَعْضِ أَهْلِ السَّيْرِ - أَبَا مُسْلِمٍ
صَاحِبَ دَعْوَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ مِنْ عَيْسَى بْنِ مَعْقِلِ الْعَجَلِيِّ .

• ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ :

وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ ؛ فَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ طَلْحَةَ
السَّلْمِيِّ حَدَّثَهُ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ بُكَيْرُ بْنُ مَاهَانَ كَاتِبًا لِبَعْضِ عَمَّالِ
السَّنَدِ ، فَقَدِمَهَا ^(٢) ، فَاجْتَمَعُوا بِالْكُوفَةِ فِي دَارٍ ، فَغُضِمَ ^(٣) بِهِمْ فَأُخِذُوا ،
فَحَبَسَ بِكَيْرٍ وَخُلِّيَ عَنْ ^(٤) الْبَاقِينَ ، وَفِي الْحَبْسِ يُونُسُ أَبُو عَاصِمٍ وَعَيْسَى بْنُ
مَعْقِلِ الْعَجَلِيِّ ، وَمَعَهُ أَبُو مُسْلِمٍ يَخْدُمُهُ ، فَدَعَاهُمْ بِكَيْرٍ فَأَجَابُوهُ إِلَى رَأْيِهِ ، فَقَالَ
لِعَيْسَى بْنُ مَعْقِلٍ : مَا هَذَا الْغَلَامُ ؟ قَالَ : مَمْلُوكٌ ، قَالَ : تَبِيعَهُ ؟ قَالَ : هُوَ لَكَ ،
قَالَ : أَحَبُّ أَنْ تَأْخُذَ ثَمَنَهُ ، قَالَ : هُوَ لَكَ بِمَا شِئْتَ ؛ فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَمِائَةَ دِرْهَمٍ ،
ثُمَّ أَخْرَجُوا مِنَ السِّجْنِ ، فَبَعَثَ بِهِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ فَدَفَعَهُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى أَبِي مُوسَى السَّرَّاجِ ،
فَسَمِعَ مِنْهُ وَحَفِظَ ، ثُمَّ صَارَ إِلَى أَنْ اخْتَلَفَ إِلَى خُرَاسَانَ .

وَقَالَ غَيْرُهُ : تَوَجَّهَ سُلَيْمَانُ بْنُ كَثِيرٍ وَمَالِكُ بْنُ الْهَيْثَمِ وَلاَهُزُ بْنُ قَرِيظٍ ،
وَقَسَّطَبَةُ بْنُ شَبِيبٍ مِنْ خُرَاسَانَ ، وَهُمْ يُرِيدُونَ مَكَّةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ
وَمِائَةٍ ، فَلَمَّا دَخَلُوا الْكُوفَةَ أَتَوْا عَاصِمَ بْنَ يُونُسَ الْعَجَلِيَّ ؛ وَهُوَ فِي الْحَبْسِ ،
قَدْ اتَّهَمَ بِالِدَّعَاءِ إِلَى وَلَدِ الْعَبَّاسِ ، وَمَعَهُ عَيْسَى وَإِدْرِيسُ ابْنَا مَعْقِلٍ ؛ حَبَسَهُمَا
يُوسُفُ بْنُ عَمْرِو بْنِ فَيْمَنْ حَبَسَ مِنْ عُمَّالِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَمَعَهُمَا أَبُو مُسْلِمٍ
يَخْدُمُهُمَا ؛ فَرَأَوْا فِيهِ الْعَلَامَاتِ ، فَقَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : غَلَامٌ مَعَنَا مِنْ

(١) شَرَاهُ يَشْرِيهِ شَرَى : مَلَكَه بِالْبَيْعِ ، مِثْلُ اشْتَرَى . (٢) ا ، ف : « فَعْدَمَ » .

(٣) غَضِمَ بِهِمْ ، أَيْ سَمَى بِهِمْ شَرًّا . (٤) كَذَا فِي ا ، وَفِي ط : « مِنْ » .

السَّراجين - وقد كان أبو مسلم يسمع عيسى وإدريس يتكلمان في هذا الرأي فإذا سمعهما بكى - فلما رأوا ذلك منه دعوهُ إلى ما هم عليه، فأجاب وقيل .

* * *

وفي هذه السنة غزا سليمان بن هشام الصائفة ، فلقى أليون ملك الروم فسلم وغنم .

وفيها مات - في قول الواقدي - محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس . وحجّ بالناس في هذه السنة محمد بن هشام بن إسماعيل ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي .

وحجّ في هذه السنة عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك معه امرأته أمّ سلمة بنت هشام بن عبد الملك .

وذكر محمد بن عمران يزيد مولى أبي الزناد حدثه ، قال : رأيت محمد ١٧٢٨/٢ ابن هشام على بابها يرسل بالسلام ولطفه على بابها كثيرة ، ويعتذر فتأبى ؛ حتى كان يأيس من قبول هديّته ، ثم أمرت بقبضها .

* * *

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة هم العمال الذين كانوا عمالها في سنة اثنتين وعشرين ومائة وفي سنة ثلاث وعشرين ومائة ، وقد ذكرناهم قبل .

ثم دخلت سنة خمس وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فمن ذلك غزوة النعمان بن يزيد بن عبد الملك الصائفة .

* * *

[خبر وفاة هشام بن عبد الملك]

ومن ذلك وفاة هشام بن عبد الملك بن مروان فيها ، وكانت وفاته — فيما ذكر أبو معشر — لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ؛ عنه .

وكذلك قال الواقدي والمدائني وغيرهما ؛ غير أنهم قالوا : كانت وفاته يوم الأربعاء لست ليال خلون من شهر ربيع الآخر ، فكانت خلافته في قول جميعهم تسع عشرة سنة ، وسبعة أشهر وأحدًا وعشرين يومًا في قول المدائني وابن الكلبي ، وفي قول أبي معشر : وثمانية أشهر ونصفًا ، وفي قول الواقدي : وسبعة أشهر وعشر ليال .

واختلف في مبلغ سنه ، فقال هشام بن محمد الكلبي : توفي وهو ابن خمس وخمسين سنة . وقال بعضهم : توفي وله اثنتان وخمسون سنة .

وقال محمد بن عمر : كان هشام يوم توفى ابن أربع وخمسين سنة . وكانت وفاته بالرصافة وبها قبره ، وكان يكنى أبا الوليد .

* * *

ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : حدثني شيبه بن عثمان ، قال : حدثني عمرو بن كليح ؛ قال : حدثني سالم أبو العلاء ، قال : خرج علينا هشام بن عبد الملك يومًا وهو كئيب ، يعرف ذلك فيه ،

مسترخ عليه ثيابه ، وقد أرحى عنان دابته ، فسار ساعة ثم انقبه ، فجمع ثيابه وأخذ بعنان دابته ، وقال للربيع : ادع الأبرش ، فدعى فسار بيني وبين الأبرش ، فقال له الأبرش : يا أمير المؤمنين ؛ لقد رأيت منك شيئاً غمّتى ، قال : وما^(١) هو ؟ قال : رأيتك قد خرجت على حال غمّتى^(٢) ، قال : ويحك يا أبرش ! وكيف لا أغتم وقد زعم أهل العلم أنى ميت إلى ثلاثة وثلاثين يوماً ! قال سالم : فرجعت إلى منزلى ، فكتبت فى قرطاس : «زعم أمير المؤمنين يوم كذا وكذا أنه يسافر إلى ثلاثة وثلاثين يوماً» . فلما كان فى الليلة التى استكمل فيها ثلاثة وثلاثين يوماً إذا خادم يدق الباب يقول : أجب أمير المؤمنين ، واحمِلْ معك دواء الذُبْحَة - وقد كان أخذه مرة فتعالج فأفاق - فخرجت ومعى الدواء فتغرّغَر به ، فازداد الوجع شِدَّةً ، ثم سكن فقال لى : يا سالم ، قد سكن بعض ما كنت^(٣) أجده ؛ فانصرف إلى أهليكَ ، وخلف الدواء عندي . فانصرفت ، فما كان إلا ساعة حتى سمعت الصراخ عليه ، فقالوا : مات أمير المؤمنين ! فلما مات أغلق الخزان الأبواب ، فطلبوا قُمُقمًا يسخن فيه الماء لغسله ، فما وجدوه حتى استعاروا قُمُقمًا من بعض الجيران ، فقال بعض من حضر ذلك : إن فى هذا لمعتبرًا لمن اعتبر . وكانت وفاته بالذُبْحَة ، فلما مات صلى عليه ابنه مسلمة بن هشام .

• • •

ذكر بعض سِيَرِ هشام

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني على بن محمد ، عن وسنان الأعرجي ، قال : حدثني ابن أبي نُحَيْلَة ، عن عَقَّال بن شَبَّة ، قال : دخلت على هشام ، وعليه قَبَاءُ فَتَكَ^(٣) أخضر ، فوجهنى إلى خُرَّاسان ، وجعل يوصينى وأنا أنظر إلى القَبَاءِ ، ففطِن ، فقال : ما لك ؟ قلت : رأيت عليك قبل أن تلى الخلافة قَبَاءَ فَتَكَ أخضر ، فجعلت أتأمل هذا ، أهو ذاك أم غيره ؟ فقال : هو والله الذى لا إله إلا ، هو ذاك ، ما لى قَبَاءَ غيره . وأما ما ترون من جمعى هذا المال وصونه فإنه لكم . قال : وكان عَقَّال مع

(١-١) ساقط من أ ، ب . (٢) ح : « بعض الذى » .

(٣) الفتك : دابة فروتها أطيب أنواع الفراء .

هشام . فأما شبة أبو عَقَّال ؛ فكان مع عبد الملك بن مروان ، وكان عَقَّال يقول : دخلت على هشام ، فدخلت على رجل محشو عَقَّالاً .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني عليّ ، قال : قال مروان بن شجاع ؛ مولى لمروان بن الحكم : كنت مع محمد بن هشام بن عبد الملك ، فأرسل إلى يومئذ ، فدخلت عليه ، وقد غضب وهو يتلهف ، فقلت : ما لك ؟ فقال : رجل نصراني شجّ غلامى - وجعل يشتمه - فقلت له : على رسلك ! قال : فما أصنع ؟ قلت : ترفعه إلى القاضى ، قال : وما غير هذا ! قلت : لا ، قال خصى له : أنا أكفيك ، فذهب فضربه . وبلغ هشاماً فطلب الخصى ، فعاذ بمحمد ، فقال محمد بن هشام : لم آمرك ، وقال الخصى : بلى والله لقد أمرتني ، فضرب هشام الخصى وشتم ابنته .

وحدثني أحمد ، قال عليّ : لم يكن أحدٌ يسير في أيام هشام في موكب إلا مسلمة بن عبد الملك . قال : ورأى هشام يوماً سالماً في موكب ، فزجره وقال : لأعلمن متى سرت في موكب . وكان يقدم الرجل الغريب فيسير معه ، فيقف سالم ، ويقول : حاجتك ، ويمنعه أن يسير معه ، وكان سالم كأنه هو أمر هشاماً .

قال : ولم يكن أحدٌ من بنى مروان يأخذ العطاء إلا عليه الغزو ؛ فمنهم من يغزو ، ومنهم من يُخرج بدلا . ١٧٣٢/٢

قال : وكان لهشام بن عبد الملك مولى يقال له يعقوب ، فكان يأخذ عطاء هشام مائتي دينار وديناراً ، يفضل بدينار ، فيأخذها يعقوب ويغزو . وكانوا يصيرون أنفسهم في أعوان الديوان ، وفي بعض ما يجوز لهم المقام^(١) به ، ويوضع به الغزو عنهم . وكان داود وعيسى ابنا عليّ بن عبد الله بن عباس - وهما لأم - في أعوان السوق^(٢) بالعراق لخالد بن عبد الله ، فأقاما عنده ، فوصلهما ، ولولا ذلك لم يستطع أن يحبسهما ، فصيرهما^(٣) في الأعوان ، فسمرا ، وكانا يسامرانه ويحدّثانه .

(٢) كذا في ١ ، ب ، وفي ط : « الشرق » .

(١) ف : « القيام » .

(٣) ب : « فيصيرهما » .

قال : فولّى^(١) هشام بعض مواليه ضيعةً له ، فعمّرها فجاءت بغلة عظيمة كبيرة^(٢) ثم عمّرها أيضاً ، فأضعفت الغلة ، وبعث بها مع ابنه ، فقدم بها على هشام ، فأخبره خبر^(٣) الضيعة فجزاه خيراً ، فرأى منه انبساطاً ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن لي حاجة ، قال : وما هي^(٤) ؟ قال : زيادة عشرة دنانير في العطاء ، فقال : ما يخيّل إلى أحدكم أن عشرة دنانير في العطاء إلا بقدر الجوز ! لا لعمري لا أفعل .

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، قال : قال جعفر بن سليمان : قال لي عبد الله بن عليّ : جمعت دواوين بني مروان ، فلم أرَ ديواناً أصحّ ولا أصلح للعامة والسلطان من ديوان^(٥) هشام .

حدثنا أحمد ، قال : قال عليّ : قال غسان بن عبد الحميد : لم يكن أحدٌ من بني مروان أشدّ نظراً^(٦) في أمر أصحابي ودواوينه ، ولا أشدّ مبالغة في الفحص عنهم من هشام .

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، قال : قال حماد الأبيح : قال هشام لغيلان : ويحك يا غيلان ! قد أكثر الناس فيك ، فنازعنا بأمرك ، فإن كان حقاً اتبعناك ، وإن كان باطلاً نزعته عنه ، قال : نعم ، فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلّمه ، فقال له ميمون : سل ؛ فإنّ أقوى ما تكونون إذا سألت ، قال له : أشاء الله أن يعصى ؟ فقال له ميمون : أفعصى كارهاً ! فسكت ، فقال هشام : أجبه فلم يجبه ، فقال له هشام : لا أقالني الله إن أقلتّه ؛ وأمر بقطع يديه ورجليه .

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ عن رجل من غنّى ، عن بيشر مولى هشام ، قال : أتى هشامُ برجل عنده قيان وخمسر وبربط ، فقال : اكسروا الطنبور^(٧) على رأسه وضربه ، فبكى الشيخ . قال بيشر : فقلت له

(١) ح : « وولى » . (٢) ح ، ف : « كثيرة » .
(٣) ح ، ف : « وأخبره عن الضيعة » . (٤) ح ، ف : « ما هي » ، بدون واو .
(٥) ح : « دواوين » . (٦) ط : « حصراً » ، وما أثبتته من أ ، ح .
(٧) الطنبور : من آلات الطرب ؛ ذو عنق طويل وستة أوتار ، والبربط : العود .

— وأنا أعزيه : عليك بالصبر ، فقال : أتراني أبكي للضرب ! إنما أبكي لاحتقاره للبربط إذ سماه طنبوراً !

قال : وأغلظ رجل هشام ، فقال له هشام : ليس لك أن تغلظ لإمامك ! قال : وتفقد هشام بعض ولده — ولم يحضر الجمعة — فقال له : ما منعك من الصلاة ؟ قال : نفقت دابتي ، قال : أفعجزت عن المشي فركت الجمعة ! فتنه الدابة سنة .

قال : وكتب سليمان بن هشام إلى أبيه : إن بغلي قد عجزت عني ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمرني بدابة فعل . فكتب إليه : قد فهم أمير المؤمنين كتابك ، وما ذكرت من ضعف دابتك ، وقد ظن أمير المؤمنين أن ذلك من قلة تعهدك لعلفها ، وأن علفها يضيع ، فتعهد دابتك في القيام عليها بنفسك ، ويرى أمير المؤمنين رأيه في حملانك^(١) .

١٧٣٤/٢

قال : وكتب إليه بعض عماله : إني قد بعثت إلى أمير المؤمنين بسلة دراقن^(٢) ؛ فليكتب إلى أمير المؤمنين بوصولها . فكتب إليه : قد وصل إلى أمير المؤمنين الدراقن الذي بعثت به فأعجبه ، فزد أمير المؤمنين منه ، واستوثق من الوعاء .

قال : وكتب إلى بعض عماله : قد وصلت الكمأة التي بعثت بها إلى أمير المؤمنين ؛ وهي أربعون ، وقد تغير بعضها ، ولم تؤت في ذلك إلا من حسنوها ، فإذا بعثت إلى أمير المؤمنين منها شيئاً فأجد حسنوها في الظرف الذي تجعلها فيه بالرمل ؛ حتى لا تضطرب ولا يصيب بعضها بعضاً .

حدثني أحمد ، قال : حدثني علي ، قال : حدثنا الحارث بن يزيد ، قال : حدثني مولى لهشام ، قال : بعث معي مولى لهشام كان على بعض ضياعه بطيرين ظريفين ، فدخلت إليه وهو جالس على سرير في عرسفة الدار ، فقال : أرسلهما في الدار ، قال : فأرسلتهما فنظر إليهما ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، جائزني ، قال : ويلك ! وما جائزة طيرين ؟ قلت : ما كان ، قال : خذ أحدهما ، فعدوت في الدار عليهما ، فقال : ما لك ؟ قلت :

١٧٣٥/٢

أختار خيرَهما ، قال : أختار أيضاً خيرهما وتلدع شرَّهما لي ! دعُهما ونحن نعطيك أربعين درهماً أو خمسين درهماً .

قال : وأقطع هشام أرضاً يقال لها دورين ، فأرسل في قبضها ؛ فإذا هي خراب ، فقال لذُوَيْد (كاتب كان بالشَّام) : ويحك ! كيف الحيلة ؟ قال : ما تجعل لي ؟ قال : أربعمائة دينار ، فكتب « دورين وقراها » ، ثم أمضاها في الدواوين ، فأخذ شيئاً كثيراً ، فلما ولى هشام دخل عليه ذُوَيْد ، فقال له هشام : دورين وقراها ! لا والله لا تلي لي ولاية أبداً ، وأخرجه من الشَّام .

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، عن عمير بن يزيد ، عن أبي خالد ، قال : حدثني الوليد بن خليل ، قال : رأيته هشام بن عبد الملك ، وأنا على برزذون طُخَّارِي^(١) ، فقال : يا وليد بن خليل ، ما هذا البرزذون ؟ قلت : حملني عليه الجنيد ، فحسدني وقال : والله لقد كثرت الطُّخَّارِيَّة ، لقد مات عبد الملك فما وجدنا في دوابه برزذوناً طُخَّارِيّاً غير واحد ، فتنافسه بنو عبد الملك أيهم يأخذه ؛ وما منهم أحدٌ إلا يرى أنه إن لم يأخذه لم يرث من عبد الملك شيئاً .

قال : وقال بعض آل مروان لهشام : أتطمع في الخلافة وأنت ببخل جِبَّان^(٢) ؟ قال : ولم لا أطمع فيها وأنا حلیم عفيف !

١٧٣٦/٢

قال : وقال هشام يوماً للأبرش : أَوْضَعْتَ أعنرك ؟ قال : إى والله ، قال : لكن أعنزي تأخر ولادها ، فاخرج بنا إلى أعنرك نُصِبْ من ألبانها ، قال : نعم ، أفأقدم قوماً ؟ قال : لا ، قال : أفأقدم خباءً حتى يضرب لنا ؟ قال : نعم ، فبعث برجلين بخباء فضرب ، وغدا هشام والأبرش وغدا الناس ، فقعده هشام والأبرش ؛ كل واحد منهما على كرسي ، وقدم إلى كل واحد منهما شاة ، فحلب هشام الشاة بيده ، وقال : تعلّم يا أبرش أنى لم أبس^(٣) الحلب ! ثم أمر بمكة فعمّجت وأوقد النار بيده ، ثم فحصبها وألقى الملة ، وجعل يقلبها بالحرث ، ويقول : يا أبرش ، كيف ترى رفيق ! حتى فضجت ثم أخرجها ،

(١) برزذون طُخَّارِي ، أى عتيق فار . (٢) ح : « جبار » وجبان كشداد : هيب للأشياء لا يقدم عليها . (٣) الإباس : التلطف في حلب الشاة بأن يقال لها : بس بس .

وجعل يقلبها^(١) بالحراث ، ويقول : جبينك جبينك . والأبرش يقول : لبّيك لبّيك - وهذا شيء ، تقوله الصبيان إذا خُبرت لهم المَلَّة - ثم تغدّى وتغدّى الناس ورجع .

قال : وقدم علباء بن منظور الليثى على هشام ، فأنشده :

قالت عليه واعتزمت لِرَحْلة زَوْرَاءَ بِالْأُذْنَيْنِ ذَاتِ تَسْدِرٍ^(٢)
أَيْنَ الرّحيلُ وأهلُ بيتك كلّهم كلُّ عليك كبيرهم كالْأَصْغِرِ !
فَأَصَاغِرُ أَمْثَالُ سِلْكَانِ الْقَطَا لَا فِي ثَرَى مَالٍ وَلَا فِي مَعْشَرِ
إِنِّي إِلَى مَلِكِ الشَّامِ لِرَاحِلٍ وَإِلَيْهِ يَرْحَلُ كُلُّ عَبْدٍ مُوقِرٍ

فَلَا تُرْكَنَّكَ إِنْ حَيَّتْ غَنِيَّةٌ بِنَدَى الْخَلِيفَةِ ذِي الْفَعَالِ الْأَزْهَرِ
إِنَّا أَنْاسُ مَيِّتٍ دِيَوَانُنَا وَمَتَى يُصِيبُهُ نَدَى الْخَلِيفَةِ يَنْشُرِ

١٧٣٧/٢

فقال له هشام : هذا الذى كنت تحاول ، وقد أحسنت المسألة . فأمر له بخمسمائة درهم ، وألحق له عَيْلًا^(٣) فى العطاء .

قال : وأتى هشاماً محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب . فقال : ما لك عندى شيء ، ثم قال : إياك أن يغرك أحد فيقول : لم يعرفك أمير المؤمنين ؛ إني قد عرفتك ؛ أنت محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فلا تقيمن وتنفق ما معك ، فليس لك عندى صلة ، فالحق بأهلك .

قال : ووقف هشام يوماً قريباً من حائط فيه زيتون ، ومعه عثمان بن حيان المرتى ، وعثمان قائم يكاد رأسه يوازي رأس أمير المؤمنين وهو يكلمه إذ سمع نفص الزيتون ، فقال لرجل : انطلق إليهم فقل لهم : القطوه لقطاً ، ولا تنفضوه نفصاً ، فتتفقأ عيونُهُ ، وتكسر غصونه .

قال : وحجّ هشام . فأخذ الأبرش نخنتين ومعهم البرابط . فقال هشام : احبسوهم وبيعوا متاعهم - وما درى ما هو - وصيروا ثمنه فى بيت المال . فإذا صلحوا فردوا عليهم الثمن^(٤) .

وكان هشام بن عبد الملك ينزل الرصافة - وهى فيما ذكر - من أرض قنسرين .

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « يضربها » . (٢) ١ : « ذات تسدر » .

(٣) العيل : الزيادة . (٤) ح ، ف : « الثمن عليهم » .

وكان سبب نزوله إياها - فيما حدثني أحمد بن زهير بن حرب ، عن علي بن محمد - قال : كان الخلفاء وأبناء الخلفاء يتبدون^(١) ويهربون من الطاعون ، فينزلون البرية خارجاً عن الناس ، فلما أراد هشام أن ينزل الرصافة قيل له : لا تخرج ؛ فإن الخلفاء لا يطعمون^(٢) ؛ ولم نر خليفة طعين ، قال : أتريدون أن تجربوا بي ! فنزل الرصافة وهي برية ، ابتنى بها قصرين . والرصافة مدينة رومية بنشها الروم .

وكان هشام أحول ، فحدثني أحمد ، عن علي ، قال : بعث خالد بن عبد الله إلى هشام بن عبد الملك بجاد فحدا بين يديه بأرجوزة أبي النجم :
والشمس في الأفق كعين الأحول صغواء قد هممت ولما تفعل
فغضب هشام وطرده .

وحدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني علي بن محمد ، قال : حدثنا أبو عاصم الضبي ، قال : مرّ بي معاوية بن هشام ، وأنا أنظر إليه في رحبة أبي شريك - وأبو شريك رجل من العجم كانت تنسب إليه وهي مزرعة - وقد اختبز خبزة ، فوقف علي ، فقلت : الغداء ! فنزل وأخرجتها ، فوضعتها في لبن ، فأكل ثم جاء الناس ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : معاوية بن هشام ، فأمر لي بصيلة . وركب وثار بين يديه ثعلب ، فركض خلفه ، فاتبه غلوة ؛ حتى عثر به فرسه فسقط فاحتملوه ميتاً ، فقال هشام : تالله لقد أجمعت أن أرشحه للخلافة ، ويتبع ثعلباً !

قال : وكانت عند معاوية بن هشام ابنة إسماعيل بن جرير وامرأة أخرى ، فأخرج هشام كل واحدة منهما من نصف الثمن بأربعين ألفاً .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا ، علي ، قال : قال قحذم كاتب يوسف : بعثني يوسف بن عمر إلى هشام بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفّي ، وحبّة لؤلؤ أعظم ما يكون من الحب ، فدخلت عليه فدنوت منه ، فلم أر وجهه من طول السرير وكثرة الفرش ، فتناول الحجر والحبة ، فقال :

(١) كذا في أ ، وفي ط : « يتبدون » .

(٢) لا يطعمون ؛ أي لا يصابون بالطاعون .

أكتب معك بوزنهما ؟ قلت : يا أمير المؤمنين ؛ هما أجلّ عن أن يكتب بوزنهما ، ومن أين يوجد مثلهما ! قال : صدقت ، وكانت الياقوتة للرائقة جارية خالد بن عبد الله ، اشترتها بثلاثة وسبعين ألف دينار .

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ، قال : حدثنا حسين بن يزيد ، عن شهاب بن عبد ربّه ، عن عمرو^(١) بن عليّ ، قال : مشيتُ مع محمد بن عليّ إلى داره عند الحمام ، فقلت له : إنه قد طال مُلك هشام وسلطاناه ، وقد قرب من العشرين . وقد زعم الناس أن سليمان سأل ربّه مُلكاً لا ينبغي لأحد من بعده ، فزعم الناس أنها العشرين ، فقال : ما أدري ما أحاديث الناس ! ولكن أبي حدثني عن أبيه ، عن عليّ ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لن يعمر الله ملكاً في أمة نبيّ مضى قبله ما بلغ بذلك النبيّ من العمر » .

١٧٤٠/٢

* * *

وفي هذه السنة ولى الخلافة بعد موت هشام بن عبد الملك الوليدُ بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان ، وليّها يوم السبت في شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة في قول هشام بن محمد الكلبيّ .
وأما محمد بن عمر فإنه قال : استُخلف الوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر من سنة خمس وعشرين ومائة . وقال في ذلك عليّ بن محمد مثل قول محمد بن عمر .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان

• • •

ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة

قد مضى ذكرى سبب عقد أبيه يزيد بن عبد الملك بن مروان له الخلافة بعد أخيه هشام بن عبد الملك ؛ وكان الوليد بن يزيد يوم عقد له أبوه يزيد ذلك ابن إحدى عشرة سنة ، فلم يمضَ يزيد حتى بلغ ابنه الوليد خمس عشرة سنة ، فندم يزيد على استخلافه هشاماً أخاه بعده ؛ وكان^(١) إذا نظر إلى ابنه الوليد ، قال : الله بيني وبين من جعل هشاماً بيني وبينك ! فتوفى يزيد بن عبد الملك وابنه الوليد ابن خمس عشرة سنة . وولى هشام وهو الوليد مكرماً معظم مقرّب ؛ فلم يزل ذلك من أمرهما حتى ظهر من الوليد بن يزيد مجنون وشرب الشراب ؛ حمّله على ذلك - فيما حدثني أحمد بن زهير ، عن علي ابن محمد ، عن جويرية بن أسماء وإسحاق بن أيوب وعامر بن الأسود وغيرهم - عبد الصمد بن عبد الأعلى الشيباني^(٢) أخو عبد الله بن عبد الأعلى - وكان مؤدّب الوليد - واتخذ الوليد ندماء ، فأراد هشام أن يقطعهم عنه فولاه الحج سنة تسع عشرة ومائة^(٣) ، فحمل معه كلاباً في صناديق ، فسقط منها صندوق - فيما ذكر علي بن محمد عمّن سميت من شيوخه - عن البعير وفيه كلب ، فأجالوا على الكرى^(٤) السياط ، فأوجعوه ضرباً . وحمل معه قبة عملها على قدر الكعبة ليضعها على الكعبة ، وحمل معه خمرأ ، وأراد أن ينصب القبة على الكعبة ؛ ويجلس فيها ؛ فخوفه أصحابه وقالوا : لا تأمن الناس عليك وعلينا معك ؛ فلم يحرّكها . وظهر للناس منه تهاون بالدين واستخفاف به ، وبلغ ذلك هشاماً فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام ، فأراد على أن يخلعها ويباع لمسلمة ؛ فأبى ، فقال له : اجعلها له من بعدك ؛ فأبى ، فتنكر له هشام وأصرّ به ، وعمل سرّاً في البيعة لابنه ؛ فأجابه قوم .

١٧٤٢/٢

(١) ا ، ح ، ف : « فكان » . (٢) ط : « الشيباني » ، تحريف .
(٣) ابن الأثير : « سنة ست عشرة ومائة » . (٤) الكرى والمكارى ، هو الذي يكرى دابته .

قال : فكان ممن أجابه خاله : محمد وإبراهيم ابنا هشام بن إسماعيل المخزومي ،
وبنو الققعاق بن خليل العبيسي وغيرهم من خاصته .

قال : وتمادى الوليد في الشراب وطلب اللذات فأفرط ، فقال له هشام :
ويحك يا وليد ! والله ما أدرى أعلى الإسلام أنت أم لا ! ما تدع شيئاً من
المنكر إلا أتيتّه غير متحاشٍ ولا مستتر به ! فكتب إليه الوليد :

يأيّها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر^(١)
نشرّبها صِرْفاً وممزوجةً بالسُّخْنِ أحياناً وبالفاثِرِ

فغضب هشام على ابنه مسلمة - وكان يكنى أبا شاكر - وقال له :
يعيرني بك الوليد وأنا أرثحك للخلافة ! فالزم الأدب واحضر الجماعة .
وولاه الموسم سنة تسع عشرة ومائة ، فأظهر النسك والوفار واللين ، وقسم بمكة
والمدينة أموالاً ، فقال مولى لأهل المدينة :

يأيّها السائل عن ديننا نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجرّد بأرسانها^(٢) ليس بزنيديق ولا كافر
يعرّض بالوليد .

وأم مسلمة بن هشام أمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص . فقال الكميّ :

إنّ الخلافة كائنٌ أوتأذها بعدّ الوليد إلى ابن أمّ حكيم

فقال خالد بن عبد الله القسريّ : أنا برىء من خليفة يكنى أبا شاكر ؛

١٧٤٣/٢

فغضب مسلمة بن هشام على خالد ، فلما مات أسد بن عبد الله أخو خالد
ابن عبد الله ، كتب أبو شاكر إلى خالد بن عبد الله بشعر هجا به [يحيى]^(٣) بن نوفل
خالداً وأخاه أسداً حين مات :

أراح من خالدٍ وأهلكه ربُّ أراح العباد من أسدٍ
أما أبوه فكان مؤثباً عبداً لثيماً لأعبد قُفْدٍ^(٤)

(١) في الأغاني ٧ : ٣ ، وقال : « بل قال ذلك عبد الصمد بن عبد الأعلى ونحله إياه » .

(٢) « الواهب البزل » .

(٣) من أ .

(٤) مؤثب ؛ أي غير صريح في نجه . والعبء الاقتد ؛ الكثر الديق والرجلين القصير الأصابع .

وبعث بالطومار مع رسول على البريد إلى خالد ؛ فظن أنه عزاه عن أخيه ،
ففضّ الخاتم ، فلم ير في الطومار غير الهجاء ، فقال : ما رأيت كالיום تعزية !
وكان هشام يعيب الوليدَ ويتنقصه ، وكثر عبثه به وبأصحابه وتقصيره به ،
فلما رأى ذلك الوليد خرج وخرج معه ناس من خاصته ومواليه ، فنزل بالأزرق ؛
بين أرض بلسقيين وفزارة ، على ماء يقال له الأغدف ، وخلّف كاتبه عيساؤ
ابن مسلم مولى عبد الملك بن مروان بالترصافة ، فقال له : اكتب إلى بما يحدث
قبلكم . وأخرج معه عبد الصمد بن عبد الأعلى ، فشرّبوا يوماً فلما أخذ فيهم
الشراب ، قال الوليد لعبد الصمد : يا أبا وهب ، قل أبياتاً ، فقال (١) :

ألم تر للنجم إذ شيعاً (٢) يُبادرُ في بُرجه المَرَجِعا
نحيرَ عن قصدٍ مَجْرانِهِ أتي الغورَ والتَّمَسَ المَطلَعَا (٣)
فقلتُ وأعجبتني شأنه وقد لاحَ إذ لاحَ لي مُطِيعا :
لعلّ الوليدَ دنا مأكُهُ فأَمسى إليه قد استُجمعا
وكنا نؤملُ في ملكه كساملٍ ذي الجذبِ أن يُمرِّعا
عقدنا له محكماتِ الأمورِ طوعاً فكان لها مَوْضعا

وروى الشعر (٤) ؛ فبلغ هشاماً ، فقطع عن الوليد ما كان يُجرى عليه ،
وكتب إلى الوليد : بلغني عنك أنك اتخذتَ عبد الصمد خدناً ومخدّناً ونديماً ؛
وقد حقّق ذلك عندي ما بلغني عنك ، ولم أبرّك من سوء ، فأخرج عبد الصمد
مذموباً مدحوراً . فأخرجه ، وقال فيه :

لقد قَنَعُوا أبا وهبٍ بأمرٍ كبير بل يزيدُ على الكبير (٥)
فأشهدُ أنهم كذبوا عليه شهادةَ عالمٍ بهم خير

وكتب الوليد إلى هشام يُعلمه بإخراج عبد الصمد ، واعتذر إليه مما بلغه

(٢) الأغاني : « سبعا » .

(٤) الأغاني : « وروى هذا الشعر » .

(١) الأغاني ٧ : ٨ .

(٣) الأغاني : « إلى الغور » .

(٥) الأغاني ٧ : ٩ .

من منادته، وسأله أن يأذن لابن سهيل في الخروج إليه - وكان ابن سهيل من أهل اليمن وقد ولي دمشق غير مرة ، وكان ابن سهيل من خاصة الوليد - فضرب هشام ابن سهيل وسيّره ، وأخذ عياض بن مسلم كاتب الوليد، وبلغه أنه يكتب بالأخبار إلى الوليد ، فضربه ضرباً مبرحاً ، وألبسه المسوح . فبلغ الوليد ، فقال : مَنْ يثق بالناس ، ومن يصطنع المعروف! هذا الأحول المشنوم قدّمه أبى على أهل بيته فصيّره وليّ عهده ، ثم يصنع بى ما ترون؛ لا يعلم أن لى فى أحد هوّى إلا عبث به ، كتب إلى أن أخرج عبد الصمد فأخرجته إليه، وكتبت إليه أن يأذن لابن سهيل في الخروج إلى ، فضربه وسيّره، وقد علم رأيي فيه ، وقد علم انقطاع عياض بن مسلم إلى ، وتحرّمه بى ومكانه منى وأنه كاتبى ، فضربه وجبسه ، يضارّنى بذلك ؛ اللهم أجرنى منه ! وقال :

أنا النذيرُ لِمُسَدَى نعمة أبداً إلى المقاريف ما لَمْ يَخْبِرِ الدَّخْلَ (١)
 إن أنْتَ أكرمتهم أَلْفَيْتَهُمْ بَطْراً وإنْ أَهَنْتَهُمْ أَلْفَيْتَهُمْ ذُلّاً
 أَتَشْمُخُونَ مِنَّا رَأْسَ نَعْمَتِكُمْ سَتَعْلَمُونَ إِذَا كَانَتْ لَنَا دُولا (٢)
 انظرْ فإن كنت لم تَقْدِرْ على مَثَلٍ له سوى الكلب فاضربه له مثلاً
 بينا يُسَمِّنُهُ للصَّيْدِ صَاحِبُهُ حتى إِذْ مَاقَوْى مِنْ بَعْدِ مَا هُزِلَا
 عداً عليه فلم تَضُرُّهُ عَدُوَّتُهُ ولو أَطَاقَ له أَكَلَا لَقَدْ أَكَلَا

وكتب إلى هشام :

لقد بلغنى الذى أحدث أمير المؤمنين من قَطْع ما قطع عنتى، ومحو ما محَا من أصحابى وحُرَمى (٣) وأهلى ، ولم أكن أخاف أن يبتلى الله أمير المؤمنين بذلك ولا أبالى به منه ؛ فإن يكن ابن سهيل كان منه ما كان فبحسب العير أن يكون قدر (٤) الذئب ؛ ولم يبلغ من صنعى فى ابن سهيل واستصلاحه، وكتابتى إلى أمير المؤمنين فيه كُنْه ما بلغ أمير المؤمنين من قطيعتى ؛ فإن يكن ذلك لى فى نفس أمير المؤمنين على ، فقد سبب الله لى من العهد ، وكتب لى

(١) الأغاني ٧ : ١٠ . المقاريف : الأندال . (٢) الأغاني : « إذا أبصرتم الدولا » .
 (٣) الأغاني : « وأنه حرمتى وأهلى » . (٤) الأغاني : « قرب الذئب » .

من العمر ، وقسم لى من الرزق ما لا يقدر أحد دون الله على قطع شىء منه دون مدته ، ولا صرف شىء عن مواعده ؛ فقدّر الله يجرى بمقاديره فيما أحبّ الناس أو كرهوا ، ولا تأخيرَ لعاجله ولا تعجيلَ لآجله ؛ فالناس بين ذلك يقرّون الآثام على نفوسهم من الله ، ولا ^(١) يستوجبون العقوبة عليه ؛ وأمير المؤمنين ^{١٧٤٧/٢} أحقّ أمته بالبصر بذلك والحفظ له ؛ والله الموفق لأمر المؤمنين بحسن القضاء له فى الأمور ^(٢) .

فقال هشام لأبى الزبير : يا نسطاس ، أترى الناس يرضون بالوليد إن حدث بى حدث ؟ قال : بل يطيل الله عمرَكَ يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! لا بدّ من الموت ؛ أفترى الناس يرضون بالوليد ؟ قال : يا أمير المؤمنين ؛ إن له فى أعناق الناس بسّعة^٣ ، فقال هشام : لئن رضى الناس بالوليد ما أظنّ الحديث الذى رواه الناس : « إن من قام بالخلافة ثلاثة أيام لم يدخل النار » ، إلا باطلاً .

وكتب هشام إلى الوليد :

قد فهم أمير المؤمنين ما كتبت به من قَطْع ما قَطَعَ عنك وغير ذلك ؛ وأمير المؤمنين يستغفر الله من إجرائه ما كان يجرى عليك ؛ ولا يتخوّف على نفسه اقرار المآثم فى الذى أحدث من قطع ما قطع ، ومحو من محامى من صحابتك ، لأمرين : أمّا أحدهما فإيثار أمير المؤمنين إياك بما كان يجرى عليك ؛ وهو يعلم وضعك له وإنفاقه فى غير سبيله ، وأمّا الآخر فإثبات ^(٣) صحابتك ، وإدراؤهم عن رزاقهم عليهم ؛ لا يتألم ما ينال المسلمين فى كلّ عام من مكروه عند قطع البعوث ، ^{١٧٤٨/٢}

(١) الأغاني : « بما » (٢) الأغاني ٧ : ١٢ ، ١٣ . وبعدها هناك : « وكتب له الوليد فى آخر كتابه :

أَلَيْسَ عَظِيماً أَنْ أَرَى كُلَّ وَارِدٍ حِيَاضِكَ يَوْماً صَادِراً بِالنَّوْافِلِ
فَأَرْجِعَ مَحْمُودَ الرِّجَاءِ مُصَرِّداً بِتَحَلُّةٍ عَنْ وَرْدِ تِلْكَ الْمَنَاهِلِ
فَأُضْبِحْتُ مِمَّنْ كُنْتُ أَمَلُ مِنْكُمْ وَلَيْسَ بِلَاقٍ مَا رَجَا كُلُّ أَمَلٍ
كَمَقْتَبِضِ يَوْماً عَلَى عُرْضِ هَبْوَةٍ يَشُدُّ عَلَيْهَا كَفَّهُ بِالْأَنَامِلِ

(٣) ح : « إيثار » .

وهم معك تجول بهم في ستهلك؛ ولأمر^(١) المؤمنين أخرى في نفسه للتقصير في القتر عليك منه للاعتداء عليك فيها؛ مع أن الله قد نصر أمير المؤمنين في قطع ما قطع عنك من ذلك ما يرجو به تكفير ما يتخوف مما سلف فيه منه^(٢). وأما ابن سهيل فلعمري لئن كان نزل منك بما نزل، وكان أهلاً أن تُسرَّ فيه أو تساء؛ ما جعله الله كذلك؛ وهل زاد ابن سهيل - لله أبوك - على أن كان مغنياً زفاناً^(٣)، قد بلغ في السفه غايته! وليس ابن سهيل مع ذلك بشر ممَّن تستصحبه في الأمور التي يكرم أمير المؤمنين نفسه عن ذكرها، مما كنت لعمري الله أهلاً للتوبيخ به؛ ولئن كان أمير المؤمنين على ظنك به في الحرص على فسادك؛ إنك إذاً لغير آل^(٤) عن هوى أمير المؤمنين من ذلك. وأما ما ذكرت مما سبب الله لك؛ فإن الله قد ابتدأ أمير المؤمنين بذلك، واصطفاه له؛ والله بالغ أمره. لقد أصبح أمير المؤمنين وهو على اليقين من ربه؛ أنه لا يملك لنفسه فيما أعطاه من كرامته ضرراً ولا نفعاً؛ وإن الله ولي ذلك منه؛ وإنه لا بد له من مزايته؛ والله أرأف بعباده وأرحم من أن يولي أمرهم غير الرضى له منهم. وإن أمير المؤمنين من^(٥) حسن ظنه بربه لعلى أحسن الرجاء أن يوليه تسبيب^(٦) ذلك لمن هو أهله في الرضا له به ولهم؛ فلن بلاء الله عند أمير المؤمنين أعظم من أن يبلغه ذكره، أو يؤديه^(٧) شكره؛ إلا بعون منه؛ ولئن كان قدراً لأمر المؤمنين تعجيل وفاة، إن في الذي هو مفض إليه إن شاء الله من كرامة الله لخلفاً من الدنيا. ولعمري إن كتابك إلى أمير المؤمنين بما كتبت به لغير مستنكر من سفهك وحمقك، فاربّع على نفسك من غلواتها، وارقا على ظلمك^(٨)؛ فإن لله سطوات وعيناً؛ يصيب بذلك من يشاء، ويأذن فيه لمن يشاء ممن شاء الله؛ وأمير المؤمنين يسأل الله العصمة والتوفيق لأحب الأمور إليه وأرضاها له.

فكتب الوليد إلى هشام :

- (١-١) كذا في ١، ط؛ و، وفي الأغاني: « وأمير المؤمنين يرجو أن يكفر الله عنه ما سلف من إعطائه إياك باستثنائه قطعه عنك ».
- (٢) الزفان: الرقاص. (٣) ط: « بغير إل ». (٤) الأغاني: « مع ».
- (٥) ح والأغاني: « يحبب ». (٦) الأغاني: « يؤاذه ».
- (٧) الأغاني: « فأبق على نفسك، وقصر من غلواتها، واربع على ظلمك ».

رَأَيْتَكَ تَبْنِي جَاهِدًا فِي قَطِيعَتِي ^(١) فَلَوْ كُنْتَ ذَا إِرْزَبٍ لَهَدَمْتُ مَا تَبْنِي
تُثِيرُ عَلَى الْبَاقِينَ مَجْنَى ضَغِينَةٍ قَوْلٌ لَهُمْ إِنْ مِتَّ مِنْ شَرِّ مَا تَجْنِي !
كَأَنِّي بِهِمْ وَاللَّيْتُ أَفْضَلُ قَوْلِهِمْ ^(٢) أَلَا لَيْتَنَا وَاللَّيْتُ إِذْ ذَاكَ لَا يُغْنِي
كَفَرْتَ يَدًا مِنْ مُنْعِمٍ لَوْ شَكَرْتَهَا جَزَاكَ بِهَا الرَّحْمَنُ ذُو الْفَضْلِ وَالْمَنِّ

١٧٥٠/٢

قال: فلم يزل الوليد مُقيماً في تلك البرية حتى مات هشام ؛ فلما كان صبيحة اليوم الذي جاءته فيه الخلافة ، أرسل إلى أبي الزبير المُنذر بن أبي عمرو ، فأثاه فقال له : يا أبا الزبير ؛ ما أتت على ليلة منذ عقلت عقلي أطول من هذه الليلة ؛ عرضت لي هموم ، وحدت نفسي فيها بأُمور من أمر هذا الرجل ؛ الذي قد أولع بي - يعني هشاماً - فأركب بنا تنفّس ؛ فركبا ، فسارا ميلين ؛ ووقف على كتيب ، وجعل يشكو هشاماً إذ نظر إلى رَهج ، فقال : هؤلاء رسل هشام ؛ نسأل الله من خيرهم ، إذ بدا رجلان على البريد مقبلان ؛ أحدهما مولى لأبي محمد السفيفاني ، والآخر جرد بة .

فلما قربا أتيا الوليد ، فنزلا يعدوان حتى دنوا منه ؛ فسلما عليه بالخلافة ، فوجّهم ، وجعل جردبة يكرّر عليه السلام بالخلافة ، فقال : ويحك ! أُمات هشام ! قال : نعم ؛ قال فمَنْ كتابك ؟ قال : من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب ديوان الرسائل . فقرأ الكتاب وانصرفا ، فدعا مولى أبي (٣) محمد السفيفاني ، فسأله عن كاتبه عياض بن مسلم ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لم يزل محبوساً حتى نزل بهشام أمر الله . فلما صار في حد لا تُرجى الحياة لمثله أرسل عياض إلى الخُزّان ؛ أن يحتفظوا بما في أيديكم ، فلا يصلن أحدٌ منه إلى شيء . وأفاق هشام إفاقةً ، فطلب شيئاً فنعوه فقال : أَرَأَا كُنَّا خُرُزَانًا للوليد ! ومات من ساعته . وخرج عياض من السجن ، فحتم أبواب الخُزّان ، وأمر بهشام فأنزل عن فرشه ؛ فجا وجدوا له قُمقمًا يسخن له فيه الماء حتى استعاروه ، ولا وجلوا كفناً من الخُزّان ؛ فكفّنه غالب مولى هشام ؛ فكتب

١٧٥١/٢

(١) الأغاني ٧ : ٨ . وفي ابن الأثير : « تبني دائماً » .

(٢) الأغاني : « كأني بهم يوماً وأكثر قولهم » .

(٣) ب : « فدعوا مولى » .

الوليد إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان أن يأتي الرضاقة ، فيحصى ما فيها من أموال هشام وولده ، ويأخذ عماله وحشمه ؛ إلا مسلمة بن هشام ؛ فإنه كتب إليه ألا يعرض له ، ولا يدخل منزله ؛ فإنه كان يكثر أن يكلم أباه في الرفق به ، ويكفّه عنه . فقدم العباس الرضاقة فأحكم ما كتب به إليه الوليد ؛ وكتب إلى الوليد بأخذ بني هشام وحشمه وإحصاء أموال هشام ، فقال الوليد :

لَيْتَ هِشَامًا كَانَ حَيًّا يَرَى مِخْلَبَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ أَتْرَعَا^(١)
ويروى :

لَيْتَ هِشَامًا عَاشَ حَتَّى يَرَى مِخْلَبَهُ الْأَوْفَرَ قَدْ طُبِعَا
كِلْنَاهُ بِالصَّاعِ الَّذِي كَالَهُ^(٢) وَمَا ظَلَمْنَاهُ بِهِ لِضَبْعَا^(٣)
وَمَا أَتَيْنَا ذَاكَ عَنْ بِدْعَةٍ أَحَلَّهُ الْفُرْقَانُ لِي أَجْمَعَا

١٧٥٢/٢

فاستعمل الوليد العمال ، وجاءته بيعته من الآفاق ؛ وكتب إليه العمال ، وجاءته الوفود ؛ وكتب إليه مروان بن محمد :

بارك الله لأمير المؤمنين فيما أصاره إليه^(٤) من ولاية عبادته، ووراثته ببلاده ؛ وكان من تَغَشَّى غَمْرَةَ سَكْرَةِ الْوَلَايَةِ مَا حَمَلَ هِشَامًا عَلَى مَا حَاوَلَ مِنْ تَصْغِيرِ مَا عَظَّمَ اللَّهُ مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَامَ مِنَ الْأَمْرِ الْمُسْتَصْعَبِ عَلَيْهِ ؛ الَّذِي أَجَابَهُ إِلَيْهِ الْمَدْخُولُونَ^(٥) فِي آرَائِهِمْ وَأَدْيَانِهِمْ ؛ فَوَجَدَ مَا طَمَعَ فِيهِ مُسْتَصْعَبًا ، وَزَاحَمَتِهِ الْأَهْدَارُ بِأَشَدِّ مَنَاكِبِهَا . وَكَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِمَكَانٍ مِنَ اللَّهِ حَاطَهُ فِيهِ حَتَّى أَزْرَهُ بِأَكْرَمِ مَنَاطِقِ الْخِلَافَةِ ، فَقَامَ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ لَهُ أَهْلًا ، وَنَهَضَ مُسْتَقْلًا بِمَا حُمِّلَ مِنْهَا ، مُثَبَّتَةً وَلَايَتُهُ فِي سَابِقِ الزُّبُرِ^(٦) بِالْأَجَلِ الْمُسَمًّى ، وَخَصَّتْهُ اللَّهُ بِهَا عَلَى خَلْقِهِ وَهُوَ يَرَى حَالَاتِهِمْ ، فَقَلَّدَهُ طَوْقَهَا ، وَرَى إِلَيْهِ بِأَزْمَةِ الْخِلَافَةِ ، وَعِصْمِ الْأُمُورِ .

١٧٥٣/٢

فالحمد لله الذي اختار أمير المؤمنين لخلافته ، ووثائق عرى دينه ، وذبح

(١) الأغاني ٧ : ١٨ . (٢) الأغاني : « كلنا له الصاع التي كالمها » .

(٣) الأغاني : « أصروا » . (٤) ١ : « صار إليه » .

(٥) المدخول : من في عقله دخل ؛ أي فساد . (٦) الزبر : جمع زبور ؛ وهو الكتاب .

له عما كاده فيه الظالمون ، فرفعه ووضعهم ؛ فن أقام على تلك الحسياسة من الأمور أوبق^(١) نفسه ، وأسخط ربّه ، ومن عدلت به التوبة نازعاً عن الباطل إلى حقّ وجد الله تواباً رحيماً .

أخيراً أمير المؤمنين أكرمه الله أنى عند ما انتهى إلى من قيامه بولاية خلافة الله ، نهضت إلى منبرى ؛ على سيفان مستعدّان بهما لأهل الغشّ ، حتى أعلمت من قبلى ما امتن الله به عليهم من ولاية أمير المؤمنين ، فاستبشروا بذلك ، وقالوا : لم تأتينا ولاية خليفة كانت آمالنا فيها أعظم ولا هى لنا أسراً من ولاية أمير المؤمنين ؛ وقد بسطت يدي لبيعتك فجددتها ووكّدتها بوثائق العهود وترداد المواثيق وتغليظ الأيمان ، فكلهم حسنت إجابتهم وطاعتهم ، فأثبهم يا أمير المؤمنين بطاعتهم من مال الله الذى آتاك ؛ فإنك أجودهم جوداً وأبسطهم يداً ؛ وقد انتظروك راجين فضلك قبلكم بالرحم الذى استرحموك ، وزدّهم زيادة يفضل بها من كان قبلك ؛ حتى يظهر بذلك فضلك عليهم وعلى رعيّتك ؛ ولولا ما أحاول من سدّ الثغر^(٢) الذى أنا به ، لخفت أن يحملنى الشوق إلى أمير المؤمنين أن أستخلف رجلاً على غير أمره ، وأقدم لمعاينة أمير المؤمنين ؛ فإنها لا يعدلها عندى عادل نعمة وإن عظمت ؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى المسير إليه لأشافه بأمور كرهت الكتاب بها فعل .

فلما ولى الوليد أجرى على زمنى أهل الشام وعيانيهم وكسّاهم ، وأمر لكل إنسان منهم بخادم ؛ وأخرج لعيالات الناس الطيب والكسوة ؛ وزادهم على ما كان يخرج لهم هشام ، وزاد الناس جميعاً فى العطاء عشرة عشرة ، ثم زاد أهل الشام بعد زيادة العشرات عشرة عشرة ؛ لأهل الشام خاصة ، وزاد من وفد إليه من أهل بيته فى جوائزهم الضعف ، وكان وهو ولى عهد يطعم من وفد إليه من أهل الصائفة قافلاً ، ويطعم من صدر عن الحج بمنزل يقال له زيزاء ثلاثة أيام ، ويعلف دوابهم ، ولم يقل فى شئ^(٣) يسأله : لا ، فقيل

(١) أوبق نفسه ؛ أى أهلكها .

(٢) الثغر : موضع الخافة من فروج البلدان .

(٣) ١ : « شئ » .

له : إن في قولك : أنظر، عِدَّةً ما يقيم عليها الطالب ؛ فقال : لأعوذ لسانی شیئاً لم أعتده ، وقال :

صَمِنْتُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تُعْغِنِي عَوَائِقُ بَأَنَّ سَمَاءَ الضَّرِّ عَنْكُمْ سَتُقْلِعُ^(١)
سَيُوشِكُ الْحَاقُّ مَعًا وَزِيَادَةُ وَأَعْطِيَةٌ مِنِّي عَلَيْكُمْ تَبْرَعُ
مُحْرَمُكُمْ دِيْوَانُكُمْ وَعَطَاؤُكُمْ بِهِ يَكْتُبُ الْكِتَابُ شَهْرًا وَتَطْبَعُ ١٧٥٥/٢

• • •

وفي هذه السنة عقد الوليد بن يزيد لابنيه الحكم وعثمان البيعة من بعده ، وجعلهما وليّ عهده ؛ أحدهما بعد الآخر ، وجعل الحكم مقدّمًا على عثمان ، وكتب بذلك إلى الأمصار ؛ وكان ممن كتب إليه بذلك يوسف بن عمر ، وهو عامل الوليد يومئذ على العراق ، وكتب بذلك يوسف إلى نصر بن سيار ؛ وكانت نسخة الكتاب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار ؛ أما بعد فأني بعثت إليك نسخة كتاب أمير المؤمنين الذي كتب به إلى مسن قبلي في الذي ولي الحكم ابن أمير المؤمنين وعثمان ابن أمير المؤمنين من العهد بعده مع عقال بن شبّة التميمي وعبد الملك القيني ، وأمرتهما بالكلام في ذلك ؛ فإذا قدما عليك فاجمع لقراءة كتاب أمير المؤمنين الناس ؛ ومُرهم فليحشدوا له ، وقمّ فيهم بالذي كتب أمير المؤمنين ؛ فإذا فرغت فقم بقراءة الكتاب ، وأذن لمن أراد أن يقوم بخطبة ، ثم بايع الناس لهما على اسم الله وبركته ، وخذ عليهم العهد والميثاق^(٢) على الذي نسخت لك في آخر^(٣) كتابي هذا الذي نسخ لنا أمير المؤمنين في كتابه ، فافهمه وبايع عليه ، نسأل الله أن يبارك لأمر المؤمنين ورعيته^(٤) في الذي قضى لهم على لسان أمير المؤمنين ، وأن يصلح الحكم وعثمان ، ويبارك لنا فيهما ؛ والسلام عليك . ١٧٥٦/٢

وكتب النَّصْرُ يوم الخميس للنصف من شعبان سنة خمس وعشرين

ومائة .

(٢) ط : « بالمواثيق » .

(٤) ح : « في رعيته » .

(١) الأغاني ٧ : ٢١ .

(٢) ح ، ١ : « أسفل » .

بسم الله الرحمن الرحيم . تباع لعبد الله الوليد أمير المؤمنين والحكم ابن أمير المؤمنين إن كان من بعده وعثمان ابن أمير المؤمنين إن كان بعد الحكم على السمع والطاعة ؛ وإن حدث بواحد منهما حدث فأمر المؤمنين أملك في ولده ورعيته ، يقدم من أحب ، ويؤخر من أحب . عليك بذلك عهد الله وميثاقه ؛ فقال الشاعر في ذلك :

نبايع عثمان^(١) بعدد الولد لالعهد فينا ونرجو يزيدا
كما كان إذ ذاك في ملكه يزيد يُرجى لذلك الولدا
على أنها شسعت شسعة فنحن نؤملها أن تعودا
فإن هي عادت فأرض القرد ب عنها ليؤيس منها البعيدا^(٢)

قال أحمد : قال علي عن شيوخه الذين ذكرت : فقد عقال بن شبة وعبد الملك بن نعيم على نصبر ، وقدا بالكتاب وهو :

أما بعد ؛ فإن الله تباركت أسماؤه ، وجل ثناؤه ، وتعالى ذكره ، اختار الإسلام ديناً لنفسه ، وجعله دين^(٣) خيره من خلقه ، ثم اصطفى من الملائكة رؤسلاً ومن الناس ؛ فبعثهم به ، وأمرهم به ؛ وكان بينهم وبين من مضى من الأمم ، وخلا من القرون قرناً قرناً ؛ يدعون إلى التي هي أحسن ، ويهدون إلى صراط مستقيم ؛ حتى انتهت كرامة الله في نبوته إلى محمد صلوات الله عليه ؛ على حين دروس من العلم ، وعمى من الناس ، وتشيت من الهوى ، وتفرق من السبل ، وطموس من أعلام الحق ؛ فأبان الله به الهدى ، وكشف به العمى ، واستنقذ به من الضلالة والردى ، وأبهج به الدين ، وجعله رحمة للعالمين ، ونخم به وحيه ، وجمع له ما أكرم به الأنبياء قبله ؛ وقفى به على آثارهم ؛ مصداقاً لما نزل معهم ، ومهيماً عليه ، وداعياً إليه ، وأمرأ به ؛ حتى كان من أجابه من أمته ، ودخل في الدين الذي أكرمهم الله به ، مصدقين لما سلف من أنبياء الله فيما يكذبهم فيه قومهم ، منتصحين لهم فيما ينهونه^(٤) ، ذابطين لحرمهم عما كانوا منتهكين ؛ معظمين منها لما كانوا

(١) كذا في ا ، ح ، ف ، وف ط : « تقول » . (٢) كذا في ا ، وف ط : « فأوصى القريب » .
(٣) كذا في ا ، ف . (٤) أنهى الشيء : أبلغه .

مصغرين (١) ؛ فليس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم أحدٌ كان يسمع (٢) لأحد من أنبياء الله فيما بعثه الله به مكذباً ، ولا عليه في ذلك طاعناً ، ولا له مؤذياً ، بتسفيه له ، أو رداً عليه ؛ أو جحداً ما أنزل الله عليه ومعه ، فلم يبقَ كافر إلا استحلَّ بذلك دمه ، وقطع الأسباب التي كانت بينه وبينه ؛ وإن كانوا آباءهم أو أبناءهم أو عشيرتهم . ثم استخلف خلفاءه على منهاج نبوته ؛ حين قبض نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وختّم به وحيّه لإنفاذ حكمه (٣) ، وإقامة سنته وحدوده ، والأخذ بفرائضه (٤) وحقوقه ، تأييداً بهم للإسلام ، وتشبيهاً بهم (٥) لعراّه ؛ وتقويةً بهم لقوى حبله ، ودفعاً بهم عن حريمه ، وعدلاً بهم بين عباده ، وإصلاحاً بهم لبلاده ؛ فإنه تبارك وتعالى يقول :

١٧٥٨/٢

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٦) ، فتتابع خلفاء الله على ما أورشهم الله عليه من أمرٍ أنبيائه ، واستخلفهم عليه منه ؛ لا يتعرض لحقهم أحدٌ إلا صرعه الله ، ولا يفارق جماعتهم أحدٌ إلا أهلكه الله ؛ ولا يستخفّ بولايتهم ، ويتهم قضاء الله فيهم أحدٌ إلا أمكنهم الله منه ، وسلطهم عليه ، وجعله نكالا وموعظة لغيره ؛ وكذلك صنع الله بمن فارق الطاعة التي أمر ببلزومها والأخذ بها ، والآثرة لها ؛ والتي قامت السموات والأرض بها ؛ قال الله تبارك وتعالى :

﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٧) ، وقال عزّ ذكره : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨)

١٧٥٩/٢

فبالخلافة أبى الله من أبى في الأرض من عباده ، وإليها صيره ، وبطاعة من ولاه إياها سعد من ألهمها ونصرها ؛ فإن الله عزّ وجلّ علم أن لا قوام

(٢) ح ، ف : « أسمع » .

(٤) ح ، ف : « حقه » .

(٦) سورة البقرة ٢٥١ .

(٨) سورة البقرة ٣٠ .

(١) ا ، ب : « مضيعين » .

(٣) ف : « حكته » .

(٥) ح : « منهم » .

(٧) سورة فصلت ١١ .

لشيء ، ولا صلاح له إلا بالطاعة التي يحفظ الله بها حقه ، ويُمنحى بها أمره ،
ويُنْكَىل^(١) بها عن معاصيه ، ويوقف عن محارمه ، ويذنب عن حرُماته ؛
فمن أخذ بحظه منها كان لله ولياً ولأمره مطيعاً ، ولرُشدِه مصيباً ، ولعاجل الخير
وأجله مخصوصاً ؛ ومن تركها ورغب عنها وحاد^(٢) الله فيها أضاع
نصيبه ، وعصى ربه ، وخسر دنياه وآخرته ؛ وكان ممن غلبت عليه الشَّقْوة ،
واستحوذت عليه الأمور الغاوية ، التي تورّد أهلها أقطع المَشارع^(٣) ، وتقودهم
إلى شرّ المصارع ، فيما يحلّ الله بهم في الدنيا من الذلة والنقمة ، ويصيرهم فيما
عندهم من العذاب والحسرة .

والطاعة رأس هذا الأمر وذروته وسنامه وملاكه وزمامه ، وعصمته وقوامه ،
بعد كلمة الإخلاص التي ميّز الله بها بين العباد . وبالطاعة نال المفلحون من
الله منازلهم ، واستوجبوا عليه ثوابهم ، وفي المعصية مما يحلّ بغيرهم من نقماته ،
ويُصيبهم عليه ، ويحق^(٤) من سخطه وعذابه ، وبترك الطاعة والإضاعة لها
والخروج منها والإدبار عنها والتبذّل [للمعصية]^(٥) بها ، أهلك الله من
ضلّ وعتا ، وعمى وغلا ، وفارق مناهج^(٦) البرّ والتقوى .

فالزموا طاعة الله فيما عرّاكم ونالكم ؛ وألتمّ بكم من الأمور ، وناصحوها
واستوثقوا عليها ، وسارعوا إليها وخالفوها ، وابتغوا القُرْبَةَ إلى الله بها ؛ فإنكم
قد رأيتم مواقع الله لأهلها في إعلائه إياهم ، وإفلاجه^(٧) حجّتهم ، ودفعه باطل
منّ حادّهم وناوأهم وساماهم ، وأراد إطفاء نور الله الذي معهم . وخبّرتهم مع
ذلك ما يصير إليه أهل المعصية من التّوبيخ لهم والتقصير بهم ؛ حتى يؤول
أمرهم إلى تبار وصغار ، وذلة وبوار ؛ وفي ذلك لمن كان له رأى وموعظة عبرة
يُستفَع بواضحها ، ويتمسك بحظوتها ؛ ويعرف خيرة قضاء الله لأهلها .

ثم إن الله - وله الحمد والمنّ والفضل - هدى الأمة لأفضل الأمور عاقبةً
لها في حَقْنِ دُمائِها ، والثّامِ ألفتها ، واجتماع كَلِمَتِها ، واعتدال عَمُودِها ،

(١) أنكله عن حاجته : دفعه عنها . (٢) ج ، ف : « أرحاد » .

(٣) المَشارع : جمع مشرعة ؛ وهو مورد الشاربة .

(٤) كذا في ١ ، وفي ط : « وينزل » . (٥) من ١ .

(٦) ف : « مناهج » . (٧) أفلج الله حجته : نصرها وأظهرها .

وإصلاح دهمائها^(١)؛ وذخر النعمة عليها في دنياها، بعد خلافته التي جعلها لهم نظاماً، ولأمرهم قواماً؛ وهو العهد الذي أَلهم الله خلفاءه توكيده والنظر للمسلمين في جسيم أمرهم فيه؛ ليكون لهم^(٢) عند ما يحدث بخلفائهم ثقة في المفزع وملتجأ في الأمر، ولما لَشَعَثَ، وصلاًحاً لذات البين، وتثبيتاً لأرجاء الإسلام، وقطعاً لتزغات الشيطان؛ فيما يتطلع إليه أولياؤه، ويؤثِّبهم عليه من تَلَف هذا الدين وانصداع^(٣) شَعَبِ أهله، واختلافهم فيما جمعهم الله عليه منه؛ فلا يريهم الله في ذلك إلا ما ساءهم، وأكذب أمانيتهم، ويجدون الله قد أحكم بما قضى لأوليائه من ذلك عَقْدَ أمورهم، ونفى عنهم من أراد فيها إدغلاً أو بها إغلالاً، أو لما شَدَّد الله منها توهيناً، أو فيما تولى الله منها اعتماداً، فأكل الله بها لخلفائه وحيز به البرّ الذين أودعهم طاعته أحسن الذي عودهم، وسبَّب لهم من إعزازه وإكرامه وإعلائه وتمكينه؛ فأمر هذا العهد من تمام الإسلام، وكمال ما استوجب الله على أهله من المِنَّة العظام؛ ومما جعل الله فيه لمن أجراه على يديه، وقضى به على لسانه، ووفقه لمن ولاه هذا الأمر عنده أفضل الذُّخْر؛ وعند المسلمين أحسن الأثر فيما يؤثر بهم من منفعته، ويتسع لهم من نعمته، ويستندون إليه من عزّه، ويدخلون فيه من وزره الذي يجعل الله لهم به منعة، ويحرزهم به من كل مهلكة، ويجمعهم به من كل فُرقة، ويقمع به أهل النفاق، ويعصمهم به من كل اختلاف وشقاق. فاحمدوا الله ربكم الرؤوف بكم، الصانع لكم في أموركم على الذي دلّكم عليه من هذا العهد؛ الذي جعله لكم سكناً ومعوّلاً تطمثون إليه، وتستظلون في أفنائه؛ ويستنهج^(٤) لكم به مشنّى أعناقكم، وسمات وجوهكم، وملة نواصيكم في أمر دينكم ودنياكم؛ فإنّ لذلك خطراً عظيماً من النعمة؛ وإنّ فيه من الله بلاء حسناً في سعة العافية؛ يعرفه ذوو الألباب والنيات المريثون^(٥) من أعمالهم في العواقب، والعارفون منار مناهج الرشد؛ فأنتم حقيقون بشكر الله فيما حفظ به دينكم وأمر جماعتكم من ذلك، جديرون بمعرفة كنه واجب حقه فيه، وحمده

١٧٦١/٢

١٧٦٢/٢

(١) الدهماء : جماعة الناس .

(٢) ١ : «أمرهم» .

(٣) ب : « واتسع » .

(٤) ١ : « ويستنهج » .

(٥) رياً في الأمر تربية : نظر فيه وتعقبه ولم يجعل بالجواب .

على الذى عزم لكم منه ؛ فلتكن منزلة ذلك منكم ، وفضيلته فى أنفسكم على قدر حسن بلاء الله عندكم فيه إن شاء الله ، ولا قوة إلا بالله .

ثم إن أمير المؤمنين لم يكن منذ استخلفه الله بشىء من الأمور أشد اهتماماً وعنايةً منه بهذا العهد ؛ لعلمه بمنزلته من أمر المسلمين ، وما أراهم الله فيه من الأمور التى يغبطون بها ، ويكرمهم بما يقضى لهم ويختار له ولهم فيه جهده ؛ ويستقضى له ولهم فيه إلهه ووليّه ؛ الذى بيده الحكم وعند الغيب ، وهو على كل شىء قدير . ويسأله أن يعينه ^(١) من ذلك على الذى هو أرشد له خاصة والمسلمين ^(٢) عامة .

فراى أمير المؤمنين أن يعهد لكم عهداً بعد عهد ، تكونون فيه على مثل الذى كان عليه من كان قبلكم ، فى مهلة من انفساح الأمل وطُمأنينة النفس ، وصلاح ذات البين ؛ وعلم موضع ^(٣) الأمر الذى جعله الله لأهله عصمة ونجاة وصلاحاً وحياة ، ولكل منافق وفاسق يجب تلف هذا الدين وفساد أهله وقمماً وخساراً وقد عا ^(٤) . فولّى أمير المؤمنين ذلك الحكم ابن أمير المؤمنين ، وعثمان ابن أمير المؤمنين من بعده ، وهما ممن يرجو أمير المؤمنين أن يكون الله خلقه لذلك وصاغه ، وأكمل فيه أحسن مناقب من كان يوليه إياه ، فى وفاء الرأى وصحة الدين ، وجزالة المروءة والمعرفة بصالح الأمور ، ولم يألُكم أمير المؤمنين ولا نفسه فى ذلك اجتهداً وخيراً .

فبايعوا للحكم ابن أمير المؤمنين باسم الله وبركته ولأخيه من بعده ؛ على السمع والطاعة ، واحتسبوا فى ذلك أحسن ما كان الله يريركم ويبلّيككم ويعودكم ويعرفكم فى أشباهه فيما مضى ، من اليسر الواسع والخير العام ، والفضل العظيم الذى أصبحتم فى رجائه وخفضه ^(٥) وأمنه ونعمته ، وسلامته وعصمته . فزى الأمر الذى استبطأتموه واستسرعتم إليه ، وحمدتم الله على إمضائه إياه ، وقضائه لكم ، وأحدثتم فيه شكراً ، ورأيتموه لكم حظاً ، تستبقونه وتجهدون أنفسكم فى أداء حق الله عليكم ، فإنه قد سبق لكم فى ذلك من نِعَم الله وكرامته

(٢) ح ، ف : « وعلم المسلمين » .

(٤) الوقم : الإذلال ، والققع : الكف .

(١) ح ، ف : « يغلب » .

(٣) ح : « مواضع » .

(٥) ب ، : « وحفظه » .

وحسن قَسَمُهُ ما أنتم حقيقون أن تكون رغبتكم فيه ، وحدّ بكم عليه ، على قدّر الذى أبلاكم الله ، وصنع لكم منه .

وأمر المؤمنين مع ذلك إن حدث بواحد من وليّ عهده حدّث ، أو لى بأن يجعل مكانه وبالمَنْزل الذى كان به مَن أحب أن يجعل من أمته أو ولده ، ويقدّمه بين يدى الباقى منهما إن شاء ، أو أن يؤخره بعده . فاعلموا ذلك وافهموه .
نسأل الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم أن يبارك لأمر المؤمنين ولكم فى الذى قضى به على لسانه من ذلك وقدّر منه ؛ وأن يجعل عاقبته عافيةً وسروراً وغبطةً ؛ فإن ذلك بيده ولا يملكه إلا هو ، ولا يرغب فيه إلا إليه ، والسلام عليكم ورحمة الله .

وكتب سَمّال يوم الثلاثاء لثمان بقين من رجب سنة خمس وعشرين ومائة .

* * *

[تولية الوليد نصر بن سيار على خراسان وأمره مع يوسف بن عمر]

وفى هذه السنة ولّى الوليدُ نصر بن سيار خراسان كلها ، وأفرده ^(١) بها . وفيها وفد يوسف بن عمر على الوليد ، فاشتري نصرًا وعماله منه ، فردّ إليه الوليد ولاية خراسان .

١٧٦٥/٢

وفى هذه السنة كتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار يأمره بالقدوم عليه ، ويحمل معه ما قدّر عليه من الهدايا والأموال .

• ذكر الخبر عما كان من أمر يوسف ونصر فى ذلك :

ذكر على عن شيوخه ؛ أن يوسف كتب إلى نصر بذلك ، وأمره أن يقدّم معه بعياله أجمعين ، فلما أتى نصرًا كتابه ، قسّم على أهل خراسان الهدايا وعلى عمّاله ، فلم يدع بخراسان جاريةً ولا عبدًا ولا برذونًا فارهاً إلا أعدّه ، واشترى ألف مملوك ، وأعطاهم السلاح ، وحملهم على الخيل .

قال : وقال بعضهم : كان قد أعدّ خمسمائة وصيفة ، وأمر بصنعة أباريق الذهب والفضّة وتماثيل الأطباء ورعوس السباع والأيايل وغير ذلك ؛ فلما فرغ من ذلك كله كتب إليه الوليد يستحثّه ، فسرّح الهدايا حتى بلغ

أواثلها بَيْهَق ؛ فكتب إليه الوليد يأمره أن يبعث إليه ببرابط وطنابير ، فقال بعض شعرائهم :

فأَبْشِرْ يا أَمِينَ اللّهِ أَبْشِرْ بِتَبَاشِيرِ
بِإِنِّلْ يُحْمَلُ الْمَالُ عَلَيْهَا كَالْأَنْبَاشِيرِ
يَغَالُ تَحْمَلُ الْخَمْرَ حَقَائِبُهَا طَنْابِيرِ
وَدَلُّ الْبَرَبَرِيَّاتِ بِصَوْتِ الْبَمِّ وَالزَّرِيرِ^(١)
وَقَرَعُ الدَّفِّ أَحْيَانًا وَنَفْخُ بِالْمَزَامِيرِ^(٢)
فهذا لك في الدنيا وفي الْجَنَّةِ تَحْجِيرِ

قال : وقدم الأزرق بن قرّة المِسْمَعِيُّ من التَّروُذ أيام هشام على نصر ، فقال لنصر : إني أَرَيْتُ^(٣) الوليد بن يزيد في المنام ؛ وهو وليّ عهد ، شبه الهارب من هشام ، ورأيتُه على سرير ، فشرب عسلاً وسقاني بعضه . فأعطاه نصر أربعة آلاف دينار وكُسوة ، وبعثه^(٤) إلى الوليد ، وكتب إليه نصر . فأتى الأزرقُ الوليد ، فدفع إليه المال والكسوة ، فسُرَّ بذلك الوليد ، وألطف الأزرق ، وحزى نصرًا خيراً ، وانصرف الأزرق ، فبلغه قبل أن يصل إلى نصر موتُ هشام ، ونصر لا علمَ له بما صنع الأزرق ، ثم قدم عليه فأخبره ؛ فلمّا ولى الوليدُ كتب إلى الأزرق وإلى نصر ، وأمر رسوله أن يبتدئ بالأزرق فيدفع إليه كتابه ، فأثاه ليلاً ، فدفع إليه كتابه وكتاب نصر ، فلم يقرأ الأزرق كتابه ، وأتى نصرًا بالكتابين ؛ فكان في كتاب الوليد إلى نصر يأمره أن يتخذ له برابط وطنابير وأباريق ذهب وفضة ، وأن يجمع له كلَّ صَنَاجَة بخراسان يقدر عليها ، وكلَّ بازى وبرذون فاره ، ثم يسير بذلك كله بنفسه في وجوه أهل خراسان . فقال رجل من باهالة : كان قوم من المنجمين يُخبرون نصرًا بفتنة تكون ؛ فبعث نصر إلى صدقة بن وثّاب وهو ببلخ - وكان منجمًا - وكان عنده . وألحَّ عليه يوسف بالقدوم ؛ فلم يزل يتباطأ ، فوجّهه يوسف

(٢) ح ، ف : « في المزامير » .

(٤) ح ، ف : « وبعث به » .

(١) ح : « عليها الم » .

(٣) ح : « رأيت » .

رسولاً وأمره بلزومه يستحثه بالقدوم ، أو ينادى ^(١) في الناس أنه قد خلع ؛ فلما جاءه الرسول أجازته وأرضاه ، وتحول إلى قصره الذي هو دار الإمارة اليوم ؛ فلم يأت لذلك إلا يسير حتى وقعت الفتنة ، فتحول نصر إلى قصره بماجان ، واستخلف عصمة بن عبد الله الأسدي على خراسان ، ولّى المهلب بن إياس العدوي الخراج ، ولّى موسى بن ورقاء الناجي الشاش ، وحسان من أهل صغما نيكان الأسدي سترقند ، ومقاتل بن علي السغدّي آمل ، وأمرهم إذا بلغهم خروجه من مرو أن يستحبوا ^(٢) الترك ، وأن يغيروا ^(٣) على ما وراء النهر ؛ لينصرف إليهم بعد خروجه ، يعتل بذلك ، فبينما هو يسير يوماً إلى العراق طرّقه ليلاً مولّى لبني ليث ؛ فلماً أصبح أذن للناس ، وبعث إلى رسل الوليد ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد كان في مسيرى ^(٤) ما قد علمتم ، وبعثي بالهدايا ما رأيتم ؛ فطرقني ^(٥) فلان ليلاً ، فأخبرني أن الوليد قد قُتل ، وأن الفتنة قد وقعت ^(٦) بالشأم ؛ وقدم منصور بن جمهور العراق ، وقد هرب يوسف ابن عمر ، ونحن في بلاد قد علمتم حالها وكثرة عدونا . ثم دعا بالقادم فأحلفه إن ما جاء به الحق ؛ فحلف ؛ فقال سلم بن أحوز : أصلح الله الأمير ، لو حلفتُ لكنك صادقاً ؛ إنه بعض مكاييد قريش ، أرادوا تهجين طاعتك ، فسير ولا تهجننا ^(٧) . قال : يا سلم أنت رجل لك علم بالحروب ^(٨) ، ولك مع ذلك ^(٩) حسن طاعة لبني أمية ؛ فأما مثل هذا من الأمور فأريك فيه رأى أمة هباء ^(١٠) . ثم قال نصر : لم أشهد بعد ابن خازم أمراً مفضعاً إلا كنتُ المفزع في الرأي ؛ فقال الناس : قد علمنا ذلك ، فالرأى رأيك .

١٧٦٨/٢

* * *

[تولية الوليد بن يزيد خاله يوسف الثقفي على المدينة ومكة]

وفي هذه السنة وجه الوليد بن يزيد خاله يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي

(١) ب : « وينادي » . (٢) ابن الأثير : « أن يستحبوا » .

(٣) ابن الأثير : « ليبروا على ما وراء النهر » .

(٤) ابن الأثير : « من مسيرى » . (٥) ح : « وقد طرقني » .

(٦) ابن الأثير : « وقعت الفتنة » . (٧) ابن الأثير : « ولا تمحننا » .

(٨) ح وابن الأثير : « بالحرب » . (٩) ح ، ف : « هذا » .

(١٠) الهباء : التي انكسرت ثنيها .

والياً على المدينة ومكة والطائف ، ودفع إليه إبراهيم ومحمد ابني هشام بن إسماعيل الخزومي موثقتين في عبايتين ، فقدم بهما المدينة يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من شعبان سنة خمس وعشرين ومائة ، فأقامهما للناس بالمدينة . ثم كتب الوليد إليه يأمره أن يبعث بهما إلى يوسف بن عمر ، وهو يومئذ عامله على العراق ؛ فلما قدما عليه عذّبهما حتى قتلهما ؛ وقد كان رُفِعَ عليهما عند الوليد أنهما أخذاً مالا كثيراً .

وفي هذه السنة عزّل يوسف بن محمد سعد بن إبراهيم عن قضاء المدينة ، ولاهما يحيى بن سعيد الأنصاري .

[غزو قبرس]

وفيها غزى^(١) الوليد بن يزيد أخاه الغنم بن يزيد بن عبد الملك ، وأمر على جيش البحر الأسود بن بلال الحاربي ، وأمره أن يسير^(٢) إلى قبرس فيخبرهم بين المسير إلى الشام إن شاءوا ، وإن شاءوا إلى الروم ، فاخترت طائفة منهم جوار المسلمين ، فنقلهم الأسود إلى الشام ؛ واختار آخرون أرض الروم فانتقلوا إليها .

وفيها قدم سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم ولاهز بن قريظ وقحطبة بن شبيب مكة ، فلقوا - في قول بعض أهل السير - محمد بن عليّ فأخبروه بقصة أبي مسلم وما رأوا منه ؛ فقال لهم : أحرّ هو أم عبد ؟ قالوا : أما عيسى فيزعم أنه عبد ، وأما هو فيزعم أنه حرّ ، قال : فاشتروه وأعتقوه ؛ وأعطوا محمد بن عليّ مائتي ألف درهم وكسوة بثلاثين ألف درهم ، فقال لهم : ما أظنكم تلقوني بعد عامي هذا ، فإن حدثت بي حدث فصاحبكم إبراهيم بن محمد ، فإنني أثق به وأوصيكم به خيراً ، فقد أوصيته بكم . فصدروا من عنده .

وتوفّي محمد بن عليّ في مستهل ذي القعدة وهو ابن ثلاث وستين سنة ؛ وكان بين وفاته وبين وفاة أبيه عليّ سبع سنين .

(٢) ب ، ح : « أن يصير » .

(١) ابن الأثير : « أغزى » .

وحجّ بالناس في هذه السنة يوسف بن محمد بن يوسف الثقفي ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عمّن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علي]

وفي هذه السنة قتل يحيى بن زيد بن علي بخراسان .

• ذكر الخبر عن مقتله :

قد مضى ذكرنا قبل أمر مصير يحيى بن زيد بن علي إلى خراسان . وسبب ذلك ؛ ونذكر الآن سبب مقتله ؛ إذ كان ذلك في هذه السنة .

ذكر هشام بن محمد الكلبي عن أبي مخنف ، قال : أقام يحيى بن زيد بن علي عند الحريش بن عمرو بن داود ببلخ حتى هلك هشام بن عبد الملك ، وولى الوليد بن يزيد بن عبد الملك . فكتب يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار بمسير يحيى بن زيد وبمنزله الذي كان ينزل^(١) ؛ حتى أخبره أنه عند الحريش ، وقال له : ابعث إليه وخذه أشدّ الأخذ . فبعث نصر بن سيار إلى عقيل بن معقل العجلي ، يأمره أن يأخذ الحريش ولا يفارقه حتى ترهق نفسه أو يأتيه بيحيى بن زيد بن علي . فبعث إليه عقيل ، فسأله عنه ، فقال : لا علم^(٢)

لي به ، فجلده سبائة سوط ، فقال له الحريش : والله لو أنه كان تحت قدمي ما رفعتهما لك عنه ؛ فلما رأى ذلك قرّيش بن الحريش أتى عقيل ، فقال : لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه ، فأرسل معه فدلّه عليه ، وهو في بيت في جوف بيت ، فأخذه معه يزيد بن عمر والفضل مولى عبد القيس — كان أقبل معه من الكوفة — فأتى به نصر بن سيار فحبسه ، وكتب إلى يوسف بن عمر يخبره بذلك ؛ فكتب بذلك يوسف إلى الوليد بن يزيد ، فكتب الوليد إلى نصر بن سيار ، يأمره أن يؤمّنّه ويخلّي سبيله وسبيل أصحابه ، فدعاه نصر ابن سيار ، فأمره بتقوى الله وحذره الفتنة ، وأمره أن يلاحق بالوليد بن يزيد ، وأمره بألني درهم وبغلين ، فخرج هو وأصحابه حتى انتهى إلى سرخس ، فأقام بها وعليها عبد الله بن قيس بن عبّاد ، فكتب إليه نصر بن سيار أن

يشخصه عنها، وكتب إلى الحسن بن زيد التميمي^(١) - وكان رأس بني تميم، وكان على طوس - أن انظر يحيى بن زيد، فإذا مرّ بكم فلا تدّعه يقيم بطوس حتى يخرج منها، وأمرهما إذا هو مرّ بهما ألا يفارقاه حتى يدفعاه إلى عمرو بن زرارة بأبّر شهر. فأشخصه عبد الله بن قيس من سرّخس، ومرّ بالحسن بن زيد فأمره أن يمضي، ووكل به سرحان بن فروخ بن مجاهد بن بلعاء العبديّ أبا الفضل، وكان على مسلّحة.

١٧٧٢/٢

قال : فدخلتُ عليه، فذكر نصر بن سيّار وما أعطاه ؛ فإذا هو كالمستقلّ له ؛ فذكر أمير المؤمنين الوليد بن يزيد ، فأثنى عليه ، وذكر مجيئه بأصحابه معه ، وأنه لم يأت بهم إلا مخافة أن يُسمّ أو يُغمّ ، وعرض بيوسف ؛ وذكر أنه إياه يتخوّف^(٢) ، وقد كان أراد أن يقع فيه ثم كفّ، فقلت له : قلّ ما أحبيت رحمك الله ؛ فليس عليك مني عين ؛ فقد أتى إليك ما يستحقّ أن تقول فيه . ثم قال : العجب من هذا الذي يقيم الأحراس أو أمر الأحراس ، قال - وهو حينئذ يتفصّح : والله لو شئتُ أن أبعث إليه ؛ فأوتى به مربوطاً . قال : فقلتُ له : لا والله ما بك صنع هذا ؛ ولكن هذا شيء يصنع في هذا المكان أبداً ، لمكان بيت المال . قال : واعتذرتُ إليه من مسيرى معه ، وكنت أسير معه على رأس فرسخ ، فأقبلنا معه حتى وقفنا إلى عمرو بن زرارة ، فأمر له بألف درهم ، ثم أشخصه حتى انتهى إلى بَيْهَق ، وخاف اغتيال يوسف إياه ، فأقبل من بَيْهَق - وهي أقصى أرض خراسان ، وأدناه من قوميس - فأقبل في سبعين رجلاً إلى عمرو بن زرارة ، ومرّ به تجار ، فأخذ دوابهم ، وقال : علينا أثمانها . فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيّار ، فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس وإلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة ، فهو عليهم ، ثم ينصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه . فجاءوا حتى انتهوا إلى عمرو بن زرارة ، واجتمعوا فكانوا عشرة آلاف ، وأتاهم يحيى بن زيد ؛ وليس هو إلّا في سبعين رجلاً ، فهزمهم وقتل عمرو بن زرارة ، وأصاب دواب كثيرة . وجاء يحيى بن زيد حتى مرّ بهرة ، وعليها مغلّس بن زياد العامريّ ، فلم

١٧٧٣/٢

(١) : « الحريش بن يزيد التميمي » .

(٢) : « متخوف » .

يعرض واحد منهما لصاحبه ، فقطعها يحيى بن زيد ، وسرح نصر بن سيار
سلم بن أحوز في طاب يحيى بن زيد ، فأتى هرة حين خرج منها يحيى بن
زيد فأتبعه فلحقه بالجو زجان بقرية منها ، وعليها حماد بن عمرو السعدي .

قال : ولحق بيحيى بن زيد رجل من بني حنيفة يقال له أبو العجلان^(١) ،
فقتل يومئذ معه ، ولحق به الحسحاس الأزدي فقطع نصر بعد ذلك يده ورجله .

قال : فبعث سلم بن أحوز^(٢) سورة بن محمد بن عزيز الكندي على
ميمته ، وحماد بن عمرو السعدي على ميسرته ، فقاتله^(٣) قتالا شديداً ،
فذكروا أن رجلاً من عترة يقال له عيسى ، مولى عيسى بن سليمان العنزي
رماه بنشابة ، فأصاب جبهته .

١٧٧٤/٢

قال : وقد كان محمد شهد ذلك اليوم ، فأمره سلم بتعبئة الناس ، فتمارض
عليه ، فعبى الناس سورة بن محمد بن عزيز الكندي ، فاقتلوا فقتلوا من عند
آخرهم . ومر سورة بيحيى بن زيد فأخذ رأسه ، وأخذ العنزي سلبه وقميصه ،
وغلبه سورة على رأسه .

فلما قتل يحيى بن زيد وبلغ خبره الوليد بن يزيد ، كتب — فيما ذكر
هشام عن موسى بن حبيب — أنه حدثه — إلى يوسف بن عمر : إذا أذاك كتابي
هذا ، فانظر عجل العراق فأحرقه ثم انسفه في اليم نسفاً . قال : فأمر يوسف
خراش بن حوشب ، فأنزله من جذعه وأحرقه بالنار ، ثم رضه فجعله في قنطرة ،
ثم جعله في سفينة ، ثم ذراه في الفرات .

وكانت عمال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها ، وقد ذكرناهم
قبل .

(٢) ابن الأثير : « سلم بن أحوز » .

(١) ١ : « ابن المجال » .

(٣) ب : « فقاتله » .

١٧٧٥/٢

ثم دخلت سنة ست وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجليلة

[ذكر بقية أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك]

فمن ذلك ما كان من قتل يزيد بن الوليد الذي يقال له الناقص الوليد ابن يزيد .

• ذكر الخبر عن سبب قتله إياه وكيف قُتل :

قد ذكرنا بعض أمر الوليد بن يزيد وخلاعته ومجائته ، وما ذكر عنه من تهاونه واستخفافه بأمر دينه قبل خلافته ولما ولي الخلافة وأفضت إليه ، لم يزد في (١) الذي كان فيه من اللهو واللذة والركوب للصيد (٢) وشرب النبيذ ومنادمة الفساق إلا تمادياً وهداً (٣) — تركت الأخبار الواردة عنه بذلك كراهة إطالة الكتاب بذكرها — فتقل ذلك من أمره على رعيته وجنده ، فكرهوا أمره . وكان من أعظم ما جنى على نفسه حتى أورثه ذلك هلاكه إفساده (٤) على نفسه بني عميه بني هشام وولد الوليد ، ابني عبد الملك بن مروان ، مع إفساده على نفسه اليانسة ، وهم عظم جند أهل الشام .

١٧٧٦/٢

• ذكر بعض الخبر عن إفساده بني عميه هشام والوليد :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا علي ، عن المنهال بن عبد الملك ، قال : كان الوليد صاحباً لهو وصيد ولذات ؛ فلما ولي الأمر جعل يكره المواضع التي فيها الناس حتى قُتل ؛ ولم يزل ينتقل ويتصيد ، حتى ثقل على الناس وعلى جنده ، واشتد على بني هشام ؛ فضرَب سليمان بن هشام مائة سوط وحلق رأسه ولحيته ، وغرَبه إلى عمّان فحبسه بها ؛ فلم يزل بها محبوساً حتى

(١) كذا في أ ب ، ف وفي ط : « من » . (٢) ١ : « إل الصيد » .

(٣) كذا في أ ، ب ، ف . والحد : منتهى الشيء ، وفي ط : « وجد » .

(٤) ح : « فساد » .

قتل الوليد . قال : وأخذ جارية كانت لآل الوليد ، فكلّمه عمر بن الوليد ، فيها فقال : لا أردّها ، فقال : إذن تكثّر الصّوّاهل حول عسكري . قال : وجبّس الأقمم يزيد بن هشام ، وأراد البيعة لابنيه الحكيم وعثمان فشاور سعيد بن بيهس بن صهيب ، فقال : لا تفعل ؛ فإنهما غلامان لم يحتلما ؛ ولكن بايع لعتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ، فغضب وجبّسه حتى مات في الحبس . وأراد خالد بن عبد الله على البيعة لابنيه فأبى ، فقال له قوم من أنله : أراك أمير المؤمنين على البيعة لابنيه فأبيت ، فقال : ويحكم ! كيف أباع من لا أصلى خلفه ، ولا أقبل شهادته ! قالوا : فالوليد تقبل شهادته مع مجونه وفسقه ! قال : أمر الوليد أمر غائب عني ولا أعلمه^(١) ، يقيناً ؛ إنما هي أخبار الناس ؛ فغضب الوليد على خالد .

١٧٧٧/٢

قال : وقال عمرو بن سعيد الثقفي : أوفدني يوسف بن عمر إلى الوليد فلما قدمت قال لي : كيف رأيت الفاسق ؟ يعني بالفاسق الوليد — ثم قال : إياك أن يسمع هذا منك أحد ، فقلت : حبيبة بنت عبد الرحمن بن جبير طلق إن سمعته أذني ما دمت حياً ؛ فضحك . قال : فنقل الوليد على الناس ، ورماه بنو هشام وبنو الوليد بالكفر وغشيان أمهات أولاد أبيه ، وقالوا : قد اتخذ مائة جامعة ؛ وكتب على كل جامعة اسم رجل من بني أمية ليقتله بها . ورموه بالزندقة ؛ وكان أشدهم فيه قولاً يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، وكان الناس إلى قوله أميل ؛ لأنه كان يظهر النسك ويتواضع ، ويقول : ما يسعنا الرضا بالوليد ؛ حتى حمل الناس على الفتك به .

* * *

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا علي ، عن يزيد بن مصد الكلابي ، عن عمرو بن شراحيل ، قال : سيرنا هشام بن عبد الملك إلى دهلك ؛ فلم نزل بها حتى مات هشام ، واستخلف الوليد ، فكأنم فينا فأبى ، وقال : والله ما عمل هشام عملاً أرجى له عندي أن تناله المغفرة به من قتلته القدرية^(٢) وتسييره إياهم . وكان الوالي علينا الحجاج بن بشر بن فيروز الديلمي ، وكان

(١) ح : « لا أعلمه » ، بدون واو . (٢) ب : « القدرة » .

يقول : لا يعيش الوليد إلا ثمانية عشر شهراً حتى يقتل ؛ ويكون قتله سبب هلاك أهل بيته . قال : فأجمع على قتل^(١) الوليد جماعة من قضاة واليائية من أهل دمشق خاصة ، فأق حريث وشبيب بن أبي مالك الغساني ومنصور بن جُمهور ويعقوب بن عبد الرحمن وحيّال بن عمرو ؛ ابن عم منصور ، وحמיד بن نصر اللخمي والأصبع بن ذؤالة وطُفيل بن حارثة والسريّ بن زياد بن علاقة ، خالد بن عبد الله ، فدعوه إلى أمرهم فلم يجبههم ، فسأله أن يكتم عليهم ، فقال : لا أَسْمِي أحداً منكم . وأراد الوليد الحجّ ، فخاف خالد أن يفتكوا به في الطريق ، فأتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، أخّر الحجّ العام ، فقال : ولم ؟ فلم يخبره ، فأمر بحبسه وأن يُستأدى ما عليه من أموال العراق .

وقال عليّ عن الحكم بن النعمان ، قال : أجمع الوليد على عزل يوسف واستعمال عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، فكتب إلى يوسف : إنك كتبت إلى أمير المؤمنين تذكر تخريب ابن النصرانية البلاد ، وقد كنت على ما ذكرت من ذلك تحمل إلى هشام ما تحمل ، وقد ينبغي أن تكون قد غمرت^(٢) البلاد حتى رددتها إلى ما كانت عليه ؛ فاشخص إلى أمير المؤمنين ، فصدق ظنّه بك فيما تحمل إليه لعمارتك البلاد ، وليعرف أمير المؤمنين فضلك على غيرك ؛ لما جعل الله بينك وبين أمير المؤمنين من القرابة ؛ فإنك خاله ، وأحقّ الناس بالتوفير عليه ، ولما قد علمت ممّا أمر به أمير المؤمنين لأهل الشام وغيرهم من الزيادة في أعطياتهم ، وما وصل به أهل بيته أطول جفوة هشام إياهم ، حتى أضّرّ ذلك ببيوت الأموال . قال : فخرج يوسف واستخلف ابن عمته يوسف بن محمد ، وحمل من الأموال والأمتعة والآنية ما لم يحمل من العراق مثله . فقدم - وخالد بن عبد الله محبوس - فلقيه حسان التَّبَطّي ليلاً ، فأخبره أن الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد ابن الحجاج ، وأنه لا بدّ ليوسف فيها من إصلاح أمر وزرائه ، فقال : ليس عندي فضل درهم ، قال : فعندي خمسمائة ألف درهم ، فإن شئت فهي

(١) ح ، ف : « قتال » .

(٢) ف : « غمرت » .

لك ، وإن شئت فارد دُها إذا تيسرت . قال : فأنت أعرف بالقوم ومنازلهم من الخليفة مني ، ففرقتها على قدر علمك فيهم ؛ ففعل . وقدم يوسف والقوم يعظّمونه ، فقال له حسان : لا تَغْدُ على الوليد ؛ ولكن رُحْ إليه رواحاً ؛ واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك : إنني كتبت إليك ولا أملك إلا القَصْر . وادخل على الوليد والكتابُ معك متحازناً ^(١) ، فأقرئه الكتاب ، ومُرْ أبان ابن عبد الرحمن النميريَ يشتري خالداً منه بأربعين ألف ألف . ففعل يوسف ، فقال له الوليد : ارجع إلى عمك ، فقال له أبان : ادفع إلى خالداً وأدفع إليك أربعين ألف ألف درهم ، قال : ومن يضمن عنك ؟ قال : يوسف ، قال : أتضمن عنه ؟ قال : بل ادفعه إلى ، فأنا أستاذيه خمسين ألف ألف ، فدفعه إليه ، فحمله في محمل بغير وطاء .

١٧٨٠/٢

قال محمد بن محمد بن القاسم : فرحمته ، فجمعت أطافاً كانت معنا من أنخبصة يابسة وغيرها في منديل ، وأنا على ناقة فارهة ، فتغفّلت يوسف ، فأسرعت ودنوت من خالد ، ورميت بالمنديل في محمله ، فقال لي : هذا من متاع عُمان - يعني أن أخى الفَيْض كان على عُثمان ، فبعث إلى ببال جسم - فقلت في نفسي : هذا على هذه الحالة وهو لا يدع هذا ! ففطن يوسف بي فقال لي : ما قلت لابن النصرانية ؟ فقلت : عرضت عليه الحاجة ، قال : أحسنت ، هو أسير ؛ ولو فطن بما ألقيتُ إليه للقبني منه أذًى .

وقدم الكوفة فقتله في العذاب ؛ فقال الوليد بن يزيد - فيما زعم المهيم بن عدى - شعراً يُوبّخ به أهل اليمن في تركهم نُصرة خالد بن عبد الله . وأما أحمد بن زهير ، فإنه حدثه عن عليّ بن محمد ؛ عن محمد بن سعيد العامري ، عامر كلب ، أن هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يحرّض عايه البانية :

١٧٨١/٢

أَلَمْ تَهْتَجْ فَتَدَّكَرَ الْوَصَالَ ^(٢) وَحَبَلًا كَانَ مُتَّصِلًا فزالا

بَلَى فَالْدَمْعُ مِنْكَ لَهُ سِجَامٌ كَمَا الْمُنْ يَنْسَجِلُ انْسَجَالًا

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « محتوياً متحازناً » . (٢) ط : « فتذكر » .

فَدَغْ عَنْكَ اذْكَارَكَ آلَ سُعْدَى فنحن الأكثرون حصى ومالا
ونحن المالكون الناس قسراً نسومهم المذلة والنكالا
وطيننا الأشعرين بعز قيس فيالك وطاة لن تستقلا !
وهذا خالده فينا أسيراً^(١) ألا منعه إن كانوا رجالا !
عظيمهم وسيدهم قديماً جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائل ذات عز لما ذهب صنائعه ضلالا
ولا تركوه مسلوباً أسيراً يسامر من سلاسلنا الثقلا
— ورواه المدائني : « يعالج من سلاسلنا^(٢) » —

وَكِنْدَةُ وَالسَّكُونُ فَمَا اسْتَقَالُوا^(٣) ولا برحت خيولهم الرحالا
بها سمننا البرية كل خسف وهدمنا السهولة والجبالا
ولكن الوقائع ضعضعتهم وجذتتهم وردتهم شلالا
فما زالوا لنا أبداً عبيداً^(٤) نسومهم المذلة والسفالا
فأصبحت الغداة على تاج لملك الناس ما ينبغي انتقالا
فقال عمران بن هلباء الكلبي يجيبه :

قفي صدر المطية يا حلالا وجذى حبل من قطع الوصلا
ألم يحزنك أن ذوى يمان يرى من حاذ قبلهم جلالا
جعلنا للقبائل من نزار غداة المرح أياماً طوالا
بنا ملك المملك من قریش وأودى جد من أودى فزالا
متى تلقى السكون وتلق كلباً بعبس تخش من ملك زوالا
كذلك المرء ما لم يلف عدلاً يكون عليه منطقه وبالا

(١) ابن الأثير : « أسير » .

(٢) وكذلك في ابن الأثير .

(٣) ١ : « فاستاقوا » ، وابن الأثير : « فاستقاموا » .

(٤) ابن الأثير : « بلداً عبيداً » .

أَعِدُّوا آلَ حَمِيرٍ إِذْ دُعِيتُمْ
وَكُلُّ مُقْلَصٍ نَهْدِ الْقَصِيرَى
يَذَرْنَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ قَتِيلًا
لِئِنْ عَيْرْتُمُونَا مَا فَعَلْنَا
لِإِخْوَانِ الْأَشَاعِثِ قَتْلَهُمْ
وَأَبْنَاءِ الْمُهَلَّبِ نَحْنُ ضُلْنَا
وَقَدْ كَانَتْ جُدَامٌ عَلَى أَخِيهِمْ
هَرَبْنَا أَنْ نُسَاعِدَكُمْ عَلَيْهِمْ
فَإِنْ عُدْتُمْ فَإِنَّ لَنَا سُيُوفًا
سَنَبْكِي خَالِدًا بِمُهَنْدَاتٍ
أَلَمْ يَكُ خَالِدٌ غَيْثَ الْيَتَامَى
يُكْفِنُ خَالِدٌ مَوْتِي نِزَارٍ
لَوْ أَنَّ الْجَائِرِينَ عَلَيْهِ كَانُوا
سَتَلْقَى إِنْ بَقِيَتْ مُسُومَاتٍ

فحدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : فازداد الناس
على الوليد حنقاً لما روى هذا الشعر ، فقال ابن بَيْض :
وَصَلَّتْ سَمَاءُ الضَّرَّ بِالضَّرِّ بَعْدَ مَا
فَلَيْتَ هَشَاماً كَانَ حَيًّا يَسُوسُنَا

زَعَمْتَ سَمَاءُ الضَّرَّ عَنَا سَتَقْلَعُ
وَكُنَّا كَمَا كُنَّا نُرْجَى وَنَطْمَعُ (٣)

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « الحبالا » .

(١) : « الطوالا » .

(٣) ابن الأثير : « وقال أيضاً :

يَا وَلِيدَ الْخَنَى تَرَكْتَ الطَّرِيقَا
وَتَمَادَيْتَ وَاعْتَدَيْتَ وَأَسْرَفَ
أَبْدًا هَاتِ ثُمَّ هَاتِ وَهَاتِ
أَنْتَ سَكْرَانُ مَا تَفِيْقُ فَمَا تَرُ
وَاضْحًا وَارْتَكَبْتَ فَجًّا عَمِيقًا
مَ وَأَغْوَيْتَ وَانْبَعَثْتَ فَسُوقًا
ثُمَّ هَاتِي حَتَّى تَخْرَ صَبِيقَا
تَقُ فَتَقَّا وَقَدْ فَتَقْتَ فَتُوقًا

وكان هشام استعمل الوليد بن القعقاع على قنَسَرين وعبد الملك بن القعقاع على حِمَص ، فضرب الوليد بن القعقاع ابنَ هبيرة مائة سوط ؛ فلما قام الوليد هرب بنو القعقاع منه ، فعادوا بقبْر يزيد بن عبد الملك ؛ فبعث إليهم ، فدفعهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة - وكان على قنَسَرين - فعذبَهم ، فمات في العذاب الوليد بن القعقاع وعبد الملك بن القعقاع ورجلان معهما من آل القعقاع ، واضطغن على الوليد آل الوليد وآل هشام وآل القعقاع واليمانية بما صنع بخالد بن عبد الله . فأثت اليمانية يزيدَ بن الوليد ، فأرادوه على البَيْعَة ، فشاور عمرو بن يزيد الحكمي ، فقال : لا يبايعك الناس على هذا ، وشاور أخاك العباس بن الوليد ؛ فإنه سيّد بني مروان ؛ فإن يبايعك لم يخالفك أحد ، وإن أبى كان الناسُ له أطْوَع ، فإن أبيتَ إلّا المضيّ على رأيك فأظهر أن العباس قد بايعك . وكانت الشّام تلك الأيام وبيّة ، فخرجوا إلى البوادي ؛ وكان يزيد بن الوليد متبديّاً ، وكان العباس بالقسّطل بينهما أميال يسيرة . فحدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني عليّ ، قال : أتى يزيد أخاه العباس ، فأخبره وشاوره ، وعاب الوليد ، فقال له العباس : مهلاً يا يزيد ؛ فإنّ في نقض عهد الله فساد الدين والدنيا . فرجع يزيد إلى منزله ، ودبّ في الناس فبايعوه سرّاً ، ودسّ الأحنف الكلابي ويزيد بن عنبسة السكسكيّ وقومًا من ثِقَاتِه من وجوه الناس وأشرافهم ؛ فدعوا الناس سرّاً ، ثم عاود أخاه العباس ومعه قسطن مولاهم ، فشاوره في ذلك ، وأخبره أنّ قومًا يأتونه يريدونه على البَيْعَة ، فزبره العباس ، وقال : إن عدتَ لمثل هذا لأشدّتْكَ وثاقًا ، ولأحملنك إلى أمير المؤمنين ! فخرج يزيد وقسطن ، فأرسل العباس إلى قسطن ، فقال : ويحك يا قطن ! أترى يزيد جادًا ! قال : جعلتُ فداك ! ما أظنّ ذاك ؛ ولكنه قد دخله مما صنع الوليد ببني هشام وبني الوليد وما يسمع مع الناس من الاستخفاف بالدين وتهاونهم ما قد ضاق به ذرعًا . قال : أما والله إنّي لأظنه أشأم سَخْلَة في بني مروان ؛ ولولا ما أخاف من عَجَلَة الوليد مع تحامله علينا لشدتُ يزيدَ وثاقًا ، وحملته إليه ؛ فازجره عن أمره ؛ فإنه يسمع إليك . فقال يزيد لقسطن : ما قال لك العباس حين رآك ؟ فأخبره ، فقال له : والله لا أكفّ .

وبلغ معاوية بن عمرو بن عتبة خوضُ الناس ؛ فألقى الوليدَ فقال :
يا أمير المؤمنين، إنك تبسط لسانى بالأنس بك، وأكفهُ بالهيبة لك، وأنا أسمع ما لا تسمع
وأخاف عليك ما أراك تأمن ، أفأتكلم ناصحاً ، أو أسكت مطيعاً ؟ قال :
كلُّ مقبول منك ؛ ولله فينا علم غيَّب نحن صائرون إليه ؛ ولو علم بنو مروان
أنهم لما يوقدون على رَضْف^(١) يلقونه في أجوافهم ما فعلوا ، ونعود ونسمع منك .
وبلغ مروان بن محمد بأرمينية أن يزيد يؤلب الناس ، ويدعو إلى خلع
الوليد ؛ فكتب إلى سعيد بن عبد الملك بن مروان يأمره أن ينهى الناس ويكفهم
— وكان سعيد يتأله : إن الله جعل لكل أهل بيت أركاناً يعتمدون عليها ،
ويتقون بها المخاوف ، وأنت بمحمد ربك ركنٌ من أركان أهل بيتك ؛ وقد
بلغنى أن قوماً من سفهاء أهل بيتك قد استنوا أمرأ إن تمت لهم رويتهُهم فيه
على ما أجمعوا عليه من نقض بيعتهم — استفتحوا باباً لن يغلقه الله عنهم
حتى تُسفك دماء كثيرة منهم ؛ وأنا مشغل بأعظم ثغور المسلمين فرجاً ، ولو
جسمتُ عتسى وإياهم لرممتُ فسادَ أمرهم بيدي ولسانى ، ولخفت الله في ترك
ذلك ؛ لعلمى ما فى عواقب الفرقة من فساد الدين والدنيا ؛ وأنه لن ينتقل
سلطان قوم قط إلا بتشتيت كلمتهم ؛ وإن كلمتهم إذا تشتت طمع
فيهم عدوهم . وأنت أقرب إليهم منى ، فاحتل لعلم ذلك وإظهار المتابعة لهم ؛
فإذا صرت إلى علم ذلك فتهددوهم بإظهار أسرارهم ، وخذوهم بلسانك ،
ونحو فوهم العواقب ؛ لعل الله أن يرد إليهم ما قد عزب عنهم من دينهم
وعقولهم ؛ فإن فيما سعو فيه تغير النعم وذهاب الدولة ، فعاجل الأمر وحبل
الآلفة مشدود ، والناس سكون ، والثغور محفوظة ؛ فإن للجماعة دولة من
الفرقة وللسعة دافعاً من الفقر ، وللعهد منتقياً ، ودوَل الليالى مختلفة على
أهل الدنيا ، والتقلب مع الزيادة والنقصان ؛ وقد امتدت بنا — أهل البيت —
متتابعات من النعم ، قد يعيها^(٢) جميع الأمم وأعداء النعم وأهل الحسد لأهلها ؛
وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة . وقد أمل القوم فى الفتنة أملاً ؛ لعل
أنفسهم تهلك دون ما أملوا ، ولكل أهل بيت مشائم يُغير الله النعمة بهم —

١٧٨٦/٢

١٧٨٧/٢

(٢) كذا فى ١ ، وفى ط : « يعنى بها » .

(١) الرضف : الحجارة المحماة .

فأعاذك الله من ذلك — فاجعلني من أمرهم على علم . حفظَ الله لك دينك ، وأخرجك مما أدخلك فيه ، وغلب لك نفسك على رشدك .

فأعظم سعيد ذلك ، وبعث بكتابه إلى العباس ، فدعا العباس يزيدَ فعذله وتهدَّده ، فحذَّره يزيد ، وقال : يا أخي ، أخاف أن يكون بعض من حسدنا هذه النعمة من عدوِّنا أراد أن يُخْرِىَ بيننا ؛ وحسَّفَ له أنه لم يفعل . فصدَّقه .

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، قال : قال ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك : دخل ^(١) أبي بشرُ بن الوليد على عمي العباس ، فكلَّمه في خلع الوليد وبيعة يزيد ، فكان العباس ينهاه ، وأبى يرادّه ، فكنت أفرح وأقول في نفسي : أرى أبي يجترئ أن يكلم عمي ويردّ عليه قوله ! وكنت أرى أن الصواب فيما يقول أبي ، وكان الصواب فيما يقول عمي ، فقال العباس : يا بني مروان ؛ إني أظنّ الله قد أذن في هلاككم ^(٢) ؛ وتمثّل قائلاً ^(٣) :

١٧٨٨/٢

إني أعيدُكم بالله من فتني مثل الجبال تسامى ثم تندفع
إن البرية قد ملّت سياستكم فاستمسكوا بعمود الدين وارتدّعوا
لا تلجئ ذناب الناس أنفسكم ^(٤) إن الذناب إذا ما ألجمت رتّعوا
لا تبقرن بأيديكم بطونكم فثمّ لا حسرة تفتني ولا جزع
قال : فلما اجتمع ليزيد أمره وهو متبذّر ، أقبل إلى دمشق وبينه وبين دمشق أربع ليال ، متنكراً في سبعة نفر على حمير ^(٥) ، فنزلوا بجرود على مَرَحَلَة من دمشق ، فرمى يزيد بنفسه فنام . وقال القوم لمولّي لعباد بن زياد : أما عندك طعام فتشتريه ؟ قال : أما لبيع فلا ، ولكن عندى قراكم وما يسعكم ^(٦) . فأتاهم بدجاج وفراخ وعسل وسمن وشوانيز ^(٧) ، فطعموا . ثم سار فدخل

(١) الخبر في الأغاني ٧ : ٧٥ - ٧٧ ؛ بروايته عن أحمد بن الحارث عن المدائني ، عن جويرية بن أسماء . وروايته أيضاً عن ابن أبي الأزرع عن حماد عن أبيه عن جويرية بن أسماء ؛ عن ابن بشر بن الوليد بن عبد الملك .
(٢) ب : « إهلاككم » .
(٣) ب : « وقال هذا الشعر » ، ف : « وقال » ، ابن الأثير ، « ثم تمثّل » ؛ الأغاني : « ثم قال العباس » .
(٤) ألجمت القوم : أطعمهم اللحم .
(٥) ١ : « على جمال » ، وفي الأغاني : « على حمير » . (٦) الأغاني : « من قراكم ما يشبعكم » .
(٧) الشوانيز : التوابل ، وفي ط : « شوانيز » وأثبت ما في الأغاني .

١٧٨٩/٢

دمشق ليلا ، وقد بايع ليزيد أكثر أهل دمشق سرّاً ، وبايع أهل المِزّة غير معاوية بن مصاد الكلبيّ - وهو سيد أهل المِزّة - فضى يزيد من ليلته إلى منزل معاوية بن مصاد ماشياً في نُفير من أصحابه - وبين دمشق وبين المِزّة ميل أو أكثر - فأصابهم مطر شديد ، فأتوا منزل معاوية بن مصاد ، فضربوا بابه ، ففتح لهم ، فدخلوا^(١) ، فقال ليزيد : الفراش أصلحك الله ! قال : إن في رجل طيناً ، وأكره أن أفسد بساطك ، فقال : الذي تريدنا عليه أفسد . فكلّمه يزيد فبايعه معاوية - ويقال هشام بن مصاد - ورجع يزيد إلى دمشق ، فأخذ طريق القناة ، وهو على حمار أسود ، فنزل دار ثابت بن سليمان^(٢) بن سعد الحُشنيّ ، وخرج الوليد بن رَوْح ، وحلف لا يدخل دمشق إلّا في السلاح ، فلبس سلاحه ، وكفّر عليه الثياب ، وأخذ طريق التَّيْرَب - وهو على فرس أبلق - حتى وافى يزيد ، وعلى دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف فخاف الوباء ، فخرج فنزل قَطَنًا ، واستخلف ابنه على دمشق ، وعلى شُرطته أبو العاج كثير بن عبد الله السُلَميّ ، فأجمع يزيد على الظهور ، فقيل للعامل^(٣) : إنّ يزيد خارج ، فلم يصدّق . وأرسل يزيد إلى أصحابه بين المغرب والعشاء ليلة الجمعة سنة ست^(٤) وعشرين ومائة ، فكمنا عند باب الفراديس حتى أذنوا العتمة^(٥) ، فدخلوا المسجد ، فضكّوا - وللمسجد حَرَسٌ قد وُكِّلوا بإخراج الناس من المسجد بالليل - فلما صلّى الناس صاح بهم الحرس ، وتباطأ أصحاب يزيد ، فجعلوا يخرجون من باب المقصورة ويدخلون من باب آخر حتى لم يبق في المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحرس ، ومضى يزيد بن عَسْبَسَة إلى يزيد بن الوليد ، فأعلمه وأخذ بيده ، وقال : قم يا أمير المؤمنين وأبشر بنصر الله وعوّنه ، فقام وقال : اللهم إن كان هذا لك رضا فأعني عليه وسدّ دُنيّ له ؛ وإن كان غير ذلك فاصرفه عني بموت .

١٧٩٠/٢

وأقبل في اثني عشر رجلاً ، فلما كان عند سوق الحُمُر لقوا أربعين رجلاً من أصحابهم ، فلما كانوا عند سوق القمح لقيهم زهاء مائتي رجل من

(١) كذا في اوهو الصواب ، وفي ط : « فدخل » . (٢) الأغاني : « ثابت بن سليمان الحُشي » .

(٣) الأغاني : « لعامل دمشق » .

(٤) الأغاني : « سنة سبع وعشرين ومائة » .

(٥) ابن الأثير : « أذن العشاء » .

١٧٩١/٢

أصحابهم ؛ فمضوا إلى المسجد فدخلوه ، فأخذوا بابَ المقصورة فضربوه وقالوا : رسل الوليد ؛ ففتح لهم الباب خادماً فأخذوه ودخلوا ، وأخذوا أبا العجاج وهو سكران ، وأخذوا خُزَّانَ بيت المال وصاحب البريد ، وأرسل إلى كلِّ مَنْ كان يحذره فأخذه . وأرسل يزيد من ليلته إلى محمد بن عبيدة — مولى سعيد ابن العاص وهو على بعلبك — فأخذه ، وأرسل من ليلته إلى عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، فأخذه ووجه إلى الثنية إلى أصحابه ليأتوه ، وقال للبوأين : لا تفتحوا الباب غدوةً إلا لمن أخبركم بشعارنا^(١) . فتركوا الأبواب بالسلاسل . وكان في المسجد سلاح كثير قدم به سليمان بن هشام من الجزيرة ، ولم يكن الخُزَّان قبضوه ، فأصابوا سلاحاً كثيراً ، فلما أصبحوا جاء أهل المِزَّة وابن عصام ، فما انتصف النهار حتى تباع الناس ، ويزيد يتمثل [قول النَّابغة]^(٢) :

إِذَا اسْتَنْزَلُوا عَنْهُمْ لِلطَّعْنِ أَرْقَلُوا إِلَى الْمَوْتِ إِرْقَالَ الْجَمَالِ الْمَصَاعِبِ
فَجَعَلَ أَصْحَابُ يَزِيدَ يَتَعَجَّبُونَ ، وَيَقُولُونَ : انظُرُوا إِلَى هَذَا ؛ هُوَ قَبِيلُ الصَّبْحِ يُسَبِّحُ ، وَهُوَ الْآنَ يَنْشُدُ الشَّعْرَ !

١٧٩٢/٢

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عليّ ، قال : حدثنا عمرو بن مروان الكلبي ، قال : حدثني رزين بن ماجد ، قال : غَدَوْنَا مع عبد الرحمن ابن مصاد ، ونحن زهاء ألف وخمسمائة ؛ فلما انتهينا إلى باب الجابية وجدناه مغلقاً ، ووجدنا عليه رسلاً للوليد ، قال : ما هذه الهيئة وهذه العُدَّة ! أما والله لأعلمنَّ أمير المؤمنين . فقتله رجل من أهل المِزَّة ، فدخلنا من باب الجابية ، ثم أخذنا في زُقَاقِ الكلبيين ، فضاق عنا ، فأخذ ناس منا سوق القمح ؛ ثم اجتمعنا على باب المسجد ، فدخلنا على يزيد ، فما فرغ آخرنا من التسليم عليه ؛ حتى جاءت السكاسك في نحو ثلثمائة ، فدخلوا من باب الشرق حتى أتوا المسجد ، فدخلوا من باب الدَّرَجِ ، ثم أقبل يعقوب ابن عُيمر بن هاني العبسي في أهل دارياً ، فدخلوا من باب دمشق الصغير ، وأقبل عيسى بن شبيب التغلبي في أهل دُومَة وحرستًا ، فدخلوا من باب

(١) الأغاني : « إلا لمن أخبركم بشعار كذا وكذا » .

(٢) من الأغاني ، والبيت في ديوانه ٣ .

تُوما ، وأقبل حميد بن حبيب اللخمي في أهل دبر المُرَّان والأرزة وسطرا ،
فدخلوا من باب الفراديس ، وأقبل النَّضْر بن الجَرَشِي في أهل جَرَش وأهل
الحدِيثَة ودير زَكَّا ، فدخلوا من باب الشرق ، وأقبل رُبْعَى بن هاشم الحارثي
في الجماعة من بني عُدْرَة وسَلَامان ، فدخلوا من باب تُوما ، ودخلت جُهَيْنَة
ومَن والاهم مع طلحة بن سعيد ، فقال بعض شعرائهم :

فجاءَتْهُمْ أنصارُهُمْ حينَ أَصْبَحُوا سَكَاسِكُهَا أَهْلُ البُيُوتِ الصَّنَادِدِ
وكلبُ فجاءَ وَهُمْ بِخَيْلٍ وَعُدَّةٍ مِنَ البَيْضِ والأَبْدَانِ ثَمَّ السَّوَادِ
فأكْرَمَ بِهِمَ أحياءُ أنصارِ سُنَّةٍ هُمُ مَنْعُوا حُرْمَاتِهَا كُلَّ جاحِدِ
وجاءَتْهُمْ شعبان والأَزْدُ شُرْعاً وَعَبَسَ وَلَحْمٌ بَيْنَ حَامٍ وَذائِدِ
وَعَسَّانُ والحَيَّانِ قيسٌ وَتَغْلِبُ وَأَحْجَمَ عَنْهَا كُلَّ وانٍ وَزَاهِدِ
فما أَصْبَحُوا إِلَّا وَهُمْ أَهْلُ مُلْكِهَا قَدْ اسْتَوْثَقُوا مِنْ كُلِّ عَاتٍ وَمَارِدِ

١٧٩٣/٢

حدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، عن عمرو بن مروان
الكلبي ، قال : حدثني قُسَيْمُ بن يعقوب ورَزِين بن ماجد وغيرهما ، قالوا : وجّه
يزيد بن الوليد عبد الرحمن بن مَصَاد في مائتي فارس أو نحوهم إلى قِطَن ؛
ليأخذوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف ، وقد تحصن في قصره ^(١) ،
فأعطاه الأمانَ فخرج إليه ، فدخلنا القصر ، فأصبنا فيه خُرْجَتَيْن ، في
كل واحد منهما ثلاثون ألف دينار . قال : فلما انتهينا إلى المِزَّة قلت
لعبد الرحمن بن مَصَاد : اصرف أحد هذين الخُرْجَتَيْن إلى منزلك أو كليهما ،
فلأنك لا تصيب من يزيد مثلهما أبداً ، فقال : لقد عجلتُ إذا بالخيانة ،
لا والله لا يتحدث العرب أني أول من خان في هذا الأمر ، ففضى به إلى
يزيد بن الوليد . وأرسل يزيد بن الوليد إلى عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ،
فأمره فوقف بباب الجابية ، وقال : مَن كان له عطاء فليأت إلى عطائه ، ومن
لم يكن له عطاء فله ألف درهم معونة . وقال لبني الوليد بن عبد الملك ومعه منهم
ثلاثة عشر : تفرقوا في الناس يَرَوْنَكُمْ وحضُورهم ، وقال للوليد بن رَوْح بن
الوليد : أنزل الرَّاهِبَ ، ففعل .

١٧٩٤/٢

وحدثني أحمد ، عن علي ، عن عمرو بن مروان الكلبي ، قال : حدثني
 دُكين بن الشماخ الكلبي وأبو عِلاقة بن صالح السَّلَاماني أن يزيد بن الوليد
 نادى بأمره مناد : من ينتدب إلى الفاسق وله ألف درهم ؟ فاجتمع إليه أقل
 من ألف رجل ، فأمر رجلاً فنادى : مَنْ ينتدب إلى الفاسق وله ألف وخمسمائة ؟
 فانتدب إليه يومئذ ألف وخمسمائة ، فعقد لمنصور بن جُهمور على طائفة ،
 وعقد ليعقوب بن عبد الرحمن بن سُلَيم الكلبي على طائفة أخرى ، وعقد لهرم
 ابن عبد الله بن دِحْية على طائفة أخرى ، وعقد لَحُميد بن حبيب اللخمي على
 طائفة أخرى ، وعليهم جميعاً عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فخرج
 عبد العزيز فمسكراً بالحيرة (١) .

وحدثني (٢) أحمد بن زهير ، قال : حدثنا علي ، عن عمرو بن مروان
 الكلبي ، قال : حدثني يعقوب بن إبراهيم بن الوليد أن مولى لالويد لما
 خرج يزيد بن الوليد ، خرج على فرس له ، فأتى الوليد من يومه ، فنفق فرسه
 حين بلغه ، فأخبر الوليد الخبر ، فضربه مائة سوط وجبسه ، ثم دعا أبا محمد
 ابن عبد الله بن يزيد بن معاوية فأجازه ، ووجهه إلى دمشق ، فخرج أبو محمد ،
 فلما انتهى إلى ذَنبَة أقام ، فوجه يزيد بن الوليد إليه عبد الرحمن بن مصاد ،
 فسأله أبو محمد ، وباع ليزيد بن الوليد وأتى الوليد الخبر ، وهو بالأغدف -
 والأغدف من عمان - فقال بَسْمُوس بن زُمَيل الكلابي - ويقال قاله يزيد بن
 خالد بن يزيد بن معاوية : يا أمير المؤمنين ، سر حتى تنزل حمص فإنها
 حصينة ، ووجه الجند إلى يزيد فيقتل أو يؤسر . فقال عبد الله بن عنبسة
 ابن سعيد بن العاص : ما ينبغي للخليفة أن يدع عسكره ونساءه قبل أن يقاتل
 ويُعذر ، والله مؤيد أمير المؤمنين ونصره . فقال يزيد بن خالد : وماذا يخاف
 على حرمة ! وإنما أتاه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك وهو ابن عمهن ،
 فأخذ بقول ابن عنبسة ، فقال له الأبرش سعيد بن الوليد الكلبي :
 يا أمير المؤمنين ، تدمر حصينة ، وبها قومي يمنعونك ، فقال : ما أرى أن تأتي
 تدمر أهلها بنو عامر ؛ وهم الذين خرجوا علي ، ولكن دُلّني على منزل

حصين ، فقال : أرى أن تنزل القرية ، قال : أكرهها ، قال : فهذا الهزيم ، قال : أكره اسمه ، قال : فهذا البخراء ، قصر النعمان بن بشير ، قال : ويحك ! ما أقبح أسماء مياهمكم ! فأقبل في طريق السماوة ، وترك الرّيف ، وهو في مائتين ، فقال :

إذا لم يكن خيرٌ مع الشرِّ لم تجِدْ نصيحاً ولا ذا حاجة حين تفزعُ
إذا ما همُّ همّوا بإحدى هناتِهِمْ حسرتُ لهم رأسي فلا أنقنعُ

فرّ بشبكة الضحاك بن قيس الفهري ، وفيها من ولده وولد ولده أربعون رجلاً ، فساروا معه وقالوا : إنا عزّل ، فلو أمرت لنا بسلاح ! فإعطاهم سيفاً ولا رُحماً ، فقال له بيهس بن زُمَيْل : أمّا إذْ أبيت أن تمضي إلى حِمص وتندمُرُ فهذا الحصن البخراء فإنه حصين ، وهو من بناء العجم فأنزله ، قال : إني أخاف الطاعون ، قال : الذي يُراد بك أشدّ من الطاعون ؛ فنزل حصن البخراء .

١٧٩٧/٢

قال : فندب يزيد بن الوليد الناس إلى الوليد مع عبد العزيز ، ونادى مناديه : من سار معه فله ألفان ، فانتدب ألفاً رجل ، فأعطاهم ألفين ألفين ، وقال : موعدكم بدّنة ، فوافى بدّنة ألف ومائتان ، وقال : موعدكم مصنعة بنى عبد العزيز بن الوليد بالبرية ، فوافاه ثمانمائة ، فسار ، فتلقاهم ثقل^(١) الوليد فأخذوه ، ونزلوا قريباً من الوليد ، فأتاه رسول العباس بن الوليد : إني آتيك ، فقال الوليد : أخرجوا سريراً ، فأخرجوا سريراً فجلس عليه وقال : أعلى توثب الرجال ، وأنا أثيب على الأسد وأتخصّر^(٢) الأفاعي ! وهم ينتظرون العباس ، فقاتلهم عبد العزيز ، وعلى الميمنة عمرو بن حوى السكسكى وعلى المقدمة منصور بن جهمور وعلى الرجال عمارة بن أبي كلثم الأزدي ، ودعا عبد العزيز ببغل له أدّهم فركبه ، وبعث إليهم زياد بن حصين الكلبي يدعوه إلى كتاب الله وسنة نبيه ، فقتله قطري مولى الوليد ، فانكشف أصحاب يزيد ، فترجل^(٣) عبد العزيز ، فكرر أصحابه ، وقد قتل من أصحابه عدة ، وحملت

١٧٩٨/٢

(١) الثقل : المتاع .

(٢) ح ، ف : « فدخل » .

(٣) تنصر : أخذ المصرة بيده .

رءوسهم إلى الوليد وهو على باب حصن البَخْرَاء قد أخرج لواء مروان بن الحكم الذى كان عقده بالجابية ، وقتل من أصحاب الوليد بن يزيد عثمان الحشبي ، قتله جناح بن نعيم الكلبي ، وكان من أولاد الحشبية الذين كانوا مع المختار .

وبلغ عبد العزيز مسيرُ العباس بن الوليد ، فأرسل منصور بن جُمهور في خيل^(١) ، وقال : إنكم تلقون العباس في الشعب ، ومعه بنوه [في الشعب]^(٢) فخذوهم . فخرج منصور في الخيل فلما صاروا بالشعب إذا هم بالعباس في ثلاثين من بنيهِ ، فقالوا له : اعدل إلى عبد العزيز ، فشتَمَهم ، فقال له منصور : والله لئن تقدّمتْ لَأَنفُذَنَ حَصِينَكَ — يعني درعك — وقال نوح بن عمرو بن حَوَيّ السكسكى : الذى لقي العباس بن الوليد يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبي — فعدل به إلى عبد العزيز ، فأبى عليه فقال : يابن قُسْطَنْطِين ؛ لئن أبيتَ لأضربن الذى فيه عينك ، فنظر العباس إلى هَرَم بن عبد الله بن دحية ، فقال : مَنْ هذا ؟ قال : يعقوب بن عبد الرحمن بن سليم ، قال : أما والله إن كان لَبَغِيضاً^(٣) إلى أبيه أن يقف ابنُهُ هذا الموقف ؛ وعدل به إلى عسكر عبد العزيز ، ولم يكن مع العباس أصحابه ، كان تقدّمهم مع بنيهِ ، فقال : إنا لله ! فأتوا به عبد العزيز ، فقال له : بايع لأخيك يزيد بن الوليد ، فبايع ووقف ونصبوا راية ، وقالوا : هذه راية العباس بن الوليد ، وقد بايع لأمر المؤمنين يزيد بن الوليد ، فقال العباس : إنا لله ! خُدْ عَةً من خُدْع الشيطان ! هلك بنو مروان . فتفرّق الناس عن الوليد ، فأتوا العباس وعبد العزيز وظاهر الوليد بين درعين ، وأتوه بفرسيه : السندى والزائد ، فقاتلهم قتالا شديداً ، فناداهم رجل : اقتلوا عدو الله قِتْلَةً قوم لوط ، ارموه بالحجارة^(٤) .

١٧٩٩/٢

(١) في الأغاني : «جريدة خيل» ، والجريدة : الجماعة من الخيل .

(٢) من الأغاني . (٣) ب : «إلا بغيضاً» .

(٤) بعدها في الأغاني ٧ : ٧٩ : «فرموه بالحجارة ؛ فلما سمع ذلك دخل القصر ، وأغلق

الباب ، وقال :

دَعُوا لِي سُلَيْمَى وَالطَّلَاءَ وَقَيْنَةَ وَكَأْساً أَلَا حَسْبِي بِذَلِكَ مَالاً =

فلما سمع ذلك دخل القصر ، وأغلق الباب ، وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر ، فدنا الوليد من الباب ، فقال . أمّا فيكم رجل شريف له حسب وحياء أكلّمه ! فقال له يزيد بن عنبسة السكسكى : كلمنى ، قال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عنبسة ، قال : يا أخا السكاسكك ؛ ألم أزد في أعطياتكم ! ألم أرفع المؤن عنكم ! ألم أعطي فقراءكم ! ألم أخدم زمناًكم ^(١) ! فقال : إنا ما ننقم عليك في أنفسنا ، ولكن ننقم عليك في انتهاك ما حرّم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله ؛ قال : حسبك يا أخا السكاسكك ، فلمرى لقد أكثرت وأغرقت ^(٢) ؛ وإن فيما أحيل لي لسعة عمّا ذكرت . ورجع إلى الدار فجلس وأخذ مصحفاً ، وقال : يوم كيوم ^(٣) عثمان ؛ ونشر المصحف يقرأ ، فعلموا الحائط ، فكان أول من علا الحائط يزيد بن عنبسة السكسكى ، فنزل إليه وسيف الوليد إلى جنبه ، فقال له يزيد : نج سيفك ، فقال له الوليد : لو أردتُ السيف لكنت لي ولك حالة فيهم ^(٤) غير هذه ، فأخذ بيد الوليد ؛ وهو يريد أن يجبسه ويؤامر فيه . فنزل من الحائط عشرة : منصور بن جمهور وحيال بن عمرو الكلبي وعبد الرحمن بن عجلان مولى يزيد بن عبد الملك وحميد بن نصر اللخمي والسري بن زياد بن أبي كبشة وعبد السلام اللخمي ، فضربه عبد السلام على رأسه ، وضربه السري على وجهه ، وجروه بين خمسة ليخرجوه ^(٥) . فصاحت امرأة كانت معه في الدار ، فكفّوا عنه ولم يخرجوه ، واحتز أبو علاقة القضاعى رأسه ، فأخذ عقبا ^(٦)

١٨٠٠/٢

= إذا ماصفا عيش برملة عاليج وعانقت سلمى لا أريد بدالا
خذوا ملككم ، لا ثبت الله ملككم ثباتاً يساوى ما حيت عقالا
وخلوا عنائي قبل غير وما جرى ولا تحسدوني أن أموت هزالا

(١) يمدّها في الأغاني : « ودفعت عنكم المؤن ! » .

(٢) في الأغاني : « لقد أغرقت فأكثر » . (٣) يريد عثمان بن عفان فإنه لما قتل كان يقرأ في المصحف ، وجرى دمه عليه . (٤) من الأغاني .

(٥ - ٥) الأغاني : « وهو يريد أن يدخله بيتاً ويؤامره فيه ، فنزل من الحائط عشرة ؛ فيهم منصور بن جمهور وعبد الرحمن وقيس مولى يزيد بن عبد الملك والسري بن زياد بن أبرهة ، فضربه عبد الرحمن السلمي على رأسه ضربة ، وضربه السري بن زياد على وجهه ، وجروه بين خمسة ليخرجوه » . (٦) العقب : العصب الذي تعمل منه الأوتار .

فخاط الضربة التي في وجهه ، وقدم بالرأس على يزيد رَوْح بن مقبل ، وقال :
أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق الوليد وأسّر من كان معه ، والعباس —
وزيد يتغدى — فسجد ومن كان معه ، وقام يزيد بن عنبسة السكسكي ،
وأخذ بيد يزيد ، وقال : قم يا أمير المؤمنين ، وأبشر بنصر الله ، فاختلج يزيد
يده من كفته ، وقال : اللهم إن كان هذا لك رضا فسدّ دفي ، وقال ليزيد بن
عنبسة : هل كلمكم الوليد ؟ قال : نعم ، كلمني من وراء الباب ، وقال :
أما فيكم^(١) ذو حسب فأكأه ! فكلّمته ووبّخته ، فقال : حسبك ، فقد
لعمري أغرقت وأكثر ، أما والله لا يَرْتَقُ فتقكم ، ولا يُلْمُ شعثكم ، ولا
تجتمع كلمتكم .

حدثني أحمد عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : قال نوح
ابن عمرو بن حوىّ السكسكيّ : خرجنا إلى قتال الوليد في ليالٍ ليس فيها
قمر ؛ فإن كنت لأرى الحصى فأعرف أسوده من أبيضه . قال : وكان عليّ
ميسرة الوليد بن يزيد الوليد بن خالد ، ابن أخى الأبرش الكلبيّ في بني عامر —
وكانت بنو عامر ميمنة عبد العزيز — فلم تقاتل ميسرة الوليد ميمنة عبد العزيز ،
وما لوا جميعاً إلى عبد العزيز بن الحجاج . قال : وقال نوح بن عمرو : رأيت
خدّم الوليد بن يزيد وحشّمه يوم قُتِل يأخذون بأيدي الرجال ،
فيدخاؤهم عليه .

وحدثني أحمد عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، قال : حدثني
المثنى بن معاوية ، قال : أقبل الوليد فنزل اللؤلؤة ، وأمر ابنه الحكم والمؤمل
ابن العباس أن يفرضا لمن أتاهما ستين ديناراً في العطاء ، فأقبلت أنا وابن
عمي سليمان بن محمد بن عبد الله إلى عسكر الوليد ، فقرّبني المؤمل وأدنانى .
وقال : أدخلك على أمير المؤمنين ، وأكلمه حتى يفرض لك في مائة دينار .
قال المثنى : فخرج الوليد من اللؤلؤة فنزل المليكة ، فأناه رسول عمرو بن
قيس من حمص يخبره أن عمرًا قد وجّه إليه خمسمائة فارس ، عليهم
عبد الرحمن بن أبي الجسّوب البهرانيّ ، فدعا الوليد الضجّاج بن أيمن من

بنى عوف بن كلب ، فأمره أن يأتي ابن أبي الجنوب — وهو بالغوث — فيستعجله ، ثم يأتي الوليد بالمليكة . فلما أصبح أمر الناس بالرحيل ، وخرج على برذون كُسميت ، عليه قباء خزّ وعمامة خزّ ، محتزماً بريطة رقيقة قد طواها ، وعلى كتفيه زبطة صفراء فوق السيف ، فلقبه بنو سليم بن كيسان في ستة عشر فارساً ، ثم سار قليلاً ، فتلقاه بنو النعمان بن بشير في فوارس ، ثم أتاه الوليد ابن أخي الأبرش في بني عامر من كُلب ، فحملة الوليد وكساه ، وسار الوليد على الطريق ثم عدل في تسعة يقال لها المشبهة ، فلقبه ابن أبي الجنوب في أهل حمص . ثم أتى البّخراء ، فضجّ أهل العسكر ، وقالوا : ليس معنا عكاف لدوابنا ، فأمر رجلاً فنادى : إن أمير المؤمنين قد اشترى زروع القرية ، فقالوا : ما نصنع بالقصيل ^(١) ! تضعف عليه دوابنا ؛ وإنما أرادوا الدراهم .

١٨٠٣/٢

قال المثنى : أتيت الوليد ، فدخلت من مؤخر الفسطاط ، فدعا بالغداء ، فلما وُضع بين يديه أتاه رسول أمّ كلثوم بنت عبد الله بن يزيد بن عبد الملك يقال له عمرو بن مرة ، فأخبره أن عبد العزيز بن الحجاج ؛ قد نزل اللؤلؤة ، فلم يلتفت إليه ، وأتاه خالد بن عثمان الخراش — وكان على شرطه — برجل من بني حارثة بن جنب ، فقال له : إنني كنت بدمشق مع عبد العزيز ، وقد أتيتك بالخبر ؛ وهذه ألف وخمسمائة قد أخذتها — وحلّ همياناً من وسطه ، وأراه — وقد نزل اللؤلؤة ؛ وهو غاد منها إليك ، فلم يجبه والتفت إلى رجل إلى جنبه ، وكلمه بكلام لم أسمع ، فسألت بعض من كان بيني وبينه عما قال ، فقال : سأله عن النهر الذي حفره بالأردن : كم بقي منه ؟ وأقبل عبد العزيز من اللؤلؤة ، فأقى المليكة فحازها ، ووجه منصور بن جمهور ، فأجذ شرق القرى — وهو تل مشرف في أرض ملساء على طريق نهبيا إلى البّخراء — وكان العباس بن الوليد تهيأ في نحو من خمسين ومائة من مواله وولده ، فبعث العباس رجلاً من بني ناجية يقال له حُبَيْش إلى الوليد يخبره بين أن يأتيه فيكون معه ؛ أو يسير إلى يزيد بن الوليد . فاتهم الوليد العباس ، فأرسل إليه يأمره أن يأتيه

١٨٠٤/٢

(١) القصيل : ما اقتصل من الزرع أخضر .

فيكون معه ، فلقى منصور بن جمهور الرسول ، فسأله عن الأمر فأخبره ، فقال له منصور : قل له : والله لئن رحلت من موضعك قبل طلوع الفجر لأقتلتك ومن معك ؛ فإذا أصبح فليأخذ حيث أحب . فأقام العباس يتهياً ؛ فلما كان في السحر سمعنا تكبير أصحاب عبد العزيز قد أقبلوا إلى البسحراء ، فخرج خالد بن عثمان المسخرأش ، فعبأ الناس ؛ فلم يكن بينهم قتال حتى طلعت الشمس ؛ وكان مع أصحاب يزيد بن الوليد كتاب معلق في رمح ، فيه : إنا نندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وأن يصير الأمر شورى . فاقتتلوا فقتل عثمان الحبشي ، وقتل من أصحاب الوليد زهاء ستين رجلاً ، وأقبل منصور بن جمهور على طريق نهيما ، فأتى عسكر الوليد من خلفهم ، فأقبل إلى الوليد وهو في فسطاطه ؛ ليس بينه وبين منصور أحد . فلما رأيته خرجت أنا وعاصم بن هيرة المعافري خليفة المخراش ، فانكشف أصحاب عبد العزيز ، ونكص أصحاب منصور ، وصرع سمي بن المغيرة وقتل ، وعدل منصور إلى عبد العزيز . وكان الأبرش على فرس له يدعى الأديم ، عليه قلنسوة ذات أذنين ؛ قد شدتها تحت لحيته ؛ فجعل يصيح بابن أخيه : يابن اللخناء ، قدّم رأيتك ، فقال له : لا أجد متقدماً ، إنها بنو عامر . وأقبل العباس بن الوليد فزعه أصحاب عبد العزيز ، وشدّ مولى لسليمان بن عبد الله بن دحية — يقال له التركي — على الحارث بن العباس بن الوليد ، فطعنه طعنة أذراه عن فرسه ؛ فعدل العباس إلى عبد العزيز ، فأسقط في أيدي أصحاب الوليد وانكسروا . فبعث الوليد بن يزيد الوليد بن خالد إلى عبد العزيز بن الحجاج بأن يعطيه خمسين ألف دينار ، ويجعل له ولاية حمص ما بقي ، ويؤمّنه على كل حدّث ، على أن ينصرف ويكف ؛ فأبى ولم يجبه ، فقال له الوليد : ارجع إليه فعادّه أيضاً ، فأناه الوليد فلم يجبه إلى شيء ، فانصرف الوليد ؛ حتى إذا كان غير بعيد عطف دابّته ، فدنا من عبد العزيز ، فقال له : أتجعل لي خمسة آلاف دينار ولأبرش مثلها ؛ وأن أكون كأخصّ رجل من قومي منزلة وآتيك ، فأدخل معك فيما دخلت فيه ؟ فقال له عبد العزيز : على أن تحمل الساعة على أصحاب الوليد ؛ ففعل . وكان

١٨٠٦/٢

على ميمنة الوليد معاوية بن أبي سفيان بن يزيد بن خالد، فقال لعبد العزيز :
 أتجعل لي عشرين ألف دينار وولاية الأردن والشركة في الأمر على أن أصير
 معكم ؟ قال : على أن تحمل على أصحاب الوليد من ساعتك ، ففعل ،
 فانهزم أصحاب الوليد . وقام الوليد فدخل البخراء ، وأقبل عبد العزيز فوقف
 على الباب وعليه سلسلة ، فجعل الرجل بعد الرجل يدخل من تحت السلسلة .
 وأتى عبد العزيز عبد السلام بن بكير بن شماس اللخمي ، فقال له : إنه يقول :
 أخرج على حُكْمِكَ ، قال : فليخرج ؛ فلما ولّي قيل له : ما تصنع بخروجك !
 دعه يكفئكم الناس . فدعا عبد السلام فقال : لا حاجة لي فيما عَرَضَ عليّ ،
 فنظرت إلى شاب طويل على فرس ، فدنا من حائط القصر فعلاه ، ثم
 صار إلى داخل القصر . قال : فدخلت القصر ، فإذا الوليد قائم في قميص قصَب
 وسراويل وشئ ، ومعه سيف في غمد والناس يشتمونه ، فأقبل إليه بشر بن شيبان
 مولى كنانة بن عمير ؛ وهو الذي دخل من الحائط ، فضى الوليد يريد الباب — أظنه
 أراد أن يأتي عبد العزيز — وعبد السلام عن يمينه ورسول عمرو بن قيس عن يساره ،
 فضربه على رأسه ؛ وتعاوره الناس بأسيا فهم فقتل ، فطرح عبد السلام نفسه
 عليه يحتز رأسه — وكان يزيد بن الوليد قد جعل في رأس الوليد (١) مائة ألف —
 وأقبل أبو الأسد مولى خالد بن عبد الله القسري فساخ من جلد الوليد قَدْر
 الكف ، فألقى بها يزيد بن خالد بن عبد الله ، وكان محبوساً في عسكر الوليد ،
 فانتهب الناس عسكر الوليد وخزائنه ، وأتاني يزيد العلّيميّ أبو البطريق بن
 يزيد ؛ وكانت ابنته عند الحكم بن الوليد ، فقال : امنع لي متاع ابنتي ، فإ
 وصل أحدٌ إلى شيء زعم أنه له .

١٨٠٧/٢

قال أحمد : قال عليّ : قال عمرو بن مروان الكلبيّ : لما قُتل الوليد
 قُطعت كَفّه اليسرى ، فبُعِثَ بها إلى يزيد بن الوليد ، فسبقت الرأس ؛ قدِمَ
 بها ليلة الجمعة ، وأتّى برأسه من الغد ، فنصبه للناس بعد الصلاة . وكان أهل
 دمشق قد أرجفوا بعبد العزيز ، فلما أتاها رأس الوليد سكتوا وكفّوا .
 قال : وأمر يزيد بنصب الرأس ، فقال له يزيد بن فروة مولى بني مروان :

لَمَّا تَنَصَّبَ رَعُوسُ الْخَوَارِجِ ، وَهَذَا ابْنُ عَمَلِكٍ ؛ وَخَلِيفَةُ ، وَلَا آمَنُ إِنْ نَصَبْتَهُ أَنْ تَرُقَّ لَهُ قُلُوبُ النَّاسِ ، وَيَغْضِبَ لَهُ أَهْلُ بَيْتِهِ ؛ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا نَنْصِبُهُ ، فَنَصَبَهُ عَلَى رَمَحٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : انْطَلِقْ بِهِ ، فَطُفِّ بِهِ فِي مَدِينَةِ دِمَشْقَ ، وَأَدْخِلْهُ دَارَ أَبِيهِ . ففعل ، فصاح الناس وأهل الدار ، ثم رَدَّه إلى يزيد ، فقال : انْطَلِقْ بِهِ إِلَى مَنْزِلِكَ ؛ فَكَثَّ عِنْدَهُ قَرِيبًا مِنْ شَهْرٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : ادْفَعْهُ إِلَى أَخِيهِ سُلَيْمَانَ — وَكَانَ سُلَيْمَانُ أَخُو الْوَلِيدِ مِنْ سَعَى عَلَى أَخِيهِ — فَغَسَلَ ابْنَ فُرُوه الرَّأْسَ ، وَوَضَعَهُ فِي سَقَطٍ ، وَأَتَى بِهِ سُلَيْمَانَ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ ، فَقَالَ : بَعْدًا لَهُ ! أَشْهَدُ أَنَّهُ كَانَ شَرُّ رُؤَبَاءَ لِلْخَمْرِ ، مَا جُنَّا فَاسِقًا ؛ وَلَقَدْ أَرَادَنِي عَلَى نَفْسِي الْفَاسِقَ . فَخَرَجَ ابْنُ فُرُوه مِنَ الدَّارِ ، فَتَلَقَّاهُ مَوْلَاةُ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ لَهَا : وَيْحَكَ ! مَا أَشَدَّ مَا شَتَمْتَهُ ! زَعِمَ أَنَّهُ أَرَادَهُ عَلَى نَفْسِهِ ! فَقَالَتْ : كَذَبَ وَاللَّهِ الْخَبِيثُ ، مَا فَعَلَ ، وَلَوْ أَنَّ كَانَ أَرَادَهُ عَلَى نَفْسِهِ لَقَدْ فَعَلَ ؛ وَمَا كَانَ لِيَقْدِرَ عَلَى الْإِمْتِنَاعِ مِنْهُ .

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَرْوَانَ الْكَلْبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ مَصَّادٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَصَّادٍ ، قَالَ : بَعَثَنِي يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى أَبِي مُحَمَّدٍ السَّفْيَانِيِّ — وَكَانَ الْوَلِيدُ وَجَّهَهُ حِينَ بَلَغَهُ خَبَرُ يَزِيدٍ وَالِيًّا عَلَى دِمَشْقَ وَأَتَى دَنْبَسَةَ ؛ وَبَلَغَ يَزِيدُ خَبْرَهُ ، فَوَجَّهَنِي إِلَيْهِ — فَأَتَيْتُهُ ، فَسَلَّمْتُ وَبَايَعْتُ لِيَزِيدَ . قَالَ : فَلَمْ نَرَمْ حَتَّى رُفِعَ لَنَا شَخْصٌ مُقْبِلٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَرِّيَّةِ ، فَبَعَثْتُ إِلَيْهِ ، فَأَتَيْتُ بِهِ فَإِذَا هُوَ الْغُزَيْلِيُّ أَبُو كَامِلٍ الْمَغْنِيُّ ، عَلَى بَغْلَةٍ لِلْوَلِيدِ تَدْعَى مَرْيَمَ ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الْوَلِيدَ قَدْ قَتَلَ ، فَانْصَرَفْتُ إِلَى يَزِيدَ ، فَوَجَدْتُ الْخَبَرَ قَدْ أَتَاهُ قَبْلَ أَنْ آتِيَهُ .

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ عَمْرِو^(١) بْنِ مَرْوَانَ الْكَلْبِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي دُكَيْنُ بْنُ شِمَاحٍ الْكَلْبِيُّ ثُمَّ الْعَامِرِيُّ ، قَالَ : رَأَيْتُ بَشَرَ بْنَ هَلْبَاءَ الْعَامِرِيَّ يَوْمَ قُتِلَ الْوَلِيدُ ضَرْبَ بَابِ الْبَخْرَاءِ بِالسَّيْفِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

سَبَّحَكَ خَالِدًا بِمُهَنْدَاتٍ وَلَا تَذْهَبُ صَنَائِعُهُ ضَلَالًا

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ ، عَنْ عَلِيٍّ ، عَنْ أَبِي عَاصِمٍ الزِّيَادِيِّ ، قَالَ : ادَّعَى قَتَلَ الْوَلِيدَ عَشْرَةَ ، وَقَالَ : إِنِّي رَأَيْتُ جُلْدَةَ رَأْسِ الْوَلِيدِ فِي يَدِ وَجْهِهِ الْفَلَكْسَ ،

فقال : أنا قتلته ؛ وأخذت هذه الجلدة ، وجاء رجل فاحترَّ رأسه ، وبقيت هذه الجلدة في يدِي . واسم وجه الفلّس عبد الرحمن ؛ قال : وقال الحكم بن النعمان مولى الوليد بن عبد الملك : قدم برأس الوليد على يزيد منصور بن جمهور في عشرة ؛ فيهم رَوْح بن مُقْبِل ، فقال رَوْح : يا أمير المؤمنين ؛ أبشر بقتل الفاسق وأسر العباس ؛ وكان فيمن قدم بالرأس عبد الرحمن وجه الفلّس ^(١) ، وبشر مولى كنانة من كلب ؛ فأعطى يزيد كلَّ رجل منهم عشرة آلاف . قال : وقال الوليد يوم قُتِل وهو يقاتلهم : مَنْ جاء برأس فله خمسمائة ؛ فجاء قوم بأرؤس ، فقال الوليد : اكتبوا أسماءهم ، فقال رجل من مواليه من جاء برأس : يا أمير المؤمنين ؛ ليس هذا بيوم يُعْمَل فيه بنسيئة !

قال : وكان مع الوليد مالك بن أبي السمح المغنّي وعمرو الوادى ؛ فلما تفرّق عن الوليد أصحابه ، وحُصِر ، قال مالك لعمر : اذهب بنا ، فقال عمرو : ليس هذا من الوفاء ؛ ونحن لا يُعْرَضُ لنا لأننا لسنا ممن يقاتل ، فقال مالك : ويلك ! والله لنْ ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلى وقبلك ؛ فيوضع رأسه بين رأسينا ؛ ويقال للناس : انظروا مَنْ كان معه في هذه الحال ؛ فلا يعيونه بشيء أشد من هذا ؛ فهربا .

١٨١٠/٢

* * *

وقتل الوليد بن يزيد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جما دى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ؛ كذلك قال أبو معشر ؛ حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه . وكذلك قال هشام بن محمد ومحمد ابن عمر الواقدي وعلي بن محمد المدائني .

واختلفوا في قَدْر المدة التي كان فيها خليفة ؛ فقال أبو معشر : كانت خلافته سنة وثلاثة أشهر ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه .

وقال هشام بن محمد : كانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً .

(١) هو عبد الرحمن بن الخطاب ، وانظر الفهرس .

واختلفوا أيضاً في مبلغ سنه يوم قتل ، فقال هشام بن محمد الكلبي : قتل وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وقال محمد بن عمر : قتل وهو ابن ست وثلاثين سنة ، وقال بعضهم : قتل وهو ابن اثنتين وأربعين سنة . وقال آخرون : وهو ابن إحدى وأربعين سنة ، وقال آخرون : ابن خمس وأربعين سنة ، وقال بعضهم : وهو ابن ست وأربعين سنة .

وكان يكنى أبا العباس ، وأمّه أمّ الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي ؛ وكان شديد البسطش ، طويل أصابع الرجلين ؛ كان^(١) يوتد له سكة حديد فيها خيط ويُسَدّ الخيط في رجله ، ثم يشب على الدابة ، فينتزع السكة ويركب ، ما يمسّ الدابة بيده .

وكان شاعراً شروباً للخمر ؛ حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، عن ابن أبي الزناد ، قال : قال أبي : كنتُ عند هشام وعنده الزُّهرى ، فذكر الوليد ، فتنقّصاه وعاباه عيباً شديداً ، ولم أعرض في شيء مما كانا فيه ؛ فاستأذن الوليد ، فأذن له ، وأنا أعرف الغضب في وجهه ، فجلس قليلاً ، ثم قام . فلما مات هشام كتب في فحميلت إليه فرحب بي ، وقال : كيف حالك يا بن ذكوان ؟ وألطف المسألة بي ، ثم قال : أتذكر يوم الأحول وعنده الفاسق الزُّهرى ، وهما يعيباني ؟ قلت : أذكر ذلك ؛ فلم أعرض في شيء مما كانا فيه ، قال : صدقت ؛ رأيت الغلام الذي كان قائماً على رأس هشام ؟ قلت : نعم ، قال : فإنه نم^(٢) إلى بما قال ؛ وإيم الله لو بقى الفاسق - يعني الزُّهرى - لقتلته ، قلت : قد عرفت الغضب في وجهك حين دخلت . ثم قال : يا بن ذكوان ، ذهب الأحول بعمرى ، فقلت : بل يطيل الله لك عمرك يا أمير المؤمنين ، ويمتّع الأمة ببقاتك ؛ فدعا بالعشاء فتعشنا ، وجاءت المغرب فصلينا ، وتحدثنا حتى جاءت العشاء الآخرة فصلينا وجلس ، وقال : اسقني ؛ فجاءوا بإناء مغطى ، وجاء ثلاث جوار فصُففن^(٣) بين يديه ، بيني وبينه ، ثم شرب ؛ وذهبنا فتحدثنا ، واستسقى فصنعن مثل ما صنعن أولاً ؛ قال : فما زال علي

١٨١٢/٢

(١) ب ، ح : « وكان » .

(٢) ط : « نمي » ، وما أثبتته من .

(٣) ط : « فصفن » ، تصحيف .

ذلك يتحدث ويستسقى ويصنعن مثل ذلك حتى طلع الفجر ، فأحصيت له سبعين قدحاً .

• • •

[خبر قتل خالد بن عبد الله القسرى]

وفي هذه السنة قتل خالد بن عبد الله القسرى .

• ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

قد تقدم ذكرنا الخبر عن عزل هشام إياه عن عمله وولايته العراق وخراسان واستعماله على العراق يوسف بن عمر ؛ وكان - فيما ذكر - عمل هشام على ذلك خمس عشرة سنة غير أشهر ؛ وذلك أنه - فيما قبل - ولي العراق هشام سنة خمس ومائة ، وعزل عنها في جمادى الأولى سنة عشرين ومائة . ولما عزله هشام وقدم عليه يوسف واسطاً أخذه وجسه بها ، ثم شخص يوسف بن عمر إلى الحيرة ؛ فلم يزل محبوساً بالحيرة تمام ثمانية عشر شهراً مع أخيه إسماعيل بن عبد الله وابنه يزيد بن خالد وابن أخيه المنذر بن أسد بن عبد الله . واستأذن يوسف هشاماً في إطلاق يده عليه وتعذيبه ، فلم يأذن له حتى أكثر عليه ، واعتل عليه بانكسار الخراج وذهاب الأموال ، فأذن له مرة واحدة ، وبعث حرسياً يشهد ذلك ؛ وحلف : لئن أتى على خالد أجله وهو في يده ليقتلنه ؛ فدعا به يوسف ؛ فجلس على دكان بالحيرة وحضر الناس ، وبسط^(١) عليه ؛ فلم يكلمه واحدة حتى شتمه يوسف ، فقال : يا ابن الكاهن - يعني شق بن صعب الكاهن - فقال له خالد : إنك لأحمق ، تعيرني بشرفي ! ولكنك يا ابن السباء ، إنما كان أبوك سبأ خمر - يعني يبيع الخمر - . ثم رده إلى حبسه ، ثم كتب إليه هشام يأمره بتخليه سبيله في شوال سنة إحدى وعشرين ومائة ، فنزل خالد في قصر إسماعيل بن عبد الله بدوران ، خلف جسر الكوفة ، وخرج يزيد بن خالد وحده ؛ فأخذ على بلاد طيبي ؛ حتى ورد دمشق ، وخرج خالد ومعه إسماعيل والوليد ؛ قد جهزهم عبد الرحمن بن عتبة بن سعيد ابن العاص ، وبعث بالأنفال إلى قصر بني مقاتل ، وكان يوسف قد بعث خيلاً ، فأخذت الزاد والأنفال والإبل وموالي لخالد كانوا فيها ، ففرض وباع

١٨١٣/٢

ما أخذ لهم ، وردّ بعض الموالى إلى الرّقّ ، فقدم خالد قصر بنى مقاتل ؛ وقد أخذ كل شيء لهم ، فسار إلى هيت ، ثم تحمّلوا إلى القرية — وهى بإزاء باب الرّصافة — فأقام بها بقيّة شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم وصفر ؛ لا يأذن لهم هشام فى القدوم عليه ؛ والأبرش يكاتب خالدًا . وخرج زيد بن على فقتل .

١٨١٤/٢

قال الهيثم بن عدى — فيما ذكر عنه — : وكتب يوسف إلى هشام : إن أهل هذا البيت من بنى هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً ؛ حتى كانت حمّة أحدهم قوت عياله ؛ فلما ولى خالد العراق أعطاهم الأموال فقوّوا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة ، وما خرج زيد إلا عن رأى خالد ؛ والدليل على ذلك نزول خالد بالقرية على مدّرجة العراق يستنشى^(١) أخبارها . فسكت هشام حتى فرغ من قراءة الكتاب ، ثم قال للحكم بن حزنّ القينى — وكان على الوفد ، وقد أمره يوسف بتصديق ما كتب به ، ففعل — فقال له هشام : كذبت وكذب منّ أرسلك ؛ ومهما اتّهمنا خالدًا فلسنا نتّهمه فى طاعة ؛ وأمر به فوجئت عنقه . وبلغ الخبر خالدًا فسار حتى نزل دمشق فأقام حتى حضرت الصائفة ، فخرج فيها ومعه يزيد وهشام ابنا خالد بن عبد الله ؛ وعلى دمشق يومئذ كلثوم بن عيسىّ القسرى ، وكان متحاملا على خالد ؛ فلما أدربوا^(٢) ظهر فى دور دمشق حريق ؛ كل ليلة يلقى رجل من أهل العراق يقال له أبو العمرّس وأصحاب له ؛ فإذا وقع الحريق أغاروا يسرقون . وكان إسماعيل بن عبد الله والمنذر بن أسد بن عبد الله وسعيد ومحمد ابنا خالد بالساحل لحدث كان من الروم ؛ فكتب كلثوم إلى هشام يذكر الحريق ، ويخبره أنه لم يكن قط ؛ وأنه عمّل موالى^(٣) خالد ؛ يريدون الوثوب على بيت المال . فكتب إليه هشام يأمره أن يحبس آل خالد ؛ الصغير منهم والكبير ، ومواليهم والنساء ؛ فأخذ إسماعيل والمنذر ومحمد وسعيد من الساحل فقدم بهم فى الجوامع ومَن كان معهم من موالىهم ؛ وحبس أم جرير بنت

١٨١٥/٢

(١) يستنشى الأخبار : يبحث عنها .
(٢) يقال : أدرب القوم ؛ إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم .
(٣) ب : « موال لخالد » .

خالد والرائقة وجميع النساء والصبيان ؛ ثم ظهر على أبي العمرس ؛ فأخذ ومن كان معه . فكتب الوليد بن عبد الرحمن عامل خراج دمشق إلى هشام يخبره بأخذ أبي العمرس ومن كان معه ؛ ساهم رجلا رجلا ، ونسبهم إلى قبائلهم وأمصارهم ، ولم يذكر فيهم أحد من موالى خالد ، فكتب هشام إلى كلثوم يشتبه ويعتقه ، ويأمره بتخلية سبيل جميع من حبس منهم ، فأرسلهم جميعاً واحتبس الموالى رجاء أن يكلمه فيهم خالد إذا قدم من الصائفة . فلما أقبل الناس وخرجوا عن الدرب بلغ خالد حبس أهله ، ولم يبلغه تخليتهم ؛ فدخل يزيد بن خالد في غمار الناس حتى أتى حمص ، وأقبل خالد حتى نزل منزله من دمشق ، فلما أصبح أتاه الناس ، فبعث إلى ابنتيه : زينب وعاتكة ؛ فقال : إني قد كبرت وأحببت أن تلياً خدمتي ؛ فسرّتا بذلك - ودخل عليه إسماعيل أخوه ويزيد وسعيد ابناه ، وأمر بالإذن ، فقامت ابنتاه لتتنحياً ، فقال : وما لهما تتنحيان ، وهشام في كل يوم يسوقهن إلى الحبس ! فدخل الناس ، فقام إسماعيل وابناه دون ابنتيه يسترونهما ، فقال خالد : خرجت غازياً في سبيل الله ؛ سامعاً مطيعاً ، فخلفت في عقيبى ، وأخذ حرّمي وحرّم أهل بيتي ؛ فحبسوا مع أهل الجرائم كما يفعل بأهل الشرك ! فما منع عصابة منكم أن تقوم فتقول : علام حبس حرّم هذا السامع المطيع ! أخفتم أن تقتلوا جميعاً ! أخافكم الله ! ثم قال : مالى وهشام ! ليكفن عني هشام أو لأدعون إلى عراقى الهوى شامى الدار حجازى الأصل - يعنى محمد بن على بن عبد الله ابن عباس - وقد أذنت لكم أن تبتغوا هشاماً . فلما بلغه ما قال ، قال : خريف أبو الهيثم .

١٨١٦/٢

وذكر أبو زيد أن أحمد بن معاوية حدثه عن أبي الخطاب ، قال : قال خالد : أما والله ، لئن ساء صاحب الرضافة - يعنى هشاماً - لننصبن لنا الشامى الحجازى العراقى ، ولو نخر نخرة تداعت من أقطارها .

فبلغت هشاماً ، فكتب إليه : إنك هذآءة هذرة^(١) ، أبيضجيلة القليلة

(١) هذآء بلسانه ، إذا أسمع ما يكره ، والهذر : الكلام الباطل .

الدليلة تهتدّ دني ! قال : فوالله ما نصره أحد بيدٍ ولا بلسان إلاّ رجل من عبس ، فإنه قال :

١٨١٧/٢ أَلَا إِنَّ بَحَرَ الْجُودِ أَصْبَحَ سَاجِيًا أَسِيرَ نَقِيفٍ مُؤْتَقًا فِي السَّلَاسِلِ
فَإِنْ تَسْجُنُوا الْقَسْرَى لَا تَسْجُنُوا اسْمَهُ وَلَا تَسْجُنُوا مَعْرُوفَهُ فِي الْقَبَائِلِ
فأقام خالد ويزيد وجماعة أهل بيته بدمشق ، ويوسف ملحّ على هشام يسأله أن يوجّه إليه يزيد . وكتب هشام إلى كلثوم بن عياض يأمره بأخذ يزيد والبعثة به إلى يوسف ، فوجه كلثوم إلى يزيد خيلاً وهو في منزله ، فشدّ عليهم يزيد ، فأفروا له ، ثم مضى على فرسه ، وجاءت الخيل إلى كلثوم فأخبروه ، فأرسل إلى خالد الغدّ من يوم تنحى يزيد خيلاً ، فدعا خالد بشيابه فلبسها . وتصارخ النساء ، فقال رجل منهم : لو أمرت هؤلاء النسوة فسكن ! فقال : ولم ؟ أمّا والله لولا الطاعة لعلم عبد بنى قسّر أنه لا ينال هذه منى ، فأعلموه مقاتلي ؛ فإن كان عربياً كما يزعم ؛ فليطلب جدّه منى . ثم مضى معهم فحبس في حبس دمشق . وسار إسماعيل من يومه حتى قدم الرصافة على هشام ، فدخل على أبي الزبير حاجبه فأخبره بحبس خالد ، فدخل أبو الزبير على هشام فأعلمه ، فكتب إلى كلثوم يعنّفه ، ويقول : خليت عمّن أمرتك بحبسه ، وحبست من لم أمرك بحبسه . ويأمره بتخليفة سبيل خالد ، فخلّاه . وكان هشام إذا أراد أمراً أمر الأبرش فكتب به إلى خالد ، فكتب الأبرش : إنه بلغ أمير المؤمنين أن عبد الرحمن بن ثويب الضّبيّ - ضينة سعد إخوة عُدّة ابن سعد - قام إليك ، فقال : يا خالد إني لأحبك لعشر خصال : إن الله كريم وأنت كريم ، والله جواد وأنت جواد ، والله رحيم وأنت رحيم ، والله حلیم وأنت حلیم ... حتى عدّ عشرأ ؛ وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن تحقق عنده ذلك ليستحلنّ دَمَك ؛ فاكتب إلى بالأمر على وجهه لأخبر به أمير المؤمنين . فكتب إليه خالد : إن ذلك المجلس كان أكثر أهلاً من أن يجوز لأحد من أهل البغي والفجور أن يحرف ما كان فيه إلى غيره ؛ قام^(١) إلى عبد الرحمن ابن ثويب ، فقال : يا خالد أتى لأحبك لعشر خصال : إن الله كريم يحب

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « قام » .

كلّ كريم ، والله يحبك وأنا أحبك لحبّ الله إياك ؛ حتى عدّ عشر خصال ؛ ولكن أعظم من ذلك قيام ابن شقّي الحميرى إلى أمير المؤمنين ، وقوله : يا أمير المؤمنين ، خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك ؟ فقال أمير المؤمنين : بل خليفتي في أهلى ، فقال ابن شقّي : فأنت خليفة الله ومحمد رسوله ؛ ولعمري لضلالة رجل من بيجيلة إن ضلّ أهون على العامة والخاصة من ضلال أمير المؤمنين . فأقرأ الأبرش هشاماً كتابه ، فقال خنرف أبو الهيثم .

١٨١٩/٢

فأقام خالد بدمشق خلافة هشام حتى هلك ، فلما هلك هشام ، وقام الوليد ، قدم عليه أشراف الأجناد ؛ فيهم خالد ؛ فلم يأذن لأحد منهم . واشتكى خالد ، فاستأذن فأذن له ، فرجع إلى دمشق ، فأقام شهراً ، ثم كتب إليه الوليد : إن أمير المؤمنين قد علّم حال الخمسين الألف ألف ؛ التي تعلم ، فاقدم على أمير المؤمنين مع رسوله ؛ فقد أمره ألاّ يعجلك عن جهاز .

فبعث خالد إلى عدة من ثقاته ؛ منهم عمارة بن أبى كلثم الأزدي ، فأقرأهم الكتاب ، وقال : أشيروا علىّ ؛ فقالوا : إن الوليد ليس بمأمون عليك ؛ فالرأى أن تدخل دمشق ، فتأخذ بيوت الأموال وتدعو إلى من أحببت ؛ فأكثر الناس قومك ؛ ولن يختلف عليك رجلان ، قال : أو ماذا ؟ قالوا : تأخذ بيوت الأموال ، وتقيم حتى تتوثق لنفسك ، قال : أو ماذا ؟ قالوا : أو تتوارى . قال : أما قولكم : تدعو إلى من أحببت ؛ فإني أكره أن تكون الفرقة والاختلاف على يدي ، وأما قولكم : تتوثق لنفسك ؛ فأنتم لا تأمنون علىّ الوليد ؛ ولا ذنب لي ، فكيف ترجون وفاء لي وقد أخذت بيوت الأموال ! وأما التوارى ؛ فوالله ما قنعت رأسي خوفاً من أحد قط ؛ فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت ! لا ، ولكن أمضى وأستعين الله .

فخرج حتى قدم على الوليد ، فلم يدعْ به^(١) ، ولم يكلّمه وهو في بيته^(٢) ؛ معه مواليه وخدمته ، حتى قدّم برأس يحيى بن زيد من خراسان ، فجمع الناس في رواق ، وجلس الوليد ، وجاء الحاجب فوقف ، فقال له خالد : إن حالى ما ترى ؛ لا أقدر على المشى ؛ وإنما أحمل في كرسى ، فقال

١٨٢٠/٢

الحاجب : لا يدخل عليه أحدٌ يُحمَل ، ثم أذن لثلاثة نَقَرَ ، ثم قال : قم يا خالد ، فقال : حالي ما ذكرت لك ، ثم أذن لرجل أو رجلين ؛ فقال : قم يا خالد ، فقال : إن حالي ما ذكرت لك ؛ حتى أذن لعشرة ، ثم قال : قم يا خالد ، وأذن للناس كلهم ، وأمر بخالد فحَمِلَ على كرسية ؛ فدخِلَ به والوليد جالسٌ على سريره ، والموائد موضوعة ، والناس بين يديه سماطان ، وشبّة ابن عقّال — أوعقّال بن شبّة — يخطب ، ورأس يحيى بن زيد منصوب ، فحَمِلَ بخالد إلى أحد السماطين ، فلما فرغ الخطيب قام الوليد وصُرف الناس ، وحَمِلَ خالد إلى أهله ؛ فلما نزع ثيابه جاءه رسول الوليد فردّه ، فلما صار إلى باب السراشق وقف فخرج إليه رسول الوليد ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين : أين يزيد بن خالد ؟ فقال : كان أصابه من هشام ظفر ، ثم طلبه فهرب منه ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى ^(١) استخلفه الله ؛ فلما لم يظهر ظنّنا به ببلاد قومه من السراشة ^(٢) ، وما أوشكه . فرجع إليه الرسول ، فقال : لا ولكنك خلقتك طلباً للفتنة . فقال خالد للرسول : قد علم أمير المؤمنين أنّنا أهل بيت طاعة ، أنا وأبي وجدى — قال خالد : وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول ؛ أنّ الوليد قريب حيث يسمع كلامي — فرجع الرسول ، فقال : يقول لك أمير المؤمنين ؛ لتأتين به أولاً زهقن نفسك . فرفع خالد صوته ، وقال : قل له : هذا أردت ، وعليه كُدرت ؛ والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما لك عنه ؛ فاصنع ما بدا لك ! فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبَسْط عليه ، وقال له : أسمعني صوته ، فذهب به غيلان إلى رَحْلِهِ ، فعذّبه بالسلاسل ، فلم يتكلم ، فرجع غيلان إلى الوليد ، فقال : والله ما أعذب إنساناً ؛ والله ما يتكلم ولا يتأوّه ، فقال : اكْضِفْ عنه واجبسه عندك . فجبسه حتى قدم يوسف بن عمر بمال من العراق ، ثم أداروا الأمر بينهم ، وجلس الوليد للناس ويوسف عنده ؛ فتكلّم ^(٣) أبان بن عبد الرحمن النميري في خالد ، فقال يوسف : أنا اشتريه بخمسين ألف ألف ، فأرسل الوليد إلى خالد : إن يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف ؛ فإن كنت تضمّنها وإلا

١٨٢١/٢

(١) : « حين » .

(٢) ط : « الشراة » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط : « فكلّم » .

دفعْتُك إليه ، فقال خالد : ما عهدت العرب تُباع ؛ والله لو سألتني أن أضمن هذا - ورفع عوداً من الأرض - ما ضمنتُهُ ، فرأيتك .

فدفعه إلى يوسف ، فتنزع ثيابه ودرّعه عباءة ولحفه بأخرى^(١) ، وحمله في حمل بغير وِطاء ، وزميله أبوقحافة المُرّي ابن أخى الوليد بن تليد - وكان عامل هشام على الموصل ، فانطلق به حتى نزل المحدثّة ، على مَرَّحلة من عسكر الوليد . ثم دعا به فذكر أمّه ، فقال : وما ذكر الأمهات لعنك الله ! والله لأكلمك كلمة أبداً . فبسط عليه ، وعذّبه عذاباً شديداً [وهو]^(٢) لا يكلمه كلمة . ثم ارتحل به حتى إذا كان ببعض الطريق بعث إليه زيد بن تميم القينى بشربة سويق حبّ رمّان مع مولى له يقال له سالم النفاط ، فبلغ يوسف فضرب زيداً خمسمائة سوط ، وضرب سالمًا ألف سوط . ثم قدم يوسف الحيرة فدعا به وبإبراهيم ومحمد ابني هشام فبسط على خالد ، فلم يكلمه ، وصبر إبراهيم ابن هشام وخزّيع^(٣) محمد بن هشام . فكثّ خالد يوماً في العذاب ، ثم وُضِعَ على صدره المضرسة فقتله من الليل ، ودفن بناحية الحيرة في عباءته التي كان فيها ، وذلك في المحرم سنة ست وعشرين ومائة في قول الهيثم بن عدى ، فأقبل عامر بن سهلة الأشعريّ فعقر فرسه على قبره ، فضربه يوسف سبعمائة سوط .

١٨٢٢/٢

قال أبو زيد : حدثني أبو نعيم قال : حدثني رجل ، قال : شهدتُ خالداً حين أتى به يوسف ، فدعا بعود فوضع على قدميه ، ثم قامت عليه الرجال حتى كسرت قدماه ؛ فوالله ما تكلم ولا عبس ، ثم على ساقيه حتى كسیرتا ، ثم على فخذه ثم على حَقْوَيْهِ ثم على صدره حتى مات ، فوالله ما تكلم ولا عبس ، فقال خلف بن خليفة لما قتل الوليد بن يزيد :

لَقَدْ سَكَنْتُ كَلْبٌ وَأَسْبَاقُ مَذْجٍ صَدَى كَانَ يَزْفُو لَيْلُهُ غَيْرَ رَاقِدٍ
تَرَكْنِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ مُكِبًّا عَلَى خَيْشُومِهِ غَيْرَ سَاجِدٍ
فَإِنْ تَقَطَّعُوا مِنَّا مَنَاطَ قَلَادَةٍ قَطَعْنَا بِهِ مِنْكُمْ مَنَاطَ قَلَانِدٍ

١٨٢٣/٢

وَلَنْ تَشْغَلُونَا عَنْ نَدَانَا فَلَمَّا شَغَلْنَا الْوَلِيدَ عَنْ غَنَاءِ الْوَلَاتِ
وَلَنْ سَافَرَ الْقَسْرَى سَفَرَةَ هَالِكٍ فَإِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ لَيْسَ بِشَاهِدٍ
وقال حسان بن جعدة الجعفرى يكذب خلف بن خليفة فى قوله هذا :
إِنَّ أَمْرًا يَدْعَى قَتَلَ الْوَلِيدَ سِوَى أَعْمَامِهِ لَمَلَى النَّفْسَ بِالْكَذِبِ
مَا كَانَ إِلَّا أَمْرًا حَانَتْ مِنْبَتُهُ سَارَتْ إِلَيْهِ بَنُو مَرْوَانَ بِالْعَرَبِ
وقال أبو محجن مولى خالد :

سَائِلُ وَلِيدًا وَسَائِلُ أَهْلَ عَسْكَرِهِ غَدَاةٌ صَبَّحَهُ شُؤْبُونَا الْبَرْدُ
هَلْ جَاءَ مِنْ مُضَرٍّ نَفْسٌ فَتَمْنَعُهُ وَالْخَيْلُ تَحْتَ عَجَاجِ الْمَوْتِ تَطْرُدُ
مَنْ يَهْجُنَا جَاهِلًا بِالشَّعْرِ نَنْقُضُهُ بِالْبَيْضِ إِنَّا بِهَا نَهْجُو وَنَفْتُنْدُ
وقال نصر بن سعيد الأنصارى :

أَبْلَغُ يَزِيدَ بَنَى كَرْزٍ مُغْلَقَةً أَنَى شَفِيتُ بِغَيْبِ غَيْرِ مَوْتُورٍ
قَطَعْتَ أَوْصَالَ قَنُورٍ عَلَى حَقِّ بَصَارِمٍ مِنْ سُيُوفِ الْهِنْدِ مَأْثُورٍ
أَمْسَتْ حَلَاتِلُ قَنُورٍ مُجْدَعَةٌ لِمَضْرَعِ الْعَبْدِ قَنُورِ بْنِ قَنُورٍ
ظَلَّتْ كِلَابُ دِمَشْقٍ وَهَى تَنْهَشُهُ كَأَنَّ أَعْضَاءَهُ أَعْضَاءُ خَنْزِيرٍ
غَادَرْنَ مِنْهُ بَقَايَا عِنْدَ مَضْرَعِهِ أَنْقَاضُ شِلْدٍ عَلَى الْأَطْنَابِ مَجْرُورٍ
حَكَمْتَ سَيْفَكَ إِذْ لَمْ تَرْضَ حَكْمَهُمْ وَالسَّيْفُ يَحْكُمُ حَكْمًا غَيْرَ تَعْدِيرٍ
لَا تَرْضَ مِنْ خَالِدٍ إِنْ كُنْتَ مُتَثَرًا إِلَّا بِكُلِّ عَظِيمِ الْمُلْكِ مَشْهُورٍ
أَسْعَزْتَ مُلْكَ نِزَارٍ ثُمَّ رُعْتَهُمْ بِالْخَيْلِ تَرْكُضُ بِالشَّمِّ الْمَغَاوِيرِ
مَا كَانَ فِي آلِ قَنُورٍ وَلَا وَلَدُوا عَذْلًا لِبَدْرِ سَمَاءِ سَاطِعِ النُّورِ

[ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص]

وفى هذه السنة ببيع ليزيد بن الوليد بن عبد الملك ؛ الذى يقال له يزيد الناقص ؛ وإنما قيل : يزيد الناقص لتقصه الناس الزيادة التى زادهموها الوليد

ابن يزيد في أعطيائهم ؛ وذلك عشرة عشرة ، فلما قتل الوليد نقصهم تلك الزيادة ؛ وردّ أعطيائهم إلى ما كانت عليه أيام هشام بن عبد الملك .
وقيل : أول من سماه بهذا الاسم مروان بن محمد ، حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا علي بن محمد ، قال : شتم مروان بن محمد يزيد بن الوليد فقال : الناقص بن الوليد ؛ (١) فسماه الناس ، الناقص لذلك .

* * *

[ذكر اضطراب أمر بني مروان]

وفي هذه السنة اضطرب جبل بني مروان وهاجت الفتنة .

• ذكر الخبر عما حدث فيها من الفتن :

فكان في ذلك وثوب سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد ما قتل الوليد بن يزيد بعمّان . فحدثني أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد قال : لما قتل الوليد خرج سليمان بن هشام من السجن ، وكان محبوساً بعمّان ، فأخذ ما كان بعمّان من الأموال ، وأقبل إلى دمشق ، وجعل يلعن الوليد ويعيبه بالكفر .

* * *

[ذكر خلاف أهل حمص]

وفيهما كان وثوب أهل حمص بأسباب العباس بن الوليد وهدمهم داره وإظهارهم الطلب بدم الوليد بن يزيد .
• ذكر الخبر عن ذلك :

١٨٢٦/٢

حدثني أحمد بن علي ، قال : كان مروان بن عبد الله بن عبد الملك عاملاً للوليد على حمص ، وكان من سادة بني مروان نبلاً وكرماً وعقلاً وجمالاً ، فلما قتل الوليد بلغ أهل حمص قتله ، فأغلقوا أبوابها ، وأقاموا النوائح والبواكي على الوليد ، وسألوا عن قتله ، فقال بعض من حضرهم : مازلنا منتصفين من القوم قاهرين لهم ؛ حتى جاء العباس بن الوليد ، قال إلى عبد العزيز بن الحجاج . فوثب أهل حمص فهدموا دار العباس وانهبوا وسلبوا حرّمه ، وأخذوا بنيّه فحبسوه وطلبوه . فخرج إلى يزيد بن الوليد . وكاتبوا الأجناد ، ودعّوهم إلى الطلب بدم الوليد ؛ فأجابوهم . وكتب أهل

حمص بينهم كتاباً؛ ألاّ يدخلوا في طاعة يزيد ؛ وإن كان وليّاً عهد الوليد حين قاموا بالبيعة لهما ولا جعلوها لخير من يعلمون؛ على أن يعطيهم العطاء من الحرم إلى الحرم ، ويعطيهم للذرية . وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حصين ، فكتب إلى مروان بن عبد الله بن عبد الملك وهو بحمص في دار الإمارة ، فلما قرأه قال : هذا كتاب حضرة من الله حاضر . وتابعهم على ما أرادوا .

١٨٢٧/٢

فلما بلغ يزيد بن الوليد خبرهم ، وجه إليهم رسلاً فيهم يعقوب بن هاني ، وكتب إليهم : إنه ليس يدعو إلى نفسه ، ولكنه يدعوهم إلى الشورى . فقال عمرو بن قيس السكوني : رضينا بوليّ عهدنا - يعني ابن الوليد بن يزيد - فأخذ يعقوب بن عمير بلحيته ، فقال : أيها العشمة ، إنك قد فيلت^(١) وذهب عقلك ؛ إن الذي تعني لو كان يتيماً في حجرك لم يحلّ لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أمر الأمة ! فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم . وكان أمر حمص لمعاوية بن يزيد بن حصين ، وليس إلى مروان بن عبد الله من أمرهم شيء ، وكان معهم السّمط بن ثابت ، وكان الذي بينه وبين معاوية بن يزيد متباعداً . وكان معهم أبو محمد السفيفي فقال لهم : لو قد أتيت دمشق ، ونظر إلى أهلها لم يبالقوني^(٢) . فوجه يزيد بن الوليد مسروراً ابن الوليد والوليد بن رّوح في جمع كبير ، فنزلوا حواريين ، أكثرهم بنو عامر من كلب . ثم قدم على يزيد سليمان بن هشام فأكرمه يزيد ، وتزوج أخته أم هشام بنت هشام بن عبد الملك ، وردّ عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم ، ووجهه إلى مسرور بن الوليد والوليد بن رّوح ، وأمرهما بالسمع والطاعة له . وأقبل أهل حمص فنزلوا قرية لخالد بن يزيد بن معاوية .

١٨٢٨/٢

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبي ، قال : حدثني عمرو بن محمد ويحيى بن عبد الرحمن البهراقي ، قال : قام مروان بن عبد الله ، فقال : يا هؤلاء ؛ إنكم خرجتم لجهاد عدوكم والطلب

(١) شيخ عشة ؛ أي كبير هرم يابس من الهزال . يقال : فال الرجل وفيل (بتشديد الياء) ؛ إذا لم يصب فيه . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « وأنظر إلى أهلها لم تخالفني » .

بدم خليفتم ، وخرجتم مخرجاً أرجو أن يُعظيم الله به أجركم ، ويحسن عليه ثوابكم ، وقد نجم لكم منهم قرْن ، وشال إليكم منهم عشقٌ ، إن أنتم قطعتموه اتبعه ما بعده ، وكنتم عليه أخرى ، وكانوا عليكم أهون ، ولست أرى المضي إلى دمشق وتخليف هذا الجيش خلفكم . فقال السَّمط : هذا والله العدو القريب الدار ؛ يريد أن ينقض جماعتكم ؛ وهو مُمَّائِل للقَدْرِيَّة . قال : فوثب الناس على مروان بن عبد الله فقتلوه وقتلوا ابنه ، ورفعوا رأسيهما للناس ؛ وإنما أراد السَّمط بهذا الكلام خلاف معاوية بن يزيد ، فلما قُتِل مروان بن عبد الله ولَّوا عليهم أبا محمد السفيناني ، وأرسلوا إلى سليمان بن هشام : إنا آتوك فأقيم بمكانك ؛ فأقام . قال : فتركوا عسكر سليمان ذات اليسار ، ومضوا إلى دمشق ، وبلغ سليمان مضيتهم ، فخرج مُغِذّاً ، فلقبهم بالسليمانية — مزرعة كانت لسليمان بن عبد الملك خلف عذراء من دمشق على أربعة عشر ميلاً .

قال علي : فحدثني عمرو بن مروان بن بشَّار والوليد بن علي ، قالوا : لما بلغ يزيد أمر أهل حِمَص دعا عبد العزيز بن الحجاج ، فوجهه في ثلاثة آلاف ، وأمره أن يثبت على ثنية العقاب ، ودعا هشام بن مصاد ، فوجهه في ألف وخمسمائة ، وأمره أن يثبت على عقبة السلامة ، وأمرهم أن يُعِدَّ بعضهم بعضاً .

قال عمرو بن مروان : فحدثني يزيد بن مَصَّاد ، قال : كنت في عسكر سليمان ، فلحقنا أهل حِمَص ، وقد نزلوا السليمانية ، فجعلوا الزيتون على أيمانهم ، والجبل على شمائلهم ، والجباب خلفهم ؛ وليس عليهم مأتى إلا من وجه واحد ، وقد نزلوا أول الليل ، فأراحوا دوابهم ، وخرجنا نسرى ليلتنا كلها ، حتى دفعنا إليهم ؛ فلما متع^(١) النهار واشتد الحر ، ودوابنا قد كَلَّت وثقل علينا الحديد ، دنوت من مسرور بن الوليد ، فقلت له — وسليمان يسمع كلامي : أنشدك الله يا أبا سعيد أن يُقدِّم الأمير جندَه إلى القتال في هذه الحال ! فأقبل سليمان فقال : يا غلام ، اصبر نفسك ، فوالله لا أنزل حتى يقضى الله

١٨٢٩/٢

بني وبينهم ما هو قاض . فتقدم وعلى ميمته الطفيل بن حارثة الكلبي ، وعلى ميسرته الطفيل بن زرارة الحبشي ، فحملوا علينا حملة ، فانهزمت الميمنة والميسرة أكثر من غلوتين ، وسليمان في القلب لم يزل من مكانه ؛ ثم حمل عليهم أصحاب سليمان حتى ردوهم إلى موضعهم ؛ فلم يزالوا يحملون علينا ونحمل عليهم مراراً ، فقتل منهم زهاء مائتي رجل ، فيهم حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ، وأصيب من أصحاب سليمان نحو من خمسين رجلاً ، وخرج أبو الهلباء البهراني — وكان فارس أهل حمص — فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه حية بن سلامة الكلبي فطعنه طعنة أذراه عن فرسه ، وشد عليه أبو جعدة (مولي لقريش من أهل دمشق) فقتله ، وخرج ثيب ابن يزيد البهراني ، فدعا إلى المبارزة ، فخرج إليه إيراك السغداني ؛ من أبناء ملوك السغد كان منقطعاً إلى سليمان بن هشام — وكان ثيب قصيراً ، وكان إيراك جسيماً — فلما رآه ثيب قد أقبل نحوه استطرد ، فوقف إيراك ورماه بسهم فأثبت^(١) عضلة ساقه إلى لبده . قال : فيينا هم كذلك إذ أقبل عبد العزيز من ثنية العققاب ، فشد عليهم ، حتى دخل عسكرهم فقتل ونفذ إلينا .

١٨٣٠/٢

[قال أحمد^(٢)] : قال علي : قال عمرو بن مروان : فحدثني سليمان بن زياد الغساني قال : كنت مع عبد العزيز بن الحجاج ؛ فلما عاين عسكر أهل حمص ، قال لأصحابه : موعدكم التل الذي في وسط عسكرهم ؛ والله لا يتخلف منكم أحد إلا ضربت عنقه . ثم قال لصاحب لوائه : تقدم ، ثم حمل وحملنا معه ؛ فما عرض لنا أحد إلا قتل حتى صرنا على التل ، فتصدع^(٣) عسكرهم ، فكانت هزيمتهم ، ونادى يزيد بن خالد بن عبد الملك القسري : الله الله في قومك ! فكف الناس ، وكره ما صنع سليمان وعبد العزيز ؛ وكاد يقع الشر بين الذكوانية وسليمان وبين بني عامر من كلب ، فكفوا عنهم ؛ على أن يبائعوا ليزيد ابن الوليد . وبعث سليمان بن هشام إلى أبي محمد السفيناني ويزيد خالد بن يزيد بن معاوية فأخذا ، فرّ بهما على الطفيل بن حارثة ، فصاحا به : يا خاله ! ننشدك الله والرحم ! فضى معهما إلى سليمان فحبسهما ، فعاف

(١) أثبت ، أي أصابه . (٢) من أ . (٣) ط : « فصدع » ، وما أثبت من أ .

بنو عامر أن يقتلتهما ، فجاءت جماعة منهم ؛ فكانت معهما في الفسطاط ، ثم وجهتهما إلى يزيد بن الوليد ، فحبسهما في الخضرَاء مع ابني الوليد ، وحبس أيضاً يزيد بن عثمان بن محمد بن أبي سفيان ؛ خال عثمان بن الوليد معهم . ثم دخل سليمان وعبد العزيز إلى دمشق ؛ ونزلا بعذراء . واجتمع أمر أهل دمشق ، وبايعوا يزيد بن الوليد ، وخرجوا إلى دمشق وحمص وأعطاهم يزيد العطاء ، وأجاز الأشراف منهم معاوية بن يزيد بن الحصين والسَّمط بن ثابت وعمرو بن قيس وابن حَوَّيٍّ والصقر بن صفوان ؛ واستعمل معاوية بن يزيد بن حصين من أهل حمص ، وأقام الباقون بدمشق ، ثم ساروا إلى أهل الأردن وفلسطين وقد قتل من أهل حمص يومئذ ثلثمائة رجل .

١٨٣١/٢

[ذكر خلاف أهل الأردن وفلسطين]

وفي هذه السنة وثب أهل فلسطين والأردن على عاملهم فقتلوه^(١) .

• ذكر الخبر عن أمرهم وأمر يزيد بن الوليد معهم :

حدثني أحمد ، عن علي بن محمد ، عن عمرو بن مروان الكلبي ، قال : حدثني رجاء بن رَوْح بن سلامة بن رَوْح بن زُبَاع ، قال : كان سعيد بن عبد الملك عاملاً لوليد على فلسطين ، وكان حسن السيرة ، وكان يزيد بن سليمان سيده ولد أبيه ، وكان ولد سليمان بن عبد الملك ينزلون فلسطين ، فكان أهل فلسطين يحبونهم لحوارهم ؛ فلما أتى قتل الوليد — ورأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن رَوْح بن زُبَاع — كتب إلى يزيد بن سليمان : إن الخليفة قد قَتَلَ فاقدم علينا نولك أمرنا . فجمع له سعيد قومه ، وكتب إلى سعيد بن عبد الملك — وهو يومئذ نازل بالسبع : ارتحل عنا ، فإن الأمر قد اضطرب ؛ وقد ولينا أمرنا رجلاً قد رضيّا أمره . فخرج إلى يزيد بن الوليد ، فدعا يزيد ابن سليمان أهل فلسطين إلى قتال يزيد بن الوليد ، وبلغ أهل الأردن أمرهم ، فولّوا عليهم محمد بن عبد الملك — وأمر أهل فلسطين إلى سعيد بن رَوْح وضيعان بن رَوْح — وبلغ يزيد أمرهم ، فوجه إليهم سليمان بن هشام في أهل دمشق وأهل حمص الذين كانوا مع السفينائي .

(١) من نسخة على حاشية ١ : « فطردوه » .

قال عليّ: قال عمرو بن مروان: حدثني محمد بن راشد الخزاعي أنّ أهل دمشق كانوا أربعة وثمانين ألفاً، وسار إليهم سليمان بن هشام. قال محمد بن راشد: وكان سليمان بن هشام يرسلني إلى ضُبَيْعَانَ وسعيد ابني رَوْح وإلى الحكمم وراشد ابني جِرو من بَلْتَقِينَ، فأعِدُّهُمْ وأمنِّيهم على الدخول في طاعة يزيد بن الوليد، فأجابوا.

قال: وحدثني عثمان بن داود الخولانيّ، قال: وجهني يزيد بن الوليد ومعى حذيفة بن سعيد إلى محمد بن عبد الملك ويزيد بن سليمان، يدعوهما إلى طاعته، ويعدهما ويمنّيهما، فبدأنا بأهل الأردنّ ومحمد بن عبد الملك، فاجتمع إليه جماعة منهم؛ فكلّمته فقال بعضهم: أصّح الله الأمير! (١) اقبل هذا القدريّ الخبيث، فكفهم عن الحكم بن جرو القتيبي. فأقيمت الصلاة فخلوتُ به، فقلت: إني رسول يزيد إليك، والله ما تركت ورأى راية تُعَقَدُ إلّا على رأس رجل من قومك، ولا درهم يخرج من بيت المال إلّا في يد رجل منهم؛ وهو يحمل لك كذا وكذا. قال: أنت بذاك؟ قلت: نعم؛ ثم خرجت فأتيت ضُبَيْعَانَ بن رَوْح، فقلت له مثل ذلك، وقلت له: إنه يوليكم فلسطين ما بقي، فأجابني فانصرفت، فما أصبحت حتى رحل بأهل فلسطين.

حدثني أحمد، عن عليّ، عن عمرو بن مَرْوَانَ الكلابيّ، قال: سمعتُ محمد بن سعيد بن حسان الأردنيّ، قال: كنت عيّناً ليزيد بن الوليد بالأردنّ، فلما اجتمع له ما يريد ولّاني خراج الأردنّ، فلما خالفوا يزيد بن الوليد أتيت سليمان بن هشام، فسألته أن يوجهه معي خيلاً، فأشنّ الغارة على طَبْرِية، فأبى سليمان أن يوجهه معي أحداً، فخرجت إلى يزيد بن الوليد، فأخبرته الخبر، فكتب إلى سايمان كتاباً بخطه، يأمره أن يوجه معي ما أردت؛ فأتيت به سليمان، فوجه معي مسلم بن ذَكْوَانَ في خمسة آلاف، فخرجت بهم ليلاً حتى أنزلتهم البطيحة، ففترقوا في القرى، وسرت أنا في طائفة منهم نحو طَبْرِية، وكتبوا إلى عسكرهم، فقال أهل طَبْرِية: علام نقيم والجنود تجوس منازلنا وتحكم في أهاليها! ومضوا إلى حجرة يزيد بن سليمان ومحمد بن عبد الملك،

(١-١) ط: «أقبل هذا القتي، أقيمت»، والصواب ما أثبتته من أ.

فانتهبوهما وأخذوا دوابَّهما وسلاحهما ، ولحقوا بقراهم ومنازلهم ؛ فلما تفرق أهل فلسطين والأردن ، خرج سليمان حتى أتى الصَّنبرة ، وأتاه أهل الأردن ، فبايعوا يزيد بن الوليد ؛ فلما كان يوم الجمعة وجّه سليمان إلى طَبْرِية ، وركب مركباً في البحيرة ، فجعل يسايرهم حتى أتى طَبْرِية ، فصلى بهم الجمعة ، وبايع من حضر ثم انصرف إلى عسكره .

حدثني أحمد ، قال : حدثنا علي ، عن عمرو بن مَرْوَانَ الكلبي ، قال : حدثني عثمان بن داود ، قال : لما نزل سليمان الصَّنبرة ، أرسلني إلى يزيد بن الوليد ، وقال لي : أعلمه أنك قد علمت جفاء أهل فلسطين ، وقد كفى الله مئونتهم ، وقد أزمعت على أن أولّي ابن سَراقة فلسطين والأسود بن بلال المحاربيّ الأردن . فأتيت يزيد ، فقلت له ما أمرني به سليمان ، فقال : أخبرني كيف قلت لضبَّعان بن رَوْح ؟ فأخبرته ، قال : فما صنع ؟ قلت : ارتحل بأهل فلسطين ، وارتحل ابن جِبرو بأهل الأردن قبل أن يُصْبِحَا . قال : فليسا بأحقّ بالوفاء منا ، ارجع فمرّه ألا ينصرف حتى ينزل الرَّمْلة ، فبايع أهلها ، وقد استعملت إبراهيم بن الوليد على الأردن وضبَّعان بن رَوْح على فلسطين ومسرورين الوليد على قنَّسرين وابن الحصين على حِمص .

١٨٣٤/٢

ثم خطب يزيد بن الوليد بعد قَتْل الوليد ، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم .

أيها الناس ؛ إني والله ما خرجتُ أشراً ولا بطراً ولا حرصاً على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطرأ نفسي ؛ إني لظلوم لنفسي إن لم يرحمني ربي ^(١) ؛ ولكني خرجتُ غضباً لله ورسوله ودينه ، داعياً إلى الله وكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ؛ لما هدمت معالم الهدى ، وأطعن نور أهل التقوى ^(٢) ، وظهر الجبار العنيد ، المستحل لكل حرمة ، والراكب لكل بدعة ؛ مع أنه والله ما كان يصدق بالكتاب ، ولا يؤمن بيوم الحساب ؛ وإنه لابنُ عمي في الحسب ، وكفيتي في النسب ^(٣) ؛ فلما رأيتُ ذلك استخرت الله في أمره ، وسألته ألا يكلني إلى

(١) البيان : « وإني لظلوم لها ، ولقد خمرت إن لم يرحمني ربي » .

(٢) البيان : « نور الحق » . (٣) البيان : « لابن عمي في النسب ، وكفيتي في الحسب » .

نفسى ، ودعوت إلى ذلك مَن أجنبي من أهل ولايتى ، وسعيت فيه حتى أراح الله منه العباد والبلاد بحول الله وقوته ، لا بحولى وقوتى .

أيتها الناس ، إن لكم علىّ ألاّ أضع حجراً على حجر ، ولا لبينة على لبينة ؛ ولا أكرى^(١) نهراً ، ولا أكثير^(٢) مالا ، ولا أعطيه زوجة ولا ولدا ، ولا أنقل مالا من بلدة إلى بلدة حتى أسدّ ثغر ذلك البلد وخصاصة^(٣) أهله بما يُعينهم ؛ فإن فضل فضل^(٤) نقلته إلى البلد الذى يليه ؛ ممن هو أحوج إليه ؛ ولا أجمركم فى ثغوركم فأفتنكم وأفتن أهليكم ؛ ولا أغلق بابى دونكم ؛ فياً كل قويتكم ضعيفكم ، ولا أحمل على أهل جزيتكم ما يُجلبهم عن بلادهم ويقطع نسلهم ؛ وإنّ لكم أعطياتكم عندي فى كل سنة وأرزاقكم فى كل شهر ؛ حتى تستدرّ المعيشة بين المسلمين ، فيكون أقصاهم كأدناهم ، فإن وفيت لكم بما قلت ؛ فعليكم السمع والطاعة وحسن المؤازرة ، وإن أنا لم أف فلکم أن تخلعوني ؛ إلا أن تستيبوني ؛ فإن تبت قبلتم منى ، فإن علمتم أحداً ممن يُعرف بالصلاح يُعطيه من نفسه مثل ما أعطيتكم فأردتم أن تباعوه ؛ فأنا أول مَن يبايعه ، ويدخل فى طاعته .

١٨٣٥/٢

أيتها الناس ، إنه لا طاعة للمخلوق فى معصية الخالق ، ولا وفاء له بنقض عهد ؛ إنما الطاعة طاعة الله ؛ فأطيعوه بطاعة الله ما أطاع ، فإذا عصى الله ودعا إلى المعصية ؛ فهو أهل أن يُعصى ويُقتل . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم^(٥) .

ثم دعا الناس إلى تجديد البيعة له ، فكان أول مَن بايعه الأفقم يزيد بن هشام . وبايعه قيس بن هانىء العبسى ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اتق الله ، ودمّ على ما أنت عليه ، فما قام مقامك أحدٌ من أهل بيتك ؛ وإن قالوا : عمر بن عبد العزيز فأنت أخذتها بجبل صالح ، وإن عمر أخذها بجبل سوء . فبلغ مروان بن محمد قوله ، فقال : ما له قاتله الله ذمنا جميعاً ودمّ عمر !

١٨٣٦/٢

(١) كرى النهر : احتقره .

(٢) البيان : « ولا أكثّر » .

(٣) الخصاصة : الفقر .

(٤) ط : « فضلة » .

(٥) الخطبة أو ردها الجاحظ فى البيان والتبيين ٢ : ١٤١ ، ١٤٢ .

فلما ولي مروان بعث رجلاً ، فقال : إذا دخلتَ مسجد دمشق فانظر قيس ابن هاني ، فإنه طالما صلتى فيه ، فاقتله ؛ فانطلق الرجل ، فدخل مسجد دمشق ، فرأى قيساً يصلى فقتله .

* * *

وفى هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن عمر عن العراق وولاها منصور بن جُمهور .

ذكر الخبر عَنّ عزل يوسف بن عمر ولاية منصور بن جُمهور : ولما استوثق ليزيد بن الوليد على الطاعة أهل الشام ، ندب — فيما قيل — لولاية العراق عبد العزيز بن هارون بن عبد الله بن دحية بن خليفة الكلبي ، فقال له عبد العزيز : لو كان معي جند لقبلت ، فتركه وولاها منصور بن جُمهور .

وأما أبو مخنف ، فإنه قال — فيما ذكر هشام بن محمد عنه : قتل الوليد ابن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء ، لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وبابع الناس يزيد بن الوليد بن عبد الملك بدمشق ، وسار منصور بن جُمهور من البصرة في اليوم الذي قتل فيه الوليد بن يزيد إلى العراق ، وهو سابع سبعة ، فبلغ خبره يوسف بن عمر فهرب . وقدم منصور بن جُمهور الحيرة في أيام ختلون من رجب ، فأخذ بيوت الأموال ، فأخرج العطاء لأهل العطاء والأرزاق ، واستعمل حرّيث بن أبي الجهم على واسط ، وكان عليها محمد بن نُبّاة ، فطرقه ليلاً فحبسه وأوثقه ، واستعمل جرير بن يزيد بن يزيد بن جرير على البصرة ، وأقام منصور وولّى العمال ، وبابع ليزيد بن الوليد بالعراق ، وفي كورها ، وأقام بقيّة رجب وشعبان ورمضان ، وانصرف لأيام بقيّين منه .

١٨٣٧/٢

وأما غير أبي مخنف فإنه قال : كان منصور بن جُمهور أعرابياً جافياً غيّلاً نبياً ، ولم يكن من أهل الدّين ؛ وإنما صار مع يزيد لرأيه في الغيّلانبة ، وحميّة لقتل خالد ، فشهد لذلك قتل الوليد ، فقال يزيد له لما ولاه العراق : قد وليتُك العراق فسر إليه ، واتق الله ، واعلم أنّي إنما قتلت الوليد لفسقه

ولمّا أظهر من الجور ؛ فلا ينبغي لك أن تركب مثل ما قتلناه عليه . فدخل على يزيد بن الوليد يزيد بن حجرة الغساني - وكان ديتاً فاضلاً ذا قدر في أهل الشام ، قد قاتل الوليد ديانة - فقال : يا أمير المؤمنين ، أوليت منصوراً العراق ؟ قال : نعم ، لبلائه وحسن معونته ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ إنه ليس هناك في أعرابيتته وجفائه في الدين . قال : فإذا لم أول منصوراً في حسن معاونته فمن أولي ؟ قال : تولي رجلاً من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات ، والعلم بالأحكام والحدود ؛ ومالي لا أرى أحداً من قيس يغشاك ، ولا يقف ببابك ! قال : لولا أنه ليس من شأني سفك الدماء لعاجلت قيساً ؛ فوالله ما عزت إلاّ ذلّ الإسلام .

ولما بلغ يوسف بن عمر قتل الوليد ، جعل يعمد إلى من بحضرته من اليمانية فيلقبهم في السجون ، ثم جعل يخلو بالرجل بعد الرجل من المضريّة ، فيقول له : ما عندك إن اضطرب جمل أو انفتق فتق ؟ فيقول : أنا رجل من أهل الشام ، أبايع من بايعوا ، وأفعل ما فعلوا . فلم ير عندهم ما يحب ، فأطلق من في السجون من اليمانية ، وأرسل إلى الحجاج بن عبد الله البصري ومنصور ابن نصير - وكانا على خير ما بينه وبين أهل الشام - فأمرهما بالكتاب إليه بالخبر ، وجعل على طريق الشام أرسادا ، وأقام بالحيرة وجلا . وأقبل منصور حتى إذا كان بالجمع ؛ كتب إلى سليمان بن سليم بن كيسان كتاباً :

أما بعد ، فإن الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم ؛ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له ؛ وإن الوليد بن يزيد بدّل نعمة الله كفوّاً ، فسفك الدماء ، فسفك الله دمه ، وعجّله إلى النار ! وولى خلافته من هو خير منه ، وأحسن هديّاً ؛ يزيد بن الوليد ، وقد بايعه الناس ، وولّي على العراق الحارث بن العباس بن الوليد ، ووجهي العباس لآخذ يوسف وعماله ، وقد نزل الأبيض ، ورأى على مرحلتين ؛ فخذ يوسف وعماله ، لا يفوتنك منهم أحد ، فاحبسهم قبلك . وإياك أن تخالف ، فيحلّ بك وبأهل بيتك ما لا قبيل لك به ؛ فاختر (١) لنفسك أو دَع .

وقيل إنه لما كان بعين التَّمَر كُتِبَ إلى مَنّ بالحيرة من قَوَادِ أَهْلِ الشَّام يُخْبِرُهُم بِقَتْلِ الْوَلِيدِ ، وَيَأْمُرُهُم بِأَخْذِ يَوْسُفَ وَعَمَالِهِ . وَبَعَثَ بِالْكَتَبِ كُلِّهَا إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْمٍ بْنِ كَيْسَانَ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَفْرِقَهَا عَلَى الْقَوَادِ ، فَأَمْسَكَهَا سُلَيْمَانُ ، وَدَخَلَ عَلَى يَوْسُفَ ، فَأَقْرَأَهُ كِتَابَ مَنْصُورٍ إِلَيْهِ ، فَجَبَلَ بِهِ ^(١) .

١٨٣٩/٢

قَالَ حُرَيْثُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ : كَانَ مَكْنَى بِوَاسِطَ ، فَهَا شَعَرْتُ إِلَّا بِكِتَابِ مَنْصُورِ بْنِ جَمْهُورٍ قَدْ جَاءَنِي أَنْ خَذَ عَمَالَ يَوْسُفَ ، فَكُنْتُ أَتَوَلَّى أَمْرَهُ بِوَاسِطَ ، فَجَمَعْتُ مَوَالِيَّ وَأَصْحَابِي ، فَرَكَبْنَا نَحْوًا مِنْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا فِي السَّلَاحِ ؛ فَأَتَيْنَا الْمَدِينَةَ ، فَقَالَ الْبَوَابُونَ : مَنّ أَنْتَ ؟ قُلْتُ : حُرَيْثُ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ ، فَقَالُوا : نَقَسِمُ بِاللَّهِ مَا جَاءَ بِحُرَيْثٍ إِلَّا أَمْرٌ مَهْمٌ ؛ فَفَتَحُوا الْبَابَ فَدَخَلْنَا ، فَأَخَذْنَا الْعَامِلَ فَاسْتَسْلَمَ ، وَأَصْبَحْنَا فَأَخَذْنَا الْبَيْعَةَ مِنَ النَّاسِ لِيَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ .

قَالَ : وَذَكَرَ عَمْرُ بْنُ شَجْرَةَ أَنَّ عَمْرُو بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ الْقَاسِمِ كَانَ عَلَى السُّنْدِ ، فَأَخَذَ مُحَمَّدُ بْنُ غَزَّانٍ - أَوْ عِزَّانٍ - الْكَلْبِيَّ ، فَضْرَبَهُ وَبَعَثَ بِهِ إِلَى يَوْسُفَ ، فَضْرَبَهُ وَأَلْزَمَهُ مَالًا عَظِيمًا يُؤَدِّي مِنْهُ فِي كُلِّ جَمْعَةٍ نَجْمًا ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ ضَرِبَ خَمْسَةَ وَعَشْرِينَ سَوْطًا ، فَجَفَّتْ يَدُهُ وَبَعْضُ أَصَابِعِهِ ، فَلَمَّا وَلَّى مَنْصُورُ ابْنَ جَمْهُورٍ الْعِرَاقَ وَلَاةَ السُّنْدِ وَسَجِسْتَانَ ، فَأَتَى سَجِسْتَانَ فَبَايَعَ لِيَزِيدَ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى السُّنْدِ ، فَأَخَذَ عَمْرُو بْنَ مُحَمَّدٍ ، فَأَوْثَقَهُ وَأَمَرَ بِهِ حَرَسًا يَحْرُسُونَهُ ، وَقَامَ إِلَى الصَّلَاةِ ، فَتَنَاولَ عَمْرُو سَيْفًا مَعَ الْحَرَسِ ، فَاتَّكَأَ عَلَيْهِ مَسْلُولًا حَتَّى خَالَطَ جُوفَهُ ، وَتَصَابَحَ النَّاسُ ؛ فَخَرَجَ ابْنُ غَزَّانٍ فَقَالَ : مَا دَعَاكَ إِلَى مَا صَنَعْتَ ؟ قَالَ : خَفْتُ الْعَذَابَ ، قَالَ : مَا كُنْتَ أَبْلَغَ مِنْكَ مَا بَلَغْتَهُ مِنْ نَفْسِكَ . فَلَبِثَ ثَلَاثًا ثُمَّ مَاتَ ، وَبَايَعَ ابْنُ غَزَّانٍ لِيَزِيدَ ؛ فَقَالَ يَوْسُفُ بْنُ عَمْرِو لِسُلَيْمَانَ بْنِ سُلَيْمٍ بْنِ كَيْسَانَ الْكَلْبِيَّ حِينَ أَقْرَأَهُ كِتَابَ مَنْصُورِ بْنِ جَمْهُورٍ : مَا الرَّأْيُ ؟ قَالَ : لَيْسَ لَكَ إِمَامٌ تَقَاتِلُ مَعَهُ ، وَلَا يَقَاتِلُ أَهْلَ الشَّامِ الْحَارِثُ بْنُ الْعَبَّاسِ مَعَكَ ، وَلَا آمَنَ عَلَيْكَ مَنْصُورُ بْنُ جَمْهُورٍ إِنْ قَدِمَ عَلَيْكَ ، وَمَا الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تَلْحَقَ بِشَأْمِكَ ؛ قَالَ : هُوَ رَأْيِي ، فَكَيْفَ الْحِيلَةُ ؟ قَالَ : تَظْهَرُ الطَّاعَةُ

١٨٤٠/٢

(١) بمل به ؛ أى تبرم فلم يدر ما يصنع ، والبعل : الضجر والتبرم بالشئ .

ليزيد ، وتدعو له في خطبتك ؛ فإذا قرب منصور وجهته معك من أثق به .
فلما نزل منصور بحيث يصبغ الناس ^(١) البلد ، خرج يوسف إلى منزل سليمان بن
سليم ، فأقام به ثلاثاً ، ثم وجهه معه من أخذ به طريق السماء حتى صار إلى
البلقاء .

وقد قيل إن سليمان قال له : تستخني وتدع منصوراً والعمل ، قال : فعند
من ؟ قال : عندي ، وأضعك في ثقة ؛ ثم مضى سليمان إلى عمرو بن محمد
ابن سعيد بن العاص ، فأخبره بالأمر ، وسأله أن يؤوى يوسف ، وقال :
أنت امرؤ من قريش ، وأخوالك بكر بن وائل ؛ فأواه . قال عمرو : فلم أر
رجلاً كان مثل عتوه رعب رعبه ؛ أتيت به بخرارية نفيسة ، وقلت : تدفئه
وتطيب نفسه ، فوالله ما قربها ولا نظر إليها ، ثم أرسل إلى يوماً فأتيته ، فقال :
قد أحسنت وأجملت ؛ وقد بقيت لي حاجة ، قلت : هاتها ، قال : تخرجني
من الكوفة إلى الشام ، قلت : نعم . وصحبنا منصور بن جمهور ، فذكر
الوليد فعابه ، وذكر يزيد بن الوليد . فقرظه ^(٢) ، وذكر يوسف وجوره ، وقامت
الخطباء فشعثوا من الوليد ويوسف ، فأتيته فأقصص قصتهم ، فجعلت لا
أذكر رجلاً ممن ذكره بسوء إلا قال : لله على أن أضربه مائة سوط ، مائتي
سوط ؛ ثلاثمائة سوط ؛ فجعلت أتعجب من طمعه في الولاية بعد ؛ وتهده الناس ،
فكره سليمان بن سليم ، ثم أرسله إلى الشام فاختمت بها ، ثم تحول إلى البلقاء .

ذكر علي بن محمد أن يوسف بن عمر وجه رجلاً من بني كلاب في
خمسمائة ، وقال لهم : إن مر بكم يزيد بن الوليد فلا تمدعنه يجوز . فأتاهم
منصور بن جمهور في ثلاثين ، فلم يهايجوه ، فانتزع سلاحهم منهم ، وأدخلهم
الكوفة . قال : ولم يخرج مع يوسف من الكوفة إلا سفيان بن سلامة بن سليم بن
كيسان وغسان بن قعاس العذري ، ومعه من ولده لصلبه ستون بين ذكر
وأنثى . ودخل منصور الكوفة لأيام خلتون من رجب ، فأخذ بيوت الأموال ،
وأخرج العطاء والأرزاق ، وأطلق من في سجون يوسف من العمال وأهل
الخراج .

(١) ساقطة من أ .

(٢) ط : « فقرظه » ، والصواب ما أثبتته من أ .

قال : فلما بلغ يوسف البلقاء حينئذ بلغ خبره إلى يزيد بن الوليد ، فحدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم خالد بن يزيد بن هريم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان ، قال : سمعت محمد بن سعيد الكلبي — وكان من قواد يزيد بن الوليد — يقول : إن يزيد وجهه في طلب يوسف بن عمر حيث بلغه أنه في أهله بالبلقاء ، قال : فخرجت في خمسين فارساً أو أكثر ، حتى أحطت بداره بالبلقاء ، فلم نزل نفتش ، فلم نر شيئاً ، وكان يوسف قد لبس لبسة النساء ، وجلس مع نسائه وبناته ، ففتشهن فظفر به مع النساء ، فجاء به في وثاق ، فحبسه في السجن مع الغلامين ابني الوليد ، فكان في الحبس ولاية يزيد كلها وشهرين وعشرة أيام من ولاية إبراهيم ، فلما قدم مروان الشام وقرب من دمشق ولي قتلهم يزيد ابن خالد ، فأرسل يزيد مولى خالد — يكنى أبا الأسد — في عدة من أصحابه ، فدخل السجن لشدخ الغلامين بالعمد ، وأخرج يوسف بن عمر فضرب عنقه .

١٨٤٢/٢

وقيل : إن يزيد بن الوليد لما بلغه مصير يوسف إلى البلقاء وجه إليه خمسين فارساً ، فعرض له رجل من بني نمير ، فقال : يا بن عم ، أنت والله مقتول فأطعني وامتنع ، واثذن لي حتى أنتزعك من أيادي هؤلاء ، قال : لا ، قال : فدعني أقتلك أنا ، ولا يقتلك هذه اليمانية ، فتغيظنا بقتلك ، قال : مالي في واحدة مما عرضت علي خيار ، قال : فأنت أعلم .

ومضوا به إلى يزيد ، فقال : ما أقدمك ؟ قال : قدم منصور بن جمهور والياً فتركته والعمل ، قال : لا ، ولكنك كرهت أن تلي لي . فأمر بحبسه . وقيل : إن يزيد دعا مسلم بن ذكوان ومحمد بن سعيد بن مطرف الكلبي ، فقال لهما : إنه بلغني أن الفاسق يوسف بن عمر قد صار إلى البلقاء ، فانطلقا فأتيا به ، فطلباه فلم يجداه : فرهبنا ابناً له ، فقال : أنا أدلكما عليه ، فقال : إنه انطلق إلى مزرعة له على ثلاثين ميلاً ، فأخذنا معهما خمسين رجلاً من جنود البلقاء ، فوجدوا أثره — وكان جالساً — فلما أحس بهم هرب وترك نعليه ، ففتشوا فوجداه بين نسوة قد ألقين عليه قطيفة خز ، وجلسن على حواشيها حاسرات ، فجزوا برجله ، فجعل يطلب إلى محمد بن سعيد أن يرضي عنه

كلباً ، ويدفع عشرة آلاف دينار ودية كلثوم بن عمير وهاني بن بشر ، فأقبلا إلى يزيد ، فلقبه عامل لسليمان على نوبة من نواب الحرس ، فأخذ بلحيته فهزّها ، ونتف بعضها - وكان من أعظم الناس لحية وأصغرهم قامة - فأدخله على يزيد ، فقبض على لحية نفسه - وإنها حينئذ لتسجوز سرته - وجعل يقول : نتف والله يا أمير المؤمنين لحيتي ، فما بقي فيها شعرة . فأمر به يزيد فحبس في الخضراء ، فدخل عليه محمد بن راشد ، فقال له : أما تخاف أن يطّلع عليك بعض من قد وترت ، فيلقى عليك حجراً ؟ فقال : لا والله ما فطنت إلى هذا ، فنشدتك الله إلا كلمت أمير المؤمنين في تحويلي إلى مجلس غير هذا ؛ وإن كان أضيّق منه ! قال : فأخبرت يزيد ، فقال : ما غاب عنك من حُقمه أكثر ، وما حبسته إلا لأوجهه إلى العراق ، فيقام للناس ، وتؤخذ المظالم من ماله ودمه .

ولما قتل يزيد بن الوليد الوليد بن يزيد ، ووجه منصور بن جمهور إلى العراق كتب يزيد بن الوليد إلى أهل العراق كتاباً يذكر فيه مساوئ الوليد ، فكان مما كتب به - فيما حدثني أحمد بن زهير عن علي بن محمد : إن الله اختار الإسلام ديناً وارتضاه وطهره ، واقرض فيه حقوقاً أمر بها ، ونهى عن أمور حرّمها ؛ ابتلاء لعباده في طاعتهم ومعصيتهم ، فأكمل فيه كل منقبة خير وجسيم فضل ؛ ثم تولاه ، فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده ولياً ، يحوطهم ويعرفهم بفضل الإسلام ، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله وينتهي إليه فيناوئه أحد^(١) بميثاق أو يحاول^(٢) صرف ما حباه الله به ، أو ينكث ناكث ، إلا كان كيدُه الأوهن ، ومكرُه الأبور ؛ حتى يتم الله ما أعطاه ، ويدّخر له أجره ومثوبته ، ويجعل عدوّه الأضلّ سبيلاً ، الأخصر عملاً . فتناسخت^(٣) خلفاء الله ولاية دينه ، قاضين فيه بحُكمه ، متبعين فيه لكتابه ؛ فكانت لهم بذلك من ولايته ونصرته ما تمت به النعم عليهم ، قد رضى الله بهم لما حتى توفي هشام .

(١) ط : « بجلول » تحريف ، صوابه من أ .

(٢) تناسخوا : أي تعاقبوا وتداولوا .

ثم أفضى الأمر إلى عدو الله الوليد، المنتهك للمحارم التي لا يأتى مثلها مُسلم ، ولا يُقدِّم عليها كافر ؛ تكرر ما عن غشيان مثلها . فلما استفاض ذلك منه واستعلن ، واشتد فيه البلاء ، وسُفِكَت فيه الدماء ، وأُخِذَت الأموال بغير حقها ؛ مع أمور فاحشة ، لم يكن الله ليملى للعاملين ^(١) بها إلا قليلا ، سرتُ إليه مع انتظار مراجعته ، وإعذار إلى الله وإلى المسلمين ، منكرًا لعمله وما اجتراً عليه من معاصي الله ، متوخيًا من الله لإتمام الذي نويتُ ؛ من اعتدال عمود الدين ، والأخذ في أهله بما هو رضا ، حتى أتيت جنداً ، وقد وَغَرْتُ صدورهم على عدو الله ، لما رأوا من عمله ؛ فإن عدو الله لم يكن يرى من شرائع الإسلام شيئاً إلا أراد تبديله ، والعمل فيه بغير ما أنزل الله ؛ وكان ذلك منه شائعاً شاملاً ، عريان لم يجعل الله فيه سترًا ، ولا لأحد فيه شكًا ، فذكرتُ لهم الذبي نَقِمْتُ وَخِفْتُ من فساد الدين والدنيا ، وَحَصَصْتُهم على تلافِي دينهم ، والحماية عنه ؛ وهم في ذلك مُستريبون ، قد خافوا أن يكونوا قد أَبْقَوْا لأنفسهم بما قاموا عليه ، إلى أن دعوتُهم إلى تغييره فأسرعوا الإجابة .

فابتعث الله منهم بعضًا يخبرهم ، من أولى الدين والرضا ، وبعثت عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، حتى لقي عدو الله إلى جانب قرية يقال لها البَحْرَاء ، فدعوه إلى أن يكون الأمر شورى ، ينظر المسلمون لأنفسهم مَنْ يَقْلُدُونَهُ مِمَّنْ اتَّفَقُوا عليه ، فلم يجب عدو الله إلى ذلك ؛ وأبى إلا تَتَابَعًا في ضلالتة ؛ فبدرهم الحملة جهالة بالله ، فوجد الله عزيزاً حكيمًا ، وأخذه أليماً شديداً ، فقتله الله على سوء عمله وعُصْبَتِهِ ؛ ممن صاحبه من بطانته الخبيثة ، لا يبلغون عشرة ؛ ودخل مَنْ كَانَ معه سواهم في الحق الذي دُعُوا إليه ، فأطفا الله جَمْرَتَهُ وأراح العباد منه ، فبُعِدَ له ولمن كان على طريقته !

١٨٤٥/٢

أحببت أن أعلمكم ذلك ، وأعجل به إليكم ، لتحمدوا الله وتشكروه ، فإنكم قد أصبحتم اليوم على أمثل ^(٢) حالكم ؛ إذ ولاتكم خياركم ، والعدل مبسوط لكم ، لا يُسَار فيكم بخلافه ؛ فأكثرُوا على ذلك حمد ربِّكم ، وتابعوا منصور بن جمهور ؛ فقد ارتضيتُ لكم ؛ على أنْ عليكم عهد الله وميثاقه ، وأعظم ما عهد

(١) ط : « ليخل العالمين » ، وما أثبتته من أ . (٢) أمثل : أفضل .

وعقد على أحد من خلقه ؛ لتسمعنّ وتطيعنّ لي ، ولئن استخلفته من بعدى ،
ممن اتفقت عليه الأمة ؛ ولكم علىّ مثل ذلك ؛ لأعملنّ فيكم بأمر الله وسنة
نبيه صلى الله عليه وسلم ، واتبع سبيل من سلف من خياركم ؛ نسأل الله
ربنا ووليّنا أحسن توفيقه وخير قضائه .

* * *

[ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور]

وفي هذه السنة امتنع نصر بن سيار بخراسان من تسليم عمله لعامل منصور
ابن جمهور ، وقد كان يزيد بن الوليد ولّاها منصوراً مع العراق .

قال أبو جعفر : قد ذكرت قبل من خبر نصر ؛ وما كان من كتاب يوسف
ابن عمر إليه بالمصير إليه مع هدايا الوليد بن يزيد ، وشخص نصر من
خراسان متوجّهاً إلى العراق ، وتباطئه في سفره ، حتى قدم عليه الخبر بقتل
الوليد ؛ فذكر علىّ بن محمد أن الباهليّ أخبره ؛ قال : قدم على نصر بشر بن نافع
مولى سالم الليثيّ — وكان على سكك العراق — فقال : أقبل منصور بن جمهور

١٨٤٦/٢

أميراً على العراق ؛ وهرب يوسف بن عمر ؛ فوجّه منصور أخاه منظور بن
جمهور على الرّيّ ، فأقبلت مع منظور إلى الرّيّ ، وقلت : أقدم على نصر فأخبره ،
فلما صرتُ بنيسابور حبسني حميد مولى نصر ، وقال : لن تجاوزني أو تخبرني ؛
فأخبرته ، وأخذت عليه عهد الله وميثاقه ألاّ يخبر أحداً حتى أقدم على نصر
فأخبره . ففعل ؛ فأقبلنا جميعاً حتى قدمنا على نصر ، وهو بقصره بماجان ،
فاستأذنتنا ، فقال خصي له : هو ناظم ، فألححنا عليه ، فانطلق فأعلمه ،
فخرج نصر حتى قبض على يدي وأدخلني ؛ فلم يكلمني حتى صرتُ في
البيت ، فسألتني فأخبرته ، فقال لحميد مولاة : انطلق به ؛ فأتته بجائزة ؛ ثم أتاني
يونس بن عبد ربه وعبيد الله بن بسام فأخبرتهما ، وأتاني سلم بن أحور فأخبرته .
قال : وكان خبر يوسف عند نصر ، فأتوه حين بلغهم الخبر ، فأرسل إلى
فلما أخبرتهم كذبوني ، فقلت : استوثق من هؤلاء ؛ فلما مضت ثلاث على
ذلك ؛ جعل علىّ ثمانين رجلاً حرساً ، فأبطأ الخبر على ما كنت قدّرت ،
فلما كانت الليلة التاسعة — وكانت ليلة نوروز — جاءهم الخبر على ما وصفتُ ،

فصرف إلى عامة تلك الهدايا، وأمر لي ببرذون بسرجه ولحامه ، وأعطاني سرجاً صينياً ، وقال لي : أقم حتى أعطيك تمام مائة ألف . قال : فلما تيقن نصر قتل الوليد ردّ تلك الهدايا ، وأعتق الرقيق ، وقسم روقه^(١) الجوارى في ولده ونخاصته ، وقسم تلك الآنية في عوام الناس ، ووجه العمال ، وأمرهم بحسن السيرة . قال : وأرجفت الأزد في خراسان أن منظور بن جمهور قادم خراسان ؛ فخطب نصر ، فقال في خطبته : إن جاءنا أمير ظنين قطعنا يديه ورجليه . ثم باح به بعد ؛ فكان يقول : عبد الله المخدول المشبور .

١٨٤٧/٢

قال : وولّى نصر بن سيار ربيعة واليمن ، وولّى يعقوب بن يحيى بن حاضين على أعلى طُخارستان ، ومسعدة بن عبد الله اليشكري على خوارزم ؛ وهو الذي يقول فيه خلتف :

أقولُ لأصحابي معاً دون كَرْدَرٍ لَمَسْعَدَةَ الْبَكْرِى غَيْثُ الْأَرَامِلِ
ثم أتبعه بأبان بن الحكم الزهراني ؛ واستعمل المغيرة بن شعبة الجهمي على قُهمستان وأمرهم بحسن السيرة ، فدعا الناس إلى البيعة فبايعوه ، فقال في ذلك :

أقولُ لِنَصْرِ وبِإِيعَتِهِ	على جُلِّ بَكْرِ وَأَحْلَافِهَا
يَدِي لَكَ رَهْنٌ بِبَكْرِ الْعَرَا	قِ مَسِيدِهَا وَابْنِ وَصَافِهَا
أَخَذْتُ الْوَيْقَةَ لِلْمُسْلِمِينَ	لَأَهْلِ الْبِلَادِ وَأَلَافِهَا
إِذَا آلُ يَحْيَى إِلَى مَا تُرِيدُ	أَتَتَكَ الدَّمَائُ بِأَخْفَافِهَا ^(٢)
دَعَوْتُ الْجُنُودَ إِلَى بَيْعَةٍ	فَأَنْصَفْتَهَا كُلَّ إِنْصَافِهَا
وَطَلَّتْ خُرَاسَانَ لِلْمُسْلِمِينَ	إِنَّ الْأَرْضَ هَمَّتْ بِإِرْجَافِهَا
وَلَمَّا جُمِعَتِ أَلْفَةُ الْمُسْلِمِينَ	صَرَفَتِ الضَّرَابَ لِأَلَافِهَا
أَجَارَ وَسَلَّمْ أَهْلَ الْبِلَا	وَالنَّازِلِينَ بِأَطْرَافِهَا
فَصَرَفْتُ عَلَى الْجَنْدِ بِالْمَشْرِقِينَ	لِقُوحَا لَهُمْ دَرُّ أَخْلَافِهَا

(١) روقه الجوارى ، أى حسانهم ، وفي ابن الأثير : « حسان الجوارى » .

(٢) الدموك : البكرة الصلبة ، وفي ط : « الرقال » .

١٨٤٨/٢

فنحن على ذاك حتى تبين
 وحتى تبوح قريش بما
 فأقسمت للمعبرات الرثا
 إلى ما تؤدى قريش البطا
 فإن كان من عز بز الضعيف
 وجدنا العلائف أنى يكو
 إذا ما تشارك فيه كبت
 فنحن على عهدنا نستديم
 سنرضى بظلك كنا لها
 لعل قريشاً إذا ناضلت
 وتلبس أغشية بالعراق
 وبالأسد منا وإن الأسود
 فإن حاذرت تلفاً في النفا
 فقد ثبتت بك أقدامنا
 وجدناك براً رؤفاً بنا
 ولم تك ببعتنا خلسة
 نكاح التي أسرعت بالحلي
 فكشفها البعل قبل الصدا
 ق فاستقبلته بمعتافها

١٨٤٩/٢

قال : وكان نصر ولئى عبد الملك بن عبد الله السلمى خوارزم ؛ فكان
 يخطبهم ويقول فى خطبته : ما أنا بالأعرابي الخلف ، ولا الفرارى المستنيط ؛
 ولقد كرمتنى الأمور وكرمتها ، أمّا والله لأضعن السيف موضعه ، والسوط

(١) كذا فى ١ ، وفى نسخة بجاثيتها : « خلقتها بعض أشرافها » .

(٢) ١ : « نصرنا » . (٣) ورد البيت ناقصاً فى ط ، وأكلته من ١ .

موضعه ، والسجن مدخله ، ولتجدنني غشمشماً ، أغشني الشجر ،
ولتستقيمن لي على الطريقة ورفض البكارة في السنن الأعظم ، أو لأصكنكم
صك القطامي القطا (١) القارب يصكهن جانباً فجانباً .

قال : فقدم رجل من بلسقين خراسان ، وجهه منصور بن جمهور ،
فأخذه مولى لنصر ، يقال له حميد ، كان على سكة (٢) بنيسابور ؛ فضر به وكسر
أنفه ، فشكاه إلى نصر ، فأمر له نصر بعشرين ألفاً وكساه ، وقال : إن الذي
كسر أنفك مولى لي وليس بكفء فأقصك منه ، فلا تقل إلا خيراً . قال :
ماقبلت جائزتك ، وأنا أريد ألا أذكر إلا خيراً (٣) .

قال عصمة بن عبد الله الأسدي : يا أخا بلسقين ، أخبر من تأتى أنا قد
أعددتنا قيساً لربيعة وتميماً للأزد ، وبقيت كنانة ، ليس لها من يكافئها .
فقال نصر : كلما أصلحتُ أمراً أفسدتموه !

قال أبو زيد عمر بن شبّة : حدثني أحمد بن معاوية عن أبي الخطاب ،
قال : قدم قدامة بن مصعب العبدى ورجل من كندة على نصر بن سيار
من قبيل منصور بن جمهور ، فقال : أمات أمير المؤمنين ؟ قالوا : نعم ،
قال : وولّى منصور بن جمهور وهرب يوسف بن عمر عن سرير العراق ؟
قالوا : نعم ، قال : أنا بجمهوركم من الكافرين ، ثم حبسهما ووسّع عليهما ،
ووجه رجلا حتى أتى فرأى منصوراً يخطب بالكوفة ، فأخرجهما ، وقال لقدامة :
أوليسكم رجل من كلب ؟ قال : نعم ؛ إنما نحن بين قيس واليمن ، قال :
فكيف لا يولاهما رجل منكم ! قال : لأننا كما قال الشاعر :

١٨٥٠/٢

إذا ما خَشِينَا مِنْ أَمِيرٍ ظُلَامَةً دَعَوْنَا أَبَا غَسَّانَ يَوْمًا فَعَسَّكَرًا
فضحك نصر ، وضمه إليه .

قال : ولما قدم منصور بن جمهور العراق ولّى عبيد الله بن العباس الكوفة -
أو وجده والياً عليها فأقره - وولّى شرطته ثمامة بن حوشب ثم عزله
وولّى الحجاج بن أوطاة النخعي .

* * *

(٢) كذا في ١ ، وفي ط « سكك » .

(١) كذا في ١ .

(٣) من ١ .

[ذكر مخالفة مروان بن محمد]

وفي هذه السنة كتب مروان بن محمد إلى الغمّر بن يزيد ، أخى الوليد بن يزيد يأمره بدم أخيه الوليد .

ذكر نسخة ذلك الكتاب الذى كتب إليه :

حدثني أحمد عن عليّ ، قال : كتب مروان إلى الغمّر بن يزيد بعد قتل الوليد :

أما بعد ، فإن هذه الخلافة من الله على مناهج نبوة رسله ، وإقامة شرائع دينه ، أكرمهم الله بما قلّدهم ، يعزّهم ويعزّ من يعزّهم ، والحين^(١) على منّ ناوأم فابتغى غير سبيلهم ، فلم يزالوا أهل رعاية لما استودعهم الله منها ، يقوم بحقها ناهض^٢ بعد ناهض ، بأنصار لها من المسلمين . وكان أهل الشام أحسن خلقه فيه طاعة ، وأذنبه عن حرّمه وأوفاه بعهده ، وأشدّه نكاية في مارق مخالف ناكث ناكب^(٣) عن الحق ، فاستدرت نعمة الله عليهم . قد عمّر بهم الإسلام ، وكُتبت^(٤) بهم الشرك وأهله ، وقد نكثوا أمر الله ، وحاولوا نكث العهود ، وقام بذلك من أشعل ضرامها ، وإن كانت القلوب عنه نافرة ، والمطلوبون بدم الخليفة ولاية^(٥) من بنى أمية ؛ فإن دمه غير ضائع ؛ وإن سكنت بهم الفتنة ، والتأمت الأمور ؛ فأمر^٦ أراد الله لامرّد له . فاكثب بحالك فيما أبرموا وما تَرى ؛ فلانى مطّرق إلى أن أرى غيراً^(٧) فأسطو بانتقام ، وأنتقم لدين الله المنبوذة فرائضه ، المتروكة مجانة ، ومعى قوم أسكن الله طاعتي قلوبهم ؛ أهل إقدام إلى ما قدّمت بهم عليه ، ولم نظراء صلورهم مترعة ممتلئة لو يجدون منزعاً^(٨) ، والتّهمة دولة تأتى من الله ؛ ووقت مؤجل^(٩) ؛ ولم أشبه محمداً ولا مروان^(١٠) — غير أن رأيت غيراً —

(١) الحين : الهلاك والحنة .

(٢) كبت : صرعه وأخزاه .

(٣) الولاية : الإمارة والسلطان ؛ والمعنى ذوو ولاية ؛ أى أمراء من بنى أمية .

(٤) غير الدهر : حوادثه المغيرة . (٥) ط : « المتبول » ، وما أثبت من أ .

(٦) المنزع : الموضع الذى يصعد فيه الدلو إذا نزع من النبر ؛ أى لو يجدون مجالا وفرصة

(٧) ط : « موكل » ، والصواب ، ما أثبت من أ .

(٨) للانتقام .

(٩) محمد أبوه ومروان جده .

إن لم أثمر للقدريّة إزارى ، وأضر بهم بسيفي جارحاً وطاعناً ، يرمى قضاء الله بي في ذلك حيث أخذ ، أو يرمى بهم في عقوبة الله حيث بلغ منوم فيها رضاه ؛ وما إطراق إلا لما أنتظر مما يأتيني عنك ، فلا تن عن ثارك بأخيك ، فإن الله جارئك وكافيك ، وكفى بالله طالباً ونصيراً .

حدثني أحمد ، عن عليّ ، عن عمرو بن مروان الكلبيّ ، عن مسلم بن ذكوان ، قال : كلّم يزيد بن الوليد العباس بن الوليد في طُفَيْل بن حارثة الكلبيّ ، وقال : إنه حتمل حمالة ، فإن رأيت أن تكتب إلى مروان بن محمد في الوصاة به ، وأن يأذن له أن يسأل عشيرته فيها — وكان مروان يمنع الناس أن يسألوا شيئاً من ذلك عند العطاء — فأجابه وحمله على البريد . وكان كتاب العباس ينفض في الآفاق بكلّ ما يكتب به . وكتب يزيد إلى مروان أنه اشترى من أبي عبيدة بن الوليد ضيعةً بثمانية عشر ألف دينار ، وقد احتاج إلى أربعة آلاف دينار . قال مسلم بن ذكوان : فدعاني يزيد ، وقال : انطلق مع طُفَيْل بهذا الكتاب ^(١) ، وكلّمه في هذا الأمر . قال : فخرجنا ولم يعلم العباسُ بخروجي ، فلما قدمنا خيلاط ، لقينا عمرو بن حارثة الكلبيّ ، فسألنا عن حالنا فأخبرنا ، فقال : كذبتا ^(٢) ؛ إن لكما ولموان لقصةً ، قلنا : وما ذاك ؟ قال : أخلّا في حين أردت الخروج ، وقال لي : جماعة أهل الميزة يكونون ألفاً ؟ قلت : وأكثر ، قال : وكم بينها وبين دمشق ؟ قلت : يسمعون المنادي ، قال : كم ترى عدّة بني عامر ؟ (يعني بني عامر من كلب) ، قلت : عشرون ألف رجل ، فحرك أصبعه ، ولوى وجهه . قال مسلم : فلما سمعت ذلك طمعت في مروان ، وكتبت إليه على لسان يزيد : أما بعد ، فإنني وجهت إليك ابن ذكوان مولاي بما سيذكره لك ، ويسئليه إليك ، فألق إليه ما أحببت ، فإنه من خيار أهلي وثقات موالى ؛ وهو شعب حصين ، ووعاء أمين ؛ إن شاء الله . فقدمنا على مروان ، فدفع طُفَيْل كتاب العباس إلى الحاجب ، وأخبره أن معه كتاب يزيد بن الوليد ، فقرأه ، فخرج الحاجب ، وقال : أما معك كتاب غير هذا ، ولا أوصاك بشيء ؟ قلت : لا ، ولكني معي مسلم بن

١٨٥٢/٢

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « بهذه الكتب » . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « كذابت » .

ذكوان ، فدخل فأخبره ، فخرج الحاجب ، فقال : مرّ مولاه بالرواح .
قال مسلم : فانصرفت ، فلما حضرت المغرب أتيت المقصورة ؛ فلما صليت
مروان انصرفت لأعيد الصلاة ، ولم أكن أعتدّ بصلاته ، فلما استويت قائماً
جاءني خصي ، فلما نظر إليّ انصرفت وأوجزت الصلاة ، فلحقته ، فأدخاني
على مروان ؛ وهو في بيت من بيوت النساء ، فسلمتُ وجلست ، فقال : من
أنت ؟ فقلت : مسلم بن ذكوان مولى يزيد ، قال : مولى عتاقة أو مولى تباعة ؟
قلت : مولى عتاقة ، قال : ذاك أفضل ؛ وفي كلّ ذلك فضل ؛ فاذا ذكر ما
بدا لك . قالت : إن رأى الأمير أن يجعل لي الأمان على ما قلته ، أوافقه في ذلك
أو أخالفه ؛ فأعطاني ما أردت ، فحمدت الله وصلّيت على نبيّه ، ووصفت
ما أكرم الله به بنى مروان من الخلافة ورضا العامة بهم ، وكيف نقض الوليد
العمرى ، وأفسد قلوب الناس ، وذمّته العامة ؛ وذكرت حاله كلّها . فلما
فرغت تكلم ؛ فوالله ما حمد الله ولا تشهد ، وقال : قد سمعت ما قلت ، قد
أحسنّت وأصبت ، ولنعم الرأى رأى يزيد ؛ فأشهد الله أنى قد بايعته ، أبذل في هذا
الأمر نفسي ومالى ؛ لا أريد بذلك إلا ما عند الله ؛ والله ما أصبحت أستزيد
الوليد ، لقد وصل وفرض وأشرك في ملكه ؛ ولكنى أشهد أنه لا يؤمن بيوم
الحساب . وسألني عن أمر يزيد ، فكبرت الأمر وعظمته ، فقال : اكتم
أمرك ؛ وقد قضيت حاجة صاحبك ، وكفيت أمر حمّالته ، وأمرت له بألف
درهم . فأقمت أياماً ، ثم دعاني ذات يوم نصف النهار ، ثم قال : الحقّ
بصاحبك ، وقل له : صدّدك الله ، امض على أمر الله ؛ فإنك بعين الله .
وكتب جواب كتابي ، وقال لي : إن قدرت أن تطوى أو تطير فطير ،
فإنه يخرج بالجزيرة إلى ست ليال أو سبع خارجة ؛ وقد خفت أن يطول أمرهم
فلا تقدر أن تجوز . قلت : وما علم الأمير بذلك ؟^(١) فضحك ، وقال : ليس
من أهل هوى إلا وقد أعطيتهم الرضا حتى أخبروني بذات أنفسهم . فقلت في
نفسى : أنا واحد من أولئك ، ثم قلت : لئن فعلت ذلك أصلحك الله ؛ إنه قيل
لخالد بن يزيد بن معاوية : أنتى أصبت هذا العلم ؟ قال : وافقت الرجال على أهوائهم ،
ودخلت معهم في آرائهم ؛ حتى بذلوا لي ما عندهم ، وأفضوا لي بذات أنفسهم .

فَوَدَعْتَهُ وَخَرَجْتُ . فلما كنت بآمِدٍ لقيت البرُدَ تتبع بعضها بعضاً بقتل الوليد؛ وإذا عبد الملك بن مروان [بن محمد] ^(١) قد وثب على عامل الوليد بالجزيرة، فأخرجه منها، ووضع الأرصاد على الطريق، فتركت البرُدَ، واستأجرت دابةً ودليلاً، فقدمت على يزيد بن الوليد .

• • •

[ذكر الخبر عن عزل منصور بن جمهور عن العراق]

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد منصور بن جمهور عن العراق، ولأها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن مروان .

• ذكر الخبر عن ذلك :

ذَكَرَ عن يزيد بن الوليد أنه قال لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز : إن أهل العراق يميلون إلى أبيك فسرّ إليها فقد وليتُكها ؛ فذكر عن أبي عبيدة ، قال : كان عبد الله بن عمر متألهًا متألمًا، فقدّم حين شخص إلى العراق بين يديه رُسلًا وكتبًا إلى قوَاد الشام الذين بالعراق ، وخاف ألاّ يسلم له منصور بن جمهور العمل ، فانقاد له كلهم، وسلم له منصور بن جمهور، وانصرف إلى الشام، ففرق عبد الله بن عمر عماله في الأعمال، وأعطى الناس أرزاقهم وأعطياتهم ؛ فنازعه قوَاد أهل الشام وقالوا : تقسم على هؤلاء فيشتنا وهم عدوتنا ! فقال عبد الله لأهل العراق : إني قد أردتُ أن أردَ فيشكم عليكم، وعلمت أنكم أحقّ به ؛ فنازعني هؤلاء فأذكروا على .

١٨٥٥/٢

فخرج أهل الكوفة إلى الجبّانة، وتجمّعوا، فأرسل إليهم قوَاد أهل الشام يعتذرون وينكرون، ويحلفون أنهم لم يقولوا شيئًا مما بلغهم، وثار غوغاء الناس من الفريقين، فتناوشوا، وأصيب منهم رهط لم يُعرفوا، وعبد الله بن عمر بالخيرة، وعبيد الله بن العباس الكندي بالكوفة ؛ قد كان منصور بن جمهور استخلفه عليها فأراد ^(٢) أهل الكوفة إخراجه من القصر، فأرسل إلى عمر بن الغضبان بن القبيصري، فأثاه ففتحى الناس عنه، وسكنهم وزجر سفهاءهم ^(٣) حتى تهاجروا، وأمن بعضهم بعضًا . وبلغ ذلك عبد الله بن عمر، فأرسل إلى ابن الغضبان ،

(١) من أ. (٢) ط : « وأراد » . (٣) ط : « وزجرهم » .

فكساه وحمله ، وأحسن جائزته ، وولاه شُرطه وخراج السواد والمحاسبات ، وأمره أن يفرض لقومه ، ففرض في ستين وفي سبعين .

* * *

[ذكر وقوع الخلاف بين اليمانية والتزارية في خراسان]

وفي هذه السنة وقع الاختلاف في خراسان بين اليمانية والتزارية ، وأظهر الكِرماني فيها الخلاف لنصر بن سيار ، واجتمع مع كل واحد منهما جماعة لنصرته .

* ذكر الخبر عما كان بينهما من ذلك وعن السبب الذي أحدث ذلك :

ذكر علي بن محمد عن شيوخي ؛ أن عبد الله بن عمر لما قدم العراق ولياً عليها من قبيل يزيد بن الوليد ، كتب إلى نصر بعهدته على خراسان ؛ قال : ويقال : بل أتاه كتابه بعد خروج الكرماني من حبس نصر ، فقال المنجمون لنصر : إن خراسان سيكون بها فتنة ؛ فأمر نصر برفع حاصل^(١) بيت المال ، وأعطى الناس بعض أعطياتهم ورقاً وذهباً من الآنية التي كان اتخذها للوليد ابن يزيد ؛ وكان أول من تكلم رجل من كندة ، أفوه طوال ، فقال : العطاء العطاء ! فلما كانت الجمعة الثانية ، أمر نصر رجالاً من الحرّس ، فلبسوا السلاح ، وفرّقهم في المسجد مخافة أن يتكلم متكلم ، فقام الكندي فقال : العطاء العطاء ! فقام رجل مولى للأزد - وكان يلقب أبا الشياطين - فتكلم ، وقام حماد الصائغ وأبو السليل البكري ، فقالا : العطاء العطاء ! فقال نصر : إياي والمعصية ؛ عليكم بالطاعة والجماعة ؛ فاتقوا الله واسمعوا ماتوعظون به . فصعد سلم بن أحوز إلى نصر وهو على المنبر فكلّمه ، فقال : ما يغني عنّا كلامك هذا شيئاً . ووثب أهل السوق إلى أسواقهم ؛ فغضب نصر وقال : ما لكم عندي عطاء بعد يومكم هذا ، ثم قال : كأني بالرجل منكم قد قام إلى أخيه وابن عمه ، فلطم وجهه في جمل يهودى له وثوب يكساه ، ويقول : مولاي وظري ؛ وكأني بهم قد نبغ من تحت أرجلهم شر لا يطاق ، وكأني بكم مطرحين في الأسواق كالجُرّ المتحورة ؛ إنه لم تطل ولاية رجل إلا ملّوها ؛ وأنتم يا أهل خراسان ؛ مسلحة في نحور العدو ، فإياكم أن

(١) الحاصل من كل شيء : ما بق منه .

يختلف فيكم سيفان .

قال عليّ : قال عبد الله بن المبارك ، قال نصر في خطبته : إني لمكفرٍّ ومع ذاك لمظلمٍّ ؛ وعسى أن يكون ذلك خيراً لي . إنكم تغشون^(١) أُمراً تريدون فيه الفتنة ؛ فلا^(٢) أبقي الله عليكم ؛ والله لقد نشرتكم وطويتكم ، وطويتكم ونشرتكم ، فما عندي منكم عشرة ، وإني وإياكم كما قال مَن كان قبلكم : اسْتَمْسِكُوا أَصْحَابَنَا نَحْدُو بِكُمْ فقد عرفنا خيركم وشرككم فاتقوا الله ؛ فوالله لئن اختلف فيكم لیتمنین الرجل منكم أنه یُخلع من ماله وولده ولم يكن رآه . يا أهل خراسان ، إنكم غمطتم الجماعة ، وركنتم إلى الفرقة . أسلطان الجاهول تريدون وتنتظرون ! إن فيه هلاككم معشر العرب ، وتمثل بقول النابغة الذبيانيّ :

١٨٥٧/٢

فَإِنْ يَغْلِبَ شَقَاؤُكُمْ عَلَيْكُمْ فَإِنِّي فِي صَلَاحِكُمْ سَعَيْتُ

وقال الحارث بن عبد الله بن الحشرج بن المأميرة بن الورد الجعدى :
 أبيتُ أرعى النجومَ مرتفعاً إذا استقلتُ تجرى أوائلُها
 من فتنةٍ أصبحتُ مجللةً قد عمَّ أهلَ الصلاةِ شامِلُها
 من بحرِ خراسانَ والعراقِ ومن بالشَّامِ كلُّ شجَاهُ شاعِلُها
 فالناسُ منها في لونٍ مظلمٍ دَهْماءُ ملتجةٍ غياطِلُها
 يمسى السَّفيه الذى يُعَنَفُ بالِ جَهْلٍ سواءٍ فيها وعاقِلُها
 والناسُ في كُرْبَةٍ يكاد لها تنبذُ أولادها حوامِلُها
 يَعدونَ منها فى ظلِّ مُبْهَمَةٍ عمياءُ نغتالهم غوائلُها
 لا ينظرُ الناسُ فى عواقِبِها إلا التى لا يبين قائلُها
 كَرَعَوَةِ البَكْرِ أو كَصِيحَةِ حُبٍّ لى طَرَقَتْ حولُها قوايلُها
 فجاء فينا أزرى بوجهته فيها خطوبٌ حُمُرٌ زلازلُها

١٨٥٨/٢

(١) كذا في أ ، وهو الصواب ، وفي ط : « ترشون » .

(٢) كذا في أ ، وفي ط : « ولا » .

قال : فلما أتى نصرًا عهده من قبل عبد الله بن عمر قال الكرمانى لأصحابه : الناس فى فتنة ؛ فانظروا لأموالكم^(١) رجلا - وإنما سُمى الكرمانى لأنه ولد بكرمان ، واسمه جمد يع بن على بن شبيب بن برارى^(٢) بن صنيم المعنى - فقالوا : أنت لنا ، فقالت المضريّة لنصر : الكرمانى يفسد عليك ؛ فأرسل إليه فاقته ، [أو فاحسه]^(٣) ، قال : لا ، ولكن لى أولاد ذكور وإناث ، فأزواج ببنى من بناته وبنيه من بناتى ؛ قالوا : لا ، قال : فأبعث إليه بمائة ألف درهم ، فإنه بخيل ولا يعطى أصحابه شيئا ، ويعلمون بها فيتفرقون عنه ، قالوا : لا ، هذه قوة له ، قال : فدعوه على حاله يتقينا ونتقيه ، قالوا [لا ، قال]^(٤) : فأرسل إليه فاحسه^(٥) .

قال : وبلغ نصرًا أن الكرمانى يقول : كانت غايى فى طاعة بنى مروان أن يقتل ولدى^(٥) السيوف فأطلب بشار بنى المهلب ، مع مالمينا من نصر وجفائه وطول حرمانه وكافاته إيانا بما كان من صنيع أسد إليه . فقال له عصمة ابن عبد الله الأسدى : إنها بدء فتنة ، فتجن عليه فاحشة ، وأظهر أنه مخالف واضرب عنقه وعق سباع بن النعمان الأزدي والفرافصة بن ظهير البكرى ، فإنه لم يزل متغضبًا على الله بتفضيله مضر على ربيعة .

وكان بخراسان . وقال جمد يع بن النعمان : إنك قد شرفته وإن كرهت قتله فادفعه إلى أقتله . وقيل : إنما غضب عليه فى مكاتبة بكر بن فراس البهرانى عامل جرجان ، يعلمه حال منصور بن جمهور حين بعث عهد الكرمانى مع أبى الزعفران مولى أسد بن عبد الله ، فطلبه نصر فلم يقدر عليه . والذى كتب إلى الكرمانى بقتل الوليد وقدم منصور بن جمهور على العراق صالح الأثرم الحرار . وقيل : إن قومًا أتوا نصرًا ، فقالوا : الكرمانى يدعو إلى الفتنة . وقال أصرم ابن قبيصة لنصر : لو أن جديعًا لم يقدر على السلطان والملك إلا بالنصرانية واليهودية لتنصر وتهود . وكان نصر والكرمانى متصافيين ، وقد كان الكرمانى أحسن إلى نصر فى ولاية أسد بن عبد الله ، فلما ولي نصر خراسان عزل الكرمانى عن الرئاسة وصيرها لحرب بن عامر بن أيثم الواشجى ، فمات حرب

(١) كذا فى وابن الأثير ، وفى ط : « فى أموركم » . (٢) ١ : « برادى بن صبي المعنى » .
(٣) من ١ . (٤) ط : « فاحسه » . (٥) ط : « أن تقلنى السيوف » .

فأعاد الكرمانى عليها ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى عزله ، وصيرها لحميل بن النعمان . قال : فتباعد ما بين نصر والكرمانى فحبس الكرمانى فى القهندز وكان على القهندز مقاتل بن على المرتضى - ويقال المرى .

قال : ولما أراد نصر حبس الكرمانى أمر عبيد الله بن بسام صاحب حرسه ؛ فأثابه به ، فقال له نصر : يا كرماني ، ألم يأتني كتاب يوسف بن عمر يأمرني بقتلك ، فراجعتُه وقلت له : شيخ خراسان وفارسها ، وحقت دمك ! قال : بلى ، قال ألم أغرم عنك ما كان لزمك من الغرم وقسمته في أعطيات الناس ! قال : بلى ، قال ألم أُرش ^(١) عليك ابنك على كره من قومك ! قال : بلى ، قال : فبدلت ذلك لإجماعاً على الفتنة ! قال الكرمانى : لم يقل الأمير شيئاً إلا وقد كان أكثر منه ، فأنا لذلك شاكر ؛ فإن كان الأمير حَقَن دمي فقد كان مني أيام أسد بن عبد الله ما قد علم ، فليستأن الأمير ويتثبت فليست أحب الفتنة . فقال عصمة بن عبد الله الأسدي : كذبت ؛ وأنت تريد الشغب ، ومالا تناله . وقال سلم بن أحوز : اضرب عنقه أيها الأمير ، فقال المقدام وقدامة ابنا عبد الرحمن بن نعيم الغامدي : لجلساء فرعون خير منكم ، إذ قالوا : ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾ ^(٢) ، والله لا يقتلن الكرمانى بقولك يا بن أحوز [وعلت الأصوات ، فأمر] ^(٣) نصر سلماً بحبس الكرمانى ، فحبس لثلاث بقين من شهر رمضان سنة ست وعشرين ومائة ، فكلمت الأزدي ، فقال نصر : إنني حلفت أن أحبسه ولا يبدؤه ^(٤) مني سوء ، فإن خشيت عليه فاخترأوا رجلاً يكون معه . قال : فاخترأوا يزيد النحوي ؛ فكان معه في القهندز ، وصير حرسه بنى ناجية أصحاب عثمان وجهم ابني مسعود . قال : وبعث الأزدي إلى نصر المغيرة بن شعبة الجهمي ونخالد بن شعيب بن أبي صالح الحُداني ، فكلّماه فيه . قال : فلبث في الحبس تسعة وعشرين يوماً ؛ فقال على بن وائل أحد بني ربيعة بن حنظلة : دخلت على نصر ، والكرمانى

١٨٦٠/٢

(٢) سورة الأعراف ١١١ .

(١) ط : « ألم أُرش » .

(٤) ط : « يتداه » .

(٣) من ١ .

جالس ناحية ، وهو يقول : ما ذنبى إن كان أبو الزعفران جاء ! فوالله ما واريته ولا أعلم مكانه .

وقد كانت الأزد يوم حبس الكيرمانى أرادت أن تنزعه من رُسله ، فنأشدهم الله الكيرمانى ألا يفعلوا ، ومضى مع رسل سلم بن أحوز ، وهو يضحك ، فلما حبس تكلم عبد الملك بن حرملة اليمحمدي والمغيرة بن ١٨٦١/٢ شعبة وعبد الجبار بن شعيب بن عباد وجماعة من الأزد ، فترلوا نَوْش ، وقالوا : لا نرضى أن يحبس الكيرمانى بغير جناية ولا حدّث ، فقال لهم شيوخ اليمحمّد : لا تفعلوا وانظروا ما يكون من أميركم ، فقالوا : لا نرضى ؛ ليمكفنّ عنا نصرأولسبداًن بكم . وأتاهم عبد العزيز بن عباد بن جابر بن همام بن حنظلة اليمحمدي في مائة ، ومحمد بن المثنى وداود بن شعيب ، فباتوا بنَوْش مع عبد الملك بن حرملة ومن كان معه ، فلما أصبحوا أتوا حوزان ، وأحرقوا منزل عزة أم ولد نصر — وأقاموا ثلاثة أيام ، وقالوا : لا نرضى ؛ فعند ذلك صيروا عليه الأمان ، ففعلوا معه يزيد النحوى وغيره ، فجاء رجل من أهل نسف ، فقال لجعفر غلام الكيرمانى : ما تجعلون لى إن أخرجته ؟ قالوا : لك ما سألت ، فأتى مجرى الماء من القهندز فوسّعه ، وأتى ولد الكيرمانى ، وقال لهم : اكتبوا لى أبيكم يستعدّ الليلة للخروج ، فكتبوا إليه ، وأدخلوا الكتاب فى الطعام ، فدعا الكيرمانى يزيد النحوى وحصين بن حكيم فتعشّيا معه وخرجا ، ودخل الكيرمانى السرب ، فأخذوا بعضّده ، فانطوت على بطنه حيّة فلم تضره ، فقال بعض الأزد : كانت الحيّة أزدية فلم تضره .

١٨٦٢/٢ قال : فأنتهى إلى موضع ضيق فسحبوه فسُحج منكبه وجنبه ، فلما خرج ركب بغلته دوامة — ويقال : بل ركب فرسه البشير — والقيّد فى رجله ، فأثروا به قرية تسمى غلطان ، وفيها عبد الملك بن حرملة ، فأطلق عنه .

قال على : وقال أبو الوليد زهير بن هنيذ العدوى : كان مع الكيرمانى غلامه بسام ، فرأى خرقاً على القهندز ، فلم يزل يوسعه حتى أمكنه الخروج منه . قال : فأرسل الكيرمانى إلى محمد بن المثنى وعبد الملك بن حرملة : إني خارج

الليلة، فاجتمعوا، وخرج فأتاهم فرقد مولاه، فأخبرهم، فلقوه في قرية حرب ابن عامر، وعليه ملتحفة متقلداً سيفاً، ومعه عبد الجبار بن شعيب وابنا الكرماني: علي وعثمان، وجعفر غلامه، فأمر عمرو بن بكر^(١) أن يأتي غلطان وأنذغ وأشترج معاً^(٢)، وأمرهم أن يوافوه على باب الريان بن سنان اليمحمدي بنوش في المرج - وكان مصلاًهم في العيد - فأتاهم فأخبرهم، فخرج القوم من قراهم في السلاح، فصلّى بهم الغداة، وهم زهاء ألف، فاخرجت الشمس حتى صاروا ثلاثة آلاف، وأتاهم أهل السقادم، فسار على مَرَج نيران حتى أتى حوزان، فقال خلف بن خليفة:

أَصْغِرُوا لِلْمَرْجِ أَجَلِي لِلْعَمَى فَلَقَدْ أَصْخَرَ أَصْحَابَ السَّرْبِ
لَنْ مَرْجٍ الْأَزْدِ مَرْجٌ وَاسِعٌ تَسْتَوِي الْأَقْدَامُ فِيهِ وَالرُّكْبُ
وقيل: إن الأزد بايعت لعبد الملك بن حرملة على كتاب الله عز وجل
ليلة خرج الكرماني، فلما اجتمعوا في مَرَج نوش أقيمت الصلاة، فاختلف عبد الملك والكرماني ساعة، ثم قدمه عبد الملك، وصيراً الأمر له، فصلى الكرماني. ولما هرب الكرماني أصبح نصر معسكراً بباب مَرَو الروذ بناحية إبردانة، فأقام يوماً أو يومين.

١٨٦٣/٢

وقيل: لما هرب الكرماني استخلف نصر عصمة بن عبد الله الأسدي، وخرج إلى القناطر الخمس بباب مَرَو الروذ، وخطب الناس، فقال من الكرماني، فقال: ولد بكرمان وكان كيرمانياً، ثم سقط إلى هرة فكان هروياً، والساقط بين الفراشين لا أصل ثابت، ولا فرع ثابت، ثم ذكر الأزد، فقال: إن يستوثقوا فاذل قوم، وإن يابؤا فهم كما قال الأخطل: صَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتُهَا حَيَّةُ الْبَحْرِ^(٣) ثم ندّم على ما فرط منه، فقال: اذكروا الله؛ فإن ذكر الله شفاء، وذكر الله خير لا شر فيه، يذهب الذنب، وذكر الله براءة من النفاق. ثم اجتمع إلى نصر بشسر كثير، فوجهه سلم بن أحوز إلى الكرماني في

(٢) ط: «معنا».

(١) ١: «بكير».

(٣) ديوانه ١٣.

المجففة في بشر كثير. فسفر الناس بين نصر والكرماني، وسألوا نصراً أن يؤمنه ولا يجبسه، ويضمن عنه قومه ألا يخالفه. فوضع يده في يد نصر فأمره بلزوم بيته، ثم بلغه عن نصر شيء، فخرج إلى قرية له، وخرج نصر فعسكر بالقناطر^(١)، فأتاه القاسم بن نجيب، فكلمه فيه فأمنه، وقال له: إن شئت خرج لك عن خراسان، وإن شئت أقام في داره - وكان رأى نصر إخراجهم - فقال له سلم: إن أخرجه نوتت باسمه وذكره، وقال الناس: أخرجه لأنه^(٢) هابه، فقال نصر: إن الذي أتخوفه منه إذا خرج أيسر مما أتخوفه منه وهو مقيم، والرجل إذا نفي عن بلده صغر أمره. فأبوا عليه، فكف عنه، وأعطى من كان معه عشرة عشرة. وأتى الكرماني نصراً، فدخل سرادقه فأمنه. ولحق عبد العزيز بن عبد ربه بالحارث بن سريج. وأتى نصراً عزل منصور بن جمهور وولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في شوال سنة ست وعشرين ومائة؛ فخطب الناس، وذكر ابن جمهور، وقال: قد علمت أنه لم يكن من عمال العراق، وقد عزله الله، واستعمل الطيب ابن الطيب؛ فغضب الكرماني لابن جمهور، فعاد في جمع الرجال واتخاذ السلاح. وكان يحضر الجمعة في ألف وخمسمائة وأكثر وأقل، فيصلي خارجاً من المقصورة ثم يدخل على نصر، فيسلم ولا يجلس. ثم ترك إتيان نصر وأظهر الخلاف، فأرسل إليه نصر مع سلم بن أحوز: إني والله ما أردت بك في حبسك سوءاً، ولكن خفت أن تفسد أمر الناس، فأتني. فقال الكرماني: لولا أنك في منزلي لقتلتك، ولولما أعرف من حُملك أحسنت أدبك، فارجع إلى ابن الأقطع فأبلغه ما شئت من خير وشر^(٣). فرجع إلى نصر فأخبره، فقال: عد إليه، فقال: لا والله؛ وما بي هيبة له ولكني أكره أن يسمعني فيك ما أكره. فبعث إليه عصمة بن عبد الله الأسدي، فقال: يا أبا علي، إني أخاف عليك عاقبة ما ابتدأت به في دينك ودنياك، ونحن نعرض عليك خيصالاً؛ فانطلق إلى أميرك يعرضها عليك، وما نريد

(١) ابن الأثير: «باب مرو». (٢) ط: «إنه».

(٣) ابن الأثير: «وأشر».

بذلك إلا الإنذار إليك . فقال الكيرمانى : إني أعلم أن نصرًا لم يقل هذا لك ولكنك أردت أن يبلغه فتحظى ، والله لا أكلمك كلمة بعد انقضاء كلامي حتى ترجع إلى منزلك ، فيرسل من أحب غيرك . فرجع عصمة ، وقال : ما رأيت عيلجًا أعدى لطورهِ من الكيرمانى ، وما أعجبُ منه ؛ ولكن من يحيى بن حصين لعنهم الله ! [والله لهم ^(١)] أشد تعظيمًا له من أصحابه . قال سلم ابن أحوز : إني أخاف فساد هذا الثغر والناس ، فأرسل إليه قُديداً . وقال نصر لقُديد بن مسنيج : انطلق إليه ، فأناه فقال له : يا أبا على ، لقد بلجت وأخاف أن يتفقم الأمر فتهلك جميعاً ، وتشمّت بنا هذه الأعاجم ، فقال : يا قُديد ؛ إني لا أتهمك ؛ وقد جاء ما لا أثق بنصر معه ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «البكرى أخوك ولا تثق به» ؛ قال : أما إذ وقع هذا في نفسك فأعطه رهناً ، قال : من ؟ قال : أعطه علياً وعمان ، قال : فمن يعطيني ؟ ولا خير فيه ، قال : يا أبا على ، أنشدك الله أن يكون خراب هذه البلدة على يديك . ورجع إلى نصر ، فقال لعقيل بن معقل الليثي : ما أخوفني أن يقع بهذا الثغر بلاء ، فكلّم ابن عمك ، فقال عقيل لنصر : أيها الأمير ؛ أنشدك الله أن تشأم عشيرتك ؛ إن مروان بالشأم تقاتله الخوارج ، والناس في فتنة والأزد سفهاء وهم جيرانك . قال : فما أصنع ؟ إن علمتُ أمراً يُصلح الناس فدونك ؛ فقد عزم أنه لا يثق بي . قال : فأنى عقيل الكيرمانى ، فقال : أبا على ، قد سنت سنة تُطلبُ بعدك من الأمراء ، إني أرى أمراً أخاف أن تذهب فيه العقول ، قال الكيرمانى : إن نصرًا يريد أن آتية ولا آمنه ، ويريد أن يعتزل ويعتزل ، ونختار رجلاً من بَكْر بن وائل ، نرضاه جميعاً ، فيبلى أمرنا جميعاً حتى يأتى أمرٌ من الخليفة ؛ وهو يأتى هذا . قال : يا أبا على ، إني أخاف أن يهلك أهل هذا الثغر ، فأت أميرك وقل ما شئت تُجيبُ إليه ، ولا تُطمع سفهاء قومك فيما دخلوا فيه ، فقال الكيرمانى : إني لا أتهمك في نصيحة ولا عقل ، ولكنى لا أثق بنصر ؛ فليحمل من مال خراسان ما شاء ويشخص . قال : فهل لك في أمر يجمع الأمر بينكما ؟ تتزوج إليه ويتزوج إليك ، قال : لا آمنه على حال ،

١٨٦٦/٢

قال : ما بعد هذا خير ، وإنى خائف أن تهلك غداً بمضيعة ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فقال له عقييل : أعود إليك ؟ قال : لا ؛ ولكن أبلغه عني وقل له : لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد ، فتركب منا ما لا بقيّة بعده ؛ فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك ، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة ، وأسفك الدماء فيها . وتهيباً ليخرج إلى جرجان .

* * *

[خبر الحارث بن سريج مع يزيد]

وفى هذه السنة آمن يزيد بن الوليد الحارث بن سريج ، وكتب له بذلك ، ١٨٦٧/٢ فكتب إلى عبد الله بن عمر يأمره برد ما كان أخذ منه من ماله وولده .

• ذكر الخبر عن سبب ذلك :

ذكر أن الفتنه لما وقعت بخراسان بين نصّر والكرمانى ، خاف نصر قدوم الحارث بن سريج عليه بأصحابه والترك ، فيكون أمره أشد عليه من الكرمانى وغيره ، وطمع أن يناصحه ، فأرسل إليه مقاتل بن حيان النسبى وثعلبة بن صفوان البنانى وأنس بن بحالة الأعرجى وهدية الشعراوى وربيعه القرشى ليردوه عن بلاد الترك .

فذكر على بن محمد عن شيوخته أن خالد بن زياد البدى من أهل الترمذ وخالد بن عمرو مولى بنى عامر ، خرجا إلى يزيد بن الوليد يطلبان الأمان للحارث بن سريج ، فقدموا الكوفة ، فلقيا سعيد خدينة ، فقال لخالد ابن زياد : أتدرى لم سموتى خدينة ؟ قال : لا ، قال : أرادونى على قتل أهل اليمن فأبيت . وسألا أبا حنيفة أن يكتب لهما إلى الأجلح — وكان من خاصة يزيد بن الوليد — فكتب لهما إليه ، فأدخلهما عليه . فقال له خالد بن زياد : يا أمير المؤمنين ، قتلت ابن عمك لإقامة كتاب الله ، وعمالك يغشمون ويظلمون ! قال : لا أجد أعواناً غيرهم ، وإنى لأبغضهم ، قال : يا أمير المؤمنين ، ول أهل البيوتات ، وضم إلى كل عامل رجالا من أهل الخير والفقه يأخذونهم بما فى عهدك ، قال : أفعل ، وسألاه أماناً للحارث بن سريج ، فكتب له :

أما بعد ، فإننا غضبنا لله ، إذ عطلت حدوده ، وبُلبغ بعباده كل مبلغ ، ١٨٦٨/٢

وسفكت الدماء بغير حلّها، وأخذت الأموال بغير حقّها، فأردنا أن نعمل في هذه الأمة بكتاب الله جلّ وعزّ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ولا قوة إلا بالله ؛ فقد أوضحنالك عن ذات أنفسنا، فأقبل آمنًا أنت ومن معك ؛ فإنكم إخواننا وأعواننا . وقد كتبتُ إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بردًا ما كان اصطفى من أموالكم وذرائعكم .

فقدما الكوفة فدخلنا على ابن عمر ، فقال خالد بن زياد : أصلح الله الأمير ! ألا تأمر عمالك بسيرة أبيك ؟ قال : أوليس سيرة عمر ظاهرة معروفة ! قال : فما ينفع الناس منها ولا يعمل بها ! ثم قدما مرّوا فدفعنا كتاب يزيد إلى نصر ، فردّ ما كان أخذ لهم بما قدر عليه . ثم نفدنا إلى الحارث ، فلقيا مقاتل بن حيان وأصحابه الذين وجههم نصر إلى الحارث . وكان ابن عمر كتب إلى نصر : إنك آمنت الحارث بغير إذني ولا إذن الخليفة . فأسقط في يديه، فبعث يزيد بن الأحمر وأمره أن يقتلك بالحارث إذا صار معه في السفينة . فلما لقيا مقاتلا بآمل قطع إليه مقاتل بنفسه، فكفّ عنه يزيد. قال : فأقبل الحارث يريد مرّوا - وكان مقامه بأرض الشرك اثنتي عشرة سنة - وقدم معه القاسم الشيباني ومضرّس بن عمران قاضيه وعبد الله بن سنان. فقدم سمرقند وعليها منصور بن عمر فلم يتلقه، وقال : ألحسن بلائه ! وكتب إلى نصر يستأذنه في الحارث أن يشبّ به، فأيتهما قتل صاحبه فلم يلبثا أو إلى النار . وكتب إليه : لئن قدم الحارث على الأمير وقد ضربت بيني أمية في سلطانهم ؛ وهو بالغ في دم بعد دم، قد طوى كشحًا عن الدنيا بعد أن كان في سلطانهم أقراهم لضيف، وأشدّهم بأسًا ، وأنفذهم غارة في الترك ؛ ليفترقن عليك بنى تميم . وكان سرّ درخنداه محبوسًا عند منصور بن عمر ؛ لأنه قتل بياسان ، فاستعدى ابنه جنده منصورًا^(١)، فحبسه، فكلم الحارث منصورًا فيه، فخلّى سبيله، فلزم الحارث ووفى له .

١٨٦٩/٢

* * *

[كتاب إبراهيم الإمام إلى شيعة بنى العباس]

وفي هذه السنة - فيما زعم بعضهم - وجه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى خراسان ، وبعث معه بالسيرة والوصية . فقدم مرّوا ،

(١) هوجنده بن بياسان .

وجمع النقباء ومن بها من الدعاة، فنعى لهم الإمام محمد بن عليّ، ودعاهم إلى إبراهيم، ودفع إليهم كتاب إبراهيم، فقبلوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة، فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد.

[ذكربيعة إبراهيم بن الوليد بالعهد]

وفي هذه السنة أخذ يزيد بن الوليد لأخيه إبراهيم بن الوليد على الناس البيعة، وجعله وليّ عهده، ولعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك بعد إبراهيم ابن الوليد؛ وكان السبب في ذلك — فيما حدثني أحمد بن زهير، عن عليّ ابن محمد — أن يزيد بن الوليد مرض في ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة، فقليل له: بايع لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده. قال: فلم تزل القدرية يحثونه على البيعة، ويقولون له: إنه لا يحلّ لك أن تهمل أمر الأمة فبايع لأخيك؛ حتى بايع لإبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج من بعده.

١٨٧٠/٢

وفي هذه السنة عزل يزيد بن الوليد يوسف بن محمد بن يوسف عن المدينة، وولّاها عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان. قال محمد بن عمر: يقال إن يزيد بن الوليد لم يولّه، ولكنه افتعل كتاباً بولايته المدينة، فعزله يزيد عنها، وولّاها عبد العزيز بن عمر، فقدمها لليلتين بقيتا من ذى القعدة.

[ذكرخلاف مروان بن محمد على يزيد]

وفي هذه السنة أظهر مروان بن محمد الخلاف على يزيد بن الوليد؛ وانصرف من أرمينية إلى الجزيرة، مظهراً أنه طالبٌ بدم الوليد بن يزيد. فلما صار ببحرّان بايع يزيد.

• ذكر الخبر عما كان منه في ذلك وعن السبب الذي حمله على الخلاف ثم البيعة :

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد ابن يزيد بن هريم، قال: حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح مولى عثمان بن عفان — وسأله عما شهد مما حدثنا به فقال: لم أزل في عسكر مروان بن محمد — قال: كان عبد الملك بن مروان بن محمد بن مروان حين

انصرف عن غزاته الصائفة مع الغمّر بن يزيد بحران ، فأثاه قتلُ الوليد وهو بها ، وعلى الجزيرة عبّدة بن رباح الغسانيّ عاملاً للوليد عليها ، فشخص منها - حيث بلغه قتلُ الوليد - إلى الشام ، ووثب عبد الملك بن مروان بن محمد على حرّان ومدائن الجزيرة فضبطها ، ولأها سليمان بن عبد الله بن عُلّالة ، وكتب إلى أبيه بأرمينية يعلمه بذلك ، ويشير عليه بتعجيل السير والقُدوم. فتهيأ مروان للسير ، وأظهر أنه يطلب بدم الوليد، وكره أن يتدّخ الثغر معطلاً حتى يُحكم أمره ؛ فوجّه إلى أهل الباب إسحاق بن مسلم العقيليّ - وهو رأس قيس - وثابت بن نعيم الجذاميّ من أهل فلسطين - وهو رأس اليمن - وكان سبب صحبة ثابت إياه أن مروان كان خلّصه من حبس هشام بالرُصافة. وكان مروان يقدّم على هشام المرة في السنتين ، فيرفع إليه أمر الثغر وحاله ومصلحة من به من جنوده ، وما ينبغي أن يعمل به في عدوّه. وكان سبب حبس هشام ثابتاً ما قد ذكرنا قبل من أمره مع حنظلة بن صفوان وإفساده عليه الجند الذين كان هشام وجههم معه لحرب البربر وأهل إفريقية ؛ إذ قتلوا عامل هشام عليهم ، كلثوم بن عياض القسريّ، فشكا ذلك من أمره حنظلة إلى هشام في كتاب كتبه إليه ، فأمر هشام حنظلة بتوجيهه إليه في الحديد ، فوجّهه حنظلة إليه ، فحبسه هشام ، فلم يزل في حبسه حتى قدم مروان بن محمد على هشام في بعض وفاداته - وقد ذكرنا بعض أمر كلثوم ابن عياض وأمر إفريقية معه في موضعه فيما مضى من كتابنا هذا - فلما قدم مروان على هشام أتاه رءوس أهل اليمانية ؛ ممن كان مع هشام ، فطلبوا إليه فيه ؛ وكان ممن كلمه فيه كعب بن حامد العبسيّ صاحب شرط هشام وعبد الرحمن بن الضخم وسليمان بن حبيب قاضيه ، فاستوهبه مروان منه فوهبه له ، فشخص إلى أرمينية ، فولّاه وحبّاه ، فلما وجّه مروان ثابتاً مع إسحاق إلى أهل الباب ، كتب إليهم معهما كتاباً يعلمهم فيه حال ثغرهم وما لهم من الأجر في لزوم أمرهم ومراكزهم ، وما في ثبوتهم فيه من دفع مكرهه العدو عن ذراري المسلمين .

١٨٧١/٢

١٨٧٢/٢

قال : وحمل إليهم معهما أعطياتهم ، وولّى عليهم رجلاً من أهل

فلسطين يقال له حميد بن عبد الله اللخمي - وكان رضىً فيهم وكان
 وليهم قبل ذلك - فحمدوا ولايته . فقاما فيهم بأمره ، وأبلغاهم رسالته ، وقرأ
 عليهم كتابه ، فأجابوا إلى الثبوت في ثغرهم ولزوم مراكزهم . ثم بلغه أن ثابتاً
 قد كان يدسّ إلى قوادهم بالانصراف من ثغرهم واللحاق بأجنادهم ، فلما
 انصرفا إليه تهيأ للمسير وعرض جنده ، ودسّ ثابت بن نعيم إلى من معه من
 أهل الشام بالانخزال عن مروان والانضمام إليه ليسير بهم إلى أجنادهم ،
 ويتولّى أمرهم ؛ فانخزلوا عن عسكرهم مع من فرّ ليلاً وعسكروا على حدة .
 وبلغ مروان أمرهم فبات ليلته ومن معه في السلاح يتخارسون حتى أصبح ؛
 ثم خرج إليهم بمن معه ومن مع ثابت يضعفون على من مع مروان ،
 فصافوهم ليقاتلوهم ، فأمر مروان منادين فنادوا بين الصفين من الميمنة والميسرة
 والقلب ، فنادوهم : يا أهل الشام ؛ ما دعاكم إلى الانخزال ! وما الذى نقتم
 على فيه من سيّرى ! ألم ألكم بما تحبون ، وأحسن السيرة فيكم والولاية عليكم !
 ما الذى دعاكم إلى سفك دمائكم ! فأجابوه بأنا كنا نطيعك بطاعة خليفتنا
 وقد قتل خليفتنا وباع أهل الشام يزيد بن الوليد ، فرضينا بولاية ثابت ،
 ورأسناه ليسير بنا على ألويتنا حتى نردّ إلى أجنادنا . فأمر مناديه فنادى : أن
 قد كذبتم ، وليس تريدون الذى قلتم ؛ وإنما أردتم أن تركبوا رهوسكم ،
 فتغصبوا من مررتهم به من أهل الذمة أموالهم وأطعمتهم وأعلافهم ؛ وما بينى
 وبينكم إلا السيف حتى تنقادوا إلى ، فأسير بكم حتى أوردكم الفرات ، ثم
 أخلى عن كل قائد وجنده ، فتلحقون بأجنادكم . فلما رأوا الجند
 منه انقادوا إليه ومالوا له ، وأمكنوه من ثابت بن نعيم وأولاده ؛ وهم
 أربعة رجال : رفاعه ، ونعيم ، وبكر ، وعمران . قال : فأمر بهم
 فانزّلوا عن خيولهم ، وسلبوا سلاحهم ، ووضع في أرجلهم السلاسل .
 ووكل بهم عدة من حرسه يحتفظون بهم ، وشخص بجماعة من الجند من
 أهل الشام والخزيرة ، وضمهم إلى عسكره ، وضبطهم في مسيره ، فلم يقلد
 أحد منهم على أن يفسد ولا يظلم أحداً من أهل القرى ، ولا يرزأه شيئاً إلا
 بشمن ، حتى ورد حرّان . ثم أمرهم باللاحاق بأجنادهم ، وحبس ثابتاً معه ،

ودعا أهل الجزيرة إلى الفَرَض ، ففرض لنيّف وعشرين ألفاً من أهل الجَلَد منهم ، وتهيّأ للمسير إلى يزيد ، وكاتبه يزيد على أن يبايعه ويوليه ما كان عبد الملك بن مروان ولّى أباه محمد بن مروان من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان ، فبايع له مَرَوَّان ، ووجه إليه محمد بن عبد الله بن عُلَّانة ونفراً من وجوه الجزيرة .

• • •

[ذكر خبر وفاة يزيد بن الوليد]

١٨٧٤/٢

وفي هذه السنة مات يزيد بن الوليد ، وكانت وفاته سلخ ذى الحجة من سنة ست وعشرين ومائة ، قال أبو معشر ما حدثني به أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عنه : توفّي يزيد بن الوليد في ذى الحجة بعد الأضحى سنة ست وعشرين ومائة ، وكانت خلافته في قول جميع من ذكرنا ستة أشهر ، وقيل كانت خلافته خمسة أشهر وليّتين .

وقال هشام بن محمد : ولي ستة أشهر وأياماً . وقال عليّ بن محمد : كانت ولايته خمسة أشهر وأثنى عشر يوماً .

وقال عليّ بن محمد : مات يزيد بن الوليد لعشر بقين من ذى الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن ست وأربعين سنة .

وكانت ولايته فيما زعم ستة أشهر وليّتين ، وتوفى بدمشق .

واختلف في مبلغ سنه يوم توفى فقال هشام توفى وهو ابن ثلاثين سنة . وقال بعضهم : توفى وهو ابن سبع وثلاثين سنة . وكان يكنى أبا خالد وأمه أم ولد اسمها شاه آفرید بنت فتيرُوز بن يَزْدَجِرْد بن شهَرِيَار ابن كسرى . وهو القائل :

أَنَا ابْنُ كِسْرَى وَأَبِي مَرْوَانَ وَقَبِصِرْ جَدِّي وَجَدَّ خَاقَانَ
وقيل : إنه كان قد ربيّاً . وكان—فيما حدثني أحمد ، عن عليّ بن محمد في صفته—أسمر طويلاً ، صغير الرأس ، بوجهه خال . وكان جميلاً من رجل ، في فمه بعض السعة ، وليس بالمفرط .

وقيل له يزيد الناقص لتقصه الناس العشرات التي كان الوليد زادها الناس في قول الواقدي؛ وأما علي بن محمد فإنه قال: سبّه مروان بن محمد، فقال: الناقص ابن الوليد، فسماه الناس الناقص.

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز بن مروان ١٨٧٥/٢ في قول الواقدي. وقال بعضهم: حجّ بالناس في هذه السنة عمر بن عبد الله ابن عبد الملك، بعثه يزيد بن الوليد، وخرج معه عبد العزيز وهو على المدينة ومكة والطائف.

وكان عامله على العراق في هذه السنة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، وعلى قضاء الكوفة ابن أبي ليلى، وعلى أحداث البصرة المسور بن عمر بن عباد. وعلى قضائها عامر بن عبيدة، وعلى خراسان نصر بن نيار الكنانى.

• • •

خلافة أبى إسحاق إبراهيم بن الوليد

ثم كان إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان غير أنه لم يتم له أمر. فحدثني أحمد بن زهير، عن علي بن محمد، قال: لم يتم لإبراهيم أمره، وكان يسأله عليه جمعة بالخلافة، وجمعة بالإمرة؛ وجمعة لا يسلمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمرة؛ فكان على ذلك أمره حتى قدم مروان بن محمد فخلعه وقتل عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك.

وقال هشام بن محمد: استخلف يزيد بن الوليد أبا إسحاق إبراهيم بن الوليد؛ فمكث أربعة أشهر ثم خلع في شهر ربيع الآخر من سنة ست وعشرين ومائة، ثم لم يزل حياً حتى أصيب في سنة اثنتين وثلاثين ومائة أمه أم ولد.

حدثني أحمد بن زهير، قال: حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو هاشم محمد بن محمد، قال: كانت ولاية إبراهيم بن الوليد سبعين ليلة.

ثم دخلت سنة سبع وعشرين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد]

فما كان فيها من ذلك مسير مروان بن محمد إلى الشام والحرب التي جرت بينه وبين سليمان بن هشام بعين الجسر .
* ذكر ذلك والسبب الذي كانت عنه هذه الواقعة :

قال أبو جعفر : وكان السبب ما ذكرتُ بعضه ؛ من أمر مسير مروان بعد مقتل الوليد بن يزيد إلى الجزيرة من أرمينية ، وغلبته عليها ، مظهرًا أنه نائر بالوليد ، منكراً قتله ، ثم إظهاره البيعة ليزيد بن الوليد بعد ما ولّاه عمل أبيه محمد بن مروان ، وإظهاره ما أظهر من ذلك ، وتوجيهه وهو بخران محمد بن عبد الله بن عُلّانة وجماعة من وجوه أهل الجزيرة . فحدثني أحمد ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد ، قال : لما أتى مروان موتُ يزيد أرسل إلى ابن عُلّانة وأصحابه فردّهم من منسّيج ، وشخص إلى إبراهيم بن الوليد ، فسار مروان في جند الجزيرة ، وخلّف ابنه عبد الملك في أربعين ألف من الرابطة بالرقّة . فلما انتهى إلى قنّسرين ، وبها أخ ليزيد بن الوليد يقال له بشر ، كان ولّاه قنّسرين فخرج إليه فصافّه ، فنادى الناس ، ودعاهم مروان إلى مبايعته ، فقال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة في القيسية ، وأسلموا بشرًا وأخًا له يقال له مسرور بن الوليد ؛ سوكان أخا بشر لأمه وأبيه — فأخذه مروان وأخاه مسرور بن الوليد ؛ فحبسهما وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وأهل قنّسرين ، متوجهًا إلى أهل حمص ، وكان أهل حمص امتنعوا حين مات يزيد بن الوليد أن يبايعوا إبراهيم وعبد العزيز ابن الحجاج ، فوجه إليه إبراهيم عبد العزيز بن الحجاج وجند أهل دمشق ، فحاصروهم في مدينتهم ، وأغذّ مروان السّير ، فلما دنا من مدينة حمص ، رحل عبد العزيز عنهم ، وخرجوا إلى مروان فبايعوه ؛ وساروا بأجمعهم معه ،

ووجه إبراهيم بن الوليد الجنود مع سليمان بن هشام، فسار بهم حتى نزل عين الحرة، وأتاه مروان وسليمان في عشرين ومائة ألف فارس ومروان في نحو من ثمانين ألفاً فالتقيا، فدعاهم مروان إلى الكف عن قتاله، والتخلى عن ابني الوليد: الحكم وعثمان، وهما في سجن دمشق محبوسان، وضمن عنهما ألا يؤاخذاهم بقتلهم أباهما، وألا يطلب أحداً ممن ولي قتله؛ فأبوا عليه، وجدوا في قتاله؛ فاقتتلوا ما بين ارتفاع النهار إلى العصر، واستحضر القتل بينهم؛ وكثر في الفريقين. وكان مروان مجرباً مكيداً، فدعا ثلاثة نفر من قواده - أحدهم أخ لإسحاق بن مسلم يقال له عيسى - فأمرهم بالمسير خاف صفة في خيله وهم ثلاثة آلاف، ووجه معهم فعلة بالفؤوس، وقد ملأ الصقان من أصحابه وأصحاب سليمان بن هشام ما بين الجبلين المحيطين بالمرج، وبين العسكرين نهر جرار، وأمرهم إذا انتهوا إلى الجبل أن يقطعوا الشجر، فيعقدوا جسوراً، ويجوزوا إلى عسكر سليمان، ويغيروا فيه.

قال: فلم تشعر خيول سليمان وهم مشغولون بالقتال إلا بالخيل والبارقة^(١) والتكبير في عسكرهم من خلفهم، فلما رأوا ذلك انكسروا؛ وكانت هزيمتهم، ووضع أهل حمص السلاح فيهم لخردهم عليهم، فقتلوا منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، وكف أهل الجزيرة وأهل قنسرين عن قتلهم، فلم يقتلوا منهم أحداً، وأتوا مروان من أسرائهم بمثل عدة القتلى وأكثر، واستبيح عسكرهم. فأخذ مروان عليهم البيعة للغلامين: الحكم وعثمان، وخلص عنهم بعد أن قواهم. بدينار دينار، وألحقهم بأهاليهم، ولم يقتل منهم إلا رجلين يقال لأحدهما يزيد بن العقار وللآخر الوليد بن مصاد الكلبيان؛ وكانا فيمن سار إلى الوليد وولى قتله. وكان يزيد بن خالد بن عبد الله القسري معهم، فسار حتى هرب فيمن هرب مع سليمان بن هشام إلى دمشق؛ وكان أحدهما - يعني الكلبيين - على حرس يزيد والآخر على شرطه؛ فإنه ضرب بهما في موقفه ذلك بالسياط، ثم أمر بهما فحبسا فهلكا في حبسه.

قال: ومضى سليمان ومن معه من القل حتى صبحوا دمشق، واجتمع

(١) البارقة: السيوف؛ سميت بذلك لبريقها.

إليه وإلى إبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج رعوس من معهم ، وهم يزيد بن خالد القسري وأبو علاقة السكسكي والأصبغ بن ذؤالة الكلبي ونظراؤهم ؛ فقال بعضهم لبعض : إن بقي الغلامان ابنا الوليد حتى يقدم مروان ويخرجهما من الحبس ويصير الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قنّاة أبيهما ؛ والرأى أن نقتلهما . فولّوا ذلك يزيد بن خالد - ومعهما في الحبس أبو محمد السفيناني ويوسف بن عمر - فأرسل يزيد مولّى لخالد يقال له أبا الأسد ، في عدّة من أصحابه ، فدخل السجن ، فشدّخ الغلامين بالعمد ؛ وأخرج يوسف بن عمر ليقتلوه ، وضربت عنقه . وأرادوا قتل أبي محمد السفيناني ، فدخل بيتاً من بيوت السجن فأغلقه ، وألقى خلفه الفرش والوسائد ، واعتمد على الباب فلم يقدروا على فتحه ، فدعوا بنار ليحرقوه فلم يؤثروا بها ، حتى قيل : قد دخلت خيل مروان المدينة وهرب إبراهيم بن الوليد . وتغيّب ، وأذهب ساليما ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجنود وخرج من المدينة .

١٨٧٩/٢

* * *

[ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة دعا إلى نفسه عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بالكوفة ، وحارب بها عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ابن مروان ، فهزمه عبد الله بن عمر ، فلحق بالجبال فغلب عليها .

* ذكر الخبر عن سبب خروج عبد الله ودعائه الناس إلى نفسه : وكان إظهار عبد الله بن معاوية الخلف على عبد الله بن عمر ونصيبه الحرب له - فيما ذكر هشام عن أبي مخنف - في المحرم سنة سبع وعشرين ومائة . وكان سبب خروجه عليه - فيما حدّثني أحمد ، عن علي بن محمد ، عن عاصم ابن حفص التميمي وغيره من أهل العلم - أن ^(١) عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر قدّم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، ياتمس صلته ، ^(٢) لا يريد خروجاً ، فتزوج ابنة حاتم بن الشرق بن عبد المؤمن بن شبيب بن

١٨٨٠/٢

(١) الخبر في الأغاني ١٢ : ٢٢٨ وما بعدها .

(٢) الأغاني : « مستمياً » .

رَبْعَى ، فلما وقعت العصبيّة قال له أهل الكوفة : ادعُ إلى نفسك ، فبنو هاشم أولى بالأمر من بني مَرْوَان ، فدعا سرّاً بالكوفة وابن عمر بالحيرة ، وبايعه ابن ضَمْرَةَ الخُزَاعِيّ ، فدسّ إليه ابن عمر فأرضاه ، فأرسل إليه : إذا نحن التقينا بالناس انهنزمتُ بهم . وبلغ ابن معاوية ، فلما التقى الناس قال ابن معاوية : إن ابن ضَمْرَةَ قد غَدَرَ ، ووعد ابن عمر أن ينهزم بالناس ؛ فلا يؤولنكم انهنزامة ، فإنه عن غَدَرٍ يفعل . فلما التقوا انهنزم ابن ضَمْرَةَ ، وانهنزم الناس ، فلم يبق معه أحد ، فقال :

تَفَرَّقَتِ الطَّبَائُ عَلَى خِدَاشٍ فَمَا يَدْرِي خِدَاشُ مَا يَصِيدُ

فرجع ابن معاوية إلى الكوفة ؛ وكانوا التقوا ما بين الحيرة والكوفة ، ثم خرج إلى المدائن فبايعوه ، وأتاه قوم من أهل الكوفة ، فخرج فغلب على حلوان والجلال .

قال : ويقال قدم عبد الله بن معاوية الكوفة وجمع جمعاً ، فلم يعلم عبد الله بن عمر حتى خرج في الجبّانة مجمّعاً على الحرب ، فالتقوا ، وخالد بن قِطَظَن الحارثي على أهل اليمن ، فشُدّ عليه الأصبع بن ذُوَالَةِ الْكَلْبِيّ في أهل الشام ، فانهزم خالد وأهل الكوفة وأمسكت نزار عن نزار ورجعوا ، وأقبل خمسون رجلاً من الزيدية إلى دار ابن محرز القرشي يريدون القتال ، فقتلوا ، ولم يقتل من أهل الكوفة غيرهم .

قال : وخرج ابن معاوية من الكوفة مع عبد الله بن عباس التميمي إلى المدائن ، ثم خرج منها فغلب على الماهين وهَمْدَان وقوميس وأصبهان والرّي ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، وقال :

فَلَا تَرْكَبَنَّ الصَّنِيعَ الَّذِي تَلُومُ أَخَاكَ عَلَى مِثْلِهِ^(١)

(١) قبلهما في الأغاني :

أَلَا تَزْعُ الْقَلْبَ عَنْ جِهَلِهِ وَعَمَّا تُؤَنَّبُ مِنْ أَجْلِهِ !
فَأُبْدِلْ بَعْدَ الصَّبَا حِلْمَهُ وَأَقْصِرْ ذُو الْعَدْلِ عَنْ عَدْلِهِ

وَلَا يُعْجِبَنَّكَ قَوْلُ امْرِئٍ يَخَالِفُ مَا قَالَ فِي فِعْلِهِ (١)
 وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى ؛ فإنه زعم أن سبب ذلك أن عبد الله
 والحسن ويزيد بن معاوية بن عبد الله بن جعفر قدموا على عبد الله بن عمر ؛
 فنزلوا في النَّخَع ، في دار مولى لهم ، يقال له الوليد بن سعيد ، فأكرمهم ابن
 عمر وأجازهم ، وأجرى عليهم كل يوم ثلثمائة درهم ، فكانوا كذلك حتى
 هلك يزيد بن الوليد ، وباع الناس أخاه إبراهيم بن الوليد ومن بعده عبد العزيز
 ابن الحجاج بن عبد الملك ، فقد مت بيعتهما على عبد الله بن عمر بالكوفة ،
 فباع الناس لهما ، وزادهم في العطاء مائة مائة ؛ وكتب بيعتهما إلى الآفاق ،
 فجاءته البيعة ، فبينما هو كذلك ؛ إذ أتاه الخبر بأن مروان بن محمد قد سار
 في أهل الجزيرة إلى إبراهيم بن الوليد ، وأنه امتنع من البيعة له ، فاحتبس
 عبد الله بن عمر عبد الله بن معاوية عنده ، وزاده فيما كان يجري عليه ، وأعد مروان
 ابن محمد إن هو ظفر بإبراهيم بن الوليد ليباع له ؛ ويقا تل به مروان ؛ فهاج
 الناس في أمرهم ، وقرب مروان من الشام ، وخرج إليه إبراهيم فقاتله مروان ،
 فهزمه وظفر بعسكره وخرج هارباً ، وثبت عبد العزيز بن الحجاج يقاتل حتى
 قتل . وأقبل إسماعيل بن عبد الله أخو خالد بن عبد الله القسري هارباً حتى
 أتى الكوفة ؛ وكان في عسكر إبراهيم ، فافتعل كتاباً على لسان إبراهيم بولاية
 الكوفة ، فأرسل إلى اليمانية ، فأخبرهم سرّاً أن إبراهيم بن الوليد ولّا العراق ،
 فقبلوا ذلك منه ، وبلغ الخبر عبد الله بن عمر فباكره صلاة الغداة ، فقاتله من
 ساعته ، ومعه عمر بن العَضْبَان ؛ فلما رأى إسماعيل ذلك — ولا عهد معه
 وصاحبه الذي افتعل العهد على لسانه هارب منهزم — خاف أن يظهر أمره
 فيفتضح ويقتل ، فقال لأصحابه : إني كاره لسفك الدماء ؛ ولم أحسن
 أن يبلغ الأمر ما بلغ ، فكفّوا أيديكم . ففرّق القوم عنه ، فقال لأهل
 بيته : إن إبراهيم قد هرب ، ودخل مروان دمشق ، فحكى ذلك عن

١٨٨٢/٢

(١) بعدها في الأغاني :

ولا تُتبع الطَّرفَ ما لا تنالُ ولكن سلى الله من فضله
 فكُم من مقل ينال الغنى ويحمد في رزقه كُلُّه

أهل بيته ، فانتشر الخبر ، وأشرأبت الفتنة ، ووقعت العصيئة بين الناس . وكان سبب ذلك أن عبد الله بن عمر كان أعطى مضراً وربيعاً عطائاً عظيماً ، ولم يعط جعفر بن نافع بن القعقاع بن شؤر الذهليّ وعثمان بن الحبيب بن أبي تيمم اللات بن ثعابة شيئاً ، ولم يسوهما بنظرهما ؛ فدخل عليه ؛ فكلّمه كلاماً غليظاً ، فغضب ابنُ عمر ، وأمر بهما ، فقام إليهما عبد الملك الطائيّ - وكان على شرطه يقوم على رأسه - فدفعهما ، فدفعاه وخرجا مغضبين . وكان ثمامة بن حوثب بن رويم الشيبانيّ حاضراً ، فخرج مغاضباً لصاحبيه ، فخرجوا جميعاً إلى الكوفة ، وكان هذا وابن عمر بالحيرة ، فلما دخلوا الكوفة نادوا : يا آل ربيعة ، فثارت إليهم ربيعة ، فاجتمعوا وتمترّوا ، وبلغ الخبر ابنَ عمر ، فأرسل إليهم أخاه عاصماً ، فأتاهم وهم بدير هند قد اجتمعوا وحشدوا ، فالتقى نفسه بينهم ، وقال : هذه يدي لكم فاحكموا ؛ فاستحيوا وعظّموا عاصماً ، وتشكّروا له ، وأقبل على صاحبيهم فسكتا وكفّا ، فلما أمسى ابنُ عمر أرسل من تحت ليلته إلى عمر بن الغضبان بمائة ألف ، فقسمها في قومه بني همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وأرسل إلى ثمامة بن حوثب بن رويم بمائة ألف ، فقسمها في قومه ، وأرسل إلى جعفر بن نافع بن القعقاع بعشرة آلاف ، وإلى عثمان بن الحبيب بعشرة آلاف .

قال أبو جعفر : فلما رأت الشيعة ضَعْفَه اغتمزوا فيه ، واجترأوا عليه وطعموا فيه ودعوا إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . وكان الذي ولي ذلك هلال ابن أبي الورد مولى بني عجل ، فثاروا في غوغاء الناس حتى أتوا المسجد ، فاجتمعوا فيه وهلال القائم بالأمر ، فبايعه ناس من الشيعة لعبد الله بن معاوية ، ثم مضوا من فورهم إلى عبد الله ، فأخرجوه من دار الوليد بن سعيد ؛ حتى أدخلوه القصر ، وحالوا بين عاصم بن عمر وبين القصر ، فلمحق بأخيه عبد الله بالحيرة ، وجاء ابن معاوية الكوفيون فبايعوه ، فيهم عمر بن الغضبان بن القُبَيْري ومنصور بن جمهور وإسماعيل بن عبد الله القسريّ ومن كان من أهل الشام بالكوفة له أهل وأصل ، فأقام بالكوفة أياماً يبايعه الناس ، وأتته البيعة من المدائن وقمّ النبل ، واجتمع إليه الناس ، فخرج يريد عبد الله بن عمر بالحيرة ،

وبرز له عبد الله بن عمر فيمن كان معه من أهل الشام ، فخرج رجل من أهل الشام يسأله البراز ، فبرز له القاسم بن عبد الغفار ، فقال له الشامي^(١) : لقد دعوت حين دعوت ، وما أظن أن يخرج إلى رجل من بكر بن وائل ، والله ما أريد قتالك ، ولكن أحببت أن ألقى إليك ما انتهى إلينا ؛ أخبرك أنه ليس معكم رجل من أهل اليمن ؛ لا منصور ولا إسماعيل ولا غيرهما إلا وقد كاتب عبد الله بن عمر ، وجاءته كتب مضر ، وما أرى لكم أيها الحمي من ربيعة كتاباً ولا رسولا ، وليسوا موافقيكم يومكم حتى تُصْبِحُوا فيواقعوكم ، فإن استطعتم ألا تكون بكم الحزّة فافعلوا ، فإن رجل من قيس ، وسنكون غداً بإزائكم ؛ فإن أردتم الكتاب إلى صاحبنا أبلغته ، وإن أردتم الوفاء لمن خرجتم معه فقد أبلغتكم حال الناس . فدعا القاسم رجالاً من قومه ، فأعلمهم ما قال له الرجل ؛ وأنّ ميمنة ابن عمر من ربيعة ، ومضر ستقف بإزاء ميسرته وفيها ربيعة ، فقال عبد الله بن معاوية : إن هذه علامة مستظهر لنا إن أصبحنا ؛ فإن أحبّ عمر بن الغضبان قليلاً في الليلة ؛ وإن منعه شغل ما هو فيه فهو عذر^(٢) ؛ وقل له : إني لأظن القيسي قد كذب ، فأتى الرسول عمر بذلك ، فردّه إليه بكتاب يعلمه أن رسول هذا بمنزلي عندي ، ويأمره أن يتوثق من منصور وإسماعيل ، وإنما أراد أن يعلمهما بذلك . قال : فأبى ابن معاوية أن يفعل ، فأصبح الناس غادين على القتال ، وقد جعل اليمن في الميمنة ومضر وربيعة في الميسرة ، ونادى مُناد : من أتى برأس فله كذا وكذا ، أو بأسير فله كذا وكذا ، والمال عند عمر بن الغضبان .

والتقى الناس واقتتلوا ، وحمل عمر بن الغضبان على ميمنة ابن عمر فانكشفوا ، ومضى إسماعيل ومنصور من فورهما إلى الحيرة ، ورجعت^(٣) غوغاء الناس أهل اليمن من أهل الكوفة ، فقتلوا فيهم أكثر من ثلاثين رجلاً ، وقتل الهاشمي العباس بن عبد الله زوج ابنة الملاء .

ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه عن أبيه ، عن عاتكة بنت الملاء ،

(١) ابن الأثير : « فسأله الشامي فمعه فقال » .

(٢) ط : « فهو عذر » ، وما أثبتته من أ .

(٣) كذا في أ ، وفي ط : « وزحمت » .

تزوجت أزواجاً ، منهم العباس بن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قُتِلَ مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز في العصبية بالعراق . وقتل مبكر ابن الحواري بن زياد في غيرهم ؛ ثم انكشفوا وفيهم عبد الله بن معاوية حتى دخل نصر الكوفة ، وبقيت الميسرة من مَضَر وربيعة ومن يلازهم من أهل الشام ، وحمل أهل القلب من أهل الشام على الزيدية فانكشفوا ، حتى دخلوا الكوفة ، وبقيت الميسرة وهم نحو خمسمائة رجل ، وأقبل عامر بن ضُبارة ونُبَّاتة ابن حنظلة بن قبيصة وعتبة بن عبد الرحمن الثعلبي والنضر بن سعيد بن عمرو الحرشي ، حتى وقفوا على ربيعة ، فقالوا لعمر بن الغضبان : أما نحن يا معشر ربيعة ، فما كنا نأمنُ عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن ، ونتخوف عليكم مثلها ؛ فانصرفوا . فقال عمر : ما كنت بيارح أبداً حتى أموت ؛ فقالوا : إن هذا ليس بمن عنك ولا عن أصحابك شيئاً ، فأخذوا بعنان دابته فأدخلوه الكوفة .

قال عمر : حدثني علي بن محمد ، عن سليمان بن عبد الله النوفلي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا خيرآش بن المغيرة بن عطية مولى لبني ليث ، عن أبيه ، قال : كنت كاتب عبد الله بن عمر ؛ فوالله إني لعنده يوماً وهو بالحيرة إذ أتاه آت فقال : هذا عبد الله بن معاوية قد أقبل في الخلقتي ، فأطرق ملياً وجاءه رئيس خبازيه ، فقام بين يديه كأنه يؤذنه بإدراك طعامه ، فأومأ إليه عبدُ الله : أن هاته . فجاء بالطعام ، وقد شخصت قلوبنا ، ونحن نتوقع أن يهجم علينا ابن معاوية ونحن معه ، قال : فجعلت أتفقده : هل أراه تغير في شيء من أمره من مطعم أو مشرب أو منظر أو أمر أو نهى ؟ فلا والله ، ما أنكرت من هيئته قليلاً ولا كثيراً ؛ وكان طعامه إذا أتى به وُضع بين كل اثنين منا صحيفة . قال : فوضعت بيني وبين فلان صحيفة ، وبين فلان وفلان صحيفة أخرى ؛ حتى عدت من كان على خوانه ، فلما فرغ من غدائه ووضوئه ، أمر بالمال فأخرج ؛ حتى أخرجت آنية من ذهب وفضة وكُساء ، ففرق أكثر ذلك في قواده ، ثم دعا مولى له أو مملوكاً كان يتبرك به ويتفأل باسمه — إما يدعى ميموناً أو فتحاً أو اسماً من الأسماء المتبرك بها — فقال له :

خذلوا لك، وامض إلى تل كذا وكذا فاركزه [عليه] ^(١)؛ وادع أصحابك، وأقم حتى آتيتك . ففعل وخرج عبدُ الله وخرجنا معه ؛ حتى صار إلى التل فلإذا الأرض بيضاء من أصحاب ابنِ معاوية ، فأمر عبد الله منادياً ، فنادى : من جاء برأس فله خمسمائة ؛ فوالله ما كان بأسرع من أن أتى برأس ، فوضع بين يديه ؛ فأمر له بخمسمائة ، فدفعته إلى الذي جاء به ، فلما رأى أصحابه وفاءه لصاحب الرأس ، ثاروا ^(٢) بالقوم ؛ فوالله ما كان إلا هُنيئته حتى نظرت إلى نحو من خمسمائة رأس قد أُلقيت بين يديه ؛ وانكشف ابنُ معاوية ومن معه منهزمين ، فكان أول من دخل الكوفة من أصحابه منهزماً أبو البلاد مولى بني عبس وابنه سليمان بين يديه . وكان أبو البلاد متشيعاً فجعل أهل الكوفة ينادونهم كل يوم ؛ وكأنهم يعبرونهم بانهزمه ؛ فجعل يصيح بابنه سليمان : امضِ ودع التواضع ^(٣) . ينفقن . قال : ومروا عبد الله بن معاوية فطوى الكوفة ، ولم يرج بها حتى أتى الجبل .

١٨٨٧/٢

وأما أبو عبيدة : فإنه ذكر أن عبد الله بن معاوية وإخوته دخلوا القصر فلما أمسوا قالوا لعمر بن الغضبان وأصحابه : يا معشرَ ربيعة ، قد رأيت ما صنع الناس بنا ؛ وقد أعلقنا دماءنا في أعناقكم ؛ فإن كنتم مقاتلين معنا قاتلنا معكم ؛ وإن كنتم تروون الناس خاذلين وإيّاكم ؛ فخذوا لنا ولكم أماناً ؛ فما أخذتم لأنفسكم فقد رضينا لأنفسنا ، فقال لهم عمر بن الغضبان : ما نحن بتارككم من إحدى خلتين : إما أن نقاتل معكم ، وإما أن نأخذ لكم أماناً كما نأخذ لأنفسنا ، فطيبوا نفساً ، فأقاموا في القصر ، والزيدية على أفواه السكك يتغذو عليهم أهل الشام وبيروجن ، يقاتلونهم أياماً . ثم إن ربيعة أخذت لأنفسها وللزيدية ولعبد الله بن معاوية أماناً ؛ ألا يتبعوهم ويذهبوا حيث شاءوا . وأرسل عبد الله بن عمر إلى عمر بن الغضبان يأمره بنزول القصر وإخراج عبد الله بن معاوية ، فأرسل إليه ابنُ الغضبان فرحلته ومن معه من شيعته ومن تبعه من أهل المدائن وأهل السواد وأهل

(١) من أ . (٢) ط : « نادوا » ، وأثبت ما في أ .

(٣) التواضع : جمع ناضح ؛ وهو البعير أو الثور أو الحمار يستقى عليه .

الكوفة ، فسار بهم رسلُ عمر حتى أخرجوهم من الجسّس فقتل عمر من القصر .

• • •

[ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مَرَوْ]

١٨٨٨/٢

وفي هذه السنة وافى الحارث بن سريج مَرَوْ ، خارجاً إليها من بلاد الترك بالأمان الذي كتب له يزيد بن الوليد ، فصار إلى نصر بن سيار ، ثم خالفه وأظهر الخلاف له ، وباعه على ذلك جمع كبير .

• ذكر الخبر عن أمره وأمر نصر بعد قدومه عليه :

ذكر علي بن محمد عن شيوخي ؛ أن الحارث سار إلى مَرَوْ ، مخرجه^(١) من بلاد الترك ، فقدمها يوم الأحد لثلاث بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة ، فتلّقه سلم بن أحوز ، والناس بكشماهين ، فقال محمد بن الفضل^(٢) ابن عطية العبسي : الحمد لله الذي أقر أعيننا بقدمك ، وردك إلى فئة الإسلام وإلى الجماعة . قال : يا بني ؛ أما علمت أن الكثير إذا كانوا على معصية الله كانوا قليلاً ، وأن القليل إذا كانوا على طاعة الله كانوا كثيراً ! وما قرّت عيني منذ خرجت إلى يومى هذا ، وما قرّة عيني إلا أن يطاع الله . فلما دخل مَرَوْ قال : اللهم إني لم أنو قطّ في شيء مما بيني وبينهم إلا الوفاء ، فإن أرادوا الغدر فانصرتي عليهم . ولقاه نصر فأنزله قَصْر بُخاراخذاه ، وأجرى عليه نزلاً^(٣) خمسين درهماً في كلّ يوم ، وكان يقتصر على لون واحد ، وأطلق نصر من كان عنده من أهله ؛ أطلق محمد بن الحارث والألوف بنت الحارث وأم بكر ؛ فلما أتاه ابنه محمد ، قال : اللهم اجعله باراً تقياً .

قال : وقدم الوضاح بن حبيب بن بُدَيْل على نَصْر بن سيار من عند عبد الله بن عمر ، وقد أصابه برد شديد ، فكساه أثواباً ، وأمر له بقري وجارينين ؛ ثم أتى الحارث بن سريج ، وعنده جماعة من أصحابه قيام على رأسه ، فقال له : إننا بالعراق ، نشهر عظم عمودك وثقله ؛ وإني أحب أن أراه ، فقال : ما هو إلا كبعض ما ترى مع هؤلاء - وأشار إلى أصحابه - ولكنني إذا ضربت به [شهرت^(٤)] ضربتني ، قال : وكان في عموده بالشام ثمانية عشر رطلاً .

١٨٨٩/٢

(١) ا : « مقدمه » . (٢) ط : « الفضيل » ، وصوابه من ا . (٣) من ا .

قال : ودخل الحارث بن سريج على نصير ، وعليه الجوشن^(١) الذي أصابه من خاقان ، وكان خيـره بين مائة ألف دينار دنـبـكـائيـة وبين الجوشن ؛ فاخـتـار الجوشن . فنظرت إليه المرزبـانة بنت قـديـد ؛ امرأـة نصر بن سيار ، فأرسلت إليه بـجرز لها سـمـور^(٢) ، مع جارية لها فقالت ، أقرئ ابن عمي السـلام ، وقولـي له : اليوم بارد فاستدفئ بهذا الجرز السـمـور ، فالحمد لله الذي أقدمك صالحاً . فقال للجارية : أقرئ بنت عمي السلام ، وقولـي لها : أعاريت أم هـديـة ؟ فقالت : بل هـديـة ؛ فباعه بأربعة آلاف دينار وقسمها في أصحابه . وبعث إليه نصر بفرش كثيرة وفرس ، فباع ذلك كله ، وقسمه في أصحابه بالسوية . وكان يجلس على برزعة ، وتثنى له وسادة غليظة . وعرض نصر على الحارث أن يوليه ويعطيه مائة ألف دينار ، فلم يقبل ، وأرسل إلى نصر : إني لست من هذه الدنيا ولا من هذه اللذات ، ولا من تزويج عقائل العرب في شيء ؛ وإنما أسأل كتاب الله عز وجل والعمل بالسنة واستعمال أهل الخير والفضل ، فإن فعلت ساعدتك على عدوك .

١٨٩٠/٢

وأرسل الحارث إلى الكرمانى : إن أعطاني نصر العمل بكتاب الله وما سألتـه من استعمال أهل الخير والفضل عضدته وقمت بأمر الله ، وإن لم يفعل استعنت بالله عليه ، وأعتك إن ضمنت لى ما أريد من القيام بالعدل والسنة .

وكان كلما دخل عليه بنو تميم دعاهم إلى نفسه ، فبايعه محمد بن حمران ومحمد ابن حرب بن جبر فاس المنقرىآن والخليل بن غزوان العدوى ، وعبد الله ابن مجاعة وهبيرة بن شراحيل السعديان ، وعبد العزيز بن عبد ربه الليثي ، وبشر ابن جرموز الضبي ، ونهار بن عبد الله بن الحتات المجاشعي ، وعبد الله النبائي^(٣) .

وقال الحارث لنصر : خرجت من هذه المدينة منذ ثلاث عشرة سنة إنكاراً للجور ، وأنت تربلني عليه ! فانضم إلى الحارث ثلاثة آلاف .

• • •

(١) في اللسان : « الجوشن من السلاح : زرد يلبس على الصدر » .

(٢) الجرز ، بالكسر : لباس النساء من الوبر والجلد . وفي اللسان : « السمور : دابة

معروفة تسوى من جلودها فراء غالبية الأثمان » . (٣) ١ : « البتاني » .

خلافة مروان بن محمد

وفي هذه السنة يبيع بدمشق لمروان بن محمد بالخلافة :

• ذكر الخبر عن سبب البيعة له :

حدثني أحمد ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد مولى عثمان بن عفان ، قال : لما قيل : قد دخلت خيل مروان دمشق هرب إبراهيم بن الوليد وتغيّب ، فانتهب^(١) سليمان ما كان في بيت المال وقسمه فيمن معه من الجند ، وخرج من المدينة ، وثار من فيها من موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ، ونبشوا قبر يزيد بن الوليد وصلبوه على باب الجابية ، ودخل مروان دمشق فنزل عالية ، وأتى بالغلامين مقتولين ويوسف بن عمر فأمر بهما فدفنوا ، وأتى بأبي محمد السفيناني محمولاً في كبوله ، فسلم عليه بالخلافة ، ومروان يومئذ يسلم عليه بالإمرة ، فقال له : مه ، فقال : إنهما جعلاهما لك بعدهما ، وأنشده شعراً قاله الحكم في السجن .

١٨٩١/٢

قال : وكانا قد بلغا ، وولد لأحدهما وهو الحكم والآخر قد احتلم قبل ذلك بستين ، قال : فقال الحكم :

أَلَا مَنْ مَبْلُغُ مَرْوَانَ عَنِّي	وَعَمَى الْغَمْرَ طَالَ بَذَا حَيْنَا ^(٢)
بَأَنِّي قَدْ ظَلَمْتُ وَصَارَ قَوِي	عَلَى قَتْلِ الْوَلِيدِ مَتَابِعِنَا ^(٣)
أَيْذَهَبُ كُلِّهِمْ يَدِي وَمَالِي ^(٤)	فَلَا غَنَّا أَصَبْتُ وَلَا سَمِينَا
وَمَرْوَانُ بَارِضُ بَنِي نِزَارٍ	كَلَيْثُ الْغَابِ مَفْتَرِسُ عَرِينَا
أَلَمْ يَحْزُنْكَ قَتْلُ فَتَى قَرِيشٍ	وَشَقُّهُمْ عَصَى الْمُسْلِمِينَا
أَلَا فَاقَرَ السَّلَامَ عَلَى قُرَيْشٍ	وَفَيْسَ بِالْجَزِيرَةِ أَجْمَعِينَا
وَسَادَ النَّاqِصُ الْقَدْرِي فِينَا ^(٥)	وَأَلْقَى الْحَرْبَ بَيْنَ بَنِي أُبَيْنَا

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « فأنهب » . (٢) ابن الأثير : « طال به » .

(٣) ١ : « مشايعنا » . (٤) ابن الأثير : « أينعب كلهم » .

(٥) ١ : « وسار » .

فَلَوْ شَهِدَ الْقَوَارِسُ مِنْ سَلِيمٍ وَكَعْبٌ لَمْ أَكُنْ لَهُمْ رَهِينًا
وَلَوْ شَهِدَتْ لُيُوثُ بَنِي نَعِيمٍ لَمَا بَغْنَا ثُرَاثَ بَنِي أَبِيْنَا
أَتُنَكِّثُ بَيْعَتِي مِنْ أَجْلِ أُمِّي فَقَدْ بَايَعْتُمْ قَبْلِي هَاجِنَا
فَلَبِثَ خُثُولَتِي مِنْ غَيْرِ كَلْبٍ وَكَانَتْ فِي وَلَادَةِ آخَرِنَا
فَإِنْ أَهْلِكَ أَنَا وَوَلِيَّ عَهْدِي فَمُرَوَّانُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

ثم قال : ابسط يدك أبايك ، وسمعه من مع مروان من أهل الشام ؛ فكان أول من نهض معاوية بن يزيد بن الحُصَيْن بن نُمَيْر ورءوس أهل حمص ، فبايعوه ، فأمرهم أن يختاروا لولاية أجنادهم ، فاختار أهل دمشق زامل بن عمرو الجبراني ، وأهل حمص عبد الله بن شجرة الكندي ، وأهل الأردن الوليد بن معاوية بن مروان ، وأهل فلسطين ثابت بن نعيم الجذامي الذي كان استخرجه من سجن هشام وغدر به بأرمينية ، فأخذ عليهم العهود المؤكدة والأيمان المغلظة على بيعته ، وانصرف إلى منزله من حرّان .

١٨٩٢/٢

قال أبو جعفر : فلما استوت لمروان بن محمد الشام وانصرف إلى منزله بجرّان طلب الأمان منه إبراهيم بن الوليد وسليمان بن هشام فآمنهم ، فقدم عليه سليمان - وكان سليمان بن هشام يومئذ بتدمر بمن معه من إخوته وأهل بيته وواليه الذكوانية - فبايعوا مروان بن محمد .

• • •

[ذكر الخبر عن انتقاض أهل حمص على مروان]

وفي هذه السنة انتقض على مروان أهل حمص وسائر أهل الشام فحاربهم .

• ذكر الخبر عن أمرهم وأمره وعن سبب ذلك :

حدثني أحمد^(١) ، قال حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : لما انصرف مروان إلى منزله من حرّان بعد فراغه من أهل الشام لم يلبث إلا ثلاثة أشهر ؛ حتى خالفه أهل الشام وانتقضوا عليه ؛ وكان الذي دعاهم إلى ذلك ثابت بن نعيم ، وراسلهم

(١) هو أحمد بن زهير (الراوى).

وكتائبهم ، وبلغ مَرَوَان خبرهم ، فسار إليهم بنفسه ، وأرسل أهل حمص إلى مَنْ يَدمر من كَلْب ؛ فشخص إليهم الأصمغ بن ذؤالة الكلبيّ ومعه بنون له ثلاثة رجال : حمزة وذؤالة وفُرافصة ومعاوية السكسكيّ — وكان فارس أهل الشام — وعصمة بن المقشعر وهشام بن مَصّاد وطفيل بن حارثة ونحو ألف من فرسانهم ، فدخلوا مدينة حِمص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومائة. قال : مروان بحمّة ليس بينه وبين مدينة حِمص إلا ثلاثون ميلاً ، فأناه خبرهم صبيحة الفِطْرِ ، فجحد في السير ، ومعه يومئذ إبراهيم بن الوليد المخاوع وسليمان بن هشام ؛ وقد كانا راسلاه وطلبا إليه الأمان ، فصارا معه في عسكره يكرهما ويُدنيهما ويجلسان معه على غداثه وعشائه ، ويسيران معه في مَوَكِبِهِ. فأنتهى إلى مدينة حِمص بعد الفِطْرِ بيومين ، والكلبيّة فيها قد ردّموا أبوابها من داخل ، وهو على عُدّة معه روابطه ، فأحدثت خيله بالمدينة ، ووقف حذاء باب من أبوابها ، وأشرف على جماعة من الحائط ، فناداهم مناديه : ما دعاكم إلى النكث ؟ قالوا : فإنّا على طاعتك لم نَنكث ، فقال لهم : فإن كنتم على ما تذكرون فافتحوا ، ففتحوا الباب ، فاقتحم منه عمرو بن الوضاح في الوضاحيّة [وهم] نحو من ثلاثة آلاف فقاتلوه في داخل المدينة ؛ فلما كَثُرَتْهم خيلُ مروان ، انتهوا إلى باب من أبواب المدينة يقال له باب تَدَمُر ، فخرجوا منه والروابط عليه فقاتلواهم ، فقتل عامتهم ، وأفلت الأصمغ بن ذؤالة والسكسكيّ وأسر ابنا الأصمغ : ذؤالة وفُرافصة في نَيْفٍ وثلاثين رجلاً منهم ، فَأَتَى بِهِم مروان فقتلهم وهو واقف ، وأمر بجمع قتلاهم وهم خمسمائة أو ستمائة ، فصلبوا حول المدينة ، وهدم مِنْ حائط مدينتها نحواً من غَلْوَة . وثار أهل الغوطة إلى مدينة دمشق ، فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو ، وولّوا عليهم يزيد بن خالد القسريّ ، وثبت مع زامل المدينة وأهلها وقائد في نحو أربعمائة ، يقال له أبو هَبَّار القرشيّ فوجّه إليهم مَرَوَان من حِمص أبا الورد بن الكوثر بن زُفَر بن الحارث — واسمه مجزأة — وعمرو بن الوضاح في عشرة آلاف ، فلما دَنَوْا من المدينة حملوا عليهم ، وخرج أبو هَبَّار وخيله من المدينة ، فهزموهم واستباحوا عسكرهم وحرقوا المِيزَةَ من قرى اليمانية ، ولحق يزيد بن خالد وأبو عِلاقة إلى رجلٍ من لُحَمٍ من أهل المِيزَةِ ، فدُلَّ عليهما زامل ، فأرسل إليهما ، فقتلا

١٨٩٣/٢

١٨٩٤/٢

قبل أن يوصل بهما إليه ، فبعث برأسيهما إلى مَرْوَانَ بِحِمْنٍ ، وخرج ثابت ابن نَعِيمٍ من أهل فلسطين ؛ حتى أتى مدينة طَبَرِيَّةَ ، فحاصر أهلها ، وعليها الوليد بن معاوية بن مَرْوَانَ ؛ ابن أخى عبد الملك بن مروان ، فقاتلوه أياماً ، فكتب مَرْوَانَ إلى أبى الورد أن يشخص إليهم فيمدّهم . قال : فرحل من دمشق بعد أيام ، فلما بلغهم ذنوبه خرجوا من المدينة على ثابت ومن معه ، فاستباحوا عسكرهم ، فانصرف إلى فلسطين منهزمًا ، فجمع قومه وجنّده ؛ ومضى إليه أبو الورد فهزمه ثانية ، وتفرّق من معه ، وأسر ثلاثة رجال من ولده ؛ وهم نَعِيمٌ وبَكْرٌ وعمران ، فبعث بهم إلى مَرْوَانَ فقدم بهم عليه ؛ — وهو بدير أيوب — جرحى ، فأمر بمداواة جراحتهم ، وتغيّب ثابت بن نعيم ، فولّى الرّماحس بن عبدالعزيز الكنانى فلسطين ، وأفلت مع ثابت من ولده رفاة ابن ثابت — وكان أخبثهم — فلمحق بمنصور بن جمهور ، فأكرمه وولاه وخلفه مع أخ له يقال له منظور بن جمهور ؛ فوثب عليه فقتله ، فبلغ منصوراً وهو متوجّه إلى المُلُتَانِ (١) ، وكان أخوه بالمنصورة ، فرجع إليه فأخذه ، فبنى له أسطوانة من آجرٍ مجوّفة ، وأدخله فيها ، ثم ستمه إليها ، وبنى عليه .

١٨٩٥/٢

قال : وكتب مَرْوَانَ إلى الرّماحس في طلب ثابت والتلطّف له ، فدلّ عليه رجل من قومه فأخذ ومعه نفر ، فأتى به مَرْوَانَ موثّقاً بعد شهرين ، فأمر به وبينه الذين كانوا في يديه ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ؛ ثم حملوا إلى دمشق ، فرأيتهم مقطّعين ، فأقيموا على باب مسجدّها ؛ لأنه كان يبلغه أنهم يرجفون بثابت ، ويقولون : إنه أتى مصر ؛ فغلب عليها ، وقتل عامل مَرْوَانَ بها . وأقبل مَرْوَانَ من دير أيوب حتى بايع لابنيه عبيد الله وعبد الله ، وزوّجهما ابنتى هشام بن عبد الملك ؛ أمّ هشام وعائشة ، وجمع لذلك أهل بيته جميعاً ؛ من ولد عبد الملك محمد وسعيد وبكار وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورواس العرب ، وقطع على أهل الشام بعضاً وقواهم ، وولّى على كل جند منهم قائداً منهم ، وأمرهم باللاحاق بيزيد بن عمر بن هُبيرة . وكان قبل مسيره إلى الشام وجهه في عشرين ألفاً من أهل قنيسرين والجزيرة ، وأمره أن ينزل دورين إلى أن يقدم ، وصيّره

١٨٩٦/٢

مقدمة له ، وانصرف من دير أيوب إلى دمشق ؛ وقد استقامت له الشام كلها ما خلا تدمر ، وأمر بـثابت بن نعيم وبنيه والنفر الذين قطعهم فقتلوا وصلبوا على أبواب دمشق ، قال : فرأيتهم حين قتلوا وصلبوا . قال : واستبقى رجلاً منهم يقال له عمرو بن الحارث الكلبى ، وكان - فيما زعموا - عنده علم من أموال كان ثابت وضعها عند قوم ، ومضى بمن معه ، فنزل القسطل من أرض حمص مما يلي تدمر ؛ بينهما مسيرة ثلاثة أيام ؛ وبلغه أنهم قد عتروا^(١) ما بينه وبينها من الآبار ، وطمئوها بالصخر ؛ فهبطاً المزد والقرب والأعلاف والإبل ، فحمل ذلك له ولمن معه ، فكلمه الأبرش بن الوليد وسليمان ابن هشام وغيرهما ، وسأله أن يعذر إليهم ، ويحتج عليهم . فأجابهم إلى ذلك ، فوجته الأبرش إليهم أخاه عمرو بن الوليد ، وكتب إليهم يحذروهم ويملهم أنه يتخوف أن يكون هلاكه وهلاك قومه ، فطرده ولم يجيبوه ، فسأله الأبرش أن يأذن له فى التوجه^(٢) إليهم ، ويؤجله أياماً ، ففعل ، فأتاهم فكلمهم وخوفهم وأعلمهم أنهم حمقى ، وأنه لا طاقة لهم به وبمن معه ، فأجابه عامتهم ، وهرب من لم يثق به منهم إلى برية كلب وباديتهم ، وهم السكسكى وعيصمة بن المقشعر وطفيل بن حارثة ومعاوية بن أبى سفيان بن يزيد بن معاوية ، وكان صهر الأبرش على ابنته . وكتب الأبرش إلى مروان يعلمه ذلك ، فكتب إليه مروان : أن اهدم حائط مدينتهم ، وانصرف إلى بمن بايعك منهم .

فانصرف إليه ومعهم [من] ^(٣) رءوسهم الأصبع بن ذؤالة وابنه حمزة وجماعة من رءوسهم ، وانصرف مروان بهم على طريق البرية على سورية ودير اللشق ، حتى قدم الرصافة ومعهم سليمان بن هشام وعمه سعيد بن عبد الملك وإخوته جميعاً وإبراهيم الخلوع وجماعة من ولد الوليد وسليمان ويزيد ، فأقاموا بها يوماً ، ثم شخّص إلى الرقة فاستأذنه سليمان ، وسأله أن يأذن له أن يقيم أياماً ليقوى من معه من مواليه ، ويحجم ظهوره ثم يتبعه ، فأذن له ومضى مروان ، فنزل

(١) عور البئر : أفسدها ؛ وفى اللسان : « وفى حديث على : « أمره أن يعمر آبار بدر » ، أى ينفها ويطنها .
(٢) كذا ما فى وهو الصواب ، وفى ط : « التوجيه » .
(٣) من أ .

عند واسط على شاطئ الفرات في عسكر كان ينزله ، فأقام به ثلاثة أيام ، ثم مضى إلى قرقيسيا وابن هبيرة بها ، ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك ابن قيس الشيباني الحروري ، فأقبل في نحو عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليهم البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم حتى حلّوا بالرصافة ، فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربته .

وفي هذه السنة دخل الضحاك بن قيس الشيباني الكوفة .

ذكر الأخبار عن خروج الضحاك

محكمًا ودخوله الكوفة ، ومن أين كان إقباله إليها

اختلف في ذلك من أمره ، فأما أحمد^(١) ، فإنه حدثني عن عبد الوهاب ابن إبراهيم ، قال : حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : كان سبب خروج الضحاك أن الوليد حين قتل خرج بالجزيرة حروري يقال له سعيد ابن بهدل الشيباني في مائتين من أهل الجزيرة ؛ فيهم الضحاك ، فاغتم قتل الوليد واشتغال مروان بالشأم ، فخرج بأرض كفترتوثا ، وخرج بسطام البيهسي وهو مفارق لرأيه في مثل عدتهم من ربيعة ، فسار كل واحد منهما إلى صاحبه ؛ فلما تقارب العسكران وجّه سعيد بن بهدل الخيبري — وهو أحد قواده ، وهو الذي هزم مروان — في نحو من مائة وخمسين فارساً لبيسته ، فانتبهى إلى عسكره وهم غارئون ، وقد أمر كل واحد منهم أن يكون معه ثوب أبيض يجلل به رأسه ، ليعرف بعضهم بعضاً ، فبكروا في عسكرهم فأصابوهم في غرة ، فقال الخيبري :

١٨٩٨/٢٠

إن يك بسطام فإني الخيبري أضرب بالسيف وأحمي عسكري

فقتلوا بسطاماً وجميع من معه إلا أربعة عشر ، فلحقوا بمروان ، فكانوا معه فأثبتهم في روابطه ، وولّى عليهم رجلاً منهم يقال له مقاتل ، ويكنى أبا النعثل . ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تشتت الأمر بها واختلاف أهل الشأم ، وقتل بعضهم بعضاً مع عبد الله بن عمر ،

والتنضر بن سعيد الحرثي - وكانت اليمانية من أهل الشام مع عبد الله بن عمر بالحيرة ، والمضرية ، مع ابن الحرثي بالكوفة ؛ فهم يقتتلون فيما بينهم غدوة وعشية . قال : فمات سعيد بن بهدل في وجهه ذلك من طاعون أصابه ؛ واستخلف الضحاك بن قيس من بعده ؛ وكانت له امرأة تسمى حوماء ، فقال الخيري في ذلك :

سقى الله يا حوماء قبر ابن بهدل إذا رحل السارون لم يترحل
قال : واجتمع مع الضحاك نحو من ألف ثم توجه إلى الكوفة ، ومرو

١٨٩٩/٢

بأرض الموصل ، فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة (١) نحو من ثلاثة آلاف ، وبالحيرة عبد الله بن عمر في اليمانية ، فهم متعصبون يقتتلون فيما بين الكوفة والحيرة ، فلما دنا إليه الضحاك فيمن معه من الكوفة اصطبلح ابن عمر والحرثي ، فصار أمرهم واحداً ، ويدأ على قتال الضحاك ، وخذقا على الكوفة ، ومعهما يومئذ من أهل الشام نحو من ثلاثين ألفاً ، لهم قوة وعدة ، ومعهم قائد من أهل قنسرين ، يقال له عباد بن الغزيل في ألف فارس ، قد كان مروان أمده به ابن الحرثي ، فبرزوا لهم ، فقاتلوهم ، فقتل يومئذ عاصم بن عمر بن عبد العزيز وجعفر بن عباس الكندي ، وهزمهم أقبح هزيمة ، ولحق عبد الله بن عمر في جماعتهم بواسط ، وتوجه ابن الحرثي - وهو التنضر - وجماعة المضرية وإسماعيل ابن عبد الله القسري إلى مروان ، فاستولى الضحاك والجزرية على الكوفة وأرضها ، وجبوا السواد . ثم استخلف الضحاك رجلاً من أصحابه - يقال له ملحان - على الكوفة في مائتي فارس ، ومضى في عظم أصحابه إلى عبد الله ابن عمر بواسط ، فحاصره بها ؛ وكان معه قائد من قواد أهل قنسرين يقال له عطية الثعالبى (٢) - وكان من الأشداء - فلما تخوف محاصرة الضحاك خرج في سبعين أو ثمانين من قومه متوجهاً إلى مروان ، فخرج على القادسية ، فبلغ ملحان ممره ، فخرج في أصحابه مبادراً يريده ، فلقه على قنطرة السيلحين - وملحان قد تسرع في نحو من ثلاثين فارساً - فقاتله

(١) ١ : « السواد » . (٢) ط : « الثعالبى » ، تحريف .

١٩٠٠/٢

فقتله عطية وناساً من أصحابه . وانهزم بقيتهم حتى دخلوا الكوفة ، ومضى عطية حتى لحق فيمن معه مروان .

وأما أبو عبيدة معمر بن المثنى ، فإنه قال : حدثني أبو سعيد ، قال : لما مات سعيد بن بهدل المرسى ، وبايعت الشراة للضحاك ، أقام بشهر زور وثابت إليه الصُفْرىة من كل وجه حتى صار في أربعة آلاف ، فلم يجتمع مثلهم لخارجي قط قبله . قال : وهلك يزيد بن الوليد وعامله على العراق عبد الله بن عمر ، فأنحط مروان من أرمينية حتى نزل الجزيرة ، وولّى العراق النضر بن سعيد — وكان من قواد ابن عمر — فشخص إلى الكوفة ، ونزل ابن عمر الحيرة ، فاجتمعت المضربة إلى النضر واليهانية إلى ابن عمر ، فحاربه أربعة أشهر ، ثم أمد مروان النضر بابن الغزيل ، فأقبل الضحاك نحو الكوفة وذلك في سنة سبع وعشرين ومائة ، فأرسل ابن عمر إلى النضر : هذا لا يريد غيري وغيرك ، فسلم نجتمع عليه [فتعاقدوا عليه] ^(١) ، وأقبل ابن عمر ، فنزل تلّ الفتح وأقبل الضحاك ليعبر الفرات ، فأرسل إليه ابن عمر حمزة بن الأصبح بن ذؤالة الكلبي ليمنعه من العبور ، فقال عبيد الله بن العباس الكندي : دعه يعبر إلينا ، فهو أهون علينا من طلبه . فأرسل ابن عمر إلى حمزة يكفئه عن ذلك ، فنزل ابن عمر الكوفة ، وكان يصلى في مسجد الأمير بأصحابه ، والنضر بن سعيد في ناحية الكوفة يصلى بأصحابه ، لا يجامع ابن عمر ولا يصلى معه ، غير أنهما قد تكافآ واجتمعا على قتال الضحاك ، وأقبل الضحاك حين رجع حمزة حتى عبّر الفرات ، ونزل النخيلة يوم الأربعاء في رجب سنة سبع وعشرين ومائة ، فحفظ إليهم أهل الشام من أصحاب ابن عمر والنضر ، قبل أن ينزلوا ، فأصابوا منهم أربعة عشر فارساً وثلاث عشرة امرأة . ثم نزل الضحاك وضرب عسكره ، وعبى أصحابه ، وأراح ، ثم تغادوا يوم الخميس ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكشفوا ابن عمر وأصحابه ، وقتلوا أخاه عاصماً ، قتلته البرذون بن مرزوق ^(٢) الشيباني . فدفنه بنو الأشعث بن قيس في دارهم ، وقتلوا جعفر بن العباس الكندي أخا عبيد الله ، وكان جعفر على شرطة عبد الله بن عمر ، وكان

١٩٠١/٢

الذى قتل جعفرًا عبد الملك بن علقمة بن عبد القيس ، وكان جعفر حين رقهه عبد الملك نادى ابن عم له يقال له شاشلة ، فكرّ عليه شاشلة ، وضربه رجل من الصُّفَرِيَّة ، ففلق وجهه .

قال أبو سعيد : فرأيت بعد ذلك كأن له وجهين ، وأكب عبد الملك على جعفر فذبحه ذبحاً ، فقالت أم البرذون الصُّفَرِيَّة :

نَحْنُ قَتَلْنَا عَاصِماً وَجَعَفَرًا وَالْفَارِسَ الضُّبِّيَّ حِينَ أَصْحَرَا
• وَنَحْنُ جِئْنَا الْخَنْدُقَ الْمُقَرَّ •

فانهزم أصحاب ابن عمر ، وأقبل الخوارج ، فوقفوا على خندقنا إلى الليل ثم انصرفوا ، ثم تغادينا يوم الجمعة ؛ فوالله ماتنا منّا حتى هزُمونا ، فدخلنا خنادقنا ، وأصبحنا يوم السبت ؛ فإذا الناس يتسللون ويهربون إلى واسط ، ورأوا قوماً لم يروا مثلهم قط أشدّ بأساً ؛ كأنهم الأسد عند أشبالها ، فذهب ابن عمر ينظر أصحابه ، فإذا عامتهم قد هربوا تحت الليل ، ولحق عظمهم بواسط ؛ فكان ممن لحق بواسط النضر بن سعيد وإسماعيل بن عبد الله ومنصور ابن جمهور والأصبع بن ذؤالة وابناه : حمزة وذؤالة ، والوليد بن حسان الغسانيّ وجميع الوجوه ، وبقي ابن عمر فيمن بقي من أصحابه مقيماً لم يبرح .

١٩٠٢/٢

ويقال : إن عبد الله بن عمر لما ولي العراق ولّى الكوفة عبيد الله بن العباس الكندي وعلى شرّطه عمر بن الغضبان بن القسْبَعَرِيّ ، فلم يزلوا على ذلك حتى مات يزيد بن الوليد ، وقام إبراهيم بن الوليد ، فأقرّ ابن عمر على العراق ، فولّى ابن عمر أخاه عاصماً على الكوفة ، وأقرّ ابن الغضبان على شرّطه ، فلم يزلوا على ذلك حتى خرج عبد الله بن معاوية فاتهم عمر بن الغضبان ، فلما انقضى أمر عبد الله بن معاوية ولّى عبد الله بن عمر عمر بن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب الكوفيّ ، وعلى شرّطه الحكم بن عتيبة الأسديّ من أهل الشام ، ثم عزل عمر بن عبد الحميد عن الكوفة ، ثم عزل عمر بن الغضبان عن شرّطه وولى الوليد بن حسان الغسانيّ ، ثم ولّى إسماعيل بن عبد الله القسريّ وعلى شرّطه أبان بن الوليد ، ثم عزل إسماعيل

وولّى عبد الصمد بن أبان بن النعمان بن بشير الأنصارى ، ثم عزل فولّى عاصم بن عمر ، فقدم عليه الضحّاك بن قيس الشيباني .

١٩٠٣/٢

ويقال : إنما قدم الضحّاك وإسماعيل بن عبد الله القسرى في القصر وعبد الله بن عمر بالحيرة وابن الحرثيّ بدير هند ، فغلب الضحّاك على الكوفة ، وولّى ملحان بن معروف الشيباني عليها ، وعلى شرطه الصفّ من بني حنظلة - حرورى - فخرج ابن الحرثيّ يريد الشام ، فعارضه ملحان ، فقتله ابن الحرثيّ فولى الضحّاك على الكوفة حسان فولّى حسان ابنه الحارث على شرطه . وقال عبد الله بن عمر يرثي أخاه عاصمًا لما قتله الخوارج :

رَمَى غَرَضِي رَبُّنَا الزَّمَانَ فَلَمْ يَدَعْ
غَدَاةَ رَمَى لِلْقَوَسِ فِي الْكَفِّ مِنْزَعَا
رَمَى غَرَضِي الْأَقْصَى فَأَقْصَدَ عَاصِمًا
أَخَا كَانَ لِي حِرْزًا وَمَأْوَى وَمَنْزَعَا
فَإِنْ تَكُ أَحْزَانُ وَفَائِضُ عِبْرَةٍ
أَذَابَتْ عَبِيطًا مِنْ دَمِ الْجَوْفِ مَنْقَعَا
تَجَرَّعْتُهَا فِي عَاصِمٍ وَاحْتَسَيْتُهَا
فَأَعْظَمُ مِنْهَا مَا احْتَسَى وَتَجَرَّعَا
فَلَبِثَ الْمَنَايَا كُنَّ خَلْفَنَ عَاصِمًا
فَعِشْنَا جَمِيعًا أَوْ ذَهَبَنَ بِنَا مَعَا

وذكر أن عبد الله بن عمر يقول : بلغني أن عيين بن عيين بن عيين يقتل ميم بن ميم بن ميم بن ميم ، وكان يأمل أن يقتله ؛ فقتله عبد الله بن عليّ ابن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، فذكر أن أصحاب ابن عمر لما انهزموا فلحقوا بواسط ، قال لابن عمر أصحابه : علام تقيم وقد هرب الناس ! قال : أتلوّم وأنظر ، فأقام يومًا أو يومين لا يرى إلا هاربًا ، وقد امتلأت قلوبهم رُعبًا من الخوارج ، فأمر عند ذلك بالرحيل إلى واسط ، وجمع خالد بن الغزّيل أصحابه ، فلحق بمروان وهو مقيم بالجزيرة ، ونظر عبيد الله بن العباس الكندي إلى ما لقي الناس ، فلم يأمن على نفسه ، فجنح إلى الضحّاك فبايعه ؛ وكان معه في عسكره ، فقال أبو عطاء السندی يعيره باتباعه الضحّاك ، وقد قتل أخاه :

١٩٠٤/٢

قُلْ لِعَبِيدِ اللَّهِ لَوْ كَانَ جَعْفَرٌ^(١) هُوَ الْحَيُّ لَمْ يَجْنَحْ وَأَنْتَ قَتِيلٌ

(١) ابن الأثير : « قتل » .

ولم يتبع المراق والثائر فيهم وفي كفه غضب الدُّباب صَقِيل
إلى معشرٍ أَرَدُوا أَخَاكَ وَأَكْفَرُوا^(١) أباك، فماذا بعد ذلك تقول !
- فلما بلغ عبيد الله بن العباس هذا البيت من قول أبي عطاء ، قال أقول :
أعْضَكَ اللهُ بِيْظَرِ أُمِّكَ -

فلا وصلتك الرَّحْمُ من ذى قَرَابَةٍ وطالبٍ وتر ، والدليل دليل
تركت أخا شَيْبَانَ يَسْلُبُ بَزَّةً ونَجَّاكَ خَوَّارُ العَنَانِ مَطُولُ

قال : فنزل ابن عمر منزل الحجاج بن يوسف بواسط - فيما قيل - في اليمانية
ونزل النضر وأخوه سليمان ابنا سعيد وحنظلة بن نُبَّاتة وابناه محمد ونباتة في
المضربية ذات اليمين إذا صعدت من البصرة ، وخلوا الكوفة والحيرة للضحاك
والشُّرة ، وصارت في أيديهم ، وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر والنضر
ابن سعيد الحرشي إلى ما كانت عليه قبل قدوم الضحاك يطلب النضر أن يسلم
إليه عبد الله بن عمر ولاية العراق بكتاب مروان ، ويأتي عبد الله بن عمر واليمانية
مع ابن عمر والنزارية مع النضر ؛ وذلك أن جند أهل اليمن كانوا مع يزيد
الناقص تعصباً على الوليد حيث أسلم خالد بن عبد الله القسري إلى يوسف بن عمر
حتى قتله ؛ وكانت القيسية مع مروان ، لأنه طلب بدم الوليد - وأخوال الوليد
من قيس ، ثم من ثقيف ، أمه زينب بنت محمد بن يوسف ابنة أخى الحجاج -
فعادت الحرب بين ابن عمر والنضر ، ودخل الضحاك الكوفة فأقام بها ،
واستعمل عليها مِلْحَمَانَ الشيباني في شعبان سنة سبع وعشرين ومائة ، فأقبل
منقضاً في الشِّبْرَةَ إلى واسط ، متبعاً لابن عمر والنضر ، فنزل باب المِضْمَار .
فلما رأى ذلك ابن عمر والنضر نكلا عن الحرب فيما بينهما ، وصارت كلمتهما
عليه واحدة ؛ كما كانت بالكوفة ؛ فجعل النضر وقواده يعبرون الجسر ،
فيقاتلون الضحاك وأصحابه مع ابن عمر ثم يعودون إلى مواضعهم ، ولا يقيمون
مع ابن عمر ؛ فلم يزالوا على ذلك : شعبان وشهر رمضان وشوال ، فاقتتلوا
يوماً من تلك الأيام ، فاشتد قتالهم ، فشده منصور بن جمهور على قائد

١٩٠٦/٢

(١) ابن الأثير : « إلى معشر ردوا » .

من قواد الضحاك ، كان عظيم القدر في الشّرة ، يقال له عكرمة بن شيبان ،
فضربه على باب القورج ، فقطعه باثنين فقتله . وبعث الضحاك قائداً
من قواده يدعى شوالا من بنى شيبان إلى باب الزّاب ، فقال : اضرمه عليهم
ناراً ، فقد طال الحصار علينا ، فانطلق شوال ومعه الخيبري ؛ أحد بنى شيبان
في خيلهم ، فلقبهم عبدُ الملك بن علقمة ، فقال لهم : أين تريدون ؟ فقال
له شوال : نريد باب الزّاب ، أمرني أمير المؤمنين بكذا وكذا ، فقال : أنا
معلك ؛ فرجع معه وهو حاسر ، لا درع عليه ؛ وكان من قواد الضحاك أيضاً
وكان أشدّ الناس ، فانتهاوا إلى الباب فأضرموه ، فأخرج لهم عبد الله بن عمر
منصور بن جمهور في سائمة فارس من كلب ، فقاتلهم أشدّ القتال ، وجعل
عبد الملك بن علقمة يشدّ عليهم وهو حاسر ؛ فقتل منهم عدّة ، فنظر إليه
منصور بن جمهور ، فغاظه صنيعه ، فشدّ عليه فضربه على جبل عاتقه
فقطعه حتى بلغ حرّ ففته ؛ فخرّ ميتاً ، وأقبلت امرأة من الخوارج شادة ؛
حتى أخذت بلجام منصور بن جمهور ، فقالت : يا فاسق ، أجب
أمير المؤمنين ، فضرِبَ يدها - ويقال : ضرب عنان دابته فقطعه في يدها - ونجا .
فدخل المدينة الخيبري يريد منصوراً ، فاعترض عليه ابنُ عمّ له من كلب ،
فضربه الخيبري فقتله ؛ [فقال حبيب بن خدره مولى بنى هلال] - (١) -
وكان يزعم أنه من أبناء ملوك فارس - يرثي عبد الملك بن علقمة :

وقائلة ودَمْعُ العَيْنِ يَجْرِي على روح ابنِ علقمة السَّلامُ
أأدركك الجِمامُ وأنتَ سار وكلُّ فتى لمصرعه جِمام
فلا رَعشُ اليَدَيْنِ ولا هَدَانٌ ولا وكلُّ اللقاءِ ولا كَهَامُ
وما قَتْلٌ على شارٍ بعار ولكن يُقتَلُونَ وهمُ كِرَامُ
طغامُ الناسِ ليسَ لهمُ سَبِيلُ شجاني يا ابنِ علقمة الطغَامُ

ثم إن منصوراً قال لابن عمر : ما رأيتُ في الناس مثل هؤلاء قط - يعني
الشّرة - فلم تحاربهم وتشغلهم عن مروان ؛ أعطهم الرّضا ، واجعلهم بينك
وبين مروان ، فإنك إن أعطيتهم الرّضا خلّوا عنا ومضوا إلى مروان ،

فكان حدّهم وبأسهم عليه ، وأقمت أنت مستريحاً بموضعك هذا ؛ فإن ظفروا بها كان ما أردت وكنت عندهم آمناً ، وإن ظفر بهم وأردت خلافته وقتاله قاتلته جاماً مستريحاً ؛ مع أن أمره وأمرهم سيطول ، ويوسعونه شراً . فقال ابن عمر : لا تعجل حتى نتلوّم وننظر ، فقال : أى شيء ننتظر ! فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقرّ ، وإن خرجنا لم نقم لهم ، فما انتظارنا بهم ومروان في راحة ، وقد كفيناه حدّهم وشغلناهم عنه ! أما أنا فخرج لاحقاً بهم . فخرج فوقف حيال صفّهم وناداهم : إني جانحٌ أريد أن أسليم وأسمع كلام الله — قال : وهى محنتهم^(١) — فلحق بهم فبايعهم ، وقال : قد أسلمت ، فدعوا له بغداد فتغلّتى ، ثم قال لهم : من الفارس الذى أخذ بعناني يوم الزّاب ؟ يعنى يوم ابن علقمة — فنادوا يا أمّ العنبر ، فخرجت إليهم ؛ فإذا أجمل الناس ، فقالت له : أنت منصور ؟ قال : نعم ، قالت : قبح الله سيفك ، أين ما تذكر منه ! فوالله ما صنع شيئاً ، ولا ترك — تعنى ١٩٠٨/٢ ألا يكون قتلها حين أخذت بعنانه فدخلت الجنة — وكان منصور لا يعلم يومئذ أنها امرأة ، فقال : يا أمير المؤمنين ، زوّجنيها ، قال : إن لها زوجاً — وكانت تحت عبدة بن سوّار التغلبيّ — قال : ثم إن عبد الله بن عمر خرج إليهم في آخر شوال فبايعه .

* * *

[خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد]

وفي هذه السنة — أعنى سنة سبع وعشرين ومائة — خلع سليمان بن هشام ابن عبد الملك بن مروان مروان بن محمد ونصب الحرب .

* ذكر الخبر عن سبب ذلك وما جرى بينهما :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثني عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثني أبو هاشم مخلّد بن محمد بن صالح ، قال : لما شخص مروان من الرّصافة إلى الرّقة لتوجيه ابن هبيرة إلى العراق لمحاربة الضّحّاك بن قيس الشيبانيّ استأذنه سليمان بن هشام في مقام أيام ، لإجمام ظهره وإصلاح أمره ؛ فأذن

له . ومضى مروان ، فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب لغزو العراق مع قوادهم ؛ حتى جاءوا (١) الرصافة ، فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربتة ، وقالوا : أنت أرضى منه عند أهل الشام وأولى بالخلافة ، فاستزله الشيطان ، فأجابهم ، وخرج إليهم بإخوته وولده ومواليه ، فعسكر [بهم] (٢) وسار بجمعهم (٣) إلى قينسرين ، فكتب أهل الشام فانقضوا إليه من كل وجه وجند ؛ وأقبل مروان بعد أن شارف قرقيسيا منصرفاً إليه ، وكتب إلى ابن هبيرة يأمره بالثبوت في عسكره من دورين حتى نزل معسكره بواسط ، واجتمع من كان بالهنتى من موالى سليمان وولد هشام ، فدخلوا حصن الكامل بذرايتهم فتحصنوا فيه ، وأغلقت الأبواب دونه ، فأرسل إليهم : ماذا صنعتم ؟ خلعت طاعتي ونقضت بيعتي بعد ما أعطيتوني من العهد والميثاق ! فردوا على رسله : إنا مع سليمان على من خالفه . فرد إليهم : إني أخذتكم وأندركم أن تعرضوا لأحد ممن تبعني من جندي أو يناله منك أذى ، فتحلوا بأنفسكم ؛ ولا أمان لكم عندي . فأرسلوا إليه : إنا سنكف . ومضى مروان ، فجعلوا يخرجون من حصنهم ، فيغيرون على من اتبعه من أخريات الناس وشذآن الجند ؛ فيسلبونهم خيولهم وسلاحهم . وبلغه ذلك ، فتحرق عليهم غيظاً . واجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفاً من أهل الشام والذكوانية وغيرهم ، وعسكر في قرية لبني زفر يقال لها خُسَاف من قينسرين من أرضها . فلما دنا منه مروان قدم السكسكى في نحو سبعة آلاف ، ووجه مروان عيسى بن مسلم في نحو من عديتهم ، فالتقوا فيما بين العسكرين ، فاقتتلا قتالاً شديداً ، والتقى السكسكى وعيسى ، وكل واحد منهما فارس بطل ، فاطعنا حتى تقصفت رماحهما ، ثم صارا إلى السيوف ، فضرب السكسكى مقدم فارس صاحبه ، فسقط بلجامه في صدره ، وجال به فرسه ، فاعترضه السكسكى ، فضربه بالعمود فصرعه ، ثم نزل إليه فأسره ، وبارز فارساً من فرسان أنطاكية ، يقال له سلساق قائد الصقالبه . فأسره ، وانهزمت مقدمة مروان وبلغه الخبر وهو في مسيره ، ففضى وطوى على تعبته ، ولم ينزل حتى انتهى

١٩٠٩/٢

١٩١٠/٢

(١) : « حلوا » . (٢) من ١ .

(٣) ط : « بجمعهم » .

إلى سليمان ، وقد تعباً له ، وتهيأً لقتاله ، فلم يناظره حتى واقعه ^(١) ، فانهزم سليمان ومن معه ، وأتبعتهم خيوله تقتلهم وتأسرهم ، وانتهوا إلى عسكرهم فاستباحوه ، ووقف مروان موقفاً ، وأمر ابنه فوقفا موقفين ، ووقف كوثر صاحب شرطته في موضع ، ثم أمرهم ألا يأتوا بأسير إلا قتلوه إلا عبداً مملوكاً ، فأحصي من قتلهم يومئذ نيف على ثلاثين ألفاً .

قال : وقتل إبراهيم بن سليمان أكبر ولده ، وأتى بخال هشام بن عبد الملك يقال له خالد بن هشام الخزومي - وكان بادناً كثير اللحم - فأدنى إليه وهو يلثث ، فقال له : يا فاسق ؛ أما كان لك في خمر المدينة وقيانها ما يكفئك عن الخروج مع الخراء تقاتلني ! قال : يا أمير المؤمنين ، أكرهني ، فأشيدك الله والرحم ! قال : وتكذب أيضاً ! كيف أكرهك وقد خرجت بالقيان والزقاق والبرابيط معك في عسكره ! فقتله ^(٢) . قال : وادعى كثير من الأسراء من الجند أنهم رقيق ، فكف عن قتلهم ، وأمر ببيعهم فيمن يزيد مع ما بيع مما أصيب في عسكرهم .

قال : ومضى سليمان مقلولاً حتى انتهى إلى حيص ، فانضم إليه من أفلت ممن كان معه ، فعسكر بها ، وبني ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها ، ووجه مروان يوم هزمه قواداً ورابطاً في جريدة خيل ، وتقدم إليهم أن يسبقوا كل خبر ؛ حتى يأتوا الكامل ، فيحلقوا بها إلى أن يأتهم ، حتماً ^(٣) عليهم ، فأتوهم فتزلوا عليهم ، وأقبل مروان نحوهم حتى نزل معسكره من واسط ، فأرسل إليهم أن انزلوا على حكمي ، فقالوا : لا حتى تؤمتنا بأجمعنا ، فدلف إليهم ، ونصب عليهم المجانيق ، فلما تابعت الحجارة عليهم نزلوا على حكمه ، فقتل بهم واحتملهم أهل الرقة فأوؤهم ، وداؤوا جراحاتهم ، وهلك بعضهم وبقي أكثرهم ، وكانت عديتهم جميعاً نحواً من ثلثمائة . ثم شخص إلى سليمان ومن تجمع معه بحمص ، فلما دنا منهم اجتمعوا ، فقال بعضهم لبعض : حتى متى ننهزم من مروان ! هلموا فلنتباعد على الموت ولا نفرق بعد معاينته حتى نموت جميعاً . فضى على ذلك من فرسانهم من قد وطن

(١) : « دافعه » .

(٢) : « وقتله » .

(٣) : « حرذاً » .

نفسه على الموت نحو من تسعمائة ، وولّى سليمان على شَطْرِهِم معاوية السَّكْسَكِيَّ ، وعلى الشَّطْرِ الثَّانِي (١) ثُبَيْتًا البَهْرَانِيَّ . فتوجهوا إليه مجتمعين (٢) ، على أن يبيتوه إن أصابوا منه غِرَّة ، وبلغه خبرهم وما كان منهم ، فتحرز وزحف إليهم في الخنادق على احتراس وتعبية ، فراموا تبيته فلم يقدروا ، فتهيثوا له وكنوا في زيتون ظَهَرَ على طريقه ، في قرية تسمى تَلْ مَنْس من جبل السَّمَاق ، فخرجوا عليه وهو يسير على تعبئة ، فوضعوا السلاح فيمن معه ، وانتبذ لهم ، ونادى خيولَه فثابت إليه من المقدمة والمجتبئين والسَّاقَة ، فقاتلوه من لَدُنْ ارتفاع النهار إلى بعد العَصْرِ ، والتقى السَّكْسَكِيَّ وفارس من فرسان بني سليم ، فاضطربا ، فصرعه السُّلَمِيُّ عن فرسه ، ونزل إليه ، وأعانته رجل من بني تميم ، فأتياه به أسيراً وهو واقف ؛ فقال : الحمد لله الذي أمكن منك فطالما بلغت منّا ! فقال : استبقني فأني فارس العرب ، قال : كذبت ؛ الذي جاء بك أفرسُ منك ، فأمر به فأوثق ، وقتل مَن صبر معه نحو من ستة آلاف .

١٩١٢/٢

قال : وأفلت ثُبَيْت ومَن انهزم معه ، فلما أتوا سليمان خلف أخاه سعيد ابن هشام في مدينة حِمَص ، وعرف أنه لا طاقة له به ، ومضى هو إلى تَدْمُر ، فأقام بها ، ونزل صَرَّوَان على حِمَص ، فحاصره (٣) بها عشرة أشهر ، ونصب عليها نَيْفًا وثمانين مِنْجَنِيْقًا ، فطرح عليهم حجارته بالليل والنهار وهم في ذلك يخرجون إليه كلَّ يوم فيقاتلون ، وربما بيتوا نواحي عسكره ، وأغاروا على الموضع الذي يطمعون في إصابة العورة والفرضة منه . فلما تتابع عليهم البلاء ، ولزمهم الذُّلُّ سألوه أن يؤمنهم على أن يمكنهم من سعيد بن هشام وابنيه عثمان ومرَّوَان ومن رجل كان يسمى السَّكْسَكِيَّ ، كان يغير على عسكرهم ، ومن حبشي كان يشتمه ويفترى عليه ؛ فأجابهم إلى ذلك وقبله . وكانت قصَّة الحبشي أنه كان يشرف من (٤) الحائط ويربط في ذكره ذَكَرَ حمار ، ثم يقول : يابني سليم ، يا أولاد كذا وكذا ، هذا لواؤكم !

(١) ط : « الباقي » . (٢) ابن الأثير : « مجتمعين » .

(٣) أ : « تحصرا » ، وفي ابن الأثير : « يرى بها » .

(٤) ط : « على » ، وما أثبتته من أ .

وكان يشتم مروان ، فلما ظفر به دفعه إلى بني سليم ، فقطعوا مذاكيره وأنفه ، ومثلوا به ، وأمر بقتل المتسمى السكسكى والاستيثاق من سعيد وابنيه ، وأقبل متوجهاً إلى الضحاك .

١٩١٢/٢

وأما غير أبي هاشم مخلد بن محمد ، فإنه ذكر من أمر سليمان بن هشام بعد انهزامه من وقعة خُصاف غير ما ذكره مخلد ؛ والذي ذكره من ذلك أن سليمان بن هشام بن عبد الملك حين هزمه مروان يوم خُصاف أقبل هارباً ؛ حتى صار إلى عبد الله بن عمر ، فخرج مع عبد الله بن عمر إلى الضحاك ، فبايعه ، وأخبر عن مروان بفسق وجور وحضض عليه ، وقال : أنا سائر معكم في موالي ومن اتبعني ، فسار مع الضحاك حين سار إلى مروان ، فقال شبيب ابن عَزْرَةَ الضُّبَيْعِي في بيعتهم الضحاك :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَظْهَرَ دِينَهُ فَصَلَّتْ قَرَيْشٌ خَلْفَ بَكْرِ بْنِ وَاثِلٍ

فصارت كلمة ابن عمر وأصحابه واحدة على النضر بن سعيد ، فعلم أنه لا طاقة له بهم ؛ فارتحل من ساعته يريد مروان بالشام .

وذكر أبو عبيدة أن بيتهما أخبره : لما دخل ذو القعدة سنة سبع وعشرين ومائة ، استقام لمروان الشام ونبي عنها من كان يخالفه ، فدعا يزيد بن عمر ابن هبيرة ، فوجهه عاملاً على العراق ، وضم إليه أجناد الجزيرة ، فأقبل حتى نزل سعيد بن عبد الملك ، وأرسل ابن عمر إلى الضحاك يعلمه ذلك . قال : فجعل الضحاك لنا ميسان وقال : إنها تكفيكم حتى ننظر عما تنجلى . واستعمل ابن عمر عليها مولاة الحكم بن النعمان .

فأما أبو مخنف فإنه قال — فيها ذكر عنه هشام : إن عبد الله بن عمر صالح الضحاك على أن يبيد الضحاك ما كان غلب عليه من الكوفة وسوادها ، ويبيد ابن عمر ما كان بيده من كسسكر وميسان ودستيميسان وكور دجلة والأهواز وفارس ، فارتحل الضحاك حتى لقي مروان بكتفرتوثا من أرض الجزيرة .

١٩١٤/٢

وقال أبو عبيدة : تهيأ الضحاك ليسير إلى مروان ، ومضى النضر يريد

الشَّامَ ، فنزل القادسيّة ، وبلغ ذلك ملّحان^(١) الشيبانيّ عامل الضّحّاك على الكوفة ، فخرج إليه فقاتله وهو في قلّة من الشّراة ، فقاتله فصبر حتّى قتله النّضر . وقال ابن خدرّة يرثيه وعبد الملك بن علقمة :

كَائِنْ كَمِلْ حَانَ مِنْ شَارِ أَخِي ثِقَةً وَأَبْنِ عُلْقَمَةَ الْمُسْتَشْهَدِ الشَّارِي
مِنْ صَادِقٍ كُنْتُ أَضْفِيهِ مَخَالَصَتِي فَبَاعَ دَارِي بِأَعْلَى صَفْقَةِ الدَّارِ
لِإِخْوَانِ صِدْقٍ أَرْجِيهِمْ وَأَحْذِلُهُمْ أَشْكُو إِلَى اللَّهِ خِذْلَانِي وَلِإِخْفَارِي

وبلغ الضّحّاك قتل ملّحان ، فاستعمل على الكوفة المثنّى بن عمران من بني عائدة ، ثم سار الضّحّاك في ذى القعدة ، فأخذ الموصل ، وانحطّ ابن هبيرة من نهر سعيد حتّى نزل غزّة من عين التّمّر ، وبلغ ذلك المثنّى بن عمران العائديّ ، عامل الضّحّاك على الكوفة ، فسار إليه فيمّن معه من الشّراة ، ومعه منصور بن جمهور ، وكان صار إليه حين بايع الضّحّاك خلافاً على مروان ، فالتقوا بغزّة ، فافقتا قتالا شديداً أياماً متوالية ؛ فقتل المثنّى وعزير وعمرو — وكانوا من رؤساء أصحاب الضّحّاك — وهرب منصور ، وانهمزمت الخوارج ، فقال مسلم حاجب يزيد :

أَرَتَ لِلْمُثَنَّى يَوْمَ غَزَاةٍ حَتَفَهُ وَأَذَرَتْ عُزَيْرَ ابْنِ تِلْكَ الْجَنَادِلِ
وَعَمْرًا أَزَارَتْهُ الْمَنِيَّةُ بَعْدَ مَا أَطَافَتْ بِمَنْصُورٍ كِفَاتُ الْحَبَائِلِ^(٢)
وقال غيّلان بن حرّيث في مدحه ابن هبيرة :

نَصَرْتُ يَوْمَ الْعَيْنِ إِذْ لَقَيْتَا كَنَصَرَ دَاوُدَ عَلَى جَالُوتَا
فلما قتل منهم مَن قتل في يوم العين ، وهرب منصور بن جمهور ، أقبل لا يلوى حتّى دخل الكوفة ، فجمع بها جَمْعًا من اليمانية والصّفريّة ومَن كان تفرّق منهم يوم قتل ملّحان ومَن تخلف منهم عن الضّحّاك ، فجمعهم منصور جميعًا ، ثم سار بهم حتّى نزل الرّوحاء ، وأقبل ابن هبيرة في أجنادِه حتّى لقيهم ، فقاتلهم أيامًا ثم هزمهم ، وقتل البردّون بن

(١) ابن الأثير : « ملّحان » .

(٢) ١ : « لما في الحبايل » .

مرزوق الشيباني ، وهرب منصور في ذلك يقول غيلان بن حريث :

وَيَوْمَ رَوْحَاءِ الْعُنَيْبِ دَفَقُوا عَلَى ابْنِ مَرْزُوقٍ سَمَامٌ مُزْعِفٌ

١٩١٦/٢

قال : وأقبل ابن هبيرة حتى نزل الكوفة ونبي عنها الخوارج ، وبلغ الضحاك ما لقي أصحابه ، فدعا عبدة بن سوار التغلبي ، فوجهه إليهم ، وأنحط ابن هبيرة يريد واسطا وعبد الله بن عمر بها ، وولى على الكوفة عبد الرحمن بن بشير العجلي ، وأقبل عبدة بن سوار مسغداً في فرسان أصحابه ، حتى نزل الصراة ، ولحق به منصور بن جمهور ، وبلغ ذلك ابن هبيرة فاسار إليهم فالتقوا بالصراة في سنة سبع وعشرين ومائة .

• • •

وفي هذه السنة توجه سليمان بن كثير ولاهز بن قريظة وقحطبة بن شبيب — فيما ذكر — إلى مكة ، فلقوا إبراهيم بن محمد الإمام بها ، وأعلموه أن معهم عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومستكاً ومتاعاً كثيراً ، فأمرهم بدفع ذلك إلى ابن عروة مولى محمد بن علي ، وكانوا قدموا معهم بأبي مسلم ذلك العام ، فقال ابن كثير لإبراهيم بن محمد : إن هذا مولاك .

١٩١٧/٢

وفيهما كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد يخبره أنه في أول يوم من أيام الآخرة ، وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنه قد استخلف حفص بن سليمان ، وهو رضا للأمر . وكتب إبراهيم إلى أبي سلمة يأمره بالقيام بأمر أصحابه ، وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه ، ومضى أبو سلمة إلى خراسان فصدقه ، وقبلوا أمره ، ودفعوا إليه ما اجتمع قبيلهم من نفعات الشيعة وخمس أموالهم .

وحج بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامل مروان على المدينة ومكة والطائف ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت الرازي ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره . وكان العامل على العراق النضر بن الحرسني ، وكان من أمره وأمر عبدالله ابن عمر والضحاك الحروري ما قد ذكرت قبل . وكان بخراسان نصر بن سيار وبها من ينازعه فيها كالكرماني والحارث بن سريج .

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين ومائة

[ذكر خبر قتل الحارث بن سريج بخراسان]

فما كان فيها من الأحداث قتل الحارث بن سريج بخراسان .

• ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

قد مضى ذكر كتاب يزيد بن الوليد للحارث بأمانه ، وخروج الحارث من بلاد الترك إلى خراسان ومصيره إلى نصر بن سيار ، وما كان من نصّر إليه ، واجتماع من اجتمع إلى الحارث مستجيبين له . فذكر علي بن محمد عن شيوخي ، أن ابن هبيرة لما ولي العراق كتب إلى نصر بعهدده ، فبايع لمروان ، فقال الحارث : إنما آماني يزيد بن الوليد ، ومروان لا يُجيز أمان يزيد ، فلا آمنه . فدعا إلى البيعة ، فشتّم أبو السليل مروان ، فلما دعا الحارث إلى البيعة أتاه سلم بن أحوز وخالد بن هرّيم وقسطن بن محمد وعباد^(١) بن الأبرد بن قرّة وحماد بن عامر ، وكلموه وقالوا له : لم يصير نصر سلطاناً وولايته في أيدي قومك ؟ ألم يخرجك من أرض الترك ومن حكم خاقان ! وإنما أتى بك لثلاثي عشر عليك عدوك فخالفته ، وفارقت أمر عشيرتك ، وأطمعت فيهم عدوهم ، فنذكرك الله أن تفرّق جماعتنا ! فقال الحارث : إني لأرى في يدي الكرمانى ولاية ، والأمر في يد نصر ، فلم يجبههم بما أرادوا ، وخرج إلى حائط الحمزة بن أبي صالح السلمى بإزاء قصر بخاراخذاه ، فعسكر وأرسل إلى نصر ، فقال له : اجعل الأمر شورى ، فأبى نصر . فخرج الحارث فأتى منازل يعقوب بن داود ، وأمر جهنم بن صفوان ، مولى بني راسب ، فقرأ كتاباً سير فيه الحارث على الناس ، فانصرفوا يكبرون ، وأرسل الحارث إلى نصر : اعزل سلم بن أحوز عن شرطك ، واستعمل بشر بن بسطام البرجمي ، فوقع بينه وبين مغلس بن زياد كلام ، ففترقت^(٢) قيس وتيم ،

١٩١٨/٢

(١) : « عتاب » .

(٢) ط : « ففترت » ، وما أثبتته من أ .

فعرله . واستعمل إبراهيم بن عبد الرحمن ، واختاروا رجالا يسمون لهم قوماً يعملون بكتاب الله . فاختار نصر مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان ، واختار الحارث المغيرة بن شعبة الجهمي ومعاذ بن جبلة ، وأمر نصر كاتبه أن يكتب ما يرضون من السنن ، وما يختارونه من العمال ، فيوليهم الشغرين ؛ ثغر سمرقند وطخارستان ، ويكتب إلى من عليهما ما يرضونه من السير والسنن . فاستأذن سلم بن أحوز نصرًا في الفتك بالحارث ، فأبى وولى إبراهيم الصائغ ، وكان يوجه ابنه إسحاق بالفيروزج إلى مرو ، وكان الحارث يظهر أنه صاحب الرايات السود ؛ فأرسل إليه نصر : إن كنت كما تزعم ، وأنكم تهدمون سور دمشق ، وتزيلون أمر بني أمية ، فخذ مني خمسمائة رأس ومائتي بعير ، واحمل من الأموال ما شئت وآلة الحرب وسر ؛ فلعمرى لئن كنت صاحب ما ذكرت لئن لني يدك ؛ وإن كنت لست ذلك فقد أهلكت عشيرتك . فقال الحارث : قد علمت أن هذا حق ، ولكن لا يباغني عليه من صحبتي . فقال نصر : فقد استبان أنهم ليسوا على رأيك ، ولا لهم مثل بصيرتك ، وأنهم هم فساق ورعاع ، فأذكرك الله في عشرين ألفاً من ربيعة واليمن سيمهلكون^(١) فيما بينكم . وعرض نصر على الحارث أن يوليّه ما وراء النهر ، ويعطيّه ثلثمائة ألف ؛ فلم يقبل ؛ فقال له نصر : فإن شئت فابدأ بالكرماني فإن قتلتهم فأنا في طاعتك ، وإن شئت فعلى بني وبينه ؛ فإن ظفرت به رأيت رأيك ، وإن شئت فسر بأصحابك^(٢) ؛ فإذا جرت الرى فأنا في طاعتك . قال : ثم تناظر الحارث ونصر ، فتراضيا أن يحكم بينهم^(٣) مقاتل بن حيان وجهم بن صفوان ، فحكما بأن يعتزل نصر ، ويكون الأمر شورى . فلم يقبل نصر . وكان جهم يقص في بيته في عسكر الحارث ، وخالف الحارث نصرًا ، ففرض نصر لقومه من بني سلمة وغيرهم ، وصير سلكمًا في المدينة في منزل ابن سوار ، وضم إليه الرابطة وإلى هذبة بن عامر الشعراوي فرسًا ، وصيرّه في المدينة ، واستعمل عبد السلام بن يزيد بن حيان السلمي ، وحوّل السلاح والدواوين إلى القهндز ، واتهم قوماً من أصحابه

(٢) ط : « بأصحابه » .

(١) ابن الأثير : « يهلكون » .

(٣) ابن الأثير : « ثم تراضيا بأن حكا » .

أنهم كاتبوا الحارث ، فأجلس عن يساره مَنْ اتَّهَمَ مِنْ لا بلاء له عنده ، وأجلس الذين ولَّاهم واصطنعهم عن يمينه ؛ ثم تكلم وذكر بني مروان ومن خرج عليهم ؛ كيف أظفر الله به ؛ ثم قال : أحمدُ الله وأذمُّ مَنْ على يسارى ؛ وليتُ خراسان فكنت يا يونس بن عبد ربِّه ممن أراد الهرب من كلف مئونات مرو ، وأنت وأهل بيتك ممن أراد أسد بن عبد الله أن يختم أعناقهم ، ويجعلهم في الرِّجالة ، فوليتكم إذ وليتكم واصطنعتكم وأمرتكم أن ترفعوا ما أصبتم إذا أردتُ المسير إلى الوليد ، فنكمم مَنْ رفع ألف ألف وأكثر وأقل ، ثم ملائم الحارث على ، فهلاً نظرتُم إلى هؤلاء الأحرار الذين لزموني مؤاسين^(١) على غير بلاء ! وأشار إلى هؤلاء الذين عن يمينه . فاعتذر القوم إليه ، فقبل عذرهم .

وقدم على نصر من كور خراسان حين بلغهم ما صار إليه من الفتنة جماعة ؛ منهم عاصم بن عمير الصُّرمي وأبو الذَّيَال الناجي وعمرو القادوسيان السُّغْدِي البخاري وحسان بن خالد الأسدي من طُخارستان في فوارس ، وعقيل ابن معقل الليثي ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم وسعد الصَّغِير في فرسان . وكتب الحارث بن سريج سيرته ، فكانت تقرأ في طريق مرو والمساجد فأجابه قوم كثير ؛ فقرأ رجل كتابه على باب نصر بمجان ، فضر به غلمان نصر ، فتأبذه^(٢) الحارث ، فأتى نصرأ هبيرة بن شراحيل ويزيد أبو خالد ، فأعلماه ، فدعا الحسن بن سعد مولى قريش ، فأمره فنأدى : إن الحارث بن سريج عدو الله قد نابذ وحارب ، فاستعينوا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . وأرسل من ليلته عاصم بن عمير إلى الحارث ، وقال لخالد بن عبد الرحمن : ما نفعل شعارنا غدا ؟ فقال مقاتل بن سليمان : إن الله بعث نبياً فقاتل عدواً له ، فكان شعاره «حُم لا يَنْصُرُونَ» ، فكان شعارهم «حُم لا يَنْصُرُونَ» ، وعلامتهم على الرِّماح الصوف .

وكان سلم بن أَحْوَز وعاصم بن حُمير وقطن وعقيل بن معقل ومسلم

(١) ط : « مؤاسير » ، تحريف ، صوابه من ا .

(٢) المنابذة : نقض العهد .

ابن عبد الرحمن وسعيد الصغير وعامر بن مالك والجماعة في طرف (١) الطخارية ويحيى بن حُصَيْن وربيعة في البخاريين . ودلّ رجل من أهل مدينة مَرَوَ الحارث على نَقَب في الحائط ، فضى الحارث فنقَب الحائط ، فدخلوا المدينة من ناحية باب بالين وهم خمسون ، ونادوا : يا منصور — بشعار الحارث — وأتوا باب نَيْق ، فقاتلهم جَزَم بن مسعود الناجي ، فحمل رجل على جَهِم فطعنه في فيه فقتله ، ثم خرجوا من باب نَيْق حتى أتوا قبة سلم بن أحوز فقاتلهم عَصَمَة بن عبد الله الأسدي وخضِر بن خالد والأبرد بن داود من آل الأبرد بن قرّة ، وعلى باب بالين حازم بن حاتم ، فقتلوا كل مَنْ كان يحرسه ، وانتهبوا منزل ابن أحوز ومنزل قُدَيْد بن منيع ؛ ونهاهم الحارث أن ينتهبوا منزل ابن أحوز ومنزل قُدَيْد بن مَسْنِع ومنزل إبراهيم وعيسى ابني عبد الله السلمي إلاّ الدوابّ والسلاح ؛ وذلك ليلة الاثنين لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة . ١٩٢٢/٢

قال : وأتى نصرّاً رسولُ سلم يخبره دنو الحارث منه ، وأرسل إليه : أخرّه حتى نصبح ، ثم بعث إليه أيضاً محمد بن قَطَن بن عمران الأسدي ، أنه قد خرج عليه عامة أصحابه ، فأرسل إليه : لا تبدأهم .

وكان الذي أهاج القتال ، أن غلاماً للنَّضَر بن محمد الفقيه يقال له عطية ، صار إلى أصحاب سلم ، فقال أصحاب الحارث : رُدُّوه إلينا (٢) ، فأبوا ، فاقتتلوا ، فرمى غلاماً لعاصم في عينه فات ؛ فقاتلهم ومعه عَقِيل بن مَعْقِل فهزمهم ، فانتهوا إلى الحارث وهو يصلي الغداة في مسجد أبي بَكْرَة ، مولى بني تميم ؛ فلما قضى الصلاة دنا منهم ، فرجعوا حتى صاروا إلى طَرَف الطُّخَارِيَّة ، فدنا منه رجلان ، فناداهما عاصم : عَرِّقَا بِرُذُونِه ؛ فضرب الحارث أحدهما بعَمَودِه فقتله ، ورجع الحارث إلى سكة السُّغْد ، فرأى أعين مولى حيَّان ، فنهاه عن القتال ، فقاتل فقتل ، وعَدَل في سكة بني عصمة ، فأتبعه حماد بن عامر الحماني ومحمد بن زُرْعَة ، فكسر رجليهما ، وحمل على مرزوق مولى سلم ؛ فلما دنا منه رمى به فرسه ؛ فدخل حانوتاً ، وضرب بِرُذُونِه على مؤخره فنفق . قال : وركب سلم حين أصبح إلى باب

(٢) : « علينا » .

(١) : « طرق » .

١٩٢٣/٢

نَيْق ، فأمرهم بالخنْدَق . فخذقوا وأمر منادياً ، فنَادَى : مَنْ جَاءَ بِرَأْسِ
 فَلِه ثَلَاثَةِ ، فلم تَطْلُع الشمس حتى انهزم الحارث ، وقاتلهم الليل كله ، فلما
 أصبحنا أخذ أصحاب نصر على الرزيق ، فأدركوا عبد الله بن مجاعة بن سعد ،
 فقتلوه . وانتهى سلم إلى عسكر الحارث ؛ وانصرف إلى نَصْر فنهاه نصر ،
 فقال : لست منتهياً حتى أدخل المدينة على هذا الدبّوسى ؛ ففضى معه محمد
 ابن قِطَظَن وعبيد الله بن بسام إلى باب دَرَسْنَكَان - وهو القهِنْدَز - فوجده
 مردوماً ، فصعد عبد الله بن مَرْزَيْدَ الأَسَدَى السور ومعه ثلاثة ، ففتحوا
 الباب ، ودخل بن أَحْوَز ، ووكل بالباب أبا مطهر حرب بن سليمان ، فقتل
 سلم يومئذ كاتب الحارث بن سَرِيح ، واسمه يزيد بن داود، وأتى (١) عبد ربه
 ابن سَيْسَن فقتله ، ومضى سلم إلى باب نَيْق ففتح ، وقتل رجلاً من الجزارين
 كان دلّ الحارث على التَّقَبُّب ؛ فقال المنذر الرقاشى ابن عم يحيى بن حضين ،
 يذكر صبر القاسم الشيبانى :

مَا قَاتَلَ الْقَوْمَ مِنْكُمْ غَيْرُ صَاحِبِنَا فِي عُصْبَةٍ قَاتَلُوا صَبْرًا فَمَا دُعِرُوا
 هُمْ قَاتَلُوا عِنْدَ بَابِ الْحَصَنِ مَا وَهَنُوا حَتَّى أَتَاهُمْ غِيَاثُ اللَّهِ فَانْتَصَرُوا
 فَقَايِمٌ بَعْدَ أَمْرِ اللَّهِ أَحْرَزَهَا وَأَنْتَ فِي مَعَزٍ عَنْ ذَلِكَ مُقْتَصِرٌ
 وَيُقَالُ : لَمَّا غَلِظَ أَمْرُ الْكُرْمَانِيِّ وَالْحَارِثِ أُرْسِلَ نَصْرٌ إِلَى الْكُرْمَانِيِّ ، فَأَتَاهُ

١٩٢٤/٢

على عهد ، وحضرهم محمد بن ثابت القاضي ومقدام بن نعيم أخو عبد الرحمن
 ابن نعيم الغامدى وسلم بن أَحْوَز ، فدعا نصر إلى الجماعة ، فقال للكرمانى :
 أَنْتَ أَسْعِدُ النَّاسَ بِذَلِكَ ؛ فوقع بين سلم بن أَحْوَز والمقدام كلام ؛ فأغلظ
 له سلم ، فأعانه عليه أخوه ، وغضب لهما السَّغْدَى بن عبد الرحمن الحَزْمَى ،
 فقال سلم : لقد هممتُ أَنْ أَضْرِبَ أَنْفَكَ بِالسَّيْفِ ، فقال السَّغْدَى : لَوْ
 مَسَسَتِ السَّيْفُ لَمْ تَرْجِعْ إِلَيْكَ يَدُكَ ، فخاف الكرماني أَنْ يَكُونَ مَكْرًا مِنْ
 نصر ، فقام وتعلقوا به ، فلم يجلس ، وعاد إلى باب المقصورة .

قال : فتلقوه بفرسه ، فركب في المسجد ، وقال نصر : أَرَادَ الْغَدْرَ بِي ،
 وأرسل الحارث إلى نصر : إنا لا نرضى بك إماماً ، فأرسل إليه نصر : كيف

يكون لك عقل ، وقد أفنيت عمرك في أرض الشرك وغزوات المسلمين بالمشركين !
أتراني أنضرع إليك أكثر مما تنضرت ! . قال : فأسير يومئذ جثهم بن صفوان
صاحب الجثهمية ، فقال لسلم : إن لي ولثماً من ابنك حارث ؛ قال : ما كان
ينبغي له أن يفعل ؛ ولو فعل ما آمنتك ، ولو ملأت هذه الملاعة كواكب ،
وأبرك إلى عيسى بن مريم ما نجوت ؛ والله لو كنت في بطنى لشقت بطنى
حتى أقتلك ؛ والله لا يقوم علينا مع الهانية أكثر مما قتت ؛ وأمر عبدربه بن
سيسن فقتله ، فقال الناس : قتل أبو محرز - وكان جثهم يكنى أبا محرز .
وأسير يومئذ هبيرة بن شراحيل وعبد الله بن مجاعة فقال : لا أبى الله من استبقا كما ،
وإن كننا من تميم . ويقال : بل قتل هبيرة ، لحقتة الخيل عند دار
قدريد بن منيع فقتل . قال : ولما هزم نصر الحارث ، بعث الحارث ابنه حاتم
إلى الكرماني ، فقال له محمد بن المثنى : هما عدواك ، دعهما يضطربان ؛ فبعث
الكرماني السغدئ بن عبد الرحمن الخزيمى معه ، فدخل السغدئ المدينة من
ناحية باب ميخان ، فأتاه الحارث ، فدخل فائزة^(١) الكرماني ، ومع الكرماني داود
ابن شعيب الجذاني ومحمد بن المثنى ، فأقيمت الصلاة ، فصلى بهم الكرماني ،
ثم ركب الحارث ، فسار معه جماعة بن محمد بن عزيز أبو خلف ، فلما
كان الغد سار الكرماني إلى باب ميدان يزيد ، فقاتل أصحاب نصر ، فقتل
سعد بن سلم المراغي ، وأخذوا عليم عثمان بن الكرماني ؛ فأول من أتى الكرماني
بهزيمة الحارث وهو معسكر بباب ماسر جستان على فرسخ من المدينة النضر
ابن غلاق السغدئ وعبد الواحد بن المنخل . ثم أتاه سودة بن سريج ،
[وحاتم بن الحارث والخليل بن غزوان العذري ، أتوه ببيعة الحارث بن سريج]^(٢)

وأول من بايع الكرماني يحيى بن نعيم بن هبيرة الشيباني ، فوجه الكرماني
إلى الحارث بن سريج سورة بن محمد الكندي [إلى أسماير]^(٢) والسغدئ بن
عبد الرحمن أبا طعمة وصعباً أو صعبياً ، وصباحاً ، فدخلوا المدينة من باب
ميخان ، حتى أتوا باب ركك ، وأقبل الكرماني إلى باب حرث بن عامر ،

(١) في اللسان : الفائزة مظلة تمد بعمود .

(٢) من أ.

ووجه أصحابه إلى نصر يوم الأربعاء ، فتراموا ثم تجاوزوا ، ولم يكن بينهم يوم الخميس قتال . قال : والتقوا يوم الجمعة ، فانهزمت الأزدي حتى وصلوا إلى الكرماني ، فأخذ اللواء بيده فقاتل به ، وحمل الخضر بن تميم وعليه تجفاف ، فرموه بالنشاب ، وحمل عليه حبيش مولى نصر فطعنه في حلقه ، فأخذ الخضر السندان بشماله من خلفه ؛ فشب به فرسه ، وحمل فطعن حبيشاً فأذراه عن برذونه ، فقتله رجالة الكرماني بالعصى .

قال : وانهزم أصحاب نصر ، وأخذوا لهم ثمانين فرساً ، وصرع تميم ابن نصر ، فأخذوا له برذونين ؛ أخذ أحدهما السعدي بن عبد الرحمن ، وأخذ الآخر الخضر ، ولحق الخضر بسلم بن أحوز ، فتناول من ابن أخيه عموداً فضر به فصرعه ، فحمل عليه رجلان من بني تميم فهرب ، فرمى سلم نفسه تحت القناطر وبه بضع عشرة ضربة على بطنه فسقط ، فحمله محمد بن الحداد إلى عسكر نصر ، وانصرفوا ، فلما كان في بعض الليالي خرج نصر من مرو ، وقتل عصمة بن عبد الله الأسدي ، وكان يحصى أصحاب نصر ؛ فأدركه صالح بن القعقاع الأزدي ، فقال له عصمة : تقدم يا مزوني ، فقال صالح : أثبت يا حصي — وكان عقيماً — فعطف فرسه فشب فسقط ، فطعنه صالح فقتله .

١٩٢٧/٢

وقاتل ابن الديلمي ، وهو يرتجز ؛ فقتل إلى جنب عصمة . وقتل عبيد الله بن حوثة^(١) السلمي ، رمى مروان البهراني بجرزة^(٢) ؛ فقتل ، فأتى الكرماني برأسه فاسترجع — وكان له صديقاً — وأخذ رجل يمانى بعنان فرس مسلم بن عبد الرحمن بن مسلم فعرفه فركه . واقتتلوا ثلاثة أيام ، فهزمت آخر يوم المضربة اليمن ، فنأدى الخليل بن غزوان : يا معشر ربيعة واليمن ؛ قد دخل الحارث السوق ، وقتل ابن الأفطع ؛ ففتت في أعضاء المضربة . وكان أول من انهزم إبراهيم بن بسام الليثي ، وترجل تميم بن نصر ، فأخذ برذونه عبيد الرحمن بن جامع الكندي ، وقتلوا هيباً جاك الكلابي ولقيط بن أخضر ؛ قتله غلام لهاني البزار .

(٢) : « نحره » ، والجز: عمود من حديد.

(١) : « خزيمة » .

قال : ويقال : لما كان يوم الجمعة تاهبوا للقتال ، وهدموا الحيطان ليتسع لهم الموضع ، فبعث نصر محمد بن قطن إلى الكرماني : إنك لست مثل هذا الدبوسى ، فاتتني الله ، لا تشرع في الفتنة . قال : وبعث تميم بن نصر شاكريته ، وهم في دار الجنب بنت القعقاع ؛ فرامهم أصحاب الكرماني من السطوح ونذروا بهم ، فقال عقيل بن معقل لمحمد بن المثنى : علام نقتل أنفسنا لنصر والكرماني ! هلم نرجع إلى بلدنا بطخارستان ، فقال محمد : إن نصر لم يف لنا ، فلسنا ندع حربه . وكان أصحاب الحارث والكرماني يرمون نصراً وأصحابه بعردة ، فضرب سراقه^(١) وهو فيه فلم يحوله ، فوجه إليهم سلم ابن أحوز فقاتلهم ؛ فكان أول الظفر لنصر ، فلما رأى الكرماني ذلك أخذ لواءه من محمد بن محمد بن عميرة ، فقاتل به حتى كسره . وأخذ محمد بن المثنى والزراغ وحيطان في كارابكل ، حتى خرجوا على الرزيق ، وتميم بن نصر على قنطرة النهر ، فقال محمد بن المثنى لتميم حين انتهى إليه : تنح يا صبي . وحمل محمد والزراغ معه راية صفراء ، فصرعوا أعين مولى نصر ، وقتلوه ؛ وكان صاحب دواة نصر ، وقتلوا نفراً من شاكريته . وحمل الخضر بن تميم على سلم بن أحوز فطعنه ، فمال السنان ، فصر به بجرز على صدره وأخرى على منكبيه ؛ وضربه على رأسه فسقط ، وحمل نصر أصحابه في ثمانية ، فنهضهم من دخول السوق .

١٩٢٨/٢

قال : ولما هزمت اليمانية مضصر ، أرسل الحارث إلى نصر : إن اليمانية يعير وننى بانهازمكم ؛ وأنا كاف ؛ فاجعل حماة أصحابك بإزاء الكرماني ، فبعث إليه نصر يزيد النحوى أو خالد^(٢) ، يتوثق منه ؛ أن ينّى له بما أعطاه من الكف . ويقال : إنما كف الحارث عن قتال نصر أن عمران بن الفضل الأزدي وأهل بيته وعبد الجبار العدوى وخالد بن عبيد الله بن حبيب^(٣) العدوى وعامة أصحابه نقيموا على الكرماني فعلته بأهل التبوشكان ؛ وذلك أن أسداً وجهه [إليهم^(٤)] ، فتزلوا على حكم أسد ، فبقر بطون خمسين رجلاً وألقاهم في نهر بلسخ ، وقطع أيدي ثلثائة منهم وأرجلهم ، وصلب ثلاثة ، وباع أنقالهم فيمن يزيد ،

(٢) ط : « وخالد » .

(٤) من أ .

(١) أ : « رواه » .

(٣) ط : « حية » .

١٩٢٩/٢

فَنَقِمُوا عَلَى الْحَارِثِ عَوْنَهُ الْكَرْمَانِيَّ ، وَقَتَالَهُ نَصْرًا . فَقَالَ نَصْرٌ لِأَصْحَابِهِ حِينَ تَغْيِيرِ الْأَمْرِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَارِثِ : إِنْ مُضِرَّ ، لَا تَجْتَمِعْ لِي مَا كَانَ الْحَارِثُ مَعَ الْكَرْمَانِيَّ ؛ لَا يَتَّفَقَانِ عَلَى أَمْرٍ ، فَالرَّأْيُ تَرْكُهُمَا ؛ فَإِنَّهُمَا يَخْتَلِفَانِ . وَخَرَجَ إِلَى جُلَيْفَرٍ فَيَجِدُ عَبْدَ الْجَبَّارِ الْأَحْوَلَ الْعُدُوِّيَّ وَعُمَرَ بْنَ أَبِي الْهَيْثَمِ الصَّغْدِيَّ ، فَقَالَ لهُمَا : أَيْسَعُكُمَا الْمَقَامُ مَعَ الْكَرْمَانِيَّ ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْجَبَّارِ : وَأَنْتِ فَلَا عَدَمَتِ أَسِيًّا ؛ مَا أَحْلَكَ هَذَا الْمَحَلَّ !

فَلَمَّا رَجَعَ نَصْرٌ إِلَى مَرَوْ أَمَرَ بِهِ فَضْرَبَ أَرْبَعُمِائَةِ سَوْطٍ ، وَمَضَى نَصْرٌ إِلَى خَرْقٍ ، فَأَقَامَ أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ بِهَا ، وَمَعَهُ مُسْلِمٌ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مُسْلِمٍ وَنَسْرٌ بْنُ أَحْوَزٍ وَسَنَانُ الْأَعْرَابِيِّ ، فَقَالَ نَصْرٌ لِنَسَاتِهِ : إِنْ الْحَارِثُ سَيَخْلِفُنِي فَيَكُنَّ وَبِحِمَاكَ . فَلَمَّا قَرَبَ مِنْ نَيْسَابُورٍ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ : مَا أَقْدَمَكَ ، وَقَدْ أَظْهَرْتَ مِنَ الْعَصْبِيَّةِ أَمْرًا قَدْ كَانَ اللَّهُ أَطْفَاهُ ؟ وَكَانَ عَامِلُ نَصْرِ عَلَى نَيْسَابُورٍ ضَرَارُ بْنُ عَيْسَى الْعَامِرِيُّ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ نَصْرٌ بْنُ سِيَارٍ سَنَانًا الْأَعْرَابِيَّ وَمُسْلِمَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَمُسْلِمَ بْنَ أَحْوَزٍ ، فَكَلَّمُوهُمْ فَخَرَجُوا ، فَتَلَقَوْا نَصْرًا بِالْمَوَاكِبِ وَالْجَوَارِي وَالْهَدَايَا ، فَقَالَ سَلَمٌ : جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ ! هَذَا الْحَيُّ مِنْ قَيْسٍ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ عَاتِيَةً ، فَقَالَ نَصْرٌ :

أَنَا ابْنُ خُنْدِثَ تَنْمِينِي قِبَائِلَهُمَا لِلصَّالِحَاتِ وَعَمِّي قَيْسُ عَيْنَانَا وَأَقَامَ عِنْدَ نَصْرِ حِينَ خَرَجَ مِنْ مَرَوْ يُونُسُ بْنُ عَبْدِ رَبِّهِ وَمُحَمَّدُ بْنُ قَطَنَ وَخَالِدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي نَظَرَاتِهِمْ .

قَالَ : وَتَقَدَّمَ عَبَادُ بْنُ عُمَرَ الْأَزْدِيُّ وَعَبْدُ الْحَكِيمِ بْنُ سَعِيدِ الْعَوْذِيِّ وَأَبُو جَعْفَرٍ عَيْسَى بْنُ جَرَزٍ عَلَى نَصْرِ مِنْ مَكَّةَ بِأَبْرُشَهْرٍ ، فَقَالَ نَصْرٌ لِعَبْدِ الْحَكِيمِ : أَمَا تَرَى مَا صَنَعَ سَفَهَاءُ قَوْمِكَ ؟ فَقَالَ عَبْدُ الْحَكِيمِ : بَلْ سَفَهَاءُ قَوْمِكَ ؛ طَالَتْ وَلَايَتُهَا فِي وَلَايَتِكَ ، وَصِيرَتْ الْوَلَايَةَ لِقَوْمِكَ دُونَ رِبِيعَةَ وَالْيَمَنِ فَبَطَرُوا ^(١) ، وَفِي رِبِيعَةَ وَالْيَمَنِ حُلَمَاءُ وَسَفَهَاءُ فَغَلَبَ السَّفَهَاءُ الْحُكَمَاءَ ^(٢) . فَقَالَ عَبَادُ : أَتَسْتَقْبِلُ الْأَمِيرَ بِهَذَا الْكَلَامِ ! قَالَ : دَعْنِي فَقَدْ صَدَقَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عَيْسَى بْنُ جَرَزٍ — وَهُوَ مِنْ أَهْلِ قَرْيَةٍ عَلَى نَهْرِ مَرَوْ : أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، حَسْبُكَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ وَالْوَلَايَةِ ،

١٩٣٠/٢

(١) ابْنُ الْأَثِيرِ : « فَظَرُّوا » . (٢) كَذَا فِي أ ، وَفِي ط : « الْعُلَمَاءُ » .

فإنه قد أطل^(١) أمرٌ عظيم ، سيقوم رجل مجهول النسب يُظهر السواد ، ويدعو إلى دولة تكون ، فيغلب على الأمر وأنتم تنظرون وتضطربون . فقال نصر : ما أشبه أن يكون^(٢) لقلة الوفاء ، واستجراح^(٣) الناس ، وسوء ذات البين . وجهتُ إلى الحارث وهو بأرض الترك ، فعرضتُ عليه الولاية والأموال فأبى وشغب ، وظاهر على . فقال أبو جعفر عيسى : إن الحارث مقتول مصلوب ، وما الكرمانى من ذلك ببعيد . فوصله نصر . قال : وكان سلكم بن أحوز يقول : ما رأيت قوماً أكرم لإجابة^(٤) ، ولا أبذل لدمائهم من قيس .

قال : فلما خرج نصر من مرو غلب عليها الكرمانى ، وقال للحارث : إنما أريد كتاب الله ، فقال قحطبة : لو كان صادقاً لأمددته ألف عنان ، فقال مقاتل بن حيان : أفى كتاب الله هدم الدور وانتهاب الأموال ! فحبسه الكرمانى فى خسيمة فى العسكر ، فكلّمه معمر بن مقاتل بن حيان — أو معمر بن حيان — فخلاه ، فأبى الكرمانى المسجد ، ووقف الحارث ، فخطب الكرمانى الناس ، وآمنهم غير محمد بن الزبير ورجل آخر ، فاستأمن لابن الزبير داود بن أبى داود بن يعقوب ، ودخل الكاتب فآمنه ، ومضى الحارث إلى باب دوران وسرخس ، وعسكر الكرمانى فى مصلّى أسد ، وبعث إلى الحارث فأناه ، فأنكر الحارث هدم الدور وانتهاب الأموال ، فهمّ الكرمانى به ، ثم كف عنه ، فأقام أياماً . وخرج بشر بن جرموز الضبيّ بخرقان ، فدعا إلى الكتاب والسنة ، وقال للحارث : إنما قاتلت معك طلب العدل ، فأما إذ كنت^(٥) مع الكرمانى ، فقد علمت أنك إنما تقاتل ليقال : غلب الحارث ! وهؤلاء يقاتلون عصبية ، فلست مقاتلاً معك . واعتزل فى خمسة آلاف وخمسمائة — ويقال فى أربعة آلاف — وقال : نحن الفئة العادلة ، ندعو إلى الحق ولا نقاتل إلاّ من يقاتلنا . وأبى الحارث مسجد عياض ، فأرسل إلى الكرمانى يدعوه إلى أن يكون الأمر شورى ، فأبى الكرمانى ، وبعث الحارث ابنه محمدًا فحمل ثقله من دار تميم بن نصر ، فكتب نصر إلى عشيرته ومُضر ؛ أن الزموا الحارث مناصحة^(٦)

(٢) بعدما فى ابن الأثير : « كما تقول » .

(٤) ابن الأثير : « إذ أنت » .

(١) ابن الأثير : « أظلك » .

(٣) ١ : « استخراج » .

فأتوه؛ فقال الحارث : إنكم أصلُ العرب وفرعها ، وأنتم قريب عهد بالهزيمة ، فاخرجوا إلىّ بالأثقال ، فقالوا : لم نكن نرضى بشيء دون لقائه . وكان من مدبري^(١) عسكر الكيرماني مقاتل بن سليمان ، فأتاه رجل من البُخاريين ، فقال : أعطني أجر المِنجنيق التي نصبتها ، فقال : أقم البيعة أنك نصبتها من منفعة المسلمين ، فشهد له شيبه بن شيخ الأزدي ، فأمر مقاتل فصُكَّ له إلى بيت المال . قال : فكتب أصحاب الحارث إلى الكيرماني : نوصيكم بتقوى الله وطاعته وإيثار أئمة الهدى وتحريم ما حرّم الله من دماءكم ؛ فإن الله جعل اجتماعنا كان إلى الحارث ابتغاء الوسيلة إلى الله ، ونصيحة في عباده ، فعرّضنا أنفسنا للحرب ودماءنا للسفك وأموالنا للتلف ، فصغّر ذلك كله عندنا في جنب ما نرجو من ثواب الله ؛ ونحن وأنتم إخوان في الدين وأنصار على العدو ، فاتقوا الله وراجعوا الحق ، فإننا لا نريد سفك الدماء بغير حلها .

١٩٣٢/٢

فأقاموا أياماً ، فأقى الحارث بن سُرَيْج الحائط فثَلَمَ فيه ثلثة ناحية نوبان عند دار هشام بن أبي الهيثم ، ففترّق عن الحارث أهل البصائر وقالوا : غدرت . فأقام القاسم الشيباني وربيع التيمي في جماعة ، ودخل الكيرماني من باب سرخس ، فحاذى الحارث ؛ ومرّ المنخل بن عمرو الأزدي فقتله السَّمِيدَع ؛ أحد بني العدويّة ، ونادى : يا لثارات لَمَقِيط ! واقتلوا ، وجعل الكيرماني على ميمنته داود بن شعيب وإخوته : خالداً ومزيداً والمهلب ، وعلى ميسرته سورة بن محمد بن عزيز الكِنْدِي ، في كندة وربيعه . فاشتد الأمر بينهم ، فانهزم أصحاب الحارث وقتلوا ما بين الثلثة وعسكر الحارث ، والحارث على بغل فنزل عنه ، وركب فرساً فضربه ، فجرى وانهزم أصحابه ، فبقى في أصحابه ، فقتل عند شجرة ، وقتل أخوه سواده وبشر بن جرّموز وقطن بن المغيرة بن عجرد ، وكَتَفَ الكيرماني ، وقتل مع الحارث مائة ، وقتل من أصحاب الكيرماني مائة ، وصلب الحارث عند مدينة مَرَوْ بغير رأس . وكان قُتِلَ بعد خروج نصر من مَرَوْ بثلاثين يوماً ، قُتِلَ يوم الأحد لست بقين من رَجَب . وكان يقال : إن الحارث يُقتل تحت زيتونة أو شجرة غُبَيْراء . فقتل كذلك سنة ثمان وعشرين ومائة . وأصاب الكيرماني صفائح ذهب للحارث

١٩٣٢/٢

فأخذها وجلس أمّ ولده ثم خلّى عنها ، وكانت عند حاجب بن عمرو بن سلمة بن سكن بن جون بن ديب . قال : وأخذ أموال من خرج مع نصر ، واصطفى متاع عاصم بن عمير ، فقال إبراهيم : بم تستحل ماله ؟ فقال صالح من آل الوضاح : اسقى دمه ، فحال بينه وبينه مقاتل بن سليمان ، فأبى به منزله .

قال عليّ : ، قال زهير بن المهنيّد : خرج الكرمانى إلى بيشر بن جرّموز ، وعسكر خارجاً من المدينة ؛ مدينة مسرو ، وبشر في أربعة آلاف ، فعسكر الحارث مع الكرمانى ، فأقام الكرمانى أياماً بينه وبين عسكر بيشر فرسخان ، ثم تقدّم حتى قرب من عسكر بشر ، وهو يريد أن يقاتله ، فقال للحارث : تقدّم . وندم الحارث على اتباع الكرمانى ، فقال : لا تعجل إلى قتالهم ، فإنى أردّهم إليك ، فخرج من العسكر في عشرة فوارس ؛ حتى أتى عسكر بيشر في قرية الدّريجان ، فأقام معهم وقال : ما كنت لأقاتلكم مع البائية ، وجعل المضريّون ينسلّون من عسكر الكرمانى إلى الحارث حتى لم يبق مع الكرمانى

١٩٣٤/٢

مضرى غير سلّمة بن أبى عبد الله ، مولى بنى سلّيم ؛ فإنه قال : والله لا أتبع الحارث أبداً فإنى لم أره إلا غادراً والمهلب بن إياس ، وقال : لا أتبعه فإنى لم أره قطّ إلا في خيل تطرد . فقاتلهم الكرمانى مراراً يقتتلون ثم يرجعون إلى خنادقهم ، فرّة لهؤلاء ومرة لهؤلاء ، فالتقوا يوماً من أيامهم ، وقد شرب مرثد بن عبد الله المجاشعى ، فخرج سكران على بردون للحارث ، فطعن فصرع ، وحماه فوارس من بنى تميم ؛ حتى تخلص ، وعار البرذون ، فلما رجع لاه الحارث ، وقال : كدت تقتل نفسك ، فقال للحارث : إنما تقول ذلك لمكان بردونك ، امرأتى طالق إن لم آتكن بردون أفره من بردونك من عسكرهم ، فالتقوا من غد ، فقال مرثد : أى بردون في عسكرهم أفره ؟ قالوا : بردون عبد الله ابن ديسم العنزيّ — وأشاروا إلى موقفه — حتى وصل إليه ، فلما غشيّه رمى ابن ديسم نفسه عن بردونه ، وعلّق مرثد عنان فرسه في ربحه ، وقاده حتى أتى به الحارث ، فقال : هذا مكان بردونك ، فلقى غلغل بن الحسن مرثداً ، فقال له بمازحه : ما أهيأ بردون ابن ديسم تحتك ! فنزل عنه ، وقال : خذه ، قال : أردت أن تفضحنى ! أخذته منا في الحرب وأخذه في السلم ! ومكثوا بذلك

أياماً ، ثم ارتحل الحارث ليلاً ، فأتى حائط مَرَوْ فَنَقِبَ ^(١) باباً ، ودخل الحائط ، فدخل الكيرماني ، وارتحل ، فقالت المضربة للحارث : قد تركنا الخنادق فهو يومنا ، وقد فررت غير مَرَّة ، فترجّل . فقال : أنا لكم فارساً خير مني لكم راجلاً ، قالوا : لا نرضى إلا أن تترجّل ، فترجّل وهو بين حائط مَرَوْ والمدينة ، فقتل الحارث وأخوه وبشر بن جرموز وعدة من فرسان تميم ، وانهزم الباقون ، وصَلَبَ الحارث وصَفَّتْ مَرَوْ لليمن ، فهدموا دور المضربة ، فقال نصر بن سيار للحارث حين قَتِلَ :

١٩٣٥/٢

يا مُدْخِلَ الذِّلِّ على قومِهِ بعداً وسُخْطاً لك مِنْ هَالِكِ!
شُؤْمُكَ أَرَدَى مُضْراً كُلَّهَا وَغَضَّ مِنْ قَوْمِكَ بِالْحَارِكِ ^(٢)
ما كانتِ الْأَزْدُ وأشْياعُها تَطْمَعُ في عمرو ولا مالِكِ
ولا بَنِي سَعْدٍ إِذَا أَلْجَمُوا ^(٣) كُلُّ طِمِرٍ لُونُهُ حَالِكُ
ويقال : بل قال هذه الأبيات نصر لعثمان بن صدقة المازني .
وقالت أم كثير الضبيّة :

لا بَارَكَ اللهُ في أُنثى وَعَذَّبَهَا تَزَوَّجَتْ مُضْرباً آخِرَ الدَّهْرِ
أَبْلَغَ رِجَالٍ تَمِيمٍ قَوْلَ مُوجَعَةٍ أَحْلَلْتُموها بدار الذِّلِّ والْفَقْرِ
إِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَكْرُوا بَعْدَ جَوْلَتِكُمْ حَتَّى تُعِيدُوا رِجَالَ الْأَزْدِ في الظَّهْرِ ^(٤)
إِنِّي اسْتَحَيْتُ لَكُمْ مِنْ بَذْلِ طَاعَتِكُمْ ^(٥) هَذَا الْمَرْؤُفُ يُجَبِّيكُمْ على قَهَرٍ ^(٦)
وقال عباد بن الحارث :

أَلا يَا نَضْرُ قَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ وَقَدْ طَالَ التَّمَنِّي والرَّجَاءُ
وَأَصْبَحَتِ الْمَرْؤُونَ بِأَرْضِ مَرٍ تُقْضَى في الْحُكُومَةِ ما تَشَاءُ
يَجْزُو قضاؤها في كُلِّ حُكْمٍ على مُضْربٍ وَإِنْ جَارَ الْقَضَاءُ

(٢) ابن الأثير : « وحزن قومك » .

(٤) ابن الأثير : « حتى تمعدوا » .

(٦) ابن الأثير : « ينجيكم » .

(١) ابن الأثير : « فنقب سوراً »

(٣) ١ : « أَلْجَمُوا » .

(٥) ابن الأثير : « من بعد طاعتكم » .

وَجَمِيرٌ فِي مَجَالِسِهَا قُعُودٌ
فَإِنْ مُضِرٌّ بِذَا رَضِيَتْ وَذَلَّتْ
وَأِنْ هِيَ أَعْتَبَتْ فِيهَا وَإِلَّا
وَقَالَ :

تَرَقَّرَقُ فِي رِقَابِهِمْ الدِّمَاءُ
فَطَالَ لَهَا الْمَذَلَّةُ وَالشَّقَاءُ
فَحَلَّ عَلَى عَسَاكِرِهَا الْعَفَاءُ

١٩٣٦/٢

أَلَا يَا أَيُّهَا الْمَرْءُ الْ
أَفْقُ وَدَعِ الَّذِي قَدْ كُنْتُ
فَقَدْ حَدَّثْتُ بِحَضْرَتِنَا
الْأَزْدَ رَأَيْتُهَا عَزَّتْ
فَجَازَ الصُّفْرُ لَمَّا كَا
ذِي قَدْ شَفَّهُ الطَّرَبُ
مَتَ تَطْلُبُهُ وَنَطْلِبُ
أُمُورُ شَانُهَا عَجِبُ
بِمَرَوْ وَذَلَّتِ الْعَرَبُ
نَ ذَاكَ وَبُهِرَجَ الذَّهَبُ

وقال أبو بكر بن إبراهيم لعلّي وعثمان ابني الكرماني :

إِنِّي لَمُرْتَجِلٌ أُرِيدُ بِمِدْحَتِي
سَبَقَا الْجِيَادَ فَلَمْ يَزَالَا نُجْعَةً
يَسْتَعْلِيَانِ وَيَجْرِيَانِ إِلَى الْعُلَا
أَعْنِي عَلِيًّا إِنَّهُ وَوَزِيرُهُ
جَرِيًّا لَكَيْمَا يَلْحَقَا بِأَبِيهِمَا
فَلْتُنْ هُمَا لَحِقَا بِهِ لِمُنْصَبٍ
وَلْتُنْ أَبَرُّ عَلَيْهِمَا فَلَطَامَا
فَلَا مَدَحْنَهُمَا بِمَا قَدْ عَايَنْتَ
فَهُمَا التَّقْيَانِ الْمُشَارُ إِلَيْهِمَا
وَهُمَا أَزَالَا عَنْ عَرِيكََةِ مَلِكِهِ
نَفْيَا ابْنَ أَقْطَعَ بَعْدَ قَتْلِ حُمَاتِهِ
أَخَوَيْنِ فَوْقَ ذُرَى الْأَنَامِ ذِرَاهُمَا
لَا يَعْدُمُ الضَّيْفُ الْغَرِيبُ قِرَاهُمَا
وَيَعِيشُ فِي كَنْفَيْهِمَا حَيَاهُمَا
عُثْمَانُ لَيْسَ يَدِلُّ مَنْ وَالَاهُمَا
جَرَى الْجِيَادِ مِنَ الْبَعِيدِ مَدَاهُمَا
يَسْتَعْلِيَانِ وَيَلْحَقَانِ أَبَاهُمَا
جَرِيًّا فَبَذَّهُمَا وَبَذَّ سِوَاهُمَا
عَيْنِي وَإِنْ لَمْ أُخْصِرْ كُلَّ نَدَاهُمَا^(١)
الْحَامِلَانِ الْكَامِلَانِ كِلَاهُمَا
نَصْرًا وَلَا قِيَّ الدَّلَّ إِذْ عَادَاهُمَا
وَتَقَسَّمْتَ أَسْلَابَهُ خِيَلَاهُمَا

والحارث بن سريج إذ قَصَدُوا لَهُ حتى تَعَاوَرَ رَأْسُهُ سَيْفَاهُمَا
أَخَذَا بِعَقْوِ أَبِيهِمَا فِي قَدْرِهِ إِذْ عَزَّ قَوْمُهُمَا وَمَنِ وَالَاهُمَا

• • •

١٩٣٧/٢

وفي هذه السنة وجه إبراهيم بن محمد أبا مسلم إلى خراسان ، وكتب إلى أصحابه : إني قد أمرته بأمرى ، فاسمعوا منه واقبلوا قوله ؛ فإني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك ؛ فأتاهم فلم يقبلوا قوله ، وخرجوا من قابل ، فالتقوا بمكة عند إبراهيم ، فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره ، فقال إبراهيم : إني قد عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه عليّ ، وذلك أنه كان عرض ذلك قبل أن يوجه أبا مسلم على سايمان بن كثير ، فقال : لا أليّ^(١) اثنين أبداً ، ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى ، فأعلمهم أنه أجمع رأيه على أبي مسلم ، وأمرهم بالسمع والطاعة ، ثم قال : يا عبد الرحمن ، إنك رجلٌ منا أهل البيت ؛ فاحتفظ^(٢) وصيتي ، وانظر هذا الحى من اليمن فأكرمهم^(٣) ، وحلّ بين أظهرهم ؛ فإن الله لا يئتم هذا الأمر إلا بهم ؛ وانظر هذا الحى من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحى من مضر ؛ فإنهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ومن وقع في نفسك منه شيء ؛ وإن استطعت ألا تدع بخراسان لساناً عربياً فافعل ، فأيتما غلام بلغ خمسة أشبار تنهجه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ — يعنى سليمان بن كثير — ولا تعصيه ، وإذا أبشكلك أمر فاكتف به منى .

• • •

[ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجي]

١٩٣٨/٢

وفي هذه السنة قُتِلَ الضحاك بن قيس الخارجي ، فيما قال أبو مخنف ، ذكر ذلك هشام بن محمد عنه .

(٢) ابن الأثير : « فاحتفظ » .

(١) بدمها في الأثير : « على » .

(٣) ابن الأثير : « فالزيمهم » .

• ذكر الخبر عن مقتله وسبب ذلك :

ذكر أن الضحّاك لما حاصر عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بواسط ، وبابعه منصور بن جُمهور ، ورأى عبد الله بن عمر أنه لا طاقة له به ، أرسل إليه : إن مقامكم علىّ ليس بشيء^(١) ؛ هذا مروان فسرّ إليه ؛ فإن قاتلته^(٢) فأنا معك ، فصالحه على ما قد ذكرت من اختلاف المختلفين فيه .

فذكر هشام ، عن أبي مخنف ؛ أن الضحّاك ارتحل عن ابن عمر حتى لقي مَرَوَانَ بكفَرْتَوْثًا من أرض الجزيرة ، فقتل الضحّاك يوم التقوا .

وأما^(٣) أبو هاشم غلّده بن محمد بن صالح ، فقال فيما حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم عنه أن الضحّاك لما قتل عطية الثعلبي^(٤) صاحبه وعامله على الكوفة ملّحان بقنطرة السيلحين ، وبلغه خبر قتل ملّحان وهو محاصر عبد الله بن عمر بواسط ، وجهه مكانه من أصحابه رجلا يقال له مطاعن ؛ واصطاح عبد الله بن عمر والضحّاك عن أن يدخل في طاعته ؛ فدخل وصلى خلفه ، وانصرف إلى الكوفة ، وأقام ابن عمر فيمن معه بواسط ؛ ودخل الضحّاك الكوفة ، وكاتبه أهل الموصل ودعوه إلى أن يقدم عليهم فيمكنوه منها ؛ فسار في جماعة جنوده بعد عشرين شهراً ، حتى انتهى إليها ، وعليها يومئذ عامل لمروان ؛ وهو رجل من بني شيبان من أهل الجزيرة يقال له القطرّان بن أكمّته ، ففتح أهل الموصل المدينة للضحّاك وقتلهم القطرّان في عدة يسيرة من قومه وأهل بيته حتى قتلوا ، واستولى الضحّاك على الموصل وكورها .

١٩٣٩/٢

وبلّغ مَرَوَانَ خبره وهو محاصر حِمْنَص ، مشغول بقتال أهلها ، فكتب إلى ابنه عبد الله وهو خليفته بالجزيرة ، يأمره أن يسير فيمن معه من روابطه إلى مدينة نَصِيبِينَ ليشغل^(٥) الضحّاك عن توسط الجزيرة ، فشخص عبد الله إلى نَصِيبِينَ في جماعة روابطه ؛ وهو في نحو من سبعة آلاف أو ثمانية ، وخلف بجرّان قائد في ألف أو نحو ذلك ؛ وسار الضحّاك من الموصل إلى عبد الله

(١) ابن الأثير : « يسى » .

(٣) كذا في أ .

والصواب ما أثبتته من الأصول .

(٢) ١ ، وابن الأثير : « قتله » .

(٤) ط : « الثعلبي » من توجيه مصححه ،

(٥) كذا في أ .

بنصيبين، فقاتله فلم يكن له قوة لكثرة من مع الضحاك، فوهم فيها بلغنا عشرون ومائة ألف، يرزق الفارس عشرين ومائة وراجل والبغال المائة والثمانين في كل شهر، وأقام الضحاك على نصيبين محاصراً لها، ووجهه قائدان من قواده يقال لهما عبد الملك بن بشر التغلبي، وبدر الدكواني مولى سليمان بن هشام، في أربعة آلاف أو خمسة آلاف حتى وردا الرقة، فقاتلهم من بها من خيل مروان، وهم نحو من خمسمائة فارس، ووجهه مروان حين بلغه نزولهم الرقة خيلاً من روابطه، فلما دنوا منها انقشع أصحاب الضحاك منصرفين إليه، فاتبعتهم خيله، فاستسقطوا من ساقتهم نيفاً وثلاثين رجلاً، فقطعهم مروان حين قدم الرقة، ومضى صامداً إلى الضحاك وجموعه حتى التقياً بموضع يقال له الغز من أرض كفسرتوثا، فقاتله يومه ذلك، فلما كان عند المساء ترجل الضحاك وترجل معه من ذوى الثبات من أصحابه نحو من ستة آلاف وأهل عسكره أكثرهم لا يعلمون بما كان منه، وأحدقت بهم خيول مروان فألحوا عليهم حتى قتلوه عند العتمة، وانصرف من بقي من أصحاب الضحاك إلى عسكرهم، ولم يعلم مروان ولا أصحاب الضحاك أن الضحاك قد قُتِلَ فيمن قتل حتى فقدوه في وسط الليل. وجاءهم بعض من عاينه حين ترجل، فأخبرهم بخبره ومقتله، فبكوه وناحوا عليه، وخرج عبد الملك بن بشر التغلبي القائد الذي كان وجهه في عسكرهم إلى الرقة حتى دخل عسكر مروان، ودخل عليه فأعلمه أن الضحاك قُتِلَ، فأرسل معه رسلاً من حرسه، معهم النيران والشمع إلى موضع المعركة، فقلبوا القتلى حتى استخرجوه فاحتملوه حتى أتوا به مروان، وفي وجهه أكثر من عشرين ضربة، فكبر أهل عسكر مروان، فعرف أهل عسكر الضحاك أنهم قد علموا بذلك، وبعث مروان برأسه من ليلته إلى مدائن الجزيرة، فطيف به فيها.

وقيل: إن الخيبري والضحاك إنما قُتِلَا في سنة تسع وعشرين ومائة.

* * *

[ذكر الخبر عن مقتل الخيبري وولاية شيبان]

وفي هذه السنة كان أيضاً - في قول أبي مخنف - قتل الخيبري الخارجي، كذلك ذكر هشام عنه.

* ذكر الخبر عن مقتله :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال :
حدثني أبو هاشم محمد بن محمد بن صالح ، قال : لما قتل الضحاك أصبح
أهل عسكره بايعوا^(١) الخبيري ، وأقاموا يومئذ وغادوه^(٢) من بعد الغد ، وصافوه
وصافتهم ، وسلمان بن هشام يومئذ في مواليه وأهل بيته مع الخبيري ؛ وقد كان
قدم على الضحاك وهو بنصيبين ؛ وهم في أكثر من ثلاثة آلاف من أهل
بيته ومواليه ، فتزوج فيهم أخت شيبان الحروري الذي بايعوه بعد قتل الخبيري ،
فحمل الخبيري على مروان في نحو من أربع مائة فارس من الثائرة ، فهزم
مروان وهو في القلب ، وخرج مروان من المعسكر هارباً ، ودخل الخبيري
فيمن معه عسكره ، فجعلوا ينادون بشعارهم : يا خبيري يا خبيري ،
ويقتلون من أدركوا حتى انتهوا إلى حجرة مروان ، فقطعوا أطنايها ، وجلس
الخبيري على فرشه ، وميمنة مروان عليها ابنة عبد الله ثابتة على حالها ، وميسرة
ثابتة عليها إسحاق بن مسلم العفسي ، فلما رأى أهل عسكر مروان قلة
من مع الخبيري ثار إليه عبيد من أهل العسكر بعمد الخيام ، فقتلوا الخبيري
وأصحابه جميعاً في حجرة مروان وحولها ، وبلغ مروان الخبر وقد جاز
العسكر بخمسة أميال أو ستة منهزمًا ، فانصرف إلى عسكره وردّ خيوله عن
مواضعها ومواقفها ، وبات ليلته تلك في عسكره . فانصرف أهل عسكر الخبيري
فولّوا عليهم شيبان وبايعوه ، فقاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل
الصف منذ يومئذ . وكان مروان يوم الخبيري بعث محمد بن سعيد ، وكان من
ثقافته وكتابه إلى الخبيري ، فبلغه أنه مالا هم وانحاز إليهم يومئذ ، فأتى به
مروان أسيراً فقطع يده ورجله ولسانه .

• • •

وفي هذه السنة وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق لحرب من بها
من الخوارج .

١٩٤٢/٢

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ؛ كذلك
قال أبو معشر — فيما حدثني أحمد بن ثابت عمن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى

(٢) ١ : « وعادوه » .

(١) ابن الأثير : « قبايعوا » .

عنه . وكذلك قال الواقدي وغيره .

وقال الواقدي : وافتتح مَرْوَانُ حِمْنَصَ وهدم سورها ، وأخذ نُعَيْمَ بْنَ ثَابِتِ الْجَزْأِيِّ فقتله في شوال سنة ثمان ، وقد ذكرنا من خالفه في ذلك قبل . وكان العامل على المدينة ومكة والطائف — فيما ذكر — في هذه السنة عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وبالعراق عمّال الضحالك وعبد الله بن عمر . وعلى قضاء البصرة ثُمَامَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، وبخراسان نَصْرُ بْنُ سَيَّارٍ وبخراسان مفتونة .

* * *

[خبر أبي حمزة الخارجي مع عبد الله بن يحيى]

وفي هذه السنة لقي أبو حَمَزَةَ الخارجيَّ عبدَ اللَّهِ بن يحيى طالب الحق فدعاه إلى مذهبه .

* ذكر الخبر عن ذلك :

حدثني العباس بن عيسى العُقَيْلِيُّ ، قال : حدثنا هارون بن موسى الفروي^(١) ، قال : حدثني موسى بن كثير مولى الساعديتين ، قال : كان أول أمر أبي حمزة — وهو المختار بن عوف الأزدي السلمي من البصرة — قال موسى : كان أول أمر أبي حمزة أنه كان يوافي كل سنة مكة يدعو الناس إلى خلاف مَرْوَانِ بن محمد وإلى خلاف آل مروان . قال : فلم يزل يختلف في كل سنة حتى وافى عبد الله بن يحيى في آخر سنة ثمان وعشرين ومائة ، فقال له : يا رجل ، أسمعُ كلاما حسنا ، وأراك^(٢) تدعو إلى حق ، فانطلق معي ، فإني رجل مطاع في قومي ، فخرج حتى ورد حَضْرَمَوْتَ ، فبايعه أبو حمزة على الخلافة ، ودعا إلى خلاف مَرْوَانِ وآل مروان .

١٩٤٣/٢

وقد حدثني محمد بن حسن أن أبا حمزة مرَّ بمعدن بنى سليم وكثير بن عبد الله عامل على المعدن ، فسمع بعض كلامه ، فأمر به فجلد سبعين سوطاً ، ثم مضى إلى مكة ، فلما قدم أبو حمزة المدينة حين افتتحها تغيب كثير حتى كان من أمرهم ما كان^(٣) .

(١) ط : « الفروي » ، وصوابه من الأغاني . (٢) كذا في الأغاني .

(٣) الخبر في الأغاني ٢٠ : ٩٩ .

ثم دخلت سنة تسع وعشرين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[خبر هلاك شيبان بن عبد العزيز الحروري]

فمن ذلك ما كان من هلاك شيبان بن عبد العزيز اليشكري أبي الدلفاء .

* ذكر الخبر عن سبب مهلكه :

وكان سبب ذلك أن الخوارج الذين كانوا بإزاء مروان بن محمد يحاربونه لما قتل الضحاك بن قيس الشيباني رئيس الخوارج والخيرى بعده ، ولّوا عليهم شيبان وبايعوه ؛ فقاتلهم مروان ، فذكر هشام بن محمد والهيثم بن عدى أن الخيرى لما قُتل قال سليمان بن هشام بن عبد الملك للخوارج — وكان معهم في عسكرهم : إن الذي تفعلون ليس برأى ؛ فإن أخذتم برأى ، وإلا انصرفت عنكم . قالوا : فما الرأي ؟ قال : إن أحدكم يظفر ثم يستقتل فيقتل ، فلما أرى أن ننصرف على حاميتنا حتى ننزل الموصل ، فنخندق . ففعل وأتبعه مروان والخوارج في شرق دجلة ومروان بإزائهم ؛ فاقتتلوا تسعة أشهر ، ويزيد بن ١٩٤٤/٢ عمر بن هبيرة بقرقيسيا في جند كثيف من أهل الشام وأهل الجزيرة ، فأمره مروان أن يسير إلى الكوفة ، وعليها يومئذ المشي بن عمران ؛ من عائذة قریش من الخوارج .

وحدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : كان مروان بن محمد يقاتل الخوارج بالصف ، فلما قتل الخيرى وبويع شيبان ، قاتلهم مروان بعد ذلك بالكراديس ، وأبطل الصف منذ يومئذ ، وجعل الآخرون يكردون بكراديس مروان كراديس تكافئهم وتقاتلهم ، وتفرق كثير من أصحاب الطمع عنهم وتخذلوهم ، وحصلوا في نحو من أربعين ألفاً ، فأشار عليهم سليمان بن هشام أن ينصرفوا إلى مدينة الموصل ، فيصيروها ظهراً وملجأً وميرة لهم ، فقبلوا رأيه ، وارتحلوا

ليلا ، وأصبح مروان فأتبعهم ؛ ليس يرحلون عن منزل إلا نزل ، حتى انتهوا إلى مدينة الموصل ، فعسكروا على شاطئ دجلة ، وخذقوا على أنفسهم ، وعقدوا جسوراً على دجلة من عسكرهم إلى المدينة ؛ فكانت ميرتهم ومرافقهم منها ، وخذق مروان بإزائهم ، فأقام ستة أشهر يقاتلهم بكثرة وعشية .

قال : وأتى مروان بابن أخ سليمان بن هشام ، يقال له أمية بن معاوية بن هشام ، وكان مع عمه سليمان بن هشام في عسكر شيبان بالموصل ؛ فهو مبارز رجلا من فرسان مروان ، فأسره الرجل فأتى به أسيراً ، فقال له : أنشدك الله والرحيم يا عم ! فقال : ما بيني وبينك اليوم من رحيم ، فأمر به - وعمه سليمان وإخوته ينظرون - فقطعت يدها وضربت عنقه .

١٩٤٥/٢

قال : وكتب مروان إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يأمره بالمسير من قرقيسيا بجميع من معه إلى عبدة بن سوار خليفة الضحاك بالعراق ، فلقى خيوله بعين التمر ، فقاتلهم فهزمهم ؛ وعليهم يومئذ المشي بن عمران من عائلة قريش والحسن بن يزيد ؛ ثم تجمعوا له بالكوفة بالتحيلة ، فهزمهم ، ثم اجتمعوا بالصرافة ومعهم عبدة ؛ فقاتلهم فقتل عبدة ، وهزم أصحابه ، واستباح ابن هبيرة عسكرهم ، فلم يكن لهم بقية بالعراق ، واستولى ابن هبيرة عليها ، وكتب إليه مروان بن محمد من الخنادق يأمره أن يمدّه بعامر بن ضبارة المرتي ، فوجهه في نحو من ستة آلاف أو ثمانية ؛ وبلغ شيبان خبرهم ومن معه من الحرورية ، فوجهوا إليه قائدين في أربعة آلاف ، يقال لهما ابن غوث والحنون ، فلقوا ابن ضبارة بالسن دون الموصل ، فقاتلوه قتالا شديداً ، فهزمهم ابن ضبارة ، فلما قدم فلقهم أشار عليهم سليمان بالارتحال عن الموصل ، وأعلمهم أنه لا مقام لهم إذ جاءهم ابن ضبارة من خلفهم ، وركبهم مروان من بين أيديهم ؛ فارتحلوا فأخذوا على حلوهم إلى الأهواز وفارس ، ووجه مروان إلى ابن ضبارة ثلاثة نفر من قواده في ثلاثين ألفاً من روابطه ؛ أحدهم مصعب بن الصبح الأسدي وشقيق وعطيف [السلياني]^(١) ، وشقيق الذي يقول فيه الخوارج :

قد علمت أختاك^(٢) يا شقيق أنك من سكرك ما تفيق

وكتب إليه يأمره أن يتبعهم ، ولا يقلع عنهم حتى يسيرهم ويستأصلهم ،

فلم يزل يتبعهم حتى وردوا فارس ، وخرجوا منها وهو في ذلك يستسقط مَن
لحق من أخرياتهم ، ففترقوا ، وأخذ شيبان في فرقه إلى ناحية البحرين ، فقتل
بها ، وركب سليمان فيمن معه من مواله وأهل بيته السفن إلى السند ، وانصرفا
مروان إلى منزله من حِتران ، فأقام بها حتى شغص إلى الزَّاب .

وأما أبو مخنف فإنه قال — فيما ذكر هشام بن محمد عنه — قال : أمر
مروان يزيد بن عمر بن هبيرة — وكان في جنود كثيرة من الشام وأهل
الجزيرة بقرقيسياً — أن يسير إلى الكوفة ، وعلى الكوفة يومئذ رجل من الخوارج
يقال له المثنى بن عمران العائذي ؛ عائذة قريش ، فسار إليه ابن هبيرة على
الفرات حتى انتهى إلى عين التمر ، ثم سار فلقى المثنى بالروحاء ، فوافي
الكوفة في شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة ، فهزم الخوارج ، ودخل ابن
هبيرة الكوفة ثم سار إلى الصَّراة ، وبعث شيبان عبدة بن سوار في خيل كثيرة ،
فعسكر في شرق الصَّراة ، وابن هبيرة في غربتها ، فالتقوا ، فقتل عبدة وعدة من
أصحابه ؛ وكان منصور بن جهمور معهم في دَوْر الصَّراة ، فضى حتى
غلب على الماهيين وعلى الجبل أجمع ، وسار ابن هبيرة إلى واسط ؛ فأخذ ابن
عمر فحبسه ، ووجه ثبَّاتة بن حنظلة إلى سليمان بن حبيب وهو على كُور الأهواز ،
وبعث إليه سليمان داود بن حاتم ، فالتقوا بالمریان^(١) على شاطئ دُجيل ،
فانهزم الناس ، وقتل داود بن حاتم . وفي ذلك يقول خلف بن خليفة :

نَفْسِي لِلدَّوْدَ الْفِدَاَ وَالْحِمَى	إِذْ أَسْلَمَ الْجَيْشُ أَبَا حَاتِمٍ
مُهَلَّبِي مُشْرِقٌ وَجْهُهُ	لَيْسَ عَلَى الْمَعْرُوفِ بِالنَّادِمِ
سَأَلْتُ مَنْ يَعْلَمُ لِي عِلْمُهُ	حَقًّا [وَمَا الْجَاهِلُ كَالْعَالِمِ] ^(٢)
قَالُوا عَهْدُنَا عَلَى مَرْقَبٍ	يَحْمِلُ كَالضَّرْغَامَةِ الصَّارِمِ
ثُمَّ انْتَنَى مِنْجِدِلًا فِي دَمٍ	يُسْفَحُ فَوْقَ الْبَدَنِ النَّاعِمِ
وَأَقْبَلَ الْقِبْطُ عَلَى رَأْسِهِ	وَاخْتَصَمُوا فِي السَّيْفِ وَالْمَخَاتِمِ

وسار سليمان حتى لحق بابن معاوية الجعفرى بفارس . وأقام ابن هبيرة شهراً .

(١) ابن الأثير : « بالمرتان » .

(٢) من أ .

ثم وجه عامر بن ضُبارة في أهل الشام إلى الموصل؛ فسار حتى انتهى إلى السن فلقه بها الجون بن كلاب الخارجي، فهزم عامر بن ضُبارة حتى أدخله السن فتحصن فيها، وجعل مروان يمدّه بالجنود يأخذون طريق البر؛ حتى انتهوا إلى دجلة، فقطعوها إلى ابن ضُبارة حتى كثروا. وكان منصور بن جهمور يمدّ شيان بالأموال من كُور الجبل؛ فلما كثر من يتبع^(١) ابن ضُبارة من الجنود؛ نهض إلى الجون بن كلاب فقتل الجون، ومضى ابن ضُبارة مصعداً إلى الموصل. فلما انتهى خبر الجون وقتله إلى شيان ومسير عامر بن ضُبارة نحوه، كره أن يقيم بين العسكرين؛ فارتحل بمن معه وفرسان الشام من البادية. وقدم عامر بن ضُبارة بمن معه على مروان بالموصل، فضم إليه جنوداً من جنوده كثيرة، وأمره أن يسير إلى شيان؛ فإن أقام أقام؛ وإن سار سار؛ وألاً يبدؤه بقتال؛ فإن قاتله شيان قاتله؛ وإن أمسك أمسك عنه، وإن ارتحل اتبعه؛ فكان على ذلك حتى مرّ على الجبل، وخرج على بيضاء لاصطخر، وبها عبد الله بن معاوية في جموع كثيرة؛ فلم يتهباً الأمر بينه وبين ابن معاوية، فسار حتى نزل جبرفت من كرمان، وأقبل عامر بن ضُبارة حتى نزل بإزاء ابن معاوية أياماً، ثم ناهضه القتال، فانهزم ابن معاوية، فلقى بهترة وسار ابن ضُبارة بمن معه، فلقى شيان بجبرفت من كرمان، فاقتتلوا قتالاً شديداً وانهزمت الخوارج، واستبيح عسكرهم؛ ومضى شيان إلى سجستان، فهلك بها؛ وذلك في سنة ثلاثين ومائة.

١٩٤٨/٢

وأما أبو عبيدة فإنه قال: لما قتل الخيبري قام بأمر الخوارج شيان بن عبد العزيز اليشكري، فحارب مروان، وطالت الحرب بينهما؛ وابن هبيرة بواسط قد قتل عبيدة بن سوار ونى الخوارج ومعه رموس قواد أهل الشام وأهل الجزيرة. فوجه عامر بن ضُبارة في أربعة آلاف مدداً لمروان، فأخذ على باب المدائن، وبلغ مسيره شيان، فخاف أن يأتيهم مروان، فوجه إليه الجون بن كلاب الشيباني ليشغله، فالتقى بالسن، فحصر الجون عامراً أياماً. قال أبو عبيدة: قال أبو سعيد: فأخرجناهم والله، واضطررناهم إلى

(١) ابن الأثير: «من مع ابن ضُبارة».

قتالنا ؛ وقد كانوا خافونا وأرادوا الهرب منا ؛ فلم ندع لهم مسلكاً . فقال لهم عامر :
 أنتم ميتون لا محالة ؛ ففوتوا كراماً ، فصدّمونا صدمة لم يقم لها شيء ، وقتلوا رئيسنا
 الجحون بن كلاب ، وانكشفنا حتى لحقنا بشيبان ، وابن ضبارة في آثارنا ؛
 حتى نزل منا قريباً ؛ وكنا نقاتل من وجهين ؛ نزل ابن ضبارة من ورائنا ممّا
 على العراق ، ومروان أمامنا مما يلي الشام ؛ ففقطع عنا المادّة والميرة ، فغلت
 أسعارنا ؛ حتى بلغ الرغيف درهماً ؛ ثم ذهب الرغيف فلا شيء يشتري به ؛
 ولا رخيص . فقال حبيب بن خدرّة لشيبان : يا أمير المؤمنين ؛ إنك في ضيق
 من المعاش ؛ فلو انتقلت إلى غير هذا الموضع ! ففعل ومضى شهرزور من
 أرض الموصل ، فعاب ذلك عليه أصحابه ؛ فاختلفت كلمتهم .
 وقال بعضهم : لما ولي شيبان أمر الخوارج [رجع بأصحابه] ^(١) إلى الموصل
 فاتبعه مروان يتزل معه حيث نزل [فقاتله شهراً ثم انهزم] ^(٢) شيبان حتى لحق
 بأرض فارس ، فوجه مروان في أثره عامر بن ضبارة [فقطع] ^(٣) إلى جزيرة ابن
 كاوان ، ومضى شيبان بمن معه حتى صار إلى عُمان ، فقتله جلندى بن مسعود
 ابن جيفر بن جلندى الأزدي .

[ذكر إظهار الدعوة العباسية بخراسان]

وفي هذه السنة أمر إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس أبا مسلم ،
 وقد شخص من خراسان يريده حتى بلغ قوميس ، بالانصراف إلى شيعته
 بخراسان ، وأمرهم بإظهار الدعوة والتسويد .

• ذكر الخبر عن ذلك وكيف كان الأمر فيه :

قال عليّ بن محمد عن شيوخي : لم يزل أبو مسلم يختلف إلى خراسان ،
 حتى وقعت العصبيّة بها ؛ فلما اضطرب الحبل ، كتب سليمان بن كثير إلى
 أبي سلمة الخلال يسأله أن يكتب إلى إبراهيم ، يسأله أن يوجه رجلاً من
 أهل بيته . فكتب أبو سلمة إلى إبراهيم ، فبعث أبا مسلم . فلما كان في سنة
 تسع وعشرين ومائة ، كتب إبراهيم إلى أبي مسلم يأمره بالقدوم عليه ليسأله
 عن أخبار الناس ، فخرج في النصف من جمادى الآخرة مع سبعين نفساً

من النقباء ، فلما صار بالدندانقان من أرض خراسان عرض له كامل — أبو كامل — قال : أين تريدون ؟ قالوا : الحج ، ثم خلا به أبو مسلم ، فدعاه فأجابهم ، وكف عنهم ، ومضى أبو مسلم إلى بيورد ، فأقام بها أياماً ، ثم سار إلى نسا ؛ وكان بها عاصم بن قيس السلمى عاملاً لنصر بن سيار الليثي ؛ فلما قرب منها أرسل الفضل بن سليمان الطوسي^(١) إلى أسيد بن عبد الله الخزاعي ليعلمه قدومه ، فضى الفضل فدخل قرية من قرى نسا ، فلقى رجلاً من الشيعة يعرفه ، فسأله عن أسيد ، فأنتهره ، فقال : يا عبد الله ، ما أنكرت من مسألتي عن منزل رجل ؟ قال : إنه كان في هذه القرية شر ، سعي برجلين قدما إلى العامل ، وقيل لإنهما داعيان ، فأخذهما ، وأخذ الأحجم بن عبد الله وغيلان بن فضالة وغالب بن سعيد والمهاجر بن عثمان ؛ فانصرف الفضل إلى أبي مسلم وأخبره ، فتنكب الطريق ، وأخذ في أسفل القرى ، وأرسل طرخان الجمال^(٢) إلى أسيد ، فقال : ادعه لي ومن قدرت عليه من الشيعة ، وإياك أن تكلم أحداً لم تعرفه ، فأتى طرخان أسيداً فدعاه ، وأعلمه بمكان أبي مسلم ، فأناه فسأله عن الأخبار ، قال : نعم ، قدم الأزهر بن شعيب وعبد الملك بن سعد بكتب من الإمام إليك ، فخلقا الكتب عندي وخرجا ، فأخذنا فلا أدري من سعى بهما ! فبعث بهما العامل إلى عاصم بن قيس ، فضرب المهاجرين عثمان وناساً من الشيعة . قال : فأين الكتب ؟ قال : عندي ، قال : فأتني بها [فأناه بالكتب فقرأها]^(٣) .

١٩٥١/٢

قال : ثم سار حتى أتى قوميس ، وعليها بيهس بن بُديل العجلي ، فأتاهم بيهس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : الحج ، قال : أفعمكم فضل برذون تبيعونه ؟ قال أبو مسلم : أما بيعاً فلا ؛ ولكن خذ أي دوابنا شئت ؛ قال : اعرضوها علي ، فعرضوها ، فأعجبته برذون منها سمند ، فقال أبو مسلم : هولك ، قال : لا أقبله إلا بثمن ، قال : احتكم ، قال : سبعمائة ، قال : هولك . وأناه وهو يقوميس كتاب من الإمام إليه وكتاب إلى سليمان بن كثير ؛ وكان في كتاب أبي مسلم : إني قد بعثت إليك براية النصر فارجع من حيث ألفتك^(٤) .

(١) في ابن الأثير : « سليمان بن قيس السلمى » (٢) ابن الأثير : « الجمال » .

(٣) من ١ .

(٤) ١ : « لتيك » .

كتاني، ووجهه إلى قحطبة بما معك يوافي^(١) به في الموسم . فانصرف أبو مسلم إلى خراسان ، ووجهه قحطبة إلى الإمام ، فلما كانوا بنساعرض لهم صاحب مسلحه في قرية من قرى نسا ، فقال لهم : من أنتم ؟ قالوا : أردنا الحج ، فبلغنا عن الطريق شيء خفناه ، فأوصلهم إلى عاصم بن قيس الساسي ، فسألهم فأخبروه ، فقال : [ارتحلوا وأمر]^(٢) المفضل بن الشرق^(٣) السلمي — وكان على شرطته — أن يزعمهم ، فخلا به أبو مسلم وعرض عليه أمرهم ، فأجابه ، وقال : ارتحلوا على مهل ، ولا تعجلوا . وأقام عندهم حتى ارتحلوا .

١٩٥٢/٢ فقدم أبو مسلم مرو في أول يوم من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة ، ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير ، وكان فيه أن أظهر دعوتك ولا ترتبص ، فقد آن ذلك . فنصبوا أبا مسلم ، وقالوا : رجل من أهل البيت ، ودعوا إلى طاعة بني العباس ، وأرسلوا إلى من قرب منهم أو بعد من أجابهم ، فأمره بإظهار أمرهم والدعاء إليهم . ونزل أبو مسلم قرية من قرى خراسان يقال لها سفيلنج ، وشيبان والكهريزي يقاتلان نصر بن سيار ، فبث أبو مسلم دعائته في الناس ، وظهر أمره ، وقال الناس : قدم رجل من بني هاشم ، فأتوه من كل وجه ، فظهر يوم الفطر في قرية خالد بن إبراهيم . فصلى بالناس يوم الفطر القاسم بن مجاشع المرائي ، ثم ارتحل فترل بالين — ويقال قرية اللين — لخزاعة ، فوافاه في يوم واحد أهل ستين قرية ، فأقام اثنين وأربعين يوماً ، فكان أول فتح أبي مسلم من قبل موسى بن كعب في بيورد ، وتشاغل بقتل عاصم بن قيس ، ثم جاء فتح من قبل مرو رُوذ .

١٩٥٣/٢

قال أبو جعفر : وأما أبو الخطاب فإنه قال : كان مقدم أبي مسلم أرض مرو منصرفاً من قوميس ، وقد أنفذ من قوميس قحطبة بن شبيب بالأموال التي كانت معه والعروض إلى الإمام إبراهيم بن محمد ، وانصرف إلى مرو ، فقدمها في شعبان سنة تسع وعشرين ومائة لتسع خلون منه يوم الثلاثاء ، فترل قرية تدعى فنين على أبي الحكم عيسى بن أعين النقيب ، وهي قرية أبي داود النقيب ، فوجه منها أبا داود ومعه عمرو بن أعين إلى طخارستان فادون بلخ

(٢) من ١ .

(١) : « فيوافي » .

(٣) ابن الأثير : « الشرق » .

بإظهار الدعوة في شهر رمضان من عامهم، ووجهه النضر^(١) بن صبيح التميمي ومعه شريك بن غضي التميمي إلى مَرَو الروذ بإظهار الدعوة في شهر رمضان، ووجهه أبا عاصم عبد الرحمن بن سليم إلى الطالقان، ووجهه أبا الجهم بن عطية إلى العلاء بن حريث بخوارزم بإظهار الدعوة في شهر رمضان لحمس بقين من الشهر، فإن أعجلهم عدوهم^(٢) دون الوقت، فعرض لهم بالأذى والمكره فقد حلّ لهم أن يدفعوا عن أنفسهم، وأن يُظهروا السيوف ويجردوها من أغمادها، ويجاهدوا أعداء الله ومن شغلهم عدوهم عن الوقت فلا حرج عليهم أن يظهروا بعد الوقت.

ثم تحول أبو مسلم عن منزل أبي الحكم عيسى بن أعين، فنزل على سليمان ابن كثير الخزاعي في قريته التي تدعى سفيدنج من رُبع خرقان لليلتين خلتا من شهر رمضان من سنة تسع وعشرين ومائة، فلما كانت ليلة الخميس لحمس بقين من شهر رمضان سنة تسع وعشرين ومائة اعتقدوا اللواء الذي بعث به الإمام إليه الذي يدعى الظل، على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وعقد الراية التي^(٣) بعث بها الإمام التي تدعى السحاب على رمح طوله ثلاثة عشر ذراعاً، وهو يتلون: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾^(٤)، ولبس السواد هو وسليمان بن كثير وإخوة سليمان ومواليه ومن كان أجاب الدعوة من أهل سفيدنج، منهم غيلان بن عبد الله الخزاعي — وكان صهر سليمان على أخته أم عمرو بنت كثير — ومنهم حميد بن رزين وأخوه عثمان بن رزين، فأوقدوا النيران ليلتهم أجمع للشيعة من سكان ربع خرقان — وكانت العلامة بين الشيعة — فتجمعوا له حين أصبحوا مُغَيَّزِينَ، وتأويل هذين الاسمين: الظل والسحاب، أن السحاب يطبق الأرض؛ وكذلك دعوة بني العباس، وتأويل الظل أن الأرض لا تخلو من الظل أبداً، وكذلك لا تخلو من خليفة عباسي أبد الدهر.

١٩٥٤/٢

وقدم على أبي مسلم الدعاة من أهل مَرَو بمن أجاب الدعوة؛ وكان أول من قدم عليه أهل السقادم^(٥) مع أبي الوضاح الهرمزي عيسى بن شبيل

١٩٥٥/٢

(١) ابن الأثير: «نضر» .
(٢) كذا في أ، وفي ط: «الذي» .
(٣) (٢) أ: «غزوم» .
(٤) سورة الحج ٣٩ .
(٥) وابن الأثير: «السقادم» .

في تسعمائة رجل وأربعة فرسان، ومن أهل هُرْمُزَ فَرّة سليمان بن حسان وأخوه
يزدان بن حسان والهيثم بن يزيد بن كيسان؛ وبُؤَيَع^(١) مولى نصر بن معاوية
وأبو خالد الحسن وجردى ومحمد بن علكوان، وقدم أهل السقادم مع أبي القاسم
محرز بن إبراهيم الجوباني في ألف وثلاثمائة راجل وستة عشر فارساً، ومنهم من
الدّعاة أبو العباس المُرّوزي ونخدام بن عمّار وحمزة بن زُئيم، فجعل أهل
السقادم يكبّرون من ناحيتهم وأهل السقادم مع محرز بن إبراهيم يُجيبونهم
بالتكبير؛ فلم يزلوا كذلك حتى دخلوا عسكر أبي مسلم بسفيذنج؛ وذلك
يوم السبت من بعد ظهور أبي مسلم بيومين، وأمر أبو مسلم أن يرمّ حصن
سفيذنج ويحصن ويدرب؛ فلما حضر العيد يوم الفطر بسفيذنج أمر أبو مسلم
سليمان بن كثير أن يصلّي به وبالشيعة، ونصب له منبراً في العسكر، وأمره
أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة - وكانت بنو أمية تبدأ بالخطبة
والأذان، ثم الصلاة بالإقامة على صلاة يوم الجمعة، فيخطبون على المنابر جلوساً
في الجمعة والأعياد - وأمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يكبر الركعة الأولى ست
تكبيرات تباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسابعة، ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات
تباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسادسة، ويفتتح الخطبة بالتكبير ويختمها بالقرآن،
وكانت بنو أمية تكبر في الركعة الأولى أربع تكبيرات يوم العيد، وفي الثانية
ثلاث تكبيرات. فلما قضى سليمان بن كثير الصلاة والخطبة انصرف أبو مسلم
والشيعة إلى طعام قد أعدّه لهم أبو مسلم الخراساني، فطعموا مستبشرين. وكان
أبو مسلم وهو في الخندق إذا كتب إلى نصر بن سيار يكتب: للأمير نصر؛
فلما قوى أبو مسلم بمن اجتمع إليه في خندقه من الشيعة بدأ بنفسه، فكتب
إلى نصر: أما بعد، فإن الله تبارك أسأوه وتعالى ذكره غير أقواماً في القرآن
فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى
الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ
السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سَنَةً

١٩٥٦/٢

الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا^(١). فتعاضل نصر الكتاب وأنه بدأ بنفسه، وكسر له إحدى عينيه [وأطال الفكرة]^(٢) وقال: هذا كتاب له جواب. فلما استقر بأبي مسلم معسكره بالماخوأن أمر محرز ابن إبراهيم أن يخندق خندقاً يجير نَجْ، ويجتمع إليه أصحابه ومن نزع إليه من الشيعة، فيقطع مادة نصر بن سيار من مرور وبلخ وكور طخارستان. ففعل ذلك محرز بن إبراهيم، واجتمع له في خندق نحو من ألف رجل، فأمر أبو مسلم أبا صالح كامل بن مظفر أن يوجه رجلاً إلى خندق محرز بن إبراهيم لعرض من فيه وإحصائهم في دفتر بأسمائهم وأسماء آبائهم وقراهم، فوجه أبو صالح حميداً الأزرق لذلك، وكان كاتباً، فأحصى في خندق محرز ثمانمائة رجل وأربعة رجال من أهل الكف؛ وكان فيهم من القواد المعروفين زياد بن سيار الأزدي من قرية تدعى أسبوادق من ربيع خرقان، وخيذام بن عمار الكندي من ربيع السقادم ومن قرية تدعى بالأوايق، وحنيفة بن قيس من ربيع السقادم، ومن قرية تدعى الشنج، وعبدويه الجردامد بن عبد الكريم من أهل هرة، وكان يجلب الغنم إلى مَرَو، وحمزة بن زُئيم الباهلي من ربيع خرقان من قرية تدعى ميلاذ جرد^(٣)، وأبو هاشم خليفه بن مهران من ربيع السقادم من قرية تدعى جوبان وأبو خديجة جيلان بن السغدّي وأبو نُعيم موسى بن صبيح. فلم يزل محرز بن إبراهيم مقيماً في خندقه حتى دخل أبو مسلم حائط مَرَو. وعطل الخندق بالماخوأن وإلى أن عسكر بمارسر جَس يريد نيسابور؛ فضم إليه محرز بن إبراهيم أصحابه؛ وكان من الأحداث، وأبو مسلم بسقيذنج، وكان نصر بن سيار وجه مولى له يقال له يزيد في خيل عظيمة لمحاربة أبي مسلم بعد ثمانية عشر شهراً من ظهوره، فوجه إليه أبو مسلم مالك ابن الحيثم الخزاعي ومعه مصعب بن قيس، فالتقوا بقرية تدعى آلين، فدعاهم مالك إلى الرضا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستكبروا عن ذلك، فصافهم^(٤) مالك وهو في نحو من مائتين من أول النهار إلى وقت العصر.

١٩٥٧/٢

١٩٥٨/٢

(٢) من ١.

(٤) ١: «فصادهم».

(١) سورة فاطر ٤٢، ٤٣.

(٢) ط: «هتلاذجور».

وقدم على أبي مسلم صالح بن سليمان الضبّي وإبراهيم بن يزيد وزباد بن عيسى فوجههم إلى مالك بن الهيثم، فقدموا عليه مع العصر، فقوى بهم أبو نصر، فقال يزيد مولى نصر بن سيار لأصحابه: إن تركنا هؤلاء الليلة أتتْهم الأمداد، فاحملوا على القوم؛ ففعلوا، وترجل أبو نصر وحض أصحابه، وقال: إني لأرجو أن يقطع الله من الكافرين طرفاً، فاجتلدوا جلاداً صادقاً، وصبر الفريقان، فقتل من شيعة بني مروان أربعة وثلاثون رجلاً، وأسر منهم ثمانية نفر، وحمل عبد الله الطائي على يزيد مولى نصر عميد القوم فأسره، وانهزم أصحابه، فوجه أبو نصر عبد الله الطائي بأسيره في رجال من الشيعة، ومعهم الأسرى والرؤوس، وأقام أبو نصر في معسكره بسفيدنج، وفي الوفد أبو حماد المروزي وأبو عمرو الأعجمي، فأمر أبو مسلم بالرؤوس فنصبت على باب الحائط الذي في معسكره، ودفع يزيد الأسلمي إلى أبي إسحاق خالد بن عثمان، وأمره أن يعالج يزيد مولى نصر من جراحات كانت به، ويحسن تعالجه، وكتب إلى أبي نصر بالقدوم عليه، فلما اندمل يزيد مولى نصر من جراحاته دعاه أبو مسلم، فقال: إن شئت أن تقيم معنا وتدخل في دعوتنا فقد أرشدك الله، وإن كرهت فارجع إلى مولاك سالمًا، وأعطينا عهد الله ألا تحاربنا وآلنا تكذب علينا، وأن تقول فينا ما رأيت؛ فاختر الرجوع إلى مولا، فخلي له الطريق. وقال أبو مسلم: إن هذا سيرد عنكم أهل الورع والصلاح، فلنا عندهم على [غير] (١) الإسلام.

١٩٥٩/٢

وقدم يزيد على نصر بن سيار؛ فقال: لا مرجأ بك؛ والله ما ظننت استبقاذ القوم إلا ليتخذوك حجة علينا، فقال يزيد: فهو والله ما ظننت، وقد استخلفوني ألا أكذب عليهم، وأنا أقول: إنهم يصلّون الصلوات لمواقيتهم بأذان وإقامة، ويتلون الكتاب، ويذكرون الله كثيراً، ويدعون إلى ولاية رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وما أحسب أمرهم إلا سيعلو؛ ولولا أنك مولاى أعتقنني من الرق ما رجعت إليك، ولأقمت معهم. فهذه أول حرب كانت بين الشيعة وشيعة بني مروان.

وفى هذه السنة غلب خازم بن خزيمة على مروروذ ، وقتل عامل نصر بن
سيار الذى كان عليها ؛ وكتب بالفتح إلى أبى مسلم مع خزيمة بن خازم .
• ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر على بن محمد أن أبا الحسن الحشمتي^(١) وزهير بن هنيذ والحسن
ابن رشيد أخبروه أن خازم بن خزيمة لما أراد الخروج بمروروذ أراد ناس
من تميم أن يمنعه ، فقال : إنما أنا رجل منكم ، أريد مرو لعل أن أغلب
عليها^(٢) ؛ فإن ظفرتُ فهي لكم ، وإن قُتلت فقد كفيتمكم أمرى . فكفوا
عنه ، فخرج فعسكر في قرية يقال لها كسج رستاه^(٣) ، وقدم عليهم من قبل
أبى مسلم النضر بن صبيح وبسام بن إبراهيم . فلما أمسى خازم بيّت أهل
مروروذ ، فقتل بشر بن جعفر السعدى - وكان عاملاً لنصر بن سيار على
مروروذ - فى أول ذى القعدة ، وبعث بالفتح إلى أبى مسلم مع خزيمة بن خازم
عبد الله بن سعيد وشبيب بن واج .

١٩٦٠/٢

• • •

قال أبو جعفر : وقال غير الذين ذكرنا قولهم فى أمر أبى مسلم وإظهاره
الدعوة ومصيره إلى خراسان وشخصه عنها وعوده إليها بعد الشخص قولاً
خلاف قولهم ؛ والذي قال فى ذلك : أن إبراهيم الإمام زوج أبا مسلم لما توجه إلى
خراسان ابنة أبى النجم ، وساق عنه صداقها ، وكتب بذلك إلى النقباء ، وأمرهم
بالسمع والطاعة لأبى مسلم ، وكان أبو مسلم - فيما زعم - من أهل خطربة ، من
سواد الكوفة ، وكان قهرماناً لإدريس بن معقل العجلي ، قال أمره ومنتهى
ولائه^(٤) لمحمد بن على ، ثم لإبراهيم بن محمد ، ثم للأئمة من أولاد محمد
ابن على فقدم خراسان وهو حديث السن ، فلم يقبله سليمان بن كثير وتخوف
ألا يقوى على أمرهم ، وخاف على نفسه وأصحابه ، فردوه - وأبو داود
خالد بن إبراهيم غائب خلف نهر بلخ - فلما انصرف أبو داود ، وقدم

(١) ط : « الحشى » ؛ وانظر الفهرس .

(٢) ابن الأثير : « أريد أن أغلب على مرو » .

(٣) ابن الأثير : « كسج رستان » .

(٤) ابن الأثير : « فصار أمره إلى ولاية » .

مَرَوْ أقرأه كتاب الإمام إبراهيم، فسأل عن الرجل الذى وجَّهه ، فأخبروه أن سليمان بن كثير ردّه ، فأرسل إلى جميع النقباء ، فاجتمعوا فى منزل عمران بن إسماعيل ، فقال لهم أبو داود: أتاكم كتاب الإمام فيمن وجَّهه إليكم وأنا غائب فرددتموه ، فاحجثكم فى ردّه ؟ فقال سليمان بن كثير : لحدائثه سنه ، وتخوفاً ألا يقدر على القيام بهذا الأمر ؛ فأشفقنا على من دعونا إليه وعلى أنفسنا وعلى المحبيين لنا ، فقال : هل فيكم أحد ينكر أن الله تبارك وتعالى اختار محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وانتخبه واصطفاه ، وبعثه برسالته إلى جميع خلقه ؟ فهل فيكم أحد ينكر ذلك ؟ قالوا : لا ؛ قال : أفتشكون أن الله تعالى نزل عليه كتابه فأتاه به جبريل الروح الأمين ، أحل فيه حلاله ، وحرم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ، وسن فيه سننه ، وأنبأه فيه بما كان قبله ، وما هو كائن بعده إلى يوم القيامة ؟ قالوا : لا ، قال : أفتشكون أن الله عز وجل قبضه إليه بعد ما أدّى ما عليه من رسالة ربه ؟ قالوا : لا ، قال : أفتظنون أن ذلك العلم الذى أنزل عليه رُفِعَ معه أو خُلِفَ ؟ قالوا : بل خلفه ، قال : أفتظنونه خلفه عند غير عِثْرته وأهل بيته ، الأقرب فالأقرب ؟ قالوا : لا ، قال : فهل أحد منكم إذا رأى من هذا الأمر إقبالاً ، ورأى الناس له مجيئاً بدا له أن يصرف ذلك إلى نفسه ؟ قالوا : اللهم لا ، وكيف يكون ذلك ! قال : لست أقول لكم فعلم ؛ ولكن الشيطان ربما نزع النزعة فيما يكون وفيما لا يكون . قال : فهل فيكم أحد بدا له أن يصرف هذا الأمر عن أهل البيت إلى غيرهم من عِثْرَةِ النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : لا ، قال : أفتشكون أنهم معدن العلم وأصحاب ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : لا ، قال : فأراكم^(١) شككتكم فى أمرهم^(٢) ورددتم عليهم علمهم ؛ ولو لم يعلموا أن هذا الرجل هو الذى ينبغي له أن يقوم بأمرهم ، لما بعثوه إليكم ، وهو لا يتهم فى مولاتهم ونصرتهم والقيام بحقهم .

١٩٦٢/٢

فبعثوا إلى أبي مسلم فردوه من قومس بقول أبي داود ؛ وولَّوه أمرهم وسمعو له وأطاعوا . ولم^(٣) تزل فى نفس أبي مسلم على سليمان بن كثير ، ولم يزل

(١) ابن الأثير : « أراكم » . (٢) ١ : « أمرهم » . (٣) ١ ، ابن الأثير : « فلم » .

يعرفها لأبي داود . وسمعت الشيعة من النقباء وغيرهم لأبي مسلم ، وأطاعوه وتنازعوا ، وقبلوا ما جاء به ، وبث الدعاة في أقطار خراسان ؛ فدخل الناس أفواجا ، وكثروا ، وفشت الدعاة بخراسان كلها . وكتب إليه إبراهيم الإمام يأمره أن يوافيه بالموسم في هذه السنة — وهي سنة تسع وعشرين ومائة — ، ليأمره بأمره في إظهار دعوته ، وأن يقدم معه بقسحطبة بن شبيب ، ويحمل إليه ما اجتمع عنده من الأموال ؛ وقد كان اجتمع عنده ثلثمائة ألف وستون ألف درهم ، فاشترى بعامتها عروضا من متاع التجار ؛ من القوي والمروي والحريير والفيرند ، وصير بقيته سبائك ذهب وفضة وصيرها في الأقبية المحشوة ، واشترى البغال وخرج في النصف من جمادى الآخرة ، ومعه من النقباء قحطبة بن شبيب والقاسم بن مجاشع وطلحة بن رزيق ؛ ومن الشيعة واحد وأربعون رجلا ، وتحمل من قرى خزاعة ، وحمل أثقاله على واحد وعشرين بغلا ، وحمل على كل بغل رجلا من الشيعة بسلاحه ، وأخذ المفازة وعدا عن مسلحة نصر بن سيار حتى انتهوا إلى أبيورد .

١٩٦٣/٢

فكتب أبو مسلم إلى عثمان بن نهيك وأصحابه يأمرهم بالقدوم عليه ، وبينه وبينهم خمسة فراسخ ، فقدم عليه منهم خمسون رجلا ، ثم ارتحلوا من أبيورد ؛ حتى انتهوا إلى قرية يقال لها قافس ؛ من قرى نسا ، فبعث الفضل ابن سليمان إلى أندومان — قرية أسيد — فلقى بها رجلا من الشيعة ، فسأله عن أسيد ، فقال له الرجل : وما سؤالك عنه ! فقد كان اليوم شرّ طويل من العامل أخيد ، فأخيد معه الأحجم بن عبد الله وغيتلان بن فضالة وغالب ابن سعيد والمهاجر بن عثمان ، فحملوا إلى العامل عاصم بن قيس بن الحروري ، فحبسهم . وارتحل أبو مسلم وأصحابه حتى انتهوا إلى أندومان ، فأناه أبو مالك والشيعة من أهل نسا ؛ فأخبره أبو مالك أن الكتاب الذي كان مع رسول الإمام عنده ، فأمره أن يأتيه به ، فأناه بالكتاب وبلواء وراية ؛ فإذا في الكتاب إليه يأمره بالانصراف حيثما يلقاه كتابه ؛ وأن يظهر الدعوة . فعقد اللواء الذي أتاه من الإمام على رمح ، وعقد الراية ، واجتمع إليه شيعة أهل نسا والدعاة والرؤوس ، ومعه أهل أبيورد الذين قدموا معه .

وبلغ ذلك عاصم بن قيس الحروري ، فبعث إلى أبي مسلم يسأله عن حاله ، فأخبره أنه من الحاجّ الذين يريدون بيت الله ، ومعه عدة من

١٩٦٤/٢

أصحابه من التجار ، وسأله أن يخلّي سبيل من احتبس من أصحابه حتى يخرج من بلاده ، فسألوا أبا مسلم أن يكتب لهم شرطاً على نفسه ؛ أن يصرف من معه من العبيد وما معه من الدوابّ والسلاح ، على أن يخلّوا سبيل أصحابه الذين قدموا من بلاد الإمام وغيرهم . فأجابهم أبو مسلم إلى ذلك ، وخلّى سبيل أصحابه ؛ فأمر أبو مسلم الشيعة من أصحابه أن ينصرفوا ، وقرأ عليهم كتاب الإمام ، وأمرهم بإظهار الدعوة ؛ فانصرف منهم طائفة وسار معه أبو مالك أسيد بن عبد الله الخُزاعيّ وزُرَيْق بن شَوْذَب وَمَنْ قَدِمَ عليه من أبيسُورْد ، وأمر مَنْ انصرف بالاستعداد . ثم سار فيمن بقي من أصحابه ومعه (١) قَحْطِيبَة ابن شبيب ؛ حتى نزلوا تَحْوَماً جُرجان ؛ وبعث إلى خالد بن بَرْمَك وأبي عون يأمرهما بالقدوم عليه بما قبِلتهما من مال الشيعة ، فقدمَا عليه ؛ فأقام أياماً حتى اجتمعت القوافل . وجهّز قحطبة بن شبيب ، ودفع إليه المال الذي كان معه ، والأحمال بما فيها ؛ ثم وجهّه إلى إبراهيم بن محمد ، وسار أبو مسلم بمن معه حتى انتهى إلى نَسَا ، ثم ارتحل منها إلى أبيسُورْد حتى قدِمَها ؛ ثم سار حتى أتى مَرَوْ متذكراً ، فنزل قرية تدعى فَنَيْن من قرى خُزاعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان ؛ وقد كان واعد أصحابه أن يوافوه بمَرَوْ يوم الفِطْرِ . وجهّه أبا داود وعمرو بن أعين إلى طَخَارستان ، والنضر بن صبيح إلى آمُل وبخارى ومعه شريك بن عيسى ، وموسى بن كعب إلى أبيسُورْد ونَسَا ، وخازم بن خزيمة إلى مَرَّورُود ، وقدموا عليه ، فصلّى بهم القاسم بن مجاشع التميمي يوم العيد ؛ في مصلى آل قَتَبَر ؛ في قرية أبي داود خالد بن إبراهيم .

. . .

[ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبي مسلم]

١٩٦٥/٢

وفي هذه السنة تحالفت وتعاقدت عامة مَنْ كان بخراسان من قبائل العرب على قتال أبي مسلم ؛ وذلك حين كثر تَبَاع أبي مسلم وقوى أمره . وفيها تحوّل أبو مسلم من معسكره بإسفيدنج إلى الماخْوان .

• ذكر الخبر عن ذلك والسبب فيه :

قال عليّ : أخبرنا الصَّبَّاح مولى جبريل ، عن مسلمة بن يحيى ، قال :

لما ظهر أبو مسلم ، تسارع إليه الناس ، وجعل أهل مَرَوْ يأتونه ؛ لا يعرض لهم نصر ولا يمنعهم ؛ وكان الكيرماني وشيبان لا يكرهان أمر أبي مسلم ؛ لأنه دعا إلى خلع مَرَوَان بن محمد ، وأبو مسلم في قرية يقال لها بالين في خباء ليس له حرس ولا حجاب ، وعظم أمره عند الناس ، وقالوا : ظهر رجل من بني هاشم ، له حلم وقار وسكينة ؛ فانطلق فتية من أهل مَرَوْ ، نساك كانوا يطلبون الفقه ، فأتوا أبا مسلم في معسكره ، فسألوه عن نسبه ، فقال : خبيري^(١) خير لكم من نسبي ، وسألوه عن أشياء من الفقه ، فقال : أمركم بالمعروف ونهيكم عن المنكر خير لكم من هذا ؛ ونحن في شغل ، ونحن إلى عونكم أحوج منا إلى مسألتكم ، فأعفونا . قالوا : والله ما نعرف لك نسباً ، ولا نظنك تبي إلا قليلاً حتى تقتل ؛ وما بينك وبين ذلك إلا أن يتفرغ أحد هذين ؛ قال أبو مسلم : بل أنا أقتلهما إن شاء الله .

فرجع الفتية فأتوا نصر بن سيار فحدثوه ، فقال : جزاكم الله خيراً ، مثلكم تفقد هذا وعرفه . وأتوا شيبان فأعلموه ، فأرسل : إنا قد أشجى بعضنا بعضاً ؛ فأرسل إليه نصر : إن شئت فكف عني حتى أقاتله ، وإن شئت فجامعني على حربه حتى أقتله أو أنفيته ؛ ثم نعود إلى أمرنا الذي نحن عليه . فهم شيبان أن يفعل ، فظهر ذلك في العسكر ، فأتت عيون أبي مسلم فأخبروه ، فقال سليمان : ما هذا الأمر الذي بلغهم ! تكلمت عند أحد بشيء ؟ فأخبره خبر الفتية الذين أتوه ؛ فقال : هذا لذلك إذآ . فكتبوا إلى علي بن الكرماني : إنك موتور ؛ قتل أبوك ونحن نعلم أنك لست على رأي شيبان ؛ وإنما تقاتل لأتارك ؛ فامنع شيبان من صلح نصر ؛ فدخل على شيبان ، فكلمه فثناه عن رأيه ، فأرسل نصر إلى شيبان : إنك لمغرور ؛ وإيم الله ليتفاقمن هذا الأمر حتى تستصغرن في جنبه^(٢) .

١٩٦٦/٢

(١) ابن الأثير : « خبري » .

(٢) ابن الأثير : « حتى يستصغر في جنبه كل كبير » ، وزاد بعدها : « وقال شعراً يخاطب به ربيعة وابن ، ويحتم على الاتفاق معه على حرب أبي مسلم :

أبلغ ربيعة في مَرَوْ وفي يمن
أن اغضبوا قبل ألا ينفع الغضب
ما بالكم تنشبون الحرب بينكم
كان أهل الحجي عن رأيكم غيب

فبينما هم في أمرهم إذ بعث أبو مسلم النضر بن نعيم الضبي إلى هرة وعليها عيسى بن عقيل الليثي، فطرده عن هرة، فقدم عيسى على نصر منزهماً، وغلب النضر على هرة. قال: فقال يحيى بن نعيم بن هيرة: اختاروا إما أن تهلكوا أنتم قبل مضر أو مضر قبلكم، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: إن هذا الرجل إنما ظهر أمره منذ شهر، وقد صار في عسكره مثل عسكركم؛ قالوا: فما الرأي؟ قال: صالحوا نصرًا، فإنكم إن صالحتموه قاتلوا نصرًا وتركوكم، لأن الأمر في مضر، وإن لم تصالحوا نصرًا صالحوه وقتلوكم، ثم عادوا عليكم. قالوا: فما الرأي؟ قال: قد تمهّم قبلكم ولو ساعة؛ ففتر أعينكم بقتلهم. فأرسل شيبان إلى نصر يدعو إلى المودة فأجابه، فأرسل إلى سلم بن أحوز، فكتب بينهم كتابًا، فأتى شيبان وعن يمينه ابن الكرماني، وعن يساره يحيى ابن نعيم، فقال سلم لابن الكرماني: يا أعور، ما أخلقك أن تكون الأعور الذي بلغنا أن يكون هلاك مضر على يديه! ثم توادعوا ستة؛ وكتبوا بينهم كتابًا؛ فبلغ أبا مسلم، فأرسل إلى شيبان: إنا توادعك أشهرًا، فتوادعنا ثلاثة أشهر؛ فقال ابن الكرماني: فإني ما صالحت نصرًا؛ وإنما صالحه شيبان؛ وأنا لذلك كاره، وأنا موتور، ولا أدع قتاله. فعادوه القتال؛ وأبى شيبان أن يعينه، وقال: لا يحل الغدر. فأرسل ابن الكرماني إلى أبي مسلم يستنصره على نصر بن سيار، فأقبل أبو مسلم حتى أتى الماخون، وأرسل إلى ابن الكرماني شبل بن طهمان: إني معك على نصر، فقال ابن الكرماني: إني أحب أن يلقيني أبو مسلم، فأبلغه ذلك شبل، فأقام أبو مسلم أربعة عشر يومًا، ثم سار إلى ابن الكرماني، وخلف عسكره بالماخون، فقتلاه عثمان بن الكرماني في خيل، وسار معه حتى دخل العسكر؛ وأتى الحجرة على فوق، فأذن له

= وتتركون عدوًا قد أحاط بكم
لا عرب مثلكم في الناس تعرفهم
من كان يسألني عن أهل دينهم
قوم يقولون قولاً ما سمعت به
ممن تأشب لا دين ولا حسب
ولا صريح موال إن هم نسيبوا
فإن دينهم أن تهلك العرب
عن النبي ولا جاءت به الكتب

فدخل، فسلم على عليّ بالإمرة، وقد اتخذ له عليّ منزلاً^(١) في قصر لخلد بن الحسن الأزدي، فأقام يومين، ثم انصرف إلى عسكره بالماخون، وذلك لحمس خلون من المحرم من سنة ثلاثين ومائة.

وأما أبو الخطاب، فإنه قال: لما كثرت الشيعة في عسكر أبي مسلم، ضاقت به سفيذنج، فارتاد معسكراً فسيحاً، فأصاب حاجته بالماخون؛ وهي قرية العلاء بن حريث وأبي إسحاق خالد بن عثمان، وفيها أبو الجهم ابن عطية وإخوته — وكان مقامه بسفيذنج اثنين وأربعين يوماً، وارتحل من سفيذنج إلى الماخون، فنزل منزل أبي إسحاق خالد بن عثمان يوم الأربعاء، لتسع ليال خلون من ذى القعدة من سنة تسع وعشرين ومائة، فاحتفر بها خندقاً، وجعل للخندق بابين، فعسكر فيه والشيعة، ووكل بأحد بابي الخندق مصعب بن قيس الحنفي وبهذل بن إياس الضبي، ووكل بالباب الآخر أبا شراحيل وأبا عمرو الأعجمي، واستعمل على الشرط أبا نصر مالك ابن الهيثم، وعلى الحرس أبا إسحاق خالد بن عثمان، وعلى ديوان الجند كامل ابن مظفر أبا صالح، وعلى الرسائل أسلم بن صبيح، والقاسم بن مجاشع النقيب التميمي على القضاء، وضم أبا الوضاح وعدة من أهل السقادم إلى مالك بن الهيثم، وجعل أهل نوشان — وهم ثلاثة وثمانون رجلاً — إلى أبي إسحاق في الحرس.

١٩٦٨/٢

وكان القاسم بن مجاشع يصلي بأبي مسلم الصلوات في الخندق، ويقص القصص بعد العصر، فيذكر فضل بني هاشم ومعالي بني أمية، فنزل أبو مسلم خندق الماخون، وهو كرجل من الشيعة في هيئته؛ حتى أتاه عبد الله بن بسطام؛ فأتاه بالأروقة والفساطيط والمطابخ والمعالف للدواب وحياض الأدم للماء؛ فأول عامل استعمله أبو مسلم على شيء من العمل داود بن كراز؛ فرد أبو مسلم العبيد عن أن يضاموا في خندقه، واحتفر لهم خندقاً في قرية شتال، وولى الخندق داود بن كراز. فلما اجتمعت للعبيد جماعة، وجههم إلى موسى بن كعب بأبيورّد، وأمر أبو مسلم كامل بن مظفر أن يعرض أهل الخندق بأسمائهم وأسماء آبائهم فينسبهم إلى القوى، ويجعل ذلك في دفتر،

١٩٦٩/٢

(١) كذا في ١، وفي ط: «قصر».

ففعل ذلك كامل أبو صالح ، فبلغت عدّتهم سبعة آلاف رجل ، فأعطاهم ثلاثة دراهم لكلّ رجل ، ثم أعطاهم أربعة أربعة على يدي أبي صالح كامل .

ثم إن أهل القبائل من مُضَر وربيعة وقحطان توادعوا على وضع الحرب ، وعلى أن تجتمع كلمتهم على محاربة أبي مسلم ، فإذا نفوه عن مَرَوْ نظروا في أمر أنفسهم وعلى ما يجتمعون عليه . فكتبوا على أنفسهم بذلك كتاباً وثيقاً . وبلغ أبا مسلم الخبر ، فأفضله ذلك وأعظمه ، فنظر أبو مسلم في أمره ، فإذا ماخوان سافلة الماء ؛ فتحوّف أن يقطع عنه نصر بن سيار الماء ، فتحوّل إلى آلين — قرية أبي منصور طلحة بن رزيق النقيب — وذلك بعد مقامه أربعة أشهر بخندق الماخوآن ، فتزلّ آلين في ذى الحجة من سنة تسع وعشرين ومائة ، يوم الخميس لست خلون من ذى الحجة . فخندق بآلين خندقاً أمام القرية ؛ فيما بينها وبين بلاش جَرْد ، فصارت القرية من خلف الخندق ، وجعل وجه دار المحتفز بن عثمان ابن بشر المزنيّ في الخندق ، وشرب أهل آلين من نهر يدعى الخرقان ، لا يمكن نصر ابن سيار قطع الشرب عن آلين . وحضر العيدُ يوم النحر ، وأمر القاسم بن مجاشع التميميّ فصلى بأبي مسلم والشيعة في مصلى آلين ، وعسكر نصر بن سيار على نهر عياض ، ووضع عاصم بن عمرو ببلاش جَرْد ، ووضع أبا الذّيال بطوسان ، ووضع بشر بن أنيف اليربوعيّ بجلفر ، ووضع حاتم بن الحارث ابن سريج بخرق ؛ وهو يلتمس مواجهة أبي مسلم . فأما أبو الذّيال فأنزّل جنده على أهلها مع أبي مسلم في الخندق ، فأذا أهل طوسان وعسفوهم وذبحوا الدجاج والبقر والحمام ، وكلفوهم الطعام والعلاف ، فشكت الشيعة ذلك إلى أبي مسلم ، فوجّه معهم خيلاً ، فلقوا أبا الذّيال فهزموه ، وأسروا من أصحابه ميموناً الأعسر الخوارزميّ في نحو من ثلاثين رجلاً ، فكساهم أبو مسلم ، وداوى جراحاتهم وخصّى لهم الطريق .

• • •

[ذكر خبر مقتل الكرمانيّ]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قُتِلَ جُديع بن عليّ الكرمانيّ وصُلب .

• ذكر الخبر عن مقتله :

قد مضى قبلُ ذكرنا مقتلَ الحارث بن سُرَيْج ، وأنَّ الكِرمانيَّ هو الذي قتله . ولما قتل الكِرمانيَّ الحارث ، خلاصت له مَرَوْ بقتله إياه ، وتنحَّى نصر ابن سيَّار عنها إلى أبرشهر ، وقوى أمرُ الكِرمانيِّ ، فوجَّه نصر إليه - فيما قيل - سَلَمُ بن أَحوز ، فسار في رابطة نصر وفرسانه ؛ حتى لقي أصحاب الكِرمانيِّ ، فوجد يحيى بن نُعَيْمَ أبا الميلاء واقفاً في ألف رجل من ربيعة ، ومحمد بن المثنى في سبعمائة من فرسان الأزْد ، وابن الحسن بن الشيخ الأزدي في ألف من فتيانهم ، والحزبي السَّغْدِيَّ (١) في ألف رجل من أبناء اليمن ، فلما توافقوا قال سلم بن أَحوز لمحمد بن المثنى : يا محمد بن المثنى ، مرَّ هذا الملاح بالخروج إلينا ، فقال محمد لسلم : يا ابن الفاعلة ؛ لأبي على تقول هذا ! ودلف القوم بعضهم إلى بعض ، فاجتلدوا بالسيوف ، فانهزم سلم بن أَحوز ، وقتل من أصحابه زيادة على مائة ، وقتل من أصحاب محمد زيادة على عشرين ، وقدم أصحاب نصر عليه فلولاً ، فقال له عَقِيلُ بن معقل : يا نصر شأمت العرب ؛ فأما إذ صنعت ما صنعتَ فجئت وشمر عن ساق ، فوجَّه عصمة بن عبد الله الأسدي فوقف موقف سَلَمُ بن أَحوز ، فنادى : يا محمد ، لتعلمن أن السملك لا يغلب اللُخْمَ (٢) ؛ فقال له محمد : يا ابن الفاعلة ، قف لنا إذاً . وأمر محمد السَّغْدِيَّ (٣) فخرج إليه في أهل اليمن ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم عِصْمَةُ حتى أتى نصر بن سيَّار ، وقد قتل من أصحابه أربعمائة .

١٩٧١/٢

ثم أرسل نصر بن سيَّار مالك بن عمرو التميمي فأقبل في أصحابه ، ثم نادى : يا ابن المثنى ، ابرز لي إن كنت رجلاً ! فبرز له ، فضربه التميمي على حبل العاتق فلم يصنع شيئاً ؛ وضربه محمد بن المثنى بعمود فشدخ رأسه ؛ فالتحم القتال ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً كأعظم ما يكون من القتال ، فانهزم أصحاب نصر ، وقد قتل منهم سبعمائة رجل ، وقتل من أصحاب الكِرمانيِّ ثلثمائة رجل ؛ ولم يزل الشر بينهم حتى خرجوا جميعاً إلى الخندقين ، فاقتتلوا قتالا شديداً ،

١٩٧٢/٢

(١) ابن الأثير : « والجرى السَّغْدِيَّ » .

(٢) في ابن الأثير : « اللُخْمُ : دابة من دواب الماء ، تشبه السبع ، تأكل السك » .

(٣) ابن الأثير : « السَّغْدِيَّ » .

فلما استيقن أبو مسلم أن كلا الفريقين قد أخذوا صاحبه؛ وأنه لا مدد لهم، جعل يكتب الكتب إلى شيبان، ثم يقول للرسول: اجعل طريقك على المضربة، فإنهم سيعرضون لك، ويأخذون كتبك، فكانوا يأخذونها فيقرءون فيها: إني رأيت أهل اليمن لا وفاء لهم ولا خير فيهم، فلا تثقن بهم ولا تطمئن إليهم؛ فإني أرجو أن يريك الله ما تحب، ولئن بقيت لا أدع لهم شعرا ولا ظفرا. ويرسل رسولا آخر في طريق آخر بكتاب فيه ذكر المضربة وإطراء اليمن بمثل ذلك؛ حتى صار هوى الفريقين جميعا معه؛ وجعل يكتب إلى نصر بن سيار وإلى الكرماني: إن الإمام قد أوصاني بكم، ولست أعدو رأيهم فيكم. وكتب إلى الكور بإظهار الأمر؛ فكان أول من سؤد - فيما ذكر - أسيد^(١) ابن عبد الله بنسا، ونادى: يا محمد، يا منصور. وسؤد معه مقاتل بن حكيم وابن غزوان، وسؤد أهل أبيورد وأهل مرو الروذ، وقرى مرو.

وأقبل أبو مسلم حتى نزل بين خندق نصر بن سيار وخندق جديع^{١٩٧٣/٢} الكرماني، وهابه الفريقان، وكثر أصحابه، فكتب نصر بن سيار إلى مروان ابن محمد يعلمه حال أبي مسلم وخروجه وكثرة من معه ومن تبعه، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد، وكتب بأبيات شعر:

أَرَى بَيْنَ الرَّمَادِ وَمِضْ جَمِيرٍ فَأَحْجِرْ بَأْنَ يَكُونُ لَهُ ضِرَامُ^(٢)
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعَوْدَيْنِ تَذْكِي وَإِنَّ الْحَرْبَ مَبْدُوهَا الْكَلَامُ^(٣)
فَقُلْتُ مِنَ التَّعَجُّبِ: لَيْتَ شِعْرِي أَأَيْقَاطُ أَمِيَّةُ أَمْ نِيَامُ!

فكتب إليه: الشاهد^(٤) يرى ما لا يرى الغائب، فاحسم التؤلؤل قبلك، فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم ألا نصر عنده. فكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة يستمده، وكتب إليه بأبيات شعر:

أَبْلَغُ يَزِيدَ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَقَدْ تَبَيَّنْتُ أَلَّا خَيْرَ فِي الْكَذِبِ^(٥)

(١) ابن الأثير: «أسد بن عبد الله الخزاعي».

(٢) ابن الأثير: «وأخشي أن يكون لها ضرام».

(٣) ابن الأثير: «مبدؤها الكلام».

(٤) ١: «إن الشاهد».

(٥) ابن الأثير: «تبيقت».

أَنَّ خُرَاسَانَ أَرْضٌ قَدْ رَأَيْتُ بِهَا بَيْضاً لَوْ أَفْرَخَ قَدْ حَدَّثْتَ بِالْعَجَبِ
فِرَاحُ عَامِينَ إِلَّا أَنَّهَا كَبُرَتْ لَمَّا يَطِيرْنَ وَقَدْ سُرِبْنَ بِالزَّغَبِ
فَلَمَّا يَطِيرْنَ وَلَمْ يُحْتَلْ لَهُنَّ بِهَا يُلْهَبْنَ نِيرَانَ حَرْبٍ أَيْمًا لَهَبٌ^(١)

١٩٧٤/٢

١٩٧٥/٢

فقال يزيد : لا غلبة إلا بكثرة ؛ وليس عندى رجل . وكتب نصر إلى مروان يخبره خبر أبي مسلم وظهوره وقوته ؛ وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد ، فألقى الكتاب مروان وقد أتاه رسول لأبي مسلم إلى إبراهيم ؛ كان قد عاد من عند إبراهيم ، ومعه كتاب إبراهيم إلى أبي مسلم جواب كتابه ، يلحن فيه أبا مسلم ويسبّه ؛ حيث لم ينتهز الفرصة من نصر والكرماني إذ أمكنه ، ويأمره ألا يدع بخراسان عربياً إلا قتله . فدفع الرسول الكتاب إلى مروان ، فكتب مروان إلى الوليد بن معاوية بن عبد الملك وهو على دمشق ، يأمره أن يكتب إلى عامل البلقاء ، فيسير إلى كرار الحميمة ، فليأخذ إبراهيم بن محمد ويشده وثاقاً ، وليبعث به إليه في خيل ؛ فوجه الوليد إلى عامل البلقاء فأتى إبراهيم وهو في مسجد القرية ، فأخذه وكتفه وحمله إلى الوليد ، فحمله إلى مروان فحبسه مروان في السجن .

• • •

رجع الحديث إلى حديث نصر والكرماني . وبعث أبو مسلم حين عظم الأمر بين الكرماني ونصر إلى الكرماني : إني معك ، فقبيل ذلك الكرماني وانضم إليه أبو مسلم ، فاشتد ذلك على نصر ، فأرسل إلى الكرماني : وبلك لا تغترا فوالله إني لخائف عليك وعلى أصحابك منه ؛ ولكن هلم إلى المودعة ، فتدخل مرو ، فنكتب بيننا كتاباً بصلح - وهو يريد أن يفرق بينه وبين أبي مسلم - فتدخل الكرماني منزله ، وأقام أبو مسلم في المعسكر ، وخرج الكرماني حتى وقف في الرحبة في مائة فارس ، وعليه قرطى خشكشونة . ثم أرسل إلى نصر : أخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب ، فأبصر نصر منه غيرة ، فوجه إليه

(١) ابن الأثير :

إِلَّا تَدَارَكَ بِخَيْلِ اللَّهِ مُعْلِمَةً أَلْهَبْنَ نِيرَانَ حَرْبٍ أَيْمًا لَهَبٍ

ابن الحارث بن سريج في نحو من ثلثمائة فارس ، فالتقوا في الرَّحْبَةِ ، فاقتتلوا بها طويلاً .

ثم إنَّ الكرمانيَّ طُعِنَ في خاصرته فخرَّ عن دابَّته ، وحماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبيل لهم به ، فقتل نصر الكرمانيَّ وصلَّبه ، ومعه سمكة ، فأقبل ابنه عليٌّ - وقد كان صار إلى أبي مسلم ، وقد جمع جمعاً كثيراً - فسار بهم إلى نصر بن سيار فقاتله حتى أخرجه من دار الإمارة ، قال إلى بعض دور مَرَوْ ، وأقبل أبو مسلم حتى دخل مَرَوْ ، فأثاه عليٌّ بن جُديع الكرمانيَّ ١٩٧٦/٢
فسلَّم عليه بالإمرة ، وأعلمه أنه معه على مساعدته ، وقال : مُرَّنِي بأمرك ، فقال : أقم على ما أنت عليه حتى آمرُك بأمرى .

• • •

[غلبة عبد الله بن معاوية على فارس]

وفي هذه السنة غلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على فارس .

• ذكر الخبر عن ذلك وعن السبب الذي وصل به إلى الغلبة عليها :

ذكر عليٌّ بن محمد أنَّ عاصم بن حفص التميميَّ وغيره حدثوه أنَّ عبد الله ابن معاوية لما هُزم بالكوفة ، شخص إلى المدائن ، فبايعه أهلُ المدائن ، فأثاه قومٌ من أهل الكوفة ، فخرج إلى الجبال فغلب عليها ، وعلى حُلُوان وقُوميس وأصبهان والري ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة ، فلما غلب على ذلك أقام بأصبهان ؛ وقد كان محارب بن موسى مولى بني يَشْكُر عظيم القدر بفارس ، فجاء يمشى في نعلين إلى دار الإمارة بإصطخر ، فطرد العامل ؛ عامل ابن عمر عنها ، وقال لرجل يقال له عمارة : بايع الناس ، فقال له أهل إصطخر : علامَ نبايع ^(١) ؟ قال : على ما أحبيهم وكرههم . فبايعوه لابن معاوية ، وخرج محارب إلى كرمان فأغار عليهم ، وأصاب في غارته إبلا لثعلبة بن حسان المازنيَّ فاستاقها ورجع . فخرج ثعلبة يطلب إبيله في قرية له تدعى أشهر - قال : ومع ثعلبة مولى له - فقال له مولاه : هل لك أن تفتك بمحارب ؛ فإن شئت ضربته وكفيتني الناس ؛ وإن شئت ضربته وكفيتك الناس ؟ قال : ويحك ! أردت أن تفتك ^(٢) ١٩٧٧/٢

(٢) ا : « تقتل » .

(١) كذا في ا ، وفي ط : « نبايع » .

[وتذهب الإبل ولم تلق] ^(١) الرجل ! ثم دخل على محارب فرحب به ، ثم قال : حاجتك ! قال : إيلي ، [قال : نعم ، لقد أخذت] ^(١) ، وما أعرفها ، وقد عرفت ، فدونك إبلك فأخذها ، وقال لمولاه ^(٢) : [هذا خير ، وما أردت ؟] ^(١) قال : ذلك لو أخذناها كان أشنى . وانضم إلى محارب القواد والأمراء من أهل الشام : فسار إلى مسلم بن المسيب وهو بشيراز ، عامل لابن عمر ؛ فقتله في سنة ثمان وعشرين ومائة ، ثم خرج محارب إلى أصبهان ، فحوّل عبد الله بن معاوية إلى إصطخر ؛ واستعمل أخاه عبد الله أخاه الحسن على الجبال ، فأقبل فنزل في دير على ميل من إصطخر ، واستعمل أخاه يزيد على فارس فأقام ، فأتاه الناس ؛ بنو هاشم وغيرهم ؛ وجبى المال ، وبعث العمال ؛ وكان معه منصور بن جهمور وسليمان بن هشام بن عبد الملك وشيبان بن الحلس بن عبد العزيز الشيباني الخارجي ، وأتاه أبو جعفر عبد الله ، وعبد الله وعيسى ابنا علي . وقدم يزيد بن عمر بن هبيرة على العراق ، فأرسل نبأته بن حنظلة الكلابي إلى عبد الله بن معاوية ؛ وبلغ سليمان بن حبيب أن ابن هبيرة ولي نبأته الأهواز ، فسرّح داود بن حاتم ، فأقام بكرّج دينار ليمنع نبأته من الأهواز ، فقدم نبأته ، فقاتله ، فقتل داود ، وهرب سليمان إلى سابور ؛ وفيها الأكراد قد غلبوا عليها ، وأخرجوا المسيح بن الحماري ؛ فقاتلهم سليمان ، فطرد الأكراد عن سابور ، وكتب إلى عبد الله بن معاوية بالبيعة ، فقال : عبد الرحمن ابن يزيد بن المهلب : لا ينبغي لك ، وإنما أراد أن يفعلك عنه ؛ ويأكل سابور ؛ فكتب إليه فليقدم عليك إن كان صادقاً . فكتب إليه فقدم ، وقال لأصحابه : ادخلوا معي ؛ فإن منكم أحد فقاتلوه ، فدخلوا فقال لابن معاوية : أنا أطوع الناس لك ، قال : ارجع إلى عملك ، فرجع .

١٩٧٨/٢

ثم إن محارب بن موسى نافر ابن معاوية ، وجمع جمعاً ، فأتى سابور — وكان ابنه مخلد بن محارب محبوباً بسابور ، أخذه يزيد بن معاوية فحبسه — فقال لمحارب : ابنك في يديه وتحاربه ! أما تخاف أن يقتل ابنك ! قال : أبعد الله ! فقاتله يزيد ، فانهزم محارب ، فأتى كيرمان ، فأقام بها حتى قدم محمد بن الأشعث ، فصار معه ، ثم نافر ابن الأشعث فقتله وأربعة وعشرين

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « لولا » .

(١) من ١ .

ابنًا له . ولم يزل عبد الله بن معاوية بإصطخر حتى أتاه ابن ضُبارة مع داود ابن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأمر ابن معاوية فكسروا قنطرة الكوفة ، فوجه ابن هبيرة معن بن زائدة من وجه آخر ، فقال سليمان لأبان بن معاوية بن هشام : قد أذاك القوم ، قال : لم أومر بقتالهم ؛ قال : ولا تؤمر والله بهم أبدًا ، وأتاهم فقاتلهم عند مَرَو الشاذان ، ومعن يرتجز :

لَيْسَ أَمِيرُ الْقَوْمِ بِالْخَبِّ الْخَدْعُ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعُ ١٩٧٩/٢
قال ابن المقفع أو غيره :
فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِيهِ قَدْ وَقَعَ .

قال : عمداً ، قلت : قد عملت ، فانهزم ابن معاوية ، وكفّ معن عنهم ، فقتل في المعركة رجل من آل أبي لهب ، وكان يقال : يقتل رجل من بني هاشم بِمَرَو الشاذان . وأسروا أسراء كثيرة ، فقتل ابن ضُبارة عدّة كثيرة ؛ فيقال : كان فيمن قُتِل يومئذ حكيم الفرد أبو المجد ، ويقال : قُتِل بالأهواز ، قتله نبانة . ولما انهزم ابن معاوية هرب شيبان إلى جَزْيرة ابن كاوان ومنصور بن جمهور إلى السند ، وعبد الرحمن بن يزيد إلى عُمان ، وعمرو بن سهل بن عبدالعزيز إلى مصر ؛ وبعث ببقية الأسراء إلى ابن هبيرة .

قال حميد الطويل : أطلق أولئك الأسراء فلم يقتل منهم غير حصين بن وعلة السدوسي ، ولما أمر بقتله قال : أَقْتَلُ من بين الأسراء ! قال : نعم ، أنت مشرك ، أنت الذي تقول :

• وَلَوْ أَمَرُ الشَّمْسُ لَمْ تُشْرِقِ •

ومضى ابن معاوية من وجهه إلى سجستان . ثم أتى خراسان ومنصور بن جمهور إلى السند ، فسار في طلبه معن بن زائدة وعطيّة الثعلبي وغيره من بني ثعلبة ، فلم يدركوه ، فرجعوا . وكان حصين بن وعلة السدوسي مع يزيد بن معاوية ، فتركه [ولحق بعبد الله بن معاوية] فأسره مورع السلمى ، رآه دخل غيضة فأخذه فأتى به [معن بن زائدة] فبعث به معن إلى ابن ضُبارة ، فبعث به ابن ضُبارة إلى واسط ؛ وسار ابن ضُبارة إلى عبد الله بن معاوية بإصطخر ، فترل بإزائه على نهر إصطخر ، فعبر ابن الصّحّصّح في ألف ، فلقبه من أصحاب

عبدالله بن معاوية أبان بن معاوية بن هشام فيمن كان معه من أهل الشام، ممن كان مع سليمان بن هشام فاقتتلوا، فقال ابن نباتة إلى القنطرة، فلقيهم من كان مع ابن معاوية من الخوارج، فانهزم أبان والخوارج، فأسر منهم ألفاً، فأتوا بهم ابن ضبارة، فخلى عنهم، وأخذ يومئذ عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس في الأسراء، فنسبه ابن ضبارة، فقال: ما جاء بك إلى ابن معاوية، وقد عرفت خلافه أمير المؤمنين! قال: كان علي دين فآديته. فقام إليه حرب بن قطن الكنتاني^(١)، فقال: ابن اختنا، فوهبه له، وقال: ما كنت لأقدم على رجل من قريش. وقال له ابن ضبارة: إن الذي قد كنت معه قد عيب بأشياء، فعنك منها علم؟ قال: نعم، وعابه ورمى أصحابه باللواط، فأتوا ابن ضبارة بغلمان عليهم أقبية قوهية مصبغة ألواناً، فأقامهم للناس وهم أكثر من مائة غلام، لينظروا إليهم. وحمل ابن ضبارة عبد الله بن علي على البريد إلى ابن هبيرة ليخبره أخباره، فحمله ابن هبيرة إلى مروان في أجناد أهل الشام، وكان يعيبه، وابن ضبارة يومئذ في مفازة كيرمان في طلب عبد الله ابن معاوية، وقد أتى ابن هبيرة مقتل نباتة، فوجه ابن هبيرة كرب بن مصقلة والحكم بن أبي الأبيض العنسي وابن محمد السكري، كلهم خطيب، فتكلموا في تقرير ابن ضبارة، فكتب إليه أن سير بالناس إلى فارس، ثم جاءه كتاب ابن هبيرة: سر إلى أصبهان.

١٩٨١/٢

. . .

[يجيء أبي حمزة الخارجي الموسم]

وفي هذه السنة وافى الموسم أبو حمزة الخارجي، من قبيل عبد الله ابن يحيى طالب الحق، محكماً^(٢) مظهراً للخلاف على مروان بن محمد.

• ذكر الخبر عن ذلك من أمره:

حدثني العباس بن عيسى العقيلي، قال: حدثنا هارون بن موسى القروي قال: حدثنا موسى بن كثير مولى الساعديين، قال: لما كان تمام سنة تسع وعشرين ومائة، لم يدر الناس بعرفة إلّا وقد طلعت أعلام عمائم سود

(١) ١، وابن الأثير: «الهلاك». (٢) ١: «فحكهم».

حرقانية في رموس الرماح وهم في سبعمائة ، ففزع الناس حين رؤوهم ، وقالوا : ما لكم ! وما حالكم ؟ فأخبرهم بخلافهم مَرَوَّان وآل مَرَوَّان والتبرُّ في منه . فراسلهم عبد الواحد بن سليمان — وهو يومئذ على المدينة ومكة — فراسلهم في الهدنة ، فقالوا : نحن بمحجنا أضنّ ، ونحن عليه أشحّ . وصالحهم على أنهم جميعاً آمنون ؛ بعضهم من بعض ، حتى ينفر الناس النَّفَر الأخير ، وأصبحوا (١) من الغد . فوقفوا على حِدة بعرفة ، ودفع بالناس عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان ، فلما كانوا بنى ندّما عبد الواحد ، وقالوا : قد أخطأت فيهم ، ولو حملت الحاجّ عليهم ما كانوا إلّا أكلة رأس . فنزل أبو حمزة بقُرين الثعالب ، ونزل عبد الواحد منزل السلطان ، فبعث عبد الواحد إلى أبي حمزة عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، وعبد الرحمن بن القاسم بن محمد بن أبي بكر ، وعبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، في رجال أمثالهم ، فدخلوا على أبي حمزة وعليه إزار قُطن غليظ ، فتقدّمهم إليه عبد الله بن الحسن ومحمد بن عبد الله فنسبهما فانتسبا له ، فعبّس في وجوههما ، وأظهر الكراهة لهما ، ثم سأل عبد الرحمن بن القاسم وعبيد الله بن عمر فانتسبا له ، فهشّ إليهما ، وتبسّم في وجوههما ، وقال : والله ما خرجنا إلّا لنسير بسيرة أبييكمما ، فقال له عبد الله بن حسن : والله ما جئنا لتفضّل بين آبائنا ، ولكننا بعثنا إليك الأمير برسالة — وهذا ربيعة يخبركها — فلما ذكر ربيعة نقض العهد ؛ قال بلج وأبرهة — وكانا قائدين له : الساعة الساعة ! فأقبل عليهم أبو حمزة ، فقال : معاذ الله أن نقض العهد أو نجس ، والله لا أفعل ولو قطعت رقبتي هذه ؛ ولكن تنقضي الهدنة بيننا وبينكم . فلما أبي عليهم خرجوا ، فأبلغوا عبد الواحد ، فلما كان النَّفَر نقر عبد الواحد في النَّفَر الأول ، وخلي مكة لأبي حمزة ، فدخلها بغير قتال . قال العباس : قال هارون : فأنشدني يعقوب بن طلحة الليثي أبياتاً هُجّي بها عبد الواحد — قال : وهي لبعض الشعراء لم أحفظ اسمه :

زَارَ الْحَجِيجَ عَصَابَةً قَدْ خَالَفُوا دِينَ الْإِلَهِ فَفَرَّ عَبْدُ الْوَاحِدِ
تَرَكَ الْحَلَالَ وَالْإِمَارَةَ هَارِباً وَمَضَى يُخَبِّطُ كَالْبَعِيرِ الشَّارِدِ
لَوْ كَانَ وَالِدُهُ تَنَصَّلَ عِرْقُهُ لَصَفَتْ مَضَارِبُهُ بِعِرْقِ الْوَالِدِ

ثم مضى عبد الواحد حتى دخل المدينة ، فدعا بالديوان ، فضرب على الناس البعث ، وزادهم في العطاء عشرة عشرة . قال العباس : قال هارون : أخبرني بذلك أبو ضمرة أنس بن عياض ، قال : كنت فيمن اكتتب ، ثم محوت اسمي .

قال العباس : قال هارون : وحدثني غير واحد من أصحابنا أن عبد الواحد استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس فخرجوا ؛ فلما كانوا بالحرّة لقيتهم جُزُرٌ منحورة فمضوا .

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك بن مروان حدثني بذلك أحمد بن ثابت عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال محمد بن عمر وغيره .

١٩٨٤/٢

وكان العامل على مكة والمدينة عبد الواحد بن سليمان ، وعلى العراق يزيد ابن عمر بن هبيرة ، وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي - فيما ذكر - وعلى قضاء البصرة عباد بن منصور ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، والفتنة بها .

ثم دخلت سنة ثلاثين ومائة
ذكر خبر الأحداث التي كانت فيها

• • •

[ذكر دخول أبي مسلم مَرَّو والبيعة بها]

فمما كان فيها من ذلك دخول أبي مسلم حائط مَرَّو ونزوله دار الإمارة بها ، ومطابقة علي بن جُديع الكرمانى لِيَأْياه على حرب نصر بن سيار .

• ذكر الخبر عن ذلك وسببه :

ذكر أبو الخطاب أن دخول أبي مسلم حائط مَرَّو ونزوله دار الإمارة التي ينزلها عمال خراسان كان في سنة ثلاثين ومائة لتسع خلون من جمادى الآخرة يوم الخميس ، وأن السبب في مسير علي بن جُديع مع أبي مسلم كان أن سليمان ابن كثير كان بإزاء علي بن الكرمانى حين تعاهد هو ونصر على حَرَب أبي مسلم ؛ فقال سليمان بن كثير لعلي بن الكرمانى : يقول لك أبو مسلم : أما تأنف من مصالحة نصر بن سيار ، وقد قتل بالأمس أباك وصلبه ! ما كنت أحسبك تجامع نصر بن سيار في مسجد تصليان فيه ! فأدرك علي بن الكرمانى الحفيظة ، فرجع عن رأيه وانتقض صلح العرب . قال : ولما انتقض صلحهم بعث نصر ابن سيار إلى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مُضَر ، وبعث ربيعة وقحطان إلى أبي مسلم بمثل ذلك ، فتراسلوا بذلك أياماً ، فأمرهم أبو مسلم أن يقدم عليه وفد الفريقين حتى يختار أحدهما ، ففعلوا . وأمر أبو مسلم الشيعة أن يختاروا ربيعة وقحطان ؛ فإنَّ السلطان في مُضَر ، وهم عمال مروان الجعدى ، وهم قتلة يحيى بن زيد . فقدم الوفدان ؛ فكان في وفد مُضَر عقيل بن معقل بن حسان اللبى وعبيد الله بن عبدربه اللبى والخطاب بن محرز^(١) السلمى ، في رجال منهم . وكان في وفد قحطان عثمان بن الكرمانى ومحمد بن المنفى وسورة بن محمد ابن عزيز الكندى ، في رجال منهم ؛ فأمر أبو مسلم عثمان بن الكرمانى وأصحابه

(١) ط : « محمد » ، وانظر الفهرس .

فدخلوا بستان المحتفز ، وقد بسط لهم فيه ؛ فقعدها وجلس أبو مسلم في بيت في دار المحتفز ، وأذن لعقيل بن معقل وأصحابه من وفد مُضَرّ ، فدخلوا إليه ، ومع أبي مسلم في البيت سبعون رجلاً من الشيعة ، قرأ على الشيعة كتاباً كتبه أبو مسلم ليختاروا أحد الفريقين ؛ فلما فرغ من قراءة الكتاب ، قام سليمان ابن كثير ، فتكلم - وكان خطيباً مفوهاً - فاختر على بن الكرماني وأصحابه ، وقام أبو منصور طلحة بن رزيق النقيب فيهم - وكان فصيحاً متكلماً - فقال كمقالة سليمان بن كثير ، ثم قام يزيد بن شقيق السلمى ، فقال : مضر قتلة آل النبي صلى الله عليه وسلم وأعوان بني أمية وشيعة مروان الجعدي ، ودماؤنا في أعناقهم ، وأموالنا في أيديهم ، والتباعات قبلهم ، ونصر بن سيار عامل مروان على خراسان يُنفذ أموره ، ويدعو له على منبره ، ويسميه أمير المؤمنين ؛ ونحن من ذلك إلى الله برآء وأن يكون مروان أمير المؤمنين ، وأن يكون نصر على هدى وصواب ، وقد اخترنا على بن الكرماني وأصحابه من قحطان وربيعه . فقال السبعون الذين جمعوا في البيت بقول يزيد بن شقيق .

١٩٨٦/٢

فنهض وفد مضر عليهم الذلة والكآبة ؛ ووجه معهم أبو مسلم القاسم بن مجاشع في خيل حتى بلغوا مأمنهم ، ورجع وفد على بن الكرماني مسرورين منصورين . وكان مقام أبي مسلم بآل بن تسعة وعشرين يوماً ، فرحل عن آل بن راجعاً إلى خندقه بالماخون ، وأمر أبو مسلم الشيعة أن يبتنوا^(١) المساكن ، ويستعدوا للشتاء فقد أعفاهم^(٢) الله من اجتماع كلمة العرب ، وصيرهم بنا إلى افتراق الكلمة ؛ وكان ذلك قدراً من الله مقدوراً .

وكان دخول أبي مسلم الماخون منصرفاً عن آل بن سنة ثلاثين ومائة ، للنصف من صفر يوم الخميس ، فأقام أبو مسلم في خندقه بالماخون ثلاثة أشهر ؛ تسعين يوماً ، ثم دخل حائط مروان يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاثين ومائة .

قال : وكان حائط مروان إذ ذاك في يد نصر بن سيار لآلته عامل خراسان ،

(٢) ابن الأثير : « أغفاهم الله » .

(١) ابن الأثير : « أن يبتنوا » .

فأرسل على بن الكرماني إلى أبي مسلم أن أدخل الحائط من قبلك ، وأدخل
 أنا وعشيرتي من قبلي ، فغلب على الحائط . فأرسل إليه أبو مسلم أن لست
 آمن أن يجتمع يدك ويد نصر على محاربي ؛ ولكن ادخل أنت فأنشب الحرب
 بينك وبينه وبين أصحابه ؛ فدخل على بن الكرماني فأنشب الحرب ، وبعث
 أبو مسلم أبا على شبل بن طهمان الثقفي في جند ، فدخلوا الحائط ، فنزل
 في قصر بخاراخذاه ؛ فبعثوا إلى أبي مسلم أن ادخل ، فدخل أبو مسلم من خندق
 الماخوان ، وعلى مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعي ، وعلى يمينته مالك بن
 الهيثم الخزاعي ، وعلى يسارته القاسم بن مجاشع التميمي ؛ حتى دخل
 الحائط ؛ والفريقان يقتتلان . فأمرهما بالكف وهو يتلو من كتاب الله :
 ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا
 مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ (١) . ومضى أبو مسلم حتى نزل قصر الإمارة
 بمرو الذي كان ينزله عمال خراسان ؛ وكان ذلك لتسع خلون من جمادى
 الأولى سنة ثلاثين ومائة ، يوم الخميس .

وهرب نصر بن سيار عن مرو الغد من يوم الجمعة لعشر خلون من
 جمادى الأولى من سنة ثلاثين ومائة ، وصفت مرو لأبي مسلم . فلما دخل أبو مسلم
 حائط مرو أمراً بمنصور طلحة بن رزيق بأخذ البيعة على الجند من الهاشمية
 خاصة - وكان أبو منصور رجلاً فصيحاً نبيلاً مفوهاً عالماً بحجج الهاشمية
 وغوامض أمورهم ؛ وهو أحد النقباء الاثني عشر ؛ والنقباء الاثنا عشر هم الذين
 اختارهم محمد بن علي من السبعين الذين كانوا استجابوا له حين بعث رسوله
 إلى خراسان سنة ثلاث ومائة أو أربع ومائة - وأمره أن يدعو إلى الرضا ، ولا
 يسمى أحداً ، ومثل له مثالا ووصف من العدل صفة ، فقدمها فدعا
 سرّاً ، فأجابته ناس ؛ فلما صاروا سبعين أخذ منهم اثني عشر نقيباً .
 منهم من خزاعة سليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وزيد بن صالح
 وطلحة ابن رزيق وعمر بن أعين ، ومن طيئ قحطبة - واسمه زيد بن

شبيب بن خالد بن معدان - ومن تميم موسى بن كعب أبو عيينة ولاهز بن قريظ والقاسم بن مجاشع ، كلهم من بني امرئ القيس ، وأسلم بن سلام أبو سلام ؛ ومن بكر بن وائل أبو داود خالد بن إبراهيم من بني عمرو بن شيبان أخى سدوس وأبو علي الهروي .

ويقال : شبل بن طهمان مكان عمرو بن أعين . وعيسى بن كعب وأبو النجم عمران بن إسماعيل ^(١) مكان أبي علي الهروي ، وهو ختن أبي مسلم .

ولم يكن في النقباء أحد والده حتى غير أبي منصور طلحة بن رزيق بن أسعد ^(٢) ؛ وهو أبو زينب الخزاعي ، وقد كان شهد حرب عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وصحب المهلب بن أبي صفرة وغزا معه ؛ فكان أبو مسلم يشاوره في الأمور ، ويسأله عما شهد من الحروب والمغازي ، ويسأله عن الكنية بأبي منصور : يا أبا منصور ، ما تقول ؟ وما رأيك ؟

١٩٨٩/٢

قال أبو الخطاب : فأخبرنا من شهد أبا منصور يأخذ البيعة على الهاشمية : أبايعكم على كتاب الله عز وجل سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، والطلاق والعتاق ، والمشى إلى بيت الله ، وعلى ألا تسألوا رزقاً ولا طمعاً ^(٣) حتى يبدأكم به ولا تنكم ؛ وإن كان عدو أحدكم تحت قدمه فلا تهيجه إلا بأمر ولا تنكم . فلما حبس أبو مسلم سلم بن أخوز ويونس بن عبدربه ^(٤) ، وعقيل ابن معقل ومنصور بن أبي الخرقاء وأصحابه ، شاور أبا منصور ، فقال : اجعل سوطك السيف ، وسجنك القبر ؛ فأقدمهم أبو مسلم فقتلهم ، وكانت عدتهم أربعة وعشرين رجلاً .

وأما علي بن محمد ، فإنه ذكر أن الصباح مولى جبريل ، أخبره عن مسلمة ابن يحيى ، أن أبا مسلم جعل على حرسه خالد بن عثمان ، وعلى شرطه مالك

(١) ابن الأثير : « أبو النجم إسماعيل بن عمران » .

(٢) ابن الأثير : « سعد » . قال : « ورزيق ، بتقديم الراء على الزاي » .

(٣) ابن الأثير : « ولا طمعاً » . (٤) ابن الأثير : « عبدويه » .

ابن الهيثم ، وعلى القضاء القاسم بن مجاشع ، وعلى الديوان كامل بن مظفر ،
فرزق كل رجل أربعة آلاف ، وأنه أقام في عسكره بالماخون ثلاثة أشهر ،
ثم سار من الماخون ليلاً في جمع كبير يريد عسكر ابن الكرمانى ؛ وعلى
ميمته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم بن مجاشع ، وعلى مقدمته أبو نصر
مالك بن الهيثم . وخلف على خندقه أبا عبد الرحمن الماخونى ، فأصبح في عسكر
شيبان ؛ فخاف نصر أن يجتمع أبو مسلم وابن الكرمانى على قتاله ؛ فأرسل إلى
أبى مسلم يعرض عليه أن يدخل مدينة مَرَوَ ويؤدعه ، فأجابه ، فوَدَعَ
أبا مسلم نصر ، فراسل نصر بن أحوز يومه ذلك كله ، وأبو مسلم في عسكر
شيبان ، فأصبح نصر وابن الكرمانى ، فغدوا إلى القتال ، وأقبل أبو مسلم
ليدخل مدينة مَرَوَ ، فردَّ خيل نصر وخيل ابن الكرمانى ، ودخل المدينة لسبع
— أو تسع — خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثلاثين ومائة ، وهو يتلو :
﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ
هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ... ﴾ (١) إلى آخر الآية .

قال على : وأخبرنا أبو الذّيال والمفضل الضبي ، قالا : لما دخل أبو مسلم
مدينة مَرَوَ ، قال نصر لأصحابه : أرى هذا الرجل قد قوى أمره ، وقد سارع
إليه الناس ، وقد وادعته وسيّم له ما يريد ؛ فاخرجوا بنا عن هذه البلدة
وخلّوه ، فاختلفوا عليه ، فقال بعضهم : نعم ، وقال بعضهم : لا ، فقال :
أما إنكم ستذكرون قولى . وقال لخاصته من مضر : انطلقوا إلى أبى مسلم
فالقوه ، واخلوا بحظكم منه ، وأرسل أبو مسلم إلى نَصْر لاهز بن قريظ يدعوه
فقال لاهز : ﴿ إِنْ الْمَلَأُ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لَيَقْتُلُوكَ ﴾ (٢) ، وقرأ قبلها آيات ،
ففطن نصر ، فقال لغلامه : ضع لى وضوءاً ؛ فقام كأنه يريد الوضوء ، فدخل
بستاناً وخرج منه ، فركب وهرب .

قال على : وأخبرنا أبو الذّيال ، قال : أخبرني إياس بن طلحة بن طلحة
قال : كنت مع أبى وقد ذهب عمى إلى أبى مسلم يبايعه ؛ فأبطأ حتى صليتُ

(٢) سورة القصص ٢٠ .

(١) سورة القصص ١٥ .

١٩٩١/٢

العصر والنهار قصير ؛ فنحن ننتظره ؛ وقد هبنا له الغداء ؛ فلما لقاعد مع أبي
إذ مر نصر على بردون ؛ لا أعلم في داره بردونا أسرى منه ، ومعه حاجبه
والحكيم بن نميلة النميري . قال أبي : إنه لهاب ليس معه أحد ، وليس بين يديه
حرية ولا راية ، فربنا ، فسلم تسليماً خفياً ، فلما جازنا ضرب بردونه ،
ونادى الحكم بن نميلة غلماناه ، فركبوا واتبعوه .

قال علي : قال أبو الذئبال : قال لإياس : كان بين منزلنا وبين مرو أربعة
فراسخ ، فربنا نصر بعد العتمة ، فضج أهل القرية وهربوا ، فقال لي أهلي
ولإخواني : اخرج لا تقتل ، وبكوا ؛ فخرجت أنا وعمي المهلب بن إياس
فلحقنا نصرأ بعد هدة الليل ؛ وهو في أربعين ، قد قام بردونه ، فنزل عنه ،
فحملة بشر بن بسطام بن عمران بن الفضل البرجمي على بردونه ، فقال
نصر : إني لا آمن الطلب ، فن يسوق بنا ؟ قال عبد الله بن عرعة الضبتي :
أنا أسوق بكم ، قال : أنت لها ، فطرد بنا ليلته حتى أصبحنا في بئر في
الفازة على عشرين فرسخاً أو أقل ، ونحن سمانه ؛ فسرنا يومنا فترنا العصر ،
ونحن ننظر إلى أبيات سرحس وقصورها ونحن ألف وخمسمائة ، فانطلقت
أنا وعمي إلى صديق لنا من بني حنيفة يقال له مسكين ، فبيتنا نحن عنده
لم نطم شيئاً ، فأصبحنا ، فجاءنا بشريدة فأكلنا منها ونحن جياع لم نأكل
يومنا وليلتنا ؛ واجتمع الناس فصاروا ثلاثة آلاف ، وأقمنا بسرحس يومين ؛
فلما لم يأتنا أحد صار نصر إلى طوس ، فأخبرهم خبر أبي مسلم ، وأقام خمسة
عشر يوماً ، ثم سار وشرنا إلى نيسابور فأقام بها ، ونزل أبو مسلم حين هرب
نصر دار الإمارة ، وأقبل ابن الكرماني ، فدخل مرو مع أبي مسلم ، فقال
أبو مسلم حين هرب نصر : يزعم نصر أني ساحر ؛ هو والله ساحر !

١٩٩٢/٢

وقال غير من ذكرت قوله في أمر نصر وابن الكرماني وشيبان الحروري :
انتهى أبو مسلم في ستة ثلاثين ومائة من معسكره بقرية سليمان بن كثير إلى
قرية تدعى الماخون فترها ، وأجمع على الاستظهار بعلي بن جديع ومن
معه من اليمن ، وعلى دعاء نصر بن ميار ومن معه إلى معاونته ، فأرسل إلى
القريتين جميعاً ، وعرض على كل فريق منهم المسألة واجتماع الكلمة والدخول

في الطاعة ، فقبيل ذلك عليّ بن جُديع ، وتابعه على رأيه ، فعاقده عليه ، فلما وثق أبو مسلم بمبايعة عليّ بن جُديع إياه ، كتب إلى نصر بن سيار أن يبعث إليه وقد يحضرون مقالته ومقالته أصحابه فيما كان وعده أن يميل معه ، وأرسل إلى عليّ بمثل ما أرسل به إلى نصر .

ثم وصف من خبر اختيار قواد الشيعة البائية على المضربة نحواً مما وصف من قد ذكرنا الرواية عنه قبل في كتابنا هذا ، وذكر أن أبا مسلم إذ وجهه شبل ابن طهمان فيمن وجهه إلى مدينة مَرَوَ وأنزله قصر بخاراخذاه ؛ إنما وجهه مدداً لعلّ بن الكرماني .

قال : وسار أبو مسلم من خندقه بالماخون بجميع من معه إلى عليّ ابن جُديع ، ومع عليّ عثمان وأخوه وأشراف اليمن معهم وجلفاؤهم من ربيعة ، فلما حاذى أبو مسلم مدينة مَرَوَ استقبله عثمان بن جُديع في خيل عظيمة ، ومعه أشراف اليمن ومن معه من ربيعة ، حتى دخل عسكر عليّ بن الكرماني وشيبان بن سلمة الحروري ومن معه من النقباء ، ووقف على حجرة عليّ بن جُديع ، فدخل عليه وأعطاه الرضا ، وآمنه على نفسه وأصحابه ، وخرجا إلى حجرة شيبان ، وهو يسلم عليه يومئذ بالخلافة ، فأمر أبو مسلم عليّاً بالجلوس إلى جنب شيبان ، وأعلمه أنه لا يحلّ له التسليم عليه . وأراد أبو مسلم أن يسلم عليّ عليّ بالإمرة ، فيظنّ شيبان أنه يسلم عليه . ففعل ذلك عليّ ، ودخل عليه أبو مسلم ، فسلم عليه بالإمرة ، وألطف لشيبان وعظمه ، ثم خرج من عنده فترّل قصر محمد بن الحسن الأزدي ، فأقام به ليلتين ، ثم انصرف إلى خندقه بالماخون ، فأقام به ثلاثة أشهر ، ثم ارتحل من خندقه بالماخون إلى مَرَوَ لسبع خلون من ربيع الآخر ، وخلف عليّ جنده (١) أبا عبد الرحمن الماخواني ، وجعل أبو مسلم على ميمنته لاهز بن قريظ ، وعلى ميسرته القاسم ابن مجاشع ، وعلى مقدمته مالك بن الهيثم ، وكان مسيره ليلاً ، فأصبح على باب مدينة مَرَوَ ، وبعث إلى عليّ بن جُديع أن يبعث خيله حتى وقف على باب قصر الإمارة ، فوجد الفريقين يقتتلان أشدّ القتال في حائط مَرَوَ ،

فأرسل إلى الفريقين أن كفوا ، وليتفرق كل قوم إلى معسكرهم ، ففعلوا .
وأرسل أبو مسلم لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق وعبد الله بن البختري ،
وداود بن كراز إلى نصر يدعوه إلى كتاب الله والطاعة للرضا من آل محمد
صلى الله عليه وسلم .

فلما رأى نصر ما جاءه من اليانية والرَّبْعِيَّة والعجم ، وأنه لا طاقة له بهم ،
ولا بد إن أظهر قبول ما بعث به إليه أن يأتيه فيبياعه ، وجعل يرثيهم
لما هم به من الغدر والحرب إلى أن أمسى ، فأمر أصحابه أن يخرجوا من
ليلتهم إلى ما يأمنون فيه ؛ فاستتر لأصحاب نصر الخروج في تلك الليلة .
وقال له سَلَمٌ بن أَحوز : إنه لا يتيسر لنا الخروج الليلة ؛ ولكننا نخرج
القبالة ، فلما كان صبح تلك الليلة عبأ أبو مسلم كتابته ، فلم يزل في
تعبيتها إلى بعد الظهر ، وأرسل إلى نصر لاهز بن قريظ وقريش بن شقيق
وعبد الله بن البختري وداود بن كراز وعدة من أعاجم الشيعة ، فدخلوا على
نصر ، فقال لهم : لشر ما عدتم ، فقال له لاهز : لا بد لك من ذلك ؛
فقال نصر : أما إذ كان لا بد منه ؛ فإني أتوضأ وأخرج إليه ، وأرسل إلى
أبي مسلم ؛ فإن كان هذا رأيه وأمره أتيتُه ونعمي لعينه ، وأتيتُ الله أن يجيء
رسولي ، وقام نصر ، فلما قام قرأ لاهز هذه الآية : ﴿ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ
لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنْ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ^(١) ، فدخل نصر منزله ، وأعلمهم
أنه ينتظر انصراف رسوله من عند أبي مسلم ، فلما جنت الليل ، خرج من خلف
حجرته ، ومعه تميم ابنه والحكم بن تميملة التميمي وحاجبه وامرأته ؛ فانطلقوا
هَرَابًا ، فلما استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله ، فوجدوه قد هرب ؛ فلما
بلغ ذلك أبا مسلم سار إلى معسكر نصر ، وأخذ ثقات أصحابه وصناديدهم
فكثفهم ؛ وكان فيهم سَلَمٌ بن أَحوز صاحبُ شُرطة نصر والبختري كاتبه ،
وابنان له ويونس بن عبد ربّه ومحمد بن قطن وبجاهد بن يحيى بن حُضَيْن
[والنضر بن إدريس ومنصور بن عمر بن أبي الحرقاء وعقيل بن معقل اللبثي ،
وسيار بن عمر السلمي ، مع رجال من رؤساء مُضَر] ^(٢) فاستوثق منهم بالحديد ،
[ووكل بهم عيسى بن أعين] ^(٣) ، وكانوا في الحبس عنده حتى أمر بقتلهم

١٩٩٤/٢

١٩٩٥/٢

جميعاً ، ونزل نصر مَرَّحُوسَ فِيمَن اتَّبَعَهُ مِنَ الْمُضَرَّةِ ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافٍ ، وَمَضَى أَبُو مُسْلِمٍ وَعَلِيٌّ بْنُ جُدَيْعٍ فِي طَلْبِهِ ، فَطَلَبَاهُ لَيْلَتَهُمَا حَتَّى أَصْبَحَا فِي قَرْيَةٍ تَدْعَى نَصْرَانِيَّةً ؛ فَوَجَدَا نَصْرًا قَدْ خَلَفَ امْرَأَتَهُ الْمَرْزُوبَانَةَ فِيهَا ، وَنَجَا بِنَفْسِهِ .

وَرَجَعَ أَبُو مُسْلِمٍ وَعَلِيٌّ بْنُ جُدَيْعٍ إِلَى مَرَّوٍ ، فَقَالَ أَبُو مُسْلِمٍ لِمَنْ كَانَ وَجْهَهُ إِلَى نَصْرٍ : مَا الَّذِي ارْتَابَ بِهِ مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : لَا نَدْرِي ، قَالَ : فَهَلْ تَكَلَّمُ أَحَدٌ مِنْكُمْ ؟ قَالُوا : لَا هَذَا تِلَا هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَاتُتِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ ﴾ قَالَ : هَذَا الَّذِي دَعَاهُ إِلَى الْهَرَبِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا لَاهُزْ ؛ أَتَدْغُلُ فِي الدِّينِ ! فَضْرَبَ عُنُقَهُ .

• • •

[خَبَرُ مَقْتَلِ شَيْبَانَ بْنِ سَلَمَةَ الْخَارِجِيِّ]

وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ قَتَلَ شَيْبَانَ بْنُ سَلَمَةَ الْخُرَوْرِيَّ .

• ذَكَرَ الْخَبَرُ عَنْ مَقْتَلِهِ وَسَبَبِهِ :

وَكَانَ سَبَبُ مَقْتَلِهِ — فِيمَا ذَكَرَ — أَنَّ عَلِيَّ بْنَ جُدَيْعٍ وَشَيْبَانَ كَانَا مَجْتَمِعِينَ عَلَى قِتَالِ نَصْرِ بْنِ سِيَارٍ لِمُخَالَفَةِ شَيْبَانَ نَصْرًا ؛ لِأَنَّهُ مِنْ عَمَالِ مَرَّوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنَّ شَيْبَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ وَمُخَالَفَةَ عَلِيَّ بْنَ جُدَيْعٍ نَصْرًا ، لِأَنَّهُ يَمَانٍ وَنَصْرٍ مَضْرِيٍّ ، وَأَنَّ نَصْرًا قَتَلَ أَبَاهُ وَصَلَبَهُ ، وَلَمَّا بَيَّنَّ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْعَصْبِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ الْيَمَانِيَّةِ وَالْمُضَرَّةِ ؛ فَلَمَّا صَالَحَ عَلِيٌّ بْنُ الْكُرْمَانِيِّ أَبَا مُسْلِمٍ ، وَفَارَقَ شَيْبَانَ ، تَنَحَّى شَيْبَانَ عَنْ مَرَّوٍ ، إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لَا طَاقَةَ لَهُ بِمُحَرِّبِ أَبِي مُسْلِمٍ وَعَلِيَّ ابْنِ جُدَيْعٍ [مَعَ اجْتِمَاعِهِمَا عَلَى] ^(١) خِلَافِهِ ، وَقَدْ هَرَبَ نَصْرٌ مِنْ مَرَّوٍ [وَسَارَ إِلَى سَرَخُسَ] ^(١)

[فَذَكَرَ عَلِيٌّ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّ أَبَا حَفْصٍ] ^(١) أَخْبَرَهُ وَالْحَسَنُ [بْنُ رَشِيدٍ وَأَبَا الذِّيَالِ أَنَّ الْمُدَّةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ أَبِي مُسْلِمٍ وَبَيْنَ شَيْبَانَ] ^(١) لَمَّا انْقَضَتْ ، أَرْسَلَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى شَيْبَانَ يَدْعُوهُ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَقَالَ شَيْبَانَ : أَنَا أَدْعُوكَ إِلَى بَيْعَتِي ؛ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَبُو مُسْلِمٍ : إِنْ لَمْ تَدْخُلْ فِي أَمْرِنَا فَارْتَحِلْ عَنْ مِثْلِكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ ، فَأَرْسَلَ شَيْبَانَ إِلَى ابْنِ الْكُرْمَانِيِّ يَسْتَنْصِرُهُ ، فَأَبَى . فَسَارَ شَيْبَانَ إِلَى سَرَخُسَ ،

واجتمع إليه جمع كثير من بكتّر بن وائل . فبعث إليه أبو مسلم تسعة من الأزد ، فيهم المنتجع بن الزبير ؛ يدعوهم ويسأله أن يكفّ ، فأرسل شيبان ، فأخذ رسل أبي مسلم فسجنّهم ، فكتب أبو مسلم إلى بسام بن إبراهيم مولى بني ليث ببيورّد ، يأمره أن يسير إلى شيبان فيقاتله . ففعل ، فهزّمه بسام ، واتبعه حتى دخل المدينة ، فقتل شيبان وعدّة من بكر بن وائل ، فقبل لأبي مسلم : إن بسامًا ثائرًا بآبيه ؛ وهو يقتل البريء والسقيم ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ، فقدم ، واستخلف على عسكره رجالًا .

قال عليّ : أخبرنا المفضل ، قال : لما قتل شيبان مرّ رجل من بكر بن وائل — يقال له ختّاف — برسل أبي مسلم الذين كان أرسلهم إلى شيبان ، وهم في بيت ، فأخرجهم وقتلهم . ١٩٩٧/٢

وقيل : إن أبا مسلم وجّه إلى شيبان عسكرًا من قبيله ، عليهم خزيمة ابن خازم وبسام بن إبراهيم .

• • •

[ذكر خبر قتل عليّ وعثمان ابني جُدّيع]

وفي هذه السنة قتل أبو مسلم عليًّا وعثمان ابني جُدّيع الكيرمانيّ .

• ذكر سبب قتل أبي مسلم لإيهما :

وكان السبب في ذلك — فيما قيل — أن أبا مسلم كان وجّه موسى بن كعب إلى أبيورّد فافتتحها ، وكتب إلى أبي مسلم بذلك ، ووجّه أبا داود إلى بلخ وبها زياد بن عبد الرحمن القشيريّ ، فلما بلغه قصّد أبي داود بلخ خرج في أهل بلخ والترمذ وغيرهما من كور طخارستان إلى الجوزجان ، فلما دنا أبو داود منهم ، انصرفوا منهزمين إلى الترمذ ، ودخل أبو داود مدينة بلخ ، فكتب إليه أبو مسلم يأمره بالقدوم عليه ، ووجّه مكانه يحيى بن نعيم أبا الميلاء [على بلخ ، فخرج] ^(١) أبو داود ، فلقبه كتاب من أبي مسلم يأمره بالانصراف ، فانصرف ، وقدم عليه أبو الميلاء ؛ فكتب زياد ^(٢) بن عبد الرحمن يحيى بن نعيم أبو الميلاء أن يصير أيديهم ^(٣) واحدة ، فأجاباه ، فرجع زياد بن عبد الرحمن القشيريّ ومسلم

(١) من أ . (٢) ابن الأثير : « فكتبه زياد » .

(٣) ابن الأثير : « أن يرجع ويصير » .

ابن عبد الرحمن بن مسلم الباهلي وعيسى بن زُرْعَة السلمي وأهل بلخ والترمذ وملوك طخارستان، وما خلف النهر وما دونه، فنزل زياد وأصحابه على فرسخ من مدينة بلخ، وخرج إليه يحيى بن نعيم بمَن معه حتى اجتمعوا، فصارت كلمتهم واحدة، مضرتهم وبغائهم وربعتهم ومن معهم من الأعاجم على قتال المسودة، وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيان النبطي؛ كراهة أن يكون من الفرق الثلاثة، وأمر أبو مسلم أبا داود بالعود، فأقبل أبو داود بمَن معه حتى اجتمعوا على نهر السرجنان. وكان زياد بن عبد الرحمن وأصحابه قد وجهوا أبا سعيد القرشي مسلحة فيما بين العود وبين قرية يقال لها أمديان؛ لثلاث يأتيهم أصحاب أبي داود من خلفهم. وكانت أعلام أبي سعيد وراياته سوداً، فلما اجتمع أبو داود وزياد وأصحابهما، واصطفوا للقتال، أمر أبو سعيد القرشي أصحابه أن يأتوا زياداً وأصحابه من خلفهم، فرجع وخرج عليهم من سكة العود وراياته سود، فظن أصحاب زياد أنهم كمين لأبي داود، وقد نشب القتال بين الفريقين، فانهزم زياد ومن معه، وتبعهم أبو داود، فوقع عامة أصحاب زياد في نهر السرجنان، وقتل عامة رجالهم المتخلفين، ونزل أبو داود عسكرهم، وحوى ما فيه، ولم يتبع زياداً ولا [أصحابه وأكثر من تبعهم سرعان من سرعان] ^(١) خيل أبي داود إلى مدينة [بلخ لم يجاوزها] ^(٢) ومضى زياد ويحيى ومن معهما إلى الترمذ، وأقام أبو داود يومه [ذلك ومن الغد، ولم يدخل مدينة بلخ] ^(٣) واستصنى أموال من قتل بالسرجنان ومن هرب من العرب وغيرهم، واستقامت بلخ لأبي داود.

ثم كتب إليه أبو مسلم يأمره بالقُدوم عليه، ووجه النضر بن صبيح المرثي على بلخ. وقدم أبو داود، واجتمع رأى أبي داود وأبي مسلم على أن يفرقا بين علي وعثمان ابني الكرماني، فبعث أبو مسلم عثمان عاملاً على بلخ، فلما قدمها استخلف الفرافصة بن ظهير العبسي على مدينة بلخ، وأقبلت المضربة من ترمذ، عليهم مسلم بن عبد الرحمن الباهلي، فالتقوا وأصحاب عثمان بن جديع بقرية بين البروقان وبين الدستجرد؛ فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم أصحاب عثمان بن جديع، وغلب المضربة ومسلم بن عبد الرحمن

على مدينة بلخ ، وأخرجوا الفُرافصة منها . وبلغ عثمان بن جُديع الخبر والنضر ابن صُبَيْح ، وهما بمرّو الرّوذ ، فأقبلا نحوهم ، وبلغ أصحاب زياد بن عبد الرحمن فهربوا من تحت ليلتهم ، وعتب النضر في طلبهم ، رجاء أن يفوتوا ، ولقيهم أصحاب عثمان بن جُديع ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهمز أصحاب عثمان بن جُديع ، وأكثروا فيهم القتل ، ومضت المضربة إلى أصحابها ، ورجع أبو داود من مرّو إلى بلخ ، وسار أبو مسلم ومعه عليّ بن جُديع إلى نيسابور . واتّفق رأى أبي مسلم ورأى أبي داود على أن يقتل أبو مسلم عليّاً ، ويقتل أبو داود عثمان في يوم واحد . فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملاً على الخُتَل (١) فيمن معه من يمانى أهل مرّو وأهل بلخ وربّعتهم . فلما خرج من بلخ خرج أبو داود [فاتباع الأثر فلحق عثمان على شاطئ نهر بوخش] (٢) من أرض الخُتَل ، فوثب أبو داود على عثمان وأصحابه ، فحبسهم جميعاً ثم ضرب أعناقهم صَبْرًا (٣) . وقتل أبو مسلم في ذلك اليوم على بن الكرمانى ، وقد كان أبو مسلم أمره أن يسمّى له خاصته ليوليّهم ، ويأمر لهم بجوائز وكُسا ، فسأهم له فقتلهم جميعاً .

٢٠٠٠/٢

* * *

[قدوم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم]

وفي هذه السنة قدم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم خراسان منصرفاً من عند إبراهيم بن محمد بن عليّ ، ومعه لواؤه الذى عقده لإبراهيم ، فوجّهه أبو مسلم حين قدّم عليه على مقدّمته ، وضمّ إليه الجيوش ، وجعل له العزل والاستعمال ، وكتب إلى الجنود بالسّمع والطاعة .

وفيها وجّه قحطبة إلى نيسابور للقاء نصر ، فذكر عليّ بن محمد أن أبا الذّيال والحسن بن رشيد وأبا الحسن الجُشَمَى أخبروه أن شيّبان بن سلمة الخُرُورى لما قتل لحق أصحابه بنصر وهو بنيسابور ، وكتب إليه الثّابى بن سويد العجلى يستغيث ، فوجّه إليه نصر ابنه تميم بن نصر في ألفين ، وتهبأ نصر على أن يسير إلى طوس ، ووجّه أبو مسلم قحطبة بن شبيب في قوّاد ، منهم القاسم

(٢) من ا .

(١) ابن الأثير : « الجبل » .

(٣) صبراً ، أى حباً .

ابن مجاشع وجهور بن مرّار ، فأخذ القاسم من قبيل سرخس ، وأخذ جهور من قبيل أبيورد ، فوجه تميم عاصم بن عمير السغدّي إلى جهور ؛ وكان أذانهم منه ، فهزّمه عاصم بن عمير ، فتحصّن في كبادقان ، وأطلّ قحطبة والقاسم على الثّاني ، فأرسل تميم إلى عاصم أن ارحل عن جهور وأقبل ؛ فتركه ، وأقبل فقاتلهم قحطبة .

٢٠٠١/٢

قال أبو جعفر : فأما غيرُ الذين روى عنهم عليّ بن محمد ما ذكرنا في أمر قحطبة وتوجيه أبي مسلم إياه إلى نصر وأصحابه ، فإنه ذكر أن أبا مسلم لما قتل شيبان الخارجيّ وابني الكيرمانيّ ، ونفى نصرًا عن مرو ، وغلب على خراسان ، وجه عماله على بلادها ، فاستعمل سباع بن النعمان الأزديّ على سمرقند وأبا داود خالد بن إبراهيم على طخارستان ، وجه محمد بن الأشعث إلى الطّبستين وفارس ، وجعل مالك بن الهيثم على شُرطته ، وجه قحطبة إلى طوس ، ومعه عدّة من القوّاد ؛ منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد ومقاتل بن حكيم العكيّ وخالد بن برمك وخازم بن خزيمه والمنذر بن عبد الرحمن وعثمان ابن نهيّك وجهور بن مرّار العجليّ وأبو العباس الطوسيّ وعبد الله بن عثمان الطائيّ وسلّمة بن محمد وأبو غانم عبد الحميد بن ربيع وأبو حميد وأبو الجهم - ويجعله أبو مسلم كاتبًا لقحطبة على الجند - وعامر بن إسماعيل ومحرز بن إبراهيم ، في عدّة من القوّاد ، فلقى من بطوس فانهزموا ، وكان من مات منهم في الزحام أكثر من قتل ؛ فبلغ عدّة القتلى يومئذ بضعة عشر ألفًا . وجه أبو مسلم القاسم بن مجاشع إلى نيسابور على طريق المحجة ؛ وكتب إلى قحطبة

٢٠٠٢/٢

بأمره بقتال تميم بن نصر بن سيار والثّاني بن سويد ، ومنّ بلأ إليهما من أهل خراسان ، وأن يصرف إليه موسى بن كعب من أبيورد . فلما قدم قحطبة أبيورد صرف موسى بن كعب إلى أبي مسلم ، وكتب إلى مقاتل بن حكيم بأمره أن يوجه رجلاً إلى نيسابور ، ويصرف منها القاسم بن مجاشع ؛ فوجه أبو مسلم عليّ بن معقل في عشرة آلاف إلى تميم بن نصر ، وأمره [إذا دخل] (١) قحطبة طوس أن يستقبله بمنّ معه وينضمّ إليه ؛ فسار عليّ بن معقل حتى نزل قرية يقال لها حلوان ، وبلغ قحطبة مسير عليّ [ونزوله حيث] (١) نزل ، فعجّل

السير إلى السوذقان ، وهو معسكر تميم بن نصر والنابى بن سويد ، ووجه على مقدمته أسيد بن عبد الله الخزاعى فى [ثلاثة آلاف رجل من شيعة] (١) أهل نسا وأبيورد ، فسار حتى نزل قرية يقال [لها حبوسان ، فتبعاً تميم والنابى] (٢) لقتاله ، فكتب أسيد إلى قحطبة يعلمه [ما أجمعوا عليه من قتاله ، وأنه إن] (٣) لم يعجل القدوم عليه حاكمهم إلى الله عز وجل ، وأخبره أنهما فى ثلاثين ألفاً من صناديد أهل خراسان وفرسانهم . فوجه قحطبة مقاتل بن حكيم العكى فى ألف وخالد بن برمك فى ألف ، فقدم على أسيد ، وبلغ ذلك تميم والنابى فكسرها . ثم قدم عليهم قحطبة بمن معه ، وتبعاً لقتال تميم ، وجعل على ميمته مقاتل بن حكيم (٤) وأبا عون عبد الملك بن يزيد وخالد بن برمك ، وهلى ميسرته أسيد بن عبد الله الخزاعى والحسن بن قحطبة والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن ، وصار هو فى القلب ، ثم زحف إليهم ، فدعاهم إلى كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وإلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم فلم يجيبوه ، فأمر الميمنة والميسرة أن يجملوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً أشد ما يكون من القتال ، فقتل (٥) تميم بن نصر فى المعركة ، وقتل معه منهم مقتلة عظيمة ، واستبيح عسكرهم ، وأفلت النابى فى عدة ، فتحصنوا فى المدينة ، وأحاطت بهم الجنود ، فثقبوا الحائط ودخلوا إلى المدينة ، فقتلوا النابى ومن كان معه ، وهرب عاصم بن عمير السمرقندى وسلم بن راوية السعيدى إلى نصر بن سيار بنيسابور ، فأخبراه بمقتل تميم والنابى ومن كان معهما ؛ فلما غلب قحطبة على عسكرهم بما فيه صير إلى خالد بن برمك قبض ذلك ، ووجه مقاتل بن حكيم العكى على مقدمته إلى نيسابور ؛ فبلغ ذلك نصر بن سيار ، فارتحل هارباً فى أثر أهل إيسر شهر حتى نزل قوميس وتفرق عنه أصحابه ، فسار إلى نباتة بن حنظلة بمرجان ، وقدم قحطبة نيسابور بجنوده .

٢٠٠٣/٢

. . .

(١) من ١ .

(٢) ١ : « حيان » .

(٣) ١ : « وقتل » .

[ذكر خبر قتل نباتة بن حنظلة]

وفي هذه السنة قُتل نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن عمر بن هبيرة على جرجان .

• ذكر الخبر عن مقتله :

٢٠٠٤/٢ ذكر علي بن محمد أن زهير بن هنيذ وأبا الحسن الجشمي وجبله بن فتروخ وأبا عبد الرحمن الأصهباني أخبروه أن يزيد بن عمر بن هبيرة بعث نباتة بن حنظلة الكلابي إلى نصر ، فأقن فارس وأصبهان ، ثم سار إلى الري ، ومضى إلى جرجان ، ولم ينضم^(١) إلى نصر بن سيار ، فقالت القيسية لنصر : لا تحملنا قوميس ، فتحولوا إلى جرجان . وخذق نباتة ؛ فكان إذا وقع الخندق في دار قوم رشوه فأخبره ، فكان خندقه نحواً من فرسخ .

وأقبل قحطبة إلى جرجان في ذى القعدة من سنة ثلاثين ومائة ، ومعه أسيد ابن عبد الله الخزاعي وخالد بن برمك وأبو عون عبد الملك بن يزيد وموسى بن كعب المراتي والمسيب بن زهير وعبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي ، وعلى ميمته موسى بن كعب ، وعلى ميسرته أسيد بن عبد الله ، وعلى مقدّمته الحسن بن قحطبة ، فقال قحطبة : يا أهل خراسان ، أتدرون إلى من تسرون ، ومن تقتلون ؟ إنما تقتلون بقيّة قوم أحرّقوا بيت الله عز وجل . وأقبل الحسن حتى نزل تحوم خراسان ، ووجه الحسن عثمان بن رُفيع ونافع المروزي وأبا خالد المروزي ومسعدة الطائي إلى مسلحة نباتة ، وعليها رجل يقال له ذؤيب ، فبيّته^(٢) ، فقتلوا ذؤيباً وسبعين رجلاً من أصحابه ، ثم رجعوا إلى عسكر الحسن ، وقدم قحطبة فترلوا بإزاء نباتة وأهل الشام في عدة لم ير الناس مثلاً . فلما رآهم أهل خراسان هابوهم حتى تكلموا بذلك وأظهروه . وبلغ قحطبة ، فقام فيهم خطيباً فقال :

يا أهل خراسان ؛ هذه البلاد كانت لأبائكم الأولين ، وكانوا يُنصرون على عدوّهم بعدلهم^(٣) وحسن سيرتهم ؛ حتى بدّلوا وظلموا ، فسخط الله عز وجل عليهم ، فانتزع سلطانهم ، وسلط عليهم أذلّ أمة كانت في الأرض عندهم ،

(١) ط : « يضم » . (٢) ابن الأثير : « فيتهم » .

(٣) ط : « لعدلهم » ، وما أثبت من أ .

فغلبوهم على بلادهم ، واستنكحو نساءهم ، واسترقوا أولادهم ؛ فكانوا بذلك يحكمون بالعدل ويوفون بالعهد ، وينصرون المظلوم ، ثم بدّلوا وغيروا وجاروا في الحكم ، وأخافوا أهل البر والتقوى من عيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلبوهم عليهم لينتقم منهم بكم لتكونوا أشدّ عقوبة ؛ لأنكم طلبتموهم بالثأر . وقد عهد إلى الإمام أنكم تلقونهم في مثل هذه العدة فينصركم الله عز وجل عليهم فتهمزموهم وتقتلونهم .

وقد قرئ على قحطبة كتاب أبي مسلم . من أبي مسلم إلى قحطبة :
بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فناهض عدوك ؛ فإن الله عز وجل ناصرك ؛ فإذا ظهرت عليهم فأثخن في القتل .

فالتقوا في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين ومائة في يوم الجمعة ، فقال قحطبة : يا أهل خراسان . إن هذا اليوم قد فضله الله تبارك وتعالى على سائر الأيام والعمل فيه مضاعف ؛ وهذا شهر عظيم فيه عيد من أعظم أعيادكم عند الله عز وجل ، وقد أخبرنا الإمام أنكم تنصرون في هذا اليوم من هذا الشهر على عدوكم ، فالقوه بجِدِّ وصبر واحتساب ؛ فإن الله مع الصابرين . ثم ناهضهم وعلى ميمته الحسن بن قحطبة ، وعلى ميسرته خالد بن برمك ومقاتل بن حكيم العكّبي ، فاقتتلوا وصبر بعضهم لبعض ، فقتل نباتة ، وانهزم أهل الشام فقتل منهم عشرة آلاف ، وبعث قحطبة إلى أبي مسلم برأس نباتة وابنه حية .

٢٠٠٦/٢

قال : وأخبرنا شيخ من بني عدى ، عن أبيه ، قال : كان سالم بن راوية التميمي ممن هرب من أبي مسلم ، وخرج مع نصر ، ثم صار مع نباتة ، فقاتل قحطبة بمرجان ، فانهزم الناس ، وبقِيَ يقاتل وحده ، فحمل عليه عبد الله الطائي — وكان من فرسان قحطبة — فضربه سالم بن راوية على وجهه ، فأندر عينه ، وقاتلهم حتى اضطر إلى المسجد ، فدخله ودخلوا عليه ، فكان لا يشد من ناحية إلا كشفهم ، فجعل ينادى : شرّبة ! فوالله لأُنقعن لهم شرّاً بوى هذا . وحرّقوا عليه سقف المسجد ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه وجاءوا

برأسه إلى قحطبة، وليس في رأسه ولا وجهه مصحح؛ فقال قحطبة: ما رأيت مثل هذا قط!

* * *

[ذكر وقعة أبي حمزة الخارجي بقديد]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كانت الوقعة التي كانت بقديد بين أبي حمزة الخارجي وأهل المدينة .

• ذكر الخبر عن ذلك :

حدثني العباس بن عيسى العميلي ، قال : حدثنا هارون بن موسى الفروسي ، قال حدثني غير واحد من أصحابنا ، أن عبد الواحد بن سليمان استعمل عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على الناس ، فخرجوا ، فلما كان بالحرة لقيتهم جزر مَنحورة ، ففضوا ، فلما كان بالعقيق تعلق لواؤهم بِسَمرة ، فانكسر الرمح ، فتشاءم الناس بالخروج ؛ ثم ساروا حتى نزلوا قديد ، فنزلوها ليلاً — وكانت قرية قديد من ناحية القصر المبني اليوم ، وكانت الحياض هنالك ، فتزل قوم مغترون ^(١) ليسوا بأصحاب حرب ، فلم يرعهم إلا القوم قد خرجوا عليهم من القصر ^(٢) .

وقد زعم بعض الناس أن خُرَاعة دلت أبا حمزة على عَوَرَتهم ، وأدخلوهم عليهم فقتلوهم ؛ وكانت المقتلة على قريش ، هم كانوا أكثر الناس ، وبهم كانت الشوكة ، وأصيب منهم عدد كثير .

قال العباس : قال هارون : وأخبرني بعض أصحابنا أن رجلاً من قريش نظر إلى رجل من أهل اليمن وهو يقول : الحمد لله الذي أقرّ عيني بمقتل قريش ، فقال لابنه : يا بنيّ أبدأ به — وقد كان من أهل المدينة — قال : فدنا منه ابنه فضرب عنقه ، ثم قال لابنه : أي بنيّ ، تقدم ؛ فقاتلا حتى قتلا . ثم ورد فلّال الناس المدينة ، وبكى الناس قتلاهم ؛ فكانت المرأة تقيم على حميمها النواح ؛ فما تبرح النساء حتى تأتيهن الأخبار عن رجالهن فتخرج النساء امرأة

(١) ابن الأثير : « وكانوا مغترفين » .

(٢) كذا في ، وفي ط : « الفضل » ، وهو موضع .

امرأة ؛ كل امرأة تذهب إلى حميمها [فتنصرف] ^(١) حتى ما تبقى عندها امرأة ^(٢) .

قال : وأنشدني أبو ضمرة هذه الأبيات في قتلتني قديد الذين أصيبوا من قومه ، رثاهم بعض أصحابهم فقال :

يَالْهَفَ نَفْسِي وَلَهْفَى غَيْرَ كَاذِبَةٍ ^(٣) على فوارس بالبطحاء أنجاد
عَمُرُوا وَعَمُرُوا وَعَبَدُوا اللَّهَ بَيْنَهُمَا وابنائهما خامس والحارث السادي

• • •

[ذكر خبر دخول أبي حمزة المدينة]

وفي هذه السنة دخل أبو حمزة الخارجي من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهرب عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام .

• ذكر الخبر عن دخول أبي حمزة المدينة وما كان منه فيها :

٢٠٠٨/٢

حدثني العباس بن عيسى ، قال : حدثنا هارون بن موسى الفروي ، قال : حدثني موسى بن كثير ، قال : دخل أبو حمزة المدينة سنة ثلاثين ومائة ، ومضى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك إلى الشام ، فوقي المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

يا أهل المدينة ؛ سألناكم ^(١) عن ولائكم هؤلاء ، فأستأمر لعمر الله فيهم القول ، وسألناكم : هل يقتلون بالظن ؟ فقلتم لنا : نعم ، وسألناكم : هل يستحلون المال الحرام والفسرّج الحرام ؟ فقلتم لنا : نعم ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نناشدهم الله إلّا تنحّوا عنا وعنكم ، فقلتم : لا يفعلون ، فقلنا لكم : تعالوا نحن وأنتم نقاتلهم ؛ فإن نظهر نحن وأنتم [نأت] ^(٢) بمن يقيم فينا كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فقلتم : لا نقوى ، فقلنا لكم : فخلّوا بيننا وبينهم ؛ فإن نظفر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم [ونقسم] ^(٣) فيكم بينكم ، فأبيتم ، وقاتلمونا دونهم ، فقاتلناكم

(٢) الأغاني ٢٠ : ١٠٠ (س) .

(٤) ط : « سألتم » .

(١) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « نافعة » .

(٥) من الأغاني .

فأبعدكم الله وأسحقكم (١) .

قال محمد بن عمر : حدثني حزام بن هشام ، قال : كانت الحرورية أربعمائة ، وعلى طائفة من الحرورية الحارث ، وعلى طائفة بكار بن محمد العدوي ؛ عدى قريش ، وعلى طائفة أبو حمزة ، فالتقوا وقد تهيأ الناس بعد الإعذار من الخوارج إليهم ، وقالوا لهم : إنا والله ما لنا حاجة بقتالكم ، دعونا نمض إلى عدونا . فأبى أهل المدينة ، فالتقوا لسبع ليال خلكون من صفر يوم الخميس ٢٠٠٩/٢ سنة ثلاثين ومائة ، فقتل أهل المدينة ، لم يفلت منهم إلا الشريد ، وقتل أميرهم عبد العزيز بن عبد الله ، واتهمت قريش خزاعة أن يكونوا داهنوا الحرورية . فقال لي حزام : والله لقد آويت رجالاً من قريش منهم حتى آمن الناس ؛ فكان بلسج على مقدمتهم . وقدمت الحرورية المدينة لتسع عشرة ليلة خلت من صفر .

حدثني العباس بن عيسى ، قال : قال هارون بن موسى : أخبرني بعض أشياخنا ، أن أبا حمزة لما دخل المدينة قام فخطب فقال في خطبته :

يا أهل المدينة مررت [بكم] (٢) في زمن الأحول هشام بن عبد الملك ، وقد أصابتكم عاهة في ثماركم (٣) وكتبتم إليه تسألونه أن يضع أخراصكم (٤) عنكم ، فكتب إليكم يضعها عنكم ، فزاد الغنى غنيتي ، وزاد الفقير فقراً ، فقلتم : جزاك الله خيراً ؛ فلا جزاكم الله خيراً ولا جزاه (٥) .

قال العباس : قال هارون : وأخبرني يحيى بن زكرياء أن أبا حمزة خطب بهذه الخطبة ، قال : رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : تعلمون يا أهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا وأموالنا أشراً ولا بطلاً ولا عبثاً ، ولا لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ، ولا لثأر قديم نزيل منا ؛ ولكننا لما رأينا مصابيح الحق قد عطلت ، وعنّف القائل بالحق ، وقتل القائم بالقسط ؛ ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، فأجبنا داعي الله • ﴿ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ﴾

(١) انظر الأغاني ٢٠ : ١٠٣ ، ونقل الخبر عن الطبري .

(٢) من الأغاني .

(٣) الأغاني : « في ثماركم فركبتم » .

(٤) الأغاني : « خراجكم » .

(٥) الأغاني ٢٠ : ١٠٤ .

٢٠١٠/٢

الأرض^(١) ، أقبلنا^(٢) من قبائل شتى ، نفرمنا على بعير واحد عليه زادهم وأنفسهم ، يتعاورون لحافاً واحداً ، قليلون مستضعفون في الأرض ؛ فأوانا وأيدنا بنصره^(٣) ، فأصبحنا والله جميعاً بنعمته إخواناً ، ثم لقينا رجالكم بقديد ، فدعوناهم إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن ، ودعونا إلى طاعة الشيطان وحكم آل مروان ؛ فشتان لعمر الله ما بين الرشد والغي . ثم أقبلوا يهرعون يزقون^(٤) ، قد ضرب الشيطان فيهم بجرانه ، وغلت بدماهم مراحله ، وصدق عليهم ظنه ، وأقبل أنصار الله عز وجل عصائب وكثائب ، بكل مهتد ذي روث ، فدارت رحانا واستدارت رحاهم ، بضرب يرتاب منه المبتلون . وأنتم يا أهل المدينة ، إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله عز وجل بعذاب من عنده أو بأيدينا ، ويشف صدور قوم مؤمنين . يا أهل المدينة ، أولكم خير أول وآخركم شر آخر . يا أهل المدينة ، الناس منا ونحن منهم ؛ إلا مشركاً عابداً وثناً ، أو مشرك أهل الكتاب ؛ أو إماماً جائراً . يا أهل المدينة ممن زعم أن الله عز وجل كلف نفساً فوق طاقتها ، أو سأها ما لم يؤتها ، فهو الله عز وجل عدو ، ولنا حرب . يا أهل المدينة ، أخبروني عن ثمانية أسهم فرضها الله عز وجل في كتابه على القوى والضعيف ، فجاء تاسع ليس له منها^(٥) ، ولا سهم واحد ، فأخذها [جميعها]^(٦) لنفسه ، مكابراً محارباً لربه . يا أهل المدينة ؛ بلغني أنكم تنتقصون أصحابي ؛ قلتم : شباب أحداث ، وأعراب جفافة ، ويلكم يا أهل المدينة ! وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً أحداثاً ! شباب والله مكتهلون في شبابهم ، غصية^(٧) عن الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أقدامهم ، قد باعوا الله عز وجل أنفساً تموت بأنفس لا تموت ، قد خالطوا^(٨) كلالهم بكلالهم ، وقيام ليلهم بصيام نهارهم ، منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كلما مروا بآية [خوف] شهقوا خوفاً من النار ، وإذا مروا بآية [

٢٠١١/٢

(٢) الأغاني : « أقبلنا » .

(١) سورة الأحقاف ٣٢ .

(٣) الأغاني : « فأوانا الله وأيدنا بنصره » .

(٤) يزفون : يسرعون ، وفي الأغاني : « ويزفون » . (٥) ١ : « فيها » .

(٧) الأغاني : « غصية » .

(٦) من الأغاني .

(٩) من ١ .

(٨) ١ : « خلطوا » .

شوق شهقوا شوقاً إلى الجنة، فلما نظروا إلى السيوف قد انتضيت^(١) والرماح قد شريعت^(٢)، وإلى السهام قد فُوقَت^(٣)، وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت، استخفوا وعيد^(٤) الكتيبة لوعيد الله عز وجل، ولم يستخفوا وعيد الله لوعيد الكتيبة^(٥)، فطوبى لهم وحسن مآب! فكم من عين في منقار طائر طالما فاضت في جوف الليل من خوف الله عز وجل! وكم من يد زالت عن مفصلها طالما اعتمدها صاحبها^(٦) في سجوده لله، وكم من خد عتيق وجبين رقيق فُلِقَ بعمد الحديد. رحمة الله على تلك الأبدان، وأدخل أرواحها الجنان. أقول قولي هذا وأستغفر الله من تقصيرنا، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب^(٧).

حدثني العباس، قال قال هارون: حدثني جدّي أبو علقمة، قال: سمعت أبا حمزة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: من زنى فهو كافر، ومن شك فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، ومن شك أنه كافر فهو كافر.

قال العباس: قال هارون: وسمعت جدّي يقول: كان قد أحسن السيرة في أهل المدينة حتى استمال الناس حين سمعوا كلامه^(٧)، في قوله: «من زنى فهو كافر».

قال العباس: قال هارون: وحدثني بعض أصحابنا: لما رقى المنبر قال: برح الخفاء، أين ما بك يذهب! من زنى فهو كافر، ومن سرق فهو كافر، قال العباس: قال هارون: وأنشدني بعضهم في قديده:

ما للزمان وماليّة أفنت قديده رجاليّة^(٨)
فلأبكين سريرة ولأبكين علانيّة
ولأبكين إذا شجيت مع الكلاب العاوية

(١) ط: «انتضت».

(٢) الأغاني: «أشريت».

(٣) الأغاني: «لوعيد».

(٤) الأغاني: «طلما بكى بها صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبيت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً وساجداً».

(٥) الأغاني: «حتى استمال الناس وسمع بعضهم كلامه».

(٦) الأغاني: «٢٠: ١٠٤».

(٧) الأغاني: «٢٠: ١٠٢».

(٨) الأغاني: «٢٠: ١٠٢».

فكان دخول أبي حمزة وأصحابه المدينة لثلاث عشرة بقيت من صفر .
واختلفوا في قدر مدتهم في مقامهم [بها] ^(١) ، فقال الواقدي : كان مقامهم
بها ثلاثة أشهر . وقال غيره : أقاموا بها بقية صفر وشهر ربيع وطائفة من
جمادى الأولى .

وكانت عيدة من قتل من أهل المدينة بقديد - فيما ذكر الواقدي -
سبعائة .

قال أبو جعفر : وكان أبو حمزة - فيما ذكر - قد قدم طائفة من
أصحابه ، عليهم أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن عمر القرشي ، ثم أحد
بنى عدى بن كعب ، وبلج بن عينة بن الهيصم الأسدي من أهل البصرة ،
فبعث مروان بن محمد من الشام عبد الملك بن محمد بن عطية أحد بني سعد
في خيول ^(٢) الشام . فحدثني العباس بن عيسى ، قال : حدثني هارون بن
موسى ، عن موسى بن كثير ، قال : خرج أبو حمزة من المدينة ، وخلف
بعض أصحابه ، فسار حتى نزل الوادي .

قال العباس : قال هارون : حدثني بعض أصحابنا ممن أخبرني عنه
أبو يحيى الزهرى ، أن مروان انتخب من عسكره أربعة آلاف ، واستعمل
عليهم ابن عطية ، وأمره بالجد في السير ، وأعطى كل رجل منهم
مائة دينار ، وفساً عربية وبغلا لشقه ، وأمره أن يمضي فيقاتلهم ؛ فإن هو
ظفر مضى حتى بلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى ومن معه ؛ فخرج حتى
نزل بالعلاء - وكان رجل من أهل المدينة يقال له العلاء بن أفلح مولى
أبي الغيث ، يقول : لقيني وأنا غلام ذلك اليوم رجل من أصحاب ابن عطية ؛
فسألني : ما اسمك يا غلام ؟ قال : فقلت : العلاء ، قال : ابن من ؟
قلت : ابن أفلح ، قال : مولى من ؟ قلت : مولى أبي الغيث ، قال : فأين
نحن ؟ قلت بالعلاء ، قال : فأين نحن غداً ؟ قلت : ببغالب ، قال : فما
كلمني حتى أردفني وراءه ، ومضى بي حتى أدخلني على ابن عطية ، فقال :
سل هذا الغلام : ما اسمه ؟ فسألني ، فرددت عليه القول الذي قلت ، قال : فسر

٢٠١٣/٢

بذلك ، وذهب لي دراهم (١) .

قال العباس : قال هارون : وأخبرني عبد الملك بن الماجشون ، قال : لما لقي أبو حمزة وابن عطية ، قال أبو حمزة : لا تقتلوهم حتى تخبروهم (٢) ، قال : فصاحوا بهم : ما تقولون في القرآن والعمل به ؟ قال : فصاح ابن عطية : نضعه في جوف الجحش ، قال : فما تقولون في مال اليتيم ؟ قال : نأكل ماله ونفجر بأمه ... في أشياء بلغني أنهم سألوهم عنها . قال : فلما سمعوا كلامهم ، قاتلوهم حتى أمسوا ، فصاحوا : ويحك يا ابن عطية ! إن الله عز وجل قد جعل الليل سكناً ، فاسكن نسكن . قال : فأبى فقاتلهم حتى قتلهم .

قال العباس : قال هارون : وكان أبو حمزة حين خرج ودع أهل المدينة للخروج إلى مروان يقاتله ، قال : يا أهل المدينة ، إنا خارجون إلى مروان ؛ فإن نظفر نعدل في أحكامكم ، ونحملكم على سنة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ، ونقسم فيحكم بينكم ؛ وإن يكن ما تَمَنُّون ؛ فسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون . قال العباس : قال هارون : وأخبرني بعض أصحابنا أن الناس وثبوا على أصحابه حين جاءهم قتلهم فقتلوه .

قال محمد بن عمر : سار أبو حمزة وأصحابه إلى مروان ، فلقيهم خيل مروان بوادي القرى ؛ عليها ابن عطية السعدي ، من قيس ، فأوقعوا بهم ، فرجعوا منهزمين منهم إلى المدينة ، فلقيهم أهل المدينة فقتلوه . قال : وكان الذي قاد جيش مروان عبد الملك بن محمد بن عطية السعدي سعد هوازن ، قدم المدينة في أربعة آلاف فارس عربي ؛ مع كل واحد منهم بغل ، ومنهم من عليه درعان أو درع وستور (٣) وتجايف ؛ وعدة لم ير مثلاً في ذلك الزمان ، ففضوا إلى مكة .

وقال بعضهم : أقام ابن عطية بالمدينة حين دخلها شهراً ، ثم مضى إلى مكة ، واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية ، ثم مضى إلى مكة وإلى اليمن واستخلف على مكة ابن ماعز ؛ رجلاً من أهل الشام .

(١) الأغاني ٢٠ : ١٠٨ . (٢) ١ : « تخبروهم » .

(٣) الستور : الدرع فيه حلق ، وفي ط : « تنور » تحريف .

ولما مضى ابن عطية بلغ عبد الله بن يحيى - وهو بصنعاء - مسيره إليه ، فأقبل إليه بمن معه فالتقى هو وابن عطية ، فقتل ابن عطية عبد الله بن يحيى ، وبعث ابنه بشير إلى مروان ، ومضى ابن عطية فدخل صنعاء وبعث برأس عبد الله بن يحيى إلى مروان ، ثم كتب مروان إلى ابن عطية يأمره أن يغدو السير ، ويحج بالناس ، فخرج في نفر من أصحابه - فيما حدثني العباس بن عيسى ، عن هارون - حتى نزل الجحرف - هكذا قال العباس - ففطن له بعض أهل القرية ، فقالوا : منهزمين والله ، فشدوا عليه ، فقال : ويحكم ! عامل الحج ، والله كتب إلى أمير المؤمنين .

٢٠١٥/٢

قال أبو جعفر : وأما ابن عمر ، فإنه ذكر أن أبا الزبير بن عبد الرحمن حدثته ، قال : خرجت مع ابن عطية السعدي ، ونحن اثنا عشر رجلاً ، بعهد مروان على الحج ، ومعه أربعون ألف دينار في خرجه ، حتى نزل الجحرف يريد الحج ، وقد خلف عسكره وخيله وراءه بصنعاء ، فوالله إنا آمنون مطمئنون ؛ إذ سمعت كلمة من امرأة : قاتل الله ابني جمانة ما أشأهما ! فقامت كأنى أهریق الماء ، وأشرفت على نشز من الأرض ؛ فإذا الله هم من الرجال والسلاح والخيول والقذافات ؛ فإذا ابنا جمانة المراديان واقفان علينا ، قد أحدقوا بنا من كل ناحية ، فقلنا : ما تريدون ؟ قالوا : أنتم لصوص ؛ فأخرج ابن عطية كتابه ، وقال : هذا كتاب أمير المؤمنين وعهده على الحج وأنا ابن عطية ، فقالوا : هذا باطل ، ولكنكم لصوص ؛ فرأينا الشر . فركب الصفر ^(١) بن حبيب فرسه ، فقاتل وأحسن حتى قتل ؛ ثم ركب ابن عطية فقاتل حتى قُتِل ، ثم قتل من معنا وبقيت ، فقالوا : من أنت ؟ فقلت : رجل من همدان ، قالوا : من أي همدان أنت ؟ فاعتزيت إلى بطن منهم - وكنت عالماً بيطون همدان - فركوني ، وقالوا : أنت آمن ؛ وكل ما [كان] ^(٢) لك في هذا الرجل فخذْه ، فلو ادعت المال كله لأعطوني . ثم بعثوا معي فرساناً حتى بلغوا بي صعدة ، وأمنت ومضيت حتى قدمت مكة .

* * *

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة غزا الصّائفة — فيما ذكر — الوليد بن هشام،
فنزّل العمق وبنى حصن مَرَّعَش .

وفيهما وقع الطاعون بالبصرة .

وفي هذه السنة قَتَلَ قَحْطَبَةُ بن شَبِيب من أهل جَرْجَان مَن قَتَلَ من أهلها ؛ قيل إنه قتل منهم زُهَاء ثلاثين ألفاً ؛ وذلك أنه بلغه — فيما ذكر — عن أهل جرجان أنه أجمع رأيهم بعد مقتل نباتة بن حنظلة على الخروج على قَحْطَبَةَ ، فدخل قحطبة لما بلغه ذلك من أمرهم ؛ واستعرضهم ، فقتل منهم مَن ذَكَرَتْ . ولما بلغ نصرَ بن سيار قتلُ قَحْطَبَةَ نباتةً ومن قتل من أهل جرجان وهو بقوميس ، ارتحل حتى نزل خُوار الرّی .

وكان سبب نزول نصر قومس — فيما ذكر على بن محمد — أن أبا الذّیال حدّثه والحسن بن رشيد وأبا الحسن الحشمي ؛ أن أبا مسلم كتب مع المنهال ابن فتنان^(١) إلى زياد بن زرارَةَ القشيريّ بعهدده على نيسابور بعدما قَتَلَ تميم بن نصر والنابی بن سويد العجليّ ، وكتب إلى قحطبة يأمره أن يتبع نصرًا ؛ فوجه قحطبة العكسيّ على مقدّمته . وسار قحطبة حتى نزل نيسابور ، فأقام بها شهرين ؛ شهرى رمضان وشوال من سنة ثلاثين ومائة ، ونصر نازل في قرية من قرى قوميس يقال لها بدش ، ونزل مَن كان معه من قيس في قرية يقال لها الممد^(٢) ؛ وكتب نصر إلى ابن هبيرة يستمدّه وهو بواسط مع ناس من وجوه أهل خراسان ؛ يعظّم الأمر عليه ، فحبس ابن هبيرة رسله ، وكتب نصّر إلى مروان : إني وجهت إلى ابن هبيرة قومًا من وجوه أهل خراسان ليعلموه أمرَ الناس من قبلنا ، وسألته المدد فاحتبس رسلی ولم يمدّني بأحد ؛ وإنما أنا بمنزلة من أخرج من بيته إلى حجرته ، ثم أخرج من حجرته إلى داره ، ثم أخرج من داره إلى فناء داره ؛ فإن أدركه مَن يعينه فعسى أن يعود إلى داره وتبقى له ؛ وإن أخرج من داره إلى الطريق فلا دار له ولا فناء .

فكتب مروان إلى ابن هبيرة يأمره أن يمدّ نصرًا ، وكتب إلى نصر يعلمه

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « المدا » .

(١) : « فتنان » .

ذلك ، فكتب نصر إلى ابن هبيرة مع خالد مولى بنى ليث يسأله أن يعجل إليه
الخنند ، فإن أهل خراسان قد كذبتهم حتى ما رجل منهم يصدق لى قولاً ؛
فأمدتني بعشرة آلاف قبل أن تمدتني بمائة ألف ، ثم لا تغنى شيئاً .

• • •

وحجّ في هذه السنة بالناس محمد بن عبد الملك بن مروان ؛ كذلك حدثني
أحمد بن ثابت ، عمن ذكره ؛ عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر .
وكانت إليه مكة والمدينة والطائف .

وكان فيها العراق إلى يزيد بن عمر بن هبيرة .
وكان على قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربى ، وكان على قضاء
البصرة عبّاد بن منصور ، وعلى خراسان نصر بن سيار ، والأمر بخراسان على
ما ذكرت .

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر موت نصر بن سيار]

فمّا كان فيها من ذلك توجّه قحطبة ابنه الحسن إلى نصر وهو بقوميس .
 فذكر عليّ بن محمد ؛ أن زهير بن هنيذ والحسن بن رشيد وجبلة بن فروخ
 التاجي ، قالوا : لما قُتِل نُبّانة ارتحل نصر بن سيار من بَدَش ، ودخل خُوار
 وأميرها أبو بكر العقيليّ ، ووجّه قحطبة ابنه الحسن إلى قوميس في المحرم سنة
 إحدى وثلاثين ومائة ، ثم وجّه قحطبة أبا كامل وأبا القاسم محرز بن إبراهيم
 وأبا العباس المروزيّ إلى الحسن في سبعمائة ، فلما كانوا قريباً منه ، انحاز
 أبو كامل وترك عسكره ، وأتى نصراً فصار معه ، وأعلمه مكان القائد الذي
 خلف ، فوجّه إليهم نصر جنداً فأتوهم وهم في حائط فحصرهم ، فنقب
 جميل بن مهران الحائط ، وهرب هو وأصحابه ، وخلفوا شيئاً من متاعهم
 فأخذ أصحاب نصر ، فبعث به نصر إلى ابن هُبيرة ، فعرض له عطيف ٢/٣
 بالريّ ، فأخذ الكتاب من رسول نصر والمتاع ، وبعث به إلى ابن هُبيرة ،
 فغضب^(١) نصر ، وقال : أبى يتلعب^(٢) ابن هُبيرة ! أيسغّب عليّ بضغاييس
 قيس^(٣) ! أما والله لأدعنه فليعرفنّ أنه ليس بشيء ولا ابنه الذي تربّص له
 الأشياء . وسار حتى نزل الريّ - وعلى الريّ حبيب بن بُذيل التهمليّ -
 فخرج عطيف من الريّ حين قدمها نصر إلى هَمْدان ، وفيها مالك بن
 أدهم بن محرز الباهليّ على الصّحصحيّة ، فلما رأى مالكا في هَمْدان
 عدل منها إلى أصبّهان إلى عامر بن ضُبارة - وكان عطيف في ثلاثة
 آلاف - وجّه ابن هُبيرة إلى نصّر ، فنزل الريّ ، ولم يأت نصراً . وأقام
 نصر بالريّ يومين ثم مرض ، فكان يُحْمَل حَمَلاً ؛ حتى إذا كان
 بساوة قريباً من هَمْدان مات بها ؛ فلما مات دخل أصحابه هَمْدان .

(٢) كذا في أ .

(١) ط : « فغضب » ، وما أثبتته من أ .

(٢) الضمّوس : الرجل الضعيف .

وكانت وفاة نصر - فيما قيل - لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول ، وهو ابن خمس وثمانين سنة .

وقيل إن نصرًا لما شخص من خوار متوجّهًا نحو الرى لم يدخل الرى ولكنه أخذ المفازة التى بين الرى وهمذان فأت بها .

• • •

رجع الحديث إلى حديث على عن شيوخه . قالوا : ولما مات نصر بن سيار بعث الحسن خازم بن خزيمية إلى قرية يقال لها سمعان ، وأقبل قحطبة من جرجان ، وقدم أمامه زياد بن زرارة القشيري ، وكان زياد قد ندم على اتباع أبي مسلم ، فأنزل^(١) عن قحطبة ، وأخذ طريق أصبهان يريد أن يأتى^(٢) عامر بن ضبارة ، فوجّه قحطبة المسيّب بن زهير الضبيّ ، فلحقه من غد بعد العصر فقاتله ، فانهزم زياد ، وقتل عامة من معه ، ورجع المسيّب بن زهير إلى قحطبة ، ثم سار قحطبة إلى قوميس وبها ابنه الحسن ، فقدم خازم من الوجه الذى كان وجهه فيه الحسن ، فقدم قحطبة ابنه الحسن إلى الرى . وبلغ حبيب ابن بديل النهشلى ومن معه من أهل الشام مسير الحسن ، فخرجوا من الرى ودخلها الحسن ، فأقام حتى قدم أبوه .

وكتب قحطبة حين قدم الرى إلى أبي مسلم يعلمه بنزوله الرى .

• • •

[أمر أبي مسلم مع قحطبة عند نزوله الرى]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة تحوّل أبو مسلم من مَرّو إلى نيسابور فنزلها .

• ذكر الخبر عما كان من أمر أبي مسلم هنالك
ومن قحطبة بعد نزوله الرى :

ولما كتب قحطبة إلى أبي مسلم بنزوله الرى ارتحل أبو مسلم - فيما ذكر - من مَرّو ، فنزل نيسابور وخذلق بها ، ووجّه قحطبة ابنه الحسن بعد نزوله الرى بثلاث إلى همدان ، فذكر على عن شيوخه وغيرهم أن الحسن بن قحطبة لما توجه إلى همدان ، خرج منها مالك بن أدهم ومن كان بها من أهل الشام وأهل خراسان إلى نهاوند ، فدعاهم مالك إلى أرواقهم ، وقال : من

(١) ابن الأثير : « فأنزل » . (٢) بمعناى ب : « على » .

كان له ديوان فليأخذ رزقه ، فترك قوم كثير دواوينهم ومضوا ، فأقام مالك ومن بقي معه من أهل الشام وأهل خراسان ممن كان مع نصر ، فسار الحسن من همدان إلى نهاوند ، فترل على أربعة فراسخ من المدينة ، وأمدّه قحطبة بأبي الجهم بن عطية مولى باهلة في سبعمائة ، حتى أطاف بالمدينة وحصرها^(١).

• • •

[ذكر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة أصبهان]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة قتل عامر بن ضبارة .

• ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك :

وكان سبب مقتله أن عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر لما هزمه ابن ضبارة مضى هارباً نحو خراسان ، وسلك إليها طريق كرمّان ، ومضى عامر بن ضبارة في أثره لطلبه ، وورد على يزيد بن عمر مقتل نباتة بن حنظلة بجرجان ؛ فذكر على بن محمد أن أبا السري وأبا الحسن الجشمي والحسن ابن رشيد وجبله بن فروج وحفص بن شبيب أخبروه ، قالوا : لما قتل نباتة كتب ابن هبيرة إلى عامر بن ضبارة وإلى ابنه داود بن يزيد بن عمر أن يسيرا إلى قحطبة - وكانا بكرّمان - فسارا في خمسين ألفاً حتى نزلوا أصبهان بمدينة جتي - وكان يقال لعسكر ابن ضبارة عسكر العساكر - فبعث قحطبة إليهم مقاتلاً وأبا حفص المهلب وأبا حماد المروزي مولى بني سليم وموسى بن عتيقيل^(٢) وأسلم بن حسان وذؤيب بن الأشعث وكلثوم بن شبيب ومالك بن طريف والمخارق بن غفار والهيثم بن زياد ؛ وعليهم جميعاً العكبي ، فسار حتى نزل قم . وبلغ ابن ضبارة نزول الحسن بأهل نهاوند ، فأراد أن يأتيهم معيناً لهم ، وبلغ الخبر العكبي ، فبعث إلى قحطبة يعلمه ، فوجه زهير بن محمد إلى قاشان ، وخرج العكبي من قم وخلف بها طريف بن غيلان^(٣) ، فكتب إليه قحطبة يأمره أن يقيم حتى يقدم عليه ، وأن يرجع إلى قم ، وأقبل قحطبة من الرمي ، وبلغه طلّاع العسكرين ؛ فلما لحق قحطبة بمقاتل بن حكيم

(١) ب : « وحصرها » . (٢) ط : « عقال » ، وانظر الفهرس . (٣) ا : « عجلان » .

العكبيّ ضمّ عسكر العكبيّ إلى عسكره ، وسار عامر بن ضَبارة إليهم وبينه وبين عسكر قَحطبة فرسخ ، فأقام أياماً ، ثم سار قَحطبة إليهم ، فالتقوا وعلى ميمنة قَحطبة العكبيّ ومعه خالد بن بتر ملك ، وعلى ميسرته عبد الحميد بن ربيعيّ ومعه مالك بن طريف — وقحطبة في عشرين ألفاً وابن ضَبارة في مائة ألف ، وقيل في خمسين ومائة ألف — فأمر قَحطبة بمصحف فنُصِب على رُمُح ثم نادى : يا أهل الشام ، إنا ندعوكم إلى ما في هذا المصحف ، فشتموه وأفحشوا في القول ، فأرسل إليهم قحطبة : احمِلوا عليهم ، فحمل عليهم العكبيّ ، وتهايج الناس ، فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم أهل الشام ، وقتلوا قتلاً ذريعاً ، وحوّوا عسكرهم ، فأصابوا شيئاً لا يُدْرى عدده من السلاح والمتاع والريق ، وبعث بالفتح إلى ابنه الحسن مع شريح بن عبد الله .

قال عليّ : وأخبرنا أبو الذّيال ، قال : لقي قحطبة عامر بن ضَبارة ، ومع ابن ضَبارة ناس من أهل خُرَاسان ، منهم صالح بن الحجاج النيمريّ وبشر ابن بيسطام بن عمران بن الفضل البرجميّ وعبد العزيز بن شماس المازنيّ وابن ضَبارة في خيل ليست معه رجالة ، وقحطبة معه خيل ورجالة . فرموا الخيل بالنُّشاب ، فانهزم ابن ضَبارة حتى دخل عسكره ، واتّبعه قحطبة ، فترك ابن ضَبارة العسكر ، ونادى : إلىّ ، فانهزم الناس وقتل .

قال عليّ : وأخبرنا المفضل بن محمد الضبيّ ، قال : لما لقي قحطبة ابن ضَبارة انهزم داود بن يزيد بن عمر ، فسأل عنه عامر ، فقليل : انهزم ، فقال : لمن الله شرّاً منقلباً ! وقاتل حتى قتل .

قال عليّ : وأخبرنا حفص بن شبيب ، قال : حدثني مَنْ شهد قَحطبة وكان معه ، قال : ما رأيتُ عسكراً قطّ جَمَعَ ما جمع أهل الشام بإصبيان من الخيل والسلاح والريق ، كأننا افتتحنا مدينة ، وأصبنا معهم ما لا يحصى من البرابط والطناير والمزامير ؛ ولَقَلَّ بيت أو خيـاء ندخله إلا أصبنا فيه زُكُرة أو زِقّاً من الخمر ، فقال بعض الشعراء :

لما رَمَيْنَا مُضْراً بالقبْ قَرَضَبُهُمْ قَحْطَبَةُ الْقِرْضَبِ
يَدْعُونَ مَرْوَانَ كَدَعَوْىَ الرَّبِّ .

[ذكر خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها]

وفي هذه السنة كانت وقعة قحطبة بنهاوند بمن* كان بلخا إليها من جنود مروان بن محمد . وقيل : كانت الوقعة بجابلق من أرض أصبهبان يوم السبت لسبع بقين من رجب .

• ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

ذكر علي* بن محمد أن الحسن بن رشيد وزهير بن الهندي أخبراه أن ابن ضبارة لما قتل كتب بذلك قحطبة إلى ابنه الحسن ، فلما أتاه الكتاب كبر وكبر جنده ، ونادوا بقتله ، فقال عاصم بن عمير ^(١) السعدي : ما صاح هؤلاء بقتل ابن ضبارة إلا وهو حق ، فاخرجوا إلى الحسن بن قحطبة وأصحابه ؛ فإنكم لا تقومون لهم ، فتذهبون حيث شئتم قبل أن يأتيه أبوه أو مدده ^(٢) . فقالت الرجال : تخرجون وأنتم فرسان على خيول فتذهبون وتتركونا ! فقال لهم مالك ابن أدهم الباهلي : كتب إلى ابن هبيرة ولا أبرح حتى يقدم علي* . فأقاموا وأقام ^{v/٣} قحطبة بأصبهان عشرين يوماً ، ثم سار حتى قدم على الحسن نهاوند فحصرهم أشهراً ، ثم دعاهم إلى الأمان فأبوا ، فوضع عليهم المجانيق ، فلما رأى ذلك مالك طلب الأمان لنفسه ولأهل الشام — وأهل خراسان لا يعلمون — فأعطاه الأمان فوقتي له قحطبة ، ولم يقتل منهم أحداً ، وقتل من كان بنهاوند من أهل خراسان ، إلا الحكم بن ثابت بن أبي مسعر الحنفي ، وقتل من أهل خراسان أبا كامل وحاتم بن الحارث بن شريح وابن نصر بن سيار وعاصم بن عمير وعلي* بن عقيم وبيتهس بن بديل من بني سليم ؛ من أهل الجزيرة ، ورجلا من قریش يقال له البختری ، من أولاد عمر بن الخطاب — وزعموا أن آل الخطاب لا يعرفونه — وقطس بن حرب الهلالي .

قال علي* : وحدتنا بجي بن الحكم الهمداني ، قال : حدثني مولى لنا قال : لما صالح مالك بن أدهم قحطبة قال بيتهس بن بديل : إن ابن أدهم لمصالح ^(٣) علينا ، والله لأفتكن به ؛ فوجد أهل خراسان أن قد فتح لهم الأبواب ، ودخلوا وأدخل قحطبة من كان معه من أهل خراسان حائطاً .

(١) ب : « عمر » . (٢) ١ : « مدد من قبله » . (٣) ط : « ليصالح » .

وقال غير عليّ: أرسل قحطبة إلى أهل خراسان الذين في مدينة نَهَاوند يَسُدُّوهم إلى الخروج إليه ، وأعطاهم الأمان ، فأبَوْا ذلك . ثم أرسل إلى أهل الشام بمثل ذلك فقبلوا ، ودخلوا في الأمان بعد أن حوصروا ثلاثة أشهر: شعبان ورمضان وشَوَّال ، وبعث أهل الشام إلى قحطبة يسألونه أن يشغل أهل المدينة حتى يفتحوا الباب وهم لا يشعرون ، ففعل ذلك قحطبة ، وشغل أهل المدينة بالقتال ، ٨/٣ ففتح أهل الشام الباب الذي كانوا عليه ؛ فلما رأى أهل خراسان الذين في المدينة خروج أهل الشام ، سألوهم عن خروجهم ، فقالوا : أخذنا الأمان لنا ولكم ، فخرج رؤساء أهل خراسان ، فدفع قحطبة كلَّ رجل منهم إلى رجلٍ من قوَّاد أهل خراسان ، ثم أمر مناديه فنَادَى : مَنْ كَانَ فِي يَدِهِ أَسِيرٌ مِمَّنْ خَرَجَ إِلَيْنَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَلْيَضْرِبْ عَقْبَهُ ، وَلْيَأْتِنَا بِرَأْسِهِ . ففعلوا ذلك ، فلم يبقَ أَحَدٌ مِمَّنْ كَانَ قَدْ هَرَبَ مِنْ أَبِي مُسْلَمٍ وَصَارُوا إِلَى الْحَصْنِ إِلَّا قُتِلَ ، مَا خَلَا أَهْلَ الشَّامِ فَإِنَّهُ خَلَّى سَبِيلَهُمْ ، وَأَخَذَ عَلَيْهِمْ أَلَا بِمَالَتُوا عَلَيْهِ عَدُوًّا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عليّ عن شيوخه الذين ذكروا : ولما أدخل قحطبة الذين كانوا يَسُدُّوهم من أهل خراسان ومن أهل الشام الحائط ، قال لهم عاصم بن عمير : ويلكم ! ألا تدخلون الحائط ! وخرج عاصم فلبس درعه ، ولبس سواداً كان معه ، فلقبه شاكريّ كان له بخراسان فعرفه ، فقال : أبو الأسود ؟ قال : نعم ، فأدخله في مَسْرَب ، وقال لغلام له : احتفظ به ولا تطلعن عليّ مكانه أحدًا ، وأمر قحطبة : مَنْ كَانَ عِنْدَهُ أَسِيرٌ فَلْيَأْتِنَا بِهِ . فقال الغلام الذي كَانَ وَكَلَّ بِعَاصِمٍ : إِنْ عِنْدِي أَسِيرٌ أَخَافُ أَنْ أَغْلِبَ عَلَيْهِ ، فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، فَقَالَ : أَرْنِيهِ ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ فَعَرَفَهُ ، فَأَتَى قحطبة فَأَخْبَرَهُ ، وَقَالَ : رَأْسُ مَنْ رَعَوْسُ الْجَبَابِرَةِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَقَتَلَهُ ، وَوَفَّى لِأَهْلِ الشَّامِ فَلَمْ يَقْتُلْ مِنْهُمْ أَحَدًا .

قال عليّ: وأخبرنا أبو الحسن الحُرَّاسانيّ وحبلة بن فروخ ؛ قالوا : لما قدم قحطبة نَهَاوند والحسن محاصره ، أقام قحطبة عليهم ، ووجه الحسن إلى مَرَجِ الْقَلْعَةِ ، فَقَدَّمَ الْحَسَنُ خَازِمَ بْنَ خُرَيْمَةَ إِلَى حُلُوانَ ، وَعَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ ٩/٣

ابن العلاء الكِنْدِيّ ، فهرب من حُلوان وخلاًّها .

قال عليّ : وأخبرنا محرز بن إبراهيم ، قال : لما فتح قحطبة نَمَهاوند ، أرادوا أن يكتبوا إلى مَرْوان باسم قَحْطُبة ، فقالوا : هذا اسم شنيع ، اقلّبوه فجاء « هبط حق » ، فقالوا : الأول مع شنعته أيسر من هذا . فردّوه ^(١) .

* * *

[ذكر وقعة شهرزور وفتحها]

وفي هذه السنة كانت وقعة أبي عون بشهرزور .

• ذكر الخبر عنها وعمّا كان فيها :

ذكر عليّ أن أبا الحسن وجبلة بن فروخ ، حدثاه قالا : وجه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ومالك بن طريف ^(٢) الخراساني في أربعة آلاف إلى شهرزور ، وبها عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مَرْوان ، فقدم أبو عون ومالك ، فنزلا على فرسخين من شهرزور ، فأقاما به يوماً وليلة ، ثم ناهضا عثمان بن سفيان في العشرين من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين ومائة فقتل عثمان بن سفيان ، وبعث أبو عون بالبشارة مع إسماعيل بن المتوكل ، وأقام أبو عون في بلاد الموصل .

وقال بعضهم : لم يُقتل عثمان بن سفيان ، ولكنه هرب إلى عبد الله بن مَرْوان ، واستباح أبو عون عسكره ، وقتل من أصحابه مقتلة عظيمة بعد قتال شديد . وقال : كان قحطبة وجه أبا عون إلى شهرزور في ثلاثين ألفاً بأمر أبي مسلم إياه بذلك . قال : ولما بلغ خبر أبي عون مروان وهو بخرّان ، ارتحل ١٠/٣ منها ومعه جنود الشام والجزيرة والموصل ، وحشرت بنو أمية معه أبناءهم مقبلا إلى أبي عون ؛ حتى انتهى إلى الموصل ، ثم أخذ في حفر الخنادق من خندق إلى خندق ؛ حتى نزل الزّاب الأكبر ، وأقام أبو عون بشهرزور بقية ذي الحجة والمحرم من سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وفرض فيها لخمسة آلاف رجل .

(١) : « فتركوه » .

(٢) : أ و ب : « طراف » ، ابن الأثير : « طرافة » .

[ذكر خبر مسير قحطبة إلى ابن هبيرة بالعراق]

وفي هذه السنة سار قحطبة نحو ابن هبيرة ، ذكر علي بن محمد أن أبا الحسن أخبره وزهير بن هنيذ وإسماعيل بن أبي إسماعيل وجبله بن فروخ ، قالوا : لما قدم علي ابن هبيرة ابنه منهزماً من حلوان ، خرج يزيد بن عمر بن هبيرة ، فقاتل قحطبة في عدد كثير لا يُحصى مع حوثة بن سهيل الباهلي ، وكان مروان أمد ابن هبيرة به ، وجعل على الساقة زياد بن سهل الغطفاني ، فسار يزيد بن عمر بن هبيرة ، حتى نزل جلولاء الواقعة وخندق ، فاحتفر الخندق الذي كانت العجم احتفرته أيام وقعة جلولاء ؛ وأقيل قحطبة حتى نزل قرماسين ، ثم سار إلى حلوان ، ثم تقدم من حلوان ، فنزل خانقين ، فارتحل قحطبة من خانقين ، وارتحل ابن هبيرة راجعاً إلى الدسكرة .

وقال هشام عن أبي مخنف ، قال : أقبل قحطبة ، وابن هبيرة مخندق بجلولاء ، فارتفع إلى عكبراء ، وجاز قحطبة دجلة ، ومضى حتى نزل دما دون الأنبار^(١) ، وارتحل ابن هبيرة بمن معه منصرفاً مبادراً إلى الكوفة لقحطبة ، حتى نزل في الفرات في شريقه ، وقدم حوثة في خمسة عشر ألفاً إلى الكوفة ، وقطع قحطبة الفرات من دما ، حتى صار من غربيته ، ثم سار يريد الكوفة حتى انتهى إلى الموضع الذي فيه ابن هبيرة .

* * *

وفي هذه السنة حج بالناس الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي ؛ سعد هوازن ، وهو ابن أخي عبد الملك بن محمد بن عطية الذي قتل أبا حمزة الخارجي . وكان إلى المدينة من قبل عمه ، حدثني بذلك أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال الواقدي وغيره .

وقد ذكر أن الوليد بن عروة إنما كان خرج خارجاً من المدينة ، وكان مروان قد كتب إلى عمه عبد الملك بن محمد بن عطية يأمره أن يحج بالناس وهو باليمن ؛ فكان من أمره ما قد ذكرت قبل ، فلما أبطأ عليه عمه عبد الملك

(١) ب : « بما دون الأنبار » .

افعل كتاباً من عمه يأمره بالحج بالناس ، فحج بهم .
 وذكر أن الوليد بن عروة بلغه قتل عمه عبد الملك فضى [إلى] الذين قتلوه ،
 فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وبقر بطون نسائهم ، وقتل الصبيان ، وحرق
 بالنيران من قدر عليه منهم .

• • •

وكان حامل مكة والمدينة والطائف في هذه السنة الوليد بن عروة السعدي
 من قبل عمه عبد الملك بن محمد ، وعامل العراق يزيد بن عمر بن هبيرة .
 وعلى قضاء الكوفة الحجاج بن عاصم المحاربي ، وعلى قضاء البصرة عباد
 ابن منصور الناجي .

ثم دخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

١٢/٣

• • •

[ذكر الخبر عن هلاك قحطبة بن شبيب]

فَمَا كَانَ فِيهَا هَلَاكُ قَحْطَبَةَ بْنِ شَبِيبٍ .

• ذكر الخبر عن مهلكه وسبب ذلك :

فكان السبب في ذلك أن قحطبة لما نزل خانقين مقبلاً إلى ابن هبيرة ، وابن هبيرة بجملولاء ، ارتحل ابن هبيرة من جملولاء إلى الدسكرة ، فبعث — فيما ذكر — قحطبة ابنه الحسن طليعةً ليعلم له خبر ابن هبيرة ، وكان ابن هبيرة راجعاً إلى خندقه بجملولاء ، فوجد الحسن بن هبيرة في خندقه ، فرجع إلى أبيه فأخبره بمكان ابن هبيرة ؛ فذكر على بن محمد ، عن زهير بن هنيذ وجلة ابن فروخ وإسماعيل بن أبي إسماعيل والحسن بن رشيد ، أن قحطبة ، قال لأصحابه لما رجع ابنه الحسن إليه وأخبره بما أخبره به من أمر ابن هبيرة : هل تعلمون طريقاً يخرجنا إلى الكوفة ، لانمرّ بـابن هبيرة ؟ فقال خلف بن المورع الهمداني ، أحد بني تميم : نعم ، أنا أدلك ، فعبر به تامرًا من رُستُقْبَاد ، ولزم الجادة حتى نزل بُزْرُج سابور ، وأتى عكبراء ، فعبر دجلة إلى أوانا .

قال عليّ : وحدّثنا إبراهيم بن يزيد الخراساني ، قال : نزل قحطبة بخانقين وابن هبيرة بجملولاء ؛ بينهما خمسة فراسخ ، وأرسل طلائعه إلى ابن هبيرة ليعلم علمه ، فرجعوا إليه ، فأعلموه أنه مقيم ، فبعث قحطبة خازم بن خزيمه ، وأمره أن يعبر دجلة ، فعبر وسار بين دجلة ودجيل ، حتى نزل كوثبا^(١) ؛ ثم كتب إليه قحطبة يأمره بالمسير إلى الأنبار ، وأن يُحذر إليه ما فيها من السفن وما قدّر عليه يعبرها ، ويوافيه بها بدميًا ، ففعل ذلك خازم ، ووافاه قحطبة بدميًا ، ثم عبر قحطبة الفُرات في المحرم من سنة اثنتين وثلاثين

١٢/٣

ومائة، ووجه الانتقال في البرية، وصارت الفرسان معه على شاطئ الفرات، وابن هبيرة معسكر على فم الفرات من أرض الفلوجة العليا، على رأس ثلاثة وعشرين فرسخاً من الكوفة، وقد اجتمع إليه فكل ابن ضبارة، وأمدّه مروان بحوثة بن سهيل الباهلي في عشرين ألفاً من أهل الشام.

وذكر على أن الحسن بن رشيد وجبله بن فروخ أخبراه أن قحطبة لما ترك ابن هبيرة ومضى يريد الكوفة، قال حوثة بن سهيل الباهلي وناس من وجوه أهل الشام لابن هبيرة: قد مضى قحطبة إلى الكوفة، فاقصد أنت خراسان، ودعه مروان فإنك تكسره، فبالخرى أن يتبعك، فقال: ما هذا برأى، ما كان ليتبعني ويدع الكوفة، ولكن الرأي أن أبادره إلى الكوفة. ولما عبر قحطبة الفرات، وسار على شاطئ الفرات ارتحل ابن هبيرة من معسكره بأرض الفلوجة، فاستعمل على مقدمته حوثة بن سهيل، وأمره بالمسير إلى الكوفة، والفريقان يسيران على شاطئ الفرات؛ ابن هبيرة بين الفرات وسورا، وقحطبة في غربيه مما يلي البر. ووقف قحطبة فعبّر إليه رجل أعرابي في زورق، فسلم على قحطبة، فقال: ممن أنت؟ قال: من طيبي، فقال الأعرابي لقحطبة: اشرب من هذا واسقني سؤرك، فغرف قحطبة في قصعة فشرب وسقاه، فقال: الحمد لله الذي نسأ أجلي حتى رأيت هذا الجيش ١٤/٣ يشرب من هذا الماء. قال قحطبة: أتتلك الرواية؟ قال: نعم؛ قال: ممن أنت؟ قال: من طيبي، ثم أحد بني نبهان، فقال قحطبة: صدقني إمامي، أخبرني أن لي وقعة على هذا النهر لي فيها النصر، يا أخا بني نبهان، هل ها هنا مخاضة؟ قال: نعم ولا أعرفها، وأدلك على من يعرفها؛ السندی بن عصم. فأرسل إليه قحطبة، فجاء وأبو السندی وعون، فدلوهم على المخاضة وأمسى ووافته مقدمة ابن هبيرة في عشرين ألفاً، عليهم حوثة.

فلذكر على، عن ابن شهاب العبدى، قال: نزل قحطبة الجبارية^(١) فقال: صدقني الإمام أخبرني أن النصر بهذا المكان، وأعطى الجند أرزاقهم، فرد عليه كاتبه ستة عشر ألف درهم، فضل الدرهم والدرهمين وأكثر وأقل، فقال: لا تزالون بخير ما كنتم على هذا. ووافته خيول الشام، وقد دلوهم على

(١) كذا في ب وابن الأثير، وفي ط «الحاضرة» بدون نقط.

مخاضة فقال: إنما أنتظر شهر حرام وليلة عاشوراء، وذلك سنة اثنتين وثلاثين ومائة.

• • •

وأما هشام بن محمد، فإنه ذكر عن أبي مخنف أن قحطبة انتهى إلى موضع مخاضة ذكرت له، وذلك عند غروب الشمس ليلة^(١) الأربعاء؛ لئان خلون من المحرم سنة اثنتين وثلاثين ومائة، فلما انتهى قحطبة إلى المخاضة اقتحم في عِدَّة من أصحابه، حتى حمل على ابن هبيرة، وولى أصحابه منهزمين؛ ثم نزلوا فم النيل، ومضى حوثة حتى نزل قصر ابن هبيرة، وأصبح أهل خراسان وقد فقدوا أميرهم، فألقوا بأيدهم، وعلى الناس الحسن بن قحطبة.

• • •

رجع الحديث إلى حديث عليّ عن ابن شهاب العبدى: فأما صاحب ١٥/٣ علم قحطبة خيران أو يسار مولاة، فقال^(٢) له: اعبر، وقال لصاحب رايته مسعود بن علاج (رجل من بكر بن وائل): اعبر، وقال لصاحب شرطته عبد الحميد بن ربيع أبي غانم أحد بني نبهان من طي: اعبر يا أبا غانم، وأبشر بالغنيمة. وعبر جماعة حتى عبر أربع مائة، فقاتلوا أصحاب حوثة حتى نحوهم عن الشريعة، ولقوا محمد بن نباتة فقاتلوه، ورفعوا النيران، وانهزم أهل الشام، وفقدوا قحطبة فبايعوا حميد بن قحطبة على كره منه، وجعلوا على الأتقال رجلاً يقال له أبو نصر في مائتين، وسار حميد حتى نزل كربلاء، ثم دبر الأعور ثم العباسية.

قال عليّ: أخبرنا خالد بن الأصفح وأبو الذيثال، قالوا: وجد قحطبة فدفعه أبو الجهم، فقال رجل من عرض الناس: من كان عنده عهد من قحطبة فليخبرنا به، فقال مقاتل بن مالك العسكى: سمعت قحطبة يقول: إن حدثت بي حدث فالحسن أمير الناس، فبايع الناس حميداً للحسن. وأرسلوا إلى الحسن، فلحقه الرسول دون قرية شاهی، فرجع الحسن فأعطاه أبو الجهم خاتم قحطبة، وبايعوه، فقال الحسن: إن كان قحطبة مات فأنا ابن قحطبة. وقتل في هذه الليلة ابن نسيهان السدوسي وحرب بن سلم بن

أحوز وعيسى بن إلياس العدويّ ورجل من الأساورة، يقال له مصعب، وادّعى قتل قحطبة معن بن زائدة ويحيى بن حُضَيْن . ١٦/٣

قال عليّ : قال أبو الذِّيَال : وجدوا قحطبة قتيلا في جدول وحرب بن سلم بن أحوز قتيلا إلى جنبه ، فظنوا أن كل واحد منهما قتل صاحبه

قال عليّ : وذكر عبد الله بن بدر قال : كنت مع ابن هبيرة ليلة قحطبة فعبروا إلينا ، فقاتلونا على مسنّة عليها خمسة فوارس ؛ فبعث ابن هبيرة محمد بن نُبّانة ، فتلّقاهم فدفعناهم دفعاً ، وضرب معن بن زائدة قحطبة على حبل عاتقه ، فأسرعه فيه السيف ، فسقط قحطبة في الماء فأخرجوه ، فقال : شدوا يديّ ، فشدوها بعمامة ، فقال : إن متّ فألقوني في الماء لا يعلم أحد بقتلي . وكرّ عليهم أهل خراسان ، فانكشف ابن نُبّانة وأهل الشام ، فاتبعونا وقد أخذ طائفة في وجهه ، ولحقنا قوم من أهل خراسان ، فقاتلناهم طويلا ، فما فجعونا إلّا برجلين من أهل الشام قاتلوا عنا قتالا شديداً ، فقال بعض الخراسانية : دعوا هؤلاء الكلاب (بالفارسية) فانصرفوا عنا . ومات قحطبة وقال قبل موته : إذا قدمتم الكوفة فوزير الإمام أبو سلمة ؛ فسلموا هذا الأمر إليه . ورجع ابن هبيرة إلى واسط .

وقد قيل في هلاك قحطبة قول غير الذي قاله من ذكرنا قوله من شيوخ عليّ بن محمد ؛ والذي قيل من ذلك أن قحطبة لما صار بخداء ابن هبيرة من الجانب الغربيّ من الفرات ، وبينهما الفرات ، قدّم الحسن ابنه على مقدّمته ، ثم أمر عبد الله الطائيّ ومسعود بن علاج وأسد بن المرزبان وأصحابهم بالعبور على خيولهم في الفرات ، فعبّروا بعد العصر ، فطعن أول فارس لقيهم من أصحاب ابن هبيرة ، فولّوا منهزمين حتى بلغت هزيمتهم جسر سورا حتى اعترضهم سويد صاحب شرطة ابن هبيرة ، فضرب وجوههم ووجوه دوابهم ١٧/٣ حتى ردّهم إلى موضعهم ؛ وذلك عند المغرب ؛ حتى انتهوا إلى مسعود بن علاج ومن معه ؛ فكثروهم ، فأمر قحطبة المخارق بن غفار وعبد الله بسّام وسلمة ابن محمد - وهم في جريدة خيل - أن يعبروا ، فيكونوا ردءاً لمسعود بن علاج ،

فعبروا ولقيهم محمد بن نباتة ، فحصر سلمة ومن معه بقرية على شاطئ
الفرات ، وترجل سلمة ومن معه ، وحمى القتال ، فجعل محمد بن نباتة
يحمل على سلمة وأصحابه ، فيقتل العشرة والعشرين ، ويحمل سلمة وأصحابه
على محمد بن نباتة وأصحابه ، فيقتل منهم المائة والمائتين ، وبعث سلمة إلى
قحطبة يستمدّه ، فأمدّه بقواده جميعاً ، ثم عبر قحطبة بفُرسانه ، وأمر كل
فارس أن يردف رجلاً ؛ وذلك ليلة الخميس لليال خلون من المحرم ، ثم واقع
قحطبة محمد بن نباتة ومن معه ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فهزّمهم قحطبة
حتى ألحقهم بآبن هُبيرة ، وانهمزم ابن هُبيرة بهزيمة ابن نباتة ، وخلّوا عسكرهم
وما فيه من الأموال والسلاح والرّثة^(١) والآنية وغير ذلك ؛ ومضت بهم الهزيمة
حتى قطعوا جسر الصّراة ، وساروا ليلتهم حتى أصبحوا بنفم النيل ، وأصبح
أصحاب قحطبة وقد فقدوه ؛ فلم يزالوا في رجاء منه إلى نصف النهار ، ثم
يشسوا منه وعلموا بغرقه ، فأجمع القوّاد على الحسن بن قحطبة فولّوه الأمر
وبايعوه ، فقام بالأمر وتولاه ، وأمر بإحصاء ما في عسكر ابن هُبيرة ، ووكل
بذلك رجلاً من أهل خراسان يكنى أبا النصر^(٢) في مائتي فارس ، وأمر بحمل
الغنائم في السفن إلى الكوفة ، ثم ارتحل الحسن بالجنود حتى نزل كربلاء ،
ثم ارتحل فنزل سورا ، ثم نزل بعدها دير الأعور ، ثم سار منه فنزل العباسيّة . ١٨/٣
وبلغ حوثرة هزيمة ابن هُبيرة ، فخرج بمن معه حتى لحق بآبن هُبيرة بواسطة .

وكان سبب قتل قحطبة - فيما قال هؤلاء - أن أحلم بن إبراهيم بن بسام مولّى
بنى ليث قال : لما رأيت قحطبة في الفرات ، وقد سبّحت به دابته حتى كادت
تعبر به من الجانب الذي كنت فيه أنا وبسام بن إبراهيم أخى - وكان بسام
على مقدّمة قحطبة - فذكرت من قتل من ولد نصر بن سيار وأشياء ذكرتها
منه ؛ وقد أشفقت على أخى بسام بن إبراهيم لشيء بلغه عنه ، فقلت : لا
طلبتُ بثأراً أبداً إن نجوت الليلة . قال : فأتلّقاها وقد صعدت به دابته لتخرج
من الفرات وأنا على الشطّ ، فضرّبت بالسيف على جبينه ، فوثب فرسه ، وأعجله
الموت ؛ فذهب في الفرات بسلاحه . ثم أخبر ابن حصين السعدى بعد موت

(٢) ط : « النصر » .

(١) الرّثة : المتاع ، وقطع : « الزينة » .

أحلم بن إبراهيم بمثل ذلك ، وقال : لولا أنه أقرّ بذلك عند موته ما أخبرت عنه بشئ . *

• • •

[ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسوداً]

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة خرج محمد بن خالد بالكوفة ، وسود قبل أن يدخلها الحسن بن قحطبة ، وخرج عنها عامل ابن هبيرة ، ثم دخلها الحسن .

• ذكر الخبر عما كان من أمر من ذكرت :

ذكر هشام ، عن أبي مخنف ، قال : خرج محمد بن خالد بالكوفة في ليلة عاشوراء ، وعلى الكوفة زياد بن صالح الحارثي ، وعلى شرطه عبد الرحمن ابن بشير العجليّ ، وسود محمد وسار إلى القَصْر ، فارتحل زياد بن صالح وعبد الرحمن بن بشير العجليّ ومَنْ مَعَهُمْ من أهل الشام ، ونخلوا ^(١) القصر ، ١٩/٣ فدخله محمد بن خالد ، فلما أصبح يوم الجمعة — وذلك صبيحة اليوم الثاني من مهلك قحطبة — بلغه نزول حوثة ^(٢) ومَنْ مَعَهُ مدينة ابن هبيرة ، وأنه تهيأ للمسير إلى محمد ، ففترق عن محمد عامة مَن معه حيث بلغهم نزول حوثة مدينة ابن هبيرة ، ومسيره إلى محمد لقتاله ؛ إلا فرساناً من فرسان أهل اليمن ، ممن كان هرب من مَرَوَان ومواليه . وأرسل إليه أبو سلمة الخلال — ولم يظهر بعد — يأمره بالخروج من القصر والحق بأسفل الفرات ؛ فإنه يخاف عليه لقلة مَن معه وكثرة مَن مع حوثة — ولم يبلغ أحداً من الفريقين هلاك قحطبة — فأبى محمد بن خالد أن يفعل حتى تعالى النهار ، فتهيأ حوثة للمسير إلى محمد بن خالد ؛ حيث بلغه قلة مَن معه وخذلان العامة له ، فبينما محمد في القصر إذ أتاه بعض طلائعه ، فقال له : خيل قد جاءت من أهل الشام ، فوجه إليهم عدّة من مواليه ، فأقاموا بباب دار عمر بن سعد ؛ إذ طلعت الرايات لأهل الشام ، فتهيئوا لقتالهم ، فنادى الشاميون : نحن بجسيلة ، وفينا مليح بن خالد البجليّ ، جئنا لندخل في طاعة الأمير . فدخلوا ، ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل بحدل ، فلما رأى ذلك حوثة من صنع

(٢) ب : « الحوثة » .

(١) ب : « ودخلوا » .

أصحابه ، ارتحل نحو واسط بمن معه ، وكتب محمد بن خالد من ليلته إلى قحطبة ؛ وهو لا يعلم بهلُكته ؛ يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة ، وعجل به مع فارس ؛ فقدم على الحسن بن قحطبة ، فلما دفع إليه كتاب محمد بن خالد قرأه على الناس ، ثم ارتحل نحو الكوفة ، فأقام محمد بالكوفة يوم الجمعة والسبت والأحد وصَبَّحه الحسن يوم الاثنين ، فأتوا أبا سلمة وهو في بني سلمة (١) فاستخرجوه ، فعسكر بالنخيلة يومين ، ثم ارتحل إلى حمام أعين ، ووجه الحسن ابن قحطبة إلى واسط لقتال ابن هُبيرة .

وأما علي بن محمد ، فإنه ذكر أن عمارة مولى جبرائيل بن يحيى أخبره ، قال : بايع أهل خراسان الحسن بعد قحطبة ، فأقبل إلى الكوفة ، وعليها يومئذ عبد الرحمن بن بشير العجلي ، فأتاه رجل من بني ضَبَّة ، فقال : إن الحسن داخل اليوم أو غداً ؛ قال : كأنك جئت تُرهنني ! وضربه ثلاثاً سوط . ثم هرب فسود محمد بن خالد بن عبد الله القسري ، فخرج في أحد عشر رجلاً ، ودعا الناس إلى البيعة ، وضبط الكوفة ، فدخل الحسن من الغد ، فكانوا يسألون في الطريق : أين منزل أبي سلمة ، وزير آل محمد ؟ فدلّوهم عليه ، فجاءوا حتى وقفوا على بابه ، فخرج إليهم ، فقدّموا له دابة من دواب قحطبة فركبها ، وجاء حتى وقف في جبانة السَّبَّيع ، وبايع أهل خراسان ، فكش أبو سلمة حفص بن سليمان مولى السَّبَّيع — يقال له وزير آل محمد — واستعمل محمد بن خالد بن عبد الله القسري على الكوفة — وكان يقال له الأمير — حتى ظهر أبو العباس .

وقال علي : أخبرنا جبلة بن فروخ وأبو صالح المروزي وعمارة مولى جبرائيل وأبو السري وغيرهم ممن قد أدرك أول دعوة بني العباس ، قالوا : ثم وجه الحسن ابن قحطبة إلى ابن هُبيرة بواسط ، وضم إليه قواداً ، منهم خازم بن خزيمه ومقاتل بن حكيم العكي وخفّاف بن منصور وسعيد بن عمرو وزباد بن مشكان والفضّل بن سليمان وعبد الكريم بن مسلم وعثمان بن نَهْيَك وزهير بن محمد والهيثم بن زياد وأبو خالد المروزي وغيرهم ، ستة عشر قائداً وعلى جميعهم

الحسن بن قحطبة . ووجه حميد بن قحطبة إلى المدائن في قواد ؛ منهم عبد الرحمن بن نعيم ومسعود بن علاج ؛ كل قائد في أصحابه . وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك إلى ديرقن ، وبعث المهلب وشراحيل في أربعمائة إلى عين التمر ، وبسام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز ، وبها عبد الواحد ابن عمر بن هبيرة . فلما أتى بسام الأهواز خرج عبد الواحد إلى البصرة ، وكتب مع حفص بن السبيع إلى سفيان بن معاوية بعهد على البصرة ، فقال له الحارث أبو غسان الحارثي - وكان يتكهن وهو أحد بني الديان : لا ينفذ هذا العهد . فقدم الكتاب على سفيان ، فقاتله سلم بن قتيبة ، وبطل عهد سفيان . وخرج أبو سلمة فعسكر عند حمام أعين ، على نحو من ثلاثة فراسخ من الكوفة ، فأقام محمد بن خالد بن عبد الله بالكوفة .

وكان سبب قتال سلم بن قتيبة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب - فيما ذكر - أن أبا سلمة الخلال وجه إذ فرق العمال في البلدان بسام بن إبراهيم مولى بني ليث إلى عبد الواحد بن عمر بن هبيرة وهو بالأهواز ، فقاتله بسام حتى فضته ، فلحق سلم بن قتيبة الباهلي بالبصرة ؛ وهو يومئذ عامل ليزيد بن عمر بن هبيرة . وكتب أبو سلمة إلى الحسن بن قحطبة أن يوجه إلى سلم من أحب من قواده ، وكتب إلى سفيان بن معاوية بعهد على البصرة ، وأمره أن يظهر بها دعوة بني العباس ، ويدعو إلى القائم منهم ؛ وينى ^(١) سلم ابن قتيبة . فكتب سفيان إلى سلم يأمره بالتحول عن دار الإمارة ، ويخبره بما أتاه من رأى أبي سلمة ؛ فأبى سلم ذلك ، وامتنع منه ، وحشد مع سفيان جميع البانية وحلفاءهم من ربيعة وغيرهم ، وجنح إليه قائد من قواد ابن هبيرة ؛ وكان بعث مدداً لسلم في ألفي رجل من كلب ، فأجمع السير إلى سلم بن قتيبة ، فاستعد له سلم ، وحشد معه من قدر عليه من قيس وأحياء مضر ومن كان بالبصرة من بني أمية ومواليهم ، وسارعت بنو أمية إلى نصره .

فقدم سفيان يوم الخميس وذلك في صفر ؛ فأتى المريد سلم ، فوقف منه عند سوق الإبل ، ووجه الخيول في سكة المريد وسائر سبائك البصرة للقاء من وجه إليه سفيان ، ونادى : من جاء برأس فله خمسمائة درهم ، ومن

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « يني » .

جاء بأسير فله ألف درهم . ومضى معاوية بن سفيان بن معاوية في ربيعة خاصة ، فلقبه خيل^(١) من تميم في السكة التي تأخذ إلى بني عامر في سكة المريد عند الدار التي صارت لعمر بن حبيب ، فطعن رجل^٢ منهم فرس معاوية ، فشب به فصرعه ؛ فنزل إليه رجل من بني ضبة يقال له عياض ، فقتله ، وحمل رأسه إلى سلكم بن قتيبة ، فأعطاه ألف درهم ، فانكسر سفيان لقتل ابنه ، فانهزم ومسن معه ، وخرج من فوره هو وأهل بيته حتى أتى القصر الأبيض فنزلوه ، ثم ارتحلوا منه إلى كسكر .

وقدم على سلم بعد غلبته على البصرة جابر بن توبة الكلابي والوليد بن عتبة الفراسي ، من ولد عبد الرحمن بن سمرة في أربعة آلاف رجل ، كتب إليهم ابن هبيرة أن يصيروا مدداً لسلكم وهو بالأهواز ، فعدا جابر بمسن معه على دور المهلب وسائر الأزد ، فأغاروا عليهم ، فقاتلهم مسن بى من رجال الأزد قتلاً شديداً حتى كثرت القتلى فيهم ؛ فانهزموا ، فسبى جابر ومسن معه من أصحابه النساء ، وهدموا الدور وانتهبوا ؛ فكان ذلك من فعلهم ثلاثة أيام ؛ فلم يزل سلكم مقيماً بالبصرة حتى بلغه قتل ابن هبيرة ، فشنخص عنها فاجتمع من البصرة من ولد الحارث بن عبد المطلب إلى محمد بن جعفر فولوه أمرهم فوليهم أياماً يسيرة ، حتى قدم البصرة أبو مالك عبد الله بن أسيد الخزاعي من قبل أبي مسلم ، فوليها خمسة أيام ، فلما قام أبو عباس ولأها سفيان بن معاوية .

• • •

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة بويع لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ، ليلة الجمعة لثلاث عشرة مضت من شهر ربيع الآخر ؛ كذلك حدثني أحمد بن ثابت ، عن ذكره ، عن إسحاق ابن عيسى ، عن أبي معشر . وكذلك قال هشام بن محمد . وأما الواقدي فإنه قال : بويع لأبي العباس بالمدينة بالخلافة في جمادى الأولى في سنة ثنتين وثلاثين ومائة . قال الواقدي : وقال لي أبو معشر : في شهر ربيع الأول سنة ثنتين وثلاثين ومائة ؛ وهو الثبت .

(١) ط : « رجل » ، وما أثبتته من أ .

خلافة أبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ

ابن عبد الله بن عباس

ذكر الخبر عن سبب خلافته

وكان بدء ذلك — فيما ذكر عن رسول الله صلى الله عليه — أنه أعلم العباس ابن عبد المطلب أنه تؤول الخلافة إلى ولده ، فلم يزل ولده يتوقعون ذلك ، ٢٤/٣ ويتحدّثون به بينهم .

وذكر عليّ بن محمد أن إسماعيل بن الحسن حدثه عن رشيد بن كُريب ، أن أبا هاشم خرج إلى الشام ، فلقى محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، فقال : يا بن عمّ ، إن عندى علماً أنبذه إليك فلا تطلعنّ عليه أحداً ؛ إن هذا الأمر الذى يرتجيه الناس ، فيكم . قال : قد علمتُ فلا يسمعه منك أحد . قال عليّ : وأخبرنا سليمان بن داود ، عن خالد بن عجلان ، قال : لما خالف ابن الأشعث ، وكتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك ، أرسل عبد الملك إلى خالد بن يزيد فأخبره ، فقال : أما إذا كان الفتق من سِجِسْتَان فليس عليك بأس ؛ إنما كنا نتخوف لو كان من خراسان .

وقال عليّ : أخبرنا الحسن بن رُشيد وجبلّة بن فروخ التاجيّ ويحيى بن طفيل والنعمان بن سرىّ وأبو حفص الأزدي وغيرهم أن الإمام محمد بن عليّ ابن عبد الله بن عباس ، قال : لنا ثلاثة أوقات : موت الطاغية يزيد بن معاوية ، ورأس المائة ، وفتق^(١) بإفريقية ، فعند ذلك يدعولنا دعاة ، ثم يُقبل أنصارنا من المشرق حتى تردّ خيولهم المغرب ، ويستخرجوا ما كثر الجبارون فيها . فلمّا قتل يزيد بن أبي مسلم بإفريقية ، ونقضت البربر ، بعث محمد بن عليّ رجلاً إلى خُراسان ، وأمره أن يدعو إلى الرضا ، ولا يسمّى أحداً . وقد ذكرنا قبل خبر محمد بن عليّ ، وخبر الدعاة الذى وجههم إلى خُراسان . ثم مات محمد بن عليّ وجعل وصيته من بعده ابنه إبراهيم ؛ فبعث إبراهيم بن محمد إلى خُراسان أبا سلمة حفص بن سليمان مولى السَّبَّيع ، وكتب ٢٥/٣ معه إلى النقباء بخُراسان ، فقبلوا كتبه وقام فيهم ، ثم رجع إليه فردّه ومعه

(١) كذا فى ١ ، وفى ط : « وفتح إفريقية » .

أبو مسلم . وقد ذكرنا أمر أبي مسلم قبل ونخبره .

ثم وقع في يد مروان بن محمد كتاب لإبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم ، جواب كتاب لأبي مسلم يأمره بقتل كل من يتكلم بالعريضة بخراسان . فكتب مروان إلى عامله بدمشق يأمره بالكتاب إلى صاحبه بالبقاء أن يسير إلى الحميمة ، ويأخذ إبراهيم بن محمد ويوجه به إليه . فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن عيسى ابن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، حدثه عن عثمان بن عروة ابن محمد بن عمار بن ياسر ، قال : إني مع أبي جعفر بالحميمة ومعه ابنه محمد وجعفر ، وأنا أرقصهما ، إذ قال لي : ماذا تصنع ؟ أما ترى إلى ما نحن فيه ! قال : فنظرت فإذا رسل مروان تطلب إبراهيم بن محمد ، قال : فقلت : دعني أخرج إليهم ، قال : تخرج من بيتي وأنت ابن عمار بن ياسر ! قال : فأخذوا أبواب المسجد حين صلوا الصبح ، ثم قالوا للشاميين ^(١) الذين معهم : أين إبراهيم بن محمد ؟ فقالوا : هو ذا ، فأخذوه ، وقد كان مروان أمرهم بأخذ إبراهيم ، ووصف لهم صفة أبي العباس التي كان يجدها في الكتب أنه يقتلهم ، فلما أتوه بإبراهيم ، قال : ليس هذه الصفة التي وصفت لكم ، فقالوا : قد رأينا الصفة التي وصفت ، فردّهم في طلبه ، ونذروا ، فخرجوا إلى العراق هرباً .

قال عمر : وحدّثني عبد الله بن كثير بن الحسن العبدى ، قال : أخبرني علي بن موسى ، عن أبيه ، قال : بعث مروان بن محمد رسلاً إلى الحميمة يأتيه بإبراهيم بن محمد ، ووصف له صفته ^(٢) ، فقدم الرسول فوجد الصفة صفة أبي العباس عبد الله بن محمد ، فلما ظهر لإبراهيم بن محمد وأمين قيل للرسول : إنما أمرت بإبراهيم ، وهذا عبد الله ! فلما تظاهر ذلك عنده ترك أبا العباس وأخذ إبراهيم ، وأنطلق به . قال : فشخصت معه أنا وأنا من بني العباس ومواليهم ، فانطلق بإبراهيم ، ومعه أم ولد له كان بها معجباً ، فقلنا له : إنما أتاك رجل ، فهلم فلنقتله ثم ننكح إلى الكوفة ، فهم لنا شيعة ، فقال : ذلك لكم ، قلنا : فأمهّل حتى نصير إلى الطريق التي تُخْرِجُنَا إلى العراق . قال : فسرنا حتى صرنا إلى طريق تشعب إلى العراق ، وأخرى إلى الجزيرة ، فترلنا منزلاً ؛ وكان إذا أراد التعريس اعتزل لمكان أم ولده ، فأتينا للأمر الذي

(٢) ط : « ووصفه » .

(١) ط : « ليستأمن » .

اجتمعنا عليه ، فصرخنا به ، فقام ليخرج فتعلقت به أم ولده ، وقالت : هذا وقت لم تكن تخرج فيه ؛ فما هاجك ! فالتوى عليها ، فأبت حتى أخبرها ، فقالت : أنشدك الله أن تقتله فتشأم أهلك ! والله لئن قتلتها لا يَبْقَى مروان من آل العباس أحداً بالحميمة إلا قتله ؛ ولم تفارقه حتى حلف لها ألا يفعل ، ثم خرج إلينا وأخبرنا ، فقلنا : أنت أعلم .

قال عبد الله : فحدثني ابن لعبد الحميد بن يحيى كاتب مروان ، عن أبيه ، قال : قلت لمروان بن محمد : أنتهمني ؟ قال : لا ، قلت : أفيحطك صهره ؟ قال : لا ، قلت : فإني أرى أمره ينبغ عليك فأنكححه وأنكح إليه ، فإن ظهر كنت قد أعلقت بينك وبينه سبباً لا يريك معه ، وإن كفيته لم يشك صهره . قال : ويحك ! والله لو علمته صاحب ذاك لسبقت إليه ؛ ولكن ليس بصاحب ذلك .

٢٧/٣

وذكر أن إبراهيم بن محمد حين أخذ للمضى به إلى مروان نعى إلى أهل بيته حين شيعوه نفسه ، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة مع أخيه أبي العباس عبد الله ابن محمد ، وبالسَّمْع له وبالطاعة ، وأوصى إلى أبي العباس ، وجعله الخليفة بعده ؛ فشخص أبو العباس عند ذلك ومَن معه من أهل بيته ؛ منهم عبد الله ابن محمد وداود بن عيسى ، وصالح وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد بنو علي ويحيى ابن محمد وعيسى بن موسى بن محمد بن علي ، وعبد الوهاب ومحمد ابنا إبراهيم وموسى بن داود ويحيى بن جعفر بن تمام ؛ حتى قدموا الكوفة ، في صَفَر ، فأنزلهم أبو سلمة دار الوليد بن سَعْد مولى بني هاشم في بني أُوْد ، وكنم أمرهم نحواً من أربعين ليلة من جميع القواد والشيعه . وأراد — فيما ذكر — أبو سلمة تحويل الأمر إلى آل أبي طالب لما بلغه الخبر عن موت إبراهيم بن محمد ؛ فذكر علي بن محمد أن جبلة بن فروخ وأبا السرى وغيرهما قالوا : قدم الإمام الكوفة في ناس من أهل بيته ، فاخففوا ، فقال أبو الجهم لأبي سلمة : ما فعل الإمام ؟ قال : لم يقدم بعد ، فألح عليه يسأله ، قال : قد أكرت السؤال ، وليس هذا وقت خروجه [فكانوا بذلك] ^(١) ، حتى لقي أبو حميد خادماً

لأبي العباس ، يقال له سابق الخوارزمي ، فسأله عن أصحابه ، فأخبره أنهم بالكوفة ، وأنّ أبا سلمة يأمرهم أن يختفوا ، فجاء به إلى أبي الجهم ، فأخبره خبرهم ، فسرّح أبو الجهم أبا حميد مع سابق حتى عرف منزلهم بالكوفة ، ثم رجع وجاء معه إبراهيم بن سلمة (رجل كان معهم) ، فأخبر أبا الجهم عن منزلهم ونزول الإمام في بني أود ، وأنه أرسل حين قدموا إلى أبي سلمة يسأله مائة دينار ، فلم يفعل ، فشى أبو الجهم وأبو حميد وإبراهيم إلى موسى بن كعب ، وقصّوا عليه القصّة ، وبعثوا إلى الإمام بمائتي دينار ، ومضى أبو الجهم إلى أبي سلمة ، فسأله عن الإمام ، فقال : ليس هذا وقت خروجه ؛ لأنّ واسطاً لم تفتح بعد ، فرجع أبو الجهم إلى موسى بن كعب فأخبره ، فأجمعوا على أن يلقوا الإمام ، فضى موسى بن كعب وأبو الجهم وعبد الحميد بن ربّعي وسلمة ابن محمد وإبراهيم بن سلمة وعبد الله الطائي وإسحاق بن إبراهيم وشراحيل وعبد الله بن بسام وأبو حميد محمد بن إبراهيم وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين إلى الإمام ، فبلغ أبا سلمة ، فسأل عنهم فقبل : ركبوا إلى الكوفة في حاجة لهم .

٢٨/٣

وأنى القوم أبا العباس ، فدخلوا عليه فقالوا : أيكم عبد الله بن محمد ابن الحارثية ؟ فقالوا : هذا ، فسلموا عليه بالخلافة ؛ فرجع موسى بن كعب وأبو الجهم الآخرين ؛ فتحلفوا عند الإمام ، فأرسل أبو سلمة إلى أبي الجهم : أين كنت ؟ قال : ركبت إلى إمامي . فركب أبو سلمة إليهم ، فأرسل أبو الجهم إلى أبي حميد أن أبا سلمة قد أتاكم ؛ فلا يدخلنّ على الإمام إلّا وحده ؛ فلما انتهى إليهم أبو سلمة منعوه أن يدخل معه أحد ، فدخل وحده ، فسلم بالخلافة على أبي العباس .

وخرج أبو العباس على برّذون أبلّس يوم الجمعة ، فصلّى بالناس ؛ فأخبرنا عمارة مولى جبرئيل وأبو عبد الله السلمي أن أبا سلمة لما سلّم على أبي العباس بالخلافة ، قال له أبو حميد : علّي رَغِمَ أنفك يا ماصّ

٢٩/٣ بظر أمّة ! فقال له أبو العباس : مَهْ !

وذكر أن أبا العباس لما صعد المنبر حين بويع له بالخلافة، قام في أعلاه، وصعد داود بن علي فقام دونه، فتكلم أبو العباس، يقال: الحمد لله الذي اصطفتى الإسلام لنفسه تكملة، وشرفه وعظمه، واختاره لنا وأيده بنا، وجعلنا أهله وكهنته وحصنه والقوام به، والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمه التقوى، وجعلنا أحق بها وأهلها، وخصنا برحيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته، وأنشأنا من آبائه، وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نبتته؛ جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا، حريصاً علينا بالمؤمنين رءوفاً رحيماً، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل بذلك على أهل الإسلام كتاباً يتلى عليهم، فقال عز من قائل فيما أنزل من محكم القرآن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾^(١)، وقال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾^(٢)، وقال: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣)، وقال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾^(٤)، وقال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾^(٥) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من النية والغنيمة نصيبنا تكملة لنا، وفضلاً علينا، والله ذو الفضل العظيم.

وزعمت السيئة^(٦) الضلال، أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا،

فشأهت وجوههم! بم ولم آيتها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، ٣٠/٣ وبصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق، وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما كان فاسداً، ورفع بنا الحسياسة، وتم بنا النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف وبر.

(١) سورة الأحزاب ٣٣.

(٢) سورة الشورى ٢٣.

(٣) سورة الشعراء ٢١٤.

(٤) سورة الحشر ٧.

(٥) سورة الأنفال ٤١.

(٦) ب: «الشامية».

ومواساة في دينهم وديارهم، وإخواناً على سرر متقابلين في آخرتهم؛ فتح الله ذلك مينةً ومنحةً لمحمد صلى الله عليه وسلم؛ فلما قبضه الله إليه، قام بذلك الأمر من بعده أصحابه، وأمرهم شورى بينهم، فحوّوا موارث الأمم، فعدّوا فيها ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خيماً صفاً منها. ثم وثب بنو حَرْب ومَرْوان، فابتزوها وتداولوها^(١) بينهم، فجاروا فيها، واستأثروا بها، وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا، وردّ علينا حقّنا، وتدارك بنا أمتنا، وولى نصرنا والقيام بأمرنا، ليمنّ بنا على الذين استضعفوا في الأرض؛ ونختم بنا كما افتتح بنا. وإلى لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث أتاكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح؛ وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله. يا أهل الكوفة، أنتم محلّ محبتنا ومودّتنا. أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عن ذلك تحامل أهل الجور عليكم؛ حتى أدركتم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا؛ فأنتم أسعد الناس بنا، وأكرمهم علينا؛ وقد زدّكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدّوا، فأنا السفاح المبيح، والناثر المبير.

وكان موعوكاً فاشتدّ به الوعك، فجلس على المنبر، وصعد داود بن عليّ

٣١/٣ فقام دونه على مراقي المنبر، فقال:

الحمد لله شكراً شكراً؛ الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه. أيّها الناس، الآن أقشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها، وأشرقت أرضها وسماؤها، وطلعت الشمس من مطلعها، وبزغ القمر من ميزغه؛ وأخذ القوس باريها، وعاد السهم إلى مترّعه، ورجع الحق إلى نصابه؛ في أهل بيت نبيّكم، أهل الرأفة والرحمة بكم والعطف عليكم. أيّها الناس، إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثير لجيننا ولا عقياننا، ولا نحفر نهراً، ولا نبني قصراً؛ وإنما أخرجنا الأنداسة من ابتزازهم^(٢) حقّنا، والغضب لبني عمنّا، وما كرّسنا^(٣) من أموركم، وبهتظنا من شؤونكم؛ ولقد كانت أموركم تُرمضنا ونحن على فرشنا، ويشدّ علينا سوء

(٢) ب: «ابتزازهم».

(١) ب: «تداولوا».

(٣) ابن الأثير: «ما كرّسنا».

سيرة بنى أمية فيكم ، وخرقهم^(١) بكم ، واستذلّاهم لكم ؛ واستثّارهم بفتيشكم
 وصدقاتكم ومغانمكم عليكم . لكم ذمة الله تبارك وتعالى ، وذمة رسوله صلى الله
 عليه وآله ، وذمة العباس رحمه الله ؛ أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل
 فيكم بكتاب الله ، ونسير في العامة منكم والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه
 وسلم . تبتاً تبتاً لبنى حرب بن أمية وبني مروان ! آثروا في مدّتهم وعصرهم
 العاجلة على الآجلة ، والدار الفانية على الدار الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا
 الأنام ، وانتهكوا المحارم ، وغشّوا الحرائم ، وجاروا في سيرتهم في العباد ؛
 وسنتهم في البلاد التي بها استلذوا تسربّل الأوزار ، وتجلّبب الآصار ، ومرحوا
 في أعنة المعاصي ، وركضوا في ميادين الغي ؛ جهلاً باستدراج الله ، وأمناً
 لمكر الله ؛ فأثامهم بأس الله يياتاً وهم نائمون ، فأصبحوا أحاديث ، ومزّقوا كلَّ
 ممزّق ، فبعداً للقوم الظالمين ! وأدالنا الله من مروان ، وقد غره بالله الغرور ،
 أرسل لعدوّ الله في عنانه حتى عثر في فضل خطامه ، فظنّ عدوّ الله أن لن
 نقدر عليه ، فنادى حزبه ، وجمع مكابده ، ورمى بكتائبه ؛ فوجد أمامه
 ووراءه وعن يمينه وشماله ، من مكّر الله وبأسه ونقمته ما ألمات باطله ،
 وبحق ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعزّنا ، وردّ إلينا حقنا وإرثنا .
 أيّها الناس ؛ إن أمير المؤمنين نصره الله نصراً عزيزاً ، وإنما عاد إلى المنبر
 بعد الصلّاة ؛ أنه كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعه عن استتمام
 الكلام بعد أن اسحقفر فيه شدة الوعك ؛ وادّعوا الله لأمر المؤمنين بالعافية ،
 فقد أبدلكم الله بمروان عدوّ الرحمن وخليفة الشيطان المتبع للسفلة الذين أفسدوا
 في الأرض بعد صلاحها بإبدال الدين وانتهاك حريم المسلمين ، الشاب المتكهّل
 المتمهل ، المقتدي بسلفه الأبرار الأخيار ؛ الذين أصلحوا الأرض بعد فسادها ،
 بمعالم الهدى ، ومناهج التقوى .

فعجّ الناس له بالدعاء . ثم قال :

يا أهل الكوفة ؛ إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقّنا ، حتى أتاح الله
 لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقّنا ، وأفلج بهم حجّتنا ، وأظهر بهم

دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم تنتظرون ، وإليه تتشوقون ، فأظهر فيكم الخليفة من هاشم ، وبيتض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، ونقل إليكم السلطان ، وعزّ الإسلام ، ومنّ عليكم بإمام منحه^(١) العدالة ، وأعطاه حسن الإيالة^(٢) . ٣٣/٣

فخذوا ما آتاكم الله بشكر ، والزموا طاعتنا ، ولا تُخذلوا عن أنفسكم فإن الأمر أمركم ، وإن لكل أهل بيت مصراً ؛ وإنكم مصرّنا . ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين على ابن أبي طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه ، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

ثم نزل أبو العباس وداود بن عليّ أمامه ؛ حتى دخل القصر ، وأجلس أبا جعفر ليأخذ البسيطة على الناس في المسجد ، فلم يزل يأخذها عليهم ؛ حتى صلى بهم العصر ، ثم صلى بهم المغرب ، وجنّهم الليل ، فدخل .

وذكر أن داود بن عليّ وابنه موسى كانا بالعراق أو بغيرها ، فخرجا يريدان الشّرة فلقيةما أبو العباس يريد الكوفة ، معه أخوه أبو جعفر عبد الله بن محمد وعبد الله بن عليّ وعيسى بن موسى ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس ، ونفر من مواليهم بدومة الجندل ، فقال لهم داود : أين تريدون ؟ وما قيستكم ؟ فقصّ عليه أبو العباس قيستهم ، وأنهم يريدون الكوفة ليظهروا بها ، ويظهروا أمرهم ، فقال له داود : يا أبا العباس ، تأتى الكوفة وشيخ بنى مروان^(٣) ؛ مروان ابن محمد بجرّان مطلق على العراق في أهل الشام والجزيرة ، وشيخ العرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق في حلبة العرب ! فقال أبو الغنائم : من أحب الحياة ذلّ ، ثم تمثّل بقول الأعشى :

فما ميتةٌ إن ميتها غير عاجزٍ بعارٍ إذا ما غالت النفس غولها
فالتفت داود إلى ابنه موسى فقال : صدق والله ابن عمك ، فارجع بنا معه نعش أعرّاء أو نمت كراماً ، فرجعوا جميعاً ، فكان عيسى بن موسى

(٢) ب : « الإنالة » .

(١) ب : « منحه » .

(٣) ابن الأثير : « أمية » .

يقول إذا ذكر خروجهم من الحميمة يريدون الكوفة: إن نفراً أربعة عشر رجلاً خرجوا من دارهم وأهلهم يطلبون مطالبنا، لعظيم همهم كبيرة أنفسهم، شديدة قلوبهم.

• • •

ذكر بقيّة الخبر عما كان

من الأحداث في سنة اثنتين وثلاثين ومائة

تمام الخبر عن سبب البيعة لأبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ وما كان من أمره: قال أبو جعفر: قد ذكرنا من أمر أبي العباس عبد الله بن محمد بن عليّ ما حضرنا ذكره قبل، عمن ذكرنا ذلك عنه؛ وقد ذكرنا من أمره وأمر أبي سلمة وسبب عقد الخلافة لأبي العباس أيضاً ما أنا ذاكره؛ وهو أنه لما بلغ أبا سلمة قتل مروان بن محمد لإبراهيم الذي كان يقال له الإمام، بدا له في الدعاء إلى ولد العباس وأضمر الدعاء لغيرهم؛ وكان أبو سلمة قد أنزل أبا العباس حين قدم الكوفة مع من قدم معه من أهل بيته في دار الوليد بن سعد في بني أود، فكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام يقول: لا تعجلوا، فلم يزل ذلك من أمره وهو في معسكره بحمام أعين حتى خرج أبو حميد، وهو يريد الكناسة، فلقى خادماً لإبراهيم يقال له سابق الخوارزمي، فعرفه، وكان يأتيهم بالشام ٣٥/٣ فقال له: ما فعل الإمام إبراهيم؟ فأخبره أن مروان قتله غيلة، وأن إبراهيم أوصى إلى أخيه أبي العباس، واستخلفه من بعده، وأنه قدم الكوفة ومعه عامة أهل بيته، فسأله أبو حميد أن ينطلق به إليهم، فقال له سابق: الموعد بيني وبينك غداً في هذا الموضع، وكره سابق أن يدلّه عليهم إلا بإذنهم، فرجع أبو حميد من الغد إلى الموضع الذي وعد فيه سابقاً، فلقيه، فانطلق به إلى أبي العباس وأهل بيته، فلما دخل عليهم سأل أبو حميد: من الخليفة منهم؟ فقال داود بن عليّ: هذا إمامكم وخليفتكم - وأشار إلى أبي العباس - فسلم عليه بالخلافة، وقبّل يديه ورجليه، وقال: مرنا بأمرك، وعزاه بالإمام إبراهيم. وقد كان إبراهيم بن سلمة دخل عسكر أبي سلمة متنكراً، فألقى أبا الجهم فاستأمنه، فأخبره أنه رسول أبي العباس وأهل بيته، وأخبره بمن معه وبموضعهم،

وأنّ أبا العباس كان سرّحه إلى أبي سلمة يسأله مائة دينار ، يعطيها للجَمال كراءَ الجمال التي قدّم بهم عليها ، فلم يبعث بها إليه ، ورجع أبو حميد إلى أبي الجهم ، فأخبره بحالهم ، فغشى أبو الجهم وأبو حميد ومعهما إبراهيم بن سلمة ، حتّى دخلوا على موسى بن كعب ، فقصّ عليه أبو الجهم الخبر ، وما أخبره إبراهيم بن سلمة ، فقال موسى بن كعب : عجّل البعثة إليه بالدنانير وسرّحه . فانصرف أبو الجهم ودفع الدنانير إلى إبراهيم بن سلمة ، وحمله على بتملّ وسرّح معه رجلين ، حتّى أدخلاه (١) الكوفة ، ثم قال أبو الجهم لأبي سلمة ، وقد شاع في العسكر أن مروان بن محمد قد قتل الإمام : فإن كان قد قُتِل كان أخوه (٢) أبو العباس الخليفة والإمام من بعده ؛ فردّ عليه أبو سلمة : يا أبا الجهم ، اكفف أبا حميد عن دخول الكوفة ، فإنهم أصحاب لإرجاف وفساد .

فلما كانت الليلة الثانية أتى إبراهيم بن سلمة أبا الجهم وموسى بن كعب ، فبلغتهما رسالة من أبي العباس وأهل بيته ، ومشى في القوادر والشيعا تلك الليلة ، فاجتمعوا في منزل موسى بن كعب ؛ منهم عبد الحميد بن ربيعي وسلمة بن محمد وعبد الله الطائي وإسحق بن إبراهيم وشراحيل (٣) وعبد الله بن بسام وغيرهم من القوادر . فاتمروا في الدخول إلى أبي العباس وأهل بيته ، ثم تسللوا من الغدحتي دخلوا الكوفة وزعيمهم موسى بن كعب وأبو الجهم وأبو حميد الحميري — وهو محمد بن إبراهيم — فانتهوا إلى دار الوليد بن سعد ، فدخلوا عليهم ، فقال موسى ابن كعب وأبو الجهم : أيكم أبو العباس ؟ فأشاروا إليه ، فسلموا عليه وعزّوه بالإمام إبراهيم ، وانصرفوا إلى العسكر ، وخلقوا عنده أبا حميد وأبا مقاتل وسليمان بن الأسود ومحمد بن الحصين (٤) ومحمد بن الحارث ونهار بن حصين ويوسف بن محمد وأبا هريرة محمد بن فروخ .

فبعث أبو سلمة إلى أبي الجهم فدعاه ، وكان أخبره بدخوله الكوفة ، فقال : أين كنت يا أبا الجهم ؟ قال : كنت عند إمامي ، وخرج أبو الجهم فدعا حاجب بن صدّان ، فبعثه إلى الكوفة ، وقال له : ادخل ، فسلم على أبي العباس

(١) ط : « دخلوا » ، أ : « أدخلوا » . (٢) أ : « فإن أخاه العباس » .

(٣) أ ، ب : « أبو شراحيل » . (٤) أ ، ط : « الحسين » .

بالخلافة ، وبعث إلى أبي حميد وأصحابه : إن أناكم أبو سلمة فلا يدخل إلا وحده ؛ فإن دخل وباع فسيبيله ذلك ؛ وإلا فاضربوا عنقه ؛ فلم يلبثوا أن أتاهم أبو سلمة فلنخل وحده ، فسلم على أبي العباس بالخلافة ، فأمره أبو العباس بالنصراف إلى عسكره ، فأنصرف من ليلته ، فأصبح الناس قد لبسوا سلاحهم ، ٢٧/٣ واصطفوا لخروج أبي العباس ، وأتوه بالدواب ، فركب ومن معه من أهل بيته حتى دخلوا قصر الإمارة بالكوفة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر . ثم دخل المسجد من دار الإمارة ، فصعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وذكر عظمة الرب تبارك وتعالى وفضل النبي صلى الله عليه ، وقاد الولاية والوراثة حتى انتهيا إليه ، ووعد الناس خيراً ثم سكت .

وتكلم داود بن علي وهو على المنبر أسفل من أبي العباس بثلاث درجات ، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال : أيها الناس ، إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة إلا علي بن أبي طالب وأمير المؤمنين هذا الذي خلفي . ثم نزل وخرج أبو العباس ، فعسكر بحمام أعين في عسكر أبي سلمة ، ونزل معه في حجرته ، بينهما ستر ، وحاجب أبي العباس يومئذ عبد الله بن بسام . واستخلف على الكوفة وأرضها عمه داود بن علي ، وبعث عمه عبد الله بن علي إلى أبي عوف ابن يزيد ، وبعث ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة ، وهو يومئذ بواسط محاصر ابن هبيرة ، وبعث يحيى بن جعفر بن تمام ابن عباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن ، وبعث أبا اليقظان عثمان بن عروة ابن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز ، وبعث سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن طريف (١) ، وأقام أبو العباس في العسكر أشهراً ثم ارتحل ، فترز المدينة الهاشمية في قصر الكوفة ، وقد كان تنكّر لأبي سلمة قبل تحوّلته حتى عرف ذلك .

[ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعة الزّاب]

وفي هذه السنة هُزم مروان بن محمد بالزّاب .

٣٨/٣

• ذكر الخبر عن هذه الواقعة وما كان سببها وكيف كان ذلك :

ذكر عليّ بن محمد أن أبا السريّ وجبّلة بن فروخ والحسن بن رشيد وأبا صالح المروزيّ وغيرهم أخبروه أن أبا عون عبد الملك^(١) بن يزيد الأزديّ وجهه قحطبة إلى شهرزور من نهاوند ، فقتل عثمان بن سفيان ، وأقام بناحية الموصل ، وبلغ مروان أن عثمان قد قُتِل ، فأقبل من حرّان ، فترّل منزلاً في طريقه ، فقال : ما اسم هذا المنزل ؟ قالوا : بلسوى ، قال : بل علسوى وبُشري . ثم أتى رأس العين ، ثم أتى الموصل ، فترّل على دجلة^(٢) ، وخفر خندقاً فسار إليه أبو عوّن ، فترّل الزّاب ، فوجه أبو سلمة إلى أبي عون عيّنة بن موسى والمنهال بن فتّان وإسحاق بن طلحة ؛ كلّ واحد في ثلاثة آلاف ؛ فلما ظهر أبو العباس بعث سلمة بن محمد في ألفين وعبد الله الطائيّ في ألف وخمسمائة وعبد الحميد بن ربيع الطائيّ في ألفين ، ووداس بن نضلة في خمسمائة إلى أبي عون . ثم قال : من يسير إلى مروان من أهل بيتي ؟ فقال عبد الله بن عليّ : أنا ، فقال : سير على بركة الله ، فسار عبد الله بن عليّ ، فقدم على أبي عون ، فتحول له أبو عون عن سُرّادقه وخلاّه وما فيه ، وصير عبد الله بن عليّ على سُرّطته حيّاش بن حبيب الطائيّ ، وعلى حرسه نصير بن المحتفر^(٣) ، ووجه أبو العباس موسى بن كعب في ثلاثين رجلاً على البريد إلى عبد الله بن عليّ ، فلما كان لليلتين خلّتا من جمادى الآخرة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، سأل عبد الله بن عليّ عن مخاضة ، فدُلّ عليها بالزّاب ، فأمر عيّنة بن موسى فعبّر في خمسة آلاف ، فانتهى إلى عسكر مروان ، فقاتلهم حتى أمسوا ، ورُفعت لهم النيران فتحاجزوا ، ورجع عيّنة فعبّر المخاضة إلى عسكر عبد الله ابن عليّ ؛ فأصبح مروان فعقد الجسر ، وسرح ابنه عبد الله يحفر خندقاً أسفل من عسكر عبد الله بن عليّ ، فبعث عبد الله بن عليّ المخارق^(٤) بن غيفار في أربعة آلاف ، فأقبل حتى نزل على خمسة أميال من عسكر عبد الله بن

٣٩/٣

(٢) ١ : « الفرات » .

(١) ب : « عبد الله » .

(٣) ط : « المحتفر » ، وانظر الفهرس .

(٤) ب : « المخارق بن غفار » .

عليّ ، فسرّح عبد الله بن مَرْوَان إلىه الوليد بن معاوية ، فلقى المخارق ، فانهزم أصحابه ، وأسيروا ، وقتل منهم يومئذ عِدَّة ، فبعث بهم إلى عبد الله ، وبعث بهم عبد الله إلى مَرْوَان مع الرؤوس ، فقال مروان : أدخلوا عليّ رجلا من الأسارى ، فأتوه بالمخارق — وكان نحيفا — فقال : أنت المخارق ؟ فقال : لا ، أنا عبد من عبيد أهل العسكر ، قال : فتعرف المخارق ؟ قال : نعم ، قال : فانظر في هذه الرؤوس هل تراه ؟ فنظر إلى رأس منها ، فقال : هو هذا ، فخلّى سبيله ، فقال رجل مع مروان حين نظر إلى المخارق وهو لا يعرفه : لعن الله أبا مسلم حين جاءنا بهؤلاء يقاتلنا بهم !

قال عليّ : حدثنا شيخ من أهل خراسان قال : قال مَرْوَان [للمخارق] ^(١) : تعرف المخارق إن رأيته ؟ فإنهم زعموا أنه في هذه الرؤوس التي أتينا بها ، قال : نعم ، قال : اعرضوا عليه تلك الرؤوس ، فنظر فقال : ما أرى رأسه في هذه الرؤوس ، ولا أراه إلا وقد ذهب ، فخلّى سبيله . وبلغ عبد الله بن عليّ انهزام المخارق ، فقال له موسى بن كعب : اخرج إلى مَرْوَان قبل أن يصل الفلّ إلى العسكر ، فيظهر ما لقي المخارق . فدعا عبد الله بن عليّ محمد بن صوّل ، فاستخلفه على العسكر ، وسار على ميمنته أبو عون ، وعلى ميسرة مَرْوَان الوليد بن معاوية ، ومع مروان ثلاثة آلاف من المحمرة ومعه الذكوانية ^(٢) والصّحاحية والرّاشدية ، فقال مروان لما التقى العسكران لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم ؛ وإن قاتلونا قبل الزوال ؛ فلما نال الله وإنا إليه راجعون . وأرسل مَرْوَان إلى عبد الله بن عليّ يسأله المواعدة ، فقال عبد الله : كذب ابن زُرّيق ، ولا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله . فقال مروان لأهل الشام : قِفُوا لا تبدءوهم بقتال ؛ فجعل ينظر إلى الشمس ، فحمل الوليد بن معاوية بن مروان وهو ختن مروان على ابنته ، فغضب وشمته . وقاتل ابن معاوية أهل الميمنة ، فانهزأ أبو عون إلى عبد الله بن عليّ ، فقال موسى ابن كعب لعبد الله : مر الناس فلينزّلوا ، فنودي : الأرض ، فنزل الناس ،

(٢) ط : « الذكوانية » .

(١) من أ .

وأشروعوا الرماح ، وجثّثوا على الركب ، فقاتلوه ، فجعل أهل الشام يتأخرون كأنهم يدفعون ، ومشى عبد الله قدماً وهو يقول : يا رب ، حتى متى نُقتل فيك ! وفادى : يا أهل خراسان ، يا لثارات إبراهيم ! يا محمد ، يا منصور ! واشتدّ بينهم القتال . وقال مروان لقضاة : انزلوا ، فقالوا : قل لبني سليم فليزلوا ، فأرسل إلى السكاسك أن يحملوا ، فقالوا : قل لبني عامر فليحملوا ، فأرسل إلى السكون أن يحملوا ، فقالوا : قل لغطفان فليحملوا ، فقال لصاحب شرطه : انزل ، فقال : لا والله ما كنت لأجعل نفسي غرضاً . قال : أما والله لأسوءتك ، قال : وددت والله أنك قدرت على ذلك . ثم انهزم أهل الشام ، وانهزم مروان ، وقطع الجسر ، فكان من غرق يومئذ أكثر ممن قُتل ، فكان فيمن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك [المخلوع] ^(١) ، وأمر عبد الله بن علي ففقد الجسر على الزاب ، واستخرجوا الغرقى [فأخرجوا ثلثمائة] ^(٢) ، فكان فيمن أخرجوا إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، فقال عبد الله بن علي : ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون ﴾ ^(٣) .

وأقام عبد الله بن علي في عسكره سبعة أيام ، فقال رجل من ولد سعيد ابن العاص يعير مروان :

لَجَّ الْفِرَارُ بِمِرْوَانَ فَقُلْتُ لَهُ عَادَ الظُّلُومُ ظَلِيماً هَمُّهُ الْهَرَبُ
أَيْنَ الْفِرَارُ وَتَرَكْتُ الْمُلْكَ إِذْ ذَهَبَتْ عَنْكَ الْهُوَيْنَى فَلَا دِينَ وَلَا حَسَبُ
فِرَاشَةُ الْجِلْمِ فِرْعَوْنُ الْعِقَابِ وَإِنْ تَطَلَّبُ نَدَاهُ فَكَلْبُ دُونِهِ كَلْبُ

وكتب عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بالفتح ، وهرب مروان وحوى عسكر مروان بما فيه ، فوجد فيه سلاحاً كثيراً وأموالاً ، ولم يجدوا فيه امرأة إلا جارية كانت لعبد الله بن مروان ؛ فلما أتى العباس كتاب عبد الله ابن علي صلى ركعتين ، ثم قال : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بَنَهَرٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ ^(٣) . وأمر لمن شهد الواقعة

(١) من ١ .

(٢) سورة البقرة ٥٠ .

(٣) سورة البقرة ٢٤٩ .

بخمسة خمسمائة ، ورفع أرزاقهم إلى ثمانين .

حدثنا أحمد بن زهير ، عن علي بن محمد ، قال : قال عبد الرحمن بن أمية : كان مروان لما لقيه أهل خراسان لا يدبر شيئاً إلا كان فيه الخلل والفساد . قال : بلغني أنه كان يوم انهزم واقفاً ، والناس يقتتلون ؛ إذ أمر بأموال فأخْرِجَتْ ، وقال للناس : اصبروا وقاتلوا ، فهذه الأموال لكم ، فجعل ناس من الناس يصيبون من ذلك المال ، فأرسلوا إليه : إن الناس قد مالوا على هذا المال ، ولا نأمنهم أن يذهبوا به . فأرسل إلى ابنه عبد الله أن سر في أصحابك إلى مؤخر عسكرك ، فاقتل من أخذ من ذلك المال وامنعهم ؛ فقال عبد الله برايته وأصحابه ، فقال الناس : الهزيمة ؛ فانهزموا .

حدثنا أحمد بن علي ، عن أبي الجارود السلمي ، قال : حدثني رجل من أهل خراسان ، قال : لقينا مروان على الزاب ، فحمل علينا أهل الشام كأنهم جبال حديد ، فجثونا وأشرعنا الرماح ، فمالوا عنا^(١) كأنهم سحابة ، ومسحنا الله أكتافهم ، وانقطع الجسر مما يليهم حين عبروا ، فبقى عليه رجل من أهل الشام ، فخرج عليه رجل منا ، فقتله الشامي ، ثم خرج آخر فقتله ؛ حتى والى بين ثلاثة ؛ فقال رجل منا : اطلبوا لي سيفاً قاطعاً ، وترساً صلباً ، فأعطيناه ، فشى إليه فضر به الشامي فاتقاه بالرس ، وضرب رجله فقطعها ، وقتله ورجع ؛ وحملناه وكبرنا فإذا هو عبيد الله الكابلي . وكانت هزيمة مروان بالزاب - فيما ذكر - صبيحة يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة .

* * *

[ذكر خبر قتل إبراهيم بن محمد بن علي الإمام]
وفي هذه السنة قتل إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

• ذكر الخبر عن سبب مقتله :

اختلف أهل السير في أمر إبراهيم بن محمد ، فقال بعضهم : لم يقتل ولكنه مات في سجن مروان بن محمد بالطاعون .

• ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم بن خالد ابن يزيد بن هريم . قال : حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح ، قال : قدم مروان بن محمد الرقة حين قدمها متوجهاً إلى الضحاك بسعيد بن هشام ابن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان ؛ وهم في وثاقهم معه ؛ فسرّح بهم إلى خليفته بجرّان ، فحبسهم في حبسها ، ومعهم إبراهيم بن عليّ بن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز والعباس بن الوليد وأبو محمد السفينانيّ — وكان يقال له البسيطار — ، فهلك في سجن حرّان منهم في وباء وقع بجرّان العباس ابن الوليد وإبراهيم بن محمد وعبد الله بن عمر . قال : فلما كان قبل هزيمة مروان من الزّآب يوم هزمه عبد الله بن عليّ بجمعة ، خرج سعيد بن هشام ومن معه من المحبّسين ^(١) ، فقتلوا صاحب السجن ، وخرج فيمن معه ، وتخلّف أبو محمد السفينانيّ في الحبس ، فلم يخرج فيمن خرج ، ومعه غيره لم يستحلّوا الخروج من الحبس ، فقتل أهل حرّان ومن كان فيها من الغوغاء سعيد ابن هشام وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك وعبد الملك بن بشر ^(٢) التغلبيّ ، وبطريق أرمينية الرابعة — وكان اسمه كوشان — بالحجارة ، ولم يلبث مروان بعد قتلهم إلا نحواً من خمس عشرة ليلة ؛ حتى قدم حرّان منهزماً من الزّآب ، فخلّى عن أبي محمد ومن كان في حبسه من المحبّسين .

وذكر عمر أن عبد الله بن كثير العبديّ حدثه عن عليّ بن موسى ، عن أبيه ، قال : هدم مروان على إبراهيم بن محمد بيتاً فقتله .

قال عمرو : وحدثني محمد بن معروف بن سويد ، قال : حدثني أبي عن المهلهل بن صفوان — قال عمر : ثمّ حدثني المفضل بن جعفر بن سليمان بعده ؛ قال : حدثني المهلهل بن صفوان — قال : كنت أنحدم ^(٣) إبراهيم بن محمد في الحبس ؛ وكان معه في الحبس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز وشراحيل بن مسلمة بن عبد الملك فكانوا يتزاورون ، وخصّ الذي بين إبراهيم وشراحيل فأثاه رسوله يوماً بلبن ،

(٢) ١ : « بشير » .

(١) ط : « الحبس »

(٣) ط : « مع » .

فقال : يقول لك أخوك : إنني شربتُ من هذا اللبن فاستطبتُهُ فأحببتُ أن تشربَ منه ، فتناوله فشرب فتوصَّب من ساعته وتكسر جسده^(١) ، وكان يوماً يأتي فيه شراحيل ، فأبطأ عليه ، فأرسل إليه : جُعِلَتْ فداك ! قد أبطأت فما حبسك ؟ فأرسل إليه : إني لما شربت اللبن الذي أرسلته إلىَّ أخلفني ، فأناه شراحيل مذعوراً وقال : لا والله الذي لا إله إلا هو ؛ ما شربتُ اليوم لبناً ، ولا أرسلت به إليك ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ! احتيل لك والله . قال : فوالله ما بات إلا ليلته وأصبح من غد ميتاً ؛ فقال إبراهيم بن عليّ بن سلمة بن عامر ابن هرمة بن هذيل بن الربيع بن عامر بن صبيح بن عدى بن قيس - وقيس هو ابن الحارث بن فهر - يرثيه :

قد كنتُ أحسبني جلداً فضغضعتني قبرٌ بحرّانٍ فيه عِصمةُ الدينِ
فيه الإمامُ وخيرُ الناسِ كلّهمُ بين الصفائح والأحجار والطينِ
فيه الإمامُ الذي عمتْ مُصيبتهُ وعيَّلتُ كلّ ذى مال ومُسكينِ
فلا عفا الله عن مروانَ مظلمةً لكن عفا الله عنّ قال أمين

* * *

[ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد]

وفي هذه السنة قتل مروان بن محمد بن مروان بن الحكم .

* ذكر الخبر عن مقتله وقتاله من قاتله من أهل الشام في طريقه وهو هارب من الطلب :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : لما انهزم مروان من الزّاب كنتُ^{٤٥/٣} في عسكره . قال : كان لمروان في عسكره بالزّاب عشرون ومائة ألف ؛ كان في عسكره ستون ألفاً ، وكان في عسكر ابنه عبد الله مثل ذلك ، والزّاب بينهم ، فلقيه عبد الله بن عليّ فيمن معه وأبى عون وجماعة قواد ، منهم حميد بن قحطبة ؛ فلما هزموا سار إلى حرّان وبها أبان بن يزيد بن محمد بن مروان ،

ابن أخيه عامله عليها ، فأقام بها نيفاً وعشرين يوماً . فلما دنا منه عبد الله بن عليّ حمل أهله وولده وعياله ، ومضى منهزماً ، وخلف بمدينة حرّان أبان ابن يزيد ؛ وتحت ابنة مروان يقال لها أمّ عثمان ، وقدم عبد الله بن عليّ ، فلتقاه أبان مسوداً مبيعاً له ، فبايعه ودخل في طاعته ، فأمنه ومنّ كان بجرّان والجزيرة . ومضى مروان حتى مرّ يقنّسرين وعبد الله بن عليّ متبع له . ثم مضى من قنّسرين إلى حمص ، فلتقاه أهلها بالأسواق وبالسمع والطاعة فأقام بها يومين أو ثلاثة ، ثم شخص منها ؛ فلما رأوا قلة منّ معه طمعوا فيه ، وقالوا : مرعوب منهزم ؛ فاتبعوه بعد ما رحل عنهم ؛ فلحقوه على أميال ، فلما رأى غيرة خيلهم أكن لهم في وادين قائدين من مواليه ، يقال لأحدهما يزيد والآخر مخلد ؛ فلما دنّوا منه وجازوا الكمينين ومضى الذراريّ صافتهم فيمن معه وناشدهم ، فأبوا إلا مكاثرتة وقتاله ، فنشب القتال بينهم ؛ وثار الكمينان^(١) من خلفهم ؛ فهزمهم وقتلتهم خيلهم حتى انتهوا إلى قريب من المدينة .

قال : ومضى مروان حتى مرّ بدمشقيّ ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان ؛ وهو ختن مروان ، متزوج بابنة له يقال لها أمّ الوليد ، فضى وخلفه بها حتى قدم عبد الله بن عليّ عليه ، فحاصره أياماً ، ثم فتحت المدينة ، ودخلها عشوة معترضاً أهلها . وقتل الوليد بن معاوية فيمن قُتِل ، وهدم عبد الله بن عليّ حائط مدينتها . ومرّ مروان بالأردن ، فشخص معه ثعلبة ابن سلامة العامليّ ، وكان عامله عليها ، وتركها ليس عليها وال ، حتى قدم عبد الله بن عليّ فولى عليها ، ثم قدم فلسطين وعليها من قبله الرّماحس بن عبد العزيز . فشخص به معه ؛ ومضى حتى قدم مصر ، ثم خرج منها حتى نزل منزلاً منها يقال له بوصير ؛ فبيته عامر بن إسماعيل وشعبة ومعهما خيل أهل الموصل فقتلوه بها ، وهرب عبد الله وعبيد الله ابنا مروان ليلة بُيِّت مروان إلى أرض الحبشة ، فلقوا من الحبشة بلاءً وقتلتهم الحبشة ، فقتلوا عبيد الله ، وأفلت عبد الله في عدّة ممن معه ؛ وكان فيهم بكر بن معاوية الباهليّ ، فسلم حتى كان في خلافة المهديّ ، فأخذه نصر بن محمد بن الأشعث عامل فلسطين ، فبعث به إلى المهديّ .

وأما عليّ بن محمد ؛ فإنه ذكر أن بشر بن عيسى والنعمان أبا السريّ
ومحرز بن إبراهيم وأبا صالح المروزيّ وعمارة مولى جبريل^(١) أخبروه أن مروان
لقي عبد الله بن عليّ في عشرين ومائة ألف وعبد الله في عشرين ألفاً .

وقد خولف هؤلاء في عدد من كان مع عبد الله بن عليّ يومئذ . فذكر
مسلم بن المغيرة^(٢) ، عن مصعب بن الربيع الخثعميّ وهو أبو موسى ابن
مصعب - وكان كاتباً لمروان - قال : لما انهزم مروان ، وظهر عبد الله بن عليّ
على الشام ، طلبت الأمان فآمنني ، فإني يوماً جالس عنده ؛ وهو متكئ
لإذ ذكر مروان وانهزماه ، قال : أشهدت القتال ؟ قلتُ : نعم أصلح
الله الأمير ! فقال : حدثني عنه ؛ قال : قلت : لما كان ذلك اليوم قال لي :
أحذر القوم ، فقلت : إنما أنا صاحب قلم ؛ ولستُ صاحب حرب ؛ فأخذ
بمنة ويسرة ونظر فقال : هم اثنا عشر ألفاً ، فجلس عبد الله ، ثم قال :
ما له قاتله الله ! ما أحصى الديوان يومئذ فضلاً على اثني عشر ألف رجل !

رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد عن أشياخه : فانهزم مروان حتى
أتى مدينة الموصل ؛ وعليها هشام بن عمرو التغلبيّ وبشر بن خزيمة الأسديّ ،
وقطعوا الجسر ، فناداهم أهل الشام : هذا مروان ، قالوا : كذبتم ، أمير المؤمنين
لا يفرّ ، فسار إلى بلد ، فعبر دجلة ، فأتى حرّان ثم أتى دمشق ، وخلف بها
الوليد بن معاوية ، وقال : قاتلهم حتى يجتمع أهل الشام . ومضى مروان حتى
أتى فلسطين ، فنزل نهر أبي فطرُس ، وقد غلب على فلسطين الحكم بن
ضَبَّعَانَ الجنداعيّ ، فأرسل مروان إلى عبد الله بن يزيد بن روح بن زِنباع ،
فأجازه ، وكان بيت المال في يد الحكم . وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن
عليّ يأمره باتّباع مروان ، فسار عبد الله إلى الموصل ، فلتقاه هشام بن عمرو
التغلبيّ وبشر بن خزيمة . وقد سوّدا في أهل الموصل ، ففتحوا له المدينة ، ثم سار
إلى حرّان ، وولّى الموصل محمد بن صول ؛ فهدم الدار التي حبس فيها إبراهيم

(١) كذا في ب ، وفي ط : « جبرئيل » . (٢) ط : « المرة » ، وما أثبتته من ا .

ابن محمد ، ثم سار بن حتران إلى منبج وقد سجدوا ، فنزل منبج وولاهها
 أبا حميد المروزي ، وبحث إليه أهل قنسرين بيمعتهم إياه بما أتاه به عنهم
 أبو أمية التغلابي . وقد علم عليه عبد الصمد بن علي ، أمده به أبو العباس في أربعة ٤٨/٣
 آلاف ، فأقام يومين بعد قدوم عبد الصمد ، ثم سار إلى قنسرين ، فأناها
 وقد سود أهلها ، فأقام يومين ، ثم سار حتى نزل حيمص ، فأقام بها أياماً
 وباع أهلها ، ثم سار إلى بعلبك ، فأقام يومين ثم ارتحل ، فنزل بعين الحر ،
 فأقام يومين ثم ارتحل ، فنزل مزة (قرية من قرى دمشق) فأقام . وقد علم عليه
 صالح بن علي ممدداً ، فنزل مَرَجَ عذراء في ثمانية آلاف ، معه بسام بن
 إبراهيم وخفاف وشعبة والهيثم بن بسام . ثم سار عبد الله بن علي ، فنزل على
 الباب الشرقي ، ونزل صالح بن علي على باب الجابية ، وأبو عون على باب
 كيسان ، وبسام على باب الصغير ، وحميد بن قحطبة على باب توما ،
 وعبد الصمد ويحيى بن صفوان والعباس بن يزيد على باب الفرديس — وفي
 دمشق الوليد بن معاوية — فحصروا أهل دمشق والبلقاء ، وتعصب الناس
 بالمدينة ، فقتل بعضهم بعضاً ، وقتلوا الوليد ، ففتحوا الأبواب يوم الأربعاء
 لعشر مضين من رمضان سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، فكان أول من صعد
 سور المدينة من الباب الشرقي عبد الله الطائي ، ومن قبل باب الصغير بسام بن
 إبراهيم ، فقاتلوا بها ثلاث ساعات ، وأقام عبد الله بن علي بدمشق خمسة
 عشر يوماً ، ثم سار يريد فلسطين ، فنزل نهر الكسوة ، فوجه منها يحيى بن
 جعفر الهاشمي إلى المدينة ، ثم ارتحل إلى الأردن ، فأتوه وقد سودوا ، ثم نزل
 بيسان ، ثم سار إلى مَرَجَ الروم ، ثم أتى نهر أبي فطرس ، وقد هرب مروان ،
 فأقام بفلسطين ، وجاءه كتاب أبي العباس ، أن وجه صالح بن علي في
 طلب مروان ، فسار صالح بن علي من نهر أبي فطرس في ذي القعدة سنة
 اثنتين وثلاثين ومائة ، ومعه ابن فتان وعامر بن إسماعيل وأبو عون ، فقدّم صالح ٤٩/٣
 ابن علي أبا عون على مقدمته وعامر بن إسماعيل الحارثي ، وسار فنزل الرملة ،
 ثم سار فنزلوا ساحل البحر ، وجمع صالح بن علي السفن وتجهز يريد مروان ،
 وهو بالفرم ، فسار على الساحل والسفن حذاه في البحر ، حتى نزل
 العريش .

وبلغ مروان فأحرق ما كان حوله من علف وطعام وهرب ، ومضى صالح ابن عليّ فنزل الليل ، ثم سار حتى نزل الصعيد . وبلغه أن خيلاً لمروان بالساحل يحرقون الأعلاف ، فوجّه إليهم قواداً ، فأخذوا رجالاً ، فقدّموا بهم على صالح وهو بالفسطاط ، فعبر مروان النيل ، وقطع الجسر ، وحرق ما حوله ، ومضى صالح يتبعه ، فالتقى هو وخیل لمروان على النيل فاقتتلوا ، فهزمهم صالح ، ثم مضى إلى خليج ، فصادف عليه خيلاً لمروان ، فأصاب منهم طرفاً وهزمهم ، ثم سار إلى خليج آخر فعبروا ، ورأوا رهجاً فظنوه مروان ، فبعث طليعة عليها الفضل بن دينار ومالك ابن قادم ، فلم يلقوا أحداً ينكرونه ، فرجعوا إلى صالح فارتحل ، فنزل موضعاً يقال له ذات الساحل ؛ ونزل فقدم أبو عون عامر بن إسماعيل الحارثي ، ومعه شعبة بن كثير المازني ، فلقوا خيلاً لمروان وافوهم ، فهزمهم وأسروا منهم رجالاً ، فقتلوا بعضهم ، واستحيوا بعضاً ، فسألوا عن مروان فأخبروهم بمكانه ، على أن يؤمنوهم ، وساروا فوجدوه نازلاً في كنيسة في بؤصير ، ووافوهم في آخر الليل ، فهرب الجند وخرج إليهم مروان في نفر يسير ، فأحاطوا به فقتلوه .

قال عليّ : وأخبرني إسماعيل بن الحسن ، عن عامر بن إسماعيل قال : لقينا مروان ببؤصير ونحن في جماعة يسيرة فشدوا علينا ، فانضوينا إلى نخل ولو يعلمون ٥٠/٣ بقلتنا لأهلكونا ، فقلت لمن معي من أصحابي : فإن أصبحنا فرأوا قلتنا وعددنا لم ينج منا أحد ؛ وذكر قول بكير بن ماهان : أنت والله تقتل مروان ؛ كأني أسمعك ، تقول «دهيد يا جوانكثان» ؛ فكسرت جفني سيني ، وكسر أصحابي جفون سيوفهم ، وقلت : «دهيد يا جوانكثان» ؛ فكأنها نار صبت عليهم ، فانهزموا وحمل رجل عليّ مروان فضربه بسيفه فقتله . وركب عامر بن إسماعيل إلى صالح بن عليّ ، فكتب صالح بن عليّ إلى أمير المؤمنين أبي العباس : إننا اتبعنا عدو الله الجعدي حتى أبلأناه إلى أرض عدو الله شبيهه فرعون ، فقتلته بأرضه .

قال عليّ : حدثنا أبو طالب الأنصاري ، قال : طعن مروان رجل من

أهل البصرة - يقال له المغود، وهو لا يعرفه - فصرعه، فصاح صائح : صرّ ع أمير المؤمنين ، وابتدروه ، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان ، فاحتزّ رأسه ، فبعث عامر بن إسماعيل برأس مروان إلى أبي عَون ، فبعث بها أبو عون إلى صالح بن علي ، وبعث صالح برأسه مع يزيد بن هاني - وكان على شرطه - إلى أبي العباس يوم الأحد، لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثنتين وثلاثين ومائة ، ورجع صالح إلى القسطنطين ، ثم انصرف إلى الشام ، فدفع الغنائم إلى أبي عَون ، والسلاح والأموال والرقائق إلى الفضل بن دينار ، وخلف أبا عون على مصر .

قال عليّ : وأخبرنا أبو الحسن الخراسانيّ ، قال : حدثنا شيخ من بكّر ابن وائل ، قال : إني لبدير قنّى مع بكير بن ماهان ونحن نتحدث ؛ إذ مرّ فتىّ معه قربتان ؛ حتى انتهى إلى دجلة ، فاستقى ماء ، ثم رجع فدعاه ٥١/٣ بكير ، فقال : ما اسمك يا فتى ؟ قال : عامر ، قال : ابن من ؟ قال : ابن إسماعيل ، من بلكحارث ، قال : وأنا من بلكحارث ، قال : فكن من بني مُسليّة ، قال : فأنا منهم ، قال : فأنت تقتل مروان ، لكأني والله أسمعك تقول : « يا جوانكثان دهيد » .

قال عليّ : حدثنا الكسائيّ ، قال : سمعتُ أسيّاخنا بالكوفة يقولون : [بنو] مسلية قتلة مروان .

وقتل مروان يوم قتل وهو ابن اثنتين وستين سنة في قول بعضهم ، وفي قول آخرين : وهو ابن تسع وستين ، وفي قول آخرين : وهو ابن ثمان وخمسين .

وقتل يوم الأحد لثلاث بقين من ذى الحجة ، وكانت ولايته من حين يبيع إلى أن قتل خمس سنين وعشرة أشهر وستة عشر يوماً ، وكان يكنى أبا عبد الملك . وزعم هشام بن محمد أن أمه كانت أم ولد كرديّة .

وقد حدثني أحمد بن زهير ، عن عليّ بن محمد ، عن عليّ بن مجاهد وأبي سنان الجُهنيّ ، قالا : كان يقال : إن أم مروان بن محمد كانت لإبراهيم بن الأشتر ؛ أصابها محمد بن مروان بن الحكم يوم قتل ابن الأشتر ،

فأخذها من ثقله وهي تتنقّ (١)، فولدت مَرْوَانَ على فراشه، فلما قام أبو العباس دخل عليه عبد الله بن عيمّاش المنتوف، فقال: الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النّخع ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبد المطلب.

• • •

وفي هذه السنة قتل عبد الله بن عليّ مَن قتل بنهر أبي فطرس من بني أمية، وكانوا اثنين وسبعين رجلاً.

وفيها خلع أبو الورد أبا العباس بقنّسرين؛ فبيّض وبيّضوا معه.

• • •

٥٢/٣

ذكر الخبر عن تبيض أبي الورد

وما آل إليه أمره وأمر من بيّض معه

وكان سبب ذلك - فيما حدثني أحمد بن زهير - قال: حدثني عبد الوهاب ابن إبراهيم، قال: حدثني أبو هاشم مخلد بن محمد بن صالح، قال: كان أبو الورد - واسمه مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي، من أصحاب مَرْوَانَ وقواده وفرسانه - فلما هُزِم مروان، وأبو الورد بقنّسرين، قدّمها عبد الله بن عليّ فباعه ودخل فيما دخل فيه جندُه من الطاعة. وكان ولد مسلمة بن عبد الملك مجاورين له بباليّس والناعورة، فقدم بالس قائد من قواده عبد الله ابن عليّ من الأزارمدين في مائة وخمسين فارساً، فبعث بولد مسلمة بن عبد الملك ونسائهم، فشكا بعضهم ذلك إلى أبي الورد، فخرج من مزرعة يقال لها زراعة بني زفر - ويقال لها خُصاف - في عدة من أهل بيته؛ حتى هجم على ذلك القائد وهو نازل في حصن مسلمة؛ فقاتله حتى قتله ومَن معه، وأظهر التبييض. والخلع لعبد الله بن عليّ، ودعا أهل قنّسرين إلى ذلك، فبيّضوا بأجمعهم، وأبو العباس يومئذ بالحيرة وعبد الله بن عليّ يومئذ مشغل بحرب حبيب بن مرّة المرتي، فقاتله بأرض البلقاء والبشينة وحوران. وكان قد لقيه عبد الله بن عليّ في جموعه فقاتلهم وكان بينه وبينهم وقعات؛ وكان من قواده مَرْوَانَ وفرسانه. وكان سبب تبيضه الخوف على نفسه وعلى قرمه، فباعته قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور؛ البشينة وحوران.

(١) كذا في ط، والتنقيح: المبالغة في الطعم واللبس. وموضع الكلمة في غير واضح.

٥٣/٣ فلما بلغ عبد الله بن علي تبييضهم ، دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه وأمنه ومن معه ، وخرج متوجهاً نحو قنسرين للقاء أبي الورد ، فرّ بدمشق ، فخلف فيها أبا غانم عبد الحميد بن ربیع الطائي في أربعة آلاف رجل من جنده ؛ وكان بدمشق يومئذ امرأة عبد الله بن علي أمّ البنين بنت محمد بن عبد المطلب النوفلية أخت عمرو بن محمد ، وأمّهات أولاد لعبد الله وثقل له . فلما قدم حمص في وجهه ذلك انتقض عليه بعده أهل دمشق فبيضوا ، ونهضوا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقبة الأزدي . قال : فلقوا أبا غانم ومن معه ، فهزموه وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة ، وانتهبوا ما كان عبد الله بن علي خلف من ثقله ومتاعه ؛ ولم يعرضوا لأهله ، وبيّض أهل دمشق واستجمعوا على الخلاف ، ومضى عبد الله بن علي - وقد كان تجتمع مع أبي الورد جماعة أهل قنسرين ، وكاتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر ، وقدمهم ألوف ، عليهم أبو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، فرأسوا عليهم أبا محمد ، ودعوا إليه وقالوا : هو السفيفي الذي كان يذكر وهم في نحو من أربعين ألفاً - فلما دنا منهم عبد الله بن علي وأبو محمد معسكر في جماعته بمرج يقال له مرج الأخرم - وأبو الورد المتولى لأمر العسكر والمديّر له وصاحب القتال والوقائع - وجه عبد الله أخاه عبد الصمد بن علي في عشرة آلاف من فرسان من معه ؛ فناهضهم أبو الورد ، ولقيهم فيما بين العسكرين ، واشتجر القتل فيما بين الفريقين وثبت القوم ، وانكشف عبد الصمد ومن معه ، وقتل منهم يومئذ ألوف ، وأقبل عبد الله حيث أتاه عبد الصمد ومعه حميد بن قحطبة وجماعة من معه من القواد ، فالتقوا ثانية بمرج الأخرم ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وانكشف جماعة ممن كان مع عبد الله ، ثم تابوا ، وثبت لهم عبد الله وحميد بن قحطبة فهزموهم ، وثبت أبو الورد في نحو من خمسمائة من أهل بيته وقومه ، فقتلوا جميعاً ، وهرب أبو محمد ومن معه من الكلبية حتى لحقوا بتدمر ، وآمن عبد الله أهل قنسرين ، وسودوا وبايعوه ، ودخلوا في طاعته ؛ ثم انصرف راجعاً إلى أهل دمشق ، لما كان من تبييضهم عليه ، وهزمتهم أبا غانم . فلما دنا من دمشق هرب الناس وتفرقوا ، ولم يكن بينهم وقعة ، وآمن عبد الله أهلها ، وبايعوه ولم يأخذهم بما كان منهم .

قال: ولم يَزَلْ أبو محمد متغيّبًا هاربًا؛ ولحق بأرض الحجاز . وبلغ زياد بن عبيد الله الحارثي حامل أبي جعفر مكانه الذي تغيّب فيه ، فوجه إليه خيلاً ، فقاتلوه حتى قُتِلَ ، وأخذ ابنين له أسيرين ، فبعث زياد برأس أبي محمد وابنيه إلى أبي جعفر أمير المؤمنين ، فأمر بتخليه سبيلهما وأمنهما .

وأما عليّ بن محمد فإنه ذكر أن النعمان أبا السرى حدثه وجيلة بن فروخ وسليمان بن داود وأبو صالح^(١) المروزي . قالوا: خلع أبو الورد بقنّسرين ، فكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ وهو بفطرس أن يقاتل أبا الورد ، ثم وجه عبد الصمد إلى قنّسرين في مبيعة آلاف ، وعلى حرسه مخارق بن غفار ، وعلى شرطه كلثوم بن شبيب ؛ ثم وجه بعده ذؤيب بن الأشعث في خمسة آلاف ، ثم جعل يوجه الجنود ، فلقى عبد الصمد أبا الورد في جتمع كثير ، ٥٥/٣ فانهزم الناس عن عبد الصمد حتى أتوا حمص ؛ فبعث عبد الله بن عليّ العباس بن يزيد بن زياد ومروان الجرجانيّ وأبا المتوكل الجرجانيّ ؛ كل رجل في أصحابه إلى حمص ؛ وأقبل عبد الله بن عليّ بنفسه ، فترز على أربعة أميال من حمص - وعبد الصمد بن عليّ بحمص - وكتب عبد الله إلى حميد ابن قحطبة ، فقدم عليه من الأردن ، وبايع أهل قنّسرين لأبي محمد السفينانيّ زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية وأبو الورد بن . . . ، وبايعه الناس ، وأقام أربعين يوماً ، وأتاهم عبد الله بن عليّ ومعه عبد الصمد وحميد بن قحطبة ، فالتقوا فاقتتلوا أشد القتال بينهم ، واضطّروهم أبو محمد إلى شيعب ضيق ، فجعل الناس يتفرقون ، فقال حميد بن قحطبة لعبد الله بن عليّ : علام نقيم ؟ هم يزيدون وأصحابنا ينقصون ! ناجزهم ؛ فاقتتلوا يوم الثلاثاء في آخر يوم من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وعلى ميمنة أبي محمد أبو الورد وعلى ميسرته الأصبع بن ذؤالة ، فجرح أبو الورد ، فحمل إلى أهله فأت . ولحق قوم من أصحاب أبي الورد إلى أجمة فأحرقوها عليهم ؛ وقد كان أهل حمص نقضوا ، وأرادوا إيثار أبي محمد ؛ فلما بلغهم هزيمة أقاموا .

(١) ب : « عامر » .

(٢) بياض في ط ، وفي ا : « حسنا » .

[ذكر خبر خلع حبيب بن مرة المري]

وفي هذه السنة خلع حبيب بن مرة المري وبيّض هو ومن معه من أهل الشام .

• ذكر الخبر عن ذلك :

٥٦/٣ ذكر عليّ عن شيوخته ، قال : بيّض حبيب بن مرة المري وأهل البنية وحوّران ، وعبد الله بن عليّ في عسكر أبي الورد الذي قتل فيه .

وقد حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : كان تببيض حبيب بن مرة وقتاله عبد الله بن عليّ قبل تببيض أبي الورد ، وإنما بيّض أبو الورد وعبد الله مشغول بحرب حبيب بن مرة المري بأرض البلقاء أو البنية وحوّران ، وكان قد لقيه عبد الله بن عليّ في جموعه فقاتله ، وكان بينه وبينه وقعات ، وكان من قوّاد مروان وفرسانه ؛ وكان سبب تببيضه الخوف على نفسه وقومه ، فبايعه قيس وغيرهم ممن يليهم من أهل تلك الكور ؛ البنية وحوّران ، فلما بلغ عبد الله ابن عليّ تببيض أهل قنسرين ، دعا حبيب بن مرة إلى الصلح فصالحه ، وآمنه ومنّ معه ، وخرج متوجّهاً إلى قنسرين للقاء أبي الورد .

• • •

[ذكر خبر تببيض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس]

وفي هذه السنة بيّض أيضاً أهل الجزيرة وخلعوا أبا العباس .

• ذكر الخبر عن أمرهم وما آل إليه حالهم فيه :

حدثني أحمد بن زهير ، قال : حدثنا عبد الوهاب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو هاشم مخلد بن محمد ، قال : كان أهل الجزيرة بيّضوا ونقضوا ؛ حيث بلغهم خروج أبي الورد وانتقاض أهل قنسرين ، وساروا إلى حرّان ، وبحرّان يومئذ موسى بن كعب في ثلاثة آلاف من الجند ، فتشبّث بمدينتها ، وساروا إليه مبيّضين من كلّ وجه ، وحاصروه ومنّ معه ؛ وأمرهم مشئت ؛ ليس عليهم رأس يجمعهم .

وقدم على تفيثة^(١) ذلك إسحاق بن مسلم من أرمينية - وكان شخص ٥٧/٣
عنها حين بلغه هزيمة مروان - فرأسه أهل الجزيرة عليهم . وحاصر موسى بن
كعب نحواً من شهرين ، ووجه أبو العباس أبا جعفر فيمن كان معه من
الجنود التي كانت بواسط محاصرة ابن هبيرة ، ففضى حتى مرّ بقَرْقِيسِيَا وأهلها
مبيّضون ، وقد غلقوا أبوابها دونه . ثم قدم مدينة الرقة وهم على ذلك ، وبها
بكار بن مسلم ، ففضى نحو حرّان ، ورحل إسحاق بن مسلم إلى الرّهاء -
وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة ، وخرج موسى بن كعب فيمن معه من
مدينة حرّان ، فلقوا أبا جعفر . وقدم بكار على أخيه إسحاق بن مسلم ، فوجهه
إلى جماعة ربيعة بدارا وماردين - ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورية
يقال له بُريكة - فصمّد إليه أبو جعفر ، فلقيتهم فقاتلوه بها قتالا شديداً ،
وقتل بريكة في المعركة ، وانصرف بكار إلى أخيه إسحاق بالرّهاء فخلّفه
إسحاق بها ، ومضى في عظم العسكر إلى سُمَيْسَاط ، فخذق على عسكره .
وأقبل أبو جعفر في جُموعه حتى قابله بكار بالرّهاء ؛ وكانت بينهما وقعت .

وكتب أبو العباس إلى عبد الله بن عليّ في المسير بجنوده إلى إسحاق
بُسْمَيْسَاط ، فأقبل من الشام حتى نزل بإزاء إسحاق بُسْمَيْسَاط ؛ وهم في
ستين ألفاً أهل الجزيرة جميعها ، وبينهما الفرات ، وأقبل أبو جعفر من الرّهاء
فكاتبتهم إسحاق وطلب إليهم الأمان ، فأجابوا إلى ذلك وكتبوا إلى أبي العباس ،
فأمرهم أن يؤمنوه ومنّ معه ، ففعلوا وكتبوا بينهم كتاباً ، ووثقوا له فيه ، فخرج
إسحاق إلى أبي جعفر ، وتمّ الصلح بينهما ؛ وكان عنده من آثر أصحابه .
فاستقام أهلُ الجزيرة وأهل الشام ، وولّى أبو العباس أبا جعفر الجزيرة وأرمينية
وأذربيجان ، فلم يزل على ذلك حتى استخلف .

٥٨/٣

وقد ذُكر أن إسحاق بن مسلم العقيليّ هذا أقام بُسْمَيْسَاط سبعة أشهر ،
وأبو جعفر محاصره ، وكان يقول : في عُنُقِ بَيْسَعَة ، فأنا لا أدعها حتى أعلم أن صاحبها
قد مات أو قتل . فأرسل إليه أبو جعفر : إن مروان قد قتل ، فقال : حتى أتقن ،
ثم طلب الصلح ، وقال : قد علمتُ أن مروان قد قتل ، فأمنه أبو جعفر
وصار معه ، وكان عظيم المنزلة عنده .

وقد قيل : إن عبد الله بن عليّ هو الذي آمنه .

• • •

[ذكر خبر شخص أبو جعفر إلى خراسان]

وفي هذه السنة شخص أبو جعفر إلى أبي مسلم بخراسان لاستطلاع رأيه في قتل أبي سلمة حفص بن سليمان .

• ذكر الخبر عن سبب مسير أبي جعفر في ذلك ، وما كان من أمره

وأمر أبي مسلم في ذلك :

قد مضى ذكرى قبل "أمر أبي سلمة ، وما كان من فعله في أمير أبي العباس ومن كان معه من بني هاشم عند قدومهم الكوفة ، الذي صار به عندهم متهماً ؛ فذكر عليّ بن محمد أن جبلة بن فروخ قال : قال يزيد بن أسيد : قال أبو جعفر : لما ظهر أبو العباس أمير المؤمنين سمعنا ذات ليلة ، فذكرنا ما صنع أبو سلمة ، فقال رجل منا : ما يدريكم ، لعلّ ما صنع أبو سلمة كان عن رأي أبي مسلم ! فلم ينطق منا أحد ، فقال : أمير المؤمنين أبو العباس : لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم إنا لبعرض بلاء ؛ إلا أن يدفعه الله عنا . ونمّرقتنا . فأرسل إلى أبو العباس ، فقال : ما ترى ؟ فقلت : الرأي رأيك ، فقال : ليس منا أحد أخصّ بأبي مسلم منك ، فاخرج إليه حتى تعلم ما رأيه ، فليس يخفى عليك ؛ فلو قد لقيته ، فإن كان عن رأيه أخذنا لأنفسنا ، وإن لم يكن عن رأيه طابت أنفسنا .

٥٩/٣ فخرجت على وجل ؟ فلما انتهيت إلى الرى ، إذا صاحب الرى قد أتاه كتاب أبي مسلم : إنه بلغني أن عبد الله بن محمد توجه إليك ، فإذا قدم فأشخصه ساعة قدومه (١) عليك . فلما قدمت أتاني عامل الرى فأخبرني بكتاب أبي مسلم ، وأمرني بالرحيل ، فازددت وجلاً ، وخرجت من الرى وأنا حذر خائف فسررت ، فلما كنت بنيسابور إذا عاملها قد أتاني بكتاب أبي مسلم : إذا قدم عليك عبد الله بن محمد فأشخصه ولا تدعه [يقيم] (٢) ، فإن أرضك أرض

خَوَارِجَ وَلَا آمَنَ عَلَيْهِ . فَطَابَتْ نَفْسِي وَقُلْتُ : أَرَاهُ يُعْزِنِي بِأَمْرِي . فَسَرْتُ ، فَلَمَّا كُنْتُ مِنْ مَرَّوَ عَلَى فَرَسَيْنِ ، تَلَقَّانِي أَبُو مُسْلِمٍ فِي النَّاسِ ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي أَقْبَلَ يَمْشِي إِلَيَّ ؛ حَتَّى قَبَّلَ يَدِي ، فَقُلْتُ : ارْكَبْ ، فَرَكِبَ فَدَخَلَ مَرَّوَ ، فَتَزَلَّتْ دَارًا فَكُتَّتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، لَا يَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ ، ثُمَّ قَالَ لِي فِي الْيَوْمِ الرَّابِعِ : مَا أَقْدَمَكَ ؟ فَأَخْبَرْتَهُ ، فَقَالَ : فَعَلَهَا أَبُو سَلَمَةَ ! أَكْفَيْكُمْوه ! فِدَعَا مَرَّارَ ابْنَ أَنَسِ الضَّبِّيِّ ، فَقَالَ : انْطَلِقْ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَاقْتُلْ أَبَا سَلَمَةَ حَيْثُ لَقِيْتَهُ ؛ وَانْتَهَ فِي ذَلِكَ إِلَى رَأْيِ الْإِمَامِ . فَقَدِمَ مَرَّارَ الْكُوفَةَ ؛ فَكَانَ أَبُو سَلَمَةَ يَسْمُرُ عِنْدَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، فَقَعَدَ فِي طَرِيقِهِ ، فَلَمَّا خَرَجَ قَتَلَهُ فَقَالُوا : قَتَلَهُ الْخَوَارِجُ .

قَالَ عَلِيٌّ : فَحَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي سَلِيمٍ ، عَنْ سَالِمٍ ، قَالَ : صَحَبْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مِنَ الرَّيِّ إِلَى خُرَّاسَانَ ، وَكُنْتُ حَاجِبَتَهُ ، فَكَانَ أَبُو مُسْلِمٍ يَأْتِيهِ فَيَنْزِلُ عَلَى بَابِ الدَّارِ وَيَجْلِسُ فِي الدَّهْلِيزِ ، وَيَقُولُ : اسْتَأْذِنْ لِي ، فَغَضِبَ أَبُو جَعْفَرٍ عَلَيَّ ، وَقَالَ : وَيْلَكَ ! إِذَا رَأَيْتَهُ فَافْتَحْ لَهُ الْبَابَ ، وَقُلْ لَهُ يَدْخُلْ عَلَى دَابَتِهِ . فَفَعَلْتُ وَقُلْتُ لِأَبِي مُسْلِمٍ : إِنَّهُ قَالَ كَذًا وَكَذًا ، قَالَ : نَعَمْ ، أَعْلَمُ ، وَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ .

وَقَدْ قِيلَ : إِنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ قَدْ كَانَ تَنْكَرَ لِأَبِي سَلَمَةَ قَبْلَ ارْتِحَالِهِ مِنْ ٦٠/٣ عَسْكَرِهِ بِالنُّخَيْلَةِ ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْهَاشِمِيَّةِ ، فَتَزَلَّ قَصْرَ الْإِمَارَةِ بِهَا ، وَهُوَ مُتَنَكِّرٌ لَهُ ، قَدْ عَرَفَ ذَلِكَ مِنْهُ ، وَكُتِبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ يَعْلَمُهُ رَأْيُهُ ، وَمَا كَانَ هَمُّ بِهِ مِنَ الْغَيْشِ ، وَمَا يَتَخَوَّفُ مِنْهُ ، فَكُتِبَ أَبُو مُسْلِمٍ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : إِنْ كَانَ أَطْلَعَ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُ فَلْيَقْتُلْهُ ؛ فَقَالَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ لِأَبِي الْعَبَّاسِ : لَا تَفْعَلْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَيَحْتِجَّ عَلَيْكَ بِهَا أَبُو مُسْلِمٍ وَأَهْلُ خُرَّاسَانَ الَّذِينَ مَعَكَ ، وَحَالَهُ فِيهِمْ حَالَهُ ؛ وَلَكِنْ اكْتُبْ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ فَلْيَبْعَثْ إِلَيْهِ مَنْ يَقْتُلُهُ ، فَكُتِبَ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ بِذَلِكَ ، فَبَعَثَ بِذَلِكَ أَبُو مُسْلِمٍ مَرَّارَ بْنَ أَنَسِ الضَّبِّيِّ ، فَقَدِمَ عَلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ الْهَاشِمِيَّةِ ، وَأَعْلَمَهُ سَبَبَ قُدُومِهِ ، فَأَمَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ مَنَادِيًّا فَنَادَى : إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ رَضِيَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ وَدَعَاهُ وَكَسَاهُ ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ لَيْلَةً ، فَلَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ حَتَّى ذَهَبَ عَامَّةَ اللَّيْلِ ، ثُمَّ خَرَجَ مُنْصَرَفًا

إلى منزله يمشى وحده ؛ حتى دخل الطاقات ، فعرض له مرار بن أنس ومن كان معه من أعرانه بقتلوه ، وأغلقت أبواب المدينة ، وقالوا : قتل الخوارج أبا سلمة . ثم أخرج من الغد ؛ فصلى عليه يحيى بن محمد بن علي ، ودفن في المدينة الهاشمية ، فقال سليمان بن المهاجر البجلي :

إِنَّ الْوَزِيرَ وَزِيرَ آلِ مُحَمَّدٍ أَوْدَى فَمَنْ يَشْنَاكَ كَانَ وَزِيرًا

وكان يقال لأبي سلمة : وزير آل محمد ، ولأبي مسلم : أمين ٦١/٣ آل محمد . فلما قتل أبو سلمة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر في ثلاثين رجلاً إلى أبي مسلم ؛ فيهم الحجاج بن أرطاة وإسحاق بن الفضل الهاشمي . ولما قدم أبو جعفر على أبي مسلم سايهه عبيد الله بن الحسين الأعرج وسليمان بن كثير معه ، فقال سليمان بن كثير للأعرج : يا هندا ؛ إنا كنا نرجو أن يتم أمركم ؛ فإذا شتم فادعونا إلى ما تريدون ، فظن عبيد الله أنه دسيس من أبي مسلم ، فخاف ذلك . وبلغ أبا مسلم مسaire سليمان بن كثير إياه ، وأتى عبيد الله أبا مسلم ، فذكر له ما قال سليمان ، وظن أنه إن لم يفعل ذلك اغتاله فقتله ، فبعث أبو مسلم إلى سليمان بن كثير ، فقال له : أتحتفظ قول الإمام لي : من اتهمته فاقتله ؟ قال : نعم ، قال : فإني قد اتهمتك ، فقال : أنشدك الله ! قال : لا تناشدني الله وأنت منطوي على غش الإمام ؛ فأمر بضرب عنقه . ولم ير أحد آمن كان يضرب عنقه أبو مسلم غيره ، فانصرف أبو جعفر من عند أبي مسلم ، فقال لأبي العباس : لست خليفة ولا أمرك بشيء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله ، قال : وكيف ؟ قال : والله ما يصنع إلا ما أراد ، قال أبو العباس : اسكت فاكتمها .

* * *

[ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط]

وفي هذه السنة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر إلى واسط لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة ؛ وقد ذكرنا ما كان من أمر الجيش الذين لقوه من أهل خراسان مع قحطبة ، ثم مع ابنه الحسن بن قحطبة وانهزامه ولحاقه بمن معه من جنود الشام بواسط متحصنين بها ؛ فذكر علي بن محمد عن أبي عبد الله السلمي

عن عبد الله بن بدر وزهير بن هنيذ وبشر بن عيسى وأبي السريّ أن ابن ٦٢/٣ هبيرة لما انهزم تفرق الناس عنه، وخلف على الأنقال قوماً، فذهبوا بتلك الأموال فقال له حوثة: أين تذهب وقد قتل صاحبهم^(١) ! امض إلى الكوفة ومعه جند كثير ، فقاتلهم حتى تقتل أو تظفر ، قال : بل نأق واسطاً فننظر ، قال : ما تزيد على أن تمكّنه من نفسك وتقتل ، فقال له يحيى بن حضين : إنك لا تأتي مروان بشيء أحب إليه من هذه الجنود ، فالزم الفُرات حتى تقدم عليه ؛ وإياك واسطاً ؛ فتصير في حصار ، وليس بعد الحصار إلا القتل . فأبى . وكان يخاف مروان لأنه كان يكتب إليه في الأمر فيخالفه ؛ فخافه إن قدم عليه أن يقتله ، فأق واسطاً فدخلها ، وتحصن بها .

وسرح أبو سلمة الحسن بن قحطبة ، فخذق الحسن وأصحابه ، فنزلوا فيما بين الزاب ودجلة ؛ وضرب الحسن سرادقه حيمال باب المضمار ، فأول وقعة كانت بينهم يوم الأربعاء ، فقال أهل الشام لابن هبيرة : ائذن لنا في قتالهم ، فأذن لهم ، فخرجوا وخرج ابن هبيرة ، وعلى ميمنته ابنه داود ، ومعه محمد بن نبانة في ناس من أهل خراسان ، فيهم أبو العود الخراساني ، فالتقوا وعلى ميمنته الحسن خازم بن خزيمية ، وابن هبيرة قبالة باب المضمار ، فحمل خازم على ابن هبيرة ، فهزموا أهل الشام حتى ألقواهم إلى الخنادق ، وبادر الناس باب المدينة حتى غصّ باب المضمار ، ورعى أصحاب العرّادات بالعرّادات ٦٣/٣ والحسن واقف . وأقبل يسير في الخيل فيما بين النهر والخندق ، ورجع أهل الشام ، ففكر عليهم الحسن ، فحالوا بينه وبين المدينة ، فاضطروهم إلى دجلة ، فغرق منهم ناس كثير ، فتلّقوه هم بالسفن ، فحملوهم ، وألقى ابن نبانة يومئذ سلاحه واقتحم ، فتبعوه بسفينة فركب وتحاجزوا ، فمكثوا سبعة أيام ، ثم خرجوا إليهم يوم الثلاثاء فاقتتلوا ، فحمل رجل من أهل الشام على أبي حفص هزار مرد ، فضربه وانتمى : أنا الغلام السلّميّ ، وضربه أبو حفص وانتمى : أنا الغلام العنكيّ ، فصصره ، وانهزم أهل الشام هزيمة قبيحة ، فدخلوا المدينة ، فمكثوا ما شاء الله لا يقتتلون إلا رمياً من وراء الفصيل .

(١) في ابن الأثير : « يعني قحطبة » .

وبلغ ابن هبيرة وهو في الحصار أن أبا أمية التغلبي قد سود ، فأرسل أبا عثمان إلى منزله ، فدخل على أبي أمية في قببته ، فقال : إن الأمير أرسلني إليك لأفتش قبلك ، فإن كان فيها سواد علقته في عنقك وجبلا ، ومضيت بك إليه ؛ وإن لم يكن في بيتك سواد فهذه خمسون ألفاً صلة لك . فأبى أن يدعه أن يفتش (١) قببته ، فذهب به إلى ابن هبيرة فحبسه ، فتكلم في ذلك مع ابن زائدة وناس من ربيعة ، وأخذوا ثلاثة من بني فزارة ؛ فحبسهم وشموا ابن هبيرة ، فجاءهم يحيى بن حُضَيْن ، فكلّمهم فقالوا : لا ندخل عندهم حتى يدخل عن صاحبنا ؛ فأبى ابن هبيرة ، فقال له : ما تفسد إلا على نفسك وأنت محصور ؛ نخل سبيل هذا الرجل ، قال : لا ولا كرامة ؛ فرجع ابن حُضَيْن إليهم فأخبرهم ، فاعتزل معن وعبد الرحمن بن بشير العجلي ، فقال ابن حُضَيْن لابن هبيرة : هؤلاء فرسانك قد أفسدتهم ؛ وإن تماديت في ذلك كانوا أشد عليك ممن حصرك ؛ فدعا أبا أمية فكساه ، وخلي سبيله ، فاصطلحوا وعادوا إلى ما كانوا عليه .

٦٤/٣

وقدم أبو نصر مالك بن الهيثم من ناحية سجستان ، فأوفد الحسن بن قحطبة وفداً إلى أبي العباس بقدم أبي نصر عليه ، وجعل على الوفد غيلان ابن عبد الله الخزاعي - وكان غيلان واجداً على الحسن لأنه سرّحه إلى رَوْح ابن حاتم مدداً له - فلما قدم على أبي العباس قال : أشهد أنك أمير المؤمنين ، وأنت جيل الله المتين ، وأنت إمام المتقين ؛ فقال : حاجتك يا غيلان ؟ قال : أستغفرك ، قال : غفر الله لك ، فقال داود بن علي : وفقك الله يا أبا فضالة ، فقال له غيلان : يا أمير المؤمنين ، من علينا برجل من أهل بيتك ، قال : أو ليس عليكم رجل من أهل بيتي ! الحسن بن قحطبة ؛ قال : يا أمير المؤمنين ، من علينا برجل من أهل بيتك ، فقال أبو العباس مثل قوله الأول ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ من علينا برجل من أهل بيتك ننظر إلى وجهه ، وتقرّ أعيننا به ، قال : نعم يا غيلان ؛ فبعث أبا جعفر ، فجعل غيلان على شرطه فقدم واسطاً ، فقال أبو نصر لغيلان : ما أردت لا ما صنعت ؟ قال : « به بود » (٢) ،

(١) ج : « ليفتش » (٢) به بود ، كلمة فارسية معناها « سلامة » .

فكث أياماً على الشرط ، ثم قال لأبي جعفر : لا أقوى على الشرط ؛ ولكني أدلك على مَنْ هو أجلد مني ، قال : مَنْ هو ؟ قال : جَهْوَ بن مَرَّار ، قال : لا أقدر على عزلك ؛ لأنَّ أمير المؤمنين استعملك ، قال : اكتب إليه فأعلمه ، فكتب إليه ، فكتب إليه أبو العباس : أن اعمل برأى غَيْلَان ، فولَّى شَرْطَه جَهْوَراً . وقال أبو جعفر للحسن : ابغني رجلاً أجعله على حرسى ، قال : مَنْ قد رضيته لنفسى ؛ عثمان بن ذَهَيْك ، فولَّى الحرس .

قال بشر بن عيسى : ولما قدم أبو جعفر واسطاً ، تحول له الحسن عن حجرته ، فقاتلهم وقاتلوه ، فقاتلهم أبو نصر يوماً ، فانهزم أهلُ الشام إلى خنادقهم ؛ وقد كمن لهم معن وأبو يحيى الجذامى ، فلما جاوزهم أهل خراسان ، خرجوا عليهم ؛ فقاتلهم حتى أمسوا ، وترجل لهم أبو نصر ؛ فاقتتلوا عند الخنادق ، ورفعت لهم النيران وابن هبيرة على بُرْج باب الخلاّين ، فاقتتلوا ما شاء الله من الليل . وسرح ابن هبيرة إلى معن أن ينصرف ، فانصرف ومكثوا أياماً . وخرج أهلُ الشام أيضاً مع محمد بن نُبَّاتة ومعن بن زائدة وزباد بن صالح وفرسان من فرسان أهل الشام ، فقاتلهم أهلُ خراسان ، فهزموهم إلى دِجْلَة ، فجعلوا يتساقطون في دِجْلَة ، فقال أبو نصر : يا أهلَ خراسان « مردمانِ خائنه بيبان هستيد و برخيزد » ، فرجعوا وقد صُرع ابنه ، فحماه روح بن حاتم ، فرّ به أبوه ، فقال له بالفارسية : قد قتلوك يا بنى ؛ لعن الله الدنيا بعدك ! وحمالوا على أهل الشام فهزموهم حتى أدخلوهم مدينة واسط ، فقال بعضهم لبعض : لا والله لا تفلح بعدُ عِشْتْنَا أبداً ؛ خرجنا عليهم ونحن فرسان أهلُ الشام ، فهزمونا حتى دخلنا المدينة .

٦٦/٣ وقَتِل تلك العشيّة من أهل خُراسان بكار الأنصارى ورجل من أهل خراسان ؛ كانا من فرسان أهل خراسان ؛ وكان أبو نصر في حصار ابن هبيرة يملأ السفن حطباً ، ثم يضرهما بالنار لتحرق ما مرّت به ؛ فكان ابن هبيرة يهتئ حَرَاقَات (١) كان فيها كلاليب تجرّ تلك السفن ؛ فكثوا بذلك أحدَ عشر شهراً ، فلما طال ذلك عليهم طلبوا الصلح ؛ ولم يطلبوه حتى جاءهم خبرُ

(١) الحراقة ، بالفتح والتشديد : ضرب من السفن فيها مراى نيران يرى بها العدو في البحر .

قتل مروان ، أتاها به إسماعيل بن عبد الله القسريّ ، وقال لهم : علام تقتلون أنفسكم ، وقد قتل مروان !

وقد قيل : إنّ أبا العباس وجّه أبا جعفر عند مقدمه من خراسان منصرفاً من عند أبي مسلم إلى ابن هبيرة لحربه ، فشخص أبو جعفر حتى قدم على الحسن ابن قحطبة ؛ وهو محاصر ابن هبيرة بواسط ، فتحوّل له الحسن عن منزله ، فنزله أبو جعفر ، فلما طال الحصار على ابن هبيرة وأصحابه تحنّى عليه أصحابه ، فقالت الياثية : لا نعين مروان وآثاره فينا آثاره . وقالت الزارية : لا نقاتل حتى نقاتل معنا الياثية ؛ وكان إنما يقاتل معه الصعاليك والفتيان ؛ وهم ابن هبيرة أن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن ؛ فكتب إليه فأبطأ جوابه ؛ وكتب أبو العباس الياثية من أصحاب ابن هبيرة ؛ وأطمعهم . فخرج إليه زياد بن صالح وزباد بن عبيد الله الحارثيان ؛ ووعدا ابن هبيرة أن يصلحا له ناحية أبي العباس فلم يفعلوا ؛ وجرت (١) السفراء بين أبي جعفر وبين ابن هبيرة حتى جعل له أماناً ، وكتب به كتاباً ، مكث يشاور فيه العلماء أربعين يوماً حتى رضيّه ابن هبيرة ، ثم أنفذه إلى أبي جعفر ، فأنفذ أبو جعفر إلى أبي العباس ، فأمره بإمضائه ؛ وكان رأى أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه ، وكان أبو العباس لا يقطع أمراً دون أبي مسلم ، وكان أبو الجهم عيناً لأبي مسلم على أبي العباس ، فكتب إليه بأخباره كلها ، فكتب أبو مسلم إلى أبي العباس : إنّ الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسدت ؛ لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة .

ولما تمّ الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلثمائة من البخارية ؛ فأراد أن يدخل الحجرة على دابته ، فقام إليه الحاجب سلام بن سليم ، فقال : مرحباً بك أبا خالد ! انزل راشداً ؛ وقد أطاف بالحجرة نحو من عشرة آلاف من أهل خراسان ، فنزل ، ودعا له بوسادة ليجلس عليها ، ثم دعا بالقواد فدخلوا ، ثم قال سلام : ادخل أبا خالد ؛ فقال له : أنا ومن معي ؟ فقال : إنما استأذنتُ لك وحدك ، فقام فدخل ، ووضع له وسادة ، فجلس عليها ، فحادثه ساعة ، ثم قام وأتبعه أبو جعفر بصره حتى غاب عنه ؛ ثم مكث يقيم عنه يوماً ، ويأتيه يوماً

(١) ب : « وجعلت » .

في خمسمائة فارس وثلثمائة راجل ؛ فقال يزيد بن حاتم لأبي جعفر : أيها الأمير ؛ إن ابن هبيرة ليأتني فيتضعضع له العسكر ؛ وما نقص من سلطانه شيء ، فإذا كان يسير في هذه الفرسان والرجال ، فما يقول عبد الجبار وجهور ! فقال أبو جعفر لسلام : قل لابن هبيرة يدع الجماعة ويأتينا في حاشيته [نحواً من ثلاثين^(١)] ، فقال له سلام ذلك ، فتغير وجهه ، وجاء في حاشيته نحواً من ثلاثين ، فقال له سلام : كأنك تأتي مباهياً^(٢) ! فقال : إن أمرتم أن نمشي إليكم مشينا ، فقال : ٦٨/٣ ما أردنا بك استخفافاً ، ولا أمر الأمير بما أمر به إلا نظراً لك ؛ فكان بعد ذلك يأتي في ثلاثة .

وذكر أبو زيد أن محمد بن كثير حدثه ، قال : كلم ابن هبيرة يوماً أبا جعفر ، فقال : يا هناء — أو يأيها المرء — ثم رجع ، فقال : أيها الأمير ؛ إن عهدي بكلام الناس بمثل ما خاطبتك به حديث ، فسبقني لسانى إلى ما لم أرده . وألح أبو العباس على أبي جعفر يأمره بقتله وهو يراجع ؛ حتى كتب إليه : والله لتقتلنه أو لأرسلن^(٣) إليه من يخرجك من حُجرتك^(٤) ، ثم يتولى قتله . فأزعم على قتله ، فبعث خازم بن خزيمه والهيثم بن شعبة بن ظهير ؛ وأمرهما بختم بيوت الأموال . ثم بعث إلى وجوه من معه من القيسية والمضرية ، فأقبل محمد ابن نباتة وحوثرة بن سهيل وطارق بن قدامة وزيايد بن سويد وأبو بكر بن كعب العُقيلي وأبان وبشر ابنا عبد الملك بن بشر ؛ في اثنين وعشرين رجلاً من قيس ، وجعفر بن حنظلة وهزّان بن سعد .

قال : فخرج سلام بن سليم ، فقال : أين حوثره ومحمد بن نباتة ؟ فقاما ، فدخلوا ، وقد أجلس عثمان بن نهيك والفضل بن سليمان وموسى بن عقيل في مائة في حُجرة دون حجرتهم ، فنزعت سيوفهمَا وكتفا ، ثم دخل بشر وأبان ابنا عبد الملك بن بشر ، ففعل بهما ذلك ؛ ثم دخل أبو بكر بن كعب وطارق ابن قدامة ، فقام جعفر بن حنظلة ، فقال : نحن رؤساء الأجناد ، ولم يكن هؤلاء يقدّمون علينا ؟ فقال : ممن أنت ؟ قال : من بهراء ، فقال : وراءك ٦٩/٣

(٢) : « متأباً » .

(١) من أ .

(٣) ج : « منزلك » .

أوسع لك ، ثم قام هزّان ، فتكلم فأخّر ، فقال روح بن حاتم :
يا أبا يعقوب ، نزعنا^(١) سيوف القوم ، فخرج عليهم^(٢) موسى بن عقيل ، فقالوا
له^(٣) : أعطيتمونا عهد الله ثم خيستم به ! إنا لندرجو أن يدرككم الله ؛ وجعل
ابن نباتة يضرط^(٤) في الحية نفسه ، فقال له حوثره : إن هذا لا يغني عنك
شيئاً ؛ فقال : كأنني كنت أنظر إلى هذا ، فقتلوا . وأخذت خواتيمهم .
وانطلق خازم والهيثم بن شعبة والأغلب بن سالم في نحو من مائة ، فأرسلوا
إلى ابن هبيرة : إنا نريد حمل المال ، فقال ابن هبيرة لحاجبه : يا أبا عثمان ،
انطلق فدلهم عليه ، فأقاموا عند كل بيت نفراً ، ثم جعلوا ينظرون في نواحي
الدّار ، ومع ابن هبيرة ابنه داود وكاتبه عمرو بن أيّوب وحاجبه وعدة من
مواليه ، وبنى له صغير في حجيرته ؛ فجعل ينكر نظرهم فقال : أقسم بالله
إن في وجوه القوم لشراً ، فأقبلوا نحوه ، فقام حاجبه في وجوهم ، فقال :
ما وراءكم ؟ فضربه الهيثم بن شعبة على حبل عاتقه فصرعه ، وقتل ابنه داود
فقتل مواليه ، ونحس الصبي من حجيرته ، وقال : دونكم هذا الصبي ، وخرّ ساجداً
فقتل وهو ساجد ، ومضوا برءوسهم إلى أبي جعفر ، فنادى بالأمان للناس إلّا
للحكم بن عبد الملك بن بشر وخالد بن سلمة المخزومي وعمرو بن ذر ، فاستأمن
زياد بن عبيد الله لابن ذر فأمنه أبو العباس ، وهرب الحكم ، وآمن أبو جعفر
خالداً ، فقتله أبو العباس ، ولم ينجز أمان أبي جعفر ، وهرب أبو علاقة وهشام
ابن هشيم بن صفوان بن مزيد الفزاريان ، فلحقهما حجر بن سعيد الطائي
فقتلها على الزّآب ، فقال أبو عطاء السّندي يرثيه :

٧٠/٣

أَلَا إِنَّ عَيْنًا لَمْ تَجِدْ يَوْمَ وَاسِطٍ عَلَيْكَ بِجَارِي دَمْعِهَا لَجَمُودٌ^(٥)
عَشِيَّةَ قَامَ النَّائِحَاتُ وَشَقَّقَتْ جُيُوبٌ بِأَيْدِي مَاتِمٍ وَخُدُودٌ
فَإِنْ تُنْسَ مَهْجُورَ الْفِنَاءِ فَرَبَّمَا أَقَامَ بِهِ بَعْدَ الْوُفُودِ وَوُفُودٌ
فَإِنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتَعَهْدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التَّرَابِ بَعِيدٌ

(١) « تركت » .

(٢) ج : « إليهم » .

(٣) ج : « قد » .

(٤) ج : « يطرد في لحم نفسه » . (٥) ديوان الحماسة ٢ : ٢٩٥ - بشرح التبريزي .

وقال منقذ بن عبد الرحمن الهلالي يرثيه :

مَنَعَ العزاءَ حرارةَ الصُّدُرِ والحُزنَ عقدَ عزيمةِ الصَّبْرِ
لما سَمِعْتُ بوقعةَ شملتْ بالشيبِ لونَ مفارقِ الشَّعْرِ
أفنى الحِماةِ الغرَّ أنْ عَرَضْتُ دونَ الوفاءِ حَبائِلُ الغَدْرِ
مالت حَبائِلُ أمرهم بفتى مثلِ النجومِ حَفَقْنَ بالبدرِ
عَالَى نَعِيمُهُمْ فَقُلْتُ لَهُ هَلَّا أَتَيْتَ بِصَيْحَةِ الحَشْرِ!
للهِ دَرْكٌ مَن زَعَمْتَ لَنَا أنْ قد حَوَتْهُ حوادثُ الدهرِ
مَنَ للمنابرِ بعدَ مَهْلِكِهِمْ أو مَن يَسُدُّ مَكَارِمَ الفَخْرِ!
فإذا ذَكَرْتُهُمْ شكا أَلَمًا قلبي لَفَقَدَ فِوارسَ زُهْرِ
قَتَلِي بِدِجْلَةٍ ما يَغْمُهُمْ إلا عُبابُ زَوَاخِرِ البحرِ
فَلْتَبْلِكِ نِسْوَتُنَا فِوارسَهَا خَيْرَ الحِماةِ لِيَالِي الدُّغْرِ

وذكر أبو زيد أن أبا بكر الباهلي حَدَّثَهُ ، قال : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ ، قال : كان هشام بن عبد الملك خطب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة ابنته على ابنه معاوية ، فأبى أن يزوجه ، فجرى بعد ذلك بين يزيد بن عمر وبين الوليد بن القعقاع كلام ؛ فبعث به هشام إلى الوليد بن القعقاع ، فضربه وجبسه ، فقال ابن طيئسة :

يا قَلَّ خَيْرُ رِجالٍ لا عَقولَ لَهُمْ مَن يَعدِلونَ إلى المَحبوسِ في حَلَبِ
إلى امرئٍ لم تُصِبْهُ الدَّهْرُ مُعْضِلَةٌ إلا اسْتَثَقَلْ بِها مُسْتَرْخِي اللَّبَبِ

وقيل : إن أبا العباس لما وجّه أبا جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة ، كتب إلى الحسن بن قحطبة : إن العسكر عسكرُكَ ، والقوَادَ قوَادُكَ ؛ ولكن أحببت أن يكون أخى حاضراً ، فاسمع له وأطع ، وأحسين مؤازرته . وكتب إلى أبي نصر مالك بن الهيثم بمثل ذلك ؛ فكان الحسن المدبر لذلك العسكر بأمر المنصور .

وفي هذه السنة وجه أبو مسلم محمد بن الأشعث على فارس ، وأمره أن يأخذ عمال أبي سلمة فيضرب أعناقهم . ففعل ذلك .

وفي هذه السنة وجه أبو العباس عمه عيسى بن عليّ على فارس ، وعليها محمد بن الأشعث ، فهمّ به ، فقبل له : إن هذا لا يسوغ لك ، فقال : بلى ، أمرني أبو مسلم ألا يقدم عليّ أحد يدعي الولاية من غيره إلا ضربت عنقه . ثم ارتدع عن ذلك لما تخوف من عاقبته ، فاستحلف عيسى بالآيمان المحرجة ألا يعلو منبراً ، ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد ؛ فلم يل عيسى بعد ذلك عملاً ، ولا تقلد سيفاً إلا في غزو . ثم وجه أبو العباس بعد ذلك إسماعيل بن عليّ والياً على فارس .

٧٢/٣

وفي هذه السنة وجه أبو العباس أخاه أبا جعفر والياً على الجزيرة وأذربيجان وأرمينية ، ووجه أخاه يحيى بن محمد بن عليّ والياً على الموصل .

وفيها عزل عمه داود بن عليّ عن الكوفة وسوادها ، وولاه المدينة ومكة واليمن واليامة ، وولّى موضعه وما كان إليه من عمل الكوفة وسوادها عيسى بن موسى . وفيها عزّل مروان — وهو بالجزيرة عن المدينة — الوليد بن عروة ، وولاه أخاه يوسف بن عروة ؛ فذكر الواقدي أنه قدم المدينة لأربع خلون من شهر ربيع الأول .

وفيها استقضى عيسى بن موسى على الكوفة ابن أبي ليلى .

وكان العامل على البصرة في هذه السنة سفيان بن معاوية المهلبى . وعلى قضائها الحجاج بن أرطاة ، وعلى فارس محمد بن الأشعث ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان عبد الله بن محمد ، وعلى الموصل يحيى بن محمد ، وعلى كُور الشّام عبد الله بن عليّ ، وعلى مصر أبو عون عبد الملك بن يزيد ، وعلى خراسان والجبال أبو مسلم ، وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك .

وحجّ بالناس في هذه السنة داود بن عليّ بن عبد الله بن العباس (١) .

(١) إل هنا ينتهى الجزء الثانى عشر ؛ من نسخة أحمد الثالث ، وهى التى رمز لها بالحرف (ا) .

ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة*

ذكر ما كان في هذه السنة من الأحداث

فمن ذلك ما كان من توجيه أبي العباس عمه سليمان بن عليّ والياً على البصرة وأعمالها ، وكُور دجلة والبَحْرَيْنِ وُحْمَانٍ ومِهْرِجَانَقَدَقٍ ، وتوجيهه أيضاً عمه إسماعيل بن عليّ على كُور الأهواز .
وفيها قتل داود بن عليّ من كان أخذ من بني أميّة بمكة والمدينة .
وفيها مات داود بن عليّ بالمدينة في شهر ربيع الأول ؛ وكانت ولايته - فيما ذكر محمد بن عمر - ثلاثة أشهر .

واستخلف داود بن عليّ حين حضرته الوفاة على عمله ابنه موسى ؛ ولما بلغت أبا العباس وفاته وجهه على المدينة ومكة والطائف واليامة خاله زياد بن عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ، وجهه محمد بن يزيد بن عبد الله ابن عبد المدان على اليمن ، فقدم اليمن في جمادى الأولى ، فأقام زياد بالمدينة ومضى محمد إلى اليمن . ثم وجه زياد بن عبيد الله من المدينة لإبراهيم بن حسان السلمي ؛ وهو أبو حماد الأبرص - إلى المشتى بن يزيد بن عمر بن هبيرة وهو باليامة ، فقتله وقتل أصحابه .

وفيها كتب أبو العباس إلى أبي عون بإقراره على مصر والياً عليها ، وإلى عبد الله وصالح ابني عليّ على أجناد الشام .
وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى إفريقية فقاتلهم قتالا شديداً حتى فتحها .

وفيها خرج شريك بن شيخ المهري^(٢) بخُرَاسَانِ على أبي مسلم ببخارى^{٧٤/٣} ونقم^(٣) عليه ، وقال : ما على هذا اتبعنا آل محمد ، على أن نسفك الدماء ، ونعمل بغير الحق . وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفاً ، فوجه إليه أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقاتله فقتله .

* من هنا تبدأ المقابلة على الجزء الثاني عشر من الفسخة التيمورية ؛ وهي التي رمزت لها بالحرف (ت) .
(٢) ج : « الفهرى » . (٣) ج : « ونقض عليه » .

وفيها توجه أبو داود خالد بن إبراهيم من الوخش إلى الختل ، فدخلها ولم يمتنع عليه حنش^(١) بن السبل ملكها ، وأتاه ناس من دهاقين الختل ، فتحصنوا معه ، وامتنع بعضهم في الدروب والشعاب والقلاع . فلما ألح أبو داود على حنش ، خرج من الحصن ليلاً ومعه دهاقينه وشاكريته حتى انتهوا إلى أرض فترغانة ؛ ثم خرج منها في أرض الترك ، حتى وقع إلى ملك الصين ؛ وأخذ أبو داود من ظفر به منهم ، فجاوز بهم إلى بلسخ ، ثم بعث بهم إلى أبي مسلم .

وفيها قتل عبد الرحمن بن يزيد بن المهلب ؛ قتله سليمان الذي يقال له الأسود ، بأمان كتبه له .

وفيها وجه صالح بن علي سعيد بن عبد الله لغزو الصائفة ؛ وراء الدروب . وفيها عزل يحيى بن محمد عن الموصل ، واستعمل مكانه إسماعيل بن علي .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة زياد بن عبيد الله الحارثي ؛ كذلك حدثني أحمد ابن ثابت ، عن حدثه ، عن إسحاق بن عيسى ، عن أبي معشر ، وكذلك قال الواقدي وغيره .

٧٥/٣

وكان على الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابن أبي ليلى ، وعلى البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين وعمان والعرض ومهرجان قذق سليمان ابن علي ، وعلى قضائها عباد بن منصور ، وعلى الأهواز إسماعيل بن علي ، وعلى فارس محمد بن الأشعث ، وعلى السند منصور بن جمهور ، وعلى خراسان والجلال أبو مسلم ، وعلى قنسرين وحمص وكور دمشق والأردن عبد الله بن علي ، وعلى فلسطين صالح بن علي .

وعلى مصر عبد الملك بن يزيد أبو عون ، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد المنصور ، وعلى الموصل إسماعيل بن علي ، وعلى أرمينية صالح بن صبيح ، وعلى أذربيجان مجاشع بن يزيد .

وعلى ديوان الحراج خالد بن برمك .

ثم دخلت سنة أربع وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

• • •

[ذكر خبر خلع بسام بن إبراهيم]

ففيها خالف بسام بن إبراهيم بن بسام ، وخلع ، وكان من فرسان أهل خراسان . وشخص — فيما ذكر — من عسكر أبي العباس أمير المؤمنين مع جماعة ممن شايعه على ذلك من رأيته مستترين^(١) ، بخروجهم ، ففحص عن أمرهم وإلى أين صاروا ، حتى وقف على مكانهم بالمدائن ، فوجه إليهم أبو العباس خازم بن خزيمعة ، فلما لقي بساماً ناجزه القتال ، فانهزم بسام وأصحابه وقتل أكثرهم ، واستبيح عسكره ، ومضى خازم وأصحابه في طلبهم^(٢) ، في أرض جوخي إلى أن بلغ ماه ، وقتل كل من لحقه منهزماً ، أو ناصبه القتال ؛ ثم انصرف من وجهه ذلك ؛ فرّ بذات المطامير — أو بقرية شبيهة بها — وبها من بني الحارث بن كعب من بني عبد المدان ؛ وهم أخوال أبي العباس ذنبه^(٣) فرّ بهم وهم في مجلس لهم — وكانوا خمسة وثلاثين رجلاً منهم ومن غيرهم ثمانية عشر رجلاً ، ومن مواليتهم سبعة عشر رجلاً — فلم يسلم عليهم ، فلما جاز شتموه ؛ وكان في قلبه عليهم ما كان لما بلغه عنهم من حال المغيرة بن القرع^(٤) ، وأنه لحا إليهم ، وكان من أصحاب بسام بن إبراهيم فكر راجعاً ، فسألهم عما بلغه من نزول المغيرة بهم ؛ فقالوا : مرّ بنا رجل مجتاز لا نعرفه ؛ فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج عنها ، فقال لهم : أنتم أخوال أمير المؤمنين ويأتيكم عدوه ، فيأمن في قريتكم ! فهلا اجتمعتم فأخذتموه ! فأغلظوا له الجواب ، فأمر بهم ففُضِرَت أعناقهم جميعاً ، وهُدِمت دورهم ، وانتهبت أموالهم ، ثم انصرف إلى أبي العباس ؛ وبلغ ما كان من فعل خازم اليمانية ، فأعظموا ذلك ؛ واجتمعت كلمتهم ، فدخل زياد بن عبيد الله الحارثي على أبي العباس مع عبد الله بن

(١) ط : « مستترين » وما أثبتته من ت . (٢) ج : « طلبه » .

(٣) ابن الأثير : « دنيا » . (٤) ت : « القرع » .

الربيع الحارثي وعثمان بن نهيك ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن ؛ وهو يومئذ على شُرطة أبي العباس ؛ فقالوا : يا أمير المؤمنين ؛ إن خادماً اجترأ عليك بأمر لم يكن أحد^(١) من أقرب ولد أبيك ليَجترئ عليك به ؛ من استخفافه بحقك ؛ وقتل أخوالك الذين قطعوا البلاد ، وأتوك معتزّين بك ، طالبين معروفك ؛ حتى إذا صاروا إلى دارك وجوارك ، وثب عليهم خازم فضرب أعناقهم ، وهدم دورهم ، وأنهب أموالهم ، وأخرب ضياعهم ؛ بلا حدث أحدثوه . فهم بقتل خازم ؛ فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا الجهم بن عطية ، فدخلوا على أبي العباس ، فقالا : بلغنا يا أمير المؤمنين ما كان من تحميل^(٢) هؤلاء القوم إياك على خازم ؛ وإشارتهم عليك بقتله ؛ وما هممت به من ذلك ؛ وإنا نعيذك بالله من ذلك ؛ فإنّ له طاعةً وسابقةً ؛ وهو يُحتمل له ما صنع ؛ فإنّ شيعتكم من أهل خراسان قد آثروكم على الأقارب من الأولاد والآباء والإخوان ؛ وقتلوا من خالفكم ، وأنّت أحقّ من تعتمد إساءة مسيئتهم ؛ فإن كنت لا بد مجمعاً على قتله فلا تتولّ ذلك بنفسك ، وعرضه من المباحث لما إن قتل فيه كنت قد بلغت الذي أردت^(٣) ، وإن ظفر كان ظفره لك . وأشاروا عليه بتوجيهه إلى من بعُمان من الخوارج إلى الجَلندى وأصحابه ، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابن كاوان مع شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، فأمر أبو العباس بتوجيهه مع سبعمائة رجل ؛ وكتب إلى سليمان بن عليّ وهو على البصرة بمحلمهم في السفن إلى جزيرة ابن كاوان وعُمان فشخص .

* * *

[أمر الخوارج مع خزيمة بن خازم وقتل شيبان بن عبد العزيز]
وفي هذه السنة شخص خازم بن خزيمة إلى عُمان ، فأوقع بمَن فيها من الخوارج ، وغلب عليها وعلى ما قُرب منها من البلدان وقتل شيبان الخارجي .
* ذكر الخبر عما كان منه هنالك :

ذُكر أن خازم بن خزيمة شخص في السبعمائة الذين ضمّهم إليه أبو العباس ، وانتخب من أهل بيته وبني عمه ومواليه ورجال من أهل مَرَو الروذ ، قد عرفهم

(٢) ت : « تحيل » .

(١) ت : « رجل » .

(٣) ت : « قد أردت » .

ووثق بهم ؛ فسار إلى البصرة ، فحملهم سليمان بن علي ، وانضم إلى خازم بالبصرة عدة من بني تميم ، فساروا حتى أرسوا بجزيرة ابن كاوان ، فوجه خازم فضلة بن نعيم^(١) النهشلي في خمسمائة رجل من أصحابه إلى شيبان ، فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديداً ، فركب شيبان وأصحابه السفن ، فقطعوا إلى عُمان - وهم صُفْرِيَّة - فلما صاروا إلى عُمان نَصَب لهم الجُلندى وأصحابه - وهم إِباضِيَّة - فاقتتلوا قتالا شديداً ، فقتل شيبان ومن معه ، ثم سار خازم في البحر بمن معه ؛ حتى أرسوا إلى ساحل عُمان ، فخرجوا إلى صحراء ، فلقبهم الجُلندى وأصحابه ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، وكثر القتل يومئذ في أصحاب خازم ؛ وهم يومئذ على ضفة البحر ، وقتل فيمن قُتِل أخ خازم لأمه يقال له إسماعيل ، في تسعين رجلاً من أهل مَرَوْ الروذ ، ثم تلاقوا في اليوم الثاني ؛ فاقتتلوا قتالا شديداً ، وعلى يمينته رجل من أهل مَرَوْ الروذ ، يقال له حميد الورتكاني ، وعلى يسارته رجل من أهل مَرَوْ الروذ يقال له مسلم الأرعدي ، وعلى ثلاثه فضلة بن نعيم النهشلي ، فقتل يومئذ من الخوارج تسعمائة رجل ، وأحرقوا منهم نحواً من تسعين رجلاً . ثم التقوا بعد سبعة أيام من مَقْدَم خازم على رأى أشار به عليه رجل من أهل الصُّعْد ، وقع بتلك البلاد ، فأشار عليه أن يأمر أصحابه فيجعلوا على أطراف أسنتهم المشاقة^(٢) ، ويرووها بالنفط ، ويشعلوا فيها النيران ؛ ثم يمشوا بها حتى يضرموها في بيوت أصحاب الجُلندى . وكانت من خشب وخيلاف ؛ فلما فعل ذلك وأضرمت بيوتهم بالنيران وشغلوا بها ومن فيها من أولادهم وأهاليهم شد عليهم خازم وأصحابه ؛ فوضعوا فيهم السيوف وهم غير ممتنعين منهم ، وقتل الجُلندى فيمن قُتِل ، وبلغ عدة من قتل عشرة آلاف ؛ وبعث خازم برءوسهم إلى البصرة ، فكثت^(٣) بالبصرة أياماً ، ثم بعث بها إلى أبي العباس ، وأقام خازم بعد ذلك أشهراً ؛ حتى أتاه كتاب أبي العباس بإقفاله فقفلوا .

[ذكر غزوة كَس]

وفي هذه السنة غزا أبو داود خالد بن إبراهيم أهل كَس^(٤) فقتل الأخرید

(١) ابن الأثير : « فضلة بن نعيم » . (٢) المشاقة من الكتان والقطن والشعر : ما خلص منه .

(٣) ط : « فكث » . (٤) ط : « كش » ، وانظر الفهرس .

ملكها ؛ وهو سامع مطيع قدم عليه قبل ذلك بلخ ، ثم تلقاه بكندك مما يلي كس^٢؛ وأخذ أبو داود من الأخرید وأصحابه حين قتلهم من الأواني الصينية المنقوشة المذهبة التي لم يُرَ مثلها ، ومن السروج الصينية ومتاع الصين كله من الديباج وغيره ، ومن طُرَف الصين شيئاً كثيراً ، فحمله أبو داود أجمع إلى أبي مسلم وهو بسمَرَقَنْد ، وقتل أبو داود دهقان كس^٢ في عدّة من دهاقينها واستحيا طاران أخا الأخرید وملكه على كس^٢، وأخذ ابن النجاشي وردّه إلى أرضه ، وانصرف أبو مسلم إلى مَرَوَ بعد أن قتل في أهل الصغد وأهل بخارى ، وأمر ببناء حائط سَمَرَقَنْد ، واستخلف زياد بن صالح على الصغد وأهل بخارى ، ثم رجع أبو داود إلى بلخ .

٨٠/٣

* * *

[ذكر قتال منصور بن جمهور]

وفي هذه السنة وجه أبو العباس موسى بن كعب إلى الهند^(١) لقتال منصور ابن جمهور ، وفرض لثلاثة آلاف رجل من العرب والموالي بالبصرة ولألف من بني تميم خاصّة ، فشخص واستخلف مكانه على شُرطة أبي العباس المسيّب ابن زُهَيْر حتى ورد السند ، ولقي منصور بن جمهور في اثني عشر ألفاً ، فهزمه ومن معه ، ومضى فمات عطشاً في الرمال .

وقد قيل : أصابه بطن ، وبلغ خليفة منصور وهو بالمنصورة هزيمة منصور ، فرحل بعيال منصور وثقله ، وخرج بهم في عدّة من ثقاته ، فدخل بهم بلاد الخزر .

* * *

وفيهما توفّي محمد بن يزيد بن عبد الله وهو على اليمن ، فكتب أبو العباس إلى عليّ بن الربيع بن عبيد الله الجارّني ، وهو عامل لزياد بن عبيد الله على مكة بولايته على اليمن فصار إليها^(٢) .

وفي هذه السنة تحوّل أبو العباس من الحيرة إلى الأنبار — وذلك فيما قال الواقدي وغيره — في ذي الحجة .

(١) ابن الأثير : « إلى السند » . (٢) ح : « بأهلها » .

وفيها عُرِّل صالح بن صبيح عن أرمينية ، وجعل مكانه يزيد بن أسيد . ٨١/٣
وفيها عُرِّل مجاشع بن يزيد عن أذربيجان ، واستعمل عليها محمد بن
صول .

وفيها ضربَ المنار من الكوفة إلى مكة والأميال . وحجَّ بالناس في هذه
السنة عيسى بن موسى ، وهو على الكوفة وأرضها .

وكان على قضاء الكوفة ابن أبي ليلى ، وعلى المدينة ومكة والطائف واليامة
زياد بن عبيد الله ، وعلى اليمن علي بن الربيع الحارثي ، وعلى البصرة وأعمالها
وكُور دجلة والبحرين وثمان والعرض ومهرجان قدق سليمان بن علي ، وعلى
قضاها عباد بن منصور ، وعلى السند موسى بن كعب ، وعلى خراسان والجلال
أبو مسلم ، وعلى فلسطين صالح ابن علي ، وعلى مصر أبو عون ، وعلى موصل
إسماعيل بن علي ، وعلى أرمينية يزيد بن أسيد ، وعلى أذربيجان محمد بن صول .
وعلى ديوان الخراج خالد بن برمك ، وعلى الجزيرة عبد الله بن محمد أبو جعفر
وعلى قنسرين وحيمص وكور دمشق والأردن عبد الله بن علي .

ثم دخلت سنة خمس وثلاثين ومائة ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج زياد بن صالح]

فما كان فيها من ذلك خروج زياد بن صالح وراء نهر بلخ، فشخص أبو مسلم من مَرَوْ مستعداً للقاءه، وبعث أبو داود خالد بن إبراهيم نصر بن راشد إلى الترمذ، وأمره أن ينزل مدينتها، مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى الحصن والسفن فيأخذها؛ ففعل ذلك نصر، وأقام بها أياماً، فخرج عليه ناس من الراوندية من أهل الطالقان مع رجل يكنى أبا إسحاق، فقتلوا نصراً، فلما بلغ ذلك أبا داود بعث عيسى بن ماهان في تتبع قتلة نصر، فقتبهم فقتلهم، فمضى أبو مسلم مسرعاً؛ حتى انتهى إلى آمل، ومعه سباع بن أبي النعمان الأزدي، وهو الذي كان قدم بعهد زياد بن صالح من قبيل أبي العباس، وأمره إن رأى فرصة أن يتشب على أبي مسلم فيقتله. فأخبر أبو مسلم بذلك، فدفع سباع بن النعمان إلى الحسن بن الحنيد عامله على آمل، وأمره بحبسه عنده، وعبر أبو مسلم إلى بخارى، فلما نزلها أتاه أبو شاکر وأبو سعد الشروي في قواد قد خلعوا زياداً، فسألهم أبو مسلم عن أمر زياد ومن أفسده، قالوا: سباع بن النعمان، فكتب إلى عامله على آمل أن يضرب سباعاً مائة سوط، ثم يضرب عنقه، ففعل.

ولما أسلم زياداً قوادُه ولحقوا بأبي مسلم لجأ إلى دهقان باركث، فوثب عليه الدهقان، فضرب عنقه، وجاء برأسه إلى أبي مسلم، فأبطأ أبو داود على أبي مسلم لحال الراوندية الذين كانوا خرجوا، فكتب إليه أبو مسلم: أما بعد فليفرخ^(١) روعك، ويأمن سيربك، فقد قتل الله زياداً، فاقدّم أبو داود، كس^(٢)، وبعث عيسى بن ماهان إلى بسام، وبعث ابن النجاشي إلى الإصبهني إلى شاوغر، فحاصر الحصن فأما أهل شاوغر فسألوا الصلح، فأجيبوا إلى ذلك.

(٢) ط: «كس».

(١) ط: «ليفرخ» صوابه من ت.

وأما بسام فلم يصل عيسى بن ماهان إلى شيء منه ؛ حتى ظهر أبو مسلم بستة عشر كتاباً وجدها من عيسى بن ماهان إلى كامل بن مظفر صاحب أبي مسلم ، يعيب فيها أبا داود ، وينسب فيها إلى العصبية وإيثاره العرب وقومه على غيرهم من أهل هذه الدعوة ، وأن في عسكره ستة وثلاثين سرادقاً للمستأمنة ، فبعث بها أبو مسلم إلى أبي داود ، وكتب إليه : إن هذه كتب العليج الذي صيرته عدل نفسك ، فشأنك به . فكتب أبو داود إلى عيسى ابن ماهان يأمره بالانصراف إليه عن بسام ، فلما قدم عليه حبسه ودفعه إلى عمر النغم ؛ وكان في يده محبوساً ، ثم دعا به بعد يومين أو ثلاثة فذكره صنيعته به وإيثاره إياه على ولده ، فأقر بذلك ، فقال أبو داود : فكان جزاء ما صنعت بك أن سعت بني وأردت قتلي ، فأذكر ذلك ، فأخرج كتبه فعرفها ، فضربه أبو داود يومئذ حدّين : أحدهما للحسن بن حمدان . ثم قال أبو داود : أمّا إني قد تركت ذنبك لك ؛ ولكن الجند أعلم . فأخرج في القيود ، فلما أخرج من السراشق وثب عليه حرب بن زياد وحفص بن دينار مولى يحيى بن حُضَيْن ، فضرباه بعمود وطبرزين ، فوقع إلى الأرض ، وعدا عليه أهل الطالقان وغيرهم ، فأدخلوه في جوالق ، وضربوه بالأعمدة ، حتى مات ورجع أبو مسلم إلى مرو . ٨٤/٣

• • •

وحجّ بالناس في هذه السنة سليمان بن عليّ ، وهو على البصرة وأعمالها . وعلى فضائها عباد بن منصور .

وكان على مكة العباس بن عبد الله بن معبد بن عباس ، وعلى المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابن أبي ليلى ، وعلى الجزيرة أبو جعفر المنصور ، وعلى مصر أبو عون ، وعلى حمص وقتيسرين وبلبك والغوطة وحوران والحوّلان والأردن عبد الله ابن عليّ ، وعلى البلقاء وفلسطين صالح بن عليّ ، وعلى الموصل إسماعيل بن عليّ ، وعلى أرمينية يزيد بن أسيد ، وعلى أذربيجان محمد بن صول ، وعلى ديوان الحراج خالد بن برمك .

ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر قدوم أبي مسلم على أبي العباس]

ففي هذه السنة قدم أبو مسلم العراق من خراسان على أبي العباس أمير المؤمنين .

* ذكر الخبر عن قدومه عليه وما كان من أمره في ذلك :

ذكر علي بن محمد أن الهيثم بن عدى أخبره والوليد بن هشام ، عن أبيه ، قالاً^(١) : لم يزل أبو مسلم مقيماً بخراسان ، حتى كتب إلى أبي العباس يستأذنه في القدوم عليه ، فأجابه إلى ذلك ، فقدم على أبي العباس في جماعة من أهل خراسان عظيمة ومن تبعه من غيرهم من الأنبار ؛ فأمر أبو العباس الناس يتلقونه ، فتلقاه الناس ، وأقبل إلى أبي العباس ، فدخل عليه فأعظمه وأكرمه ؛ ثم استأذن أبا العباس في الحج فقال : لولا أن أبا جعفر يحج لاستعملتلك على الموسم . وأنزله قريباً منه ، فكان يأتيه في كل يوم يسلم عليه ، وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً ؛ لأن أبا العباس كان بعث^(٢) أبا جعفر إلى أبي مسلم وهو بنيسابور ، بعد ما صفت له الأمور بعهدده على خراسان وبالبيعة لأبي العباس ولأبي جعفر من بعده ؛ فبايع له أبو مسلم وأهل خراسان . وأقام أبو جعفر أياماً حتى فرغ من البيعة ، ثم انصرف . وكان أبو مسلم قد استخف بأبي جعفر في مقدمه ذلك ، فلما قدم على أبي العباس أخبره بما كان من استخفافه به .

قال علي : قال الوليد عن أبيه : لما قدم أبو مسلم على أبي العباس ، قال أبو جعفر لأبي العباس : يا أمير المؤمنين ، أطعني واقتل أبا مسلم ؛ فوالله إن في رأسه لغندرة ، فقال : يا أخى ، قد عرفت بلاءه وما كان منه ، فقال

(٢) ت : « وجه » .

(١) ط : « قال » ، وما أثبتته من ت .

أبو جعفر : يا أمير المؤمنين ، إنما كان بدولتنا ؛ والله لو بعثت سنوراً لقام مقامه . وبلغ ما بلغ في هذه الدولة . فقال له أبو العباس : فكيف نقتله ؟ قال : إذا دخل عليك وحادثته وأقبل عليك دخلت فتغفلته فضربتة من خلفه ضربة أتيت بها على نفسه ، فقال أبو العباس : فكيف بأصحابه الذين يؤثرونه على دينهم ودنياهم ؟ قال : يثول ذلك كله إلى ما تريد ، ولو علموا أنه قد قُتل تفرقوا وذلوا ، قال : عزمتُ عليك إلا كففت عن هذا ، قال : أخاف والله إن لم تتغده اليوم أن يتعشاك غداً ، قال : فدونكه ، أنت أعلم .

قال : فخرج أبو جعفر من عنده عازماً على ذلك ، فندم أبو العباس وأرسل إلى أبي جعفر : لا تفعل ذلك الأمر .

وقيل : إن أبا العباس لما أذن لأبي جعفر في قتل أبي مسلم ، دخل أبو مسلم على أبي العباس ، فبعث أبو العباس خصياً له ، فقال : اذهب فانظر ما يصنع أبو جعفر ؛ فأتاه فوجده محتبياً بسيفه ، فقال للخصى : أجالس أمير المؤمنين ؟ فقال له : قد تهيأ للجلوس ، ثم رجع الخصى إلى أبي العباس فأخبره بما رأى منه ، فردّه إلى أبي جعفر وقال له : قل له الأمر الذي عزمت عليه لا تنفذه فكف أبو جعفر .

* * *

[حجج أبي جعفر المنصور وأبي مسلم]

وفي هذه السنة حجّ أبو جعفر المنصور وحجّ معه أبو مسلم .

* ذكر الخبر عن مسيرهما وعن وصفة مقدمهما على أبي العباس :

أما أبو مسلم فإنه - فيما ذكر عنه - لما أراد القدوم على أبي العباس ، كتب يستأذنه في القدوم للحج ، فأذن له ، وكتب إليه أن اقدم في خمسمائة من الجنود ، فكتب إليه أبو مسلم : إنني قد وترتُ الناس ولستُ آمن على نفسي . فكتب إليه أن أقبِلْ في ألف ؛ فلما أتت في سلطان أهليك ودولتك ، وطريق مكة

لا تحتمل العسكر ؛ فشخص في ثمانية آلاف فرقةم فيما بين نيسابور والري ، ٨٧/٣
وقدم بالأموال والخزائن فخلّفها بالري ، وجمع أيضاً أموال الجبل ، وشخص منها في ألف وأقبل ؛ فلما أراد الدخول تلقاه القواد وسائر الناس ، ثم استأذن

أبا العباس في الحج ، فأذن له ، وقال : لولا أن أبا جعفر حاج لوليتك الموسم .
وأما أبو جعفر فإنه كان أميراً على الجزيرة ، وكان الواقدي يقول : كان
إليه مع الجزيرة أرمينية وأذربيجان ، فاستخلف على عمله مقاتل بن حكيم
العكبي ، وقدم على أبي العباس فاستأذنه في الحج ؛ فذكر على بن محمد عن
الوليد بن هشام عن أبيه أن أبا جعفر سار إلى مكة حاجاً ، وحجّ معه أبو مسلم
سنة ست وثلاثين ومائة ، فلما انقضى ^(١) الموسم أقبل أبو جعفر وأبو مسلم ،
فلما كان بين البستان وذات عِرْق أتى أبا جعفر كتابٌ بموت أبي العباس ؛
وكان أبو جعفر قد تقدّم أبا مسلم بمرحلة ، فكتب إلى أبي مسلم : إنه قد حدث
أمرٌ فالتجمل العجل ، فأتاه الرسول فأخبره ، فأقبل حتى لحق أبا جعفر ، وأقبلا
إلى الكوفة .

وفي هذه السنة عتد أبو العباس عبد الله بن محمد بن عليّ لأخيه أبي جعفر
الخليفة من بعده ، وجعله وليّ عهد المسلمين ، ومن بعد أبي جعفر عيسى
ابن موسى بن محمد بن عليّ ، وكتب العهد بذلك ، وصيّره في ثوب ، وختم
عليه بخاتمه ونحواتهم أهل بيته ، ودفعه إلى عيسى بن موسى .

* * *

[ذكر الخبر عن موت أبي العباس السفاح]

وفيها توفّي أبو العباس أمير المؤمنين بالأنبار يوم الأحد ، لثلاث عشرة
خلت من ذى الحجة . وكانت وفاته فيما قيل بالجدري .

وقال هشام بن محمد : توفّي لاثنتي عشرة ليلة مضت من ذى الحجة .
واختلف في مبلغ سنه يوم وفاته ، فقال بعضهم : كان له يوم توفّي ثلاث
وثلاثون سنة . وقال هشام بن محمد : كان يوم توفّي ابن ست وثلاثين سنة ،
وقال بعضهم : كان له ثمان وعشرون سنة .

وكانت ولايته من لدن قتل مروان بن محمد إلى أن توفّي أربع سنين ،
ومن لدن يبيع له بالخلافة إلى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر . وقال بعضهم :
وتسعة أشهر . وقال الواقدي : أربع سنين وثمانية أشهر منها ثمانية أشهر وأربعة

٩٠/٣ رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد : فقال عليّ : حدثني الوليد ، عن أبيه ، قال : لما أتى الخبرُ أبا جعفر كتب إلى أبي مسلم وهو نازل بالماء ، قد تقدّمه أبو جعفر ، فأقبل أبو مسلم حتى قدم عليه .

وقيل إن أبا مسلم كان هو الذي تقدّم أبا جعفر ، فعرف الخبر قبله ، فكتب إلى أبي جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم . عافاك الله وأمتع بك ، إنه أتاني أمر أفضّلني وبلغ مني مبلغاً لم يبلغه شيء قط ، لقيتني محمد بن الحصين بكتاب من عيسى بن موسى إليك بوفاة أبي العباس أمير المؤمنين رحمه الله ، فنسأل الله أن يعظم أجرك ، ويحسن الخلافة عليك ، ويبارك لك فيما أنت فيه ، إنه ليس من أهلِكَ أحدٌ أشدَّ تعظيماً لحقك وأصنّى نصيحةً لك ، وحرصاً على ما يسرك مني . وأنفذ الكتاب إليه ، ثم مكث أبو مسلم يومه ومن الغد ، ثم بعث إلى أبي جعفر باليَسِعة ؛ وإنما أراد ترهيب أبي جعفر بتأخيرها .

٩١/٣ رجع الحديث إلى حديث عليّ بن محمد : فلما جلس أبو مسلم ، أتى إليه الكتاب ، فقرأه وبكى واسترجع . قال : ونظر أبو مسلم إلى أبي جعفر ، وقد جزع جزعاً شديداً فقال : ما هذا الجزع وقد أتتكَ الخلافة ؟ فقال : أتخوف شرّ عبد الله بن عليّ وشيعة عليّ ، فقال : لا تخفه ؛ فأنا أكفيلُ أمره إن شاء الله ؛ إنما عامة جُنُده ومن معه أهل خراسان ؛ وهم لا يعصوني . فسُرّي عن أبي جعفر ما كان فيه . وبايع له أبو مسلم وبايع الناس ، وأقبلا حتى قدما الكوفة ، وردّ أبو جعفر زياد بن عبيد الله إلى مكة ، وكان قبل ذلك والياً عليها وعلى المدينة لأبي العباس .

وقيل : إن أبا العباس كان قد عزل قبل موته زياد بن عبيد الله الحارثي عن مكة ، وولاها العباس بن عبد الله بن معبد بن العباس .

وفي هذه السنة قدّم عبد الله بن عليّ عليّ أبي العباس الأنبار ، فعقد له

أبو العباس على الصّائفة في أهل خراسان وأهل الشام والجزيرة والموصل ، فصار
فبلغ دلوك ، ولم يُدْرَبْ حتى أُنْتَه وفاته أبي العباس .

وفي هذه السنة بعث عيسى بن موسى وأبو الجهم يزيد بن زياد أبا غسان
إلى عبد الله بن عليّ ببيعة المنصور ، فانصرف عبد الله بن عليّ بمن معه من
الجيوش ، قد بايع لنفسه حتى قدم حرّان .

وأقام الحجّ للناس في هذه السنة أبو جعفر المنصور ؛ وقد ذكرنا ما كان
إليه من العمل في هذه السنة ؛ ومن استخلف عليه حين شخص حاجاً .
وكان على الكوفة عيسى بن موسى ، وعلى قضائها ابن أبي ليلى ، وعلى البصرة
وعملها سليمان بن عليّ ، وعلى قضائها عباد بن المنصور ، وعلى المدينة زياد بن
عبيد الله الحارثي ، وعلى مكة العباس بن عبد الله بن معبد ، وعلى مصر صالح
ابن عليّ .

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث

* * *

[ذكر خبر خروج عبد الله بن علي وهزيمته]

فما كان فيها من ذلك قد وُم المنصور أبي جعفر من مكة ونزوله الحيرة ، فوجد عيسى بن موسى قد شخص إلى الأنبار ، واستخلف على الكوفة طَلْحَه ابن إسحاق بن محمد بن الأشعث ، فدخل أبو جعفر الكوفة فصلّى بأهلها الجمعة يوم الجمعة ، وخطبهم وأعلمهم أنه راحل عنهم ؛ ووافاه أبو مسلم بالحيرة ، ثم شخص أبو جعفر إلى الأنبار وأقام بها ، وجمع إليه أطرافه .

وذكر عليّ بن محمد عن الوليد ، عن أبيه ، أن عيسى بن موسى كان قد أحرز بيوت الأموال والخزائن والدّواوين ؛ حتى قدم عليه أبو جعفر الأنبار ، فبايع الناس له بالخلافة ، ثم لعيسى بن موسى من بعده ؛ فلم عيسى بن موسى إلى أبي جعفر الأمر ؛ وقد كان عيسى بن موسى بعث أبا غسان — واسمه يزيد بن زياد ، وهو حاجب أبي العباس — إلى عبد الله بن عليّ ببيعة أبي جعفر ؛ وذلك بأمر أبي العباس قبل أن يموت حين أمر الناس بالبيعة لأبي جعفر من بعده ، فقدم أبو غسان على عبد الله بن عليّ بأفواه الدروب ، متوجّهًا يريد الروم ؛ فلما قدم عليه أبو غسان بوفاة أبي العباس وهو نازل بموضع يقال له دُلُوك ، أمر مناديًا فنادى : الصلاة جامعة فاجتمع إليه انقوَاد والجند ، فقرأ عليهم الكتاب بوفاة أبي العباس ، ودعا الناس إلى نفسه ؛ وأخبرهم أن أبا العباس حين أراد أن يُوجّه الجند إلى مروان بن محمد دعا بني أبيه ؛ فأرادهم على المسير إلى مروان بن محمد ، وقال : من انتدب منكم فسار إليه فهو وليّ عهدي ، فلم ينتدب له غيري ؛ فعلى هذا خرجت من عنده ، وقتلت من قتلت . فقام أبو غانم الطائي وخُفّاف المروزي في عدة من قوَاد أهل خراسان ، فشهدوا له بذلك ؛ فبايعه أبو غانم وخُفّاف وأبو الأصْبَغ وجميع من كان معه

من أولئك القواد، فيهم حميد بن قحطبة وخفاف الجرجاني وحيثاش بن حبيب ومخارق بن غيفار وترارخندا وغيرهم من أهل خراسان والشام والجزيرة ، وقد نزل تل محمد ، فلما فرغ من البسطة ارتحل فنزل حرّان ، وبها مقاتل العكيّ - وكان أبو جعفر استخلفه لما قدم على أبي العباس - فأراد مقاتلا على البيعة فلم يجبه ، وتحصّن منه ، فأقام عليه وحصره حتى استنزله من حصنه فقتله .

وسرح أبو جعفر لقتال عبد الله بن عليّ أبا مسلم ؛ فلما بلغ عبد الله لإقبال أبي مسلم أقام بحرّان ، وقال أبو جعفر لأبي مسلم : إنما هو أنا أو أنت ؛ فسار أبو مسلم نحو عبد الله بحرّان ، وقد جمع إليه الجنود والسلاح ، وخذق وجمع إليه الطعام والعلوفة وما يصلحه ، ومضى أبو مسلم سائراً من الأنبار ؛ ولم يتخلّف عنه من القواد أحد ، وبعث على مقدمته مالك بن الهيثم الخزاعي ؛ وكان معه الحسن وحميد ابنا قحطبة ، وكان حميد قد فارق عبد الله بن عليّ ، وكان عبد الله أراد قتله ، وخرج معه أبو إسحاق وأخوه وأبو حميد وأخوه ٩٤/٣ وجماعة من أهل خراسان ؛ وكان أبو مسلم استخلف على خراسان حيث شخص خالد بن إبراهيم أبا داود .

قال الهيثم : كان حصار عبد الله بن عليّ مقاتلا العكيّ أربعين ليلة ، فلما بلغه مسير أبي مسلم إليه ، وأنه لم يظفر بمقاتل ، وخشى أن يهجم عليه أبو مسلم أعطى العكيّ أماناً ، فخرج إليه فيمن كان معه ، وأقام معه أياماً يسيرة ، ثم وجهه إلى عثمان بن عبد الأعلى بن سراقه الأزديّ إلى الرقة ومعه ابنه ، وكتب إليه كتاباً دفعه إلى العكيّ ، فلما قدموا على عثمان قتل العكيّ وجلس ابنه ، فلما بلغه هزيمة عبد الله بن عليّ وأهل الشام بنصيبين أخرجهما فضرب أعناقهما .

وكان عبد الله بن عليّ خشي ألا يناصحه أهل خراسان ، فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً ؛ أمر صاحب شرطه فقتلهم ؛ وكتب لحميد بن قحطبة كتاباً وجهته إلى حلب ، وعليها زُفر بن عاصم وفي الكتاب : إذا قدم عليك حميد بن قحطبة فاضرب عنقه ، فسار حميد حتى إذا كان ببعض الطريق فكّر في كتابه ، وقال : إن ذهاني بكتاب ولا أعلم ما فيه لغرّر ، ففكّر

الطومار فقرأه ، فلما رأى ما فيه دعا أناساً من خاصته فأخبرهم الخبر ، وأفشى
إليهم أمره ، وشاورهم ، وقال : من أراد منكم أن ينجو ويهرب فليسير معي ؛
فإني أريد أن آخذ طريق العراق ، وأخبرهم ما كتب به عبد الله بن عليّ في
أمره ، وقال لهم : من لم يرد منكم أن يحمل نفسه على السير فلا ينفش سرّي ،
وليذهب حيث أحبّ . ٩٥/٣

قال : فاتبعه على ذلك ناس من أصحابه ، فأمر حميد بدوابه فأنعلت (١) ،
وأنعل أصحابه دوابهم ، وتأهبوا للمسير معه ، ثم فوز (٢) بهم وبهراج الطريق (٣)
فأخذ على ناحية من الرصافة ؛ رصافة هشام بالشأم ، وبالرصافة يومئذ مولى
لعبد الله بن عليّ يقال له سعيد البربري ، فبلغه أن حميد بن قحطبة قد خالف
عبد الله بن عليّ ، وأخذ في المفازة ، فسار في طلبه فيمن معه من فرسانه ؛ فلحقه
ببعض الطريق ، فلما بصر به حميد ثنى فرسه نحوه حتى لقيته ، فقال له :
ويحك ! أما تعرفني ! والله ما لك في قتالي من خيّر فارجع ؛ فلا تقتل أصحابي
وأصحابك ، فهو خير لك . فلما سمع كلامه عرف ما قال له ، فرجع إلى
موضعه بالرصافة ، ومضى حميد ومن كان معه ، فقال له صاحب حرسه
موسى بن ميمون : إن لي بالرصافة جارية ، فإن رأيت أن تأذن لي فأتيتها
فأوصيها ببعض ما أريد ، ثم ألحقك ! فأذن له فأتاها ، فأقام عندها ، ثم خرج
من الرصافة يريد حميداً ، فلقه سعيد البربري مولى عبد الله بن عليّ ، فأخذه
فقتله ؛ وأقبل عبد الله بن عليّ حتى نزل نصيبين ، وخذق عليه .

وأقبل أبو مسلم . وكتب أبو جعفر إلى الحسن بن قحطبة - وكان خليفته
بأرمينية - أن يوافي أبا مسلم ، فقدم الحسن بن قحطبة على أبي مسلم وهو بالموصل ،
وأقبل أبو مسلم ، فنزل ناحية لم يعرض له ، وأخذ طريق الشأم ، وكتب إلى عبد الله :
إني لم أومر بقتالك ، ولم أوجّه له ، ولكن أمير المؤمنين ولا في الشأم ؛ وإنما أريدها ؛
فقال من كان مع عبد الله من أهل الشأم لعبد الله : كيف نقيم معك وهذا
يأتي بلادنا ، وفيها حرمنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا ، ويسبى ذرارينا ! ٩٦/٣

(١) نعل الدابة : ما ولي به حافرها وخفها ؛ وأنعل الدابة : وضع لها ذلك النعل .

(٢) فوز : ملك المفازة .

(٣) بهرج الطريق : أي سلك بهم غير المحجة .

ولكننا نخرج إلى بلادنا فمنعه حرمنا وذرائعنا ونقاتله إن قاتلنا ، فقال لهم عبد الله بن عليّ : إنه والله ما يريد الشام ، وما وجه إلاقته لكم ، ولئن أقمت ليأتينكم . قال : فلم تطب أنفسهم ، وأبوا إلا المسير إلى الشام .

قال : وأقبل أبو مسلم فعسكر قريباً منهم ، وارتحل عبد الله بن عليّ من عسكره متوجّهاً نحو الشام ، وتحول أبو مسلم حتى نزل في معسكر عبد الله ابن عليّ في موضعه ، وعور^(١) ما كان حوله من المياه ، وألقى فيها الجيف . وبلغ عبد الله بن عليّ نزول أبي مسلم معسكره ، فقال لأصحابه من أهل الشام : ألم أقل لكم ! وأقبل فوجد أبا مسلم قد سبقه إلى معسكره ، فنزل في موضع عسكر أبي مسلم الذي كان فيه ، فاقتتلوا شهراً خمسة أو ستة ، وأهل الشام أكثر فرساناً وأكمل عُدّة ، وعلى ميمنة عبد الله بكار بن مسلم العقيليّ ، وعلى ميسرته حبيب بن سويد الأسديّ ، وعلى الخليل عبد الصمد بن عليّ ، وعلى ميمنة أبي مسلم الحسن بن قحطبة ، وعلى الميسرة أبو نصر خازم بن خزيمه ، فقاتلوه شهراً .

قال عليّ : قال هشام بن عمرو التغلبيّ : كنت في عسكر أبي مسلم ، فتحدث الناس يوماً ، فقيل : أيّ الناس أشدّ ؟ فقال : قولوا حتى أسمع ، فقال رجل : أهل خراسان . وقال آخر : أهل الشام ، فقال أبو مسلم : كلّ قوم في دولتهم أشدّ الناس . قال : ثم التقينا ، فحمل علينا أصحاب عبد الله بن عليّ فصدّمونا صدمةً أزالونا بها عن مواضعنا ، ثم انصرفوا . وشدّ علينا ٩٧/٣ عبد الصمد في خيل مجرّدة ، فقتل منا ثمانية عشر رجلاً ، ثم رجع في أصحابه ، ثم تجمعوا^(٢) فرموا بأنفسهم : فأزالوا صفتنا وجعلنا جثولة ، فقلت لأبي مسلم : لو حرّكت دابتي حتى أشرف [عليّ]^(٣) هذا التلّ فأصبح بالناس ، فقد انهزموا ! فقال : افعل ، قال : قلت : وأنت أيضاً فتحرك دابتك ، فقال : إن أهل الحليّ لا يعطفون دوابهم على هذه الحال ، ناد : يا أهل خراسان ارجعوا ؛ فإن العاقبة^(٤) لمن اتقى .

(١) عور المياه : أي ردم العيون .

(٢) ابن الأثير : « ورجعوا » .

(٣) ابن الأثير : « العاقبة » .

(٤) من ت .

قال : ففعلت ، فتراجع الناس ، وارْتَجَز أبو مسلم يومئذ فقال :
 مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعَ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعَ
 قال : وكان قد عُجِّلَ لأبي مسلم عريش ، فكان يجلس عليه إذا التقى الناس
 فينظر إلى القتال ، فإن رأى خللاً في الميمنة أو في الميسرة أرسل إلى صاحبها :
 إنَّ في ناحيتك ^(١) انتشاراً ، فاتقِ ألاَّ نَوْتِيَ مِنْ قِبَلِكَ ؛ فافعل كذا ، قدّم
 خيلك كذا ، أو تأخّر ^(٢) ، كذا إلى موضع كذا ، فلنما رسله تختلف إليهم
 برأيه حتى ينصرف بعضهم عن بعض .

قال : فلما كان يوم الثلاثاء - أو الأربعاء - لسبع خلون من جمادى الآخرة
 سنة ست وثلاثين ومائة - أو سبع وثلاثين ومائة - التقوا فاقتلوا قتالاً شديداً .
 فلما رأى ذلك أبو مسلم مكث بهم ، فأرسل إلى الحسن بن قحطبة - وكان
 على ميمنته - أن أعز الميمنة ، وضُمَّ أكثرها إلى الميسرة ، وليكن في الميمنة
 حماة أصحابك وأشدّ أؤهم . فلما رأى ذلك أهل الشام أعروا ميسرتهم ،
 وانضموا إلى ميمنتهم بإزاء ميسرة أبي مسلم . ثم أرسل أبو مسلم إلى الحسن أن
 مرّ أهل القلب فليحملوا مع مَنْ بَقِيَ في الميمنة على ميسرة أهل الشام ، فحملوا
 عليهم فحطموهم ، وجال ^(٣) أهل القلب والميمنة .

قال : وركبهم أهل خراسان ، فكانت الهزيمة ، فقال عبد الله بن علي لابن
 سراقه الأزدي - وكان معه : يا ابن سراقه ، ما ترى ؟ قال : أرى والله أن
 تصبر وتقاتل حتى تموت ، فإنّ الفرار قبيح بمثلك ، وقبل عبتة على مروان ،
 فقلت : قبح الله مروان ! جزع من الموت ففر ! قال : فلما آتى العراق ،
 قال : فأنا معك ، فانهزموا وتركوا عسكرهم ، فاحتواه أبو مسلم ، وكتب بذلك
 إلى أبي جعفر . فأرسل أبو جعفر أبا الخصيب موله يُحْصِي ما أصابوا في
 عسكر عبد الله بن علي ، ففضب من ذلك أبو مسلم . ومضى عبد الله بن علي
 وعبد الصمد بن علي ؛ فأما عبد الصمد فقدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن
 موسى فآمنه أبو جعفر ، وأما عبد الله بن علي فأتى سليمان بن علي بالبصرة ،
 فأقام عنده . وآمن أبو مسلم الناس فلم يقتل أحداً ، وأمر بالكف عنهم .

(١) ب : « إن ناحيتك فيها » . (٢) ج : « وتأخر » . (٣) ج : « وجال » .

ويقال : بل استأمن لعبد الصمد بن عليّ لإسماعيل بن عليّ .

وقد قيل : إن عبد الله بن عليّ لما انهزم مضى هو وعبد الصمد أخوه إلى رصافة هشام ، فأقام عبد الصمد بها حتى قدِمَت عليه خيول المنصور ، وعليها جهور^(١) بن مرّار العجليّ ، فأخذه فبعث به إلى المنصور مع أبي الخصيب مولاه موثقاً ، فلما قدم عليه أمر بصرفه إلى عيسى بن موسى ، فأمنه عيسى وأطلقه وأكرمه ، وجباه وكساه .

وأما عبد الله بن عليّ فلم يلبث بالرّصافة إلا ليلة ، ثم أدلّج في قواده ومواليه حتى قدم البصرة على سليمان بن عليّ وهو عاملها يومئذ ، فأواهم سليمان وأكرمهم ٩٩/٣ وأقاموا عنده زماناً متوارين .

* * *

[ذكر خبر قتل أبي مسلم الخراسانيّ]

وفي هذه السنة قُتل أبو مسلم .

* ذكر الخبر عن مقتله وعن سبب ذلك :

حدّثني أحمد بن زهير ، قال : حدّثنا عليّ بن محمد ، قال : حدّثنا سلمة بن محارب ومسلم بن المغيرة وسعيد بن أوس وأبو حفص الأزديّ والنعمان أبو السريّ ومحرز بن إبراهيم وغيرهم ، أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يستأذنه في الحجّ — وذلك في سنة ست وثلاثين ومائة — وإنما أراد أن يصلي بالناس . فأذن له ، وكتب أبو العباس إلى أبي جعفر وهو على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان : إن أبا مسلم كتب إلىّ يستأذن في الحجّ وقد أذنتُ له ؛ وقد ظننتُ أنه إذا قدم يريد أن يسألني أن أولّيته إقامة الحجّ للناس ، فاكتب إلىّ تستأذني في الحجّ ؛ فلذلك إذا كنت بمكة لم يطمع أن يتقدّمك . فكتب أبو جعفر إلى أبي العباس يستأذنه في الحجّ فأذن له ، فوافي الأنبار ، فقال أبو مسلم : أما وجد أبو جعفر عامّاً يحجّ فيه غير هذا ! واضطغنها عليه .

* * *

قال عليّ : قال مسلم بن المغيرة : استخلف أبو جعفر على أرمينية في تلك

السنة الحسن بن قحطبة . وقال غيره : استعمل رضيعه يحيى بن مسلم بن عروة - وكان أسود مولى لهم - فخرجوا إلى مكة فكان أبو مسلم يصلح العقاب^(١) ويكسو الأعراب في كل منزل ، ويصل من سألته ، وكسا الأعراب البتوت والملاحف ، وحفر الآبار ، وسهل الطرق ؛ فكان الصوت له ؛ وكان الأعراب يقولون : هذا المكنوب عليه ؛ حتى قدم مكة فنظر إلى الهانئة^(٢) فقال لنيزك - وضرب جنبه - : يا نيزك ، أيت جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان سريع الدمعة !

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث الأولين . قالوا : لما صدر الناس عن الموسم ، نفر أبو مسلم قبل أبي جعفر ، فتقدمه ، فأناه كتاب بموت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر ، فكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يعزبه بأمر المؤمنين ؛ ولم يهتته بالخلافة ، ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع ؛ فغضب أبو جعفر فقال لأبي أيوب : اكتب إليه كتاباً غليظاً ؛ فلما أناه كتاب أبي جعفر كتب إليه يهتته بالخلافة ، فقال يزيد بن أسيد السلمى لأبي جعفر : إني أكره أن تجامعه في الطريق والناس جنده ؛ وهم له أطوع ، وله أهيب ، وليس معك أحد . فأخذ برأيه ، فكان يتأخر ويتقدم أبو مسلم ، وأمر أبو جعفر أصحابه فقدموا ، فاجتمعوا جميعاً وجمع سلاحهم ؛ فما كان في عسكره إلا ستة أذرع ، فضى أبو مسلم إلى الأنبار ، ودعا عيسى بن موسى إلى أن يبايع له ؛ فأتى عيسى ، فقدم أبو جعفر فنزل الكوفة ؛ وأناه أن عبد الله بن علي قد خلع ، فرجع إلى الأنبار ، فدعا أبا مسلم ، فقدم له ، وقال له : سير إلى ابن علي ، فقال له أبو مسلم : إن عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم يعيباني فاحبسهما ، فقال أبو جعفر : عبد الجبار على شرطى - وكان قبل على شرط أبي العباس - وصالح بن الهيثم أخو أمير المؤمنين من الرضاة ، فلم أكن لأحبسهما^(٣) لظنك بهما ؛ قال : أراهما آثر عندك مني ! فغضب أبو جعفر ، فقال أبو مسلم : لم أرد كل هذا .

(٢) ج : « أهل الإمامة » .

(١) ب : « العفا » .

(٣) ج : « أحبسهما » .

قال عليّ: قال مسلم بن المغيرة: كنت مع الحسن بن قحطبة بأرمينية فلما وجه أبو مسلم إلى الشام كتب أبو جعفر إلى الحسن أن يوافيته ويسير معه ، فقدمنا على أبي مسلم وهو بالموصل فأقام^(١) أياماً ، فلما أراد أن يسير ، قلت للحسن : أنتم تسرون إلى القتال^(٢) وليس بك إلى حاجة ، فلو أذنت لي فأتيت العراق ، فأقمت حتى تقدموا إن شاء الله ! قال : نعم ؛ لكن أعلمني إذا أردت الخروج ، قلت : نعم ، فلما فرغت وتهيأت^(٣) أعلمته ، وقلت : أتيتك أودّ عك ، قال : قف^(٤) لي بالباب حتى أخرج إليك ، فخرجت فوقفتُ وخرج ، فقال : إني أريد أن ألقى إليك شيئاً لتبلغه أبا أيوب ، ولولا ثقتي بك لم أخبرك^(٥) ، ولولا مكانك من أبي أيوب لم أخبرك ؛ فأبلغ أبا أيوب أني قد ارتبتُ بأبي^(٦) مسلم منذ قدمتُ عليه ، إنه يأتيه الكتاب من أمير المؤمنين فيقرؤه ، ثم يلوى شِدْقَه ، ويرى بالكتاب إلى أبي نصر ، فيقرؤه ويضحك استهزاء ؛ قلتُ : نعم قد فهمت ؛ فلقيتُ أبا أيوب وأنا أرى أن قد أتيت به بشيء ، فضحك ، وقال : نحن لأبي مسلم أشدّ تهمةً منا لعبد الله بن عليّ إلّا أنا نرجو واحدة ؛ نعلم أن أهل خراسان لا يحبون عبد الله بن عليّ ، وقد قتَلَ منهم من قتَلَ ؛ وكان عبد الله بن عليّ حين خَلَعتُ خاف أهل خراسان ، فقتل منهم سبعة عشر ألفاً ؛ أمر صاحب شرطته حيتاش بن حبيب ١٠٢/٣ بقتلهم .

قال عليّ: فذكر أبو حفص الأزدي أن أبا مسلم قاتل عبد الله بن عليّ فهزمه ، وجَمَعَ ما كان في عسكره من الأموال فصيّره في حظيرة ، وأصاب عيناً ومتاعاً وجوهرأ كثيراً ؛ فكان منشوراً في تلك الحظيرة ؛ ووكل بها وبحفظها قائداً من قُواده ، فكنت في أصحابه ، فجعلها نواذب بيننا ، فكان إذا خرج رجل من الحظيرة فتشّه ، فخرج أصحابي يوماً من الحظيرة وتخلفت ، فقال لهم الأمير : ما فعل أبو حفص ؟ فقالوا : هو في الحظيرة ، قال : فجاء فاطلع

(١) ج : « فأقمنا » . (٢) ط : « والقتال » ، والصواب ما أثبتته من ت .

(٣) ج : « فتهيأت فلما فرغت » . (٤) ج : « فقف » .

(٥) ج : « لم أبلغك » . (٦) ت : « رأى » .

من الباب ، وفطنت له فتزعت خُفَيَّ وهو ينظر ، فنفضتهما وهو ينظر ، ونفضت سراويلي وكُمَيَّ ، ثم لبست خُفَيَّ وهو ينظر ، ثم قام فقعده في مجلسه وخرجت ، فقال لي : ما حبسك ؟ قلت : خير ، فخلاني ، فقال : قد رأيتُ ما صنعتَ فلمَ صنعتَ هذا ؟ قلت : إنَّ في الحظيرة لؤلؤاً منشوراً ودرام منثورة ؛ ونحن نتقلب عليها ، فحفت أن يكون قد دخل في خُفَيَّ منها شيء ، فتزعت خُفَيَّ وجوربي ؛ فأعجبه ذلك وقال : انطلق ، فكنت أدخل الحظيرة مع من يحفظ فأخذ من الدراهم ومن تلك الثياب الناعمة فأجعل بعضها في خُفَيَّ وأشدُّ بعضها على بطني ، ويخرج أصحابي فيفتشون ولا أفتش ، حتى جمعت مالا ، قال : وأما اللؤلؤ فإني لم أكن أمسه .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث الذين ذكر على عنهم قصة أبي مسلم في أول الخبر . قالوا : ولما انهزم عبد الله بن عليّ بعث أبو جعفر أبا الخصب إلى أبي مسلم ليكتب له ما أصاب من الأموال ، فافترى أبو مسلم على أبي الخصب وهم بقتله ، فكلمهم فيه ؛ وقيل : إنما هو رسول ، فخلَّ سبيلَه . فرجع إلى أبي جعفر ، وجاء القواد إلى أبي مسلم ، فقالوا : نحن ولينا أمر هذا الرجل ، وغنمنا عسكره ، فلم يسأل عما في أيدينا ؛ إنما لأمر المؤمنين من هذا الخمس . فلما قدم أبو الخصب على أبي جعفر أخبره أنَّ أبا مسلم هم بقتله . فخاف أن يَمْضَى أبو مسلم إلى خراسان ، فكتب إليه كتاباً مع يقطين ، أنَّ^(١) قد وليتك مصر والشام ؛ فهي خير لك من خراسان ، فوجه إلى مصر من أحببت ، وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين ؛ فإن أحب لقاءك أتيته من قريب . فلما أتاه الكتاب غضب ، وقال : هو يوليئني الشام ومصر ، وخراسان لي واعتزم^(٢) بالمضي إلى خراسان ، فكتب يقطين إلى أبي جعفر بذلك .

وقال غير من ذكرت خبره : لما ظفیر أبو مسلم بعسكر عبد الله بن عليّ بعث المنصور يقطين بن موسى ، وأمره أن يحصى ما في العسكر ، وكان أبو مسلم يسميه «يك دين» ، فقال أبو مسلم : يا يقطين ،

(١) ت : «إني» .

(٢) ط : «واعتزم» .

أمين على الدماء خائن في الأموال ! وشم أبا جعفر ، فأبلغه يقطين ذلك . وأقبل أبو مسلم من الجزيرة مجمعا على الخلاف ، وخرج من وجهه معارضا يريد خراسان ؛ وخرج أبو جعفر من الأنبار إلى المدائن ، وكتب إلى أبي مسلم في المصير إليه . فكتب أبو مسلم ، وقد نزل الزاب وهو على الرواح إلى طريق حلوان : إنه لم يبق لأمر المؤمنين أكرمهم الله عدواً إلا أمكنه الله منه ؛ وقد كنت نروى عن ملوك آل ساسان : أن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء ؛ فنحن نأفرون من قربك ، حريصون على الوفاء بعهدك ما وفيت ، حريون ١٠٤/٣ بالسمع والطاعة ؛ غير أنها من بعيد ^(١) حيث تقارنها السلامة ، فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك ؛ فإن أبيت إلا أن تعطى نفسك إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ، ضناً بنفسى . فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب إلى أبي مسلم : قد فهمت كتابك ؛ وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغشاشة ملوكهم ، الذين يتمنون اضطراب حبيل الدولة لكثرة جرائمهم ؛ فلنما راحتهم في انتشار نظام الجماعة ؛ فلم سويت نفسك بهم ، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعت بما أحملت من أعباء هذا الأمر على ما أنت به ! وليس مع الشريعة التي أوجبت منك سمع ^(٢) ولا طاعة . وحمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة لتسكن إليها إن أصغيت إليها ، وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزغاته وبينك ؛ فإنه لم يجد باباً يفسد به نيتك أوكد عنده ، وأقرب من طيبه ^(٣) من الباب الذي فتحه عليك . ووجه إليه جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي ؛ وكان واحد أهل زمانه ، فخدعه وردّه ، وكان أبو مسلم يقول : والله لأقتلن بالروم ؛ وكان المنجمون يقولون ذلك ؛ فأقبل والمنصور في الرومية في مضارب ، وتلقاه الناس وأنزله وأكرمه أياماً .

وأما على فإنه ذكر عن شيوخه الذين تقدم ذكرنا لهم أنهم قالوا : كتب أبو مسلم ١٠٥/٣ إلى أبي جعفر : أما بعد ؛ فلاني اتخذت رجلاً ^(٤) إماماً ودليلاً على ما افترضه الله على خلقه ؛ وكان في حيلة العلم نازلاً ، وفي قرابته من رسول الله صلى الله عليه

(١) ت : « بعد » .

(٢) ط : « سماع » .

(٣) ب ، ت : « ظنه » . والطب هنا : السحر .

(٤) يعني أخاه إبراهيم الإمام .

وسلم قريباً ؛ فاستجهلني بالقرآن فحرّفه عن مواضعه ، طمعاً في قليل قد تعافاه الله إلى خلقه ؛ فكان كالذي دُلِّيَ^(١) بغرور ؛ وأمرني أن أجرد السيف ، وأرفع الرحمة ، ولا أقبل المَعْدِرَةَ ، ولا أقبل العثرة ، ففعلت توطيداً^(٢) لسلطانكم حتى عرفَكم الله من كان جهلكم ، ثم استنقذني الله بالتَّوْبَةِ ؛ فإن يعف عني فقيداً مأْ عُرِفَ به ونسب إليه ؛ وإن يعاقبني فما قدّمت يداي وما الله بظلام للعبيد .

ونخرج أبو مسلم يريد خراسان مراغماً مشاقاً^(٣) ، فلما دخل أرض العراق ، ارتحل المنصور من الأنبار ، فأقبل حتى نزل المدائن ، وأخذ أبو مسلم طريق حُلوان ؛ فقال : رَبُّ أمرٍ لله دون حُلوان . وقال أبو جعفر لعيسى بن عليّ وعيسى بن موسى ومَنْ حضره من بني هاشم : اكتبوا إلى أبي مسلم ؛ فكتبوا إليه يعظمون أمره ، ويشكرون له ما كان منه ، ويسألونه أن يتمَّ^(٤) على ما كان منه وعليه من الطاعة ، ويحذّرونه عاقبة الغدر ، ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين ؛ وأن يلتمس رضاه . وبعث بالكتاب أبو جعفر مع أبي حميد المرورذي ، وقال له : كلم أبا مسلم بألّين ما تكلّم به أحداً ، ومنته وأعلمه أني رافعه وصانع به ما لم يصنعه أحد ، إن هو صلح وراجع ما أحب ؛ فإن أبي أن يرجع فقلْ له : يقول لك أمير المؤمنين : لستُ للعباس^(٥) ، وأنا برىء من محمد ، إن مضيتَ مشاقاً ولم تأتني ، إن وكلتَ أمرَكَ إلى أحد سوى ، وإن^(٦) لم آل طلبك وقتالك بنفسى ؛ ولو خُضْتُ البحر لخصتُه ، ولو اقتحمت النار لاقحمتُها حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك . ولا تقولنَّ له هذا الكلام حتى تأيس من رجوعه ، ولا تطمع منه في خير .

فسار أبو حميد في ناس من أصحابه ممن يثق بهم ؛ حتى قدموا على أبي مسلم بحُلوان ، فدخل أبو حميد وأبو مالك وغيرهما ، فدفع إليه الكتاب ، وقال له : إنَّ الناس يبلّغونك عن أمير المؤمنين ما لم يقله ، وخلاف ما عليه رأيهِ فيك ؛ حسداً وبغيّاً ؛ يريدون إزالة النعمة وتغييرها ؛ فلا تفسد ما كان

(١) دلى ، أى أطمع . (٢) ت : « توطئة » .

(٣) راغهم : نابذهم وهجرهم وعاداهم ، وشاقهم : خالفهم .

(٤) أن يتم على ما كان منه ، أى يستمر عليه .

(٥) ابن الأثير : « من العباس » . (٦) : « ولم آل » .

منك ؛ وكلّمه . وقال : يا أبا مسلم ، إنك لم تزل أمينَ آل محمد ؛ يعرفك بذلك الناس ، وما ذخر الله لك من الأجر عنده في ذلك أعظم مما أنت فيه من دنياك ، فلا تحبطُ أجرَكَ ، ولا يستهوينك الشيطان ، فقال له أبو مسلم : متى كنتَ تكلمني بهذا الكلام ! قال : إنك دعوتنا إلى هذا وإلى طاعة أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم بنى العباس ، وأمرتنا بقتال من خالف ذلك ؛ فدعوتنا من أرضين متفرقة وأسباب مختلفة ، فجمعنا الله على طاعتهم ، وألف بين قلوبنا بمحبتهم ، وأعزنا بنصرنا لهم ، ولم نلق منهم رجلاً إلا بما قذف الله في قلوبنا ، حتى أتيناهم في بلادهم ببصائرنا فذة ، وطاعة خالصة ؛ أفريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن تُفسد أمرنا ، وتفرق كلمتنا ؛ وقد قلت لنا : من خالفكم فاقتلوه ، وإن خالفتمكم فاقتلوني ! فأقبل على أبي نصر ، ١٠٧/٣ فقال : يا مالك ، أما تسمع ما يقول لي هذا ! ما هذا بكلامه يا مالك (١) ! قال : لا تسمع كلامه ، ولا يهولك هذا منه ؛ فلعمري لقد صدقت ما هذا كلامه ؛ ولما بعد هذا أشد منه ؛ فامض لأمرك ولا ترجع ؛ فوالله لئن أتيتَه ليقتلنك ؛ ولقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك أبداً . فقال : قوموا ، فنهضوا ، فأرسل أبو مسلم إلى نيزك ، وقال : يا نيزك ، إني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك ، فما ترى ، فقد جاءت هذه الكتب ، وقد قال القوم ما قالوا ؟ قال : لا أرى أن تأتيه ، وأرى أن تأتي الرّبي فتقيم بها ، فيصير ما بين خراسان والرّبي لك ؛ وهم جندك ما يخالفك أحد ؛ فإن استقام لك استقامت له ، وإن أبي كنت في جندك ، وكانت خراسان من ورائك ، ورأيت رأيك . فدعا أبا حميد ، فقال : ارجع إلى صاحبك ، فليس من رأي أن آتيه . قال : قد عزمت على خلافه ؟ قال : نعم ، قال : لا تفعل ، قال : ما أريد أن ألقاه ؛ فلما آيسه من الرجوع ، قال له ما أمره به أبو جعفر ، فوجم طويلاً ، ثم قال : قم . فكسره ذلك القول ورعبه .

وكان أبو جعفر قد كتب إلى أبي داود — وهو خليفة أبي مسلم بخراسان — حين اتهم أبا مسلم : إن لك إمرة خراسان ما بقيت . فكتب

(١) هو مالك بن الهيثم الخزاعي أبو نصر ، وكان على شرط أبي مسلم .

أبو داود إلى أبي مسلم : إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيّه صلى الله عليه وسلم ، فلا تخالفنّ إمامك ولا ترجعنّ إلا بإذنه . فوافاه كتابه على تلك الحال ؛ فزاده رُعباً وهماً ، فأرسل إلى أبي حميد وأبي مالك فقال لهما : إني قد كنت معترماً على المضيّ إلى خراسان ، ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير المؤمنين فيأتينى برأيه ؛ فإنه ممن أثق به فوجهه ، فلما قدم تلقاه بنو هاشم ١٠٨/٣ بكلّ ما يحبّ ، وقال له أبو جعفر : اصرفه عن وجهه ؛ ولك ولاية خراسان ؛ وأجازه . فرجع أبو إسحاق إلى أبي مسلم ، فقال له : ما أنكرتُ شيئاً ، رأيتهم معظمين لحقك ، يرون لك ما يرون لأنفسهم . وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين ، فيعتذر إليه مما كان منه ، فأجمع على ذلك ، فقال له نيزك : قد أجمعت على الرجوع ؟ قال : نعم ، وتمثّل :

ما للرجال مع القضاء مَحَالَةً ذَهَبَ القضاء بحيلة الأقوام

فقال : أمّا (١) إذا اعتزمت على هذا فخار الله لك ؛ واحفظْ عني واحدة ؛ إذا دخلت عليه فاقتله ثم بايع لمن شئت ؛ فإنّ الناس لا يخالفونك . وكتب أبو مسلم إلى أبي جعفر يخبره أنه منصرف إليه .

قالوا : قال أبو أيوب : فدخلتُ يوماً على أبي جعفر وهو في خِباءٍ شَعر بالرومية جالساً على مُصلّى بعد العصر ، وبين يديه كتاب أبي مسلم ، فرمى به إلى فقرأته ، ثم قال : والله لئن ملأت عيني منه لأقتلته ، فقلت في نفسي : إنا لله وإنا إليه راجعون ! طلبتُ الكتابة حتى إذا بلغتُ غايتها فصرتُ كاتباً للخليفة ، وقع هذا بين الناس ! والله ما أرى أنا إن قَتِلَ يرض أصحابه بقتله ، ولا يدعون هذا حياً ؛ ولا أحداً ممن هو بسبيل منه ؛ وامتنع مني النوم ، ثم قلتُ : لعلّ الرّجل يقدّم وهو آمن ؛ فإن كان آمناً فعسى أن ينال ما يريد ؛ وإن قدم وهو حنّدر لم يقدر عليه إلا في شرّ ، فلو التمسيت حيلة ! فأرسلتُ إلى سلمة بن سعيد بن جابر ، فقلت له : هل عندك شكر ؟ فقال : نعم ، ١٠٩/٣ فقلت : إن وليتُك ولاية تصيب منها مثل ما يصيب صاحب العراق ، تدخل معك حاتم بن أبي سليمان أخى ؟ قال : نعم ، فقلت - وأردت أن يطلع ولا

(١) كذا في ت ، و في ط : « إذا عزمت » .

ينكر : وتجعل له النصف ؟ قال : نعم ، قلت : إن كَسَّكَرَ كالت^(١) عامٍ أوَّل كذا وكذا ، ومنها العام أضعاف ما كان عامٍ أوَّل ؛ فإن دفعْتُها إليك بقبَّالَتها عامًا أوَّل أو بالأمانة أصبَتْ ما تضيق به ذرعًا ، قال : فكيف لي بهذا المال ؟ قلت : تأتى أبا مسلم ، فتلقاه وتكلمه غداً ، وتسأله أن يجعل هذا فيما يرفع من حوائجه أن تتولَّاهَا أنت بما كانت في العام الأول ؛ فإن أمير المؤمنين يريد أن يولِّيَه إذا قدم ما وراء بابه ، ويستريح ويريح نفسه ، قال : فكيف لي أن يأذن أمير المؤمنين في لقائه ؟ قلت : أنا أستأذن لك ؛ ودخلت إلى أبي جعفر^(٢) ؛ فحدثته الحديث كله ، قال : فادع سلمة ، فدعوته ، فقال : إن أبا أيوب استأذن لك ، أفتحب أن تلقى أبا مسلم ؟ قال : نعم ، قال : فقد أذنتُ لك ، فأقرته السلام ، وأعلمه بشوقنا إليه . فخرج سلمة فلقِيَه ، فقال : أمير المؤمنين أحسنُ الناس فيكَ رأيًا ، فطابت نفسه ؛ وكان قبل ذلك كثيرًا . فلما قدم عليه سلمة سرَّه ما أخبره به وصدَّقه ، ولم يزل مسرورًا حتى قدم . قال أبو أيوب : فلما دنا أبو مسلم من المدائن أمر أمير المؤمنين الناس فثلقوه ؛ فلما كان عشية قدم ، دخلت على أمير المؤمنين وهو في خيباء على مصلى ، فقلت : هذا الرجل يدخل العشية ، فما تريد أن تصنع ؟ قال : أريد أن أقتله حين أنظر إليه ، قلت : أنشدك الله ؛ إنه يدخل معه الناس ؛ وقد علموا ما صنع ؛ فإن دخل عليك ولم يخرج لم آمن البلاء^(٣) ؛ ولكن إذا دخل عليك فأذن له أن ينصرف ؛ فإذا غدا^(٤) عليك رأيت رأيك . وما أردتُ ١١٠/٣ بذلك إلا دفعه بها ، وما ذاك إلا من خوفي عليه وعلىنا جميعًا من أصحاب أبي مسلم . فدخل عليه من عشية وسلم ، وقام قائمًا بين يديه ، فقال : انصرف يا عبد الرحمن فأرح نفسك ، وادخل الحمام ؛ فإن للسفر قشَقًا ، ثم اغدُ على ، فانصرف أبو مسلم وانصرف الناس . قال : فافتري على أمير المؤمنين حين خرج أبو مسلم ؛ وقال : متى أقدر على مثل هذه الحال منه التي رأيته قائمًا على رجلبيه ، ولا أدرى ما يحدث في ليلتي ! فانصرفت وأصبحت غادياً عليه ؛

(١) ابن الأثير : « كانت » .

(٢) ت ، ج : « على أبي جعفر » .

(٣) ج : « من البلاء » .

(٤) ج : « إذا دخل » .

فلما رآني قال : يا بن اللعناء ؛ لا مرحباً بك ! أنت منعتني منه أمس ؛ والله ما غمضت الليلة ، ثم شتمني حتى خفت أن يأمر بقتلي ، ثم قال : ادع لي عثمان بن نهيك ، فدعوته ، فقال : يا عثمان ، كيف بلاء أمير المؤمنين عندك ؟ قال : يا أمير المؤمنين إنما أنا عبدك ؛ والله لو امرتني أن اتكبي على سيفي حتى يخرج من ظهري لفعلت ، قال : كيف أنت إن أمرتك بقتل أبي مسلم ؟ فوجتم ساعة لا يتكلم ، فقلت : مالك لا تتكلم ! فقال قولة ضعيفة : أقتله ؛ قال : انطلق فجئ بأربعة من وجوه الحرس جلئد ، فمضى ؛ فلما كان عند الرواق ، ناداه : يا عثمان يا عثمان ؛ ارجع ؛ فرجع ، قال : اجلس ؛ وأرسل إلى من تنق به من الحرس ؛ فأحضر منهم أربعة ، فقال لوصيف له انطلق : فادع شبيب بن واثق ، وادع أبا حنيفة ورجلين آخرين ؛ فدخلوا ، فقال لهم أمير المؤمنين نحواً مما قال لعثمان ، فقالوا : نقتله ، فقال : كونوا خلتف الرواق ؛ فإذا صفقت فاخرجوا فاقتلوه .

وأرسل إلى أبي مسلم رسلاً بعضهم على إثر بعض ، فقالوا : قد ركب ، وأتاه وصيف ، فقال : أتى عيسى بن موسى ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، ألا أخرج فاطوف في العسكر ، فأنظر ما يقول الناس ؟ هل ظن أحد ظناً ، أو تكلم أحد بشيء ؟ قال : بلى ، فخرجت ، وتلقاني أبو مسلم داخل ، فقبستم وسلمت عليه ودخل ، فرجعت ؛ فإذا هو منبطح^(١) لم ينتظر به رجوعي . وجاء أبو الجهم ، فلما رآه مقتولاً قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! فأقبلت على أبي الجهم ، فقلت له : أمرته بقتله حين خالف ، حتى إذا قُتِل قلت هذه المقالة ! فنبهت به رجلاً غافلاً ، فتكلم بكلام أصلح ما جاء منه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين ؛ ألا أردت الناس ؟ قال : بلى ، قال : فرم بمنع يحول إلى رواق آخر من أرواقت هذه ، فأمر بفرش فأخرجت ؛ كأنه يريد أن يهيم له رواقاً آخر . وخرج أبو الجهم ، فقال : انصرفوا ، فإن الأمير يريد أن يقبل^(٢) عند أمير المؤمنين ، ورأوا المتاع ينقل ، فظنوه صادقاً ، فانصرفوا ثم راحوا ، فأمر لهم أبو جعفر بجواثرهم ، وأعطى أبا إسحاق مائة ألف .

قال أبو أيوب : قال لي أمير المؤمنين : دخل عليّ أبو مسلم فعاتبته ثم شتمته ، فضربه عثمان فلم يصنع شيئاً ، وخرج شبيب بن واج وأصحابه فضربوه فسقط ، فقال وهم يضربونه : العفو ، فقلت : يابن اللخناء ، العفو والسيوف قد اعتورتك ! وقلت : اذبحوه ، فذبحوه .

قال عليّ عن أبي حفص الأزديّ ، قال : كنت مع أبي مسلم ، فقدم عليه ١١٢/٣ أبو إسحاق من عند أبي جعفر بكتب من بني هاشم ، وقال : رأيتُ القوم على غير ما ترى ؛ كلّ القوم يرون لك ما يرون للخليفة ، ويعرفون ما أبلاهم الله بك . فسار إلى المدائن ، وخلف أبا نصر في ثقّله ، وقال : أقم حتى يأتيك كتابي ، قال : فاجعل بيني وبينك آية أعرف بها كتابك ، قال : إن أتاك كتابي مختوماً ^(١) بنصف خاتم فأنا كتبته ، وإن أتاك بالخاتم ^(٢) كلّهُ ؛ فلم أكتبه ولم أختمه . فلما دنا من المدائن تلقاه رجل من قوّاده ، فسلم عليه ، فقال له : أطعني وارجع ؛ فإنه إن عاينك ^(٣) قتلَكَ ، قال : قد قربتُ من القوم فأكره أن أرجع . فقدم المدائن في ثلاثة آلاف ، وخلف الناس بمحلّوان ، فدخل على أبي جعفر ، فأمره بالانصراف في يومه ؛ وأصبح يریده ، فتلّقه أبو الخصب فقال : أمير المؤمنين مشغولٌ ، فاصبر ساعة حتى تدخل خالياً ، فأني منزلٌ عيسى بن موسى — وكان يحبّ عيسى — فدعا له بالغداء . وقال أمير المؤمنين للربيع — وهو يومئذ وصيف يخدم أبا الخصب : انطلق لي أبي مسلم ؛ ولا يعلم أحدٌ ، فقل له : قال لك مرزوق : إن أردتَ أمير المؤمنين خالياً فالعجل ، فقام فركب ؛ وقال له عيسى : لا تعجل بالدخول حتى أدخل معك ، فأبطأ عيسى بالوضوء ، ومضى أبو مسلم فدخل فقتل قبل أن يجيء عيسى ، وجاء عيسى وهو مدرّج في عبّاءة ، فقال : أين أبو مسلم ؟ قال : مُدْرَجٌ في الكساء ^(٤) ؛ قال : إنا لله ! قال : اسكت ، فاتمّ سلطانك وأمرُك إلّا اليوم ، ثم رمى به في دجلة .

قال عليّ : قال أبو حفص : دعا أمير المؤمنين عثمان بن نَهيْك وأربعة

(٢) ح : « بخاتم » ، ت : « بخاتمي » .
(٥) ج : « كساء » .

(١) ج : « مكتوباً » .
(٣) ب : « عاتبك » .

١١٣/٣ من الخرس ، فقال لهم : إذا ضربت يدي^(١) لإحدهما على الآخري ؛ فاضربوا
عدو الله ، فدخل عليه أبو مسلم ، فقال له : أخبرني عن نَصْلَيْنِ أصبتهما
في متاع عبد الله بن عليّ ، قال : هذا أحدهما الذي عليّ ، قال : أرنيه
فانتضاه ، فناولوه ، فهزّه أبو جعفر ، ثم وضعه تحت فراشه ، وأقبل عليه يعاتبه ،
فقال : أخبرني عن كتابك إلى أبي العباس تنهاه عن الموات ، أردت أن
تعلمنا الدين ! قال : ظننتُ أخذه لا يحلّ ، فكتب إلىّ ، فلما أتاني
كتابهُ علمتُ أن أمير المؤمنين وأهل بيته معدن العلم ، قال : فأخبرني عن
تقدّمك إياي في الطريق ؟ قال : كرهتُ اجتماعنا على الماء فيضرب ذلك بالناس ؛
فتقدّمْتُك التماس الرّفقي^(٢) ، قال : فقولك حين أتاك الخبر بموت أبي العباس لمن
أشار عليك أن تنصرف إلىّ : تقدم ففري من رأينا ؛ ومضيت فلا أنت أقمت
حتى ألحقك^(٣) ولا أنت رجعت إلىّ ! قال : منعني من ذلك ما أخبرْتُك من
طلب الرّفقي^(٢) بالناس ، وقلت : نقدم الكوفة فليس عليه مني خلاف ، قال :
فجارية عبد الله بن عليّ أردت أن تتخذها ؟ قال : لا ؛ ولكني خفتُ أن
تضيع ، فحملتها في قبة ، ووكلتُ بها من يحفظها ، قال : فراغمتك وخروجك
إلى خراسان ؟ قال : خفتُ أن يكون قد دخلك مني شيء ، فقلت : آتي
خراسان ، فأكتب إليك بعددري ؛ وإلى ذلك ما قد ذهب ما في نفسك عليّ ،
١١٤/٣ قال : تالله ما رأيتُ كالיום قطّ ، والله ما زدتنِي إلا غضباً ؛ وضرب بيده ، فخرجوا
عليه ؛ فضربه عثمان وأصحابه حتى قتلوه .

قال عليّ : قال يزيد بن أسيد : قال أمير المؤمنين : عاتبتُ عبد الرحمن ،
فقلت : المال الذي جمعته بخران^(٤) ؟ قال : أنفقته وأعطيته الجند تقويةً لهم
واستصلاحاً ، قلت : فرجوعك إلى خراسان مراغماً ؟ قال : دع هذا فما
أصبحتُ أخاف أحداً إلا الله ؛ فغضبتُ فشتّمته ، فخرجوا فقتلوه .

وقال غير من ذكرت في أمر أبي مسلم : إنه لما أرسل إليه يوم قتل ، أتى
عيسى بن موسى ، فسأله أن يركب معه ، فقال له : تقدّم وأنت في ذمتي ؛

(٢) كذا في ت ، و ط : « المرفق » .

(٤) ابن الأثير : « بخراسان » .

(١) ب : « يدي » .

(٣) ط : « فلحقك » .

فدخل مضرب أبي جعفر ؛ وقد أمر عثمان بن نَهْيَك صاحب الحرس ، فأعد له شبيب بن وَّاج المروزي (رجلا من الحرس) وأبا حنيفة حرب بن قيس ، وقال لهم : إذا صفقتُ يديَّ فشأنكم ؛ وأذن لأبي مسلم ، فقال لمحمد البواب النجاري : ما الخبر ؟ قال : خير ؛ يُعطينني الأمير سيفه ، فقال : ما كان يُصنِّع بي هذا ! قال : وما عليك ! فشكا ذلك إلى أبي جعفر ، قال : ومن فعل بك هذا قبحه الله ! ثم أقبل يعاتبه : ألسْتَ الكاتب إلى تَبْدَأُ بنفسك ، والكاتب إلى تَخْطُبُ أمينة بنت علي^(١) ، وتزعم أنك ابنُ سَكَيْط بن عبد الله بن عباس ! ما دعاك إلى قتل سليمان بن كثير مع أثره في دعوتنا ؛ وهو أحد نقبائنا^(٢) قبل أن نُدخلك في شيء من هذا الأمر ؟ قال : أرادَ الخلافَ وعصاني فقتلته ، فقال المنصور : وحاله عندنا^(٣) حاله فقتلته ، وتعصيني وأنت مخالف علي ! قتلتني بالله إن لم أقتلك ! فصر به بعمود ، وخرج شبيبُ وحرب فقتلاه ، وذلك لخمس ١١٥/٣ ليال بقين من شعبان من سنة سبع وثلاثين ومائة ، فقال المنصور :

زَعَمْتَ أَنَّ الدِّينَ لَا يُقْتَضَى فَاسْتَوَفِ بِالْكَيْلِ أَبَا مُجْرِمٍ
سُقِيتَ كَأْسًا كُنْتَ تَسْقِي بِهَا أَمْرًا فِي الْحَلْقِ مِنَ الْعَلَقَمِ
قال : وكان أبو مسلم قد قَتَلَ في دولته وحروبه ستمائة ألف صَبْرًا .
وقيل : إن أبا جعفر لما عاتب أبا مسلم ، قال له : فعلتَ وفعلتَ ، قال له أبو مسلم :
ليس يقال هذا لي بعد ثلاثي ، وما كان مني ؛ فقال : يابن الخبيثة ؛ والله لو
كانت أمةٌ مكانك لأَجَزْتَ^(٤) ناحيتها ؛ إنما عملتَ ما عملتَ في دولتنا
وبريحتنا ؛ ولو كان ذلك إليك ما قطعْتَ فتيلًا ، ألسْتَ الكاتب إلى تَبْدَأُ
بنفسك ، والكاتب إلى تَخْطُبُ أمينة بنت علي ، وتزعم أنك ابنُ سَكَيْط بن
عبد الله بن عباس ! لقد ارتقيت لا أمَّ لك مُرْتَقَى صَعْبًا ! فأخذ أبو مسلم
بيده يعركها ويقبلها^(٥) ويعتذر إليه .

وقيل : إن عثمان بن نَهْيَك ضرب أبا مسلم أول ما ضرب ضربة خفيفة

(٢) ابن الأثير : « أحد فتياننا » .

(٤) ابن الأثير : « لأجزأت » .

(١) ابن الأثير : « أمينة بنت علي » .

(٣) ج : « عنك » .

(٥) ابن الأثير : « ويقبلها » .

بالسيف ؛ فلم يزد على أن قطع حمائل سيفه ؛ فاعتقل بها أبو مسلم . وضرب شبيب بن واثق رجلته ، واعتوره بقية أصحابه حتى قتلوه ، والمنصور يصيح بهم : اضربوا قطع الله أيديكم !

وقد كان أبو مسلم قال — فيما قيل — عند أول ضربة أصابته : يا أمير المؤمنين ، استبقني لعدوك قال : لا أبقي الله إذاً ! وأى عدو لي أعدى منك !

وقيل : إن عيسى بن موسى دخل بعد^(١) ما قُتِل أبو مسلم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أين أبو مسلم ؟ فقال : قد كان ها هنا آنفًا ، فقال عيسى : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت طاعته ونصيحته ورأى الإمام إبراهيم كان فيه ؛ فقال : يا أنوك ؛ والله ما أعلم في الأرض عدوًّا أعدى لك منه ؛ ها هو ذاك في البساط ، فقال عيسى : إنا لله وإنا إليه راجعون ! وكان لعيسى رأى في أبي مسلم ، فقال له المنصور : خلع الله قلبك ؛ وهل كان لكم ملئك أو سلطان أو أمر أو نهى مع أبي مسلم !

قال : ثم دعا أبو جعفر جعفر بن حنظلة ، فدخل عليه ، فقال : ما تقول في أبي مسلم ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن كنت أخذت شعرة من رأسه فاقتل ثم اقتل ثم اقتل ؛ فقال المنصور : وفقتك الله ! ثم أمره بالقيام والنظر إلى أبي مسلم مقتولا ، فقال : يا أمير المؤمنين ، عدت من هذا اليوم لخلافتك . ثم استؤذن لإسماعيل بن علي ، فدخل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنني رأيت في ليلتي هذه كأنك ذبحت كبشًا وأنى توطأته^(٢) برجلي ، فقال : نامت عينك يا أبا الحسن ؛ قم فصدّق رؤياك ؛ قد قتل الله الفاسق ، فقام إسماعيل إلى الموضع الذي فيه أبو مسلم ، فتوطأه .

ثم إن المنصور همّ بقتل أبي إسحاق صاحب حرّس أبي مسلم وقتل أبي نصر مالك — وكان على شرط أبي مسلم — فكلّمه أبو الجهم ، فقال : يا أمير المؤمنين ، جنده جندك ، أمرتهم بطاعته فأطاعوه . ودعا المنصور بأبي إسحاق ، فلما دخل عليه ولم^(٣) ير أبا مسلم ، قال له أبو جعفر : أنت المتابع^(٤) لعدو

(١) ج : « عند » .

(٢) ج : « أتوطؤه » .

(٣) ب : « لم » .

(٤) ب : « الهاميع » ، ابن الأثير : « المتابع » .

الله أبى مسلم على ما كان أجمع ؛ فكفّ وجعل يلتفت يمينا وشمالا تخوفاً من ١١٧/٣
 أبى مسلم ، فقال له المنصور : تكلم بما أردت ، فقد قتل الله الفاسق ؛ وأمر
 بإخراجه إليه مقطّعا ؛ فلما رآه أبو إسحاق خرّ ساجداً ، فأطال السجود ،
 فقال له المنصور : ارفع رأسك وتكلم ؛ فرفع رأسه وهو يقول : الحمد لله الذى
 آمننى بك اليوم ؛ والله ما أمنتُه يوماً واحداً منذ صحبتُه ، وما جئتُه يوماً قطّ
 إلا وقد أوصيتُ وتكفّنتُ وتحنّطُ ؛ ثم رفع ثيابه الظاهرة فإذا تحتها ثيابُ
 كَتَّانٍ جُدَدَ ، وقد تحنّط . فلما رأى أبو جعفر حاله رحمه ، ثم قال :
 استقبل طاعة خليفتك . واحمد الله الذى أراحك من الفاسق . ثم قال له
 أبو جعفر : فترّق عنى هذه الجماعة . ثم دعا بمالك بن الهيثم فحدّثه (١) بمثل
 ذلك ، فاعتذر إليه بأنه أمره بطاعته ؛ وإنما خدمه وخفّ له الناسُ بمرضاته ،
 وأنه قد كان فى طاعتهم قبل أن يعرف أباً مسلم ، فقبل منه وأمره بمثل ما أمر به
 أباً إسحاق من تفريق جند أبى مسلم .

وبعث أبو جعفر إلى عِدّة من قوَاد أبى مسلم بجوائز سنّية ، وأعطى جميع
 جنده حتى رضوا ، ورجع أصحابه وهم يقولون : بعنا مولانا بالدرهم . ثم
 دعا أبو جعفر بعد ذلك أباً إسحاق ، فقال : أقسم بالله لئن قطعوا ظنّباً من
 أطنابى لأضربنّ عنقك ثم لأجاهدّتهم . فخرج إليهم أبو إسحاق فقال :
 يا كلاب انصرفوا .

قال على : قال أبو حفص الأزديّ : لما قُتِل أبو مسلم كتب أبو جعفر
 إلى أبى نصر كتاباً عن لسان أبى مسلم يأمره بحمل ثقله وما خلف عنده ، وأن ١١٨/٣
 يقدم ، وختم الكتاب بخاتم أبى مسلم ، فلما رأى أبو نصر نقش الخاتم تاماً ،
 علم أن أباً مسلم لم يكتب الكتاب ، فقال : أفعلتموها (٢) ! وانحدر إلى همدان
 وهو يريد خراسان ، فكتب أبو جعفر لأبى نصر عهداً على شهرزور ، ووجّه
 رسولاً إليه بالعهد ؛ فأتاه حين مضى الرسول بالعهد أنه قد توجه إلى خراسان ،
 فكتب إلى زهير بن التركى - وهو على همدان : إن مرّ بك أبو نصر فاحبسّه ،
 فسبق الكتاب إلى زهير وأبو نصر بهمدان ، فأخذه فحبسه فى القصر ، وكان

(١) ت ، ج : « فكله » .

(٢) ابن الأثير : « فعلتموها » .

زهير مولى لخزاعة، فأشرف أبو نصر على إبراهيم بن عريف — وهو ابن أخى أبى نصر لأمه — فقال : يا إبراهيم ، تقتل عمك ! قال : لا والله أبداً ، فأشرف زهير فقال لإبراهيم : إني مأمور والله ، إنه لمن أعز الخلق على ؛ ولكنى لا أستطيع ردّ أمر أمير المؤمنين . والله لئن رعى أحدكم بسهم لأرمين إليكم برأسه . ثم كتب أبو جعفر كتاباً آخر إلى زهير : إن كنت أخذت أباً نصر فاقتله .

وقدم صاحبُ العهد على أبى نصر بعهدِه فخلّى زهير سبيله لهواه فيه ؛ فخرج ، ثم جاء بعد يوم الكتابُ إلى زهير بقتله ، فقال : جاءنى كتابٌ بعهدِه فخلّيتُ سبيله .

وقدم أبو نصر على أبى جعفر ، فقال : أشرتَ على أبى مسلم بالمضى إلى خراسان ؟ فقال : نعم يا أمير المؤمنين ؛ كانت له عندى أبادٍ وصنائع فاستشارنى فنصحتُ له ، وأنت يا أمير المؤمنين إن اصطنعتنى نصحتُ لك وشكرتُ . فعفا عنه ؛ فلما كان يوم الراوندية قام أبو نصر على باب القصر ، وقال : أنا اليوم البوّاب ، لا يدخل أحد القصر وأنا حىٌّ . فقال أبو جعفر : أين مالك بن الهيثم ؟ فأخبروه عنه ، فرأى أنه قد نصح له . ١١٩/٣

وقيل : إن أباً نصر مالك بن الهيثم لما مضى إلى همدان كتب أبو جعفر إلى زهير بن التركى : إن لله دملك إن فاتك مالك ؛ فأتى زهير مالكا ، فقال له : إني قد صنعتُ لك طعاماً ، فلو أكرمتنى بدخول منزلى ! فقال : نعم ، وهياً زهير أربعين رجلاً تخيّرهم^(١) ، فجعلهم فى بيتين يُفَضِيان إلى المجلس الذى هياه ، فلما دخل مالك قال : يا أدهم ، عجّل طعامك ؛ فخرج أولئك الأربعون إلى مالك ، فشدّوه وثاقاً ، ووضع فى رجليه القيود . وبعث به إلى المنصور فنّ عليه وصفحه عنه واستعمله على الموصل .

• • •

وفى هذه السنة ولّى أبو جعفر المنصور أباً داود خالد بن إبراهيم خراسان وكتب إليه بعهدِه .

• • •

[ذكر خروج سنباذ للطلب بدم أبي مسلم ثم قتله]
وفيها خرج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبي مسلم .

* ذكر الخبر عن سنباذ :

ذكر أن سنباذ هذا كان مجوسياً ، من أهل قرية من قرى نيسابور يقال لها أمن^(١) ، وأنه كثر أتباعه لما ظهر ؛ وكان خروجه^(٢) غضباً لقتل أبي مسلم — فيما قيل — وطلباً بثأره ، وذلك أنه كان من صنائعه ، وغلب حين خرج على نيسابور وقوميس والرّي ، وتسمى فيروز أصهبند . فلما صار بالرّي قبض خزائن أبي مسلم ؛ وكان أبو مسلم خلف بها خزائنه حين شخص متوجهاً إلى أبي العباس ؛ وكان عامة أصحاب سنباذ أهل الجبال . فوجه إليهم أبو جعفر جهور بن مزار العجلي في عشرة آلاف ، فالتقوا بين همدان والرّي على طرف^(٣) المفازة ؛ فاقتتلوا ، فهزم سنباذ ، وقتل من أصحابه في ١٢٠/٣ الهزيمة نحو من ستين ألفاً ، وسبى ذراريهم ونساءهم . ثم قتل سنباذ بين طبرستان وقوميس ؛ قتله لؤنان الطبري ، فصير المنصور أصهبند طبرستان إلى ونداهرمز بن الفرخان ، وتوجه .

وكان بين مخرج سنباذ إلى قتله سبعون ليلة .

* * *

[خروج ملبّد بن حرملة الشيباني]

وفي هذه السنة خرج ملبّد بن حرملة الشيباني ، فحكّم بناحية الجزيرة ، فسارت إليه روابط اجزيرة ؛ وهم يومئذ فيما قيل ألف^(٤) ، فقاتلهم ملبّد فهزمهم ، وقتل من قتل منهم . ثم سارت إليه روابط الموصل فهزمهم ، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبّي ، فهزمه ملبّد بعد قتال شديد كان بينهما ؛ وأخذ ملبّد بجارية ليزيد كان يطؤها ، وقتل قائد من قواده ، ثم وجه إليه أبو جعفر مولاه المهلهل بن صفوان في ألفين من نخبة الجند ، فهزمهم ملبّد ، واستباح عسكرهم .

(١) ابن الأثير : «أهروانة» . (٢) ج : «خرج» .

(٣) ت : «طريق» . (٤) ابن الأثير : «وهم في نحو ألف فارس» .

ثم وجه إليه نزاراً (قائداً من قواد أهل خراسان) ، فقتله ملبداً ، وهزم أصحابه ،
 ثم وجه إليه زياد بن مشكان^(١) في جتمع كثير ، فلقيهم ملبداً فهزمهم .
 ثم وجه إليه صالح بن صبيح في جيش كثيف وخيل كثيرة وعدة ، فهزمهم .
 ثم سار إليه حميد بن قحطبة وهو يومئذ على الجزيرة ، فلقيه الملبد فهزمه ،
 وتحصن منه حميد ، وأعطاه مائة ألف درهم على أن يكف عنه .

وأما الواقدي فإنه زعم أن ظهور ملبد وتحكيمه كان في سنة ثمان وثلاثين
 ومائة ، ولم يكن للناس في هذه السنة صائفة لشغل السلطان بحرب سبأذ .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن عباس ،
 كذلك قال الواقدي وغيره ؛ وهو على الموصل .

وكان على المدينة زياد بن عبيد الله ، والعباس بن عبد الله بن معبد على
 مكة . ومات العباس عند انقضاء الموسم ؛ فضمّ إسماعيل عمله إلى زياد بن
 عبيد الله ؛ فأقره عليها أبو جعفر .

وكان على الكوفة في هذه السنة عيسى بن موسى . وعلى البصرة وأعمالها
 سليمان بن عليّ ، وعلى قضائها عمر بن عامر السلمي . وعلى خراسان أبو داود
 خالد بن إبراهيم . وعلى الجزيرة حميد بن قحطبة . وعلى مصر صالح بن
 عليّ بن عبد الله بن عباس .

ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك دخول قسطنطين طاغية الروم مَلَطِيَّةَ عَشْوَةَ وَقَهْرًا لِأَهْلِهَا وَهَدَمَهُ سُوْرَهَا ، وَعَفُوهُ عَمَّنْ فِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَالذَّرِيَّةِ .

ومنها غزو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس - في قول الواقدي - الصائفة ، مع صالح بن علي بن عبد الله ، فوصله صالح بأربعين ألف دينار ، وخرج معهم عيسى بن علي بن عبد الله ، فوصله أيضًا بأربعين ألف ١٢٢/٣ دينار ، فبني صالح بن علي ما كان صاحب الروم هدمه ^(١) من مَلَطِيَّةِ . وقد قيل : إن خروج صالح والعباس إلى مَلَطِيَّةِ لِلْغَزْوِ كَانَ فِي سَنَةِ تِسْعِ وَثَلَاثِينَ وَمِائَةٍ .

وفي هذه السنة بايع عبد الله بن علي لأبي جعفر وهو مقيم بالبصرة مع أخيه سليمان بن علي .

* * *

[ذكر خلع جهور بن مرار المنصور]

وفيها خلع جهور بن مرار العجلي المنصور .

• ذكر الخبر عن سبب خلعه إياه :

وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن جهور لما هزم سبأذ حوى ما في عسكره ، وكان فيه خزانة أبي مسلم التي كان خلفها بالرّى ، فلم يوجهها إلى أبي جعفر ، وخاف فخلع ، فوجه إليه أبو جعفر محمد بن الأشعث الخُزَاعِيّ في جيش عظيم ، فلقبه محمد ، فاقتتلوا قتالًا شديدًا ، ومع جهور نخب فرسان العجم ، زياد والأشتاخنج ، فهزم جهور وأصحابه ، وقتل من أصحابه خلق كثير ، وأسر زياد والأشتاخنج ، وهرب جهور فلحق بأذربيجان فأخذ بعد ذلك بأسبأذرو فقتل .

[ذكر خبر قتل الملبّد الخارجي]

وفي هذه السنة قتل الملبّد الخارجي .

* ذكر الخبر عن مقتله :

ذكر أن أبا جعفر لما هزم الملبّد حميد بن قحطبة ، وتحصّن منه حميد ، وجّه إليه عبد العزيز بن عبد الرحمن أخا عبد الجبار بن عبد الرحمن ، وضمّ إليه زياد بن مشكان ، فأكن له الملبّد مائة فارس ، فلما لقيه عبد العزيز خرج عليه الكّسمين ، فهزموه ، وقتلوا عامّة أصحابه . فوجّه أبو جعفر إليه ١٢٣/٣ خازم بن خزيمه في نحو من ثمانية آلاف من المرور وذية^(١) . فسار خازم حتى نزل الموصل ، وبعث إلى^(٢) الملبّد بعض أصحابه وبعث معهم الفعلة ، فسار إلى بلد فخذقوا ، وأقاموا له الأسواق ؛ وبلغ ذلك الملبّد ، فخرج حتى نزل ببلد ، في خندق خازم ؛ فلما بلغ ذلك خازماً خرج إلى مكان من أطراف الموصل حريز فعسكر به ، فلما بلغ ذلك الملبّد عبّر دجلة من بلد ، وتوجه إلى خازم من ذلك الجانب يريد الموصل ؛ فلما بلغ خازماً ذلك ، وبلغ إسماعيل ابن عليّ - وهو على الموصل - أمر إسماعيل خازماً أن يرجع من معسكره حتى يعبر من جسر الموصل ؛ فلم يفعل ، وعقد جسراً من موضع معسكره ، وعبّر إلى الملبّد ، وعلى مقدّمته وطلّاعته نضلة بن نعيم بن خازم بن عبد الله النهشليّ ، وعلى ميمنته زهير بن محمد العامريّ ، وعلى ميسرته أبو حماد الأبرص مولى بني سليم . وسار خازم في القلب ، فلم يزل يسير الملبّد وأصحابه حتى غشيهم الليل ثمّ توافقوا^(٣) ليلتهم ، وأصبحوا يوم الأربعاء ، فضى الملبّد وأصحابه متوجهين إلى كورة حرّة ، وخازم وأصحابه يسايرونهم حتى غشيهم الليل ، وأصبحوا يوم الخميس ، وسار الملبّد وأصحابه ، كأنه يريد الهرب من خازم ، فخرج خازم وأصحابه في أثرهم ، وتركوا خندقهم ، وكان خازم تخندق عليه وعلى أصحابه بالحسك ، فلما خرجوا من خندقهم كرّ عليهم الملبّد وأصحابه ؛ فلما رأى ذلك خازم ألقي الحسك بين يديه وبين يدي أصحابه ، فحملوا

(١) ت ، ج : « المروية » . (٢) ج : « إليه » .

(٣) كذا في ت ، وفي ط : « توافقوا » ، وفي ابن الأثير : « توافوا » .

على ميمنة خازم وطووها ، ثم حملوا على الميسرة وطووها ، ثم انتهوا إلى القلب ، وفيه خازم ، فلما رأى ذلك خازم نادى في أصحابه : الأرض ، فنزلوا ونزل الملبّد وأصحابه ، وعقروا عامة دوابّهم ، ثم اضطربوا بالسيوف حتى تقطعت ، وأمر خازم نَضْلَةَ بن نعيم أن إذا سطع الغبار ولم يبصر بعضنا بعضاً فارجع إلى خيلك وخيل أصحابك فاركبوها ، ثم ارموا بالنشاب . ففعل ذلك ، وتراجع أصحاب خازم من الميمنة إلى الميسرة ، ثم رشقوا الملبّد وأصحابه بالنشاب ، فقتل الملبّد في ثمانمائة رجل ممن ترجل ، وقتل منهم قبل أن يترجلوا زهاء ثلثمائة ، وهرب الباقيون ، وتبعهم نَضْلَةُ فقتل منهم مائة وخمسين رجلاً .

• • •

وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، كذلك قال الواقدي وغيره . وذكر أنه كان خرج من عند أبيه من الشام حاجاً ، فأدركته ولايته على الموسم والحج بالناس في الطريق ، فمر بالمدينة فأحرم منها .

وزياد بن عبيد الله على المدينة ومكة والطائف ، وعلى الكوفة وسوادها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سليمان بن علي ، وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وأبو داود خالد بن إبراهيم على خراسان ، وعلى مصر صالح بن علي .

ثم دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

١٢٥/٣

فمن ذلك ما كان من إقامة صالح بن عليّ والعباس بن محمد بملطية ؛ حتى استمنا بناء مملطية ، ثم غزوا الصائفة من أدرب الحديث ، فوغتلا في أرض الروم — وغزوا مع صالح أخناه : أم عيسى ولبابة ابنتا عليّ ؛ وكاننا نذرتا إن زال ملك بني أمية أن تجاهدا في سبيل الله .

وغزا من أدرب مملطية جعفر بن حنظلة البهرانيّ .

وفي هذه السنة كان الفداء الذي جرى بين المنصور وصاحب الروم ؛ فاستنقذ المنصور منهم أسراء المسلمين ، ولم يكن بعد ذلك — فيما قيل — للمسلمين صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة ، لاشتغال أبي جعفر بأمر ابنتي عبد الله بن الحسن ؛ إلا أن بعضهم ذكر أن الحسن بن قحطبة غزا الصائفة مع عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام في سنة أربعين . وأقبل قسطنطين صاحب الروم في مائة ألف ، فتل جيتحتان ، فبلغه كثرة المسلمين فأحجم عنهم ؛ ثم لم يكن بعدها صائفة إلى سنة ست وأربعين ومائة .

وفي هذه السنة سار عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان إلى الأندلس ، فلكه أهلها أمرهم ، فولده ولاتها إلى اليوم .

* * *

وفيها وسّع أبو جعفر المسجد الحرام ، وقيل إنها كانت سنة نخصة فسميت سنة الخصب .

وفيها عزل سليمان بن عليّ عن ولاية البصرة ، وعما كان إليه من أعمالها . وقد قيل إنه عزل عن ذلك في سنة أربعين ومائة .

١٢٦/٣

وفيها ولّى المنصور ما كان إلى سليمان بن عليّ من عمل البصرة سفيان بن معاوية ، وذلك — فيما قيل — يوم الأربعاء للنصف من شهر رمضان ، فلما

عزل سليمان وولّى سفيان توارى عبد الله بن عليّ وأصحابه خوفاً على أنفسهم ؛ فبلغ ذلك أبا جعفر ، فبعث إلى سليمان وعيسى ابني عليّ ، وكتب إليهما في إشخاص عبد الله بن عليّ ، وعزم عليهما أن يفعلا ذلك ولا يؤخّراه ، وأعطاهما من الأمان لعبد الله بن عليّ ما رضىاه له ووثقا به ، وكتب إلى سفيان بن معاوية يعلمه ذلك ، ويأمره بإزعاجهما واستحثاثهما بالخروج بعبد الله ومن معه من خاصّته ، فخرج سليمان وعيسى بعبد الله وبعمامة قوّاده وخواصّ أصحابه ومواليه ، حتى قدموا على أبي جعفر ؛ يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة .

* * *

[ذكر خبر حبس عبد الله بن عليّ]

وفيهما أمر أبو جعفر بحبس عبد الله بن عليّ وبحبس من كان معه من أصحابه وبقتل بعضهم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ولما قدم سليمان وعيسى ابنا عليّ على أبي جعفر أذن لهما ، فدخلا عليه ، فأعلماه حضور عبد الله بن عليّ ، وسألاه الإذن له . فأنعم لهما بذلك ، وشغلهم بالحديث ، وقد كان هيباً لعبد الله بن عليّ محبساً^(١) في قصره ، وأمر به أن ينصرف^(٢) إليه بعد دخول عيسى وسليمان عليه^(٣) ، ففعل ذلك به ؛ ونهض^(٤) أبو جعفر من مجلسه ، فقال لسليمان وعيسى : سارعا بعبد الله ، فلما خرجا افتقدا عبد الله من المجلس الذي كان^(٥) فيه ، فعلما أنه قد حبس ، فانصرفا ١٢٧/٣ راجعين إلى أبي جعفر ، فحِيلَ بينهما وبين الوصول إليه ، وأخذت عند ذلك سيوف من حضر من أصحاب عبد الله بن عليّ من عواتقهم وحبسوا . وقد كان خُصاف بن منصور حدّهم ذلك وندِم على مجيئه ، وقال لهم : إن أنتم أطمعتموني شددنا شدة واحدة على أبي جعفر ؛ فوالله لا يحول بيننا وبينه حائل حتى نأتي على نفسه ، ونشدّ على هذه الأبواب مصلتين سيوفنا ، ولا

(١) ب ، ت : « مجلساً » ، ابن الأثير : « مكاناً » . (٢) ط : « يصرف » .
(٣) كذا في ت . (٤) ت ، ح : « ثم نهض » . (٥) ت ، ج : « خلفه » .

يعرض لنا عارض إلا أفاتنا^(١) نفسه حتى نخرج وننجو بأنفسنا، فعصوه . فلما أخذت السيوف وأمر بحبسهم جعل خفاف يضرب في لحيته ، ويتقل في وجوه أصحابه . ثم أمر أبو جعفر بقتل بعضهم بحضرته ؛ وبعث بالبقية إلى أبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان فقتلهم بها .

وقد قيل إن حبس أبي جعفر عبد الله بن علي كان في سنة أربعين ومائة .

* * *

ونحج بالناس في هذه السنة العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .

وكان على مكة والمدينة والطائف زياد بن عبيد الله الحارثي ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وعلى خراسان أبو داود خالد بن إبراهيم .

ثم دخلت سنة أربعين ومائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر هلاك أبي داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار]

فمن ذلك ما كان فيها من مهلك عامل خراسان .

* ذكر الخبر عن ذلك وسبب هلاكه :

ذكر أن ناساً من الجند ثاروا بأبي داود خالد بن إبراهيم بخراسان وهو عامل أبي جعفر المنصور عليها في هذه السنة ليلاً ، وهو نازل بباب كُشْمَاهَن من مدينة مَرَو ، حتى وصلوا إلى المنزل الذي هو فيه ، فأشرف أبو داود من الحائط ^(١) على حرف آجُرَّة خارجة ، وجعل ينادى أصحابه ليعرفوا صوته ، فانكسرت الآجُرَّة عند الصبح ، فوقع على سِتْرَةٍ صُفَّة كانت قد آام السطح فانكسر ظهره ، فمات عند صلاة العصر ، فقام عصام صاحب شُرْطَةِ أبي داود بخلافة أبي داود ، حتى قدم عليه عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدى .

وفيهما ولَّى أبو جعفر عبد الجبار بن عبد الرحمن خراسان فقدمها ، فأخذ بها ناساً من القواد ذكر أنه اتهمهم بالدعاء إلى ولد علي بن أبي طالب ؛ منهم مجاشع بن حريث الأنصاري صاحب بخارى وأبو المغيرة ، مولى بني تميم واسمه خالد بن كثير وهو صاحب قوهستان ، والخريش بن محمد الذَّهَلِي ، ابن عم داود ، قتلهم ، وحبس الجنيد بن خالد بن هريم التغلبي ومعيد بن الخليل ^(٢) المزنفي بعد ما ضربهما ضرباً مبرحاً ، وحبس عدة من وجوه قواد أهل خراسان ، وألح على استخراج ما على عمال أبي داود من بقايا الأموال .

* * *

وفيهما خرج أبو جعفر المنصور حاجاً ، فأحرم من الحيرة ، ثم رجع بعد ما قضى حجه إلى المدينة ، فتوجه منها إلى بيت المقدس .

وكان عمّال الأمصار في هذه السنة عمالها في السنة التي قبلها، إلّا خُرَاسان فإن عاملها كان عبد الجبار .

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلى في مسجدّها ، ثم سلك الشام فإن عاملها كان عبد الجبار .

ولما قدم أبو جعفر بيت المقدس صلى في مسجدّها ، ثم سلك الشام منصرفاً حتّى انتهى إلى الرّقة ، فنزلها ، فأتى بمنصور بن جَعَوْنَة بن الحارث العامريّ ، من بني عامر بن صعصعة ، فقتله ، ثم شخص منها ، فسلك الفرات حتّى أتى الهاشميّة ، هاشميّة الكوفة .

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر الخبر عن خروج الراوندية]

فمن ذلك خروج الراوندية ، وقد قال بعضهم : كان أمر الراوندية وأمر أبي جعفر الذي أنا ذاكره ، في سنة سبع وثلاثين ومائة أو ست وثلاثين ومائة .

* ذكر الخبر عن أمرهم وأمر أبي جعفر المنصور معهم :

والراوندية قوم — فيما ذكر عن علي بن محمد — كانوا من أهل خراسان على رأي أبي مسلم صاحب دعوة بني هاشم ، يقولون — فيما زعم — بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن روح آدم في عثمان بن نهيك ، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور ، وأن الهيثم بن معاوية جبرئيل .

قال : وأتوا قصر المنصور ، فجعلوا يطوفون به ، ويقولون : هذا قصر ١٣٠/٣ ربنا ؛ فأرسل المنصور إلى رؤسائهم ، فحبس منهم مائتين ، فغضب أصحابهم وقالوا : علام حبسوا ! وأمر المنصور ألا يجتمعوا ، فأعدوا^(١) نعتاً وحملوا السريز — وليس في النعش أحد — ثم مروا في المدينة ، حتى صاروا على باب السجن ، فرموا بالنعش ، وشدوا على الناس — ودخلوا السجن ، فأخرجوا أصحابهم ، وقصدوا نحو المنصور وهم يومئذ سمائة رجل ، فتنادى الناس ، وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل أحد ، فخرج المنصور من القصر ماشياً ، ولم يكن في القصر دابة ، فجعل بعد ذلك اليوم يرتبط فرساً يكون في دار الخلافة^(٢) معه في قصره .

قال : ولما خرج المنصور أتى بدابة فركبها وهو يريدهم ؛ وجاءه ابن زائدة ، فأنهى إلى أبي جعفر ، فرمى بنفسه وترجل ، وأدخل بركة قبائه في منطقته ، وأخذ بلجام دابة المنصور ، وقال : أنشدك الله يا أمير المؤمنين

(١) ت ، ج : « فاتخذوا » . (٢) ت : « الخليفة » .

إلا رجعت ؛ فإنك تُكفَى . وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب القصر ، وقال : أنا اليوم بواب ، ونودى فى أهل السوق فرموهم وقتلوهم حتى أئخنوم ، وفُتِحَ باب المدينة ، فدخل الناس .

وجاء خازم بن خزيمه على فرس محذوف^(١) ؛ فقال : يا أمير المؤمنين ، أقتلهم ؟ قال : نعم ، فحمل عليهم حتى أبلأهم إلى ظهر حائط ، ثم كرّوا على خازم فكشفوه وأصحابه ، ثم كرّ خازم عليهم فاضطروهم^(٢) إلى حائط المدينة . وقال للهيثم بن شعبة : إذا كرّوا علينا فاسبقهم إلى الحائط ، فإذا رجعوا فاقتلهم . فحملوا على خازم ، فاطرد لهم ، وصار الهيثم بن شعبة من ورائهم . فقتلوا جميعاً .

وجاءهم يومئذ عثمان بن نهيك ؛ فكلهم ، فرجع فوموه بنشابة فوقعت بين كتفيه ؛ فرض أياماً ومات منها ، فصلى عليه أبو جعفر ، وقام على قبره حتى دُفِنَ ، وقال : رحمك الله أبا يزيد^(٣) ! وصير مكانه على حرسه عيسى بن نهيك ، فكان على الحرس حتى مات ؛ فجعل على الحرس أبا العباس الطوسى . وجاء يومئذ إسماعيل بن على ، وقد أغلقت الأبواب ، فقال للبواب : افتح ولك ألف درهم ؛ فأبى . وكان القعقاع بن ضرار يومئذ بالمدينة ؛ وهو على شرط عيسى بن موسى ، فأبلى يومئذ ؛ وكان ذلك كله فى المدينة الهاشمية بالكوفة .

قال : وجاء يومئذ الربيع ليأخذ بلجام المنصور ، فقال له معن : ليس هذا من أيامك ، فأبلى أبريز بن المصمغان ملك دُنبَاوَنَد — وكان خالف أخاه ، فقدم على أبى جعفر فأكرمه ، وأجرى عليه رزقاً ؛ فلما كان يومئذ أتى المنصور فكفر له ، وقال : أقاتل هؤلاء ؟ قال له : نعم ، فقاتلهم ؛ فكان إذا ضرب رجلاً فصرعه تأخر عنه — فلما قتلوا وصلى المنصور الظهر دعا بالعشاء ، وقال : أطلعوا^(٤) معن بن زائدة ، وأمسك عن الطعام حتى جاءه معن ؛ فقال لقُثم : تحوّل إلى هذا الموضع ، وأجلس معناً مكان قُثم ، فلما فرغوا من العشاء قال لعيسى بن على : يا أبا العباس ، أسمعت بأشدّ

(١) فرس محذوف : مقصوص شعر الذنب .

(٢) ت ، ب : « فاضطروهم » .

(٣) ج : « زيد » .

(٤) ج : « أطلعوا » .

الرجال^(١)؟ قال : نعم ، قال : لو رأيت اليوم معنًا علمت أنه من تلك الآساد ، قال معن : والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وإني لوجيل القلب ، فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم وشدة الإقدام عليهم ، رأيت أمرًا لم أره من خلق ١٣٢/٣ في حرب ؛ فشدت ذلك من قلبي وحملني على ما رأيت مني .

وقال أبو خزيمة : يا أمير المؤمنين ، إن لم بقيّة ، قال : فقد ولّيتك أمرهم فاقتلهم ، قال : فأقتل رزامة فإنه منهم ، فعاذ رزام بجعفر بن أبي جعفر ، فطلب فيه فأمنه .

وقال عليّ عن أبي بكر الهذليّ ، قال : إني لواقف بباب أمير المؤمنين إذ طلع فقال رجل لي جانبي : هذا رب العزة ! هذا الذي يطعمنا ويسقينا ؛ فلما رجع أمير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلتُ وخلا وجهه ، فقلتُ له : سمعتُ اليوم عجبًا ، وحدّثته ؛ فنكت في الأرض ، وقال : ياهذليّ ، يدخلهم الله النار في طاعتنا ويَعْتَلْهُمْ^(٢) ، أحبُّ إليّ من أن يدخلهم الجنة بمعصيتنا .

وذكر عن جعفر بن عبد الله ، قال : حدّثني الفضل بن الربيع ، قال : حدّثني أبي ، قال : سمعت المنصور يقول : أخطأت ثلاث خطيئات وقاني الله شرّها : قتلْتُ أبا مسلم وأنا في خرق ومنّ حولي يقدر طاعته ويؤثرها ولو هتكت الخرق لذهبت ضياعًا ، وخرجت يوم الراوندية ولو أصابني سهم غرّب لذهبت ضياعًا ، وخرجت إلى الشام ولو اختلف سيفان بالعراق ذهبت الخلافة ضياعًا .

وذكر أن معن بن زائدة كان مخفيًا من أبي جعفر ، لما كان منه من قتاله المسودة مع ابن هبيرة مرّة بعد مرّة ؛ وكان اختفاؤه عند مرزوق أبي الحصيب ، وكان على أن يطلب له الأمان ، فلما خرج الراوندية أتى الباب فقام عليه ، فسأل المنصور أبا الحصيب — وكان يلي حجابة المنصور يومئذ : منّ بالباب ؟ ١٣٢/٣

فقال : معن بن زائدة ، فقال المنصور : رجل من العرب ، شديد النفس ، عالم بالحرب كريم الحسب ؛ أدخله ، فلما دخل قال : إيه يا معن ! ما الرأي ؟ قال : الرأي أن تنادي في الناس وتأمر لهم بالأموال ، قال : وأين الناس والأموال ؟

(١) كذا في ب ، ت ، وابن الأثير وفي ط : « أشد » . (٢) ت : « نقتلهم » .

وَمَنْ يَقْدُم عَلَى أَنْ يَعْزُضَ نَفْسَهُ لِهَؤُلَاءِ الْعُلُوجِ ! لَمْ تَصْنَعْ شَيْئًا يَا مَعْنُ ، الرَّأْيُ أَنْ أُخْرِجَ فَأَقْفَ ، فَلِنْ النَّاسِ إِذَا رَأَوْنِي قَاتِلُوا وَأَبْلُوا وَثَابُوا إِلَيَّ ، وَتَرَجَعُوا ، وَإِنْ أَقَمْتُ تَخَاذَلُوا وَتَهَاوَنُوا . فَأَخَذَ مَعْنُ بِيَدِهِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِذَا وَاللَّهِ تُقَتِّلُ السَّاعَةَ ، فَأَنْشُدَكَ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ ! فَأَتَاهُ أَبُو الْخَصِيبِ فَقَالَ مِثْلَهَا ، فَاجْتَذَبَ ثَوْبَهُ مِنْهُمَا ، ثُمَّ دَعَا بِدَابَّتِهِ ، فَرَكِبَ وَوَثَبَ عَلَيْهَا مِنْ غَيْرِ رِكَابٍ ثُمَّ سَوَّى ثِيَابَهُ ، وَخَرَجَ وَمَعْنُ آخِذٌ بِلِجَامِهِ وَأَبُو الْخَصِيبِ مَعَ رِكَابِهِ فَوَقَفَ . وَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا مَعْنُ دُونَكَ الْعِلْجُ^(١) ، فَشَدَّ عَلَيْهِ مَعْنُ فَقَتَلَهُ ، ثُمَّ وَالَّتِي بَيْنَ أَرْبَعَةٍ ، وَثَابَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَتَرَجَعُوا ، وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا سَاعَةً حَتَّى أَفْنَوْهُمْ ، وَتَغَيَّبَ مَعْنُ بَعْدَ ذَلِكَ ، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ لِأَبِي الْخَصِيبِ : وَيْلَكَ ! أَيْنَ مَعْنُ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ مِنَ الْأَرْضِ ! فَقَالَ : أَيُّظَنُ أَنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَغْضُرُ ذَنْبُهُ بَعْدَ مَا كَانَ مِنْ بَلَاءَتِهِ ! أَعْطَاهُ الْأَمَانَ وَأَدْخَلَهُ عَلَيَّ ، فَأَدْخَلَهُ ، فَأَمَرَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، وَوَلَّاهُ الْيَمْنَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْخَصِيبِ : قَدْ فَرَّقَ صِلَتَهُ وَمَا يَقْدِرُ^(٢) عَلَى شَيْءٍ ، قَالَ : لَهُ لَوْ أَرَادَ مِثْلَ ثَمَنِكَ أَلْفَ مَرَّةٍ لَقَدَرُ عَلَيْهِ .

* * *

١٣٤/٣ وفي هذه السنة وجه أبو جعفر المنصور ولده محمدًا — وهو يومئذ وليّ عهد — إلى خُرَّاسَانَ فِي الْجُنُودِ ، وَأَمَرَهُ بِتَزْوِيلِ الرَّأْيِ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ .

* * *

[ذَكَرَ خُلْعَ عَبْدِ الْجَبَّارِ بِخُرَّاسَانَ وَمُسِيرَ الْمَهْدِيِّ إِلَيْهِ]

وَفِيهَا خُلِعَ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَامِلُ أَبِي جَعْفَرٍ عَلَى خُرَّاسَانَ ؛ ذَكَرَ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ ، عَنْ حَدِيثِهِ ، عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْخُوَزِيِّ ، أَنَّ الْمَنْصُورَ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ عَبْدَ الْجَبَّارِ يَقْتُلُ رُؤُسَاءَ أَهْلِ خُرَّاسَانَ ، وَأَتَاهُ مِنْ بَعْضِهِمْ كِتَابٌ فِيهِ : قَدْ نَغَلَ الْأَدِيمُ ، قَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ الْخَزَاعِيِّ : إِنَّ عَبْدَ الْجَبَّارِ قَدْ أَفْنَى شِيعَتَنَا ، وَمَا فَعَلَ هَذَا إِلَّا وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَخْلَعَ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَيْسَرُ حِيلَتَهُ ! اكْتُبْ إِلَيْهِ : إِنَّكَ تَرِيدُ غَزْوَ الرُّومِ ؛ فَيُوجَّهُ إِلَيْكَ الْجُنُودُ مِنْ خُرَّاسَانَ ، وَعَلَيْهِمْ فَرَسَانُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ ، فَإِذَا خَرَجُوا مِنْهَا فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ مَنًى شَتَّ ؛ فَلَيْسَ بِهِ امْتِنَاءٌ

فكتب بذلك إليه ، فأجابه : إنَّ الترك قد جاشت ؛ وإنَّ فرقتُ الجنود ذهبت خراسان ، فألقى الكتاب إلى أبي أيوب ، وقال له : ما ترى ؟ قال : قد أمكنك من قياده ، اكتب إليه : إنَّ خراسان أهمُّ إلىَّ من غيرها ، وأنا موجّه إليك الجنود من قبلى . ثمَّ وجّه إليه الجنود ليكونوا بخراسان ؛ فإنَّهم بخلع أخذوا بعنقه .

فلما ورد على عبد الجبار الكتاب كتب إليه : إنَّ خراسان لم تكن قطَّ أسوأ حالاً منها في هذا العام ؛ وإنَّ دخلها الجنود هلكوا لضيق ما هم فيه من غلاء السعر . فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيوب ، فقال له : قد أبدى صفحتَه ، وقد خلّع فلا تناظره .

فوجّه إليه محمد بن المنصور ، وأمره بتزول الرّى؛ فسار إليها المهديّ ، وجّه لحربه خازم بن خزيمة مقدّمه له ، ثمَّ شخص المهديّ فتزل نيسابور . ١٣٥/٣ ولما توجه خازم بن خزيمة إلى عبد الجبار ، وبلغ ذلك أهل مَرَو الروذ ؛ ساروا إلى عبد الجبار من ناحيتهم فناصروه الحرب ، وقاتلوه قتالاً شديداً حتى هُزِمَ ، فانطلق هارباً حتى لجأ إلى مقطنة ، فتوارى فيها ، فعبّر إليه المجشر بن مزاحم من أهل مَرَو الروذ ؛ فأخذه أسيراً ؛ فلما قدّم خازم أتابه به ، فألبسه خازم مدرّعة صوف ، وحمله على بعير ، وجعل وجهه من قبيل عجز البعير ؛ حتى انتهى به إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه ؛ فبسط عليهم العذاب ، وضربوا بالسياط حتى استخرج منهم ما قدّر عليه من الأموال . ثمَّ أمّر المسيّب بن زهير بقطع يدى عبد الجبار ورجليه وضرب عنقه ؛ ففعل ذلك المسيّب ، وأمر المنصور بتسيير ولده إلى دَهْلَك —وهى جزيرة على ضفّة البحر بناحية اليمن — فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهنّد ، فسبّوهم فيمن سبّوا حتى فُودُوا بعد ، ونجا منهم من نجا ، فكان ممن نجا منهم واكتتب في الديوان وصحب الخلفاء عبد الرحمن بن عبد الجبار ، وبقي إلى أن توفّي بمصر في خلافة هارون ، في سنة سبعين ومائة .

* * *

وفي هذه السنة فرّغ من بناء المصيّصة على يدى جبرئيل بن يحيى الجراسانيّ ،

ورابط محمد بن إبراهيم الإمام بمططية .

واختلفوا في أمر عبد الجبار وخبره ، فقال الواقدي : كان ذلك في سنة ثنتين وأربعين ومائة ، وقال غيره : كان ذلك في سنة إحدى وأربعين ومائة (١) .

١٣٦/٣ وذكر عن علي بن محمد أنه قال : كان قدوم عبد الجبار خراسان لعشر خلون من ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائة ، ويقال لأربع عشرة ليلة ، وكانت هزيمته يوم السبت لست خلون من ربيع الأول سنة ثنتين وأربعين ومائة .

وذكر عن أحمد بن الحارث ، أن خليفة بن خياط حدثه ، قال : لما وجه المنصور المهدي إلى الري - وذلك قبل بناء بغداد - وكان توجيهه إياه لقتال عبد الجبار بن عبد الرحمن ، فكفى المهدي أمر عبد الجبار بمن حاربه وظفر به - كره أبو جعفر أن تبطل تلك النفقات التي أنفقت على المهدي ، فكتب إليه أن يغزو طبرستان ، وينزل الري ، ويوجه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود إلى الأصبهين ، وكان الأصبهين يومئذ محارباً للمصمغان ملك دُبانوند معسكراً بإزائه ، فبلغه أن الجنود دخلت بلاده ، وأن أبا الخصيب دخل سارية ، فساء المصمغان ذلك ، وقال له : متى صاروا إليك صاروا إلى ، فاجتمعوا على محاربة المسلمين ، فانصرف الأصبهين إلى بلاده ، فحارب المسلمين ، وطالت تلك الحروب ، فوجه أبو جعفر عمر بن العلاء الذي يقول فيه بشار :

فَقُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنَّ جِئْتَهُ نَصِيحاً وَلَا خَيْرَ فِي الْمُتَّهِمِ
إِذَا أَبْقَظْتَكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبَأُ لَهَا عُمَرَاءُ ثُمَّ نَمِ
فَتَى لَا يَنَامُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمِ

وكان توجيهه إياه بمشورة أبرويز أخى المصمغان ، فإنه قال له :

١٣٧/٣ يا أمير المؤمنين ؛ إن عمر أعلم الناس ببلاد طبرستان ، فوجهه ، وكان أبرويز قد عرف عمر أيام سباز وأيام الرواندية ، فضم إليه أبو جعفر خازم بن خزيمة ، فدخل الرويان ففتحها ، وأخذ قلعة الطاق وما فيها ، وطالت الحرب ،

فألحّ خازم على القتال، ففتح طبرستان، وقتل منهم فأكثر، وصار الأصبهني إلى قلعته، وطلب الأمان على أن يسلم القلعة بما فيها من ذخائره^(١)، فكتب المهديّ بذلك إلى أبي جعفر، فوجه أبو جعفر بصالح صاحب المصلى وعدة معه، فأحصوا ما في الحصن، وانصرفوا. وبدأ للأصبهنيّ، فدخل بلاد جيلان من الدّيلم، فأت بها، وأخذت ابنته — وهى أم إبراهيم بن العباس بن محمد — وصمدت الجنود للمصمغان؛ فظفروا به وبالبحرية أم منصور بن المهديّ، وبصيرم أم ولد على بن ريطة بنت المصمغان. فهذا فتح طبرستان الأول. قال: ولما مات المصمغان تحوّل أهل ذلك الجبل فصاروا حوزيّة لأنهم توحّشوا كما توحّش حمر الوحش.

* * *

وفي هذه السنة عزّل زياد بن عبيد الله الحارثيّ عن المدينة ومكة والطائف، واستعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ، فقدمها في رجب. وعلى الطائف ومكة الهيثم بن معاوية العتكيّ^(٢) من أهل خراسان.

* * *

وفيها توفّي موسى بن كعب؛ وهو على شرط المنصور، وعلى مصر والهند ١٣٨/٣ وخليفته على الهند عيينة ابنه.

وفيها عزّل موسى بن كعب عن مصر، ووليها محمد بن الأشعث ثم عزّل عنها، ووليها نؤفل بن الفرات.

وحجّ بالناس في هذه السنة صالح بن عليّ بن عبد الله بن عباس وهو على قنّسرين وحمص ودمشق. وعلى المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسريّ، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية. وعلى قضائها سوار بن عبد الله، وعلى خراسان المهديّ وخليفته عليها السريّ بن عبد الله، وعلى مصر نؤفل بن الفرات.

(٢) ب: «المكي»، ج: «المكي».

(١) ت: «الذخائر».

ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند]

فما كان فيها خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند .

* ذكر الخبر عن سبب خلعه :

ذكر أن سبب خلعه ، كان أن المسيّب بن زهير كان خليفة موسى بن كعب على الشرط ، فلما مات موسى أقام المسيّب على ما كان يلي من الشرط ^(١) ، وخاف المسيّب أن يكتب المنصور إلى عيينة في القدوم عليه فيؤليه مكانه ؛ وكتب إليه بيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه :

فأَرْضَكَ أَرْضَكَ إِن تَأْتَنَا فَنَمَ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ ١٣٩/٣

وخرج أبو جعفر لما أتاه الخبر عن عيينة بخلعه حتى نزل بعسكره من البصرة عند جسرهما الأكبر ، ووجه عمر بن حفص بن أبي صفرة العنكي ^(٢) عاملا على السند والهند ، محارباً لعيينة بن موسى ؛ فسار حتى ورد السند والهند ، وغلب عليها .

* * *

[ذكر خبر نكت إصبيهد طبرستان العهد]

وفي هذه السنة نقض إصبيهد طبرستان العهد بينه وبين المسلمين ، وقتل من كان ببلاده من المسلمين .

* ذكر الخبر عن أمره وأمر المسلمين :

ذكر أن أبا جعفر لما انتهى إليه خبر الإصبيهد وما فعل بالمسلمين ، وجه إليه خازم بن خزيمة وروح بن حاتم ومعهم مرزوق أبو الخصيب مولى

أبى جعفر ، فأقاموا على حصنه محاصرين له ولمن معه فى حصنه ، وهم يقاتلونهم حتى طال عليهم المقام ، فاحتال أبو الحصيب فى ذلك فقال لأصحابه : اضربونى واحلقوا رأسى ولحيتى ؛ ففعلوا ذلك به ، ولحق بالإصبيهد صاحب الحصن فقال له : إني ^(١) رُكِبَ منى أمرٌ عظيم ؛ ضُربتُ وحُلِقَ رأسى ولحيتى . وقال له : إنما فعلوا ذلك بى تهمةً منهم لى أن يكون هواى معك ، وأخبره أنه معه ، وأنه دليل له على عورة عسكرهم . فقبل منه ذلك الإصبيهد ، وجعله فى خاصيته وألطفه ؛ وكان باب مدينتهم من حجر يلقى إلقاء يرفعه الرجال ، وتضعه عند فتحه وإغلاقه ؛ وكان قد وكَّل به الإصبيهد ثقات أصحابه ، وجعل ذلك نوباً بينهم ، فقال له أبو الحصيب : ما أراك وثقت بى ، ولا قبلت نصيحتى ! ١٤٠/٣ قال : وكيف ظننت ذلك ؟ قال : لتركك الاستعانة بى فيما يعينك ، وتوكيلى فيما لا تثق به إلا بثقاتك ؛ فجعل يستعين به بعد ذلك ، فبرى منه ما يجب إلى أن وثق به ، فجعله فيمن ينوب فى فتح باب مدينته وإغلاقه ؛ فتولَّى له ذلك حتى أنس به . ثم كتب أبو الحصيب إلى رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمة ، وصير الكتاب فى نُشابة ، ورواها إليهم ، وأعلمهم أن قد ظفر بالخيلة ، ووعدهم ليلة ، سمّاها ^(٢) لهم فى فتح الباب . فلما كان فى ^(٣) تلك الليلة فتح لهم ، فقتلوا من فيها من المقاتلة ، وسبوا الدرارى ، وظفر بالبحرية . وهى أم منصور بن المهدي ، وأمها باكند بنت الإصبيهد الأصم — وليس بالإصبيهد الملك ؛ ذاك أخو باكند — وظفر بشكلة أم إبراهيم بن المهدي ، وهى بنت خوندان ^(٤) قهرمان المصمغان ، ففص الإصبيهد خاتماً له فيه سمّ فقتل نفسه .

وقد قيل : إن دخول رَوْح بن حاتم وخازم بن خزيمة طبرستان كان فى سنة ثلاث وأربعين ومائة .

* * *

وفى هذه السنة بنى المنصور لأهل البصرة قبلتهم التى يصلون إليها فى عيدهم بالحمّان ، وولى بناءه سلمة بن سعيد بن جابر ؛ وهو يومئذ على الفُرات والأُبُلّة ١٤١/٣

(٢) كذا فى ت ، وفى ط : « وسمّاها » .

(٤) كذا فى ت .

(١) ج : « إنه » .

(٣) ساقطة من ت .

من قبَل أبي جعفر ، وصام أبو جعفر شهر رمضان وصلى بها يوم الفطر .

* * *

وفيها تُوفّي سليمان بن عليّ بن عبد الله بالبصرة ليلة السبت لتسع^(١) بقين من جمادى الآخرة ، وهو ابن تسع وخمسين سنة ، وصلى عليه عبد الصمد ابن عليّ .

وفيها عُرِلَ عن مصر نوفل بن الفرات ، ووليها محمد بن الأشعث ، ثم عُرِلَ عنها محمد ووليها نوفل بن الفرات ، ثم عزل نَوْفَل ووليها حميد ابن قحطبة .

* * *

وحجّ بالناس في هذه السنة إسماعيل بن عليّ بن عبد الله بن العباس . وكان العامل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله ، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية ، وعلى الكوفة وأرضها عيسى بن موسى ، وعلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وعلى مصر حميد بن قحطبة .

* * *

وفيها - في قول الواقدي - ولّي أبو جعفر أخاه العباس بن محمد الجزيرة والثغور وضمّ إليه عدّة من القوادر ، فلم يزل بها حيناً .

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

* * *

[غزو الديلم]

ففي هذه السنة ندب المنصور الناس إلى غزو الديلم .

* ذكر الخبر عن ذلك :

ذكر أن أبا جعفر اتصل به عن الديلم إيقاعهم بالمسلمين وقتلهم منهم مقتلة ١٤٢/٣ عظيمة ، فوجه إلى البصرة حبيب بن عبد الله بن رغبان^(١) ، وعليها يومئذ إسماعيل ابن عليّ ، وأمره بإحصاء كل من له فيها عشرة آلاف درهم فصاعداً ، وأن يأخذ كل من كان ذلك له بالشخص بنفسه لجهاد الديلم ، ووجه آخر لمثل^(٢) ذلك إلى الكوفة .

* * *

[عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف]

وفيهما عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف ، ولتى ما كان إليه من ذلك السرى بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن عبد المطلب ، وأتى^(٣) السرى عهده على ذلك وهو باليامة ، فسار إلى مكة ، ووجه أبو جعفر إلى اليامة فقتل ابن العباس بن عبد الله بن عباس .

* * *

[عزل حميد بن قحطبة عن مصر]

وفيهما عزل حميد بن قحطبة عن مصر ، ووليها نوفل بن القرات ، ثم عزل نوفل ووليها يزيد بن حاتم .

(٢) ج : « مثل » .

(١) ب : « رغبان » .

(٣) ج : « وأبى » .

وحجّ بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عميد الله^(١) ابن عباس ، وكان يومئذ إليه ولاية الكوفة وسوادها .

وكان وإلى مكة^(٢) فيها السري بن عبد الله بن الحارث ، وإلى البصرة وأعمالها سفيان بن معاوية ، وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

(٢) ب : « مكة والمدينة » ، ت « المدينة » .

(١) ط : « عبد » .

ثم دخلت سنة أربع وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك غزو محمد بن أبي العباس بن عبد الله بن
ابن علي^(١) الديلمي في أهل الكوفة والبصرة وواسط والموصل والجزيرة .

وفيها انصرف محمد بن أبي جعفر المهدي عن خراسان إلى العراق ، وشخص
أبو جعفر إلى قرماسين ، فلقية بها ابنه محمد منصرفاً من خراسان ، فانصرفا
جميعاً إلى الجزيرة .

وفيها بنى محمد بن أبي جعفر عند مقدمه من خراسان بابنة عمه
ريطة بنت أبي العباس .

وفيها حج بالناس أبو جعفر المنصور ، وخلف على عسكره والميرة خازم
ابن خزيمه .

* * *

[ولاية رياح بن عثمان على المدينة وأمر ابني عبد الله بن حسن]

وفي هذه السنة ولي أبو جعفر رياح بن عثمان المرسى المدينة ، وعزل محمد
ابن خالد بن عبد الله القسري عنها .

• ذكر الخبر عن سبب عزله محمد بن خالد واستعماله رياح بن عثمان

وعزله زياد بن عبيد الله الحارثي من قبل محمد بن خالد :

وكان سبب عزل زياد عن المدينة ، أن أبا جعفر همته أمر محمد وإبراهيم
ابني عبد الله بن حسن بن علي بن أبي طالب وتخلّفهما عن حضوره ؛
مع من شهدته من سائر بني هاشم عام حج في حياة أخيه أبي العباس ، ومعه
أبو مسلم . وقد ذكر أن محمداً كان يذكر أن أبا جعفر ممن بايع له ليلة تشاور
بنو هاشم بمكة فيمن يعقدون له الخلافة حين اضطرب أمر بني مروان مع
سائر المعتزلة الذين كانوا معهم هنالك . فسأل عنهما ، فقال له زياد بن

(١) كذا في ت ، وبعدها في ط : « ابن أمير المؤمنين » .

عبيد الله : ما يهملك من أمرهما ! أنا آتيك بهما ؛ وكان زياد يومئذ مع أبي جعفر عند مقدمه مكة سنة ست وثلاثين ومائة ، فردّ أبو جعفر زياداً إلى عمله ، وضمّنه محمداً وإبراهيم .

١٤٤/٣

فذكر أبو زيد عمر بن شبة أن محمد بن إسماعيل حدثه ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمران^(١) ، قال : حدثني عبد الله بن أبي عبيدة^(٢) بن محمد ابن عمار بن ياسر ، قال : لما استُخلف أبو جعفر لم تكن له همة إلا طلب محمد والمساءلة عنه وما يريد^(٣) ؛ فدعا بني هاشم رجلاً رجلاً ؛ كلهم يُخْلِيهِ^(٤) ، فیسألهم عنه ، فيقولون : يا أمير المؤمنين ؛ قد علم أنك قد عرفته يطلب هذا الشأن قبل اليوم ؛ فهو يخافك على نفسه ؛ وهو لا يريد لك خلافاً ، ولا يحبّ لك معصية ؛ وما أشبه هذه المقالة إلا حسن بن زيد ، فإنه أخبره خبره ، فقال : والله ما آمن وثوبه عليك ؛ فإنه للذي لا ينأى^(٥) عنك ، فرأيك . قال ابن أبي عبيدة : فأيقظ من لا ينأى^(٦) .

وقال محمد : سمعت جدي موسى بن عبد الله ، يقول : اللهم اطلب حسن ابن زيد بدمائنا . قال موسى : وسمعت والله أبي يقول : أشهد لعرفني أبو جعفر حديثاً ما سمعه مني إلا حسن بن زيد .

وحدثني محمد بن إسماعيل ، قال : سمعت القاسم بن محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان بن عفان ، قال : أخبرني محمد بن وهب السلمي ، عن أبي ، قال : عرفني أبو جعفر حديثاً ما سمعه مني إلا أخى عبد الله بن حسن وحسن بن زيد ؛ فأشهد ما أخبره به عبد الله ؛ ولا كان يعلم الغيب .

١٤٥/٣

قال محمد : وسأل عنه عبد الله بن حسن عام حجّ ، فقال له مقالة الهاشميين ، فأخبره أنه غير راضٍ أو يأتيه به .

قال محمد : وحدثني أمي عن أبيها ، قال : قال أبي : قلت لسليمان بن

(١) الأغاني : « عمر » .

(٢) الأغاني : « عبيد » .

(٣) الأغاني : « ألح في طلب محمد والمساءلة عنه » .

(٤) أخلاه يخليه : كلمه خالياً .

(٥) الأغاني : « لا ينأى » .

(٦) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٦ (سأسى) ؛ بروايته عن العتكي عن عمر بن شبة ؛ بالسند

المذكور هنا .

على: يا أخى صهرى بك صهرى، ورحمى بك رحمى، فما ترى؟ قال: والله لكأنتى أنظر لى عبد الله بن على حين حال السر^(١) بيننا وبينه؛ وهو يشير إلينا أن هذا الذى فعلتم بى، فلو كان عافياً عفا عن عمه. قال: فقبل رأيهِ، قال: فكان آل عبد الله يرونها صلةً من سُلَيْمَان لهم.

قال أبو زيد: وحدثنى سعيد بن هُرَيم، قال: أخبرنى كلثوم المِزَاقِ، قال: سمعت يحيى بن خالد بن بَرْمَك يقول: اشتري أبو جعفر رقيقاً من رقيق الأعراب، ثم أعطى الرجل منهم البعير، والرجل البعيرين، والرجل الذود، وفرقهم فى طلب محمد فى ظهر المدينة؛ فكان الرجل منهم يرد الماء كالمار وكالضال، فيفترقون عنه ويتجسسون.

قال: وحدثنى محمد بن عباد بن حبيب المهلبى، قال: قال لى السندى مولى أمير المؤمنين: أتدرى ما رفع عُقْبَةُ بن سَلَمٍ عند أمير المؤمنين؟ قلت: لا، قال: أوفد عمى عمر بن حفص وفدًا من السند فيهم عقبة، فدخلوا على أبى جعفر، فلما قضوا حوائجهم نهضوا، فاستردَّ عقبة؛ فأجلسه، ثم قال له: مَنْ أنت؟ قال: رجل من جُنُود أمير المؤمنين وخدمه، صحبت عمر ابن حفص، قال: وما اسمك؟ قال: عُقْبَةُ بن سلم بن نافع، قال: ممَّن أنت؟ قال: من الأزد ثم من بنى هُناة، قال: إنى لأرى لك هيئة وموضعاً، وإنى لأريدك لأمرأنا به معنى، لم أزل أرتاد له رجلاً، عسى أن تكونه إن كَفَيْتَنِيهِ رَفَعْتُكَ، فقال: أرجو أن أصدق ظنَّ أمير المؤمنين فى، قال: فأخف شخصك^(٢)، واستر أمرك، وأتنى فى يوم كذا وكذا فى وقت كذا وكذا؛ فأثاه فى ذلك الوقت، فقال له: إن بنى عَمَّنَا هؤلاء قد أبوا إلا كيداً للكننا واغتيالاً له، ولهم شبيعة بخراسان بقرية كذا، يكاتبونهم ويرسلون إليهم بصدقات أموالهم وألطف من ألطف بلادهم، فاخرج بكساً وألطف وعين حتى تأتيتهم متنكراً بكتاب تكتبه^(٣) عن أهل هذه القرية، ثم تسبر ناحيتهم^(٤)؛ فإن كانوا قد نزعوا عن رأيهم فأحبيبٌ والله بهم وأقرب، وإن كانوا على

(١) ج: «السير»، ابن الأثير: «المنية». (٢) ب: «مخبطك».

(٣) ب: «نكتبه». (٤) ج: «ثم تسير إلى ناحيتهم» ت: «إلى بلادهم».

رأيهم علمتُ ذلك، وكنتُ على حذرٍ واحتراسٍ منهم؛ فاشخص حتى تلقى عبد الله ابن حسن متقشفاً متخشعاً؛ فإن جبهتك - وهو فاعل - فاصبر وعواده؛ فإن عاد فاصبر حتى يأنس بك وتلين لك ناحيته؛ فإذا ظهر لك ما في قلبه^(١) فاعجل على. قال: فشخص حتى قدم على عبد الله، فلقيه بالكتاب، فأنكره ونهره، وقال: ما أعرف هؤلاء القوم؛ فلم يزل ينصرف ويعود إليه حتى قبِل كتابه والطفاه، وأنس به؛ فسأله عُقْبَةُ الجواب، فقال: أمّا الكتاب فإني لا أكتب إلى أحد، ولكن أنت كتابي إليهم، فأقرتهم السلام وأخبرهم أن ابنيَّ خارجان^(٢) لوقت كذا وكذا. قال: فشخص عُقْبَةُ حتى قدم على أبي جعفر، فأخبره الخبر^(٣).

١٤٧/٣

. قال أبو زيد: حدثني أيوب بن عمر، قال: حدثني موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف، قال: ولّى أبو جعفر الفضل ابن صالح بن عليّ الموسم في سنة ثمان وثلاثين ومائة، فقال له: إن وقعت عينك على محمد وإبراهيم، ابني عبد الله بن حسن، فلا يفارقانك؛ وإن لم ترهما فلا تسأل عنهما. فقدِم المدينة، فتلقاه أهلها جميعاً؛ فيهم عبد الله بن حسن وسائر بني حسن إلّا محمدًا وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن. فسكت حتى صدر عن الحج، وصار إلى السّيالة، فقال لعبد الله بن حسن: ما منع ابنك أن يلقياني مع أهلهم! قال: والله^(٤) ما منعهما من ذلك ريبة ولا سوء؛ ولكنهما منهومان بالصيّد واتباعه، لا يشهدان مع أهليهما خيراً ولا شراً. فسكت الفضل عنه، وجلس على دكان^(٥) قد بنى له بالسّيالة. فأمر عبد الله رعاته فسرّحوا عليه ظهروه، فأمر أحدهم فحلب لبناً على عسل في عُسّ عظيم، ثم رقى به الدكان، فأومأ إليه عبد الله أن اسق الفضل بن صالح، فقصد قصده؛ فلما دنا منه صاح به الفضل صيحةً مغضباً: إليك يا ماصّ بظُر أمّه! فأدبر الراعي، فوثب عبد الله - وكان من أرفق الناس - فتناول القعب، ثم أقبل

(١) ت: «ما قبله». (٢) ابن الأثير: «إني خارج».

(٣) الخبر في الأغاني ١٨: ٢٠٧ (سامي). (٤) ج: «لا والله».

(٥) ج: «مكان».

يمشى به إلى الفضل ، فلما رآه يمشى إليه استحيا منه ، فتناوله فشرب .

قال أبو زيد : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، قال : كان لزياد بن عبيد الله كاتب يقال له حَقَص بن عمر من أهل الكوفة يتشيع ، وكان يثبت زياداً عن طلب محمد ، فكتب فيه عبد العزيز بن سعد إلى أبي جعفر فحدره إليه ، فكتب فيه زياد إلى عيسى بن علي ^{١٤٨/٣} وعبد الله بن الربيع الحارثي فخلصاه حتى رجع إلى زياد .

قال علي بن محمد : قدم محمد البصرة مخفياً في أربعين ، فاتوا عبد الرحمن ابن عثمان بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فقال له عبد الرحمن : أهلكتي وشهرتني ؛ فانزل عندي وفرق أصحابك ، فأبي ، فقال : ليس لك عندي منزل ؛ فانزل في بني راسب ، فتر في بني راسب .

وقال عمر ^(١) : حدثني سليمان بن محمد الساري ، قال : سمعت أبا هبار المزني يقول : أقمنا مع محمد بن عبد الله بالبصرة يدعو الناس إلى نفسه .

قال : وحدثنى عيسى بن عبد الله ، قال : قال أبو جعفر : ما طمعت في بغية لي قط إلا إذا ذكرت مكان بني راسب بالبصرة .

قال : وحدثنى أبو عاصم النبيل ، قال : حدثني ابن جشيب اللهبني ، قال : نزلت في بني راسب في أيام ابن معاوية ، فسألني فتى منهم يوماً عن اسمي ، فلطمه شيخ منهم ، فقال : وما أنت وذاك ! ثم نظر إلى شيخ جالس بين يديه ، فقال : أترى هذا الشيخ نزل فينا أبوه أيام الحجاج ، فأقام حتى ولد له هذا الولد ، وبلغ هذا المبلغ ، وهذه السن ! لا ^(٢) والله ما ندرى ما اسمه ولا اسم أبيه ، ولا ممن هو !

قال : وحدثنى محمد بن الهذيل ، قال : سمعت الزعفراني يقول : قدم محمد ، فتر على عبد الله بن شيبان أحد بني مرة بن عبيد ، فأقام ستة أيام ، ثم خرج فبلغ أبا جعفر مقدمه البصرة ، فأقبل مُغِداً حتى نزل الجسر ^{١٤٩/٣}

(١) ت : « أبو زيد » . (٢) ط : « ولا » ، وما أثبتته من ث .

الأكبر ، فأردنا عمرًا^(١) على لِقائه ، فأبى حتى غلبناه ، فلقيته فقال : يا أبا عثمان ، هل بالبصرة أحد نخافه على أمرنا ؟ قال : لا^(٢) قال : فأقتصرُ على قولك وأنصرف ؟ قال : نعم ؛ فانصرف ، وكان محمد قد خرج قبل مقدم أبي جعفر .

قال علي بن محمد : حدثني عامر بن أبي محمد ، قال : قال أبو جعفر لعمر بن عبيد : أبايعتَ محمدًا ؟ قال : أنا والله لو قلدتُ نسي الأمةُ أمورها ما عرفتُ لهما موضعًا .

قال علي : وحدثني أيوب القَرَاز ، قال : قلت لعمر بن عبيد : ما تقول في رجل رضى بالصبر على ذهاب دينه ؟ قال : أنا ذاك ، قلت : وكيف ؛ ولو دعوتَ أجايبك ثلاثون ألفًا ! قال : والله ما أعرف موضع ثلاثة إذا قالوا وفؤًا ، ولو عرفتهم لكنت لهم رابعًا .

قال أبو زيد : حدثني عبيد الله بن محمد بن حفص ، قال : حدثني أبي ، قال : وجِل محمد وإبراهيم بن أبي جعفر ، فأتيا عدن ، ثم سارا إلى السند ثم إلى الكوفة ، ثم إلى المدينة .

قال عمر : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : تكفل زياد لأمر المؤمنين بابن عبد الله أن يخرجهما له ، فأقره على المدينة ، فكان حسن بن زيد إذا علم من أمرهما علمًا كف حتى يفارقا مكانهما ذلك ؛ ثم يخبر أبا جعفر ، فيجد الرسم الذي ذكر ، فيصدق به بما رفع إليه ؛ حتى كانت سنة أربعين ومائة ، فحج فقسّم قسومًا خصّ فيها آل أبي طالب فلم يظهر له ابنا عبد الله ؛ فبعث إلى عبد الله فسأله عنهما ، فقال : لا علم لي بهما ؛ حتى تغالطا ، فأمصّه^(٣) أبو جعفر ، فقال : يا أبا جعفر ، بأى أمهاتى تمصتنى ! أبفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم بفاطمة بنت

١٥٠/٣

(١ - ١) في ابن الأثير : « فلقيه عمرو بن عبيد ، فقال له : يا أبا عثمان ؛ هل بالبصرة أحد تخافه على أمرنا ؟ » قال : لا ؛ وهذه العبارة أوضح .

(٢) في اللسان : « مصان ومصانة : شتم للرجل يعير برض الغنم من أخلافها بفيه . . . يعنون أنه يرضع الغنم من اللؤم ؛ لا يختلها فيسمع صوت الحلب ؛ ولهذا قيل : لئيم راضع ، ويقال : أمص فلان فلانًا ؛ إذا شتمه بالمصان » ، وفي الأغاني : « فأمصه » .

أسد ، أم بفاطمة بنت حسين ، أم أمّ إسحاق بنت طلحة ، أم خديجة بنت خويلد ؟ قال : لا بواحدة منهن ؛ ولكن بالجرباء بنت قسامة بن زهير — وهى امرأة من طيئ — قال : فوثب المسيّب بن زهير ، فقال : دعنى يا أمير المؤمنين أضرب عتق ابن الفاعلة . قال : فقام زياد بن عبيد الله ، فألقى عليه رداءه ، وقال : هبه لى يا أمير المؤمنين ؛ فأنا أستخرج^(١) لك ابنيّه فتخلّصه منه^(٢) .

قال عمر : وحدثني الوليد بن هشام بن قحّظم ، قال : قال الحزيرن الدّيليّ لعبد الله بن الحسن يعنى عليه ولادة الجرباء :

لَعَلَّكَ بِالْجَرْبَاءِ أَوْ بِحِكَاكَةِ تُفَاخِرُ أُمَّ الْفَضْلِ وَابْنَةَ مُشْرِحٍ^(٣)
وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا حَصَانٌ نَجِيْبَةٌ لَهَا حَسَبٌ فِي قَوْمِهَا مُتَرَجِّحٌ

قال عمر : وحدثني محمد بن عبيد ، قال : قال لى السندى مولى أمير المؤمنين : لما أخبر عقبة بن سلم أبا جعفر ، أنشأ الحج^(٤) وقال لعقبة : إذا صرت بمكان كذا وكذا لقيت بنوحسن ، فيهم عبد الله ، فأنا مبعثله ورافع مجلسه وداع بالغداء ؛ فإذا فرغنا من طعامنا فلحظتُك فامثل بين يديه قائماً ، فإنه سيصرف بصره عنك ، فدر^(٥) حتى تغمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينه^(٥) منك ثم حسبك ؛ وإياك أن يراك ما دام يأكل . فخرج حتى إذا تدفّع في البلاد لقيه بنوحسن ، فأجلس عبد الله إلى جانبه ، ثم دعا بالطعام فأصابوا منه ؛ ثم أمر به فرفع ، فأقبل على عبد الله ، فقال : يا أبا محمد ، قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق ألا تبغيتني سوءاً ، ولا تكيد لى سلطاناً ، قال : فأنا على ذلك يا أمير المؤمنين ؛ قال : فلحظ أبو جعفر عقبة ، فاستدار حتى قام بين يديه ، فأعرض عنه ، فرفع رأسه حتى قام من وراء ظهره ؛ فغمزه بأصبعه ، فرفع رأسه فملأ عينه منه ، فوثب حتى جثا بين يدي أبي جعفر ، فقال : أقلتني يا أمير المؤمنين أقالك الله ! قال : لا أقالى الله إن أقلتُك ، ثم أمر بحبسه^(٦) .

(٢) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٧ (سامي) .

(٤) أى عزم على الحج .

(٦) الأغاني ١٨ : ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(١) الأغاني : « المستخرج » .

(٣) ب : « فامتثل » .

(٥) الأغاني : « عينيه » .

قال عمر : وحدثنى بكر بن عبد الله بن عاصم مولى قُرَيْبَةَ بنت عبد الرحمن ابن أبي بكر الصديق ، قال : حدثني علي بن رباح بن شبيب ، أخو إبراهيم ، عن صالح صاحب المصلى ، قال : إني لواقفٌ على رأس أبي جعفر وهو يتغذى بأوطاس ؛ وهو متوجهٌ إلى مكة ، ومعه على مائدته عبد الله بن حسن وأبو الكرام [الجعفرى] ^(١) وجماعة من بنى العباس ؛ فأقبل على عبد الله ، فقال : يا أبا محمد ، محمد وإبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي ؛ وإني لأحب أن يأنسا بي ^(٢) ، وأن يأتياي فأصليتهما وأخلطهما بنفسى — قال وعبد الله مطرق ^(٣) طويلا ثم رفع رأسه — فقال ^(٤) : وحقتك يا أمير المؤمنين ، فما لى بهما ولا بموضعهما من البلاد علم ؛ ولقد خرجا من يدي ؛ فيقول أبو جعفر : لا تفعل يا أبا محمد ، اكتب إليهما وإلى من يوصل كتابك إليهما . قال : فامتنع أبو جعفر ذلك اليوم من عامة غَدَّائه إقبالا على عبد الله ، وعبد الله يحلف ما يعرف موضعهما وأبو جعفر يكرّر عليه : لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد ، لا تفعل يا أبا محمد . قال : فكان شدة هرب محمد من أبي جعفر أن أبا جعفر كان عقد له بمكة في أناس من المعتزلة ^(٥) .

قال عمر : حدثني أيوب بن عمر — يعنى ابن أبي عمرو — قال : حدثني محمد بن خالد ^(٦) بن إسماعيل بن أيوب بن سلامة المخزومى ، قال : أخبرني أبى ، قال : أخبرني العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، قال : لما حجّ أبو جعفر في سنة أربعين ومائة أتاه عبد الله وحسن ابنا حسن ؛ فإنهما وإياي لعنده ؛ وهو مشغول بكتاب ينظر فيه ؛ إذ تكلم المهدي فلحن ، فقال عبد الله : يا أمير المؤمنين ، ألا تأمر بهذا من يعدّل لسانه ؛ فإنه يغفل ^(٧) غفل الأمة ! فلم يفهم ؛ وغمزت عبد الله فلم ينتبه لها ، وعاد لأبى جعفر فاحتفظ ^(٨) من ذلك ، وقال : أين ابنك ؟ فقال : لا أدرى ، قال : لتأتينى به ؛ قال : لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه ، قال : يا ربيع قم به ^(٩) إلى الحبس ^(١٠) .

١٥٢/٣

- (١) من الأغاني . (٢) ط : « يأنسا » ، والأجود ما أثبتته من الأغاني وت .
 (٣) الأغاني : « يطرق » . (٤) الأغاني : « ثم يرفع رأسه ويقول » .
 (٥) الأغاني ١٨ : ٢٠٧ (سأسى) . (٦) الأغاني : « خلف » .
 (٧) الأغاني : « يفعل فعل الأمة » . (٨) الأغاني : « فاحتفظ » .
 (٩) الأغاني : « فر به » . (١٠) الخبر في الأغاني ١٨ : ٢٠٨ (سأسى) .

قال عمر : حدثني موسى بن سعيد بن عبد الرحمن الجُمَحِيّ ، قال :
لما تمثّل عبد الله بن حسن لأبي العباس :

أَلَمْ تَرِ حَوْشِبًا أَمَسَى يَبْنَى بِيُوتًا نَفَعَهَا لِبْنَى بُقَيْلَةَ^(١)
لم تزل في نفس أبي جعفر عليه ؛ فلما أمر بحبسه ، قال : أَلَسْتُ الْقَاتِلَ
لَأَبِي الْعَبَّاسِ :

أَلَمْ تَرَ حَوْشِبًا أَمَسَى يَبْنَى بِيُوتًا نَفَعَهَا لِبْنَى بُقَيْلَةَ
وهو آمن الناس عليك ، وأحسنهم إليك صنيعاً !

قال عمر : حدثنا محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق
عن أبي حُئَيْنٍ ، قال : دخلتُ على عبد الله بن حسن وهو محبوس ؛ فقال :
هل حدث اليوم مِنْ خَبَرٍ ؟ قلت : نعم ، قد أمر ببيع متاعك ورقيقك ، ولا
أرى أحداً يقدم على شرائه ، فقال : ويحك يا أبا حُئَيْنٍ ! والله لو خُرِجَ بِي
وبينائي مسترقين لاشترينا !

قال عمر : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الحارث بن إسحاق
قال : شخص أبو جعفر ، وعبد الله بن حسن محبوس ، فأقام في الحبس
ثلاث سنين .

قال عمر : وحدثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله
ابن جعفر بن أبي طالب ، قال : حدثني أبو حَرَمَلَةَ محمد بن عثمان ، مولى
آل عمرو بن عثمان ، قال : حدثني أبو هَبَّارِ الْمُزَنِيّ ، قال : لما حجَّ أبو جعفر
سنة أربعين ومائة ، حجَّ تلك السنة محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، وهما متغيبان ،
فاجتمعوا بمكة ، فأرادوا اغتيال أبي جعفر ، فقال لهم الأشتر : عبد الله بن محمد
ابن عبد الله ، أنا أكفيكموه ، فقال محمد : لا والله لا أقتله أبداً غيلةً حتى
أدعوه ؛ قال : فنقض أمرهم ذلك وما كانوا أجمعوا عليه . ؛ وقد كان دخل

(١) الأغاني ١٨ : ٢٠٦ (سأسي) ، ويعمده يقول :

يَوْمَلْ أَنْ يَعْمُرَ عُمَرَ نَوْحَ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلَةٍ

معهم في أمرهم قائد من تَرَادَى جعفر من أهل خُرَّاسَان . قال : فاعترض لأبي جعفر إسماعيل بن جعفر بن محمد الأعرج ، فمَنَى إليه أمرهم ، فأرسل في طلب القائد . فلم يظفرُ به ، وظفرَ بجماعة من أصحابه ، وأفلت الرَّجُلُ وغلَامُ له بمال زَهَاءُ أُلِيَ دينار كانت مع الغلام ، فأتاه بها وهو مع محمد ، فقسَمَها بين أصحابه . قال أبو هُبَّار : فأمرني محمد ، فاشتريت للرجُلِ أباعر وجهزته وحملته في قَبَّةٍ وقطرتة ، وخرجت أريد به المدينة حتى أوردته إياها . وقدم محمد فضمته إلى أبيه عبد الله ، ووجهتهما إلى ناحية من خُرَّاسَان . قال : وجعل أبو جعفر يقتل أصحاب ذلك القائد الذي كان من أمره ما ذكرتُ .

قال عمر : وحدثني محمد بن يحيى بن محمد ، قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : غدتُ على زياد بن عبيد الله وأبو جعفر بالمدينة ، قال : فقال : أخبركم عجباً مما لقيته الليلة ؛ طرفني رسلُ أمير المؤمنين نصفَ الليل - وكان زياد قد تحوّل لقدم أمير المؤمنين إلى داره بالبلاط - قال : فدقتُ على رسله ، فخرجت ملتحِفًا بإزارى ^(١) ؛ ليس على ثوب غيره ، فنبهت غلمانًا لي وتخصيانًا في سقيفة الدار ، فقلتُ لهم : إن هدموا الدار فلا يكلمهم منكم أحد ؛ قال : فدقوا طويلاً ثم انصرفوا ، فأقاموا ساعة ، ثم طلَعوا بِحُرُزٍ ^(٢) شبيه أن يكون معهم مثله ؛ مرةً أو مرتين ، فدقوا الباب بِحُرُزَةِ الحديد ، وصيَّحُوا فلم يكلمهم أحد ، فرجعوا فأقاموا ساعة ، ثم جاءوا بأمر ليس عليه صَبْرٌ ؛ فظننتُ والله أن قد هدموا الدار على ، فأمرت بفتحها ، وخرجت إليهم فاستحثوني وهمُّوا أن يحملوني ، وجعلت أسمع الغراء من بعضهم حتى أسلموني إلى دار مَرَوَانَ ، فأخذ رجلان بعضدى ، فمخرَجاني على حال الديف ^(٣) على الأرض أو نحوه ؛ حتى أتيا بي حجرة القبة العظمى ؛ فإذا الربيع واقفٌ ، فقال : ويحك يا زياد ! ماذا فعلت بنا وبنفسك منذ الليلة ! ومضى بي حتى كشف سِتْرَ باب القبة ، فأدخلني ووقف خَلَّتْني بين البابين ؛ فإذا الشمع في نواحي القبة ، فهي تزهر ، ووصيف قائم في ناحيتها ، وأبو جعفر محتسب بِحِمَائِلِ سيفه على بساط

١٥٥/٣

(٢) الجرز : عمود من حديد .

(١) ب : « إزارى » .

(٣) الديف : الدبيب ، أو السير اللين .

ليس تحته وسادة ولا مصلى ، وإذا هو منكس رأسه ينقر بجزز في يده . قال : فأخبرني الربيع أنها حاله من حين صلى العتمة إلى تلك الساعة . قال : فما زلت واقفاً^(١) حتى إنى لأنتظر نداء الصبح ، وأجد لذلك فترجاً ، فما يكلمني بكلمة ، ثم رفع رأسه إلى ، فقال : يا بن الفاعلة ، أين محمد وإبراهيم ؟ قال : ثم نكس رأسه ، ونكت أطول مما مضى له ، ثم رفع رأسه الثانية ، فقال : يا بن الفاعلة ، أين محمد وإبراهيم ؟ قتلني الله إن لم أقتلك ! قال : قلت له : اسمع مني ودعني أكلّمك ، قال : قل لي : أنت نفرتهم عنك ، بعثت رسولا بالمال الذي أمرت بقسمه على بني هاشم ، فنزل القادسية ، ثم أخرج سكيناً يحدّه ، وقال : بعثني أمير المؤمنين لأذبح محمداً وإبراهيم ، فجاءتهما بذلك الأخبار ، فهربا . قال : فصرّفتي فانصرفت .

١٥٦/٣

قال عمر : حدثني عبد الله بن راشد بن يزيد - وكان يلقب الأكثار ، من أهل قيّد - قال : سمعت نصر بن قادم مولى بني محول الحنّاطين : قال : كان عبدويه وأصحاب له بمكة في سنة حجّها أبو جعفر . قال : فقال لأصحابه : إنى أريد أن أوجر أبا جعفر هذه الحرب بين الصّفا والمروة . قال : فبلغ ذلك عبد الله بن حسن فنهاه ، وقال : أنت في موضع عظيم ؛ فما أرى أن تفعل . وكان قائد لأبني جعفر يدعى خالد بن حسان ، كان يدعى أبا العساكر على ألف رجل ، وكان قد مآلاً عبدويه وأصحابه ؛ فقال له أبو جعفر : أخبرني عنك وعن عبدويه والعطاردى ، ما أردتم أن تصنعوا بمكة ؟ قال : أردنا كذا وكذا ، قال : فما منعكم ؟ قال : عبد الله بن حسن ، قال : فطمره فلم ير حتى الساعة .

قال عمر : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا الحارث بن إسحاق ، قال : جدّ أبو جعفر حين حبس عبد الله في طلب ابنه ، فبعث عيناً له ، وكتب معه كتاباً على ألسن الشيعة إلى محمد ، يذكرون طاعتهم ومسارعتهم ؛ وبعث معه بمال ولطاف ، فقدم الرجل المدينة ، فدخل على عبد الله بن حسن ، فسأله عن محمد ، فذكر له أنه في جبل جُهيّنة ، وقال : امرر بعليّ بن حسن ،

١٥٧/٣

(١) ت : « واقفاً بين يديه » .

الرجل الصالح الذي يدعى الأغرة ؛ وهو بنى الأبر ؛ فهو يرشدك . فأتاه فأرشده . وكان لأبي جعفر كاتب على سره ، كان متشيعاً ، فكتب إلى عبد الله ابن حسن بأمر ذلك العين ، وما بُعث له ، فقدم الكتاب على عبد الله فارتاعوا ، وبعثوا أبا هبار إلى علي بن الحسن وإلى محمد ، فيحذّروهم الرجل ؛ فخرج أبو هبار حتى نزل بعلي بن حسن ، فسأله فأخبره أن قد أُرشدته إليه . قال أبو هبار : فجئت محمداً في موضعه الذي هو به ، فإذا هو جالس في كهف ، معه عبد الله بن عامر الأسلمي وابنا شجاع وغيرهم ، والرجل معهم أعلامهم صوتاً ، وأشدّهم انبساطاً ؛ فلما رآني ظهر عليه بعض التكرّة ، وجلست مع القوم ؛ فتحدثت مليّاً ، ثم أصغيت إلى محمد ، فقلت : إن لي حاجة ، فنهض ونهضت معه ، فأخبرته بخبر الرجل ، فاسترجع ، وقال : فما الرأي ؟ فقلت : إحدى ثلاث أيها شئت فافعل ؛ قال : وما هي ؟ قلت : تدعني فأقتل الرجل ، قال : ما أنا بمقارف دماً إلا مكرهاً ، أو ماذا ؟ قلت : توقره حديدأ وتنقله معك حيث انتقلت ، قال : وهل بنا فراغ له مع الخوف والإعجال ! أو ماذا ؟ قلت : تشدّه وتوثقه وتودعه بعض أهل ثقتك من جهينة ؛ قال : هذه إذاً ، فرجعنا وقد نذر الرجل فهرب ، فقلت : أين الرجل ؟ قالوا : قام بركوة فاصطب ماء ؛ ثم توارى بهذا الظرب^(١) يتوضأ ، قال : فجئنا في الجبل وما حوله ؛ فكأن الأرض التأمت عليه . قال : وسعى على قدميه حتى شرع على الطريق ، فرّ به أعراب معهم حُمولة إلى المدينة ، فقال لبعضهم : فرغ هذه الغرارة وأدخلنيها أكن عِدلاً لصاحبها ولك كذا وكذا ، قال : نعم ؛ ففرّغها وحمله حتى أقدمه بالمدينة . ثم قدّم على أبي جعفر فأخبره الخبر كلّهُ ، وعي عن اسم أبي هبار وكنيته ، وعلّق وبرأ . فكتب أبو جعفر في طلب وبرّ المُنزّي ، فحُمِل إليه رجل منهم يدعى وبرأ ، فسأله عن قصّة محمد وما حكى له العين ؛ فحلف أنه ما يعرف من ذلك شيئاً ؛ فأمر به فضرب سبعمائة سوط ، وجبّس حتى مات أبو جعفر .

١٥٨/٣

قال عمر : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : ألح أبو جعفر في طلب محمد ، وكتب إلى زياد بن عبيد الله الحارثي

(١) ت : « ثم دخل هذا الظرب » .

يتنجزه^(١) ما كان ضمن له ، فقدم محمد المدينة قدمة ، فبلغ ذلك زياداً ، فتلطّف له وأعطاه الأمان على أن يظهر وجهه للناس معه ، فوعده ذلك محمد ، فركب زياد مغتسباً ، و وعد محمداً سوق الظهر ، فالتقيا بها ، ومحمد معلى غير مختفٍ ، ووقف زياد إلى جنبه ، وقال : يا أيها الناس ؛ هذا محمد بن عبد الله ابن حسن ، ثم أقبل عليه ، فقال : الحق بأى بلاد الله شئت ، وتوارى محمد ، وتواترت الأخبار بذلك على أبى جعفر .

قال عمر : حدثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني من أصدق ، قال : دخل إبراهيم بن عبد الله على زياد ، وعليه درع حديد تحت ثوبه ، فلمسها^(٢) زياد . ثم قال : يا أبا إسحاق ؛ كأنك اتهمته^(٣) ! ذلك^(٣) والله ما ينالك منى أبداً .

قال عمر : حدثني عيسى ، قال : حدثني أبى ، قال : ركب زياد بمحمد ؛ فأتى به السوق فتصايح أهل المدينة : المهديّ المهديّ ! فتوارى فلم يظهر ؛ حتى خرج .

قال عمر : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : لما أن تتابعت الأخبار على أبى جعفر بما فعل زياد بن عبيد الله ، وجّه أبا الأزرهر (رجلاً من أهل خراسان) إلى المدينة ، وكتب معه كتاباً ، ودفع إليه كتباً ، وأمره ألا يقرأ كتابه إليه حتى ينزل الأعوص ، على بريد من المدينة ، فلما أن نزله قرأه ؛ فإذا فيه تولية عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المدينة — وكان قاضياً لزياد بن عبيد الله — وشدّ زياد في الحديد ، واصطفاء ماله ، وقبض جميع ما وجد له ، وأخذ عمّاله وإشخاصه وإياهم إلى أبى جعفر . فقدم أبو الأزرهر المدينة لسبع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين ومائة ، فوجد زياداً في موكب له ، فقال : أين الأمير ؟ فقيل : ركب ، وخرجت الرّسل إلى زياد بقدموه ، فأقبل مسرعاً حتى دخل دار مروان ، فدخل عليه أبو الأزرهر ، فدفع إليه كتاباً من أبى جعفر في ثلث يأمره أن يسمع ويطيع ؛ فلما قرأه قال : سمعاً وطاعة ، فرّ يا أبا الأزرهر بما أحببت ؛ قال : ابعث إلى

(١) ج : « يتنجزه » . (٢) ج : « فحبها » . (٣) ت : « ذاك » .

عبد العزيز بن المطلب . فبعث إليه ، فدفع إليه كتاباً أن يسمع لأبي الأزهر ؛ فلما قرأه قال : سمعاً وطاعة ؛ ثم دفع إلى زياد كتاباً يأمره بتسليم العمل إلى ابن المطلب ، ودفع إلى ابن المطلب كتاباً بتوليته ، ثم قال لابن المطلب : ابعث إلى أربعة كبول وحدّاداً ، فأَتَيَا بهما فقال : اشدّد أبا يحيى ، فشُدَّ فيها وقبض ماله - ووجد في بيت المال خمسة وثمانين ألف دينار - وأخذ عماله ، فلم يغادر منهم أحداً ؛ فشخص بهم وبزياد ، فلما كانوا في طرف المدينة وقف له عماله يسلمون عليه ، فقال : بأبى أنتم ! والله ما أبالي إذا رأيكم أبو جعفر ما صنع بي ! أي من هيشتم ومروّتهم .

١٦٠/٣

قال عمر : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، عن خاله عليّ بن عبد الحميد ، قال : شيعنا زياداً ، فسرت تحت محمله ليلة ، فأقبل عليّ فقال : والله ما أعرف لى عند أمير المؤمنين ذنباً ؛ غير أنى أحسبه وجسد عليّ في ابني عبد الله ، وجسد دماء بني فاطمة عليّ عزيزة . ثم مضوا حتى كانوا بالشقراء ؛ فأفلت منهم محمد بن عبد العزيز ، فرجع إلى المدينة ، وحبس أبو جعفر الآخرين ، ثم خلّى عنهم .

قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال : حدّثنى منّ أصدّق ، قال : لما أنّ وجهه أبو جعفر مبهوتاً وابن أبي عاصية في طلب محمد ، كان مبهوت الذى أخذ زياداً ، فقال زياد :

أَكَلَفُ ذَنْبَ قَوْمٍ لَسْتُ مِنْهُمْ وما جَنَّتِ السُّمَالُ عَلَى الْيَمِينِ
قال : وحدّثنى عيسى بن عبد الله ، قال ، حدّثنى عبد الله بن عمران بن أبي فروة ، قال : كنت أنا والشعبانيّ - قائد كان لأبي جعفر - مع زياد بن عبيد الله نختلف إلى أبي الأزهر أيام بعثه أبو جعفر في طلب بني حسن ، فإني لأسير مع أبي الأزهر يوماً إذ أتاه آت فلصق به ، فقال : إنّ عندى نصيحة في محمد وإبراهيم ، قال : اذهب عنا ، قال : إنها نصيحة لأمر المؤمنين ، قال : اذهب عنا ، ويلك قد قتل ^(١) الخلق ! قال : فأبى أن ينصرف ، فتركه أبو الأزهر حتى خلا الطريق ، ثم بعج بسيفه بطنه بسعجة ألقاه ناحية .

١٦١/٣

ثم استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد ؛ فذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه ، قال : حدثنا الحارث بن إسحاق ، قال : استعمل أبو جعفر على المدينة محمد بن خالد بعد زياد ، وأمره بالجحد في طلب محمد ، وبسط يده في النفقة في طلبه . فأغذ السير حتى قدم المدينة هلال رجب سنة إحدى وأربعين ومائة ، ولم يعلم به أهل المدينة حتى جاء رسوله من الشقرة - وهي بين الأعوص والطرف على ليلتين من المدينة - فوجد في بيت المال سبعين ألف دينار وألف ألف درهم ؛ فاستغرق ذلك المال ؛ ورفع في محاسبته أموالاً كثيرة أنفقها في طلب محمد ، فاستبطأه أبو جعفر واتهمه ؛ فكتب إليه أبو جعفر يأمره بكشف المدينة وأعراضها ؛ فأمر محمد بن خالد أهل الديوان أن يتجاعلوا لمن يخرج ؛ فتجاعلوا رباع الغاضري المضحك - وكان يداين الناس بألف دينار - فهلك وتويت^(١) ، وخرجوا إلى الأعراض لكشفها عن محمد ، وأمر القسري أهل المدينة ؛ فلزموا بيوتهم سبعة أيام ، وطافت رسله والجنح بيوت الناس يكشفونها ؛ لا يحسون شيئاً ، وكتب القسري لأعوانه صيكاكاً يتعززون بها ، لئلا يعرض لهم أحد ؛ فلما استبطأه أبو جعفر ورأى ما استغرق من الأموال عزله .

قال : وحدثني عيسى بن عبد الله ، قال : أخبرني حسين بن يزيد ، عن ابن ضبة ، قال : اشتد أمر محمد وإبراهيم على أبي جعفر ؛ فبعث فدعا أبا السعلاء من قيس بن عيلان ، فقال : ويلك ! أشر على في أمر هذين الرجلين ؛ فقد غمّني أمرهما ، قال : أرى لك أن تستعمل رجلاً من ولد الزبير أو طلحة ؛ فإنهم يطلبونهما بدحّل ؛ فأشهد لا يلبثونهما أو يخرجوهما إليك . قال : قاتلك الله ؛ ما أجود رأيًا جئت به ! والله ما غمّني هذا على ؛ ولكني أعاهد الله ألا أثّر من أهل بيتي بعدوى وعدوهم ؛ ولكني أبعث عليهم صُعيليكاً^(٢) من العرب ، فيفعل ما قلت ، فبعث رياح بن عثمان بن حيان .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني عبد الله بن يحيى ، عن

(٢) ط : « صُعيليكاً » .

(١) تويت بمعنى هلك .

موسى بن عبد العزيز ؛ قال : لما أراد أبو جعفر عزل محمد بن خالد عن المدينة ركب ذات يوم ؛ فلما خرج من بيته استقبله يزيد بن أسيد السلمي ، فدعاه فسايره . ثم قال : أما تدلّني على فتى من قيس مُقلّ ، أغنيه وأشرفه وأمكنه من سيد اليمن يلعب به ؟ يعني ابن القسري ؛ قال : بلى ، قد وجدته يا أمير المؤمنين ، قال : من هو ؟ قال : رياح بن عثمان بن حيان المري ، قال : فلا تذكرنّ هذا لأحد ، ثم انصرف فأمر بنجائب وكسوة ورجال ؛ فهيئت للمسير ؛ فلما انصرف من صلاة العتمة دعا بربّاح ، فذكر له ما بلا من غشّ زياد وابن القسري في ابني عبد الله ، وولاه المدينة ؛ وأمر بالمسير من ساعته قبل أن يصل إلى منزله ، وأمره بالجدّ في طلبهما ؛ فخرج مسرعاً ، حتى قدمها يوم الجمعة لسبع ليال بقين من شهر رمضان سنة أربع وأربعين ومائة .

١٦٢/٣

قال : وحدّثني محمد بن معروف ، قال : أخبرني الفضل بن الربيع ، عن أبيه ، قال : لما بلغ أمر محمد وإبراهيم من أبي جعفر ما بلغ خرجت يوماً من عنده — أو من بيتي — أريده ؛ فإذا أنا برجل قد دنا مني ، فقال : أنا رسول رياح بن عثمان إليك ، يقول لك : قد بلغني أمر محمد وإبراهيم وإدّهان الولاة في أمرهما ؛ وإنّ ولّا في أمير المؤمنين المدينة ضمنت له أحدهما ، وألاّ أظهرهما . قال : فأبلغت ذلك أمير المؤمنين . فكتب إليه بولايته ، وليس بشاهد .

ذكر عمر بن شبة ، عن محمد بن يحيى ، عن عبد الله بن يحيى ، عن موسى ابن عبد العزيز ، قال : لما دخل رياح دار مروان ، فصار في سقيفتها ، أقبل على بعض من معه ، فقال : هذه دار مروان ؟ قالوا : نعم ، قال : هذه المحلال المظعان ؛ ونحن أوّل من يظعن منها .

قال عمر : حدّثني أيوب بن عمر ، قال : حدّثني الزبير بن المنذر مولى عبد الرحمن بن العوّام ، قال : قدم رياح بن عثمان ، فقدم معه حاجب له يكنى أبا البخري — وكان لأبي صديقاً زمان الوليد بن يزيد . قال : فكنت

آتيه لصداقته لأبي - فقال لي يوماً: يا زُبَيْر، إن رياحاً لما دخل دار مروان قال لي: هذه دار مَرَّوان؟ أما والله إنها لخلال مظعان؛ فلما تكشف الناس عنه - وعبد الله محبوس في قبة الدار التي على الطريق إلى المقصورة، حبسه فيها زياد بن عبيد الله - قال لي: يا أبا البَخَرِيِّ، خذ بيدي ندخل على هذا الشيخ، فأقبل متكئاً على حتى وقف على عبد الله بن حسن، فقال: أيها الشيخ؛ إن أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة، ولا يد^(١) سلفت إليه؛ ١٦٤/٣ والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد وابن القسري، والله لأزهقن^(٢) نفسك أو لتأتيني بابنيك محمد وإبراهيم! قال: فرفع رأسه إليه وقال: نعم، أما والله إنك لأزيرق قيس المذبوح فيها كما تذبح الشاة. قال أبو البَخَرِيِّ: فانصرف رياح والله آخذاً بيدي، أجد برد يده، وإن رجليه لتخطآن مما كلمته، قال: قلت: والله إن هذا ما اطلع على الغيب قال: إيهما ويلك! فوالله ما قال إلا ما سمع؛ قال: فذُبِیحَ والله فيها ذبح الشاة.

قال: وحدثني محمد بن يحيى، قال: حدثنا الحارث بن إسحاق، قال: قدم رياح المدينة، فدعا بالقسري، فسأله عن الأموال، فقال: هذا كاتبى هو أعلم بذلك مني، قال: أسألك وتحيلني على كاتبك! فأمر به فوجِئت عنقه، وقنع أسواطاً، ثم أخذ رزاماً كاتب محمد بن خالد القسري ومولاه فبسط عليه العذاب، وكان يضربه في كل غب خمسة عشر سوطاً، مغلولاً^(٣) يده إلى عنقه من بكرة إلى الليل؛ يتبع به أفناء المسجد والرحبة، ودس إليه في الرفع على ابن خالد فلم يجد عنده في ذلك مساعاً، فأخرجه عمر بن عبد الله الجذامي - وكان خليفة صاحب الشرط يوماً من الأيام - وهو يريد ضربه، وما بين قدميه إلى قرنه قرحة، فقال له: هذا يوم غبتك، فأين تحب أن نجلدك؟ قال: والله ما في بدني موضع لضرب؛ فإن شئت فبطون كفى، ١٦٥/٣ فأخرج كفتيه فضرب في بطونهما خمسة عشر سوطاً. قال: فجعلت رسل رياح تختلف إليه، تأمره أن يرفع على ابن خالد ويخلني سبيله، فأرسل إليه: مر بالكف عني حتى أكتب كتاباً، فأمر بالكف عنه، ثم ألح عليه وبعث إليه:

(١) ابن الأثير: «ولاليد». (٢) ب: «لأزهقن». (٣) ب: «معلقة».

أن رُحَّ بالكتاب العشيّة على رموس الناس ، فادفعه إلى . فلما كان العشيّ أرسل إليه فأتاه وعنده جماعة فقال : أيّها الناس ؛ إن الأمير أمرني أن أكتب كتاباً ، وأرفع على ابن خالد ؛ وقد كتبت كتاباً أنتجني^(١) به ، وأنا أشهدكم أن كلّ ما فيه باطل . فأمر به رياح فضرب مائة سوط ، وردّ إلى السجن .

قال عمر : حدثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني عمي عبيد الله بن محمد بن عمر بن عليّ ، قال : لما أهبط الله آدم من الجنة رفعه على أبي قبيس ، فرفع له الأرض جميعاً حتى رآها وقال : هذه كلها لك ، قال : أيّ ربّ ، كيف أعلم ما فيها ؟ فجعل له النجوم ، فقال : إذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، وإذا رأيت نجم كذا وكذا كان كذا وكذا ؛ فكان يعلم ذلك بالنجوم . ثم إن ذلك اشتدّ عليه ، فأنزل الله عزّ وجلّ مرآة من السماء يرى بها ما في الأرض حتى إذا مات آدم عمّد إليها شيطان يقال له فقتس فكسرها ، وبني عليها مدينة بالمشرق يقال لها جابرت ؛ فلما كان سليمان بن داود سأل عنها ، فقيل له : أخذها فقتس . فدعاه فسأله عنها ، فقال : هي تحت أواسى جابرت ، قال : فأتني بها ، قال ومن يهدمها ؟ فقالوا لسليمان : قل له : أنت ، فقال سليمان : أنت ، فأتني بها سليمان ، فكان يجبر بعضها إلى بعض ثم يشدّها في^(٢) أقطارها بسير ، ثم ينظر فيها ؛ حتى هلك سليمان ؛ فوثبت عليها الشياطين ؛ فذهبت بها وبقيت منها بقية ، فتوارثتها بنو إسرائيل حتى صارت إلى رأس الجالوت ؛ فأتني بها مروان بن محمد ؛ فكان يحكّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ما يكره ، فرمى بها وضرب عنق رأس الجالوت ، ودفعها إلى جارية له ، فجعلتها في كرسفة ، ثم جعلتها في حجر ؛ فلما استخلف أبو جعفر سأل عنها فقيل له : هي عند فلانة ؛ فطلبها حتى وجدها ، فكانت عنده ؛ فكان يحكّها ويجعلها على مرآة أخرى فيرى فيها ؛ وكان يرى محمد ابن عبد الله ؛ فكتب إلى رياح بن عثمان : إن محمد أبلاد فيها الأترج والأعناب فاطلبه بها . وقد كتب إلى محمد بعض أصحاب أبي جعفر : لا تقيمن في موضع إلّا بقدر مسير البريد من العراق إلى المدينة ؛ فكان يتنقل فيراه

١٦٦/٣

بالْبَيْضَاء ، وهى من وراء الغابة على نحو من عشرين ميلاً ؛ وهى لأشجع . فكتب إليه : إنه ببلاد بها الجبال والقيلاّت ؛ فيطلبه فلا يجده . قال : فكتب إليه إنه يجبل به الحبّ الأخضر والقَطِران ، قال : هذه رضى ؛ فطلبه فلم يجده .

قال أبو زيد : حدثني أبو صفوان نصر بن قُديد بن نصر بن سيار ، أنه بلغه أنه كان عند أبي جعفر مرآة يرى فيها عدوّه من صديقه .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، ١٦٧/٣ قال : جدّ رياح في طلب محمد ، فأخبر أنه في شِعْب من شِعَاب رَضْوَى — جبل جهينة ، وهى من عمل ينبُع — فاستعمل عليها عمرو بن عثمان بن مالك الجُهْنِيّ أحد بني جُشم ، وأمره بطلب محمد ، فطلبه فدُكِر له أنه بشِعْب من رَضْوَى ، فخرج إليه بالخيّل والرّجال ، ففرغ منه محمد ، فأحضر شدّاً ، فأقلت وله ابن صغير ، ولد في خوفه ذلك ؛ وكان مع جارية له ؛ فهوى من الجبل فقطع ، وانصرف عمرو بن عثمان .

قال : وحدثني عبد الله بن محمد بن حكيم الطائى ، قال : لما سقط ابن محمد فأتى محمد ما لى ، قال :

منخرق المَرَبال يشكو الوجى تَنَكُّبُهُ أَطرافُ مَرَوٍ حِدَادٍ
شُرْدَه الخوفُ فَأَزْرَى به كذاك مَنْ يَكْرَهُ حَرَّ الجِلادِ
قد كان في الموت له راحةٌ والموتُ حتمٌ في رقاب العبادِ

قال : وحدثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني عمى عبيد الله بن محمد ، قال : قال محمد بن عبد الله : بينا أنا في رَضْوَى مع أمة لى أمّ ولد ، معها بُنَى لى ترضعه ؛ إذا ابن سنّوطى (مولى لأهل المدينة) ، قد هجم علىّ في الجبل يطلبنى ؛ فخرجت هارباً ، وهربت الجارية . فسقط الصبي منها

فقطّع ، فقال عبيد الله : فأَتىّ بابن سنّوطى إلى محمد بعد حين ظهر ، فقال : ١٦٨/٣ يابن سنّوطى ، أتعرف حديث الصبيّ ؟ قال : إى والله ؛ إنى لأعرفه ، فأمر به فحبس ؛ فلم يزل محبوساً حتى قتل محمد .

قال : وحدثنى عبد العزيز بن زياد ، قال : حدثني أبي قال : قال محمد : إني بالحرّة مصعّد ومنحدر ، إذا أنا برياح والخليل ، فعدلتُ إلى بئر فوقفت بين قرنيّهما ، فجعلت أستقي ، فلقيتُ رباحَ صَفْحًا ، فقال : قاتله الله أعرابيًا ما أحسن ذراعه !

قال : وحدثنى ابن زبالة ، قال : حدثني عثمان بن عبد الرحمن الجُهني عن عثمان بن مالك ، قال : أذلق^(١) رباح محمدًا بالطلب ؛ فقال لي : اغدُ بنا إلى مسجد الفتح ندع الله فيه . قال : فصليتُ الصُّبح ، ثم انصرفت إليه ، فغدونا وعلى محمد قميص غليظ ورداء قرقيّ مقتول ؛ فخرجنا من موضع كان فيه ؛ حتى إذا كان قريبًا التفت ، فإذا رباح في جماعة من أصحابه رُكبان ، فقلت له : هذا رباح ؛ إنا لله وإنا إليه راجعون ! فقال غير مكترث به : امض ؛ فضيت وما تنقلني رجلاي ، وتنحني هو عن الطريق ؛ فجلس وجعل ظهره مما يلي الطريق ، وسدل هُدْبَ رداءه على وجهه — وكان جسيمًا — فلما حاذاه^(٢) رباح التفت إلى أصحابه ، فقال : امرأة رائنا فاستحييت . قال : ومضيتُ حتى طلعت الشمس^(٣) ، وجاء رباح فصعد وصلى ركعتين ، ثم انصرف من ناحية بطنحان ، فأقبل محمد حتى دخل المسجد ، فصلى ودعا ، ولم يزل محمد بن عبد الله ينتقل من موضع إلى موضع إلى حين ظهوره .

١٦٩/٣

ولما طال على المنصور أمرُهُ ؛ ولم يقدر عليه وعبد الله بن حسن محبوس ، قال عبد العزيز بن سعيد — فيما ذُكر عن عيسى بن عبد الله ، عن عبد الله بن عمران بن أبي فروة — قال لأبي جعفر : يا أمير المؤمنين ، أتطمع أن يخرج لك محمد وإبراهيم وبنو حسن مخلصون ! والله للواحد منهم أهيب في صدور الناس من الأسد . قال : فكان ذلك الذي هاجه على حبسهم . قال ؛ ثم دعاه فقال : من أشار عليك بهذا الرأي ؟ قال : فليح بن سليمان ، فلما مات عبد العزيز ابن سعيد — وكان عينًا لأبي جعفر واليًا على الصدقات — وضع فليح بن سليمان في موضعه ، وأمر أبو جعفر بأخذ بني حسن .

قال عيسى : حدثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ، قال : أمر أبو جعفر

(١) أذلقه : ألقاه . (٢) كذا في ت . (٣) ت : « طلعت المسجد » .

رياحاً بأخذ بنى حسن ، ووجهه في ذلك أبا الأزهر المهريّ — قال : وقد كان حبس عبد الله بن حسن فلم يزل محبوساً ثلاث سنين ؛ فكان حسن بن حسن قد نصل خضابته تسلياً على عبد الله ؛ فكان أبو جعفر يقول : ما فعلت الحادثة ؟ قال : فأخذ رياح حسناً وإبراهيم ابني حسن بن حسن ، وحسن بن جعفر بن حسن بن حسن ، وسليمان وعبد الله ابني داود بن حسن بن حسن ، ومحمداً وإسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم بن حسن بن حسن ، وعباس بن حسن بن حسن بن حسن بن عليّ بن أبي طالب ، أخذوه على بابيه ؛ فقالت أمه عائشة ابنة طلحة بن عمر بن عبيد الله بن معمر : دعوني أشمه ، قالوا : لا والله ؛ ما كنت حية في الدنيا ؛ وعلى بن حسن بن حسن بن حسن العابد .

قال : وحدّثني إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حبس معهم أبو جعفر عبد الله بن حسن بن حسن أخا عليّ .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثنا الحارث بن إسحاق ، قال : جهر رياح بشتم محمد وإبراهيم ابني عبد الله ، وشتم أهل المدينة . قال : ثم قال يوماً وهو على المنبر يذكرهما : الفاسقين الخالعين الحاربيين . قال : ثم ذكر ابنة أبي عبيدة أمهما ، فأفحش لها ، فسبح الناس وأعظموا ما قال ، فأقبل عليهم ، فقال : إنكم لا كلنا^(١) عن شتمهما ، ألصق الله بوجوهكم الذلّ والهوان ! أما والله لأكتبن إلى خليفتكُم فلا أعلمنّه غشّكم وقلة نصّحكم . فقال الناس : لا نسمع منك يا بن المحدث ؛ وبأدروه بالحصى ، فبادر واقتحم دار مروان وأغلق عليه الباب ، وخرج الناس حتى صفّوا وجاهه^(٢) ، فرموه وشتموه ثم تناهوا وكفّوا .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ؛ قال : حدّثني الثقة عندي ، قال : حبس معهم موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن بن عليّ وعلى بن محمد ابن عبد الله بن حسن بن حسن عند مقدمه من مصر .

قال : وحدّثني عبد الله بن عمر بن حبيب ، قال : وجه محمد بن عبد الله ابنه عليّاً إلى مصر ، فدلّ عليه عاملها ، وقد همّ بالوثوب ، فشده وأرسل به

إلى أبي جعفر ؛ فاعترف له ، وسمى أصحاب أبيه ، فكان فيمن سَمِيَ عبد الرحمن .
ابن أبي الموالى وأبو حنين ؛ فأمر سَأَ أبو جعفر فحبسَ ، وضربَ أبو حنين
مائة سوط .

قال : وحدثني عيسى ، قال : مرَّ حسن بن حسن بن حسن على إبراهيم
ابن حسن وهو يعلف إبلًا له ؛ فقال : أتعلف إبلك وعبد الله محبوس ! أطلق
عُقْلَهَا يا غلام ، فأطلقها ، ثم صاح في أدبارها فلم يوجد منها واحدة .

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني عليّ بن عبد الله بن محمد بن
عمر بن عليّ ، قال : حضرنا باب رياح في المقصورة ، فقال الآذن : مَنْ كان
ها هنا من بني حسين فليدخل ؛ فقال لي عمّي عمر بن محمد : انظر ما يصنع
القوم ، قال : فدخلوا من باب المقصورة وخرجوا من باب مروان . قال : ثم
قال : من ها هنا من بني حسن فليدخل ؛ فدخلوا من باب المقصورة ودخل
الحدّادون من باب مروان ، فدعَى بالقِيود .

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني أبي ، قال : كان رياح إذا
صلى الصُّبح أرسل إلى وإلى قدامة بن موسى فيحدثنا ساعة ؛ فإذا لعنده يومًا ؛
فلما أسفرنا إذا برجل متلفف في ساجٍ له ؛ فقال له رياح : مرحبًا بك وأهلاً ،
ما حاجتك ؟ قال : جئت لتحبسني مع قومي ؛ فإذا هو عليّ بن حسن بن
حسن بن حسن ، فقال : أما والله ليعرفنّها لك أمير المؤمنين ، ثم حبسه معهم .

١٧٢/٣

قال : وحدثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدثني سعيد بن ناشرة مولى
جعفر بن سليمان ، قال : بعث محمد ابنه عليّاً ، فأخذه بمصر ، فأت في سجن
أبي جعفر .

قال : وحدثني موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن ، قال :
حدثني أبي ، عن أبيه موسى بن عبد الله ، قال : لما حبسنا ضاق الحبس بنا ،
فسأل أبي رياحاً أن يأذن له فيشترى داراً ، فيجعل حبسنا فيها ، ففعل ، فاشترى
أبي داراً فنقلنا إليها ، فلما امتدّ بنا الحبس أتى محمد أمه هنداً فقال : إني
قد حملت أبي وعمومتي ما لا طاقة لهم به ؛ ولقد هممت أن أضع يدي في
أيديهم ؛ فعسى أن يخلّني عنهم . قال : فتنكرت ولبست أطماراً ، ثم جاءت

السجن كهيئة الرسول ، فأذن لها ، فلما رآها أبى أثبتها ، فنهض إليها فأخبرته عن محمد ، فقال : كلاً بل نصبر ، فوالله إنى لأرجو أن يفتح الله به خيراً ، قولى له : فليدعُ إلى أمره ، وليجد فيه ، فإن فرجنا بيد الله . قال : فانصرفت وتم محمد على بغيته .

• • •

[ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق]

وفى هذه السنة حمل ولد حسن بن حسن بن عليّ من المدينة إلى العراق .

• ذكر الخبر عن سبب حملهم إلى العراق وما كان من أمرهم إذ حملوا :

ذكر عمر ، قال : حدثني موسى بن عبد الله ، قال : حدثني أبى عن أبيه ، قال : لما حجّ أبو جعفر أرسل محمد بن عمران بن إبراهيم بن محمد بن طلحة ومالك بن أنس إلى أصحابنا ، فسألهم ^(١) أن يدفّعوا محمداً وإبراهيم ابني عبد الله ، قال : فدخل علينا الرجلان وأبى قائم يصلّي ، فأبلغاهم رسالته ، فقال حسن بن حسن : هذا عمل ابني ^(٢) المشثومة ، أما والله ما هذا برأينا ، ولا عن ملأ منا ؛ ولا لنا فيه حيلة . قال : فأقبل عليه إبراهيم ، فقال : علام تؤذى أخاك في ابنه وتؤذى ابن أخيك في أمه ؟ قال : وانصرف أبى من صلاته ؛ فأبلغاه ، فقال : لا والله لا أردّ عليكما حرفاً ؛ إن أحبّ أن يأذن لي فألقاه فليفعل ؛ فانصرف الرجلان فأبلغاه ، فقال : أراد أن يسخرني ؛ لا والله لا ترى عينه عيني حتى يأتيني بابنيه .

قال : وحدثني ابن زباله ، قال : سمعتُ بعض علمائنا يقول : ما سارَّ عبدُ الله بن حسن أحداً قطّ إلا فتلّه ^(٣) عن رأيه .

قال : وحدثني موسى بن عبد الله ، عن أبيه عن جده ، قال : ثم سار أمير المؤمنين أبو جعفر لوجه حاجباً ، ثم رجع فلم يدخل المدينة ؛ ومضى إلى الرّبذة حتى أتى ثنى رهوتها ^(٤) .

(٢) ج : « أمى » .

(١) ج : « سألهم » .

(٤) ت : « حتى أتى بها ونحن بها » .

(٣) ابن الأثير : « قلبه » .

قال عمر : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : لم يزل بنو حسن محبوسين عند رياح حتى حجّ أبو جعفر سنة أربع وأربعين ومائة ، فتلقاه رياح بالربذة ، فردّه إلى المدينة ، وأمره بإشخاص بني حسن إليه ، وبإشخاص محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - وهو أخو بني حسن لأُمهم . أمهم جميعاً فاطمة بنت حسين ^(١) بن عليّ بن أبي طالب - فأرسل إليه رياح - وكان بماله بيدّر - فحدرهم ^(٢) إلى المدينة ، ثم خرج رياح ببني حسن ومحمد بن عبد الله بن عمرو إلى الربذة ، فلما صار بقصر نفيس على ثلاثة أميال من المدينة ، دعا بالحدّادين والقيود والأغلال ، فألقى كلّ رجل منهم في كبّل وغلّ ، فضاقت حلقتهما قيد عبد الله بن حسن بن حسن ، فعصّته فثأوه ؛ فأقسم عليه أخوه عليّ بن حسن ليحوّلنّ حلقتيه عليه إن كانتا أوسع ، فحوّلنا عليه ، فضى بهم رياح إلى الربذة .

١٧٤/٣

قال : وحدثنى إبراهيم بن خالد ، ابن أخت سعيد بن عامر ، عن جويرية بن أسماء - وهو خال أمه - قال : لما حُمل بنو حسن إلى أبي جعفر أتيت بأقياد يقيّدون بها ، وعليّ بن حسن بن حسن قائم يصلى . قال : وكان في الأقياد قيد ثقيل ، فكلّمنا قرب إلى رجل منهم تفادى منه واستعفى . قال : فأنقزل عليّ من صلاته ، فقال : لشدّ ما جزعتم ، شرّعته هذا ^(٣) ، ثم مدّ رجله فقيّد به . قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني عبد الله بن عمران ، قال : الذي حدّروهم إلى الربذة أبو الأزهر .

قال عمر : حدثني ابن زبالة ، قال : حدثني حسين بن زيد بن عليّ ابن حسين ، قال : غدوت إلى المسجد ، فرأيت بني حسن يُخرج بهم من دار مروان مع أبي الأزهر يُراد بهم الربذة ، فانصرفت ، فأرسل إلى جعفر ابن محمد فجئته ، فقال : ما وراءك ؟ فقلت : رأيت بني حسن يُخرج بهم في محامل ، قال : اجلس ، فجلست ، فدعا غلاماً له ، ثم دعا ربه دعاء كثيراً ، ثم قال لغلامه : اذهب ؛ فإذا حُمِلوا فأْتِ فأخبرني ، فأثاه الرسول ، فقال : قد أقبل بهم . قال : فقام جعفر بن محمد ، فوقف من وراء ستر شعّتر

١٧٥/٣

(١) ب « حسن » . (٢) ط : « فحدره » . (٣) ت : « بسرعة هذا » .

يبصر مَنْ وراءه ولا يبصره أحد ؛ فطلع بعبد الله بن حسن في محمّل معادلّه مسوّد ، وجميع أهل بيته كذلك . قال : فلما نظر إليهم جعفر هملت عيناه حتى جرت دموعه^(١) على لحيته ، ثم أقبل على فقال : يا أبا عبد الله ؛ والله لا يحفظ الله حرمة بعد هؤلاء .

قال : وحدثني محمد بن الحسن بن زباله ، قال : حدثني مصعب بن عثمان . قال : لما ذهب بنى حسن لقيهم الحارث بن عامر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بالربذة ، فقال : الحمد لله الذى أخرجكم من بلادنا ، قال : فاشرب له حسن بن حسن ، فقال له عبد الله : عزمتُ عليك إلا سكّيت !

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني ابن أبرود حاجب محمد بن عبد الله قال : لما حمّل بنو حسن ، كان محمد وإبراهيم يأتیان معتمدين كهيئة الأعراب ، فيسيران أباهما ويسأئلانه ويستأذنانه في الخروج ؛ فيقول : لا تعجلا حتى يمكنكما ذلك ؛ ويقول : إن منعكما أبو جعفر أن تعيشا كريمين ؛ فلا يمنعكما أن تموتا كريمين .

قال عمر : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : لما صار بنو حسن إلى الربذة دخل محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان على أبي جعفر ، وعليه قميصٌ وساجٌ^(٢) وإزار رقيق تحت قميصه ؛ فلما وقف بين يديه ، قال : إيهنا ياديوث^(٣) ! قال محمد : سبحان الله ! والله لقد عرفتني بغير ذلك صغيراً وكبيراً ، قال : فهم حملت ابنتك ؟ وكانت تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن - وقد أعطيتني الأيمان بالطلاق والعناق ألا تغشنى ولا تمالى على عدوّاً ، ثم أنت تدخل على ابنتك متخضبة متعطّرة ، ثم تراها حاملاً فلا يروحك حملها ! فأنت بين أن تكون حائناً أو ديوثاً ؛ وإيم الله إني لأهمّ برجمها . فقال محمد : أما أيمانى فهي على إن كنت دخلت لك في أمر غشّ علمته ، وأما ما رميت به هذه الجارية ، فإن الله قد أكرمها عن ذلك بولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها ؛ ولكنى قد ظننت حين ظهر

(١) ب : « جرى دموعه » . (٢) الساج : الطليسان الأخضر .

(٣) الديوث ؛ من التديث ؛ وهو القيادة .

حملها أن زوجها ألم بها على حين غفلة منا . فاحتفظ أبو جعفر من كلامه ، وأمر بشق ثيابه ، فشق قميصه عن إزاره ، فأشف عن عورته ، ثم أمر به فضرب خمسين ومائة سوط ؛ فبلغت منه كل مبلغ ، وأبو جعفر يفتري عليه ولا يكنى ^(١) ؛ فأصاب سوط منها وجهه ، فقال له : ويحك ! اكفف عن وجهي فإن له حرمة من رسول ^(٢) . الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فأغرى أبو جعفر ، فقال للجلاد : الرأس الرأس ، قال : فضرب على رأسه نحواً من ثلاثين سوطاً ، ثم دعا بساجور من خشب شبيه به في طوله — وكان طويلاً — فشد في عنقه ، وشدت به يده ؛ ثم أخرج به ملبباً ، فلما طلع به من حجرة أبي جعفر ؛ وثب إليه مولى له ، فقال : بأبي أنت وأمي ألا ألوثك بردائي ! قال : بلى جزيت خيراً ؛ فوالله لشفوف إزارى أشد على من الضرب الذي نالني ؛ فألقى عليه المولى الثوب ، ومضى به إلى أصحابه المحبسين ^(٣) .

١٧٧/٣

قال : وحدثنى الوليد بن هشام ، قال : حدثني عبد الله بن عثمان ، عن محمد بن هاشم بن البريد ، مولى معاوية ، قال : كنت بالرَبْدَةِ ، فأُتيتُ بِنبي حسن مغلولين ، معهم العُماني كأنه خلقت من فضة ، فأقعدوا ، فلم يلبثوا حتى خرج رجل من عند أبي جعفر ، فقال : أين محمد بن عبد الله العُماني ؟ فقام فدخل ، فلم يلبث أن سمعنا وقع السَّياط ، فقال أيوب بن سلمة المخزومي لبنيه : يا بني ؛ إني لأرى رجلاً ليس لأحد عنده هَوَادَةٌ ، فانظروا لأنفسكم ؛ لا تسقطوا بشيء . قال : فأخرج كأنه ^(٤) زنجي قد غيرت السَّياط لونه ، وأسالت دَمَهُ ، وأصاب سوط منها إحدى عينيه فسالت ، فأقعد إلى جنب أخيه عبد الله بن حسن بن حسن ، فعطش فاستسقى ماء ، فقال عبد الله بن حسن : يا معشر الناس ، مَنْ يَسْقِي ابن رسول الله شربة ماء ؟ فتحاماه الناس فما سقوه حتى جاء خُرَّاسَانِي بماء ، فسَلَّه إليه فشرب ، ثم لبثنا هُنَيْهَةً ، فخرج أبو جعفر في شقٍّ محمل ، معادله الربيع في شقة الأيمن ، على بَغْلَةٍ شقراء ، فناداه عبد الله : يا أبا جعفر ؛ والله ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر ! قال : فأخسأه أبو جعفر ؛

(١) ط : « لا يكنى » ، تصحيف ؛ صوابه من ابن الأثير .

(٢) ج وابن الأثير : « برسول الله » .

(٣) ج : « المحبسين » . (٤) ج : « كأنما » .

وتفعل عليه ، ومضى ولم يعرج .

وذكر أن أبا جعفر لما دخل عليه محمد بن عبد الله العثماني سألته عن إبراهيم ، ١٧٨/٣ فقال : مالى به علم ، فدق أبو جعفر وجهه بالحرز .

وذكر عمر عن محمد بن أبي حرب ، قال : لم يزل أبو جعفر جميل الرأي في محمد حتى قال له رياح : يا أمير المؤمنين ؛ أما أهل خراسان فشيعةك وأنصارك ، وأما أهل العراق فشيعة آل أبي طالب ، وأما أهل الشام فوالله ما على عندهم إلا كافر ، وما يعتدون بأحد من ولده ؛ ولكن أخاهم محمد بن عبد الله ابن عمرو ، ولودعا أهل الشام ما تخلف عنه منهم رجل . قال : ف وقعت في نفس أبي جعفر ، فلما حج دخل عليه محمد ، فقال : يا محمد ، أليس ابنتك تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ؟ قال : بلى ؛ ولا عهد لي به إلا بمنى في سنة كذا وكذا ، قال : فهل رأيت ابنتك تختضب وتمشط ؟ قال : نعم ، قال : فهي إذا زانية ، قال : مه يا أمير المؤمنين ! أقول هذا لابنة عمك ! قال : يابن اللخاء ، قال : أى أمهاتى تلخن ! قال : يابن الفاعلة ، ثم ضرب وجهه بالحرز وحدده (١) ؛ وكانت رقية ابنة محمد تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن ، ولها يقول :

خَلِيلِيَّ مِنْ قَيْسٍ دَعَا اللَّوْمَ وَاقْعَدَا يَسْرُكَمَا أَلَّا أَنْامَ وَتَرْقُدَا
أَبَيْتُ كَأَنِّي مُسَعَّرٌ مِنْ تَذَكُّرِي رُقِيَّةَ جَمْرًا مِنْ غَضًا مُتَوَقِّدَا

قال : وحدثني عيسى بن عبد الله بن محمد ، قال : حدثني سليمان بن داود بن حسن ؛ قال : ما رأيت عبد الله بن حسن جزع من شيء مما ناله إلا يوماً واحداً ؛ فإن بعير محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان انبعث وهو ١٧٩/٣ غافل ، لم يتأهب له ، وفي رجليه سلسلة ، وفي عنقه زمامة ، فهوى ، وعلقت الزمامة بالمحمل ، فرأيته منوطاً بعنقه يضطرب ؛ فرأيت عبد الله بن حسن قد بكى بكاء شديداً .

قال : وحدثني موسى بن عبد الله بن موسى ، قال : حدثني أبي عن أبيه ، قال : لما صرنا بالربذة ، أرسل أبو جعفر إلى أبي أن أرسل إلى أحدكم ؛

(١) حدده ، أى شق جلده .

واعلم أنه غير عائد إليك أبداً ، فابتدره بنو إخوته يعرضون أنفسهم عليه .
فجزأهم خيراً ، وقال : أنا (١) أكره أن أفجعهم بكمم ؛ ولكن اذهب أنت
يا موسى ، قال : فذهبتُ وأنا يومئذ حديث السن ، فلما نظر إلى قال :
لا أنعم الله بك عيناً ؛ الشياطين غلام قال : فضربتُ والله حتى غشي علي ،
فما أدري بالضرب ، فرفعت الشياطين عني ، ودعاني فقربتُ منه واستقرتني .
فقال : أتدري ما هذا ؟ هذا فيض فاض مني ، فأفرغتُ منه سَجَلاً لم أستطع
ردّه ؛ ومن ورائه الموت أو تقتلني منه . قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ؛ والله
إن ما لي ذنب ؛ وإني لبعزل عن هذا الأمر . قال : فانطلق فأتني بأخويك ،
قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، تبعثني إلى رياح بن عثمان فيضع عليّ العيون
والرصد ، فلا أسلك طريقاً إلا تبعني له رسول ، ويعلم ذلك أخوای فيهربان
مني ! قال : فكتب إلى رياح : لا سلطان لك على موسى ، قال : وأرسل معي
حرساً أمرهم أن يكتبوا إليه بخبري ، قال : فقدمت المدينة ، فنزلت دار ابن
هشام بالبلاط ، فأقيمتُ بها شهراً ، فكتب إليه رياح : إن موسى مقيم بمنزله
يتربص بأمر المؤمنين الدوائر ؛ فكتب إليه : إذا قرأت كتابي هذا فاحذرّه ١٨٠/٣
إلى ، فحذرتني .

قال : وحدثنني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثني موسى ، قال : أرسل
أبي إلى أبي جعفر : إني كاتب إلى محمد وإبراهيم ؛ فأرسل موسى عسى أن
يلقاها ؛ وكتب إليهما أن يأتياه ، وقال لي : أبلغهما عني فلا يأتياه أبداً .
قال : وإنما أراد أن يفلتن من يده — وكان أرق الناس عليّ ، وكنت أصغر
ولد هند — وأرسل إليهما :-

يا بُنَيَّ أُمِيَّةَ إِنِّي عَنْكُمَا غَانٍ وَمَا الْغِنَى غَيْرَ أَنِّي مُرْعَشٌ فَإِنْ
يَا بُنَيَّ أُمِيَّةَ إِلَّا تَرَحُّمًا كَبِيرِي فَإِنَّمَا أَنْتُمَا وَالثُّكُلُ مِثْلَانِ
قال : فأقيمت بالمدينة مع رسل أبي جعفر إلى أن استبطأني رياح ، فكتب
إلى أبي جعفر بذلك ، فحذرتني إليه .

قال : وحده في يعقوب بن القاسم بن محمد ، قال : أخبرني عمران بن محرز من بني البكتاء ، قال : خرج بنو حسن إلى الرّبذة ، فيهم عليّ وعبد الله ابنا حسن بن حسن بن حسن ، وأُمهما حُبابة ابنة عامر بن عبد الله بن عامر ابن بشر بن عامر ملاعب الأُسنة ؛ فمات في السجن حسن بن حسن وعباس ابن حسن ، وأُمّه عائشة بنت طلحة بن عمر بن عبيد الله وعبد الله بن حسن وإبراهيم بن حسن .

قال عمر : حدثني المدائني ، قال : لما خرج بنو حسن ، قال إبراهيم ١٨١/٣ ابن عبد الله بن حسن ، قال عمر : وقد أنشدني غير أبي الحسن هذا الشعر لغالب الهمداني^(١) :

ما ذِكرَكَ الدُّمْنَةُ القِفَارَ وَأَهْلَ الدَّارِ لِمَا نَأَوَّكَ أَوْ قَرَّبُوا
إِلَّا مَفْهَامًا وَقَدْ تَفَرَّعَكَ الشَّيْبُ بِلَوْنٍ كَأَنَّهُ الْعَطْبُ^(٢)
وَمَرَّ خَمْسُونَ مِنْ مَسْنِيكَ كَمَا عَدَّ لَكَ الْحَاسِبُونَ إِذْ حَسَبُوا
فَعَدَّ ذِكْرَ الشَّبَابِ لَسْتُ لَهُ^(٣) وَلَا إِلَيْكَ الشَّبَابُ مُنْقَلِبُ
إِنِّي عَرَّتْنِي الْهُمُومُ فَاحْتَضَرَ الْهَمَّ وَسَادَى فَالْقَلْبُ مُنْشَعِبُ
وَاسْتَخْرِجَ النَّاسَ لِلشَّقَاءِ وَخَلَّتْ لِدَهْرِ بَظْهِرِهِ حَذْبُ^(٤)
أَعْوَجَ يَسْتَعْذِبُ اللَّثَامُ بِهِ وَيَحْتَوِيهِ الْكِرَامُ إِنْ سَرَبُوا
نَفْسِي قَدَتِ شَيْبَةٌ هُنَاكَ وَظَنُّ بُوبًا بِهِ مِنْ قِيوده نَدَبُ
وَالسَّادَةِ الْغُرِّ مِنْ بَنِيهِ فَمَا^(٥) رُوقِبَ فِيهِ الْإِلَهُ وَالنَّسَبُ
يَا حَلَقَ الْقَيْدَ مَا تَضَمَّنَ مِنْ حِلْمٍ وَبَرٍّ يَشُوبُهُ حَسَبُ
وَأُمّهَاتُ مِنْ الْعَوَاتِكِ أَخْ لَضْنِكَ بَيْضُ عَقَائِلِ عُرْبُ
كَيْفَ اعْتِذَارِي إِلَى الْإِلَهِ وَلَمْ يَشْهَرْنَ فِيكَ الْمَأْثُورَةُ الْقُضْبُ!

(٢) ب : « القطب » .

(٤) ط : « وخلقت » .

(١) ب : « الهمداني » .

(٣) ت ، ج : « ليس له » .

(٥) ط : « والسارة الفر » .

ولم أَقْد غَارَةً مُلَمَلَمَةً فِيهَا بَنَاتُ الصَّرِيحِ تَنْتَحِبُ
وَالسَّابِقَاتُ الْجِيَادُ وَالْأَسْلُ الذَّ بَلُّ فِيهَا أَسِنَّةٌ ذُرْبُ
حَتَّى نُوَفِّي بَنِي نُتَيْلَةَ بِالْ— تَسِطُ بِكَيْلِ الصَّاعِ الَّذِي احْتَلَبُوا
بِالْقَتْلِ قَتْلًا وَبِالْأَسِيرِ الَّذِي فِي الْقِدِّ أَسْرَى مَصْفُودَةً سُلْبُ
أَصْبَحَ آلُ الرَّسُولِ أَحْمَدَ فِي النَّاسِ كَذِي عُرَّةٍ بِهِ جَرَبُ
بُؤْسًا لَهُمْ مَا جَنَتْ أَكْفُهُمْ وَأَيَّ حَبَلٍ مِنْ أُمَّةٍ قَضَبُوا !
وَأَيَّ حَبَلٍ خَانُوا الْمَلِيكَ بِهِ شُدُّ بِمِثَاقٍ عَقْدُهُ الْكَذِبُ

١٨٢/٣

وذكر عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعت الجراح بن عمر وخاقان
ابن زيد وغيرهما من أصحابنا يقولون : لما قدم بعد الله بن حسن وأهله مقيدين
فأشرف بهم على النجف ، قال لأهله : أما ترون في هذه القرية من
يمنعنا من هذا الطاغية ؟ قال : فلقبه ابننا آحى الحسن وعلى مشتملين على
سيفين ، فقال له : قد جئناك يا بن رسول الله ، ففرنا بالذي تريد ، قال :
قد قضيتما ، ولن تعنيا في هؤلاء شيئا فانسرفا .

• قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ،
قال : أمر أبو جعفر أبا الأزهر فحبس بني حسن بالهاشمية .

قال : وحدثنى محمد بن الحسن ، قال : حدثني محمد بن إبراهيم ،
قال : أتى بهم أبو جعفر : نظر إلى محمد بن إبراهيم بن حسن ، فقال :
أنت الديباج الأصفر (١) ؟ قال : نعم ، قال : أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلنها أحدا
من أهل بيتك ، ثم أمر بأسطوانة مبنية ففرقت ، ثم أدخل فيها فبي عليه وهو حي .

قال محمد بن الحسن : وحدثنى الزبير بن بلال ، قال : كان الناس
يختلفون إلى محمد ينظرون إلى حسنه .

قال عمر : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني عبد الله بن عمران ، قال :

(١) ط : « الأصفر » ، والصواب ما أثبتته من ت .

أخبرني أبو الأزهر ، قال : قال لي عبد الله بن حسن : ابغيني حجّاماً ، فقد احتججتُ إليه ، فاستأذنت أمير المؤمنين ، فقال : آت به بحجام مجيد^(١) . ١٨٣/٣

قال : وحدّثني الفضل بن دكين أبو نعيم ، قال : حبس من بني حسن ثلاثة عشر رجلاً ، وحبس معهم العثماني وابنان له في قصر ابن هبيرة ؛ وكان في شرقي الكوفة مما يلي بغداد ؛ فكان أول من مات منهم إبراهيم ابن حسن ، ثم عبد الله بن حسن ، فدفن قريباً من حيث مات ؛ وإلا يكن بالقبر الذي يزعم الناس أنه قبره ؛ فهو قريب منه .

وحديثي محمد بن أبي حرب ، قال : كان محمد بن عبد الله بن عمرو محبوساً عند أبي جعفر ، وهو يعلم براءته ؛ حتى كتب إليه أبو عتّون من خراسان : أخبر أمير المؤمنين أنّ أهل خراسان قد تقاعسوا عنّي ، وطال عليهم أمر محمد بن عبد الله ؛ فأمر أبو جعفر عند ذلك بمحمد بن عبد الله بن عمرو ، فضربت عنقه ، وأرسل برأسه إلى خراسان ؛ وأقسم لهم أنه رأس محمد بن عبد الله ، وأنّ أمه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال عمر : فحدثني الوليد بن هشام ، قال : حدثني أبي ، قال : لما صار أبو جعفر بالكوفة ، قال : ما أشتي^(٢) من هذا الفاسق من أهل بيت فسق ، فدعا به ، فقال : أزوّجت ابنتك ابن عبد الله ؟ قال : لا ، قال : أفليست بامرأته ؟ قال : بلى زوّجها إياه عمّها وأبوه عبد الله بن حسن فأجزت نكاحه ، قال : فأين عهدك التي أعطيتني ؟ قال : هي علىّ ، قال : أفلم تعلم بخضاب ! ألم تجد ريح طيب ! قال : لا علم لي ؛ قد علم القوم ما لك علىّ من الموائيق فكتموني ذلك كله ، قال : هل لك أن تستقيلي فأقيلك ، وتحدث لي أيّماناً مستقبلة ؟ قال : ما حثت بأيّمان فتجدّدها علىّ ، ولا أحدث ما أستقيلك منه فتقيلني ؛ فأمر به فضرِب حتى مات ، ثم احتز رأسه . فبعث به إلى خراسان ؛ فلما بلغ ذلك عبد الله بن حسن ، قال : إنا لله وإنّ إليه راجعون ! والله إن كنّا لنأمن به في سلطانهم ، ثم قد قُتل بنا في سلطاننا .

قال : وحدّثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني مسكين بن عمرو ،

(١) ت وابن الأثير : « حجّام محمد » . (٢) ب ، ت : « أشتي » .

قال : لما ظهر محمد بن عبد الله بن حسن ، أمر أبو جعفر بضرب عنق محمد ابن عبد الله بن عمرو ، ثم بعث به إلى خراسان ؛ وبعث معه الرجال يحلفون بالله إنه لمحمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال عمر : فسألت محمد بن جعفر بن إبراهيم ، في أى سبب قتل محمد بن عمرو ؟ قال : احتيج إلى رأسه .

قال عمر : وحدثني محمد بن أبي حرب ، قال : كان عون بن أبي عون خليفة أبيه بباب أمير المؤمنين ؛ فلما قُتل محمد بن عبد الله بن حسن وجهه أبو جعفر برأسه إلى خراسان ، إلى أبي عون مع محمد بن عبد الله بن أبي الكرام وعون بن أبي عون ؛ فلما قدم به ارتاب أهل خراسان ، وقالوا : أليس قد قُتل مرة وأتيننا برأسه ! قال : ثم تكشف لهم الخبر حتى علموا حقيقته ؛ فكانوا يقولون : لم يُطْلَع من أبي جعفر على كذبة غيرها .

قال : وحدثني عيسى بن عبد الله ، قال : حدثني عبد الله بن عمران بن أبي فروة ، قال : كنا نأتى أبا الأظهر ونحن بالهاشمية أنا والشعباني ، فكان أبو جعفر يكتب إليه : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى أبي الأظهر مولاه ، ١٨٥/٣ ويكتب أبو الأظهر إلى أبي جعفر : من أبي الأظهر مولاه وعبداه ؛ فلما كان ذات يوم ونحن عنده — وكان أبو جعفر قد ترك له ثلاثة أيام لا ينوبها ؛ فكنا نخلو معه في تلك الأيام — فأتاه كتاب من أبي جعفر ، فقرأه ثم رى به ، ودخل إلى بنى حسن وهم محبسون . . قال : فتناولت الكتاب وقرأته ؛ فإذا فيه : انظريا أبا الأظهر ما أمرتك به في مدله فعجله وأنفذه . قال : وقرأ الشعباني الكتاب فقال : تدري من مدله ؟ قلت : لا ، قال : هو والله عبد الله بن حسن ، فانظر ما هو صانع . قال : فلم نلبث أن جاء أبو الأظهر ، فجلس فقال : قد والله هلك عبد الله بن حسن ، ثم لبث قليلا ثم دخل ونخرج مكتئبا ، فقال : أخبرني عن علي بن حسن ، أى رجل هو ؟ قلت : أمصدق أنا عندك ؟ قال : نعم ، وفوق ذلك ؛ قال : قلت : هو والله خير من تقله هذه وتقله هذه ! قال : فقد والله ذهب .

قال : وحدثني محمد بن إسماعيل ، قال : سمعت جدي موسى بن عبد الله

يقول : ما كنّا نعرف أوقات^(١) الصلاة في الحبس إلا بأحزاب كان يقرؤها على بن حسن .

قال عمر : وحده^(٢) ثني ابن عائشة ، قال : سمعت مولّى لبني دارم ، قال : قلت لبشير الرّحال^(٣) ما يسرعك^(٤) إلى الخروج على هذا الرجل ؟ قال : إنه أرسل إلى بعد أخذه عبد الله بن حسن فأتيته ، فأمرني يوماً بدخول بيت فدخلته ، فإذا بعبد الله بن حسن مقتولاً ، فسقطت مغشياً عليّ ، فلما أفقت أعطيت الله عهداً ألاّ يختلف في أمره سيّفان إلا كنت مع الذي عليه منهما . ١٨٦/٣
وقلت للرسول الذي معي من قبله : لا تخبره بما لقيت ؛ فإنه إن علم قتلي . قال عمر : فحدثت به هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد من أهل همدان . وهو العباسي أن أبا جعفر أمر بقتله ، فحلف بالله ما فعل ذلك ؛ ولكنه دسّ إليه من أخبره أن محمداً قد ظهر فقتل ، فانصدع قلبه ، فمات .

قال : وحده^(٥) ثني عيسى بن عبد الله ، قال : قال من بقي منهم : إنهم كانوا يسقون ، فأتوا جميعاً لإسليمان وعبد الله ابني داود بن حسن بن حسن وإسحاق وإسماعيل ابني إبراهيم بن حسن بن حسن ، وجعفر بن حسن ، فكان من قتل منهم إنما قتل بعد خروج محمد .

قال عيسى : فنظرت مولاة^(٦) لآل حسن إلى جعفر بن حسن ، فقالت : بنفسى أبو جعفر ! ما أبصره بالرجال حيث يطلقك وقتل عبد الله بن حسن !

• • •

ذكر بقية الخبر عن الأحداث التي كانت في سنة أربع وأربعين ومائة

فمن ذلك ما كان من حمل أبي جعفر المنصور بني حسن بن حسن بن عليّ من المدينة إلى العراق .

(١) كذا في ت ، وفي ط : « وقوت » .

(٢) ط : « الرجال » ، تحريف ، وصوابه من ت وابن الأثير .

(٣) ب ، ت : « تسرعك » .

• ذكر الخبر عن سبب حمله لإياهم إلى العراق :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : لما ولي أبو جعفر رباح بن عثمان بن حيّان المريّ المدينة ، أمره بالحدّ في طلب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن وقلة الغفلة عنهما . ١٨٧/٣

قال محمد بن عمر : فأخبرني عبد الرحمن بن أبي الموالى ، قال : فجدّ رباح في طلبهما ولم يدهن ، واشتدّ في ذلك كلّ الشدة حتى خاف ؛ وجعلا ينتقلان من موضع إلى موضع ، واغتمّ أبو جعفر من تبغيّهما ؛ وكتب إلى رباح ابن عثمان : أن يأخذ أباهما عبد الله بن حسن وإخوته : حسن بن حسن وداود ابن حسن وإبراهيم بن حسن ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان — وهو أخوهم لأُمهم فاطمة بنت حسين — في عدة منهم . ويشدّهم وثاقاً ، ويبعث بهم إليه حتى يوافوه بالربذة . وكان أبو جعفر قد حجّ تلك السنة وكتب إليه أن يأخذني معهم فيبعث بي إليه أيضاً . قال : فأدركتُ وقد أهملت بالحجّ ، فأخذتُ فطرحت في الحديد ، وعورض بي الطريق حتى وافيتهم بالربذة .

قال محمد بن عمر : أنا رأيتُ عبد الله بن حسن وأهل بيته يُخَرّجون من دار مروان بعد العصر وهم في الحديد ؛ فيحملون في المحامل ؛ ليس تحتهم وطاء ؛ وأنا يومئذ قد راهقتُ الاحتلام . أحفظ ما أرى .

قال محمد بن عمر : قال عبد الرحمن بن أبي الموالى : وأخذ معهم نحو من أربعمائة . من جُهيّنة ومُزينة وغيرهم من القبائل ؛ فأراهم بالربذة مكتفين في الشمس . ما : وسُجنت مع عبد الله بن حسن وأهل بيته . ووافى أبو جعفر الربذة منصرفاً من الحجّ ، فسأل عبد الله بن حسن أبا جعفر أن يأذن له في الدخول عليه ، فأبى أبو جعفر ؛ فلم يره حتى فارق الدنيا . قال : ثم دعاني أبو جعفر من بينهم . فأقعدت حتى أدخلت — وعنده عيسى بن علي — فلما رآني عيسى ، قال : نعم ؛ هو هو يا أمير المؤمنين ؛ وإنّ أنت شددت عليه أخبرك بمكانهم . فسلمت ، فقال أبو جعفر : لا سلّم الله عليك ! أين الفاسقان ابنا الفاسق . الكذابان ابنا الكذاب ؟ قال : قلت : هل ينفعني الصدق يا أمير المؤمنين

عندك؟ قال : وما ذاك؟ قال : امرأته طالق ، وعلى وعلى ، إن كنت أعرف مكانهما ! قال : فلم يقبل ذلك مني ، وقال : السياط ! وأقمت بين العقابين ، فضر بني أربعمائة سوط ؛ فعا عقلت بها حتى رفع غني ، ثم حُمت إلى أصحابي على تلك الحال ، ثم بعث إلى الديباج محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ابن عفان ؛ وكانت ابنته تحت إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، فلما أدخل عليه قال : أخبرني عن الكذابين ما فعلا ؟ وأين هما ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ما لي بهما علم ، قال : لتخبرني ، قال : قد قلت لك وإني والله لأصدق ؛ ولقد كنت أعلم علمهما قبل اليوم ؛ وأما اليوم فإني والله بهما أعلم . قال : جردوه ، فجرد فضر به مائة سوط ، وعليه جامعة حديد في يده إلى عنقه ؛ فلما فرغ من ضربه أخرج فألبس قميصاً له قوهياً^(١) على الضرب ، وأتى به إلينا ؛ فوالله ما قدروا على نزع القميص من لُصوقه بالدم ، حتى حلبوا عليه شاة ، ثم انتزع القميص ثم داووه . فقال أبو جعفر : احذروا بهم إلى العراق ، فقدم بنا إلى الهاشمية ، فحبسنا بها ؛ فكان أول من مات في الحبس عبد الله ابن حسن ؛ فجاء السجن فقال : ليخرج أقربكم به فليصل عليه ؛ فخرج أخوه حسن بن حسن بن علي عليه السلام ، فصلت عليه . ثم مات محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، فأخذ رأسه ، فبعث به مع جماعة من الشيعة إلى خراسان ؛ فطافوا في كور خراسان ، وجعلوا يحلفون بالله أن هذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه ؛ يوهمون الناس أنه رأس محمد بن عبد الله بن حسن ؛ الذي كانوا يجدون خروجه على أبي جعفر في الرواية .

* * *

وكان وإلى مكة في هذه السنة السري بن عبد الله ، وإلى المدينة رباح ابن عثمان المرتي ، وإلى الكوفة عيسى بن موسى ؛ وإلى البصرة سفيان بن معاوية .

وعلى قضائها سوار بن عبد الله ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

(١) القوهي : ثياب بيض نسب إلى قوهستان ؛ كورة بين نيسابور وهراة .

ثم دخلت سنة خمس وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

فما كان فيها من ذلك خروج محمد بن عبد الله بن حسن بالمدينة ،
وخروج أخيه إبراهيم بن عبد الله بعده بالبصرة ومقتلهما .

• • •

ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله

ذكر عمر أن محمد بن يحيى حدثه ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ،
قال : (١) لما انحدر أبو جعفر بنى حسن^(١) ، رجع رياح إلى المدينة ، فالتح في
الطلب ، وأخرج محمداً حتى عزم على الظهور .

قال عمر : فحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الله الجعفرى أن محمداً أخرج ،
فخرج قبل وقته الذى فارق عليه أخاه إبراهيم ، فأنكر ذلك ، وقال : ما زال
محمد يطلب أشد الطلب حتى سقط ابنه فمات وحتى رهقه الطلب ، فتدلى
في بعض آبار المدينة يناول أصحابه الماء ، وقد انغمس فيه إلى رأسه ، وكان بدنه
لا يخفى عظاماً ؛ ولكن إبراهيم تأخر عن وقته بلحدرى أصابه . ١٩٠/٣

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال :
تحدث أهل المدينة بظهور محمد ؛ فأسرعنا في شراء الطعام حتى باع بعضهم^(٢)
حلى نسائه ؛ وبلغ رياحاً أن محمداً أتى المذاذ^(٣) ، فركب في جنده يريد
وقد خرج قبله محمد يريد^(٤) ، ومعه جبير بن عبد الله السلمي وجبیر
ابن عبد الله بن يعقوب بن عطاء وعبد الله بن عامر الأسلمي ؛ فسمعوا سقاءة
تحدث صاحبتهما أن رياحاً قد ركب يطلب محمداً بالمداد ، وأنه قد سار
إلى السوق ، فدخلوا داراً بالهينة وأجافوا بابها عليهم ، ومرت رياح على
الباب لا يعلم بهم ، ثم رجع إلى دار مروان ؛ فلما حضرت العشاء الأخيرة
صلى في الدار ولم يخرج .

(١-١) ت ، هـ : « لما أهدر أبو جعفر بنى حسن » . (٢) ج : « أحدم في ذلك » .

(٣) ت ، وابن الأثير : « المذاذ » . (٤) كذا في ت ، وفوط : « يريد المذاذ » .

دخّلنا عليه بعد العشاء الآخرة ، فسلمنا عليه فلم يردّ علينا ، فجلّسنا فقال
 ١٩٢/٣ أخى : كيف أمسى الأمير أصلحه الله ! قال : بخير - بصوت ضعيف -
 قال : ثم صمت طويلاً ثم تنبّه ، فقال : إيهنا يا أهل المدينة ! أمير المؤمنين
 يطلب بغيتَه في شرق الأرض وغربها ؛ وهو ينتفق بين أظهركم ! أقسم
 بالله لئن خرج لا أترك منكم أحداً إلا ضربت عنقه . فقال أخى : أصلحك
 الله ! أنا عذيرك منه ، هذا والله الباطل ، قال : فأنت أكثر منّ ها هنا
 عشيرة ؛ وأنت قاضى أمير المؤمنين ، فادعُ عشيرتك . قال : فوثب أخى
 ليخرج ، فقال : اجلس ، اذهب أنت يا ثابت ، فوثبتُ ، فأرسلت إلى بنى زُهرة
 ممن يسكن حشّ طلحة ودار سعد ودار بنى أزهر : أن أحضروا سلاحكم .
 قال : فجاء منهم بِشَر ، وجاء إبراهيم بن يعقوب بن سعد بن أبى وقاص
 متكبّاً قوساً - وكان من أرمى الناس - فلما رأيتُ كثرتهم ، دخلت على
 رياح ، فقلت : هذه بنو زهرة في السلاح يكونون معك ، ائذن لهم . قال :
 هيهات ! تريد أن تُدخل على الرجال طروقاً^(١) في السلاح ، قل لهم : فليجلسوا
 في الرحبة ؛ فإن حدث شيء فليقاتلوا ، قال : قلت لهم : قد أبى أن يأذن لكم ،
 لا والله ما ها هنا شيء ، فاجلسوا^(٢) بنا نتحدّث .

قال : فمكثنا قليلاً ، فخرج العباس بن عبد الله بن الحارث في خيل
 يعسّ حتى جاء رأس الثنية ، ثم انصرف إلى منزله وأغلّقه عليه ؛ فوالله إنا
 لعلّ تلك الحال إذْ طلع فارسان من قبَل الزوراء يركضان ؛ حتى وقفا بين
 دار عبد الله بن مُطيع ورحبة القضاء^(٣) في موضع السقاية . قال : قلنا : شرّ
 الأمر والله جدّ . قال : ثم سمعنا صوتاً بعيداً ، فأقمنا ليلاً طويلاً ، فأقبل
 ١٩٢/٣ محمد بن عبد الله من المذاد ومعه مائتان وخمسون رجلاً ، حتى إذا شرع على
 بنى سَلَمَة وبُطْحان ، قال : اسلكوا بنى سَلَمَة إن شاء الله . قال : فسمعنا
 تكبيراً ؛ ثم هدا الصوت فأقبل حتى إذا خرج من زُقاق ابن حيين^(٤) استبطن
 السوق حتى جاء على التمارين ؛ حتى دخل من أصحاب الأقفاص ، فأتى
 السجن وهو يومئذ في دار ابن هشام ، فدقّه ، وأخرج من كان فيه ، ثم

(٢) ج : « فادخلوا » ، هـ : « فاخلوا » .

(٤) ت : « أبى » .

(١) طروقاً ، أى ليلاً .

(٣) ت ، ج : « القضاء » .

أقبل حتى إذا كان بين دار يزيد ودار أويس نظرنا إلى هَوَلٍ من الهَوَلِ (١) .
قال : فنزل إبراهيم بن يعقوب ، ونكب كنانته وقال : أرمي ؟ فقلنا : لا تفعل ،
ودار محمد بالرحبة ، حتى جاء بيت عاتكة بنت يزيد ، فجلس على بابها ،
وتناوش الناس حتى قتل رجل سندی كان يستصبح في المسجد ، قتله رجل
من أصحاب محمد .

قال : وحدثنني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، أخبرني جهم بن عثمان ؛
قال : خرج محمد من المذاد على حمار ونحن معه ، فولى خوات بن بكير بن
خوات بن جبير الرجالة ، وولى عبد الحميد بن جعفر الحربة ، وقال : اكفنيها ،
فحملها ثم استعفاها منها فأعفاها ؛ ووجهه مع ابنه حسن بن محمد .

قال : وحدثنني عيسى ، قال : حدثني جعفر بن عبد الله بن يزيد بن
رُكَّانة قال : بعث إبراهيم بن عبد الله إلى أخيه بِحِمَلَى سيوف ، فوضعها
بالمذاد ، فأرسل إلينا ليلة خرج : وما نكون ؟ مائة رجل ! وهو على حمار
أعرابي أسود ، فافترق طريقان : طريق بَطْحَانَ وطريق بني سلمة ، فقلنا له : ١٩٤/٣
كيف نأخذ ؟ قال : على بني سلمة ، يسلمكم الله ؛ قال : فجئنا حتى صرنا
بباب مروان .

قال : وحدثنني محمد بن عمرو بن رُتَيْبيل بن نهشل أحد بني يربوع ،
عن أبي عمرو المديني - شيخ من قريش - قال : أصابتنا السماء بالمدينة أياماً ،
فلما أفلعت خرجت في غبتها متمطراً (٢) ، فانتسأت (٣) عن المدينة ؛ فإتني لني
رحلى إذا هبط على رجل لا أدري من أين أتى ، حتى جلس إلى ، وعليه
أطمار له دَرْنَة وعمامة رثة ، فقلت له : من أين أقبلت ؟ قال : من غُنَيْمَة
لى أوصيت راعيها بحاجة لى ، ثم أقبلت أريد أهلى . قال : فجعلت لا أسلك
من العلم طريقاً إلا سبقنى إليه وكثرنى فيه ، فجعلت أعجب له ولما يأتى به ،
قلت : ممن الرجل ؟ قال : من المسلمين ، قلت : أجل ، فمن أيهم أنت ؟
قال : لا عليك ؛ ألا تريد (٤) ؟ قلت : بلى على ذلك ؛ فمن أنت ؟ قال :
فوثب وقال :

(١) الهول : جمع هول ؛ وهو موضع الخفاة . (٢) تمطر في مشيه ، أى أسرع .

(٣) انتسأت ، أى ابتعدت . (٤) ب : « تزويد » .

• منخرق الخُفَّيْن يشكو الوجي (١) •

الآيات الثلاثة .

قال : ثم أدبر فذهب ؛ فوالله ما فات مدَى بصرى حتى ندمت على تركه قبل معرفته ؛ فاتبعته لأسأله ؛ فكأنَّ الأرض التأمت عليه ، ثم رجعتُ إلى رحلى ، ثم أتيت المدينة فما غبرت إلَّا يومى وليلتى ؛ حتى شهدت صلاة الصبح بالمدينة ، فإذا رجل يصلى بنا ، لا أعرف صوته ، فقرأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾ ١٩٥/٣ ، فلما انصرف صعد المنبر ، فإذا صاحبي ، وإذا هو محمد بن عبد الله بن حسن .

قال : وحدثني إسماعيل بن إبراهيم بن هود مولى قريش ، قال : سمعت إسماعيل بن الحكم بن عوانة يخبر عن رجل قد سمَّاه بشبيهة بهذه القصة (٢) . قال إسماعيل : فحدثت بها رجلا من الأنبار يكنى أبا عبيد ؛ فذكر أن محمداً - أو إبراهيم - وجه رجلا من بني ضبة - فيما يحسب لإسماعيل بن إبراهيم بن هود - ليعلم له بعض علم أبي جعفر ، فأقْبَى الرجلُ المسيَّب وهو يومئذ على الشرط ، فقتل إليه برحمته ، فقال المسيَّب : إنه لا بدَّ من رفعك إلى أمير المؤمنين . فأدخله على أبي جعفر فاعترف ، فقال : ما سمعته يقول ؟ قال :

شَرَّدَهُ الْخَوْفُ فَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مِنْ يَكْرُهُ حَرَّ الْجِلَادِ

قال أبو جعفر : فأبلغه أنا نقول :

وخطَّ ذُلٌّ نَجْعَلُ الْمَوْتَ دُونَهَا نقول لها للموت أهلا ومرحبا

وقال : انطلق فأبلغه (٣) .

قال عمر : وحدثني أزهر بن سعيد بن نافع - وقد شهد ذلك - قال : خرج محمد في أول يوم من رجب سنة خمس وأربعين ومائة ، فبات بالمزاد هو وأصحابه ، ثم أقبل في الليل ، فدقَّ السجن وبيت المال ، وأمر برياح وابن مسلم فحجَّبا معاً في دار ابن هشام .

(٢) ت ، ه : « سمَّاه هذه القصة » .

(١) انظر ص ١٧٠ من هذا الجزء .

(٣) ت ، ج ، ه : « فأعلنى » .

قال : وحدّثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدّثني عليّ بن أبي طالب ، قال : خرج محمد لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة .

وحدّثني عمر بن راشد ، قال : خرج لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة ، فرأيت عليه ليلة خرج قلنسوة صفراء مضرية وجبة صفراء ، وعمامة قد شدّ بها حقويته وأخرى قد اعتم بها ، متوشحاً سيفاً ، فجعل يقول لأصحابه : لا تقتلوا ، لا تقتلوا . فلما امتنعت منهم الدار ، قال : ادخلوا من باب المقصورة ، قال : فاقتحموا وحرّقوا باب الخوخة التي فيها ، فلم يستطع أحد أن يمرّ ، فوضع رزام مولى القسريّ ثرسه على النار ، ثم تخطى عليه ، فصنع الناس ما صنع ، ودخلوا من بابها ، وقد كان بعض أصحاب رياح مارسوا على الباب ، وخرج من كان مع رياح في الدار من دار عبد العزيز من الحمام ، وتعلّق رياح في مشربة في دار مروان ، فأمر بدرجها فهُلّمت ، فصعدوا إليه ، فأنزلوه وجبّسوه في دار مروان ، وجبّسوا معه أخاه عباس بن عثمان . وكان محمد بن خالد وابن أخيه النذير بن يزيد ورزام في الحبس ، فأخرجهم محمد ، وأمر النذير بالاستيثاق من رياح وأصحابه .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثني أبي ، قال : حبس محمد رياحاً وابن أخيه وابن مسلم بن عقيب في دار مروان .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني عبد العزيز بن أبي ثابت ، عن خاله راشد بن حفص ، قال : قال رزام للنذير : دَعْنِي وإياه فقد رأيت عذابه إياي . قال : شأنك وإياه ، ثم قام ليخرج ، فقال له رياح : يا أبا قيس ، قد كنتُ أفعل بكم ما كنت أفعل ؛ وأنا بسؤددكم عالم . فقال له النذير : فعلت ما كنت أهله ، ونفعل ما نحن أهله ، وتناوله رزام فلم يزل به رياح يطلب إليه حتى كفّ ، وقال : والله إن كنت لبَطِيراً عند القدرة ، لثيماً عند البلية .

قال : وحدّثني موسى بن سعيد الجُمَحِيّ ، قال : حبس رياح محمد ١٩٧/٣ ابن مروان بن أبي سليط من الأنصار ، ثم أحد بن عمرو بن عوف ، فدحه وهو محبوس ، فقال :

وما نَسِيَ الدَّمَامَ كَرِيمُ قَيْسَ ولا مُلْقَى الرِّجَالِ إِلَى الرِّجَالِ
إِذَا مَا الْبَابَ قَعَقَعَهُ سَعِيدُ هَدَجْنَا نَحْوَهُ هَدَجَ الرِّثَالِ
دَبِيبَ الدَّرِّ تُصْبِحُ حِينَ ^(١) يَمْشَى قِصَارَ الْخَطْوِ غَيْرَ ذَوَى اخْتِيَالِ

قال : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني إسماعيل بن يعقوب التيمي قال : صعد محمد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ؛ فإنه كان من أمر هذا الطاغية عدو الله أبي جعفر ما لم يخفَ عليكم ؛ من بنائه القبة الخضراء التي بناها معانداً لله في ملكه ، وتصغيراً للكعبة الحرام ؛ وإنما أخذ الله فرعون حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴾ ^(٢) وإن أحقَّ الناس بالقيام بهذا الدين أبناء المهاجرين الأولين والأنصار المواسين . اللهم لأنهم قد أحلّوا حرامك ، وحرّموا حلالك ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت . اللهم فأحصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تغادر منهم أحداً . أيها الناس إني والله ما خرجت من بين أظهركم وأنتم عندي أهل قوّة ولا شدة . ولكني اخترتكم لنفسى ؛ والله ما جئت هذه وفي الأرض مصرّ يعبد الله فيه إلا وقد أخذت لي فيه البيعة .

١٩٨/٣ قال : وحدّثني موسى بن عبد الله ، قال : حدّثني أبي عن أبيه ، قال : لما وجّهني رباح بلغ محمداً فخرج من ليلته ؛ وقد كان رباحٌ تقدّم إلى الأجناد الذين معي ، إن اطّلع عليهم من ناحية المدينة رجل أن يضربوا عنق ؛ فلما أُنْثِيَ محمد برباح ، قال : أين موسى ؟ قال : لا سبيل إليه ، والله لقد حدّثته إلى العراق . قال : فأرسل في أثره فردّه . قال : قد عهدت إلى الجند الذين معه إن رأوا أحداً مقبلاً من المدينة أن يقتلوه . قال : فقال محمد لأصحابه : من لي بموسى ؟ فقال ابن خضير : أنا لك به . قال : فانظر رجالاً ؛ فانتخب رجالاً ثم أقبل . قال : فوالله ما راعنا إلا وهو بين أيدينا ؛ كأنما أقبل من العراق ، فلما نظر إليه الجند قالوا : رسل أمير المؤمنين ، فلما خالطونا شهروا السلاح ، فأخذني القائد وأصحابه ، وأناخ بي وأطلقني من وثاق ، وشخص بي حتى أقدمني على محمد .

قال عمر : حدثني علي بن الجعد ، قال : كان أبو جعفر يكتب إلى محمد عن السن قواده يدعونه إلى الظهور ، ويخبرونه أنهم معه ؛ فكان محمد يقول : لو التقينا مال إلى القواد كلهم .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق . قال : لما أخذ محمد المدينة استعمل عليها عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، وعلى قضائها عبد العزيز بن المطلب بن عبد الله المخزومي ، وعلى الشرط أبا القلمس عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، وعلى ديوان العطاء عبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المِسْوَر بن نخرمة ، وبعث إلى ١٩٩/٣ محمد بن عبد العزيز : إني كنت لأظنك ستنصرنا ، وتقيم (١) معنا . فاعتذر إليه وقال : أفعل ؛ ثم انسل منه فأتى (٢) مكة .

قال : وحدثني إسماعيل بن إبراهيم بن هود ، قال : حدثني سعيد بن يحيى أبو سفيان الحميري ، قال : حدثني عبد الحميد بن جعفر ، قال : كنت على شرط محمد بن عبد الله حتى وجهني (٣) وجهاً ، وولى شرطه الزبير . قال : وحدثني أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : لم يتخلف عن محمد أحد من وجوه الناس إلا نفر ؛ منهم الضحالك بن عثمان بن عبد الله بن خالد بن حزام وعبد الله بن المنذر بن المغيرة بن عبد الله بن خالد بن حزام ، وأبو سلمة بن عبيد الله ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب وخشيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير .

قال : وحدثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدثني جدتي كلثم بنت وهب ، قالت : لما خرج محمد تنحى أهل المدينة ، فكان فيمن خرج زوجي عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير إلى البقيع ، فاخبتأت عند أسماء بنت حسن (٤) بن عبد الله بن عبد الله بن عباس . قالت : فكتب إلى عبد الوهاب بأبيات قالها ، فكتبت إليه :

رَحِمَ اللهُ شُباباً قاتلوا يومَ الثَّنيةِ (٥)

(١) ج وابن الأثير : « وتقوم » . (٢) ب : « وأتى » .
(٣) ج : « فوجهني » . (٤) ط ، « حسين » ؛ والصواب ما أثبتته من ت ، هـ .
(٥) مقاتل الطالبين ٢٤٩ .

قاتلوا عنه : بُنيًا تٌ وأحسابٌ نقيَّةٌ^(١)
فرُّ عنه النَّاسُ طُرًّا غيرَ خَيلٍ أسديَّةٍ

قالت (٢) : فزاد الناس :

٢٠٠/٣

قتَلَ الرَّحْمَنُ عيسى قَاتِلَ النَّفْسِ الرَّكِيَّةِ

قال : وحدَّثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن الحكم ابن سنان الحكمي أَخُو الْأَنْصَارِ ، قال : أَخْبَرَنِي غيرَ واحدٍ أَنَّ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ اسْتَفْتَى فِي الْخُرُوجِ مَعَ مُحَمَّدٍ ، وَقِيلَ لَهُ : إِنَّ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةَ الْأَبِيِّ جَعْفَرٍ ، فَقَالَ : إِنَّمَا بَايَعْتُمْ مَكْرَهِينَ ، وَلَيْسَ عَلَى كُلِّ مَكْرَهٍ يَمِينٌ . فَأَسْرَعَ النَّاسُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، وَلَزِمَ مَالِكُ بَيْتَهُ .

وحدَّثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدَّثني ابنُ أَبِي مُلَيْكَةَ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، قال : أُرْسِلَ مُحَمَّدٌ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ - وَقَدْ كَانَ بُلُغَ عُمُرٍ - فَدَعَاهُ مُحَمَّدٌ حِينَ خَرَجَ إِلَى الْبَيْعَةِ ، فَقَالَ : يَا بَنَ أَخِي ، أَنْتَ وَاللَّهِ مَقْتُولٌ ، فَكَيْفَ أَبَايَعُكَ ! فَارْتَدَّ النَّاسُ عَنْهُ قَلِيلًا ، وَكَانَ بَنُو مُعَاوِيَةَ قَدْ أَسْرَعُوا إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَأَتَتْهُ حَمَادَةُ بِنْتُ مُعَاوِيَةَ ، فَقَالَتْ : يَا عَمُّ ، إِنَّ إِخْوَتِي قَدْ أَسْرَعُوا إِلَى ابْنِ خَالِهِمْ ، وَلَئِنْكَ إِنْ قُلْتَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ثَبَّتَتْ عَنْهُ النَّاسُ ، فَيَقْتُلُ ابْنُ خَالِي وَإِخْوَتِي . قال : فَأَبَى الشَّيْخُ إِلَّا النَّهْيَ عَنْهُ ؛ فَيَقَالُ (٣) : إِنَّ حَمَادَةَ عَدَتْ عَلَيْهِ فَقَتَلَتْهُ ؛ فَأَرَادَ مُحَمَّدٌ الصَّلَاةَ عَلَيْهِ ، فَوُثِبَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، فَقَالَ : تَأْمُرُ بِقَتْلِ أَبِي ثُمَّ تَصَلِّي (٤) عَلَيْهِ ! فَفُتِحَ الْحَرَسُ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ . قال : وحدَّثني عيسى ، قال : حدَّثني أَبِي ، قال : أَتَى مُحَمَّدٌ بِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مَغْمُضًا عَيْنَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّ عَلِيَّ يَمِينًا إِنْ رَأَيْتَهُ لِأَقْتُلَنَّهُ . فقال عيسى بن زيد : دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَهُ ، فَكَنَمَهُ عَنْهُ مُحَمَّدٌ .

٢٠١/٣

قال : وحدَّثني أيوب بن عمر ، قال : حدَّثني محمد بن معن ، قال : حدَّثني محمد بن خالد القَسْرِيُّ ، قال : لما ظهر محمد وأنا في حَبَسِ ابْنِ

(١) ب ، هـ : « نقيَّة » .
(٢) ج : « قلت » .
(٣) ب : « فقال » .
(٤) ب : « وتصل » .

حيث أن أطلقني ؛ فلما سمعت دعوته التي دعا إليها على المنبر ، قلت : هذه دعوة حق ؛ والله لأبدين الله فيها بلاء حسناً ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، إنك قد خرجت في هذا ^(١) البلد ؛ والله لو وقف على نقيب من أنقابهم مات أهله جوعاً وعطشاً ؛ فانهض معي ؛ فلأنما هي عشر حتى أضربه بمائة ألف سيف . فأبى علي ؛ فأبى لعنده يوماً إذ قال لي : ما وجدنا من حرّ المتاع شيئاً أجود من شيء وجدناه عند ابن أبي فَرْوَة ، ختن أبي الحصيْب - وكان انتهبه - قال : فقلت : ألا أراك قد أبصرت حرّ المتاع ! فكُتبتُ إلى أمير المؤمنين فأخبرته بقلة مَنْ معه ، فعطف عليّ ، فحبسني حتى أطلقني عيسى بن موسى بعد قتله إياه .

قال : وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثتني أختي بربكة بنت عبد الحميد ، عن أبيها ، قال : إني لعند محمد يوماً ورجله في حجرى ؛ إذ دخل عليه خوات بن بكير بن خوات بن جببر ، فسلم عليه ، فردّ عليه سلاماً ليس بالقوى ، ثم دخل عليه شاب من قريش ، فسلم عليه فأحسن الردّ عليه ، فقلت : ما تدع عصيتك بعد ! قال : وما ذلك ^(٢) ؟ قلت : دخل عليك سيد الأنصار فسلم فرددت عليه ردّاً ضعيفاً ، ودخل عليك صعلوك من صعاليك قريش فسلم فاحتفلت في الردّ عليه ! فقال : ما فعلت ذاك ؛ ولكنك تفقدت منى ما لا يتفقد أحد من أحد .

قال : وحدثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : استعمل محمد الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر على مكة ، ووجهه معه القاسم بن إسحاق واستعمله على اليمن .

قال : وحدثني محمد بن إسماعيل عن أهله ، أن محمداً استعمل القاسم ابن إسحاق على اليمن وموسى بن عبد الله على الشام ، يدعوان إليه ؛ فقتل قبل أن يصل .

قال : وحدثني أزهر بن سعيد ، قال : استعمل محمد حين ظهر عبد العزيز ابن الدراوردي على السلاح .

قال : وأخبرني محمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زبالة وغيرهما ، قالوا (١) :
 لما ظهر محمد ، قال ابن هـ رمة - وقد أنشد بعضهم ما لم ينشد غيره لأبي جعفر :
 غلبت على الخلافة من تمنى ومناه المفضل بها الضلوع
 فأهلك نفسه سفها وجبنا ولم يقسم له منها فتيل
 ووازره ذوو طمع فكادوا غداء السيل يجمعه السيول
 دعوا إبليس إذ كذبوا وجاروا (٢) فلم يضريحهم المغوى الخدول
 وكانوا أهل طاعته فولى وسار وراءه منهم قبيل (٣)
 وهم لم يقصروا فيها بحق على أثر المفضل ولم يطيلوا
 وما الناس احتبوك بها ولكن حبأك بذلك الملك الجليل
 تراث محمد لكم وكنتم أصول الحق إذ نفى الأصول (٤)

٢٠٣/٣

قال : وحدثنى محمود بن معمر بن أبي الشدائد لما ظهر محمد وتوجه إليه عيسى :
 ابن حيان الكلابي ، قال : قال أبو الشدائد لما ظهر محمد وتوجه إليه عيسى :
 أنتك النجائب والمقربات بعيسى بن موسى فلا تعجل
 قال : وحدثنى عيسى ، قال : كان محمد آدم شديد الأدمة ، أدم (٥) جسيما
 عظيما ؛ وكان يلقب القاري من أدمته ، حتى كان أبو جعفر يدعوه محمدا .
 قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني إبراهيم بن زياد بن عنبسة ،
 قال : ما رأيت محمدا رقي المنبر قط إلا سمعت بقعقة من تحته ؛ وإني
 ليمكاني ذلك .

قال : وحدثنى عبد الله بن عمر بن حبيب ، قال : حدثني من حضر
 محمدا على المنبر يخطب ؛ فاعترض بكتف في حلقه فتنحج ، فذهب ثم
 عاد فتنحج ، فذهب ثم عاد فتنحج ، ثم عاد فتنحج ثم نظر فلم ير موضعا ؛
 فرمى بنخامته سقف المسجد فألصقها به .

(١) ط : « قال » ، وما أثبتته من ت . (٢) ب ، ت : « إذ كربوا » .

(٣) كذا في ب ، ت ، ه ، وهو الصواب ، وفي ط : « وصار » .

(٤) ج : « إذ بقى » . (٥) الأدم : الشديد السواد من الرجال .

قال : وحدثنى عبد الله بن نافع ، قال : حدثني إبراهيم بن عليّ من آل أبي رافع ، قال : كان محمد تتماماً ، فرأيتُه على المنبر يتلجلج الكلام في صدره ، فيضرب بيده على صدره ، ويستخرج الكلام .

قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني أبي ، قال : دخل عيسى بن موسى يوماً على أبي جعفر ، فقال : سرّك الله يا أمير المؤمنين ! قال : فيم ؟ ٢٠٤/٣
قال : ابتعتُ وجه دار عبد الله بن جعفر من بني معاوية ؛ حسن ويزيد وصالح ، قال أنفرح ! أما والله ما باعوها إلّا ليشبوا عليك بشمنها .

قال : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمران عن محمد بن عبد العزيز عن عبد الله بن الربيع بن عبيد الله بن عبد المدان بن عبيد الله ، قال : خرج محمد بالمدينة ، وقد خطّ المنصور مدينته بغداد بالقصب ، فسار إلى الكوفة وسرّتُ معه ، فصيّح بي فلحقته ، فصمت طويلاً ثم قال : يابن الربيع ، خرج محمد ، قلت : أين ؟ قال : بالمدينة ، قلت : هلك والله وأهلك ؟ خرج والله في غير عدد ولا رجال يا أمير المؤمنين ؛ ألا أحدثك حديثاً حدثنيهِ سعيد بن عمرو بن جعدة المخزومي ؟ قال : كنت مع مروان يوم الزّاب واقفاً ، فقال : يا سعيد ، من هذا الذي يقاتلني ^(١) في هذه الخيل ؟ قلت : عبد الله ابن عليّ بن عبد الله بن عباس ، قال : أيّهم هو ؟ عرّفه ، قلت : نعم ، رجل أصفر حسن الوجه رقيق الذراعين ، رجل دخل عليك يشتم عبد الله بن معاوية حين هزم ؛ قال : قد عرفته ، والله لوددت أن عليّ بن أبي طالب يقاتلني مكانه ؛ إن عليّاً وولده لا حظّ لهم في هذا الأمر ؛ وهذا رجل من بني هاشم وابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عباس ، معه ريح الشّام ونصر الشّام . يابن جعدة ، تدري ما حملني على أن عقدتُ لعبد الله وعبيد الله ابني مروان ، وتركتُ عبد الملك وهو أكبر من عبيد الله ؟ قلت : لا ، قال : ٢٠٥/٣
وجدتُ الذي يلي هذا الأمر عبد الله ؛ وكان عبيد الله أقرب إلى عبد الله من عبد الملك ؛ فعقدتُ له . فقال : أنشدك الله ! أحدثك هذا ابن جعدة ! قلت : ابنة سفيان بن معاوية طالق البتّة إن لم يكن حدثني ما حدثتك .

قال عمر : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : خرج إلى أبي جعفر في الليلة التي ظهر فيها محمد رجل من آل أويس ابن أبي سرح من بني عامر بن لؤي ، فسار تسعاً من المدينة ، فقدم ليلاً ، فقام على أبواب المدينة ، فصاح حتى نذّره ، فأدخل ، فقال له الربيع : ما حاجتك هذه الساعة وأمير المؤمنين نائم ! قال : لا بدّ لي منه ، قال : أعلمنا نعلمه ، فأبى ، فدخل الربيع عليه فأعلمه ، فقال : سلّه عن حاجته ثم أعلمني ؛ قال : قد أبى الرجل إلا مشافهتك . فأذن له ، فدخل عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، خرج محمد بن عبد الله بالمدينة ، قال : قتله والله إن كنت صادقاً ! أخبرني منّ معه ؟ فسمّي له منّ خرج معه من وجوه أهل المدينة وأهل بيته ، قال : أنت رأيته وعايته ؟ قال : أنا رأيته وعايته وكلمته على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً . فأدخله أبو جعفر بيتاً ، فلما أصبح جاءه رسول لسعيد بن دينار ؛ غلام عيسى بن موسى كان يلى أموال عيسى بالمدينة ، فأخبره بأمر محمد ، وتواترت عليه أخباره ، فأخرج الأويسى فقال : لأوطنن الرجال عقيبك ولأغنيك ؛ وأمر له بتسعة آلاف ، لكل ليلة سارها ألفاً .

٢٠٦/٣

قال : وحدّثني ابن أبي حرب ، قال : لما بلغ أبا جعفر ظهوره أشفق منه ؛ فجعل الحارث^(١) المنجّم يقول له : يا أمير المؤمنين ، ما يجزئك منه ! فوالله لو ملك الأرض ما لبث إلا تسعين يوماً .

قال : وحدّثني سهل بن عقيل بن إسماعيل ، عن أبيه ، قال : لما بلغ أبا جعفر خبره بادر إلى الكوفة ، وقال : أنا أبو جعفر ؛ استخرجت الثعلب من جحره .

قال : وحدّثني عبد الملك بن سليمان ، عن حبيب بن مرزوق ، قال : حدّثني تسنيم بن الحواري ، قال : لما ظهر محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، أرسل أبو جعفر إلى عبد الله بن عليّ وهو محبوس عنده : إن هذا الرجل قد خرج ؛ فإن كان عندك رأى فأشّر به علينا - وكان ذا رأى عندهم - فقال :

(١) ت وابن الأثير : « الحارث » .

إنّ المحبوس محبوس الرأى ، فأخرجنى حتى يخرج رأى ؛ فأرسل إليه أبو جعفر :
 لوجأنى حتى يضرب بابى ما أخرجتك ؛ وأنا خير لك منه ، وهو مُلْكُ أهل
 بيتك . فأرسل إليه عبد الله : ارتحل الساعة حتى تأتى الكوفة ، فاجتمع على
 أكبادهم ؛ فإنهم شيعة أهل هذا البيت وأنصارهم ، ثم احفّفها بالمسالح ؛ فمن
 خرج منها إلى وجه من الوجوه أو أتاها من وجه من الوجوه فاضرب عنقه ؛
 وابعث إلى سكّمْ بن قتيبة ينحدر عليك — وكان بالرّى — واكتب إلى أهل
 الشام فمرهم أن يحملوا إليك من أهل البأس والنجدة ما يحمل البريد ، فأحسِن^{٢٠٧/٣}
 جوائزهم ، ووجههم مع سكّمْ . ففعل .

قال : وحدّثنى العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد ، قال : سمعتُ
 أسيّاخنا يقولون : لما ظهر محمد ظهر وعبد الله بن علىّ محبوس ، فقال أبو جعفر
 لإخوته : إن هذا الأحمق لا يزال يطّلع له الرأى الجليّد فى الحرب ؛ فادخلوا
 عليه فشاوروه ولا تُعلموه أنى أمرتكم . فدخلوا عليه ، فلما رآهم قال : لأمر
 ما جئتم ؛ ما جاء بكم جميعاً وقد هجرتمنى منذ دهر ! قالوا : استأذننا
 أمير المؤمنين فأذن لنا ، قال : ليس هذا بشىء ؛ فما الخبر ؟ قالوا : خرج
 ابن عبد الله ، قال : فأترون ابن سلامة صانعاً ؟ يعنى أبا جعفر — قالوا :
 لاندري والله ، قال : إنّ البخل قد قتله ، فروه فليُخرج الأموال ، فليُعط
 الأجناد ، فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه ماله ، وإن غلب لم يقدم صاحبه
 على درهم واحد .

قال : وحدّثنا عبد الملك بن شيبان ، قال : أخبرنى زيد مولى مسمع بن
 عبد الملك ، قال : لما ظهر محمد دعا أبو جعفر عيسى بن موسى ، فقال له :
 قد ظهر محمد فسرّ إليه ، قال : يا أمير المؤمنين ؛ هؤلاء عمومتك حولك ، فادعهم
 فشاورهم ، قال : فأين قول ابن هرمة :

تروُن امرأً لا يُمَحِّضُ القومَ سرّه ولا يَنْتَجِي الأذنين فيما يحاولُ
 إذا ما أتى شيئاً مضى كالذى أبى وإن قال إني فاعِلٌ فهو فاعِلُ

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : نسختُ هذه الرسائل من محمد

٢٠٨/٣ ابن بشير ؛ وكان بشير يصححها ؛ وحدَّثنيها أبو عبد الرحمن من كُتَّاب أهل العراق والحكم بن صدقة بن نزار ، سمعت ابن أبي حرب يصححها ؛ ويزعم أن رسالة محمد لما وردت على أبي جعفر ، قال أبو أيوب : دعني أجبه عليها ، فقال أبو جعفر : لا بل أنا أجيبه عنها ؛ إذ تقارعنا على الأحساب فدعني ^(١) وإياه .

قالوا : لما بلغ أبا جعفر المنصور ظهور محمد بن عبد الله المدينة كتب إليه :

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين ، إلى محمد بن عبد الله : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۚ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ ^(٢) ولك على عهد الله وميثاقه وذمته ورسوله صلى الله عليه وسلم إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أن ^(٣) أؤمنك وجميع ولدك وإخوتك وأهل بيتك ومن اتبعكم على دماءكم وأموالكم ^(٤) ، وأسوغك ما أصبت من دم أو مال ، وأعطيك ألف ألف درهم ، وما سألت من الخواص ، وأنزلتك من البلاد حيث شئت ، وأن أطلق من حبسى من أهل بيتك ، وأن أؤمن كل من جاءك وبايعك واتبعك ، أو دخل معك في شيء من أمرك ، ثم لا أتبع أحدا منهم بشيء كان منه أبدا . فإن أردت ^(٥) أن تتوثق لنفسك ، فوجهه إلى من أحببت ^(٥) يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق ما تنق به .

وكتب على العنوان : من عبد الله عبد الله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبد الله . فكتب إليه محمد بن عبد الله :

(١) ج : « دعني » .
(٢) سورة المائدة ٣٣ ، ٣٤ .
(٣ - ٢) الكامل : « أن أؤمنك على نفسك ولولدك وإخوتك ومن بايعك وتابعك وجميع شيعتك » .
(٤) الكامل : « فإن شئت » .
(٥) الكامل : « ما أحببت » .

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله المهدى محمد بن عبد الله إلى عبد الله بن محمد : ﴿ طَسَمَ * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمكنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ (١) . وأنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي (٢) عرضت على ، فإن الحق حَقٌّ ؛ وإنما ادعيت هذا الأمر بنا ، وخرجتم (٣) له بشيعتنا ، وحظيتم (٤) بفضلنا ؛ وإن (٥) أبانا علياً كان الوصي وكان الإمام ؛ فكيف ورثتم ولايته وولده أحياء ! ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحدٌ له مثل نسبنا وشرفنا وحالنا وشرف آبائنا ؛ لسنا من أبناء اللعناء ولا الطرداء ولا الطلقاء ، وليس يمت (٦) أحدٌ من بني هاشم بمثل الذي نمت به من القرابة والسابقة والفضل ؛ وإنا بنو أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة بنت عمرو في الجاهلية وبنو بنته فاطمة في الإسلام دونكم . إن الله اختارنا واختار لنا ؛ فوالدنا من النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن نُسب توّهم لإسلاماً على ، ومن الأزواج أفضلهنّ خديجة الطاهرة ، وأول مَنْ صالّى القبلة ، ومن البنات خيرهنّ فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ، ومن المولودين في الإسلام حسن وحسين سيّدا شباب أهل الجنة ؛ وإنّ هاشماً ولد عليّاً مرتين (٧) ؛ وإن عبد المطلب ولد حسناً مرتين (٨) ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدني مرتين من قبل حسن وحسين ؛ وإني أوسط بني هاشم

(١) سورة القصص ١ - ٥ . (٢) ب : « ما » ، ابن الأثير : « مثل ما » .

(٣) الكامل : « ونهضم » . (٤) الكامل : « وخبطتموه » .

(٥) ب وابن الأثير : « فإن » . (٦) يمت ، أي يتوصل ، وبمدها في الكامل : « دونكم » .

(٧) يعني على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، وعلياً زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب .

(٨) من . جده وأبا جده ؛ فهو محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب .

نسباً ، وأصرحهم أباً ، لم تعرق في العجم^(١) ، ولم تنازع في أمهات الأولاد ؛ فما زال الله يختار لي الآباء والأمهات في الجاهلية والإسلام حتى اختار لي في النار ؛ فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة ، وأهونهم عذاباً في النار^(٢) ، وأنا ابن خير الأخيار ، وابن خير الأشرار ، وابن خير أهل الجنة ، وابن خير أهل النار . ولك الله على أن دخلت في طاعتي ، وأجبت دعوتي أن أؤمّنك على نفسك ومالك ؛ وعلى كل أمر أحدثته ؛ إلا حداً من حدود الله أو حقاً لمسلم أو معاهد ؛ فقد علمت ما يلزمك من ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك وأوفى بالعهد ؛ لأنك أعطيتني من العهد والأمان ما أعطيته رجلاً قبلي ؛ فأى الأمانات تعطيني ! أمان ابن هبيرة ، أم أمان عمك عبد الله بن علي ، أم أمان أبي مسلم^(٣) !

٢١١/٣

فكتب إليه أبو جعفر :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد ، فقد بلغني كلامك ، وقرأت كتابك ، فإذا جل فحرك بقرابة النساء ؛ لتضل به الحفّة والغوغاء ؛ ولم يجعل الله النساء كالعُمومة والآباء ، ولا كالعصبة والأولياء ؛ لأن الله جعل العمّ أباً ، وبدأ به في كتابه على الوالدة الدنيا^(٤) . ولو كان اختيار الله لمن على قدر قرابتهن كانت آمنة أقربهن رحيمًا ، وأعظمهن حقًا ؛ وأول من يدخل الجنة غداً ؛ ولكن اختيار الله لخلق على علمه لما مضى منهم ، واصطفائه لهم .

وأما ما ذكرت من فاطمة أمّ أبي طالب ولادتها ؛ فإن الله لم يرزق أحداً من ولدها^(٥) إلا سلام لا بنتاً ولا ابنًا ؛ ولو أن أحداً رزق الإسلام بالقرابة رزقه

(١) يمرض بالمنصور ؛ وكانت أمه أم ولد يقال لها سلامة بربرية ؛ انظر مروج الذهب

٢ : ٢٩٤ . (٢) يعنى جده أبا طالب .

(٣) كامل المبرد ٤ : ١١٣ - ١١٦ .

(٤) الكامل : « الوالد الأدنى » ، وبعدها هناك : « فقال جل ثناؤه عن نبيه يوسف عليه

السلام ؛ « وَاتَّبَعَتْ مَلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ » .

(٥) ذكر الطبري أن أولادها هم : « عبد الله أبو رسول الله ، والزبير ، وعبد الكعبة ،

وعاتكة ، وبرة ، وأميمة ، ولد عبد المطلب إخوة ، وأمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو » .

عبد الله أو لاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ؛ ولكن الأمر لله يختارُ لدينه من يشاء ؛ قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ^(١) ؛ ولقد بعث الله محمداً عليه السلام وله ٢١٢/٣ عمومة أربعة ، فأُنزل الله عز وجل : ﴿ وَأَنْزِلْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ^(٢) .
فأنذرهم ودعاهم ، فأجاب اثنان أحدهما أبي ، وأبى اثنان أحدهما أبوك ؛ ففقطع الله ولايتهما منه ؛ ولم يجعل بينه وبينهما إلا ولا ذمة ولا ميراثاً . وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذاباً وابن خير الأشرار ؛ وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا يسير ؛ وليس في الشر خيار ؛ ولا ينبغي لمؤمن يؤمن بالله أن يفخر بالنار ، وسترد فتعلم ، ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ ^(٣)

وأما ما فخرت به من فاطمة أم علي وأن هاشماً ولده مرتين ، ومن فاطمة أم حسن ، وأن عبد المطلب ولده مرتين ؛ وأن النبي صلى الله عليه وسلم ولدك مرتين ؛ فخير للأولين والآخرين رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلد هاشم إلا مرة ولا عبد المطلب إلا مرة .

وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً ، وأصرحهم أمماً وأباً ؛ وأنه لم تلدك العجم ولم تعرق فيك أمهات الأولاد ؛ فقد رأيتك فخرت على بني هاشم طراً ؛ فانظر ويحك أين أنت من الله غداً ! فإنك قد تعديت طورك ، وفخرت على من هو خير منك نفساً وأباً وأولاً وآخرأ ، إبراهيم ^(٤) بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى والد ولده ؛ وما خيار بني أبيك خاصة وأهل الفضل منهم إلا بنو أمهات أولاد ، وما وُلد فيكم بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من علي ^(٥) ابن حسين ؛ وهو لأم ولد ؛ وهو خير من جدك حسن بن حسن ؛ وما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي ، وجدته أم ولد ؛ وهو خير من أبيك ،

(٢) سورة الشعراء ٢١٤ .

(١) سورة القصص ٥٦ .

(٣) سورة الشعراء ٢٢٧ .

(٤) أم إبراهيم مارية التي أهداها المقوقس عظيم القبط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٥) أم علي زين العابدين ؛ سبية من بنات يزيد جرد . وانظر ابن خلكان ١ : ٣٢٠ .

ولاً مثلُ ابنه جعفر وجدته أم ولد ؛ وهو خيرٌ منك .
 وأما قولك : إنكم بنو رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن الله تعالى يقول
 في كتابه : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ (١) ، ولكنكم
 بنو ابنته ؛ وإنها لقربة قريبة ؛ ولكنها لا تحوز الميراث ، ولا ترث الولاية ،
 ولا تجوز لها الإمامة ؛ فكيف تورث بها ! ولقد طلبها أبوك بكل وجه
 فأخرجها (٢) نهاراً ، ومَرَّضها سرّاً ، ودفنها ليلاً ؛ فأبى الناس إلا الشيخين
 وتفضيلهما ؛ ولقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين أن الجدة
 أبا الأم والخال والخالة لا يرثون (٣) .

وأما ما فخرت به من عليّ وسابقتها ، فقد حضرت رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الوفاة ، فأمر غيره بالصلاة ، ثم أخذ الناس رجلاً بعد رجل فلم يأخذوه ؛
 وكان في الستة فتركوه كلهم دفعاً له عنها ، ولم يروا له حقاً فيها ؛ أما عبد الرحمن
 فقد تم عليه عثمان ، وقتل عثمان وهو له متهم ، وقتله طلحة والزبير ، وأبى سعد
 بيعته ، وأغلق دونه بابه ، ثم بايع معاوية بعده . ثم طلبها بكل وجه وقاتل
 عليها ، وتفرق عنه أصحابه ، وشكّ فيه شيعته قبل الحكومة ، ثم حكّم
 حكمين رضى بهما ، وأعطاهما عهده وميثاقه ، فاجتمعا على خلعه . ثم كان
 حسن فباعها من معاوية بخرق ودرهم ولحق بالحجاز ؛ وأسلم شيعته بيد معاوية
 ودفع الأمر إلى غير أهله ؛ وأخذ مالا من غير ولائه (٤) ولا حيلة ؛ فإن كان
 لكم فيها شيء فقد بعتموه وأخذتم ثمنه . ثم خرج عمك حسين بن عليّ علي
 ابن مَرْجانة (٥) ، فكان الناس معه عليه حتى قتلوه ، وأتوا برأسه إليه ، ثم
 خرجتم على بنى أمية ، فقتلوكم وصلّبوكم على جذوع النخل ، وأحرقوكم
 بالنيران ، ونفّوكم من البلدان ؛ حتى قتل يحيى بن زيد بخراسان ؛ وقتلوا
 رجالكم وأسروا الصبيّة والنساء ، وحملوهم بلا وطاء في المحافل (٦) كالسبى

٢١٤/٣

(١) سورة الأحزاب ٤٠ . (٢) ابن الأثير : « فأخرج فاطمة » .

(٣) ابن الأثير : « يورثون » . (٤) ب : « ولاته » ، ج وابن الأثير : « ولاية » .

(٥) هو عبيد الله بن زياد ، ومَرْجانة أمه .

(٦) الزطاء : المهاد الوطى . والمحمل : شقان على البعير ؛ يحمل فيهما العديلان ؛ وجمعه محامل . في الكامل : « ثم أتوا بكم على الأقتاب من غير أوطنة كالسبي المحلوب » .

المجلوب إلى الشام ؛ حتى خرجنا عليهم فطلبنا بثأركم ، وأدركنا بدمائكم وأورثناكم أرضهم وديارهم ، وسنينا سلفكم وفضلنا ، فاتخذت ذلك علينا حجة .

وظننت أنا إنما ذكرنا أباك وفضلنا للتقدمة منا له على حمزة والعباس وجعفر ؛ وليس ذلك كما ظننت ؛ ولكن خرج هؤلاء من الدنيا سالمين ، متسلماً منهم ، مجتمعاً عليهم بالفضل ، وابتلى أبوك بالقتال والحرب ؛ وكانت بنو أمية تلغنه كما تلغ الكفرة في الصلاة المكتوبة ، فاحتججنا له ، وذكرناهم فضله ، وعنفناهم وظلمناهم بما نالوا منه . ولقد علمت أن مكرمتنا في الجاهلية سقاية الحجيج ^(١) الأعظم ، وولاية زمزم ؛ فصارت للعباس من بين إخوته ؛ فنازعنا فيها أبوك ، فقضى لنا عليه عمر ، فلم نزل نليها في الجاهلية والإسلام ؛ ولقد قحط أهل المدينة فلم يتوسل عمر إلى ربه ولم يتقرب إليه إلا بأبينا ، حتى نعشهم ^(٢) الله وسقاهم الغيث ، وأبوك حاضر لم يتوسل به ؛ ولقد علمت أنه لم يبق أحد من بني عبد المطلب بعد النبي صلى الله عليه وسلم غيره ؛ فكان وراثته من عمومته ، ثم طلب هذا الأمر غير واحد من بني هاشم فلم ينسكه إلا ولده ؛ فالسقاية سقايته وميراث النبي له ، والخلافة في ولده ، فلم يبق شرف ولا فضل في جاهلية ولا إسلام ^(٣) في دنيا ولا آخرة إلا للعباس وأثرته ومورثه .

وأما ما ذكرت من بدد ؛ فإن الإسلام جاء والعباس يemon أبا طالب وعياله ، وينفق عليهم للأزمة التي أصابته ؛ ولولا أن العباس أخرج إلى بدر كارهاً ^(٤) لمات طالب وعقيل جوعاً ، وللعسا جفان عتبة وشيبة ؛ ولكنه كان من المطعمين ، فأذهب عنكم العار والسبة ، وكفاكم النفقة والمؤونة ، ثم فدى عقيل يوم بدر ؛ فكيف تفخر علينا وقد علمناكم في الكفر ، وفديناكم من الأسر ، وحزنا عليكم مكارم الآباء ، وورثنا دونكم خاتم الأنبياء ، وطلبنا بثأركم فأدركنا ^(٥) منه ما عجزتم عنه ؛ ولم تدركوا لأنفسكم ! والسلام عليك ورحمة الله ^(٦) .

(١) ابن الأثير : « الحاج » .

(٢) ابن الأثير : « يشبه » .

(٣) ج : « الجاهلية والإسلام » . (٤) ج : « كرهاً » .

(٥) ج : « وأدركنا » .

(٦) كامل المبرد ٤ : ١١٦ - ١٢٠ .

قال عمر بن شبة : حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : أجمع ابن القسري على الغدر بمحمد ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، ابعث موسى بن عبد الله ومعه رزاماً مولائى إلى الشام يدعوان إليك . ٢١٦/٣

فبعثهما فخرج رزام بموسى إلى الشام ، وظهر محمد على أن القسري كتب إلى أبي جعفر في أمره ، فحبسه في نفر ممن كان معه في دار ابن هشام التي في قبلة مصلى الجنائز - وهي اليوم لفرج الخصى - وورد رزام بموسى الشام ، ثم انسل منه ، فذهب إلى أبي جعفر ، فكتب موسى إلى محمد : إني أخبرك أني لقيت الشام وأهله ، فكان أحسنهم قولاً الذي قال : والله لقد مللنا البلاء ، وضيقنا به ذرعاً ؛ حتى ما فينا لهذا الأمر موضع ، ولا لنا به حاجة ؛ ومنهم طائفة تحلف : لئن أصبحنا من ليلتنا أو مستينا من غد ليرفعن أمرنا وليدلن علينا ؛ فكتب إليك وقد غيبت وجهي ، وخفت على نفسي . قال الحارث : ويقال إن موسى ورزاماً وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن بن المسور توجهوا إلى الشام في جماعة ؛ فلما ساروا بتيّماء ، تخلف رزام ليشتري لهم زاداً ، فركب إلى العراق ، ورجع موسى وأصحابه إلى المدينة .

قال : وحدثني عيسى ، قال : حدثني موسى بن عبد الله ببغداد ورزام معنا ، قال : بعثني محمد ورزاماً في رجال معنا إلى الشام ، لندعوه ؛ فلما لبسوا مئة الجنادل ؛ إذ أصابنا حرٌّ شديد ؛ فتنزلنا عن رواحلنا نغتسل في غدير ، فاستل رزام سيفه ، ثم وقف على رأسي ، وقال : يا موسى ، أرايت لو ضربت عنقك ثم مضيت^(١) برأسك إلى أبي جعفر ؛ أ يكون أحد عنده في منزلي ! قال : قلت لا تدع هزلك يا أبا قيس ! ثم سيفك غفر الله لك . ٢١٧/٣

قال : فشام سيفه ، فركبنا . قال عيسى : فرجع موسى قبل أن يصل إلى الشام ، فأتى البصرة هو وعثمان بن محمد ، فدُلَّ عليهما ، فأخذوا .

قال : وحدثني عبد الله بن نافع بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، قال : حدثني أخى عبد الله بن نافع الأكبر ، قال : لما ظهر محمد لم يأتني أبي نافع ابن ثابت ، فأرسل إليه ، فأتاه وهو في دار مروان ، فقال : يا أبا عبد الله ،

لم أراك جثتنا ! قال : ليس في ما تريد ، فألح عليه محمد ؛ حتى قال : البس السلاح يتأس بك غيرك ، فقال : أيها الرجل ؛ إني والله ما أراك في شيء ؛ خرجت في بلد ليس فيه مال ولا رجال ولا كُراع ولا سلاح ؛ وما أنا بمهلك نفسي معك ، ولا معين على دمي . قال : انصرف ؛ فلا شيء فيك بعد هذا . قال : فكثت يختلف إلى المسجد إلى أن قُتِل محمد ، فلم يصل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم قُتل إلا نافع وحده .

وجه محمد بن عبد الله لما ظهر — فيما ذكر عمر عن أزهر بن سعيد بن نافع — الحسن بن معاوية إلى مكة عاملاً عليها ، ومعه العباس بن القاسم — رجل من آل أبي لُب — فلم يشعر بهم السريّ بن عبد الله حتى دنوا من مكة ، فخرج إليهم ، فقال له مولاة : ما رأيك ؟ قد دنونا منهم ، قال : انهزموا على بركة الله ، وموعدكم بئر ميمون . فانهزموا ؛ ودخلها الحسن بن معاوية . وخرج الحسين بن صخر — رجل من آل أويس — من ليلته ، فسار إلى أبي جعفر تسعاً فأخبره فقال : « قد أنصف القارة من راماها » (١) ، وأجازه بثلاثمائة درهم .

قال : وحدّثني أيوب بن عمر ، قال : حدّثني محمد بن صالح بن معاوية ، قال : حدّثني أبي ، قال : كنت عند محمد حين عقد للحسن بن معاوية على مكة ، فقال له الحسن : رأيت إن التحم القتال بيننا وبينهم ، ما ترى في السريّ؟ قال : يا حسن ، إن السريّ لم يزل مجتنباً لما كرهنا ، كارهياً للذي صنع أبو جعفر ؛ فإن ظفرت به فلا تقتله ؛ ولا تحركن له أهلاً ، ولا تأخذن له متاعاً ، وإن تنحى فلا تطلبن له أثراً . قال : فقال له الحسن : يا أمير المؤمنين ، ما كنت أحسبك تقول هذا في أحد من آل العباس ، قال : بلى ، إن السريّ لم يزل ساخطاً لما صنع أبو جعفر .

قال : وحدّثني عمر بن راشد مولى عَنَج ، قال : كنت بمكة ، فبعث

(١) مثل ، والقارة : قبيلة من عضل ؛ وكانوا من رماة العرب .

إلينا محمد حين ظهر الحسن بن معاوية والقاسم بن إسحاق ومحمد بن عبد الله ابن عنبسة يدعى أبا جبرة، أميرهم الحسن بن معاوية؛ فبعث إليهم السري بن عبد الله كاتبه مسكين بن هلال في ألف، ومولى له يدعى مسكين بن نافع في ألف، ورجلا من أهل مكة يقال له ابن فرس - وكان شجاعاً - في سبعمائة، وأعطاه خمسمائة دينار، فالتقوا ببطن أذاخر بين الثنيتين وهي الثنية التي تهبط على ذى طوى، منها هبط النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى مكة، وهي داخلة في الحرم، فتراسلوا فأرسل حسن إلى السري أن خل بيننا وبين مكة، ولا تهريقوا الدماء في حرم الله. وحلف الرسولان للسري: ما جئناك حتى مات أبو جعفر. فقال لهما السري: وعلى مثل ما حلفنا به؛ إن كانت مضت لي أربعة؛ منذ جاءني رسول من عند أمير المؤمنين، فأنتظروني أربع ليال؛ فلما أنتظر رسولاً لي آخر، وعلى ما يصلحكم، ويصلح دوابكم، فإن يكن ما تقولونه حقاً سلمتها إليكم؛ وإن يكن باطلاً أجاهدكم حتى تغلبوني أو أغلبكم؛ فأبى الحسن، وقال: لا نبرح حتى نناجزك، ومع الحسن سبعون رجلاً وسبعة من الخيل، فلما دنوا منه، قال لهم الحسن: لا يقدر من أحد منكم حتى ينفخ في البوق^(١)؛ فإذا نفخ فلتكن حملتكم حملة رجل واحد. فلما رهقناهم وخشى الحسن أن يغشاه وأصحابه، ناداه: انفخ ويحك في البوق! فنفخ ووثبوا وحملوا علينا حملة رجل واحد. فانهزم أصحاب السري، وقتل منهم سبعة نفر. قال: وإطلع عليهم بفرسان من أصحابه وهم من وراء الثنية في نفر من قریش قد خرج بهم، وأخذ عليهم لينصروا، فلما رآهم القرشيون قالوا: هؤلاء أصحابك قد انهزموا، قال: لا تعجلوا، إلى أن طلعت الخيل والرجال في الجبال؛ فقليل له: ما بقي؟ فقال: انهزموا على بركة الله، فانهزموا حتى دخلوا دار الإمارة، وطرحوا أداة الحرب، وتسوروا على رجل من الجند بيكني أبا الرزام. فدخلوا بيته فكانوا فيه. ودخل الحسن بن معاوية المسجد، فخطب الناس ونعى إليهم أبا جعفر ودعا لمحمد.

٢١٩/٣

٢٢٠/٣

قال: وحديثي يعقوب بن القاسم، قال: حدثني الغمر بن حمزة بن أبي رملة، مولى العباس بن عبد المطلب، قال: لما أخذ الحسن بن معاوية

(١) م: «وتتروا في البوق»، والصواب ما أثبتته من ت، ه.

مكة ، وفرّ السريّ بلغ الخبر أبا جعفر ، فقال : لهفّى على ابن أبي العَصَل .

قال : وحدثني ابن أبي مُساور بن عبد الله بن مساور مولى بني نائلة من بني عبد الله بن مُعَيْص ، قال : كنت بمكة مع السريّ بن عبد الله ، فقدم عليه الحسن بن معاوية قبل مخرج محمد - والسريّ يومئذ بالطائف وخليفته بمكة ابن سُراقَة من بني عدى بن كعب - قال : فاستعدى عتبة بن أبي خدّاش اللّهبيّ على الحسن بن معاوية في دين عليه فحبسه ، فكتب له السريّ إلى ابن أبي خدّاش : أما بعد فقد أخطأت حظك ، وساء نظرك لنفسك حين تحبس ابن معاوية ؛ وإنما أصبت المال من أخيه . وكتب إلى ابن سُراقَة يأمره بتخليته ، وكتب إلى ابن معاوية يأمره بالمقام إلى أن يقدم فيقضى عنه . قال : فلم يلبث أن ظهر محمد ، فشخص إليه الحسن بن معاوية عاملاً على مكة ، فقبل للسريّ : هذا ابن معاوية قد أقبل إليك ، قال : كلاّ ما يفعل وبلائي عنده [بلائي] ^(١) ، وكيف يخرج إلى أهل المدينة ! فوالله ما بها دار إلا وقد دخلها لي معروف ، فقبل له : قد نزل فجاء . قال : فشخص إليه ابن جريج ، فقال له : أيها الرجل ، إنك والله ما أنت بواصل إلى مكة وقد اجتمع أهلها مع السريّ ، أتراك قاهراً قريشاً وغاصبها على دارها ! قال : يابن الحائك ، أبأهل مكة تخوفني ! والله ما آيت إلا بها أو أموت دونها . ثم وثب في أصحابه ، وأقبل إليه السريّ ، فلقية بفتح ، فضرب رجل من أصحاب الحسن مسكين بن ٢٢١/٣ هلال كاتب السريّ على رأسه فشجّه ، فانهزم السريّ وأصحابه ، فدخلوا مكة ، والتفت أبو الرزّام - رجل من بني عبد الدار ثم أحد آل شيبه - على السريّ ، فواراه في بيته ، ودخل الحسن مكة . ثم إن الحسن أقام بمكة يسيراً ، ثم ورد كتاب محمد عليه يأمره باللاحاق به .

وذكر عمر عن عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : سمعت من لا أحصى من أصحابنا يذكر أن الحسن والقاسم لما أخذوا مكة ، تجهّزوا وجمعوا جمعاً كثيراً ، ثم أقبلوا يريدان محمداً ونصّرتهم على عيسى بن موسى ؛ واستخلفا على مكة رجلاً من الأنصار ؛ فلما كانا بقُدَيْد لقيهما قتل محمد ، ففترقا

الناس عنهما ، وأخذ الحسن على بسقة - وهي حرّة في الرمل تدعى بسقة قديد - فلحق إبراهيم ؛ فلم يزل مقيماً بالبصرة حتى قُتل إبراهيم . وخرج القاسم بن إسحاق يريد إبراهيم ؛ فلما كان ببيدع من أرض فندك ، لقيه قتل إبراهيم ، فرجع إلى المدينة ، فلم يزل مخفياً حتى أخذت ابنة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر زوجة عيسى بن موسى ، له وإخوته الأمان فظهر^(١) بنو معاوية ، وظهر القاسم .

قال : وحدثني عمر بن راشد مولى عنج ، قال : لما ظهر الحسن بن معاوية على السرى أقام قليلاً حتى أتاه كتاب محمد يأمره بالشخص إليه ؛ ويخبره أن عيسى قد دنا من المدينة ، ويستعجله بالقدوم . قال : فخرج من مكة يوم الاثنين في مطر شديد - زعموا أنه اليوم الذي قُتل فيه محمد - فلتقاه بريد لعيسى بن موسى بأمرج - وهو ماء لخزاعة بين عسفان وقديد - بقتل محمد ، فهرب وهرب أصحابه .

قال عمر : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني عبد العزيز بن أبي ثابت عن أبي سيار ، قال : كنت حاجباً محمد بن عبد الله ، فجاءني راكب من الليل ، قال : قدمت من البصرة ، وقد خرج بها إبراهيم ، فأخذها . قال : فجئت دار مروان ، ثم جئت المنزل الذي فيه محمد ، فدققت الباب ، فصاح بأعلى صوته : من هذا ؟ قلت : أبو سيار ، قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ؛ اللهم إني أعوذ بك من شر طوارق الليل ؛ إلا طارق يطرق منك بخير ، قال : خير ! قلت : خير ، قال : ما وراءك ؟ قلت : أخذ إبراهيم البصرة - [قال] : وكان محمد إذا صلى المغرب والصبح صاح صائح : ادعوا الله لإخوانكم من أهل البصرة ، ولحسن بن معاوية واستنصروه على عدوكم .

• • •

قال : وحدثني عيسى ، قال : قدم علينا رجل من أهل الشام ، فنزل دارنا - وكان يكنى أبا عمرو - فكان أبي يقول له : كيف ترى هذا الرجل ؟ فيقول : حتى ألقاه فأسبره ثم أخبرك . قال عيسى : فلقية أبي بعد ، فسأله

(١) كذا في ت ، ه ، وفي ط « فظهره » .

فقال : هو والله الرجل كلَّ الرجل ؛ ولكن رأيتُ شحم ظهره ذراعاً ، وليس هكذا يكون صاحبَ الحرب . قال : ثم بايعه بعد ، وقاتل معه .

قال : وحدَّثني عبد الله بن محمد بن سلم - يدعى ابن البواب مولى المنصور - قال : كتب أبو جعفر إلى الأعمش كتاباً على لسان محمد ، يدعوه إلى نصرته ، فلما قرأه قال : قد خَبَرناكم يا بني هاشم ؛ فإذا أنتم تحبّون الثريد . فلما رجع الرسول إلى أبي جعفر فأخبره ، قال : أشهد أن هذا كلام الأعمش .

وحَدَّثني الحارث ، قال : حدَّثني ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : غلب محمد بن عبد الله على المدينة ، فبلغنا ذلك ، فخرجنا ونحن شباب ؛ أنا يومئذ ابنُ خمس عشرة سنة ، فانتبهنا إليه ؛ وهو قد اجتمع إليه الناس ينظرون إليه ؛ ليس يُصدّ عنه أحد ؛ فدنوتُ حتى رأيتُه وتأمّلتُه ؛ وهو على فرَس ، وعليه قميص أبيض محشو وعمامة بيضاء ؛ وكان رجلاً أحزم ؛ قد أثر الجُدري في وجهه ، ثم وجهه إلى مكة فأخذت له ، وبيتضوا ؛ ووجه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة ، فأخذها وغلبها وبيتضوا معه .

• • •

رجع الحديث إلى حديث عمر . قال عمر : وحدَّثني محمد بن يحيى ، قال : حدَّثني الحارث بن إسحاق ، قال : ندَّب أمير المؤمنين أبو جعفر عيسى بن موسى لقتال محمد ، وقال : لا أبالي أيّهما قتل صاحبه ؛ وضمّ إليه أربعة آلاف من الجُند ، وبعث معه محمد بن أبي العباس أمير المؤمنين .

قال : وحدَّثني عبد الملك بن شيبان . عن زيد مولى مسمع ، قال : لما أمر أبو جعفر عيسى بن موسى بالشخص ، قال : شاوِرْ عموئِكَ ، فقال له : امضِ أيها الرجل ؛ فوالله ما يراد غيري وغيرك ؛ وما هو إلّا أن تشخص أو أشخص ؛ قال : فسار حتى قدم علينا ونحن بالمدينة .

قال : وحدَّثني عبد الملك بن شيبان ، قال : دعا أبو جعفر بن حنظلة البَهْراني - وكان أبرص طُوالاً ، أعلم الناس بالحرب ، وقد شهد مع مروان حروبه - فقال : يا جعفر ، قد ظهر محمد ، فما عندك ؟ قال : وأين ظهر ؟

قال : بالمدينة ، قال : فاحمد الله ، ظهر حيث لا مال ولا رجال ولا سلاح ولا كراع ؛ ابعث مولى لك تثق به فليسر حتى ينزل بوادى القرى ؛ فيمنعه ميرة الشام ، فيموت مكانه جوعاً ، ففعل .

قال : وحدثنى عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعتُ أصحابنا إسماعيل بن موسى وعيسى بن النضر وغيرهما يذكرون أن أبا جعفر قدّم كثير ابن حصّين العبدى ، فعسكر بفيد ، وخذق عليه خندقاً ؛ حتى قدم عليه عيسى بن موسى ، فخرج به إلى المدينة . قال عبد الله : فأنا رأيتُ الخندق قائماً دهرًا طويلاً ، ثم عفا ودّرس .

قال : وحدثنى يعقوب بن القاسم ، قال : حدثني عليّ بن أبي طالب — ولقيته بصنعاء — قال : قال أبو جعفر لعيسى حين بعثه إلى محمد : عليك بأبى العسكر مسمع بن محمد بن شيان بن مالك بن مسمع ، فسرّ به معك ؛ فلما قد رأيتَه منع سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة من أهل البصرة ؛ وهم محلبون عليه^(١) ؛ وهويدعو إلى مروان ؛ وهو عند أبى العسكر يأكل المخّ بالطبرزد ، فخرج به عيسى ؛ فلما كان ببطن نخل ، تخلف هو والمسعودى بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود حتى قُتِل محمد ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال لعيسى بن موسى : ألاّ ضربت عنقه !

٢٢٥/٣

وحدثني عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ، قال : أخبرني أبى ، قال : قال أبو جعفر لعيسى بن موسى حين ودّعه : يا عيسى ؛ إني أبعثك إلى ما بين هذين — وأشار إلى جنبه — فإن ظفرت بالرجل فشيم سيفك ، وإبذل الأمان ؛ وإن تغيب فضمتهم إياهم حتى يأتوك به ، فإنهم يعرفون مذاهبه . قال : فلما دخلها عيسى فعل ذلك .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وجه أبو جعفر إلى محمد بن عبد الله بالمدينة عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ ابن عبد الله بن عباس ، ووجه معه محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين وعدة من

(١) أحلب القوم ، أى جاءوا من كل وجه للحرب .

قُوَاد أهل خراسان وجندهم ، وعلى مقدمة عيسى بن موسى حُميد بن قحطبة الطائي ، وجهزهم بالخيال والبغال والسلاح والميرة ، فلم ينزل ، ووجه مع عيسى ابن موسى بن أبي الكرام الجعفرى ؛ وكان فى صحابة أبى جعفر ؛ وكان مائلا إلى بنى العباس ، فوثق به أبو جعفر فوجّته (١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عمر بن شبة . قال عمر : وحدّثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : كتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى : مَنْ لَقِيكَ مِنْ آلِ أبى طالب فاكتب إلىّ باسمه ، وَمَنْ لَمْ يَلْقَكَ فاقبض ماله . قال : فقبض عين أبى زياد - وكان جعفر بن محمد تغيب عنه - فلما قدم أبو جعفر كلمه جعفر ، وقال : مالى ، قال : قد قبضه مهدّيكُم .

* * *

قال : وحدّثنى محمد بن يحيى ، قال : حدّثنى الحارث بن إسحاق ، ٢٢٦/٣ قال : لما صار عيسى بفسيد ، كتب إلى رجال من أهل المدينة فى خرق الحرير ؛ منهم عبد العزيز بن المطلب المخزومى وعبيد الله بن محمد بن صفوان الحمحى ، فلما وردت كتبه المدينة ، تفرّق ناسٌ كثير عن محمد ؛ منهم عبد العزيز بن المطلب ؛ فأخذ فردّ ، فأقام يسيراً ؛ ثم خرج ، فردّ مرة أخرى ؛ وكان أخوه على بن المطلب من أشدّ الناس مع محمد ؛ فكلّم محمداً فى أخيه حتى كفّ عنه .

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : كتب عيسى بن موسى إلى أبى فى حرية صفراء جاء بها أعرابى بين خصافى نعله ، قال عيسى : فرأيت الأعرابى قاعدآ فى دارنا ، وإنى لصبى صغير ؛ فدفعها إلى أبى فإذا فيها :

إن محمداً تعاطى ما ليس يعطيه الله ، وتناول ما لم يؤتّه الله ، قال عز وجل فى كتابه : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

فَعَجَّلَ التَّخْلُصَ وَأَقْلَ التَّربُّصَ ، وَادْعُ مَنْ أَطَاعَكَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَكَ .

قال : فخرج وخرج معه عمر بن محمد بن عمر ، وأبو عَقِيل محمد بن عبد الله بن محمد بن عَقِيل ، قال : ودعوا الأَفْطَسَ حَسَنَ بنَ عَلِيٍّ بنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْخُرُوجِ مَعَهُمْ فَأَبَى ، وَثَبِتَ مَعَ مُحَمَّدٍ ، وَذُكِرَ خُرُوجُهُمْ لِمُحَمَّدٍ فَأَرْسَلَ إِلَى ظَهْرِهِمْ فَأَخَذَهُ ؛ فَأَتَاهُ عُمَرُ بنُ مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ : أَنْتَ تَدْعُونِي إِلَى الْعَدْلِ وَنَقَى الْحُورِ ؛ فَمَا بَالُ إِيَّايَ تَتَّخِذُ ! فَلَمَّا أَعَدَّتْهَا لِحِجٍّ أَوْ عُمَرَةَ . قال : فدفعها إليه — فخرجوا من تحت ليلتهم ؛ فلقوا عيسى على أربع — أو خمس — من المدينة . ٢٢٧/٣

قال : وَحَدَّثَنِي أَيُّوبُ بنُ عُمَرَ بنَ أَبِي عُمَرَ بنَ نَعِيمٍ بنَ مَاهَانَ ، قال : كَتَبَ أَبُو جَعْفَرٍ إِلَى رِجَالٍ مِنْ قَرِيشٍ وَغَيْرِهِمْ كِتَابًا ، وَأَمَرَ عِيسَى : إِذَا دَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ أَنْ يَبْعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا دَنَا بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ ؛ فَأَخَذَ حَرَسُ مُحَمَّدٍ الرَّسُولَ وَالْكِتَابَ ، فَوَجَدَ فِيهَا كِتَابًا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بنِ طَلْحَةَ بنِ عُمَرَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ مَعْمَرٍ وَإِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ رُؤَسَاءِ قَرِيشٍ . فَبَعَثَ مُحَمَّدٌ إِلَيْنَا جَمِيعًا مَا خَلَا ابْنُ عُمَرَ وَأَبَا بَكْرَ بنَ سَبْرَةَ ، فَحَبَسْنَا فِي دَارِ ابْنِ هِشَامٍ الَّتِي فِي الْمَصْلِيِّ . قال أَبِي : وَبَعَثَ إِلَيَّ وَإِلَى أَخِي ، فَأَتَيْتَنِي بِنَا فُضْرَيْنَا ثَلَاثَةَ . قال : فَقُلْتُ لَهُ وَهُوَ يَضْرِبُنِي وَيَقُولُ : أَرَدْتُ أَنْ تَقْتُلَنِي ! تَرَكْتُكَ وَأَنْتَ تَسْتَرُ بِحَجَرٍ وَبَيْتٍ شَعْرٍ ؛ حَتَّى إِذَا صَارَتِ الْمَدِينَةُ فِي يَدِكَ ، وَغَلِظَ أَمْرُكَ ، قَمْتُ عَلَيْكَ فِيمَنْ — أَقُومُ ! أَبْطَاقَتِي ، أُمُّ بَمَالٍ ، أُمُّ بَعْشِيرَتِي ! قال : ثُمَّ أَمَرْنَا إِلَى الْحَبْسِ ، وَقَيَّدْنَا بِكُيُولٍ وَسِلَاسِلٍ تَبْلُغُ ثَمَانِينَ رَطْلًا ، قال : فَدَخَلَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بنُ عَجْلَانَ ، فَقَالَ : إِنِّي ضَرَبْتُ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ ضَرْبًا فَاحِشًا ، وَقَيَّدْتُهُمَا بِمَا مَنَعَهُمَا مِنَ الصَّلَاةِ . قال : فَلَمْ يَزَالَا مَحْبُوسَيْنِ حَتَّى قَدِمَ عِيسَى .

قال : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بنُ يَحْيَى قال : حَدَّثَنِي عَبْدُ الْعَزِيزِ بنُ أَبِي ثَابِتٍ ، عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بنِ جَعْفَرِ بنِ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أَبِي الْحَكَمِ ، قال : إِنَّا لَعِنْدَ مُحَمَّدٍ لَيْلَةً — وَذَلِكَ عِنْدَ دُنُوِّ عِيسَى مِنَ الْمَدِينَةِ — إِذْ قَالَ مُحَمَّدٌ : أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي الْخُرُوجِ وَالْمَقَامِ ، قال : فَاتَّخَلَفُوا . فَأَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ : أَشْرُ عَلَى يَا أَبَا جَعْفَرٍ ، ٢٢٨/٣

قلت : أأست تعلم أنك أقل بلاد الله فرساً وطعاماً وسلاحاً ، وأضعفها رجالاً ؟ قال : بلى ، قلت : تعلم أنك تقاتل أشد بلاد الله رجالاً وأكثرها مالا وسلاحاً ؟ قال : بلى ، قلت : فالرأى أن تسير بمن معك ^(١) حتى تأتى مصر ، فوالله لا يردك راد ، فتقاتل الرجل بمثل سلاحه وكُراعِهِ ورجاله وماله . فصاح حُنين بن عبد الله : أعوذ بالله أن تخرج من المدينة ! وحدثه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيتُني في درع حصينة فأولتُها المدينة » .

قال : وحدثني محمد بن إسماعيل بن جعفر ، عن الثقة عنده ، قال : أجاب محمدًا لما ظهر أهل المدينة وأعراضها وقبائل من العرب ؛ منهم جُهينة ومُزينة وسُلَيم وبنو بكر وأسلم وغِفَار ؛ فكان يقدم جُهينة ؛ فغضبت من ذلك قبائل قيس .

قال محمد : فحدثني عبد الله بن معروف أحد بني رياح بن مالك بن عصبية بن خُفَاف — وقد شهد ذاك — قال : جاءت محمدًا بنو سُلَيم على رؤسائِها ، فقال متكلّمهم جابر بن أنس الرياحي : يا أمير المؤمنين ؛ نحن أحوالُك وجيرانُك ، وفينا السلاح والكُراع ؛ والله لقد جاء الإسلام والخيل في بني سليم أكثر منها بالحجاز ؛ لقد بقي فينا منها ما إن بقي مثله عند عربٍ تسكن إليه البادية ، فلا تخندق الخندق ؛ فإن رسول الله خندق خندقه لما الله أعلم به ؛ فإنك إن خندقته لم يحسن القتال رجالة ، ولم تُوجّه لنا الخيل بين الأزقة ؛ وإن الذين يخندق دونهم هم الذين يقاتلون فيها ؛ وإن الذين يخندق عليهم يحول الخندق دونهم . فقال أحد بني شجاع : خندق رسول الله فاقتدِ برأيه ؛ أو تريد أنت أن تدع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرأيك ! قال : إنه يابن شجاع ما شيء أثقل عليك وعلى أصحابك من لقائهم ؛ ولا شيء أحبّ إليّ وإلى أصحابي من مناجزتهم . فقال محمد : إنما اتبعنا في الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلا يردّني عنه أحدٌ ، فلست بتاركة .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، عن الحارث بن إسحاق ، قال : لما تيقن

محمد أن عيسى قد أقبل حفّر الخندق ، خندق النبي صلى الله عليه وسلم الذي كان حفره للأحزاب (١) .

قال : وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثني محمد ابن عَطِيَّة مولى المطليبين ، قال : لما حفر محمد الخندق ركب إليه وعليه قباء أبيض ومنطقة ، وركب الناس معه ؛ فلما أتى الموضع نزل فيه ؛ بدأ هو فحفر بيده ؛ فأخرج لبنة من خندق النبي صلى الله عليه وسلم ، فكبر وكبر الناس معه ، وقالوا : أبشر بالنصر ؛ هذا خندق جدك رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وحدثني محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير ، قال : لما نزل عيسى الأعوص رقي محمد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن عدو الله وعدوكم عيسى بن موسى قد نزل الأعوص ؛ وإن أحق الناس بالقيام بهذا (٢) الدين ، أبناء المهاجرين الأولين والأنصار الموالين .

قال : وحدثني إبراهيم بن أبي إسحاق العبسي - شيخ من غطفان - قال : أخبرني أبو عمرو مؤدب محمد بن عبد الرحمن بن سليمان ، قال : سمعت الزبير بن الذي قتله أبو جعفر - يعني عثمان بن محمد بن خالد - قال : اجتمع مع محمد جمع لم أر مثله ولا أكثر منه ؛ إني لأحسب أنا قد كنا مائة ألف ؛ فلما قرب عيسى خطبنا ، فقال : يا أيها الناس ؛ إن هذا الرجل قد قرب منكم في عدد وعدة ؛ وقد حلتكم من بيعتي ؛ فمن أحب المقام فليقم ، ومن أحب الانصراف فليصرف . فتسللوا حتى بقي في شِرْذمة ليست بالكثيرة .

٢٣٠/٣

قال : وحدثني موهوب بن رشيد بن حيّان بن أبي سليمان بن سمعان ؛ أحد بني قريظ بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، قال : حدثني أبي ، قال : لما ظهر محمد جمع الناس وحشرهم (٣) ، وأخذ عليهم المناقب فلا يخرج أحد ؛ فلما سمع بعيسى وحميد بن قحطبة قد أقبلا ، صعد المنبر ، فقال :

(٢) ب ، « في هذا » .

(١) ج : « يوم الأحزاب » .

(٣) ب : « وحصرهم » .

يأيها الناس ؛ إننا قد جمعناكم للقتال ؛ وأخذنا عليكم المناقب ؛ وإن هذا العدو منكم قريب ؛ وهو في عدد كثير ، والنصر من الله والأمر بيده ؛ وإنه قد بدا لي أن آذن لكم وأفرج عنكم المناقب ؛ فمن أحب أن يقيم أقام ، ومن أحب أن يظعن ظعن . قال أبي : فخرج عالم من الناس ؛ كنت فيهم ؛ فلما كنا بالعرُض - وهو على ثلاثة أميال من المدينة - لقيتنا مقدّمة عيسى بن موسى دون الرُحبة ؛ فما شبّهت رجالهم ^(١) إلا رجلاً من جراد . قال : فضينا وخالفونا إلى المدينة .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : خرج ناس كثير من أهل المدينة بذراريهم وأهليهم إلى الأعراض والجبال ، فأمر محمد أبا القلّسمس ، فردّ من قدر عليه منهم ، فأعجزه كثير منهم ، فتركهم .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثني الغاضري ، قال : قال لي محمد : أعطيك سلاحاً وتقاتل معي ؟ قلت : نعم ؛ إن أعطيتني ربحاً أطعنهم ^(٢) به ؛ وهم بالأعوص ^(٣) وسيفاً أضربهم به وهم بهيفاً ^(٤) . قال : ثم مكث غير كثير ، ثم بعث إلى فقال : ما تنتظر ؟ قالت : ما أهون عليك - أبقاك الله - أن أقتل ونمرؤ ؛ فيقال : والله إن كان لبادياً ^(٥) ! قال : ويحك ! قد يئس أهل الشام وأهل العراق وخراسان ، قال : قلت : اجعل الدنيا زبدةً بيضاء وأنا في مثل صوفة الدواة ، ما ينفعني هذا وعيسى بالأعوص !

قال : وحدّثني عيسى ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : وجّه أبو جعفر مع عيسى بن موسى بابن الأصم يتزله المنازل ، فلما قدموا نزلوا على ميل من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن الأصم : ألا إن الخيل لا عمل لها مع الرّجالة ؛ وإنّي أخاف إن كشفوكم كشفةً أن يدخلوا ^(٦) عسكرهم . فرفعهم إلى سقاية سليمان بن عبد الملك بالحرف - وهي على أربعة أميال من

(١) ب : « رماحهم » .
(٢) ب : « بالأعراض » .
(٣) ب : « ط : « هسفا » ، وهو خطأ . وصوابه من ت .
(٤) ج : « لبادنا » .
(٥) ب : « طعنهم » .
(٦) ج : « ليدخلوا » .

المدينة - وقال : لا يهزول الرجل^(١) أكثر من ميلين أو ثلاثة حتى تأخذه الخيل .

قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني محمد بن أبي الكرام ، قال : لما نزل عيسى طرّف القدوم أرسل إلى نصف الليل ، فوجدته جالساً والشمع والأموال بين يديه ، فقال : جاءني العيون تخبرني أن هذا الرجل في ضعف ؛ وأنا أخاف أن ينكشف ؛ وقد ظننتُ ألاّ مسلك له إلّا إلى مكة ، فاضممتُ إليك خمسمائة رجل ؛ فامض بهم^(٢) معانداً عن الطريق حتى تأتّى الشجرة فتقيم بها . قال : فأعطاهم على الشمع ، فخرجتُ بهم حتى مررتُ بالبصرة بالبطحاء - وهي بطحاء ابن أزهر على ستة أميال من المدينة - فخاف أهلها ؛ فقلتُ : لا بأسَ عليكم ؛ أنا محمد بن عبد الله ، هل من سويق ؟ قال : فأخرجوا إلينا سويقاً ، فشربنا وأقمنا بها حتى قتل محمد .

٢٣٢/٣

قال : وحدثنى محمد بن إسماعيل ؛ عن الثقة عنده ، قال : لما قُرب عيسى أرسل إلى محمد القاسم بن الحسن بن زيد يدعوهُ إلى الرجوع عما هو عليه ، ويخبره أن أمير المؤمنين قد آمنه وأهل بيته ، فقال محمد للقاسم : والله لولا أن الرّسل لا تقتل لضربتُ عنقك ؛ لأنّي لم أرك منذ كنت غلاماً في فرقتين ؛ خير وشرّ ، إلّا كنت مع الشرّ على الخير . وأرسل محمد إلى عيسى : يا هذا ؛ إن لك برسول الله قرابةً قريبةً ، وإنّي أدعوك إلى كتاب الله وسنة نبيه والعمل بطاعته ، وأحذرك تقمته وعذابه ؛ وإنّي والله ما أنا بمنصرف عن هذا الأمر حتى^(٣) ألقى الله عليه ؛ فأياك أن يقتلك من يدعوك إلى الله ، فتكون شرّ قتل ، أو تقتله فيكون أعظمَ لوزرك ، وأكثرَ لما تمك . فأرسل هذه الرسالة مع إبراهيم بن جعفر ، فبلغه ، فقال : ارجعْ إلى صاحبك ، فقل له : ليس بيننا إلّا القتال .

قال : وحدثنى إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام بن عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن جعفر ، قال : أخبرني أبي ، قال : لما قرب عيسى من المدينة ،

٢٣٣/٣

(١) ب : « الرجل » . (٢) ط : « بها » ، وما أثبتته من ث ، ه .
(٣) ط : « التي » ؛ وهو خطأ صوابه من ابن الأثير .

أرسلني إلى محمد بأمانه ، فقال لي محمد : علام تقاتلونني وتستحلون دمي ، وإنما أنا رجل فرّ من أن يقتل ! قال : قلت : إن القوم يدعونك إلى الأمان ، فإن أبيت إلا قتالهم قاتلوك على ما قاتل عليه خير آبائك على طلحة والزبير ؛ على نكث بيعتهم وكيد ملكهم ، والسعي عليهم . قال : فأخبرت بذلك أبا جعفر ، فقال : والله ما سرتي أنك قلت له غير ذلك ، وأن لي كذا وكذا .

قال : وحدّثني هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة ، قال : أخبرني ماهان بن بخت مولى قحطبة ، قال : لما صرنا بالمدينة أتاننا إبراهيم بن جعفر بن مصعب طليعة ، فطاف بعسكرنا حتى حسّه كله^(١) ، ثم ولّى ذاهبا . قال : فرعبنا منه والله رعباً شديداً ؛ حتى جعل عيسى وحמיד بن قحطبة يعجبان فيقولان : فارس واحد طليعة لأصحابه ! فلما ولّى مدّى أبصارنا نظرنا إليه مقيماً بموضع واحد ، فقال حميد : وبحكم ! انظروا ما حال الرجل ؛ فإني أرى دابته واقفاً لا تزول ؛ فوجه إليه حميد رجلين من أصحابه ، فوجدا دابته قد عثر به ؛ فصرعه ففوّس^(٢) التنور عنقه . فأخذنا سلبه ، فأتيننا بتنور - قيل إنه كان لمصعب بن الزبير - مذّهب لم ير مثله قط .

قال : وحدّثني محمد بن يحيى ، قال : حدّثني الحارث بن إسحاق ، قال : نزل عيسى بقصر سليمان بالجرف ، صبيحة ثنتي عشرة من رمضان من سنة خمس وأربعين ومائة ، يوم السبت ، فأقام يوم السبت ويوم الأحد وغدا يوم الاثنين ، حتى استوى على سلع ، فنظر إلى المدينة وإلى من دخلها وخرج منها ، وشحن^(٤) وجوهها كلها بالخيول والرجال إلا ناحية مسجد أبي الجراح ؛ وهو على بطحان ؛ فإنه تركه لخروج من هرب ، وبرز محمد في أهل المدينة .

قال : وحدّثني عيسى ، قال : حدّثنا محمد بن زيد ، قال : قدمنا مع عيسى ، فدعا محمداً ثلاثاً : الجمعة والسبت والأحد .

قال وحدّثني عبد الملك بن شيان ، قال : حدّثني زيد مولى ميسم ، قال :

(١) ط : « جه » ، وما أثبتته من ت ، ج . (٢) تقع الدابة على المذكور والمنوت .

(٣) كذا في ت ، وفي ط : « ففوّس » .

(٤) في اللسان : « شحن البلد بالخيول ملاه » . وبالبلد شحنة من الخيل ، أي رابطة .

لما عسكر عيسى أقبل على دابة يمشى حواله نحو من خمسمائة ، وبين يديه راية يُسار بها معه ؛ فوقف على الثنية ونادى : يا أهل المدينة ؛ إن الله قد حرّم دماء بعضنا على بعض ؛ فهلمّوا إلى الأمان ؛ فن قام تحت رايتنا فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ؛ ومن أتى سلاحه فهو آمن ، ومن خرج من المدينة فهو آمن . خلّوا بيننا وبين صاحبنا فيما لنا أو له . قال : فشتّموه وأقذعوا له ، وقالوا : يا بن الشاة ، يا بن كذا ، يا بن كذا . فانصرف يومه ذاك^(١) ، وعاد من الغد ففعل مثل ذلك ، فشتّموه ؛ فلما كان اليوم الثالث أقبل بما لم أر مثله قطّ من الخيل والرجال^(٢) والسلاح ؛ فوالله ما لبثنا أن ظهر علينا ونادى بالأمان^(٣) ، فانصرف إلى معسكره .

قال : وحدّثنى إبراهيم الغطفانيّ ، قال : سمعت أبا عمرو مؤدّب محمد ابن عبد الرحمن يحدث عن الزبيرىّ — يعنى عثمان بن محمد بن خالد — قال : لما التقينا نادى عيسى بنفسه : أيا محمد ، إن أمير المؤمنين أمرنى ألاّ أقاتلك حتى أعرض عليك الأمان ، فلك على نفسك وأهلك وولدك وأصحابك ، وتعطى من المال كذا وكذا ، ويقضى عنك دينك ، ويفعل بك ويفعل ! قال : فصاح : محمد الهُ عن هذا ، فوالله لو علمت أنه لا يثنى عنكم فتزع ، ولا يقرّبني منكم طمع ما كان هذا . قال : واجّ القتال ، وترجل محمد ؛ فلانى لأحسبه قتل بيده يومئذ سبعين رجلاً .

٢٣٥/٣

قال : وحدّثنى عيسى ، قال : حدّثنى محمد بن زيد ، قال : لما كان يوم الاثنين ، وقف عيسى على ذباب ، ثم دعا مولى لعبد الله بن معاوية كان معه ؛ وكان على مجفّفته ، فقال : خذ عشرة من أصحابك ؛ أصحاب التجافيف ؛ فجاء بهم ، فقال لنا : ليقيم معك عشرة منكم يا آل أبى طالب . قال : فقمنا معه ، ومعنا ابنا محمد بن عمر بن عليّ : عبد الله وعمر ، ومحمد بن عبد الله بن عقیل ، والقاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ ، وعبد الله ابن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر ؛ فى عشرة منّا . فقال : انطلقوا إلى القوم ،

(١) كذا فى ت ، وفى ط : « ذلك » . (٢) ت : « والرجل » . (٣) ت : « ونادى الأمان » .

فادعواهم وأعطوهم أماناً ؛ وبقى أمان الله . قال : فخرجنا حتى جئنا سوق الخطّابين ؛ فدعوناهم فسيبونا^(١) ورشقونا بالنبل ، وقالوا : هذا ابن رسول الله معنا ونحن معه ؛ فكلّمهم القاسم بن الحسن بن زيد ، فقال : وأنا ابن رسول الله ؛ وأكثر من ترون بنو رسول الله ؛ ونحن ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه وحقن دماءكم والأمان لكم ؛ فجعلوا يسبّوننا ويرشقوننا بالنبل ، فقال القاسم لغلامه : القَطْ هذه النبل ، فلقطها فأخذها قاسم بيده ، ثم دخل بها إلى عيسى . فقال : ما تنتظر ! انظر ما صنعوا بنا ، فأرسل عيسى بن حميد قَحْطَبة في مائة .

٢٣٦/٣

قال : حدثني أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : حدثني أخوأي عثمان ومحمد ابنا سعيد - وكانا مع محمد - قالوا : وقف القاسم بن الحسن ورجل^(٢) معه من آل أبي طالب على رأس ثنية الودّاع ، فدعوا محمداً إلى الأمان ، فسيبهما فرجعا ، وأقبل عيسى وقد فرق القواد فجعل هزار مرد عند حمّام بن أبي الصّعب ، وكثير بن حصّين عند دار ابن أفلح التي ببيع الغرقد ، ومحمد بن أبي العباس على باب بني سلّمة ، وفرّق سائر القواد على أنقاب المدينة ، وصار عيسى في أصحابه على رأس الثنية ، فرموا بالنشاب والمقاليع ساعة .

وحدثني أزهر ، قال : جعل محمد ستور المسجد دراريع لأصحابه .

قال : وحدثني عبد الله بن إسحاق بن القاسم ، قال : حدثني عمر ؛ شيخ من الأنصار ، قال : جعل محمد ظلال المسجد خفّاتين لأصحابه ، فأناه رجلان من جهينة ، فأعطى أحدهما خفّتاناً ولم يعط الآخر ، فقاتل صاحب الخفّتان ، ولم يقاتل الآخر معه ؛ فلما حضرت الحرب أصابت صاحب الخفّتان نصابة ، فقتلته ، فقال صاحبه :

يا رب لا تجعلني كمن خان وباع باقي عيشه بخفّتان

قال : وحدثني أيوب بن عمر ، قال : حدثني إسماعيل بن أبي عمرو ، قال : إنا لموقف على^(٣) خندق بني غِفَار ؛ إذ أقبل رجل على فرس ؛

٢٣٧/٣

(١) ج : « فشتونا » . (٢) ج : « ودخل » . (٣) ج : « عند » .

ما يُرَى منه إلاّ عيناه ، فنادى : الأمان ، فأعطى الأمان ، فدنا حتى لصق بنا ، فقال : أفیکم مَنْ یبلغ عنی محمداً ؟ قلت : نعم ، أنا ، قال : فأبلغه عنی - وحسر عن وجهه ، فإذا شيخ مخضوب - فقال : قل له : يقول لك فلان التميمي ، بآية أنى وإياك جلسنا فى ظل الصخرة فى جبل جُهينة فى سنة كذا ، اصبر إلى الليل ؛ فإن عامة الجند معك . قال : فأتيته قبل أن يَغْدُو - وذلك يوم الاثنين فى اليوم الذى قُتل فيه - فوجدت بين يديه قربة عسل أبيض قد شُقَّت من وسطها ، ورجل يتناول من العسل ملء كفه ثم يغمسه فى الماء ، ثم يلقمه إياه ، ورجل يحزم بطسته بعمامة ؛ فأبلغته الرسالة فقال : قد أبلغت ؛ فقلت : أخوای فى يدك ، قال : مكانهما خير لهما .

قال : وحدثنى إبراهيم بن مصعب بن ثُمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير ، قال : حدثنى محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، قال : كانت راية محمد إلى أبى ، فكنت أحملها عنه .

قال : وحدثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : كان مع الأفضس حسن بن على بن حسين علم أصفر ، فيه صورة حية ، ومع كل رجل من أصحابه من آل على بن أبى طالب علم ، وشعارهم : أحد أحد ، قال : وكذلك كان شعار النبى صلى الله عليه وسلم يوم حنين .

قال : وحدثنى سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله بن أبى الحكم ، قال : أخبرنا جهم بن عثمان مولى بنى سليم ، ثم أحد بنى بهز ، قال : قال لى عبد الحميد بن جعفر يوم لقينا أصحاب عيسى : نحن اليوم على عِدّة أهل بدر يوم لقوا المشركين - قال : وكنا ثلثمائة ونيّفًا .

٢٣٨/٣

قال : وحدثنى إبراهيم بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت أبى يقول : ولِدَ عيسى بن موسى فى سنة ثلاث ومائة ، وشهد حرب محمد وإبراهيم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، وعلى مقدّمته حميد بن قحطبة ، وعلى ميسمته محمد بن أبى العباس أمير المؤمنين ، وعلى ميسرته داود بن كِرّاز من أهل خراسان ، وعلى ساقته الهيثم بن شعبة .

قال : وحدثنى عيسى ، عن أبيه ، قال : لقي أبو القلمس محمد بن عثمان ، أنحا أسد بن المرزبان بسوق الخطابين ، فاجتلدا بسيفيهما حتى تقطعا ثم ترجعا إلى موافقهما ، فأخذ أخو أسد سيفاً ، وأخذ أبو القلمس بأثفية ، فوضعهما على قمر بئوس سرجه ، وسترها بدرعته ، ثم تعاودا ، فلما تدانيا قام أبو القلمس في ركائبه ؛ ثم ضرب بها صدره فصرعه ، ونزل فاحتر رأسه .

قال : وحدثنى محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثني عبد الله بن عمر بن القاسم بن عبد الله العمري ، قال : كنا مع محمد ، فبرز رجل من أهل المدينة ؛ مولى لآل الزبير يدعى القاسم بن وائل ، فدعا للبراز ، فبرز إليه رجل لم أر مثله كماله وعدته ؛ فلما رآه ابن وائل انصرف . قال : فوجدنا من ذلك وجداً شديداً ، فلما على ذلك إذ سمعتُ خَشْفٌ^(١) رجل ورائي ، فالتفت فإذا أبو القلمس ، فسمعتُهُ يقول : لعن الله أمير السفهاء ، أن ترك مثل هذا اجترأ علينا ! وإن خرج رجل خرج إلى أمر عسى ألا يكون من شأنه . ٢٣٩/٣ قال : ثم برز له فقتله .

قال : وحدثنى أزهر بن سعيد بن نافع ، قال : خرج^(٢) القاسم بن وائل يومئذ من الخندق ، ثم دعا للبراز ، فبرز له هزارمرد ، فلما رآه القاسم هابه ، فرجع فبرز له أبو القلمس ، فقال : ما انتفع في مثل هذا اليوم بسيفه قط ، ثم ضربه على حبل عاتقه فقتله ، فقال : خذها وأنا ابن الفاروق ، فقال رجل من أصحاب عيسى : قتلت خيراً من ألف فاروق .

قال : وحدثنى عليّ أبو الحسن الحذّاء من أهل الكوفة ، قال : حدثني مسعود الرّحال ، قال : شهدت مقتل محمد بالمدينة ، فإني لأنظر إليهم عند أحجار الزيت ، وأنا مشرف عليهم من الجبل - يعني سلعاً - إذ نظرت إلى رجل من أصحاب عيسى قد أقبل مستلماً^(٣) في الحديد ؛ لا يرى منه إلا عيناه ، على فرس ؛ حتى فصل من صف أصحابه ، فوقف بين الصّفين ، فدعا للبراز ؛ فخرج إليه رجل من أصحاب محمد ، عليه قباء أبيض ، وكُمّة

(١) الخشف : الصوت الخفى ، أو الحركة . (٢) ب : « جزع » .

(٣) ب : « مستلماً » .

بيضاء ، وهو راجل . فكلّمه مليّاً ، ظننت أنه استرجله لتستوى حالهما ، فنظرت إلى الفارس ثنّتي رسله ، فنزل ، ثم التقيا فضربه صاحب محمد ضربة على خُوذة حديد على رأسه ، فأقعده على استيه وقبضاً لاحتراك به ، ثم انتزع الخُوذة ، فضرب رأسه فقتله ، ثم رجع فدخل في أصحابه ، فلم ينشب أن يخرج من صفّ عيسى آخر ؛ كأنه صاحبه ، فبرز له الرّجل الأوّل ، فصنع به مثل ما صنع بصاحبه ، ثم عاد إلى صفّه ، وبرز ثالث فدعاه ، فبرز له فقتله ، فلما قتل الثالث ولّتي يريد أصحابه ، فاعتوره أصحاب عيسى فرموه فأثبته ، وأسرع يريد أصحابه ، فلم يبلغهم حتى خرّ صريعاً فقتلوه دونهم . ٢٤٠/ ٢

وحدثني عيسى ، قال : أخبرني محمد بن زيد ، قال : لما أخبرنا عيسى برميهم إيانا ، قال حميد بن قَحْطَبَة : تقدّم ، فتقدّم في مائة كلهم راجل غيره معهم الشاب والرّسة ، فلم يلبثوا أن زحفوا إلى جدار دون الخندق ، عليه أناس من أصحاب محمد ، فكشفوهم ووقفوا عند الجدار ، فأرسل حميد إلى عيسى بهدّم الجدار . قال : فأرسل إلى فعلة فهدموه ، وانتهوا إلى الخندق ، فأرسل إلى عيسى : إنا قد انتهينا إلى الخندق . فأرسل إليه عيسى بأبواب بقدر الخندق ، فعبروا عليها ؛ حتى كانوا من ورائه ، ثم اقتتلوا أشدّ القتال من بكّرة حتى صار العصر .

وحدثني الحارث ، قال : أخبرنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن عمر : أقبل عيسى بن موسى بمنّ معه ، حتى أناخ على المدينة ، وخرج إليه محمد ابن عبد الله ومنّ معه ، فاقتتلوا أياماً قتلاً شديداً ، وصبر نفر من جهينة ، يقال لهم بنو شجاع مع محمد بن عبد الله ، حتى قُتِلوا وكان لهم غنائم .

رجع الحديث إلى حديث عمر : حدثني أزهر ، قال : أمرهم عيسى فطرحوا حقائب الإبل في الخندق فأمر يبابي دار سعد بن مسعود التي في الثنية فطرحا على الخندق ؛ فجازت الخيل ، فالتقوا عند مفاتيح خَشْرَم ، فاقتتلوا حتى كان العصر . حدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ، قال : انصرف محمد يومئذ قبل الظهر حتى جاء دار مروان ، فاغتسل وتحنّط ، ٢٤١/ ٣

ثم خرج . قال عبد العزيز بن أبي ثابت : فحدثني عبد الله بن جعفر ، قال : دنوتُ منه ، فقلتُ له : بأبي أنت ! إنه والله ما لك بما رأيتَ طاقةً ، وما معك أحدٌ يصدّقُ القتال ؛ فاخرج الساعة حتى تلحقَ بالحسن بن معاوية بمكة ؛ فإنَّ معه جليّةً ^(١) أصحابك ، فقال : يا أبا جعفر ؛ والله لو خرجتُ لقتل أهل المدينة ؛ والله لا أرجع حتى أقتل أو أقتل ؛ وأنت مني في سعة ؛ فاذهب حيث شئت . فخرجت معه حتى إذا جاء دار ابن مسعود في سوق الظهر ركضتُ فأخذت على الزياتين ، ومضى إلى الثنية ، وقتل من كان معه بالنشاب وجاءت العصر فصلّى .

حدثني محمد بن الحسن بن زباله ، قال : حدثني إبراهيم بن محمد ، قال : رأيت محمدًا بين داري بني سعد ، عليه جُبّة مشقّة ، وهو على برّذون ، وابنُ خُضَيْرٍ إلى جانبه يناشده الله إلّا مضى إلى البصرة أو غيرها ؛ ومحمد يقول : والله لا تُبْتَلُون بي مرتين ؛ ولكن اذهب حيث شئت فأنت في حلّ . قال ابن خُضَيْرٍ : وأين المذهب عنك ! ثم مضى فأحرق الديوان ، وقتل رياحًا ثم لحقه بالثنية ، فقاتل حتى قتل .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : خرج مع محمد بن عبد الله بن خُضَيْرٍ رجل من ولد مُصْعَب بن الزبير ؛ فلما كان اليوم الذي قتل فيه محمد ، ورأى الخلل في أصحابه ، وأنّ السيف قد أفناهم ؛ استأذن محمدًا في دخول المدينة فأذن له ؛ ولا يعلم ما يريد ؛ فدخل على رياح بن عثمان بن حيان المُرِّي وأخيه ، فذبحهما ثم رجع ؛ فأخبر محمدًا ، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتِل من ساعته ^(٢) .

• • •

رجع الحديث إلى حديث عمر : حدثني أزهر ، قال : حدثني أخى ، قال : لما رجع ابن خُضَيْرٍ قتل رياحًا وابن مسلم بن عُقْبَةَ .

وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : ذبح ابن خُضَيْرٍ رياحًا ولم يُجهز عليه ، فجعل يضرب برأسه الجدار حتى

(١) ابن الأثير : « جل » . (٢) هذا الخبر ساقط من ت .

مات ؛ وقتل معه عباساً أخاه ؛ وكان مستقيماً الطريقة ، فعاب الناس ذلك عليه ؛ ثم مضى إلى ابن القسري وهو محبوس في دار ابن هشام ، فندب به فردم بابي الدار دونته ، فعالج البابين ، فاجتمع من في الحبس فسداً وهما ، فلم يقدر عليهم ؛ فرجع إلى محمد ، فقاتل بين يديه حتى قُتِل .

حدثني مسكين بن حبيب بن محمد ، قال : لما جاءت العصر صلّاها محمد في مسجد بني الدليل ، في الثنية ، فلما سلّم استسقى ، فسقته ربيحة بنت أبي شاكر القرشية ، ثم قالت له : جعلت فداك ! انج بنفسك ، قال : إذا لا يبق بها ديك^(١) يصرخ ؛ ثم مضى فلما كان ببطن مسيل سلّع ، نزل فعرب دابته ، وعرب بنو شجاع دوابهم ، ولم يبق أحد إلا كسر غمده سيفه . قال مسكين : فلقد رأيتني وأنا غلام ، جمعت من حليها^(٢) نحواً من ثلثمائة درهم ؛ ثم قال لهم : قد بايعتموني ولست بارجحاً حتى أقتل ، فمن أحب أن ينصرف فقد أذنت له ، ثم أقبل على ابن خضير ، فقال له : قد أحرقت الديوان ؟ قال : نعم ؛ خفت أن يؤخذ الناس عليه ؟ قال : أصبت .

٢٤٣/٣

حدثني أزهر ، قال : حدثني أخوأي ، قال : لقد هزمتنا يومئذ أصحاب عيسى مرتين أو ثلاثاً ، ولكننا لم نكن نعرف المزيمة ؛ ولقد سمعنا يزيد^(٣) بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ، يقول ، وقد هزمتناهم : ويل أمه فتسحاً لو كان له رجال !

حدثني عيسى ، قال : كان ممن انهزم يومئذ وفرّ عن محمد عبد العزيز ابن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فأرسل محمد وراءه ، فأتي به ، فجعل الصبيان يصيحون وراءه : «ألا باقة ببقبة» ، فكان عبد العزيز يقول بعد ذلك : إن أشد ما أتى على لصياح الصبيان .

وحدثني عيسى ، قال : حدثنا مولى هشام بن عمار بن الوليد بن عدى ابن الخيار ، قال : كنا مع محمد ، فتقدم هشام بن عمار إليه وأنا معه ، فقال : إني لا آمن أن يخذلك من ترى ، فأشهد أن غلامي هذا حر لوجه

(٢) ط : «يزيد» تحريف ، والصواب ما أثبتته من ت .

(١) ج : «حليتها» .

الله إن رمتُ أبداً أو تُقتل أو أقتل أو نُغلب ؛ فقلت : فوالله إنني لمعه إذ وقعت بترسه نشابة ، ففلقته باثنتين ، ثم خسفت في درعه ، فالتفت إلى فقال : فلان ! قلت : لبيك ! قال : ويلك ! رأيت مثل هذا قط يا فلان ! أيما أحب إليك ؛ نفسي أم أنت ؟ قلت : لا بل نفسك ، قال : فأنت حرّ لوجه الله ، فانطلق هارباً .

٢٤٤/٣

وحدثني متوكل بن أبي الفحوة ، قال : حدثني محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن أبي فرّوة ، قال : إننا لعلّ ظهر سلّع ننظر ، وعليه أعاريب جهينة ، إذ صعد إلينا رجل بيده رُمح ، قد نصب عليه رأس رجل متصلٌ بحلقومه وكبده وأعناق بطنه ، قال : فرأيتُ منه منظراً هائلاً ، وتطيّرت منه الأعاريب ، وأجفلت هاربة حتى أسهلت ، وعلا الرجلُ الجبل ، ونادى على الجبل رطانة لأصحابه بالفارسية « كوهيان » ؛ فصعد إليه أصحابه حتى علواً سلّعا فنصبوا عليه راية سوداء ، ثم انصبوا إلى المدينة ، فدخلوها ، وأمرت أسماء بنت حسن ابن عبد الله بن عبيد الله بن عباس بن عبد المطلب — وكانت تحت عبد الله ابن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس — بخمار أسود ، فنصب على منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأى ذلك أصحابُ محمد تنادوا : « دخلت المدينة ، وهربوا . قال : وبلغ محمداً دخول الناس من سلّع ، فقال : لكل قوم جبل يعصمهم ؛ ولنا جبل لا نؤتى إلا منه .

وحدثني محمد بن إسماعيل ، عن الثقة عنده ، قال : فتح بنو أبي عمرو الغفاريون للمسودة طريقاً في بني غفار ، فدخلوا منه حتى جاءوا من وراء أصحاب محمد .

وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني عبد العزيز بن عمران ، قال : نادى محمد يومئذ حميد بن قحطبة : إن كنت فارساً وأنت تعتدّ ذاك على أهل خراسان فابز لي ، فأنا محمد بن عبد الله ، قال : قد عرفتُك وأنت الكريم ابن الكريم ، الشريف ابن الشريف ؛ لا والله يا أبا عبد الله لا أبرز لك وبين يدي من هؤلاء الأغمار لإنسان واحد ؛ فإذا فرغت منهم فسأبرز لك لعمري .

٢٤٥/٣

وحدثني عثمان بن المنذر بن مصعب بن عروة بن الزبير ، قال : حدثني

رجل من بنى ثعلبة بن سعد ، قال : كنت بالثنية يوم قُتِلَ محمد بن عبد الله ابن حسن ومعه ابن خضير ، قال : فجعل ابن قحطبة يدعو ابن خضير إلى الأمان ، ويشحّ به عن الموت ، وهويشدّ على الناس بسيفه مترجلاً ، يتمثل :
 لَا تَسْقِهِ حَزْرًا وَلَا حَلِيبًا إِنْ لَمْ تَجِدْهُ سَابِحًا يَغْبُوبًا
 ذَا مَيْعَةٍ يَلْتَهُمُ الْجَبُوبَا كَالذَّنْبِ يَتَلَوُ طَمَعًا قَرِيبَا
 يَبَادِرُ الْآثَارَ أَنْ تَتُوبَا وَحَاجِبَ الْجَوْنَةِ أَنْ يَغِيبَا
 قال : فخالط الناس ، فضربه ضارب على أليته فخلّتها ^(١) ، فرجع إلى أصحابه ، فشقّ ثوباً فعصّبها إلى ظهره ، ثم عاد إلى القتال ، فضربه ضارب على حجاج عينه ^(٢) ، فأغمض السيف في عينه ، وخرّ فابتدره القوم ، فحزّوا رأسه ؛ فلما قُتِلَ ترجل محمد ، فقاتل على جيفته حتى قتل .

وحدثني مخلّد بن يحيى بن حاضر بن المهاجر الباهليّ ، قال : سمعتُ الفضل بن سليمان مولى بني نعيم يخبر عن أخيه — وكان قد قُتِلَ له أخ مع محمد — قال : كان الخُراسانية إذا نظروا إلى ابن خضير تنادوا : « خضير آمد ، خضير آمد ! » ، وتضعصوا ^(٣) لذلك .

٢٤٦/٣

وحدثني هشام بن محمد بن عروة بن هشام بن عروة ، قال : أخبرني ماهان بن بخت مولى قحطبة ، قال : أتينا برأس ابن خضير ؛ فوالله ما جعلنا نستطيع حملَه لما كان به من الجراح ؛ والله لكانه باذنجانة مفلّقة ، وكنا نضمُّ أعظمه ضمًّا .

وحدثني أزهر بن سعيد ، قال : لما نظر أصحاب محمد إلى العلم الأسود على منارة المسجد فت ذلك في أعضادهم ، ودخل حميد بن قحطبة من زُقاق أشجع على محمد فقتله وهو لا يشعر ، وأخذ رأسه فأَتى به عيسى ، وقتل معه بشراً كثيراً .

قال : وحدثني أبو الحسن الحذّاء ، قال : أخبرني مسعود الرّحّال ، قال : رأيت

(١) خلّها ؛ أي ثقبها ؛ أو أحدث بها جرحاً ، وقط : « حلّها » ، تحريف .

(٢) الحجاج : العظم الذي يثبت عليه الحاجب .

(٣) الصمصعة : التفرق .

محمدًا يومئذٍ باشر القتال بنفسه ، فأنظر إليه حين ضربه رجلٌ بسيف دون شحمة أذنه اليمنى ، فبرك لركبتيه وتعاورا^(١) عليه ، وصاح حميد بن قحطبة : لا تقتلوه ، فكفوا ، وجاء حميد فاحتز رأسه .

وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : برك محمد يومئذٍ لركبتيه وجعل يذب عن نفسه ويقول : ويحكم ! أنا ابن نبيكم ، محرَج^(٢) مظلوم ! وحدثني محمد بن يحيى ، قال ، حدثني ابن أبي ثابت ؛ عن عبد الله بن جعفر ، قال : طعنه ابن قحطبة في صدره فصصره ، ثم نزل فاحتز رأسه ، فأتى به عيسى .

وحدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثني أبو الحجاج المنقرى ، قال : ٢٤٧/٣ رأيتُ محمدًا يومئذٍ^(٣) وإن أشبه ما خلق الله به لَمَّا دُكِرَ عن حمزة بن عبد المطلب ، يهذ الناس بسيفه هذًا ؛ ما يقاربه أحد إلا قتله^(٤) ، ومعه سيف ، لا والله ما يُلِيق شيئًا ؛ حتى رماه إنسان بسهم كَأَنِّي أنظر إليه ، أحمر أزرق ، ثم دهمتنا الخيل ، فوقف إلى ناحية جدار ، فتحاماه الناس ، فوجد الموت ، فتحامل على سيفه فكسره ؛ قال : فسمعتُ جدتي يقول : كان معه سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو الفقار .

وحدثني هرمز أبو عليّ مولى باهلة ، قال : حدثني عمرو بن المتوكل - وكانت أمّه تخدم فاطمة بنت حسين - قال : كان مع محمد يوم قتل سيف النبيّ صلى الله عليه وسلم ذو الفقار ، فلما أحسن الموت أعطى سيفه رجلًا من التجار كان معه - وكان له عليه أربعمائة دينار - فقال له : خذ هذا السيف ؛ فإنك لا تلقى به أحدًا من آل أبي طالب إلا أخذته وأعطاك حقك . قال : فكان السيف عنده ، حتى ولى جعفر بن سليمان المدينة فأخبر عنه ، فدعا الرجل وأخذ السيف منه ، وأعطاه أربعمائة دينار ؛ فلم يزل عنده

(١) ط : « وتعاورا » .

(٢) ط : « محرَج » ؛ والوجه ما أثبتته من ت .

(٣-٢) ابن الأثير : « فلما قتل تقدم محمد فقاتل على جيافته فجعل يهذ الناس هذًا ؛ وكان أشبه الناس بقتال حمزة » .

حتى قام المهديّ ، وولّى جعفر المدينة ، وبلغه مكانُ السيف ؛ فأخذه ، ثم صار إلى موسى ، فجرب به على كلب ، فانقطع السيف .

وحدثني عبدُ الملك بن قُريب الأَصمعيّ ، قال : رأيتُ الرّشيدَ أميرَ المؤمنين بطُوس ، متقلداً سيفاً ، فقال لي : يا أَصمعيّ ، ألا أريك ذا الفَقار ؟ قلت : بلى ، جعلني الله فداك ! قال : استلّ سيفي ، فاستلّته ، فرأيتُ فيه ثمانَ عشرةَ فقارة .

وحدثني أبو عاصم النبيل ، قال : حدثني أخو الفضل بن سليمان النُميريّ قال : كنا مع محمد ، فأطاف^(١) بنا أربعون ألفاً ، فكانوا حولنا كالحرّة السوداء ، فقلت له : لو حملت فيهم لانفجروا عنك ، فقال : إن أمير المؤمنين لا يحمل ، إنه إن حمل لم تكن له بقية . قال : فجعلنا نعيد^(٢) ذلك عليه ؛ فحمل ، فالتفؤوا عليه فقتلوه .

٢٤٨/٣

وحدثني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سلم — ويدعى ابن البوّاب ؛ وكان خليفة الفضل بن الربيع يحجب هارون ، من أدباء الناس وعلمائهم — قال : حدثني أبي عن الأسلميّ — يعني عبد الله بن عامر — قال : قال لي محمد ونحن نقاتل معه عيسى : تغشانا سحابة ؛ فإن أمطرتنا ظفرتنا ، وإن تجاوزتُنا إلهم فانظر إلى دمي على أحجار الزيت ؛ قال : فوالله ما لبثنا أن أطلتُنا سحابة فأحالت حتى قلتُ : تفعل ، ثم تجاوزتُنا فأصاب عيسى وأصحابه ، فما كان إلا كلا ولا ؛ حتى رأيته قتيلاً بين أحجار الزيت .

وحدثني إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن أبي الكرام ، قال : قال عيسى الحُميد بن قحطبة عند العصر : أراك قد أبطأت في أمر هذا الرجل ، فولّ حمزة بن مالك حربته ، فقال : والله لو رُمتَ أنت ذاك ما تركتُك ؛ أحيان قتلُ الرجال ووجدتُ ريحَ الفتح ! ثم جدّ في القتال حتى قُتل محمد .

وحدثني جواد بن غالب بن موسى مولى بني عجل ، قال : أخبرني حميد

مولى محمد بن أبى العباس ، قال : اتهم عيسى حميد بن قحطبة يومئذ - وكان على الخيل - فقال : يا حميد ، ما أراك تبالغ ، قال : أتتهمني ! فوالله لأضربن محمدًا حين أراه بالسيف أو أقتل دونه . قال : فمر به وهو مقتول ؛ فضربه بالسيف ليريمينه .

وحدثني يعقوب بن القاسم ، قال : حدثني على بن أبى طالب ، قال : قُتِلَ محمد بعد العصر ، يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان . وحدثني أيوب بن عمر ، قال : حدثني أبى ، قال : بعث عيسى فدق السجن ، فحملنا إليه والقتال دائب^(١) بينهم ؛ فلم نزل مطرحين بين يديه ، حين أتى برأس محمد ، فقلت لأخى يوسف : إنه سيدعونا إلى معرفته ، ولا نعرفه له ؛ فإننا نخاف أن نخطئ ؛ فلما أتى به قال : أتعرفانه ؟ قلنا : نعم ، قال : انظرا ، أهو هذا ؟ قال أبى : فبدرت يوسف ، فقلت : أرى دمًا كثيرًا وأرى ضربًا ؛ فوالله ما أثبتته^(٢) ، قال : فأطلقنا من الحديد ، وبتنا عنده ليلتنا كلها حتى أصبحنا . قال : ثم ولأنى ما بين مكة والمدينة ، فلم أزل والياً عليه حتى قدم جعفر بن سليمان ، فحمدنى إليه ، وألزمنى نفسه .

وحدثني على بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال : حدثني أبو كعب ، قال : حضرت عيسى حين قتل محمدًا ، فوضع رأسه بين يديه ، فأقبل على أصحابه ، فقال : ما تقولون فى هذا ؟ فوقعوا فيه ، قال : فأقبل عليهم قائداً له ، فقال : كذبتُم والله وقتلتم باطلا ، لما على هذا قاتلناه ؛ ولكنه خالف أمير المؤمنين ، وشق عصا المسلمين ؛ وإن كان لصوأمًا قوأمًا . فسكت القوم . وحدثني ابن البواب عبد الله بن محمد ، قال : حدثني أبى ، عن الأسلمى ، قال : قدم على أبى جعفر قادم ، فقال : هرب محمد ، فقال : ٢٥٠/٣ كذبت ! نحن أهل البيت لا نفر .

وحدثني عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : حدثني أبو الحجاج الجمال ، قال : إني لقاُم على رأس أبى جعفر ، وهو مسألنى عن مخرج محمد ، إذ بلغه

(٢) أثبتته ، أى ما أعرفه .

(١) ج : « قائم » .

أن عيسى قد هُزِمَ - وكان متكئاً فجلس - فضرب بقضيب معه مصلاًه ، وقال : كلاً ، فأين لعب صبياننا بها على المنابر ومشورة النساء ! ما أنى لذلك بعد ! (١) .

قال : وحدثني محمد بن الحسن ، قال : حدثني بعض أصحابنا ، قال : أصاب أبا القلمس نصابة في ركبتيه ، فبقى نصلها ، فعالجها فأعياه ، فقبل له : دعه حتى يقيح فيخرج ، فتركه ، فلما طُلب بعد الهزيمة لحق بالحرة ، وأبطأ به ما أصاب ركبتيه ، فلم يزل بالتصل حتى استخرجه ثم جثا لركبتيه ، ونكب كنانته (٢) ، فرماهم فتصدعوا عنه ، فلحق بأصحابه فنجوا .

وحدثني محمد بن الحسن ، قال : حدثني عبد الله بن عمر بن القاسم ، قال : لما انهزمنا يومئذ كنت في جماعة ، فيهم أبو القلمس ، فالتفت إليه ، فإذا هو مستغرب ضحكاً ، قال : فقلت : والله ما هذا بموضع ضحك ، وخفضتُ بصرى ؛ فإذا برجل من المنهزمة قد تقطع قميصه ، فلم يبق منه إلا جُربانه (٣) وما يستر صدره إلى ثدييه ، وإذا عورته بادية وهو لا يشعر ؛ قال : فجعلت أضحك لضحك أبي القلمس .

فحدثني عيسى ، قال : حدثني أبي ، قال : لم يزل أبو القلمس مخفياً بالفرع ، وبقى زماناً ثم عدا عليه عبدٌ له ، فشدخ رأسه بصخرة فقتله ، ثم أتى أمٌ ولد كانت له ، فقال : إني قد قتلت سيّدك فهلّمي أتزوجك ؟ قالت : رويداً أتصنع لك ، فأمهلها ، فأنت السلطان فأخبرته ، فأخذ العبد فشدخ رأسه .

٢٥١/٣

حدثني محمود بن معمر بن أبي الشدائد ، قال : أخبرني أبي ، قال : لما دخلتُ خيلُ عيسى من شعب بني فزارة ، فقتل محمد ، اقتحم نفر على أبي الشدائد فقتلوه ، وأخذوا رأسه ، فنادت ابنته الناعمة بنت أبي الشدائد : وا رجالاه ! فقال لها رجل من الجند : ومن رجالك ؟ قالت : بنو فزارة ، قال : والله لو علمتُ ما دخلتُ بيتك ، فلا بأس عليك ، أنا امرؤ من

(١) ت ، ه : « ما إن لذلك بعد » .

(٢) نكب كنانته : نثر ما فيها .

(٣) جربان القميص : جيبه .

عشيرتك من باهلة ؛ وأعطاهما قطعة من عمامته فعلقتهما على بابها . قال :
وأُتِيَ عيسى برأسه ، وعنده ابن أبي الكرام ومحمد بن لُوط بن المغيرة بن
نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، فاسترجعا وقالا : والله ما بقي من أهل المدينة
أحدٌ ، هذا رأس أبي الشدائد ، فالح بن معمر — رجل من بني فزارة مكفوف —
قال : فأمر منادياً فنادى : مَنْ جاء برأس ضربنا رأسه .

وحدثني عليّ بن زاذان ، قال : حدثني عبد الله بن برق ، قال : رأيت
قائداً من قواد عيسى ، جاء في جماعة يسأل عن منزل ابن هرمز ؛ فأرشدناه إليه .
قال : فخرج وعليه قميص رباط ، قال : فأنزلوا قائداً هم ، وحملوه على بيردونه
وخرجوا به يزفونه ، حتى أدخلوه على عيسى ، فما هاجه .

حدثني قدامة بن محمد ، قال : خرج عبد الله بن يزيد بن هرمز ومحمد
ابن عجلان مع محمد ، فلما حضر القتال ، تقلد كل واحد منهما قوساً ،
فظننا أنهما أرادا أن يُربيا الناس أنهما قد صلحا لذلك .

٢٥٢/٣

وحدثني عيسى ، قال : حدثني حسين بن يزيد ، قال : أتى بـابن هرمز
إلى عيسى بعد ما قتل محمد ، فقال : أيها الشيخ ، أما وزعك فقهك عن
الخروج مع من خرج ! قال : كانت فتنة شملت الناس ، فشملتنا فيهم ، قال :
اذهب راشداً .

وحدثني محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : سمعت مالک بن أنس ، يقول :
كنتُ آتياً ابنَ هرمز فيأمر الجارية فتغلق الباب ، وترجيى الستر ، ثم يذكر
أول هذه الأمة ، ثم يبكي حتى تخضل لحيته . قال : ثم خرج مع محمد
فقيل له : والله ما فيك شيء ، قال : قد علمتُ ؛ ولكن يراني جاهل فيقتدي بي .

حدثني عيسى ، قال : حدثني محمد بن زيد ، قال : لما قُتل محمد
انخرقت السماء بالمطر بمالم أر مثله انخرق قط منها ، فنادى منادى عيسى :
لا بيتن بالمدينة أحدٌ من الجند إلا كثير بن حصين وجنده ، ولحق عيسى
بعسكره بالحرُف ؛ فكان به حتى أصبح ، ثم بعث بالبشارة مع القاسم بن
حسن بن زيد ، وبعث بالرأس مع ابن أبي الكرام .

وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : لما أصبح محمد في مصرعه ، أرسلت أخته زينب بنت عبد الله وابنته فاطمة إلى عيسى : إنكم قد قتلتم هذا الرجل ، وقضيت من حاجتكم ، فلو أذنتم لنا فواريناه ! فأرسل إليهما : أما ما ذكرتما يابنتي عمتي بما نيل منه فوالله ما أمرت ولا علمت؛ فوارياه راشدين . فبعثنا^(١) إليه فاحتمل ، فقيل : إنه حُشى في مقطع عنقه عدليه قطنًا ، ودفن بالبقيع ، وكان قبره وجاه زقاق دار علي بن أبي طالب ، شارعًا على الطريق أو قريبًا من ذلك ؛ وبعث عيسى بالولية فوضَعَ علي باب أسماء بنت حسن بن عبد الله واحدٌ ، وعلي باب العباس بن عبد الله بن الحارث آخر ، وعلي باب محمد بن عبد العزيز الزهرى آخر ، وعلي باب عبيد الله بن محمد بن صفوان آخر ، وعلي باب دار أبي عمرو الغفاري آخر ، وصاح مناديه : مَنْ دخل تحت لواء منها ، أو دخل دارًا من هذه الدور فهو آمن ؛ ومطرت السماء مطرًا جَوْدًا^(٢) ، فأصبح الناس هادئين^(٣) في أسواقهم ؛ وجعل عيسى يختلف إلى المسجد من الجُرف ، فأقام بالمدينة أيامًا ، ثم شَخَص صُبحَ تسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان يريد مكة .

٢٥٣/٣

حدثني أزهر بن سعيد ، قال : لما كان الغد من قتل محمد أذن عيسى في دفنه ، وأمر بأصحابه فصلبوا ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن عبد العزيز . قال أزهر : فرأيتهم صفين ؛ ووكل بخشبة ابن خُضَيْر مَنْ يحرسها ، فاحتمله قومٌ في الليل فواروه ، ولم يقدَر عليهم ، وأقام الآخرون مصلين ثلاثًا ، ثم تأذى بهم الناس ، فأمر عيسى بهم فألقوا على المفرح من سَلْع ، وهي مقبرة^(٤) اليهود ، فلم يزالوا هنالك ، ثم ألقوا في خندق بأصل ذباب .

حدثني عيسى بن عبد الله قال : حدثتني أم حسين بنت عبد الله بن محمد بن علي بن حسين ، قالت : قلت لعمي جعفر بن محمد : إني - فديتُكَ - ما أمر محمد بن عبد الله [هذا] ؟^(٥) قال : فتنته^(٦) يقتل فيها محمد عند بيت

٢٥٤/٣

(١) ط : « فبعث » ، والصواب ما أثبتته من ت .

(٢) ج : « مطمورة » .

(٣) ت : « فتنه » .

(٤) من ت .

(٥) الجود : المطر الغزير .

(٦) ج : « مطمورة » .

(٧) ت : « فتنه » .

روى ، ويقتل أخوه لأبيه وأمه بالعراق وحوافر فرسه في ماء .

حدثني عيسى ، عن أبيه ، قال : خرج مع محمد حمزة بن عبد الله بن محمد بن عليّ - وكان عمه جعفر ينهاه ؛ وكان من أشدّ الناس مع محمد - قال : فكان جعفر يقول له : هو والله مقتول ، قال : ففتحني جعفر .

حدثني عيسى ، قال : حدثنا ابن أبي الكرام ، قال : بعثني عيسى برأس محمد ، وبعث معي مائة من الجند ، قال : فجئنا حتى إذا أشرفنا على النجف كبرنا - قال : وعامر بن إسماعيل يومئذ بواسط محاصر هارون ابن سعد العجليّ - فقال أبو جعفر للربيع : ويحك ! ما هذا التكبير ! قال : هذا ابن أبي الكرام ، جاء برأس محمد بن عبد الله ، قال : ائذن له ولعشرة ممن معه ، قال : فأذن لي ، فوضعتُ الرأس بين يديه في ترس ، فقال : من قُتل معه من أهل بيته ؟ قلتُ : لا والله ولا إنسان ، قال : سبحان الله ! هو ذاك . قال : فرفع رأسه إلى الربيع ، فقال : ما أخبرنا صاحبه الذي كان قبله ؟ قال الربيع : زعم أنه قُتل منهم عدد كثير ، قلت : لا والله ولا واحد .

حدثني عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم ، قال : لما قدم برأس محمد على أبي جعفر وهو بالكوفة ، أمر به فطيف في طَبَق أبيض ، فرأيتُه آدم أرْقَط ، فلما أمسى من يومه بعث به إلى الآفاق .

وحدثني عبد الله بن عمر بن جبيب من أهل يَسْبُع ، قال : لما أتى أبو جعفر ٢٥٥/٣ بروس بن شجاع ، قال : هكذا فليكن الناس ، طلبتُ محمدًا فاشتمل هؤلاء عليه ، ثم نقلوه وانتقلوا معه ، ثم قاتلوا معه فصبروا حتى قتلوا .

قال عمر : أنشدني عيسى بن إبراهيم وإبراهيم بن مصعب بن عُمار بن حمزة بن مصعب ، ومحمد بن يحيى ومحمد بن الحسن بن زبالة وغيرهم لعبد الله ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير يرثي محمدًا :

تبكى مُدْلَهُ أَنْ تَقْنَصَ حَبْلَهُمْ عَيْسَى وَأَقْصَدَ صَائِبًا عَثْمَانَا (١)

(١) يعلها في ت : يعنى بعيسى بن حصين وعثمان بن محمد بن خالد بن الزبير « .

هَلَّا عَلَى الْمَهْدِيِّ وَابْنَيْ مُصْعَبٍ
وَلَفَقْدِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ تَصَدَّعَتْ
سَالَتْ دُمُوعُ ضَلَّةٍ قَدْ هِجَّتْ لِي
وَاللَّهِ مَا وَلَدَ الْحَوَاضُنُ مِثْلَهُمْ
وَأَشَدُّ نَاهِضَةً وَأَقْوَلَ لِلَّتِي
فَهَنَّاكَ لَوْ فَقَّاتَ غَيْرَ مُشَوِّهِ
رُزْءٍ لَعَمْرُكَ لَوْ يُصَابُ بِمِثْلِهِ
وقال ابن مصعب :

يَا صَاحِبِي دَعَا الْمَلَامَةَ وَأَعْلَمَا
وَقَفَا بِقَبْرِ ابْنِ النَّبِيِّ فَسَلَّمَا
قَبْرُ تَضَمَّنَ خَيْرَ أَهْلِ زَمَانِهِ
رَجُلٌ نَفَى بِالْعَدْلِ جَوْرَ بِلَادِنَا
لَمْ يَجْتَنِبْ قَصْدَ السَّبِيلِ وَلَمْ يَجْرُ
لَوْ أَعْظَمَ الْحَدَّثَانِ شَيْئًا قَبْلَهُ
أَوْ كَانَ أَمْتَعَ بِالسَّلَامَةِ قَبْلَهُ
ضَحَّوْا بِإِبْرَاهِيمَ خَيْرَ ضَحِيَّةٍ
بَطْلًا يَخُوضُ بِنَفْسِهِ غَمَرَاتِهَا
حَتَّى مَضَتْ فِيهِ السُّيُوفُ وَرُبَّمَا
أَضْحَى بَنُو حَسَنِ أَبِيحَ حَرِيمُهُمْ
وَنَسَاوَهُمْ فِي دَوْرِهِنَّ نَوَاحٍ
يَتَوَسَّلُونَ بِقَتْلِهِمْ وَيَرَوْنَهُ
وَاللَّهِ لَوْ شَهِدَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ

٢٥٦/٣

أَذْرَيْتَ دَمْعَكَ سَاكِبًا تَهْتَانَا!
عَنِ الْجُمُوعِ فَوَاجَهَ الْأَقْرَانَا
بُرْحَاءَ وَجَدِ تَبَعْتُ الْأَحْزَانَا
أَمْضَى وَأَرْفَعَ مَحْتِدًا وَمَكَانَا
تَنْفِي مَصَادِرُ عَدْلِهَا الْبَهْتَانَا
عَيْنِيكَ مِنْ جَزَعِ عَذْرَتِ عَلَانَا
مِبْطَانُ صَدَّعَ رُزُوهُ مِبْطَانَا

أَنْ لَسْتُ فِي هَذَا بِأَلْوَمَ مِنْكُمْ
لَا بِأَسْ أَنْ تَقِفَا بِهِ فَتُسَلَّمَا
حَسْبًا وَطَيْبَ سَجِيَّةٍ وَتَكْرُمَا
وَعَفَا عَظِيمَاتِ الْأُمُورِ وَأَنْعَمَا
عَنْهُ ، وَلَمْ يَفْتَحْ بِفَاحِشَةٍ فَمَا
بَعْدَ النَّبِيِّ بِهِ لَكُنْتَ الْمَعْظَمَا
أَحَدًا لَكَانَ قَصَارُهُ أَنْ يَسَلَّمَا
فَتَصَرَّمَتْ أَيَّامُهُ وَتَصَرَّمَا
لَا طَائِثًا رَعَشًا وَلَا مُسْتَسَلَّمَا
كَانَتْ حُتُوفُهُمُ السُّيُوفُ وَرُبَّمَا
فِينَا وَأَصْبَحَ نَهْبُهُمْ مَتَقَسَّمَا
سَجَّعَ الْحَمَامُ إِذَا الْحَمَامُ تَرْتَمَا
شَرْقًا لَهُمْ عِنْدَ الْإِمَامِ وَمَغْنَمَا
صَلَّى إِلَهِ عَلَى النَّبِيِّ وَسَلَّمَا

إِشْرَاعَ أُمِّهِ الْأَسْنَةَ لِابْنِهِ حَتَّى تَقْطُرَ مِنْ طَبَائِهِمْ دَمَا
حَقًّا لِأَيُّقَنَ أَنَّهُمْ قَدْ ضَيَّعُوا تِلْكَ الْقَرَابَةَ وَاسْتَحْلَوْا الْمَحْرَمَا

وحدثني إسماعيل بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حدثني موسى بن عبد الله
ابن حسن ، قال : خرجتُ من منازلنا بسويقة في الليل ، وذلك قبلُ مُخْرَجِ مُحَمَّدٍ
ابن عبد الله ؛ فإذا بنسوة كأنما خرجن من ديارنا ؛ فأخذتني عليهن غَيِّرَةً ،
فإني لأتبعهن أنظر أين يَرْدُنَ ؛ حتى إذا كنَّ بطرف الحميراء من جانب
الغَرْسِ (١) ؛ التفتت إلي إحداهن ، فقالت :

٢٥٧/٣

سُويقةُ بَعْدَ ساكنها يَبَابُ لَقَدْ أُمِسْتُ أَجَدَّ بِهَا الْخَرَابُ

فعرفتُ أنهن من ساكني الأرض ، فرجعت .

وحدثني عيسى ، قال : لما قَتَلَ عيسى بن موسى محمداً قبض أموالُ
بنِي حسن كُلِّهَا ، فأجاز ذلك أبو جعفر .

وحدثني أيوب بن عمر ، قال : لقيَ جعفر بن محمد أبا جعفر ، فقال :
يا أمير المؤمنين ، رُدَّ عَلَيَّ قِطْعَتِي عَيْنَ أَبِي زِيَادٍ أَكَلَ مِنْ سَعْفِهَا ، قال : إِيَايَ
تَكَلِّمْ بِهَذَا الْكَلَامِ ! وَاللَّهِ لِأَزْهِقَنَّ نَفْسَكَ . قال : فلا تعجلْ عَلَيَّ ؛ قد بلغتُ
ثَلَاثًا وَسِتِينَ ، وفيها مات أبي وجدتي علي بن أبي طالب ؛ وعلى كذا وكذا
إِنْ رَبَّتْكَ بَشْيٌ أَبَدًا ، وَإِنْ بَقِيتُ بَعْدَكَ إِنْ رَبَّتَ الَّذِي يَقُومُ بَعْدَكَ . قال :
فَرَّقَ لَهُ وَأَعْفَاه .

وحدثني هشام بن إبراهيم بن هشام بن راشد ، قال : لم يَرُدْ أَبُو جَعْفَرٍ
عَيْنَ أَبِي زِيَادٍ حَتَّى مَاتَ فَرَدَّهَا الْمَهْدِيَّ عَلَى وَلَدِهِ .

وحدثني هشام بن إبراهيم ، قال : لما قُتِلَ مُحَمَّدُ أَمْرُ أَبُو جَعْفَرٍ بِالْبَحْرِ
فَأُقْفِلَ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، فلم يَحْمَلْ إِلَيْهِمْ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَحَارِ شَيْءٌ ؛ حَتَّى كَانَ
الْمَهْدِيُّ فَأَمَرَ بِالْبَحْرِ ففُتِحَ لَهُمْ ، وَأُذِنَ فِي الْحَمْلِ .

وحدثني محمد بن جعفر بن إبراهيم ، قال : حَدَّثَنِي أُمِّي أُمُّ سَلْمَةَ بِنْتُ

محمد بن طلحة بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر زوجة موسى بن عبد الله ، قالت : خاصم بنو الخزومية عيسى وسليان وإدريس بنو عبد الله بن حسن بن محمد بن عبد الله بن حسن في ميراث عبد الله ، وقالوا : قُتِلَ أبوكم محمد فورثه عبد الله ؛ فتنازعوا إلى الحسن بن زيد ؛ فكتب بذلك إلى أمير المؤمنين أبي جعفر ، فكتب إليه : أما بعد ؛ فإذا بلغك كتابي هذا فورثهم من جدّهم ، فإنّي قد رددت عليهم أموالهم صلة لأرحامهم ، وحفظاً لقرابتهم .

٢٥٨/٣

وحدثني عيسى ، قال : خرج مع محمد من بني هاشم الحسن ويزيد وصالح بنو معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وحسين وعيسى ابنا زيد بن عليّ بن حسين بن عليّ بن أبي طالب ؛ قال : فحدثني عيسى ، قال : بلغني أن أبا جعفر كان يقول : وأعجباً لخروج ابني زيد بن عليّ وقد قتلنا قاتل أبيهما كما قتله ، وصلبناه كما صلبه ، وأحرقناه كما أحرقه ، وحمزة ابن عبد الله بن محمد بن عليّ بن حسين بن أبي طالب ، وعليّ وزيد ابنا حسن ابن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب !

قال عيسى : قال أبو جعفر للحسن بن زيد : كأني أنظر إلى ابنك واقفين على رأس محمد بسيفين ، عليهما قباءان . قال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت أشكو إليك عقوقهما قبل اليوم ، قال : أجل فهذا من ذاك . والقاسم ابن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، والمرجى عليّ بن جعفر بن إسحاق بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال عيسى : قال أبو جعفر لجعفر بن إسحاق : من المرجى هذا ؟ فعل الله به وفعل ! قال : يا أمير المؤمنين ؛ ذاك ابني ، والله لئن شئت أن أنتني منه لأفعلن . ومن بني عبد شمس محمد بن عبد الله بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس .

٢٥٩/٣

قال : وحدثني أبو عاصم النبيل ، قال : حدثني عباد بن كثير ، قال : خرج ابن عجلان مع محمد ، وكان على ثقله ^(١) ، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة قيّده ، فدخلت عليه ، فقلت : كيف ترى رأي أهل البصرة في رجل قيّد الحسن ؟

قال : سيّئاً والله ، قال : قلت : فإن ابن عجلان بهذه كالحسن ثمّ ، فتركه .
ومحمد بن عجلان مولى فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس .

وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر بن عبد الله ، أنّ عبيد الله بن عمر
ابن حفص بن عاصم خرج معه ؛ فأتى به أبو جعفر بعد قتل محمد ، فقال
له : أنت الخارج علىّ مع محمد ؟ قال : لم أجد إلّا ذلك أو الكفر بما أنزل
الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، قال عمر : هذا ^(١) وهنّ .

قال : وحدثني عبد العزيز بن أبي سلمة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ،
قال : كان عبيد الله قد أجاب محمداً إلى الخروج معه ؛ فأت قبل أن يخرج ،
وخرج معه أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة بن أبي رهم بن عبد العزّي
ابن أبي قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ،
وخرج معه عبد الواحد بن أبي عون مولى الأزديّ وعبد الله بن جعفر بن عبد الرحمن
ابن المسور بن مخزومة وعبد العزيز بن محمد الدراورديّ وعبد الحميد بن جعفر
وعبد الله بن عطاء بن يعقوب مولى بني سباع ، وابن سباع من خزاعة حليف
بني زهرة ، وبنو إبراهيم وإسحاق وربيعة وجعفر وعبد الله وعطاء ويعقوب وعثمان
وعبد العزيز ؛ بنو عبد الله بن عطاء .

وحدثني إبراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب بن الزبير .
قال : وحدثني الزبير بن خبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، قال :
إنا لبالمرّ من بطن إضمّ ، وعندى زوجتي أمينة بنت خضير ؛ إذ مرّ بنا
رجل مصعب من المدينة ، فقالت له : ما فعل محمد ؟ قال : قُتِل ، قالت :
فما فعل ابن خضير ؟ قال : قتل ، فخرت ساجدة ، فقلت : أتسجدين أن
قُتِل أخوك ! قالت : نعم ، أليس لم يفر ولم يؤسّر !

قال عيسى : حدثني أبي ، قال : قال أبو جعفر لعيسى بن موسى :
مَنْ استنصر مع محمد ؟ قال : آل الزبير ، قال : ومَنْ ؟ قال : وآل

(١) ت : « وهذا » .

عمر ، قال : أما والله لعن غير مودة بهما له ولا محبة له ولا لأهل بيته . قال : وكان أبو جعفر يقول : لو وجدت ألفاً من آل الزبير كلهم محسن وفيهم مسيء واحد لقتلتهم جميعاً ، ولو وجدت ألفاً من آل عمر كلهم مسيء وفيهم محسن واحد لأعفيتهم جميعاً .

٢٦١/٣

قال عمر : وحدثنى إبراهيم بن مصعب بن عمارة بن حمزة بن مصعب ، قال : حدثني محمد بن عثمان بن محمد بن خالد بن الزبير ، قال : لما قُتِل محمد ، هرب أبي وموسى بن عبدالله بن حسن وأنا معهما وأبو هبّار المزني ، فأتينا مكة ، ثم انحدرنا إلى البصرة ، فاكترينا من رجل يدعى حكيماً ، فلما وردنا البصرة - وذلك بعد ثلث^(١) الليل - وجدنا الدروب مغلقة ، فجلسنا عندها حتى طلع الفجر ؛ ثم دخلنا فترلنا الميربند ، فلما أصبحنا أرسلنا حكيماً يبتاع لنا طعاماً ؛ فجاء به على رجل أسود ، في رجله حديدة ، فدخل به علينا فأعطاه جُعْله ، فتسخط علينا ، فقلنا : زده ، فتسخط ، فقلنا له : ويلك ! أضعف له ، فأبى ، فاستراب بنا ، وجعل يتصنح وجوهنا . ثم خرج فلم ننشأ أن أحاطت بمنزلنا الخيل ، فقلنا لربة المنزل : ما بال الخيل ؟ فقالت : لا بأس فيها^(٢) ، تطلب رجلاً من بني سعد يدعى نميلة بن مرة ، كان خرج مع إبراهيم . قال : فوالله ما راعنا إلاّ بالأسود قد دخل به علينا ، قد غطى رأسه ووجهه . فلما دخل به كشف عنه ، ثم قيل : أهؤلاء ؟ قال : نعم هؤلاء ؛ هذا موسى بن عبد الله ، وهذا عثمان بن محمد ، وهذا ابنه ؛ ولا أعرف الرابع غير أنه من أصحابهم . قال : فأخذنا جميعاً ، فدُخل بنا على محمد بن سليمان فلما نظر إلينا أقبل على موسى ، فقال : لا وصل الله رحيمك ! أتركت البلاد جميعاً وجئتني ! فلمّا أطلقتك فتعرّضت لأمر المؤمنين ، وإمّا أخذتكَ فقطعت رحيمك . ثم كتب إلى أمير المؤمنين بخبرنا^(٣) . قال : فجاء الجواب أن أحملهم إلى ، فوجّهنا إليه ومعنا جند ، فلما صرنا بالطبيعة وجدنا بها جُنُداً آخر ينتظروننا ؛ ثم لم نزل نأتي على المسالحي من الجُنُود في طريقنا كله ، حتى

(١) ج : « ثلاث ليال » . (٢) ت ، ج : « منها » .

(٣) كذا في ت ، وهو الصواب ، وفي ط : « وجدنا »

وردنا بغداد ، فدُخل بنا على أبي جعفر ، فلما نظر إلى أبي قال : هيه !
 أخرجت عليّ مع محمد ! قال : قد كان ذاك ؛ فأغلظ له أبو جعفر ؛ فراجعته
 ٢٦٢/٣ مليّاً ، ثم أمر به فضربت عنقه . ثم أمر بموسى فضرب بالسياط ، ثم أمر بي
 فقربت إليه ، فقال : اذهبوا به فأقيموه على رأس أبيه ؛ فإذا نظر إليه فاضربوا
 عنقه على جيفته . قال : فكلمه عيسى بن عليّ ، وقال : والله ما أحسبه بلغ ؛
 فقلت : يا أمير المؤمنين ، كنتُ غلاماً حدثاً غيراً أمرني أبي فأطعته ، قال :
 فأمر بي فضربتُ خمسين سوطاً ، ثم حبسني في المطبق وفيه يومئذ يعقوب بن
 داود ، فكان خير رفيق أرافقه وأعطفه ، يُطعمني من طعامه ، ويسقيني من شرابه ،
 فلم نزل كذلك حتى توفّي أبو جعفر ، وقام المهديّ وأخرج يعقوب ، فكلمه
 في فأخرجني .

قال : وحدثني أيوب بن عمر ، قال : حدثني محمد بن خالد ، قال :
 أخبرني محمد بن عروة بن هشام بن عروة ، قال : إني لعند أبي جعفر ، إذ
 أتى فقيل له : هذا عثمان بن محمد بن خالد قد دُخِلَ به ، فلما رآه أبو جعفر ،
 قال : أين المال الذي عندك ؟ قال : دفعته إلى أمير المؤمنين رحمه الله ، قال :
 ومن أمير المؤمنين ؟ قال : محمد بن عبد الله ، قال : أبايته (١) ؟ قال : نعم
 كما بآبائه ، قال : يابن اللخناء ! قال : ذاك من قامت عنه الإمام ، قال :
 اضرب عنقه ، قال : فأخذ (٢) فضربت عنقه .

قال : وحدثني سعيد بن عبد الحميد بن جعفر ، قال : حدثني محمد
 ابن عثمان بن خالد الزبيرى ، قال : لما خرج محمد خرج معه رجل من
 آل كثير بن الصلت ، فلما قتل وهُزِم أصحابه تغيّبوا ؛ فكان أبي والكثيرى
 ٢٦٢/٣ فيمن تغيّب ، فلبثوا بذلك ؛ حتى قدم جعفر بن سليمان والياً على المدينة ،
 فاشتدّ في طلب أصحاب محمد ، فاكترى أبى من الكثيرى إبلان كانت له ،
 فخرجنا متوجهين نحو البصرة ؛ وبلغ الخبر جعفرأ ، فكتب إلى أخيه محمد
 يعلمه بتوجهنا إلى البصرة ، ويأمره بالرصد لنا واليقظ لأمرنا ومقدمنا ، فلما
 قدمنا علم محمد بمقدمنا ومكاننا ، فأرسل إلينا فأخذنا ، فأتينا بنا ، فأقبل عليه

(١) ت : « أتأبته » .

(٢) كذا في ت ، وفي ط : « فأخر » .

أبي ، فقال : يا هذا ، اتق الله في كَرِينَا ^(١) هذا ؛ فإنه أعرابي لا علم له بنا ، إنما أكرانا ابتغاء الرزق ، ولو علم بجريرتنا ما فعل ؛ وأنت معرضه لأبي جعفر ؛ وهو مَنْ قد علمت ؛ فأنت قاتله ومتحمل مأثمه . قال : فوجمَّ محمد طويلاً ، ثم قال : هو والله أبو جعفر ، والله ما أتعرض له ، ثم حُمِلنا جميعاً فدخلنا على أبي جعفر ؛ وليس عنده أحد يعرف الكثيريَ غير الحسن بن زيد ، فأقبل على الكثيريَ ، فقال : يا عدوَّ الله ، أنكرى عدوَّ أمير المؤمنين ، ثم تنقله من بلد إلى بلد ، تواريه مرة وتظهره أخرى ! قال : يا أمير المؤمنين ، وما علمي بخبره وجريرته وعداوته إياك ! إنما أكرته جاهلاً به ، ولا أحسبه إلا رجلاً من المسلمين ، برى الساحة ؛ سليم الناحية ؛ ولو علمت حاله لم أفعل . قال : وأكبَّ الحسن بن زيد ينظر ^(٢) إلى الأرض ، لا يرفع رأسه . قال : فأوعد أبو جعفر الكثيريَ وتهدهده ، ثم أمر بإطلاقه ، فخرج فتغيَّب ، ثم أقبل على أبي ، فقال : هيه يا عثمان ! أنت الخارج على أمير المؤمنين ، والمعين عليه ^(٣) ! قال : بايعتُ أنا وأنت رجلاً بمكة ، فوفيتُ ببيعتي وغدرتُ ببيعتك . قال : فأمر به فضربت عنقه .

٢٦٤/٣

قال : وحدثنى عيسى ، قال : حدثني أبي ، قال : أتى أبو جعفر بعبد العزيز بن عبد الله بن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فنظر إليه فقال ^(٤) : إذا قتلْتُ مثل هذا من قريش فنن أَسْتَبِي ! ثم أطلقه ، وأتى بعمان بن محمد ابن خالد فقتله ، وأطلق ناساً من القرشيين ، فقال له عيسى بن موسى : يا أمير المؤمنين ، ما أشقَى هذا بك من بينهم ! فقال : إن هذا يدى ^(٥) .

قال : وحدثنى عيسى ، قال : سمعتُ حسن بن زيد يقول : غدوتُ يوماً على أبي جعفر ؛ فإذا هو قد أمر بعمل دكان ، ثم أقام عليه خالداً . وأتى بعلی بن المطلب بن عبد الله بن حنطب ، فأمر به فضرِبَ خمسمائة سوط . ، ثم أتى بعبد العزيز بن إبراهيم بن عبد الله بن مطيع فأمر به فجلدَ خمسمائة سوط ؛ فما تحرك واحد منهما ، فقال لى : هل رأيتُ أصبرَ من

(١) الكرى : الذى يكرىك دابته . (٢) ج : « فنظر » .

(٣) ج : « علينا » . (٤) ج : « ثم قال » . (٥) كذا فى ، وفى : « بيتى » .

هذين قطاً ! والله إنا لنؤتى بالذين قد قاسوا غلظ المعيشة وكدّها ، فما يصبرون هذا الصبر ، وهؤلاء أهل الخفض والكينّ والنعمة ، قلت : يا أمير المؤمنين ، هؤلاء قومك أهل الشرف والقدر ، قال : فأعرض عني ، وقال : آيت إلا العصبية ! ثم أعاد عبد العزيز بن إبراهيم بعد ذلك ليضربه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الله الله فينا ! فوالله إني لمكبّ على وجهي منذ أربعين ليلة ، ما صليت لله صلاة ! قال : أنتم صنعتم ذلك بأنفسكم ، قال : فأين العفو يا أمير المؤمنين ؟ ٢٦٥/٣ قال : فالعفو والله إذا ، ثم خلّى سبيله .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، قال : كثروا محمداً وألحقوا في القتال حتى قتل محمد في النصف من شهر رمضان سنة خمسة وأربعين ومائة ، وحمل رأسه إلى عيسى بن موسى ، فدعا ابن أبي الكرام ، فأراه إياه ، فعرّفه فسجد عيسى بن موسى ، ودخل المدينة ، وآمن الناس كلهم . وكان مكث محمد بن عبد الله من حين ظهر إلى أن قتل شهرين وسبعة عشر يوماً^(١) .

• • •

وفي هذه السنة : استخلف عيسى بن موسى على المدينة كثير بن حصين حين شخص عنها بعد مقتل محمد بن عبد الله بن حسن ، فكث والياً عليها شهراً ، ثم قدم عبد الله بن الربيع الحارثي والياً عليها من قبل أبي جعفر المنصور^(٢) .

وفي هذه السنة ثارت السودان بالمدينة بعبد الله بن الربيع ، فهرب منهم .

• • •

ذكر الخبر عن وثوب السودان

بالمدينة في هذه السنة والسبب الذي هيج ذلك

ذكر عمر بن شبة أن محمد بن يحيى حدثه ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : كان رياح بن عثمان استعمل أبابكر بن عبد الله بن أبي سبرة على صدقة أسد وطيّ فلما خرج محمد أقبل إليه أبو بكر بما كان جيا^(٢) وشمّ رمعه ، فلما استخلف عيسى كثير

(٢) إلى هنا ينتهي الموجود من نسخة ت .

(١) هذا الخبر ساقط من ت .

٢٦٦/٣

ابن حصين على المدينة أخذ أبا بكر ، فضربه سبعين سوطاً وحدّده وجبسه .
ثم قدّم عبد الله بن الربيع والياً من قبيل أبي جعفر يوم السبت لخمس بقين
من شوال سنة خمس وأربعين ومائة ، فنازع جنده التجار في بعض ما يشترونه
منهم ، فخرجت طائفة من التجار حتى جاءوا دار مروان ، وفيها ابن الربيع ،
فشكوا ذلك إليه ، فنهزم وشتمهم ، وطمع فيهم الجند ، فتزايدوا في سوء الرأي .

قال : وحدثني عمر بن راشد ، قال : انتهب الجند شيئاً من متاع السوق ،
وغدوا على رجل من الصّرافين يدعى عثمان بن زيد ، فغالبه على كيسه ؛
فاستغاث ، فخلص ماله منهم ، فاجتمع رؤساء أهل المدينة فشكوا ذلك إلى
ابن الربيع فلم ينكره ولم يغيّره ، ثم جاء رجل من الجند فاشترى من جزّار
لحمًا يوم الجمعة ، فأبى أن يعطيه ثمنه ، وشهر عليه السيف ؛ فخرج عليه
الجزّار من تحت الوضّمْ بشفرة ، فطعن بها خاصرته ، فخرّ عن دابته ،
واعتوره^(١) الجزّارون فقتلوه ، وتنادى السودان عن الجند وهم يروحون إلى الجمعة
فقتلوه بالعمد في كل ناحية ، فلم يزالوا على ذلك حتى أمسوا ؛ فلما كان
الغد هرب ابن الربيع .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ،
قال : نفخ السودان في بوق لهم ؛ فذكر لي بعض من كان في العالية وبعض
من كان في السافلة ، أنه كان يرى الأسود من سكّانهما في بعض عمله يسمع
نفخ البوق ، فيصغى له حتى يتيقنه ثم يوحش^(٢) بما في يده ، ويأتم الصوت
حتى يأتيه . قال : وذلك يوم الجمعة لسبع بقين من ذي الحجة من سنة خمس
وأربعين ومائة ، ورؤساء السودان ثلاثة نفر : وثيق ويعقل ورمقة . قال : فغدوا
على ابن الربيع ، والناس في الجمعة فأعجلوهم عن الصلاة ، وخرج إليهم
فاستطردوا له ؛ حتى أتى السوق فرّ بمساكين خمسة يسألون في طريق المسجد ،
فحمل عليهم بمنّ معه حتى قتلوه ، ثم مر بأصبيّة على طنّسف دار ،
فظنّ أن القوم منهم ؛ فاستترهم واختدعهم وآمنهم ؛ فلما نزلوا ضرب

٢٦٧/٣

(٢) ب : « توجس » .

(١) ط : « واعتوره » .

أعناقهم ، ثم مضى ووقف^(١) عند الخنّاطين ، وحمل عليه السودان ، فأجلى هارباً فاتبعوه حتى صار إلى البقيع ، ورهقوه فنثر لهم دراهم ، فشغلهم بها ، ومضى على وجهه حتى نزل بيطن نخل ، عن ليلتين من المدينة .

قال : وحدثنى عيسى ، قال : خرج السودان على ابن الربيع ، ورؤساؤهم : وثيق وحدّيا وعنقود وأبو قيس ، فقاتلهم فهزموه ، فخرج حتى أتى بطن نخل فأقام بها .

وحدثنى عمر بن راشد ، قال : لما هرب ابن الربيع وقع السودان في طعام لأبي جعفر من سويق ودقيق وزيت وقسب ، فانتهبوه ، فكان حمل الدقيق بدرهمين^(٢) ، وراوية زيت بأربعة دراهم .

وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : أغاروا على دار مروان ودار يزيد ، وفيهما طعام كان حمل للجند في البحر ، فلم يدعوا فيهما شيئاً . قال : وشخص سليمان بن فليح بن سليمان في ذلك اليوم إلى أبي جعفر ، فقدم عليه فأخبره الخبر .

قال : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، ٢٦٨/٣ قال : وقتل السودان نفرًا من الجند ، فهابهم الجند حتى أن كان الفارس ليلقى الأسود وما عليه إلا خيرقتان على عورته ودراعة ، فيوليه دُبْرَه احتقاراً له ، ثم لم ينشب أن يشدّ عليه بعمود من عمود السوق فيقتله : فكانوا يقولون : ما هؤلاء السودان إلا سحرة أو شياطين !

قال : وحدثنى عثمان بن عمرو السهمي ، قال : حدثني المسور بن عبد الملك ، قال : لما حبس ابن الربيع أبا بكر بن أبي سبرة ، وكان جاء بجباية طيّ وأسد ، فدفعها إلى محمد ، أشفق القرشيون على ابن أبي سبرة ، فلما خرج السودان على ابن الربيع ، خرج ابن أبي سبرة من السجن ، فخطب الناس ، ودعاهم إلى الطاعة ، وصلّى بالناس حتى رجع ابن الربيع .

قال : وحدثنى محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ،

قال : خَرَجَ ابنُ أَبِي سَبْرَةَ من السَّجْنِ والحديد عليه ، حتى أتى المسجد ، فأرسل إلى محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز وغيرهما ، فاجتمعوا عنده ، فقال : أنشدكم الله وهذه البليَّة التي وقعت ! فوالله لئن تمت علينا عند أمير المؤمنين بعد الفِعلَةِ الأولى ، إنه لاصطلامُ البلد وأهله ، والعبيدُ في السوق بأجمعهم ؛ فأنشدكم الله إلَّا ذهبتم إليهم فكلتموهم في الرَّجعة والفيشة إلى رأيكم ، فإنهم لانظام لهم . ولم يقوموا بدعوة ؛ وإنما هم قوم أخرجتهم الحمية ! قال : فذهبوا إلى العبيد فكلموهم ، فقالوا : مرحباً بكم يا موالينا ؛ والله ما قمنا إلَّا أنفثةً لكم مما عَمِلَ بكم ، فأيدينا مع أيديكم وأمرنا إليكم ، فأقبلوا بهم إلى المسجد .

٢٦٩/٣

وحدثني محمد بن الحسن بن زبالة ، قال : حدثني الحسين بن مُصعب ، قال : لما خرج السودان وهرب ابن الربيع ، جثُّهم أنا وجماعة معي ، وقد عسكروا في السوق ، فسألناهم أن يفرقوا ، وأخبرناهم أننا ولماهم لا نقوى على ما نصبو له ، قال : فقال لنا وثيق : إن الأمر قد وقع بما ترون ؛ وهو غير مبقٍ لنا ولالكُم ، فدعونا نشفيكم ونشتفِ أنفسنا ، فأبينا ، ولم نزل بهم حتى تفرقوا . وحدثني عمر بن راشد ، قال : كان رئيسهم وثيق وخليفته يعقل الجزار . قال : فدخل عليه ابنُ عمران ، قال : إلى مَنْ تعهد يا وثيق ؟ قال : إلى أربعة من بني هاشم ، وأربعة من قُريش ، وأربعة من الأنصار ، وأربعة من الموالى ؛ ثم الأمر شورى بينهم . قال : أسأل الله إن ولاك شيئاً من أمرنا أن يرزقنا عدلك ، قال : قدَّ والله ولَّا نيه الله .

قال : وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : حضر السَّوْدَانُ المسجد مع ابنِ أَبِي سَبْرَةَ ، فرقى المنبر في كَسْبَلٍ حديد حتى استوى في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبعه محمد بن عمران ، فكان تحته ، وتبعهم محمد بن عبد العزيز فكان تحتهما ، وتبعهم سليمان ابن عبد الله بن أَبِي سَبْرَةَ ، فكان تحته جميعاً ؛ وجعل الناس يلغظون لغطاً شديداً ، وابن أبي سبرة جالسٌ صامتٌ . فقال ابنُ عمران : أنا ذاهبٌ إلى السوق ، فانهدر وانهدر مَنْ دونه ، وثبت ابنُ أَبِي سَبْرَةَ ،

فنتكلم فحث على طاعة أمير المؤمنين ؛ وذكر أمر محمد بن عبد الله فأبلغ .
ومضى ابن عمران إلى السوق ، فقام على بئاس من بئس الحنطة ، فتكلم
هناك ، فتراجع الناس ؛ ولم يصل بالناس يومئذ إلا المؤذن ، فلما حضرت
العشاء الآخرة وقد ثاب الناس ، فاجتمع القرشيون في المقصورة ، أقام الصلاة ٢٧٠/٣
محمد بن عمار المؤذن ، الذي يلقب كساكس^(١) ، فقال للقرشين : مَنْ
يصلّي بكم ؟ فلم يجبه أحدٌ ، فقال : ألا تسمعون ! فلم يجيبوه ، فقال : يا بن
عمران ، ويا بن فلان ، فلم يجبه أحدٌ ، فقام الأصبع بن سفيان بن عاصم
ابن عبد العزيز بن مروان ، فقال : أنا أصلي ، فقام في المقام ، فقال للناس :
استروا ، فلما استوت الصفوف أقبل عليهم بوجهه ، ونادى بأعلى صوته :
ألا تسمعون ! أنا الأصبع بن سفيان بن عاصم بن عبد العزيز بن مروان ، أصلي
بالناس على طاعة أبي جعفر ، فردّد ذلك مرتين أو ثلاثاً ، ثم كبر فصلى ،
فلما أصبح الناس قال ابن أبي سبرة : إنه قد كان منكم بالأمس ما قد علمتم ؛
نهيتهم ما في دار عاملكم وطعام جند أمير المؤمنين ، فلا يبقين عند أحد منكم شيء
إلا رده ، فقد أقعدت لكم الحكم بن عبد الله بن المغيرة بن موهب ؛ فرفع
الناس إليه ما انتهبوا ، فقيل : إنه أصاب قيمة ألف دينار .

وحدثني عثمان بن عمرو ، قال : حدثني المسور بن عبد الملك ، قال : ائتمر
القرشيون أن يدعوا ابن الربيع يخرج ثم يكلموه في استخلاف ابن أبي سبرة
على المدينة ، ليتحلل ما في نفس أمير المؤمنين عليه ؛ فلما أخرجه السودان ،
قال له ابن عبد العزيز : أخرج بغير وال استخلف ! ولها رجلاً ، قال :
مَنْ ؟ قال : قدامة بن موسى ، قال : فصيح بقدامة ، فدخل فجلس بين ابن
الربيع وبين ابن عبد العزيز ، فقال : ارجع يا قدامة ، فقد وليتك المدينة
وأعمالها ، قال : والله ما قال لك هذا مَنْ نصحك ، ولا نظّر لمن وراءه ،
ولا أراد إلا الفساد ، ولأحقّ بهذا مني ومنه مَنْ قام بأمر الناس وهو جالس ٢٧١/٣
في بيته - يعني ابن أبي سبرة - ارجع أيها الرجل ؛ فوالله ما لك عذر^(٢) في
الخروج ، فرجع ابن الربيع .

(٢) ب : « عذو » .

(١) ب : « كشاكش » .

قال وحدثني محمد بن يحيى ، قال : حدثني الحارث بن إسحاق ، قال : ركب ابن عبد العزيز في فخر من قريش إلى ابن الربيع ، فناشدوه وهو يبطن نخل إلا رجع إلى عمله ، فتأبى . قال : فخلا به ابن عبد العزيز ، فلم يزل به حتى رجع وسكن الناس وهدءوا .

قال : وحدثني عمر بن راشد ، قال : ركب إليه ابن عمران وغيره وقد نزل الأعوص ، فكلّموه فرجع ، فقطع يد وثيق وأبى النار ويعقل وميسر .

• • •

[ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد]

وفي هذه السنة أسست مدينة بغداد ، وهي التي تدعى مدينة المنصور .

• ذكر الخبر عن سبب بناء أبي جعفر لإياها :

وكان سبب ذلك أن أبا جعفر المنصور بنى - فيما ذكر - حين أفضى الأمر إليه الهاشمية ، قبالة مدينة ابن هبيرة ، بينهما عَرْض الطريق ، وكانت مدينة ابن هبيرة التي بجبالها مدينة أبي جعفر الهاشمية إلى جانب الكوفة . وبنى المنصور أيضا مدينة بظهر الكوفة سماها الرُصافة ، فلما ثارت الرّاوندية بأبي جعفر في مدينته التي تسمى الهاشمية ، وهي التي بجبال مدينة ابن هبيرة ، كره سكناها لاضطراب من اضطرب أمره عليه من الرّاوندية ، مع قرب جواره من الكوفة ، ولم يأمن أهلها على نفسه ، فأراد أن يبعد من جوارهم ؛ فذكر أنه خرج بنفسه يرتاد لها موقعا يتخذة مسكنا لنفسه وجنده ، ويبتنى به مدينة ^(١) ، فبدأ فأنحدر إلى جَرَجَرَايا ثم صار إلى بغداد ، ثم مضى إلى الموصل ، ثم عاد إلى بغداد ، فقال : هذا موضع معسكر صالح ، هذه دجلة ليس بيننا ^(٢) وبين الصين شيء ، يأتينا فيها كل ما في البحر ، وتأتينا المدينة من الجزيرة وأرمينية وما حول ذلك ، وهذا القُرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقة وما حول ذلك . فتلز ^(٣) وضرب عسكره على الصّراة ، وخط المدينة ، ووكّل بكل رُبُع قائداً .

(١) ب : « مدينته » . (٢) ج : « بينها » .

(٣) بعدها في ب : « أبو جعفر المنصور » .

وذكر عمر بن شبة أن محمد بن معروف بن سويد حدثه ، قال :
 حدثني أبي ، قال : حدثني سليمان بن مجالد ، قال : أفسد أهل الكوفة جند
 أمير المؤمنين المنصور عليه ، فخرج نحو الجبل يرتاد منزلاً ، والطريق يومئذ
 على المدائن ، فخرجنا على سباط ، فتخلف بعض أصحابي لمرسد أصابه ،
 فأقام يعالج عينيه ، فسأله الطبيب : أين يريد أمير المؤمنين ؟ قال : يرتاد
 منزلاً ، قال : فلما نجد في كتاب عندنا ، أن رجلاً يدعى مقلصاً ، يبنى
 مدينة بين دجلة والصرة تدعى الزوراء ، فلما أسسها وبني عرقاً^(١) منها
 أتاه فتى من الحجاز ، فقطع بناءها ، وأقبل على إصلاح ذلك الفتى ، فإذا كاد
 يلتم أتاه فتى من البصرة هو أكبر عليه منه ؛ فلا يلبث الفتان أن يلتما ،
 ثم يعود إلى بنائها فيتمه ، ثم يعمر عمرًا طويلاً ، ويبقى الملك في عقبه . قال
 سليمان : فلما أمير المؤمنين لباطراف الجبال في ارتياد منزل ؛ إذ قدم على^{٢٧٢/٣}
 صاحبي فأخبرني الخبر فأخبرت به أمير المؤمنين ، فدعا الرجل فحدثه
 الحديث ، فكرّ راجعاً عودته على بدئه ، وقال : أنا والله ذاك ! لقد سميت
 مقلصاً وأنا صبي ، ثم انقطعت عني .

وذكر عن الهيثم بن عدي ، عن ابن عياش ، قال : لما أراد أبو جعفر
 الانتقال من الهاشمية بعث رواداً يرتادون له موضعاً ينزله واسطاً ، رافقاً بالعامّة
 والجند ، فنعت له موضع قريب من بارما ، وذكر له عنه غذاء طيب ،
 فخرج إليه بنفسه حتى ينظر إليه ، وبات فيه ، وكرّر نظره فيه ، فرآه موضعاً
 طيباً ، فقال لجماعة من أصحابه ؛ منهم سليمان بن مجالد وأبو أيوب الخوزي
 وعبد الملك بن حميد الكاتب وغيرهم : ما رأيكم في هذا الموضع ؟ قالوا :
 ما رأينا مثله ، هو طيب صالح موافق ، قال : صدقم ؛ هو هكذا ؛ ولكنه
 لا يحمل الجند والناس والجماعات ، وإنما أريد موضعاً يرتفق الناس به ويوافقهم
 مع موافقته لي ، ولا تغلو عليهم فيه الأسعار ، ولا تشدد فيه المؤونة ، فإني
 إن أقمت في موضع^(٢) لا يجلب إليه من البر والبحر شيء غلّست الأسعار ،
 وقلّت المادّة ، واشتدّت المؤونة ، وشقّ ذلك على الناس ؛ وقد مررت في

(١) العرق : صف من اللبن أو الآجر . (٢) ج : « بموضع » .

طريق على موضع فيه مجتمعة هذه الخصال ؛ فأنا نازل فيه ، وبأنت به ؛ فإذا اجتمع لى فيه ما أريد من طيب الليل والموافقة مع احتمال له للجند والناس أبتنيه .

قال الهيثم بن عدى : فخبّرت أنه أتى ناحية الجسر ، فعبر فى موضع قصر السلام ، ثم صلى العصر - وكان فى صَيْف ، وكان فى موضع القصر بيعة قَسْ - ثم بات ليلة حتى أصبح ، فبات أطيب مبيت فى الأرض وأرقّه ، وأقام يومه فلم ير إلا ما يحب ، فقال : هذا موضع أبنى فيه ؛ فإنه تأتبه المادة من الفرات ودجلة وجماعة من الأنهار ، ولا يحمل الجند والعامة إلا مثله ، فخطّها وقدّر بناءها ، ووضع أول لَبِنَةٍ بيده ، وقال : بسم الله والحمد لله ، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال : ابنوا على بركة الله .

وذُكِرَ عن بشر بن ميمون الشروى وسليمان بن مجالد ، أن المنصور لما رجع من ناحية الجبل ، سأل عن خبر القائد الذى حدثه عن الطبيب الذى أخبره عما يجدون فى كتبهم من خبر مَقْلَاص ، ونزل الدَيْر الذى هو حذاء قصره المعروف بالحلند ، فدعا بصاحب الدَيْر ، وأحضر البَطريق صاحب رجا البَطريق وصاحب بغداد وصاحب المحرم وصاحب الدير المعروف ببستان القس^(١) وصاحب العتيقة ، فسألهم عن مواضعهم ، وكيف هى فى الحر والبرد والأمطار والحوول والبق والهوام ؟ فأخبره كل واحد بما عنده من العلم ، فوجه رجالاً من قبلكه ، وأمر كل واحد منهم أن يبيت فى قرية منها ، فبات كل رجل منهم فى قرية منها ، وأتاه بخبرها . وشاور المنصور الذين أحضرهم ، وتنحّر^(٢) أخبارهم ؛ فاجتمع اختيارهم على صاحب بغداد ، فأحضره وشاوره ، وسأله - فهو الدهقان الذى قرّبه قائمة إلى اليوم فى المربعة المعروفة بأبى العباس الفضل بن سليمان الطوسى ، وقباب القرية قائم بناؤها إلى اليوم ، وداره ثابتة على حالها - فقال : يا أمير المؤمنين ، سألتنى عن هذه الأمكنة وطبيها وما يختار منها ؛ فالذى أرى يا أمير المؤمنين أن تنزل أربعة طَسَاسِيج^(٣)

(٢) يتنحر أخبارهم ، أى يتفطن لها .

(١) ج : « القصر » .

(٣) الطوج : الناحية .

في الجانب الغربي طَسُوجِيْن وهما قطربُثْل وبادورِيَا ، وفي الجانب الشرقي طَسُوجِيْن وهما نهر بوق وكتلُوذَي ، فأنت تكون بين نخل وقرب الماء ، فإن أجذب طَسُوج وتأخرت عمارته كان في الطسُوج الآخر العِمَارَات ، وأنت يا أمير المؤمنين على الصَّراة ، تَجِيْثُكَ المِيرة في السفن من المغرب في الفرات ، وتَجِيْثُكَ طرائف مصر والشَّام ، وتَجِيْثُكَ المِيرة في السفن من الصين والهند والبصرة وواسط في دجلة ، وتَجِيْثُكَ المِيرة من أرمينية وما اتصل بها في تأمراً حتى تصل إلى الزاب ، وتَجِيْثُكَ المِيرة من الرُّوم وآمِد والجزيرة والموصل في دجلة ، وأنت بين أنهار لا يصل إليك عدوك إلا على جِسْر أو قنطرة ؛ فإذا قطعت الجِسْر وأخربت القناطر لم يصلْ إليك عدوك ، وأنت بين دِجْلَة والفرات لا يَجِيْثُكَ أحدٌ من المشرق والمغرب إلا احتاج إلى العبور ، وأنت متوسط للبصرة وواسط والكوفة والموصل والسَّوَاد كله ، وأنت قريب من البر والبحر والجبل . فازداد المنصور عزماً على النزول في الموضع الذي اختاره . وقال له : يا أمير المؤمنين ؛ ومع هذا فإنَّ الله قد منَّ على أمير المؤمنين بكثرة جيوشه وقوَّاده وجنده ؛ فليس أحد من أعدائه يطمع في الدنو منه ، والتدبير في المدن أن تتخذ لها الأسوار ^(١) والخنادق ، والحصون ، ودجلة والفرات خنادق ^(٢) لمدينة أمير المؤمنين ^(٣) .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أن حماداً الترمذی ، قال : بعث المنصور ٢٧٦/٣ رجلاً في سنة خمس وأربعين ومائة ، يطلبون له موضعاً يبني فيه مدينته ، فطلبوا وارتادوا ، فلم يرض موضعاً ، حتى جاء فنزل الدَّيْر على الصَّراة ، فقال : هذا موضع أرضاه ، تأتبه المِيرة من الفرات ودِجْلَة ، ومن هذه الصراة . وذكر عن محمد بن صالح بن النطاح عن محمد بن جابر ، عن أبيه ، قال : لما أراد أبو جعفر أن يبني مدينته ببغداد رأى راهباً ، فناداه فأجابه ، فقال : تجدون في كتبكم أنه تبنى هاهنا مدينة ؟ قال الراهب : نعم ، يبنيتها مقلَّاص ؛ قال أبو جعفر : أنا كنت أدعي مقلَّاصاً في حدائتي . قال : فأنت إذاً صاحبها ، قال : وكذلك لما أراد أن يبني الرَّافقة بأرض الروم

امتنع أهل الرقة ، وأرادوا محاربتَه ، وقالوا : تعطل علينا أسواقنا ، وتذهب بمعاشنا^(١) ، وتضيّق منازلنا ، فهمَّ بمحاربتهم ، وبعث إلى راهب في الصّومعة ، فقال : هل عندك علم أن يبني ها هنا مدينة ؟ فقال له : بلغني أن رجلاً يقال له مقلّاص يبنّيها ، قال : أنا مقلّاص ؛ فبناها على بناء مدينة بَغداد ، سوى السّور وأبواب الحديد وخذقٍ منفرد .

وذكر عن السريّ ، عن سليمان بن مجالد ، أن المنصور وجّه في حشر الصنّاع والفعلّة من الشّام والموصل والجليل والكوفة واسط والبصرة ، فأحضروا ، وأمر باختيار قوم من ذوى الفصل والعِدالة والفيقه والأمانة والمعرفة بالهندسة ؛ فكان ممّن أحضر لذلك الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة النعمان بن ثابت ، وأمر بخطّ المدينة وحفر الأساسات ، وضرب اللّبن وطبخ الآجر ، فبدئ بذلك ؛ وكان أول ما ابتدئ به في عملها سنة خمس وأربعين ومائة .

وذكر أن المنصور لما عزم على بنائها أحبّ أن ينظر إليها عياناً ، فأمر أن يخطّ بالرّماد ، ثمّ أقبل يدخل من كلّ باب ، ويمرّ في فُصلانها وطاقاتها ورحابها ؛ وهي مخطوطة بالرّماد ، ودار عليهم ينظر إليهم وإلى ما خطّ من خنادقها ؛ فلما فعل ذلك أمر أن يجعل على تلك الخطوط حبّ القطن ، وينصب عليه النّفط ، فنظر إليها والنار تشتعل ، ففهمها وعرف رسمها ، وأمر أن يحفر أساس ذلك على الرسم ، ثمّ ابتدئ في عملها .

وذكر عن حمّاد الرّكبيّ أن المنصور بعث رجلاً يطلبون له موضعاً يبني فيه المدينة ، فطلبوا ذلك في سنة أربع وأربعين ومائة ، قبل خروج محمد بن عبد الله بسنة أو نحوها ، فوقع اختيارهم على موضع بغداد ؛ قرية على شاطئ الصّراة ؛ مما يليّ الحُلند ، وكان في موضع بناء الحُلند دَيرٌ ، وكان في قرّن الصّراة مما يليّ الحُلند من الجانب الشرقيّ أيضاً قرية ودَيرٌ كبير كانت تسمّى سوق البقر ؛ وكانت القرية تسمى العتيقة ؛ وهي التي افتتحها المثنّى بن حارثة الشيبانيّ ، قال : وجاء المنصور ، فنزل الدَير الذي في موضع الحُلند على الصّراة ، فوجده قليل البقّ ، فقال : هذا موضع أرضاه ، تأتبه الميرة من

الفرات ودجلة ، ويصلح أن تبنى فيه مدينة ؛ فقال للراهب الذى فى الدير :
يا راهب ، أريد أن أبني ها هنا مدينة ، فقال : لا يكون ، إنما يبنى ها هنا
ملك يقال له أبو الدوانيق ؛ فضحك المنصور فى نفسه ، وقال : أنا أبو الدوانيق . ٢٧٨/٣
وأمر فخطت المدينة ، ووكل بها أربعة قواد ، كل قائد بربر .

وذكر عن سليمان بن مجالد ، أن المنصور أراد أبا حنيفة النعمان بن ثابت
على القضاء ، فامتنع من ذلك ، فحلف المنصور أن يتولّى له ، وحلف
أبو حنيفة ألا يفعل ، فولّاه القيام ببناء المدينة وضرب اللبن وعده ، وأخذ
الرجال بالعمل . قال : وإنما فعل المنصور ذلك ليخرج من يمينه ؛ قال :
وكان أبو حنيفة المتولّى لذلك ، حتى فرغ من استتمام بناء حائط المدينة مما يلي
الخندق ، وكان استتمامه فى سنة تسع وأربعين ومائة .

وذكر عن الهيثم بن عدي ، أن المنصور عرض على أبي حنيفة القضاء
والمظالم فامتنع ، فحلف ألا يقطع عنه حتى يعمل ، فأخير بذلك أبو حنيفة ،
فدعا بقصبة ، فعدّ اللبن على رجل قد لبّنه ، وكان أبو حنيفة أول من عدّ
اللبن بالقصب ؛ فأخرج أبا جعفر عن يمينه ، واعتلّ فمات ببغداد .

وقيل : إن أبا جعفر لما أمر بحفر الخندق وإنشاء البناء وإحكام الأساس ؛
أمر أن يجعل عرض السور من أسفله خمسين ذراعاً ، وقدّر أعلاه عشرين
ذراعاً ، وجعل فى البناء جوائز قصب مكان الخشب ، فى كل طرقة ؛ فلمّا
بلغ الحائط مقدار قامة - وذلك فى سنة خمس وأربعين ومائة - أتاه خبر خروج
محمد فقطع البناء .

وذكر عن أحمد بن حميد بن جبلة ، قال : حدثني أبى ، عن جدّى
جبلة ، قال : كانت مدينة أبى جعفر قبل بنائها مزرعة للبغداديين ، يقال لها
المباركة ، وكانت لستين نفساً منهم ، فعوضهم منها وأرضاهم ، فأخذ جدّى
قسمة منها .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى بن المنصور ، أن حماداً التركى قال : كان
حول مدينة أبى جعفر قرى قبل بنائها ؛ فكان إلى جانب باب الشام قرية

يقال لها الخطّابية ، على بابِ دَرْبِ الثُّورَةِ ، إلى دربِ الأَقْفَاصِ ، وكان بعض نخلها في شارع باب الشام ، إلى أيام المخلوع في الطريق ، حتى قطع في أيام الفسنة ، وكانت الخطّابية هذه لقوم من الدّهّاقين ، يقال لهم بنو فَرْوَةِ وبنو قنورا ؛ منهم إسماعيل بن دينار ويعقوب بن سليمان وأصحابهم .

وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات أنّ القرية التي في مربّعة أبي العباس كانت قرية جدّه من قبيل أمّه ، وأنهم من دهّاقين يقال لهم بنو زُرّارى ؛ وكانت القرية تسمى الوردانيّة ، وقرية أخرى قائمة إلى اليوم مما يلي مربّعة أبي فروة .

وذكر عن إبراهيم بن عيسى أنّ المعروفة اليوم بدار سعيد الخطيب كانت قرية يقال لها شرفانيّة ، ولها نخيل قائم إلى اليوم مما يلي قنطرة أبي الجحّون ، وأبو الجحّون من دهّاقين بغداد من أهل هذه القرية .
وذكر أنّ قطيعة الربيع كانت مزارع للناس من قرية يقال لها بناورى من رُستاق الفُروسيّج من بادُوريا .

وذكر عن محمد بن موسى بن الفرات ، أنّه سمع أباه أو جدّه — شك راوى ذلك عنه — يقول : دخل على رجل من دهّاقين بادُوريا وهو خرق الطيلسان ؛ فقلت له : مَنْ خرق طيلسانك ؟ قال : خرق والله في زحمة الناس اليوم ، في موضع طالما طردت فيه الأرانب والظباء — يريد باب الكرخ .

ويقال : إنّ قطيعة الربيع الخارجة إنّما هي أقطاع المهديّ للربيع ، وأنّ المنصور إنّما كان أقطعه الداخلة .

وقيل : إنّ نهر طابق كسروى ، وأنّه نهر بابل بن بهرام بن بابل ، وأنّ بابل هذا هو الذى اتخذ العتقر الذى عليه قصر عيسى بن على ، واحتفر هذا النهر .

وذكر أنّ فَرْوَةَ جعفر إقطاع من أبي جعفر لابنه جعفر ، وأنّ التنطرة العتيقة من بناء الفرس .

وذكر عن حماد التّركيّ ، قال : كان المنصور نازلا بالدير الذى على شاطئ دجلة بالموضع المعروف بالخُلْد ، ونحن في يوم صائف شديد الحرّ

في سنة خمس وأربعين ومائة ؛ وقد خرجت فجلستُ مع الربيع وأصحابه ، إذ جاء رجل ، فجاوز الحرس إلى المقصورة ، فاستأذن فأذننا المنصور به ، وكان معه سلم بن أبي سلم ، فأذن له فخبّره بخروج محمد ، فقال المنصور : نكتب الساعة إلى مصر أن يقطع عن الحرّمين المادّة ، ثم قال : إنما هم في مثل حرّجّة ، إذا انقطعت عنهم المادّة والميرة من مصر . قال : وأمر بالكتاب إلى العباس بن محمد - وكان على الجزيرة يخبره بخبر محمد - وقال : إني راحل ساعة كتبتُ إلى الكوفة ، فأمدتني في كلّ يوم بما قدرت عليه من الرجال من أهل الجزيرة . وكتب بمثل ذلك إلى أمراء الشام ، ولو أن يرد عليّ في كلّ يوم رجل واحد أكثر به منّي معي من أهل خراسان ، فإنه إن بلغ الخبر الكذاب انكسر . قال : ثم نادى بالرحيل من ساعته ، فخرجنا في حرّ شديد حتى قدم الكوفة ، ثم لم يزل بها حتى انقضت الحرب بينه وبين محمد وإبراهيم ، فلما فرغ منهما^(١) رجع إلى بغداد .

وذكر عن أحمد بن ثابت ، قال : سمعتُ شيخاً من قريش يحدث أن أبا جعفر لما فصل من بغداد ، متوجّهاً نحو الكوفة ، وقد جاءه البريد بمخرج محمد بن عبد الله بالمدينة ، نظر إليه عثمان بن عمار بن حريم وإسحاق بن مسلم العقيليّ وعبد الله بن الربيع المدائنيّ - وكانوا من صحابته - وهو يسير على دابته وبنو أبيه حوله . فقال عثمان : أظنّ محمدًا خائبًا ومن معه من أهل بيته ؛ إن حشوا ثياب هذا العباسيّ لمكرًا ونكرًا ودهاء ؛ وإنه فيما نصب له محمد من الحرب لكما قال ابن جندب الطّعان :

فَكَمْ مِنْ غَاةٍ وَرَعِيلٍ خَيْلٍ تَدَارَكُهَا وَقَدْ حَمَى اللَّقَاءَ
فَرْدٌ مَخِيلَهَا حَتَّى ثَنَاهَا بِأَسْمَرٍ مَا يُرَى فِيهِ التَّوَاءُ
قال : فقال إسحاق بن مسلم : قد والله سبرته ولمست عودَه فوجدته خَشِنًا ، وغمرته فوجدته صليبا ، وذقته فوجدته مرًّا ؛ وأنه ومن حوله من بني أبيه لكما قال ربيعة بن مكدّم :

سَمَا لِي فُرْسَانُ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ
مَصَابِيحُ تَبْدُو فِي الظَّلَامِ زَوَاهِرُ

يَقُودُهُمْ كِبَشُ أَخُو مُصْمِلَةَ عَبُوسُ السُّرَى قَدْ لَوَحَتْهُ الْهَوَاجِرُ
 ٢٨٢/٣ قال : وقال عبد الله بن الربيع : هو ليث خيس ، ضَيْغَمُ شُمُوس ، للأقْوَانِ
 مفترس ، وللأرواح مختلس ؛ وأنه يهيج من الحرب كما قال أبو سفيان بن
 الحارث :

وَلِإِنْ لَنَا شَيْخًا إِذَا الْحَرْبُ شَمَرَتْ بَدِيهَتُهُ الْإِقْدَامُ قَبْلَ الْنَوَافِرِ
 قال : قضى حتى سار إلى قصر ابن هُبيرة ، فنزل الكوفة ووجهه الجيوش ،
 فلما انقضت الحرب ، رجع إلى بغداد فاستم بناءها .

[ذكر الخبر عن ظهور إبراهيم بن محمد ومقتله]

وفي هذه السنة ظهر إبراهيم بن عبد الله بن حسن ، أخو محمد بن عبد الله
 ابن حسن بالبصرة ؛ فحارب أبا جعفر المنصور . وفيها قتل أيضا .

• ذكر الخبر عن سبب مخرجه وعن مقتله وكيف كان :

فذكر عن عبد الله بن محمد بن حفص ، قال : حدثني أبي ، قال :
 لما أخذ أبو جعفر عبد الله بن حسن ، أشفق محمد وإبراهيم من ذلك ، فخرجا
 إلى عَدَنَ ، فخافا بها ، وركبا البحر حتى صارا إلى السُّنْدِ ، فسعى بهما
 إلى عمر بن حفص ، فخرجا حتى قدما الكوفة وبها أبو جعفر .

وذكر عمر بن شَبَهَ أَنَّ سَعِيدَ بْنَ نُوحِ الضُّبَيْعِيَّ ؛ ابن ابنة أبي الساج
 الضُّبَيْعِيَّ ، حدثه قال : حدثني مَنَةُ بِنْتُ أَبِي الْمُنْهَالِ ، قالت : نزل إبراهيم
 في الحَيِّ من بني ضُبَيْعَةَ في دار الحارث بن عيسى ، وكان لا يرى بالنهار ،
 وكانت معه أمٌ ولد له ؛ فكنت أتحدث إليها ، ولا ندرى مَنْ هُم ؛ حتى
 ٢٨٣/٣ ظهر فأتيتها ، فقلت : إنك لصاحبتي ؟ فقالت : أنا هي ؛ لا والله ما أقرتنا
 الأرض منذ خمس سنين ؛ مرة بفارس ، ومرة بكرمان ، ومرة بالحجاز ،
 ومرة باليمن .

قال عمر : حدثني أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : حدثني مطهر
 ابن الحارث ، قال : أقبلنا مع إبراهيم من مكة نريد البصرة ؛ ونحن عشرة ،

فصحبنا أعرابي في بعض الطريق ، فقلنا له : ما اسمك ؟ قال : فلان بن أبي مصاد الكلبي ، فلم يفارقنا حتى قربنا من البصرة ؛ فأقبل على يومنا ، فقال : أليس هذا إبراهيم بن عبد الله بن حسن ؟ فقلت : لا ، هذا رجل من أهل الشام ؛ فلما كنا على ليلة من البصرة ، تقدم إبراهيم وتخلقنا عنه ، ثم دخلنا من غد .

قال عمر : وحدتني أبو صفوان نصر بن قديد بن نصر بن سيار ؛ قال : كان مقدم إبراهيم البصرة في أول سنة ثلاث وأربعين ومائة ، منصرف الناس من الحج ؛ فكان^(١) الذي أقدمه وتولى كراءه وعادله في محمله يحيى بن زياد ابن حسان النبطي ، فأنزله في داره في بني لسيث ، واشترى له جارية أعجمية سندية ، فأولدها ولداً في دار يحيى بن زياد ؛ فحدثني ابن قديد ابن نصر ؛ أنه شهد جنازة ذلك المولود ، وصلى عليه يحيى بن زياد .

قال : وحدتني محمد بن معروف ، قال : حدثني أبي ، قال : نزل إبراهيم بالخيار من أرض الشام على آل القعقاع بن خلود العبسي ، فكتب الفضل بن صالح بن علي - وكان على قنسرين - إلى أبي جعفر في رقة أدرجها في أسفل كتابه ، يخبره خبر إبراهيم ، وأنه طلبه فوجده قد سبقه منحدرأ إلى البصرة ؛ فورد الكتاب على أبي جعفر ، فقرأ أوله فلم يجد إلا السلامة ، فأتى الكتاب إلى أبي أيوب المورياني ، فألقاه في ديوانه ؛ فلما أرادوا أن يجيبوا^{٢٨٤/٣} الولاة عن كتبهم فتح أبان بن صدقة - وهو يومئذ كاتب أبي أيوب - كتاب الفضل ؛ لينظر في تاريخه ، فأفصى إلى الرقة ؛ فلما رأى أولها : «أخبر أمير المؤمنين» ، أعادها في الكتاب ، وقام إلى أبي جعفر ، فقرأ الكتاب ؛ فأمر بإذكاء العيون ووضع المراصد والمسالح .

قال : وحدتني الفضل بن عبد الرحمن بن الفضل ، قال : أخبرني أبي قال : سمعت إبراهيم يقول : اضطررتي الطالب بالموصل حتى جلست على موائد أبي جعفر ، وذلك^(٢) أنه قدمها يطلبني ، فتحيرت ؛ فلفظتني الأرض ؛ فجعلت

(٢) ب : « وذاك » .

(١) ب : « وكان » .

لا أجد مساعاً ، ووضع^(١) الطلب والمراصد ؛ ودعا الناس إلى غنائه ،
فدخلت فيمن دخل ، وأكلت فيمن أكل ؛ ثم خرجت وقد كف الطلب .

قال : وحدثنى أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : قال رجل لمطهر بن
الحارث : مر إبراهيم بالكوفة ولقيته ، قال : لا والله ما دخلها قط ؛ ولقد كان
بالموصل ، ثم مر بالأنبار ، ثم ببغداد ، ثم بالمداين والنَّيْل وواسط .

قال : وحدثنى نصر بن قديد بن نصر ، قال : كاتب إبراهيم قوماً
من أهل العسكر كانوا يتشيعون ؛ فكتبوا يسألونه الخروج إليهم ، ووعدوه
الوثوب بأبي جعفر ؛ فخرج حتى قدم عسكر أبي جعفر ، وهو يومئذ نازل
ببغداد في الديسر ، وقد خطَّ بغداد ، وأجمع على البناء ؛ وكانت لأبي جعفر
مرآة ينظر فيها ، فيرى عدوه من صديقه . قال : فزعم زاعم أنه نظر فيها ،
فقال : يا مسيب ؛ قد والله رأيت إبراهيم في عسكري وما في الأرض عدو أعدى
لي منه ، فانظر ما أنت صانع !

قال : وحدثنى عبد الله بن محمد بن البواب ، قال : أمر أبو جعفر ببناء
قنطرة الصَّراة العتيقة ، ثم خرج ينظر إليها ، ف وقعت عينه على إبراهيم ،
وخنس^(٢) إبراهيم ، فذهب في الناس ، فأتى فامياً فلجأ إليه فأصعده غُرْفَةً له .
وجد أبو جعفر في طلبه ، ووضع الرصد بكل مكان ، فشبَّ إبراهيم بمكانه
الذي هو به ، وطلبه أبو جعفر أشدَّ الطلب ، وخفي عليه أمره .

قال : وحدثنى محمد بن معروف ، قال : حدثني أبي - وحدثنى نصر
ابن قديد ، قال : حدثني أبي قال ؛ وحدثنى عبد الله بن محمد بن البواب
وكثير بن النضر بن كثير وعمر بن إدريس وابن أبي سفيان العمي ؛ واتفقوا
على جُلِّ الحديث ، واختلفوا في بعضه - أن إبراهيم لما نشب وخاف الرصد
كان معه رجل من بني العم - قال عمر : فقال لي أبو صفوان^(٣) ، يدعى
رَوْح بن ثقف ، وقال لي ابن البواب : يكنى أبا عبد الله ، وقال لي الآخرون :
يقال له سفيان بن حسيان بن موسى : قال عمر : وهو جد العمي الذي حدثني -

(١) ج : « وجعل » . (٢) خنس ، أى تأخر . (٣) ب : « يابن صفوان » .

قال : قلت لإبراهيم : قد نزل ما ترى ، ولا بدّ من التغيرير والمخاطرة ، قال : فأنت وذاك ! فأقبل إلى الربيع ، فسأله الإذن ، قال : ومن أنت ؟ قال : أنا السفيان العمى ، فأدخله على أبي جعفر ؛ فلما رآه شتمه ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أهل لما تقول ؛ غير أنى أتيتك نازعاً تائباً ، ولك عندى كل ما تحبّ إن أعطيتنى ما أسألك ، قال : وما لى عندك ؟ قال : آتيتك بإبراهيم ابن عبد الله بن حسن ؛ إنى قد بلوته وأهل بيته ؛ فلم أجد فيهم خيراً ، فقال ٢٨٦/٣ عندك إن فعلت ؟ قال : كل ما تسأل ؛ فأين إبراهيم ؟ قال : قد دخل بغداد - أو هو داخلها عن قريب - قال عمر : وقال لى أبو صفوان ، قال : هو بعبّدسى ، تركه فى منزل خالد بن نهيك ، فكتب لى جوازاً ولغلام لى ولفرانق^(١) واحملنى على البريد . قال عمر : وقال بعضهم : وجهه معى جنداً وكتب لى جوازاً ولغلام لى آتيتك به . قال : فكتب له جوازاً ، ودفع إليه جنداً ، وقال : هذه ألف دينار فاستعين بها ، قال : لا حاجة لى فيها فيها كلّها ؛ فأخذ ثلثمائة دينار ، وأقبل بها حتى أتى إبراهيم وهو فى بيت ، عليه مدرّعة صوف وعمامة - وقيل بل عليه قبّاء كأقبيّة العبيد - فصاح به : قم ؛ فوثب كالفرع ؛ فجعل يأمره وينهاه حتى أتى المدائن ، فنهى صاحب القنطرة بها ، فدفع إليه جوازه ، فقال : أين غلامك ؟ قال : هذا ؛ فلما نظر فى وجهه ، قال : والله ما هذا غلامك ؛ ولأنه لإبراهيم بن عبد الله بن حسن ، ولكن اذهب راشداً . فأطلقهما وهرب . قال عمر : فقال بعضهم : ركبا البريد حتى صارا^(٢) بعبّدسى ، ثم ركبا السفينة حتى قدما البصرة فاخترقيا بها . قال : وقد قيل : إنه خرج من عند أبى جعفر حتى قدم البصرة ، فجعل يأتى بهم الدار ، لها بابان ، فيقعد العشرة منهم على أحد البابين ، ويقول : لا تبرحوا حتى آتيتكم ، فيخرج من الباب الآخر ويتركهم ، حتى فرق الجند عن نفسه ، وبقي وحده ، فاخترق حتى بلغ الخبر سفيان بن معاوية ، ٢٨٧/٣ فأرسل إليهم فجمعهم ، وطلب العمى فأعجزه .

قال عمر : وحدثنى ابن عائشة ، قال : حدثنى أبى ، قال : الذى احتال

(١) الفرانق : الذى يدل صاحب البريد . (٢) ط : « سارا » .

لإبراهيم حتى أنجأهما منه عمرو بن شداد .

قال عمر : وحدثني رجل من أهل المدائن ، عن الحسن بن عمرو بن شداد ، قال : حدثني أبي ، قال : مرّ بي إبراهيم بالمدائن مستخفياً ، فأنزله داراً لي على شاطئ دجلة ، وسعى بي إلى عامل المدائن ؛ فضربني مائة سوط ، فلم أقر له ؛ فلما تركني أتيت إبراهيم فأخبرته ، فأنحدر .

قال : وحدثني العباس بن سفيان بن يحيى بن زياد مولى الحجاج بن يوسف - وكان يحيى بن زياد ممن سبى من عسكر قطريّ بن الفجاءة - قال : لما ظهر إبراهيم كنت غلاماً ابن خمس سنين ، فسمعتُ أشياعنا يقولون : إنه مرّ منحدراً يريد البصرة من الشام ؛ فخرج إليه عبد الرحيم بن صفوان من موالى الحجاج ، ممن سبى من عسكر قطريّ ؛ قال : فشى معه حتى عبره المآصر ؛ قال : فأقبل بعضُ مَنْ رآه ، فقال : رأيتُ عبد الرحيم مع رجل شاطر ، محتجز بإزار^(١) ، في يده قوس جُلاهق^(٢) يرى به ؛ فلما رجع عبد الرحيم سُئِلَ عن ذلك فأنكره ، فكان إبراهيم يتنكر بذلك .

قال : وحدثني نصر بن قديس ، قال : لما قدم إبراهيم منصرفه من بغداد ، نزل على أبي فَرَوَةَ في كِنْدَةَ فاختنى ، وأرسل إلى الناس يندبهم^(٣) للخروج .

قال عمر : وحدثني عليّ بن إسماعيل بن صالح بن ميثم الأهوّازي ، قال : حدثني عبد الله بن الحسن بن حبيب ، عن أبيه ، قال : كان إبراهيم مخفياً عندي على شاطئ دُجَيْل ، في ناحية مدينة الأهواز ؛ وكان محمد ابن حُصَيْن يطلبه ، فقال يوماً : إن أمير المؤمنين كتب إليّ يخبرني أن المنجّمين يخبرونه أن إبراهيم بالأهواز نازل في جزيرة بين نهريْن ، فقد طلبته في الجزيرة حتى وثّقت أنه ليس هناك - يعني بالجزيرة التي بين نهر الشاه جُرد ودجَيْل - فقد اعتزمتُ أن أطلبه غداً في المدينة ، لعل أمير المؤمنين يعني بين دجيل والمسرقان ، قال : فأتيتُ إبراهيم ، فقلت له : أنت مطلوب غداً في هذه

(١) يقال : احتجز بالإزار ؛ إذا شدة على وسطه . وأصل الحجرة : موضع شد الإزار .

(٢) في اللسان : « الجلاهق : البندق ؛ ومنه قوس الجلاهق ؛ وأصله بالفارسية : « جله » .

(٣) ج : « ينتدبهم » .

الناحية ، قال : فأقمت معه بقية يومى ، فلما غشيتى الليل ، خرجت به حتى أنزلته فى أدانى دشت أربك دون الكث ؛ فرجعت من ليلتى ، فأقمت أنتظر محمداً أن يغدو لطلبه ؛ فلم يفعل حتى تصرم النهار ، وقربت الشمس تغرب ، فخرجت حتى جئت لإبراهيم ، فأقبلت به حتى وافينا المدينة مع العشاء الآخرة ونحن على حمارين ؛ فلما دخلنا المدينة فصرنا عند الجبل المقطوع ؛ لقيتنا أوائل خيل ابن حصين ، فرى إبراهيم بنفسه عن حمارة وتباعده ؛ وجلس يبول ، وطوتنى الخيل ، فلم يعرج على منهم أحد ؛ حتى صرت إلى ابن حصين ؛ فقال لى : أبا محمد ؛ من أين فى مثل هذا الوقت ؟ فقلت : تمسيت^(١) عند ٢٨٩/٣ أهلى ، قال : ألا أرسل معك من يبلغك ؟ قلت : لا ، قد قربت من أهلى ؛ فضى يطلب ، وتوجهت على سبيلى حتى انقطع آخر أصحابه ، ثم كررت راجعاً إلى إبراهيم ؛ فالتصمت حمارة حتى وجدته ، فركب ، وانطلقنا حتى بتنا فى أهلنا ، فقال إبراهيم : تعلم والله لقد بكت البارحة دماً ؛ فأرسل من ينظر ، فأتيت الموضع الذى بال فيه ، فوجدته قد بال دماً .

قال : وحدثنى الفضل بن عبد الرحيم بن سليمان بن على ، قال : قال أبو جعفر : غمض^(٢) على أمر إبراهيم لما اشتملت عليه طفوف البصرة . قال : وحدثنى محمد بن مسعر بن العلاء ، قال : لما قدم إبراهيم البصرة ، دعا الناس ، فأجابه موسى بن عمر بن موسى بن عبد الله بن خازم ، ثم ذهب بإبراهيم إلى النضر بن إسحاق بن عبد الله بن خازم مخفياً ، فقال للنضر بن إسحاق : هذا رسول إبراهيم ، فكلّمه إبراهيم ودعاه إلى الخروج ، فقال له النضر : يا هذا ، كيف أباع صاحبك وقد عشت جدّى عبد الله بن خازم عن جده على بن أبى طالب ، وكان عليه فيمن خالفه ، فقال له^(٣) إبراهيم : دع سيرة الآباء عنك ومذاهبتهم ؛ فإنما هو الدين ؛ وأنا أدعوك إلى حق . قال : إني والله ما ذكرت لك ما ذكرت إلا مازحاً ، وما ذاك الذى يمنعنى من نصرة صاحبك ؛ ولكنى لا أرى القتال ولا أدين به . قال : وانصرف إبراهيم ،

(١) ب : « تمسيت » . (٢) غمض على ، أى لم يتضح . وقط : « غمض » .
(٣) ساقطة من ب .

وتخلف^(١) موسى ، فقال : هذا والله إبراهيم نفسه ، قال : فبنس لعمر الله ما صنعت ! لو كنت أعلمتني كلمته غير هذا الكلام ! ٢٩٠/٣

قال : وحدثنى نصر بن قديد ، قال : دعا إبراهيم الناس وهو في دار أبي فرّوة ، فكان أول من بايعه نُمَيْلَةَ بن مرّة وعفو الله بن سفيان وعبد الواحد ابن زياد وعمر بن سلمة الهجيميّ وعبيد الله بن يحيى بن حُصَيْن^(٢) الرقاشي ، وندبوا الناس له ، فأجاب بعدهم فتيان من العرب ؛ منهم المغيرة بن الفزع وأشباهه له ؛ حتى ظنوا أنه قد أحصى ديوانه أربعة آلاف ؛ وشهر أمره ، فقالوا : لو تحولت إلى وسط البصرة أذاك من أذاك وهو مُريخ ؛ فتحول ونزل دار أبي مروان مولى بني سليم — رجل من أهل نيسابور .

قال : وحدثنى يونس بن نجدة ؛ قال : كان إبراهيم نازلاً في بني راسب على عبد الرحمن بن حرب ؛ فخرج من داره في جماعة من أصحابه ؛ منهم عفو الله بن سفيان وبُرد بن لبید ؛ أحد بني يَشْكُر ، والمضاء التغلبيّ والطُّهَويّ والمغيرة بن الفزع ونُمَيْلَةَ بن مرّة ويحيى بن عمرو الهُمانيّ ، فروا على جُفْرَة^(٣) بني عَقِيل حتى خرجوا على الطُّفَاوة ، ثم مروا على دار كرزم ونافع لإبليس^(٤) ، حتى دخلوا دار أبي مروان في مقبرة بني يَشْكُر .

قال : وحدثنى ابن عفو الله بن سفيان ، قال : سمعتُ أبي يقول : أتيتُ إبراهيمَ يوماً وهو مرعوب ؛ فأخبرني أن كتاب أخيه أناه يخبره أنه قد ظهر ، ويأمره بالخروج . قال : فوجم من ذلك واغتم له ، فجعلت أسهل عليه الأمر ٢٩١/٣ وأقول : قد اجتمع لك أمرُك ، معك المضاء والطُّهَويّ والمغيرة ؛ وأنا وجماعة ، فنخرج إلى السجن في الليل فنفتحه ؛ فتصبح حين تصبح ومعك عالم من الناس ؛ فطابت نفسه .

قال : وحدثنى سهل بن عَقِيل بن إسماعيل ، قال : حدثني أبي ، قال : لما ظهر محمد أرسل أبو جعفر إلى جعفر بن حنظلة البهْرانيّ — وكان ذا رأى — فقال : هاتِ رأيك ؛ قد ظهر محمد بالمدينة . قال : وجهه الأجناد إلى البصرة .

(٢) ط : « حصين » ، وانظر الفهرس .

(٤) كذا في ط وفي هـ : « إبليس » .

(١) ب : « وخلف » .

(٣) الجفر : الحفرة الواسعة المستديرة .

قال : انصرف حتى أرسل إليك . فلما صار إبراهيم إلى البصرة ، أرسل إليه ، فقال : قد صار إبراهيم إلى البصرة ، فقال : إيتاها خفت ! بادره بالجنود ، قال : وكيف خفت البصرة ؟ قال : لأن محمداً ظهر بالمدينة ، وليسوا بأهل حرب ، بحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم ، وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشام أعداء آل أبي طالب ؛ فلم يبق إلا البصرة . فوجه أبو جعفر ابن عقیل — قائدین من أهل خراسان من طيبي — فقدا ، وعلى البصرة سفيان بن معاوية فأنزلهما .

قال : وحدثني جواد^(١) بن غالب بن موسى مولى بني عجل ، عن يحيى بن بُدیل بن يحيى بن بُدیل ، قال : لما ظهر محمد ، قال أبو جعفر لأبي أيوب وعبد الملك بن حميد : هل من رجل ذی رأى تعرفانه ، نجمع رأيه على رأينا ؟ قالوا : بالكوفة بدیل بن يحيى — وقد كان أبو العباس يشاوره — فأرسل إليه ، فأرسل إليه ، فقال : إن محمداً قد ظهر بالمدينة ، قال : فاشحن الأهواز جنداً ، قال : قد فهمت ؛ ولكن الأهواز بابهم الذي يؤتون منه ، قال : ٢٩٢/٣ فقبل أبو جعفر رأيهم . قال : فلما صار إبراهيم إلى البصرة أرسل إلى بُدیل ، فقال : قد صار إبراهيم إلى البصرة ، قال : فعاجله بالجنود وأشغل^(٢) الأهواز عنه .

وحدثني محمد بن حفص الدمشقي ، مولى قريش قال : لما ظهر محمد شاور أبو جعفر شيخاً من أهل الشام ذا رأى ، فقال : وجه إلى البصرة أربعة آلاف من جند أهل الشام . فلها عنه ، وقال : خرف الشيخ ؛ ثم أرسل إليه ، فقال : قد ظهر إبراهيم بالبصرة ، قال : فوجه إليه جنداً من أهل^(٣) الشام ، قال : ^(٤) ويلك ! ومن لي بهم ؟ ! قال : اكتب إلى عاملك عليها يحمل إليك في كل يوم عشرة على البريد ؛ قال : فكتب بذلك أبو جعفر إلى الشام . قال عمر بن حفص : فإنتى لأذكر أبي يعطى الجند حينئذ ، وأنا أمسك له المصباح ، وهو يعطيهم ليلاً ، وأنا يومئذ غلام شاب .

(٢) كذا في ٤ ، وفي ط : « وأشغل الأهواز عليه » .

(٤ - ٤) ج : « ويحك من أيهم » .

(١) ب : « حمال » .

(٣) ب : « من جند » .

قال : وحدّثنى سَهْلُ بْنُ عَقِيلٍ ، قال : أخبرني سَلَمُ بْنُ فَرْقَدٍ ، قال : لما أشار جعفر بن حنظلة على أبي جعفر بجند الشام إليه ، كانوا يقدمون أرسالا ؛ بعضهم على أثر بعض ؛ وكان يريد أن يروّع بهم أهل الكوفة ؛ فإذا جنّهم الليل في عسكره أمرهم فرجعوا منكبين عن الطريق ، فإذا أصبحوا دخلوا ، فلا يشكُّ أهل الكوفة أنّهم جند آخرون سوى الأولين .

حدّثنى عبد الحميد - وكان من خدَم أبي العباس - قال : كان محمد ابن يزيد من قوَاد أبي جعفر ؛ وكان له دَابَّةٌ شِهْرِيٌّ^(١) كُمَيْتٌ ، فربما مرَّ بنا ونحن بالكوفة وهو راكبه ، قد ساوى رأسه رأسه ، فوجّهه أبو جعفر ٢٩٣/٣ إلى البصرة ، فلم يزل بها حتى خرج إبراهيم فأخذه فحبسه .

حدّثنى سعيد بن نوح بن مجالد الضُّبَيْعِيّ ، قال : وجّه أبو جعفر مجالداً ومحمداً ابني يزيد بن عمران من أهل أبيبورد قائدين ، فقدم مجالد قبل محمد ، ثم قدم محمد في الليلة التي خرج فيها إبراهيم ، فقبّطهما سفيان وحبسهما عنده في دار الإمارة حتى ظهر إبراهيم فأخذهما ، فقيدتهما ؛ ووجّه أبو جعفر معهما قائداً من عبّيد القيس يدعى معمرًا .

حدّثنى يونس بن نجدة ، قال : قدم على سفيان مجالدُ بن يزيد الضُّبَيْعِيّ من قبَل أبي جعفر في ألف وخمسمائة فارس وخمسمائة راجل .

حدّثنى سعيد بن الحسن بن تَسْنِيم بن الحوَارِيّ بن زياد بن عمرو بن الأشرف ، قال : سمعتُ من لا أحصى من أصحابنا يذكرون أنّ أبا جعفر شاور في أمر إبراهيم ، ف قيل له : إن أهل الكوفة له شِيعَةٌ ، والكوفة قِدَرٌ تَفُورُ ؛ أنت طبّقْها ، فاخرج حتى تنزلها . ففعل .

حدّثنى مسلم الحَصِيّ مولى محمد بن سليمان ، قال : كان أمرُ إبراهيم وأنا ابن بضع عشرة سنة ؛ وأنا يومئذ لأبي جعفر ، فأُنزلنا الهاشميّة بالكوفة ونزل هو بالرّصافة في ظهر الكوفة ؛ وكان جميع جنده الذين في عسكره نحواً من ألف وخمسمائة ؛ وكان المسيّب بن زهير على حرّسه ، فجزأ الجند ثلاثة

(١) في اللسان : «الشهرية : ضرب من البراذين ؛ وهو بين البرذون والمقرف من الخيل » .

أجزاء : خمسمائة ، خمسمائة ، فكان يطوف الكوفة كلَّها في كلِّ ليلة ، وأمر منادياً فنادى : مَنْ أَخَذَنَاهُ بَعْدَ عَتَمَةِ فَقَدْ أَحْلَ بِنَفْسِهِ ؛ فكان إذا أَخَذَ ٢٩٤/٣ رجلاً بَعْدَ عَتَمَةِ لَفَّهَ فِي عِبَاءَةٍ وَحَمَلَهُ ، فَبَيْتُهُ عِنْدَهُ ، فَإِذَا أَصْبَحَ سَأَلَ عَنْهُ ، فَإِنْ عَلِمَ بَرَاءَتَهُ أَطْلَقَهُ ، وَإِلَّا حَبَسَهُ .

قال : وَحَدَّثَنِي أَبُو الْحَسَنِ الْحَذَّاءُ ، قَالَ : أَخَذَ أَبُو جَعْفَرٍ النَّاسَ بِالسَّوَادِ ، فَكَنْتُ أَرَاهُمْ يَصْبِغُونَ ثِيَابَهُمْ بِالْمَدَادِ .

وَحَدَّثَنِي عَلِيُّ بْنُ الْجَعْدِ ، قَالَ : رَأَيْتُ أَهْلَ الْكُوفَةِ أَيَّامَهُذِ أَخَذُوا بِلُبْسِ الثِّيَابِ السُّودِ حَتَّى الْبَقَالِينَ ، إِنْ أَحَدُهُمْ لِيَصْبِغِ الثَّوبَ بِالْأَنْقَاسِ ثُمَّ يَلْبِسُهُ . وَحَدَّثَنِي جَوَادُ بْنُ غَالِبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ سَلَمٍ مَوْلَى قَسْحَطِيَّةٍ ، قَالَ : كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو جَعْفَرٍ إِذَا اتَّهَمَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِالْمِيلِ إِلَى إِبْرَاهِيمَ أَمَرَ أَبِي سَلَمًا بِطَلْبِهِ ؛ فَكَانَ يَمْهَلُ حَتَّى إِذَا غَسَقَ اللَّيْلُ ، وَهَذَا النَّاسُ ، نَصَبُ سَلَمًا عَلَى مَنْزِلِ الرَّجُلِ فَطَرَقَهُ فِي بَيْتِهِ حَتَّى يَخْرُجَهُ فَيَقْتُلُهُ ؛ وَيَأْخُذُ خَاتَمَهُ . قَالَ أَبُو سَهْلٍ جَوَادُ : فَسَمِعْتُ جَمِيلًا مَوْلَى مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي الْعَبَّاسِ يَقُولُ لِلْعَبَّاسِ بْنِ سَلَمٍ : وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَوْرَثْكَ أَبُوكَ إِلَّا خَوَاتِيمَ مَنْ قُتِلَ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ كُنْتَ أَيْسَرَ الْأَبْنَاءِ .

حَدَّثَنِي سَهْلُ بْنُ عَقِيلٍ ، قَالَ : حَدَّثَنِي سَلَمُ بْنُ فَرْقَدٍ حَاجِبُ سُلَيْمَانَ بْنِ مَجَالِدٍ ، قَالَ : كَانَ لِي بِالْكُوفَةِ صَدِيقٌ ، فَأَتَانِي - فَقَالَ : أَيَا هَذَا ، أَعْلَمُ أَنَّ أَهْلَ الْكُوفَةِ مَعِدُونَ لِلزُّبُوبِ بِصَاحِبِكُمْ ، فَإِنْ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَبَوِّئَ أَهْلَكَ مَكَانًا حَرِيزًا فافْعَلْ ، قَالَ : فَأَتَيْتُ سُلَيْمَانَ بْنَ مَجَالِدٍ ، فَأَخْبَرْتُهُ الْخَبْرَ ؛ فَأَخْبَرَ أَبَا جَعْفَرٍ - وَلَأَبِي جَعْفَرٍ عَيْنٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ مِنَ الصَّيَارِفَةِ يَدْعِي ابْنَ مَقْرَنٍ - ٢٩٥/٣ قَالَ : فَأَرْسَلْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : وَيْحَكَ ! قَدْ تَحَرَّكَ أَهْلُ الْكُوفَةِ ، فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا عَذِيرُكَ مِنْهُمْ ، قَالَ : فَرَكَنَ إِلَى قَوْلِهِ ، وَأَضْرَبَ عَنْهُمْ .

وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ مَيْمُونٍ مِنْ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عِدَّةً مِنْ أَهْلِ الْقَادِسِيَّةِ يَذْكُرُونَ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ ، يَكْنَى أَبَا الْفَضْلِ ، وَيُسَمَّى فُلَانُ بْنُ مَعْقِلٍ ، وَلِئِي الْقَادِسِيَّةِ لِيَمْنَعَ أَهْلَ الْكُوفَةِ إِتْيَانَ إِبْرَاهِيمَ ؛ وَكَانَ

الناس قد رصدوا في طريق البصرة ، فكانوا يأتون القادسيّة ثم العُدَيْب ، ثم وادى السباع ، ثم يعدلون ذات اليسار في البرّ ، حتى يقدموا البصرة . قال : فخرج نفرٌ من الكوفة اثنا عشر رجلاً ؛ حتى إذا كانوا بوادى السباع لقيتهم رجل من موالى بنى أسد ، يسمّى بكرّاً . من أهل شراف ، دون واقصة بميلين من أهل المسجد الذى يدعى مسجد الموالى — فأتى ابن معقل فأخبره ، فاتّبعهم فأدركهم بخفّتان — وهى على أربعة فراسخ من القادسيّة — فقتلهم أجمعين .

حدثنى إبراهيم بن سلّم ، قال : كان الفرافصة العجليّ قد همّ بالوثوب بالكوفة ، فامتنع لمكان أبى جعفر ونزوله بها ؛ وكان ابن ماعز الأسديّ يبايع لإبراهيم فيها سرّاً .

حدثنى عبد الله بن راشد بن يزيد ، قال : سمعت إسماعيل بن موسى البجليّ وعيسى بن النضر السّمّانين وغيرهما يخبرون أن غزوان كان لآل القعقاع بن ضرار ، فاستراه أبو جعفر ، فقال له يوماً : يا أمير المؤمنين ؛ هذه سفنٌ منحدرة من الموصل فيها مبيضةٌ تريد إبراهيم بالبصرة ، قال : فضمّ إليه جنداً ، فلقبهم بباحمّشنا بين بغداد والموصل فقتلهم أجمعين ؛ وكانوا تجاراً فيهم جماعة من العبّاد من أهل الخير^(١) وغيرهم ، وفيهم رجل يدعى أبا العرفان من آل شعيب السّمّان ، فجعل يقول : ويلك يا غزوان ! ألسنت تعرفنى ! أنا أبو العرفان جارك ؛ إنما شخصتُ برقيق فبعثتهم ؛ فلم يقبل وقتلهم أجمعين وبعث برءوسهم إلى الكوفة ، فنصبت ما بين دار إسحاق الأزرق إلى جانب دار عيسى بن موسى إلى مدينة ابن هبيرة . قال أبو أحمد عبد الله بن راشد : فأنا رأيتها منصوبةً على كوم التراب .

قال : وحدثنا أبو على القنّداح ، قال : حدثنى داود بن سليمان ونيبخت وجماعة من القنّداحين ، قالوا : كنّا بالموصل ، وبها حرب الراوندى رابطة في ألفين ، لمكان الخوارج بالجزيرة ، فأتاه كتاب أبى جعفر يأمره بالقلل إليه ؛ فشخص ؛ فلما كان بباحمّشنا اعترض له أهلها ، وقالوا : لا ندّعك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم ، فقال لهم : ويحكم ! إني لا أريد بكم

سوءاً ؛ إنما أنا مارٌّ، دعوني . قالوا : لا والله لا تجوزنا أبداً ، فقاتلهم فأباهم ^(١) ، وحمل منهم خمسمائة رأس ، فقدم بها على أبي جعفر ، وقصّ عليه قصتهم . قال أبو جعفر : هذا أول الفتح .

وحدثني خالد بن خديّ آش بن عَجَلان مولى عمر بن حفص ، قال : حدثني جماعة من أشياخنا أنهم شهدوا ديف بن راشد مولى بني يزيد بن ٢٩٧/٣ حاتم ، أتى سفيان بن معاوية قبل خروج إبراهيم بليلة ، فقال : ادفع إلى فوارس آتلك بإبراهيم أو برأسه . قال أوّما لك عمل ! اذهب إلى عملك . قال : فخرج ديف من ليلته فلحق بيزيد بن حاتم وهو بمصر .

وحدثني خالد بن خديّ آش ، قال : سمعت عدّة من الأزد يحدثون عن جابر بن حماد - وكان على شرطة سفيان - أنه قال لسفيان قبل خروج إبراهيم بيوم : إني مررت في مقبرة بني يشكر ، فصيحوا بي ورموني بالحجارة ، فقال له : أما كان لك طريق !

وحدثني أبو عمر الحوضيّ حفص بن عمر ، قال : مرّ عاقب صاحب شرط سفيان يوم الأحد قبل ظهور إبراهيم بيوم ، في مقبرة بني يشكر ، فقيل له : هذا إبراهيم يريد الخروج ، فقال : كذبتُم ، ولم يعرج على ذلك ! قال أبو عمر الحوضيّ : جعل أصحاب إبراهيم ينادون سفيان وهو محصور : اذكر بيعتكَ في دار الخزوميين .

قال أبو عمر : وحدثني محارب بن نصر ، قال : مرّ سفيان بعد قتل إبراهيم في سفينة وأبو جعفر مُشْرِفٌ من قصره ، فقال : إنّ هذا لسفيان ؟ قالوا : نعم ، قال : والله للعجب ! كيف يفلتن ابن الفاعلة ! قال الحوضيّ : قال سفيان لقائد من قوَاد إبراهيم : أقمّ عندي ، فليس كل أصحابك يعلم ما كان بيني وبين إبراهيم .

قال : وحدثني نصر بن فرقد ، قال : كان كرزَم السدوسيّ يغدو على سفيان بخبر إبراهيم ويروح ، ويعلمه منّ يأتيه فلا يعرض له ، ولا يتبع له أثراً .

وذكر أن سفيان بن معاوية كان عامل المنصور أيامه على البصرة ،
٢٩٨/٣ وكان قد مالاً لإبراهيم بن عبد الله على أمره فلا ينصح لصاحبه .

* * *

اختلف في وقت قدوم إبراهيم البصرة فقال بعض : كان قدومه إليها أول
يوم من شهر رمضان في سنة خمس وأربعين ومائة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر :
لما ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن ، وغلب على المدينة ومكة ، وسلم عليه
بالخلافة ، وجه أخاه إبراهيم بن عبد الله إلى البصرة ، فدخلها في أول يوم من
شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة ، فغلب عليها ، وبيت بها وبيت
بها أهل البصرة معه ، وخرج معه عيسى بن يونس ومعاذ بن معاذ بن العوام
واسحاق بن يوسف الأزرق ومعاوية بن هشام ، وجماعة كثيرة من الفقهاء
وأهل العلم ، فلم يزل بالبصرة شهر رمضان وشوالاً ، فلما بلغه قتل أخيه
محمد بن عبد الله تأهب واستعد ، وخرج يريد أبا جعفر بالكوفة .

وقد ذكرنا قول من قال : كان مقدم إبراهيم البصرة في أول سنة ثلاث
وأربعين ومائة ، غير أنه كان مقيماً بها ، محتفياً يدعو أهلها في السر إلى البيعة
لأخيه محمد ، فذكر سهل بن عثيل ، عن أبيه ، أن سفيان كان يرسل إلى
قائدين كانا قدما عليه من عند أبي جعفر مدداً له قبل ظهور إبراهيم ،
٢٩٩/٣ فيكونان عنده ؛ فلما وعده إبراهيم بالخروج أرسل إليهما فاحتبسهما عنده تلك
الليلة حتى خرج ، فأحاط به وبهما فأخذهم^(١) .

وحدثت عن محمد بن معروف بن سويد ، قال : حدثني أبي ، قال :
وجه أبو جعفر مجالداً ومحمداً ويزيد ؛ قواداً ثلاثة كانوا إخوة قبل ظهور
إبراهيم ، فقدّموا جندهم ، فجعلوا يدخلون البصرة تترى ، بعضهم على أثر
بعض ، فأشفق إبراهيم أن يكثروا بها ، فظهر .

(١) ط : « فأخذها » . وما أثبتته من ب .

وذكر نصر بن قديد ، أن إبراهيم خرج ليلة الاثنين لغرة شهر رمضان من ستة خمس وأربعين ومائة ، فصار إلى مقبرة بني يشكر في بضعة عشر رجلاً فارساً ، فيهم عبيد الله بن يحيى بن حصين الرقاشي . قال : وقدم تلك الليلة أبو حماد الأبرص مدداً لسفيان في ألقي رجل ، فتزل الرحبة إلى أن ينزلوا . فسار إبراهيم فكان أول شيء أصاب دواب أولئك الجند وأسلحتهم ، وصلى بالناس الغداة في المسجد الجامع ، وتحصن سفيان في الدار ، ومعه فيها جماعة من بني أبيه ، وأقبل الناس إلى إبراهيم من بين ناظر وناصر حتى كثروا ، فلما رأى ذلك سفيان طلب الأمان ، فأجيب إليه ، فندس إلى إبراهيم مطهر بن جويرية السدوسي ، فأخذ لسفيان الأمان ، وفتح الباب ، ودخل إبراهيم الدار ، فلما دخلها أتى له حصير في مقدم الإيوان^(١) ، فهبت ريح فقلبت ظهره لبطن ، فطير الناس لذلك ، فقال إبراهيم : إنا لانتظرون ، ثم جلس عليه مقلوباً والكرهة ترى في وجهه ؛ فلما دخل إبراهيم الدار خلى ٣٠٠/٣ عن كل من كان فيها - فيما ذكر - غير سفيان بن معاوية ؛ فإنه حبسه في القصر وقيده قيداً خفيفاً ، فأراد إبراهيم - فيما ذكر - بذلك من فعله أن يرى أبا جعفر أنه عنده محبوس ، وبلغ جعفرًا ومحمدًا ابني سليمان بن علي - وكانا بالبصرة يومئذ - مصير إبراهيم إلى دار الإمارة وحبسه سفيان ، فأقبلا - فيما قيل - في ستمائة من الرجال والفرسان والنساء يريدها ، فوجه إبراهيم إليهما المضاء بن القاسم الجزري في ثمانية عشر فارساً وثلاثين رجلاً ؛ فهزمهم المضاء . ولحق محمدًا رجل من أصحاب المضاء قطعنه في فخذه ، ونادى مناد لإبراهيم : لا يتبع مدبر ؛ ومضى هو بنفسه حتى وقف على باب زينب بنت سليمان ، فنادى بالأمان لآل سليمان ، وألا يعرض لهم أحد .

وذكر بكر بن كثير ؛ أن إبراهيم لما ظهر على جعفر ومحمد وأخذ البصرة ، وجد في بيت المال ستمائة ألف ، فأمر بالاحتفاظ بها - وقيل إنه وجد في بيت المال ألني درهم - فقوى بذلك ، وفرض لكل رجل خمسين خمسين ؛ فلما غلب إبراهيم على البصرة وجهه - فيما ذكر - إلى الأهواز رجلاً يدعى الحسين

ابن ثولاء ، يدعوهم إلى البيعة ، فخرج فأخذ بيعتهم ؛ ثم رجع إلى إبراهيم . فوجه إبراهيم المغيرة في خمسين رجلا ، ثم اجتمع إلى ^(١) المغيرة لما صار إلى الأهواز تمام مائتي رجل . وكان عامل الأهواز يومئذ من قبيل أبي جعفر محمد ابن الحصين ، فلما بلغ ابن الحصين دنو المغيرة منه خرج إليه بمَن معه ، وهم - فيما قيل - أربعة آلاف ، فالتقوا على ميل من قَصبة الأهواز بموضع يقال له دشت أربُك ، فانكشف ابن حصين وأصحابه ، ودخل المغيرة الأهواز . ٣٠١/٣

وقد قيل : إن المغيرة صار إلى الأهواز بعد شخوص إبراهيم عن البصرة إلى باخْمَرى

ذكر محمد بن خالد المربُعي ، أن إبراهيم لما ظهر على البصرة ثم أراد الخروج إلى ناحية الكوفة ، استخلف على البصرة نُحَيْلة بن مرّة العبشمي ، وأمر بتوجيه المغيرة بن الفرز أحد بني بهدلة بن عوف إلى الأهواز ، وعليها يومئذ محمد بن الحصين العبدى ، ووجه إبراهيم إلى فارس عمرو بن شداد عاملاً عليها ، فمرّ برامَ هرمز بيعقوب بن الفضل ودو بها ، فاستتبعه ؛ فشخص معه حتى قدم فارس ، وبها إسماعيل بن عليّ بن عبد الله عاملاً عليها من قبيل أبي جعفر ، ومعه أخوه عبد الصمد بن عليّ ، فلما بلغ إسماعيل بن عليّ عبد الصمد إقبال عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل - وكانا يلصطنخر-بادرا إلى داراً بـجِرد ، فتحصّنا بها ، فصارت فارس في يد عمرو بن شداد ويعقوب بن الفضل ، فصارت البَصْرة والأهواز وفارس في سلطان إبراهيم .

وحدثت عن سليمان بن أبي شيخ ، قال : لما ظهر إبراهيم بالبصرة ، أقبل الحكم بن أنى غَيْلان الشكْرى في سبعة عشر ألفاً حتى دخل واسطاً ، وبها هارون بن حميد الإيادي من قبيل أبي جعفر ، فدخل هارون تنوراً ^(٢) في القصر حتى أخرج منه ، وأتى أهل واسط حفص بن عمر بن حفص بن عمر ابن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة ، فقالوا له : أنت أولى مِن هذا المَجْيمي ، فأخذها حفص ، وخرج منها الشكْرى ، وولّى حفص شُرطه أبا مَقرن المَجْيمي .

وذكر عمر بن عبد الغفار بن عمرو الفُقَيْمِيّ، ابن أخى الفضل بن عمرو الفُقَيْمِيّ، قال : كان إبراهيم واجداً على هارون بن سعد ، لا يكلمه ، فلما ظهر إبراهيم قدم هارون بن سعد ، فألقى سلم بن أبى واصل ، فقال له : أخبرنى عن صاحبك ، أما به إلينا حاجة فى أمره هذا ! قال : بلى لعمر الله . ثم قام فدخل على إبراهيم ، فقال : هذا هارون بن سعد قد جاءك ، قال : لا حاجة لى به ، قال : لا تفعل ؛ فى هارون تزهد ؛ فلم يزل به حتى قبله ، وأذن له فدخل عليه ؛ فقال له هارون : استكفنى أهمّ أمورك إليك ، فاستكفاه واسطاً ، واستعمله عليها .

قال سليمان بن أبى شيخ : حدثنى أبو الصعدى ، قال : أتانا هارون بن سعد العجليّ من أهل الكوفة ، وقد وجهه إبراهيم من البصرة ، وكان شيخاً كبيراً ، وكان أشهر من معه من أهل البصرة الطهوىّ ، وكان معه ممين يشبه الطهوىّ فى زججته من أهل واسط عبد الرحيم الكلبيّ ، وكان شجاعاً ؛ وكان ممن قدم به أو قدم عليه عبدويه كردام الخراسانىّ . وكان من فرسانهم صدقة بن بكار ، وكان منصور بن جُمهور يقول : إذا كان معى صدقة بن بكار فما أبالى من لقيت ! فوجهّ أبو جعفر إلى واسط لحرب هارون بن سعد عامر بن إسماعيل المسلىّ فى خمسة آلاف فى قول بعضهم ، وقال بعضهم : فى عشرين ألفاً ، وكانت بينهم وقعات .

وذكر عن ابن أبى الكرام ، أنه قال : قدمت على أبى جعفر برأس محمد ، ٣/ ٢٠٢ وعامر بن إسماعيل بواسط محاصر هارون بن سعد ، وكانت الحرب بين أهل واسط وأصحاب أبى جعفر قبل شخوص إبراهيم من البصرة ، فذكر سليمان بن أبى شيخ ، قال : عسكر عامر بن إسماعيل من وراء النيل ، فكانت أول حرب جرت بينه وبين هارون ، فضر به عبد سقاء وجرحه وصرعه وهو لا يعرفه ، فأرسل إليه أبو جعفر بظبية فيها صمغ عربى ؛ وقال : داو بها جراحاتك ، فالتقوا غير مرة ، فقتل من أهل البصرة وأهل واسط خلق كثير ؛ وكان هارون ينهاهم عن القتال ، ويقول : لو لقي صاحبنا صاحبهم تبين لنا الأمر ، فاستبقوا أنفسكم ؛ فكانوا لا يفعلون . فلما شخّص إبراهيم إلى باخمريّ كفّ الفريقان من أهل واسط وعامر بن إسماعيل ؛ بعضهم عن بعض ، وتوادعوا على

ترك الحرب إلى أن يلتقي الفريقان ، ثم يكونوا تبعاً للغالب ؛ فلما قتل إبراهيم أراد عامر بن إسماعيل دخول واسط ، فأنعه أهلها الدخول . قال سليمان : لما جاء قتل إبراهيم هرب هارون بن سعد ، وصالح أهل واسط عامر بن إسماعيل على أن يؤمنهم ، فلم يثق كثير منهم بأمانه ، فخرجوا منها ، ودخلها عامر بن إسماعيل ، وأقام بواسط فلم يهجم أحد .

وكان عامر - فيما ذكر - صالح أهل واسط على ألا يقتل أحداً بواسط ، فكانوا يقتلون كل من يجدونه من أهل واسط خارجاً منها ؛ ولما وقع الصلح بين أهل واسط وعامر بعد قتل إبراهيم هرب هارون بن سعد إلى البصرة ، فتوفى قبل أن يبلغها فيما ذكر .

وقيل إن هارون بن سعد اختفى ، فلم يزل مخفياً حتى ولي محمد بن سليمان الكوفة ، فأعطاه الأمان ، واستدرجه حتى ظهر ، وأمره أن يفرض لما تئين من أهل بيته ؛ فهم أن يفعل ، وركب إلى محمد ، فلقبه ابن عم له ، فقال له : أنت مخدوع ، فرجع فتواري حتى مات ، وهدم محمد بن سليمان داره .

قال : ولم يزل إبراهيم مقيماً بالبصرة بعد ظهوره بها ، يفرق العمال في النواحي ويوجه الجيوش إلى البلدان ؛ حتى أتاه نعي أخيه محمد ، فذكر نصر بن قديد ؛ قال : فرض إبراهيم فروضاً بالبصرة ، فلما كان قبل الفطر بثلاثة أيام ، أتاه نعي أخيه محمد ؛ فخرج بالناس إلى العيد ، وهم يعرفون فيه الانكسار ، وأخبر الناس بقتل محمد ؛ فازدادوا في قتال أبي جعفر بصيرة ، وأصبح من الغد فعسكر ، واستخلف نميلة على البصرة ، وخلف ابنه حسناً معه .

قال سعيد بن هريم : حدثني أبي ، قال : قال علي بن داود : لقد نظرت إلى الموت في وجه إبراهيم حين خطبنا يوم الفطر ، فأنصرفت إلى أهلي فقلت : قتل والله الرجل !

وذكر محمد بن معروف ، عن أبيه أن جعفراً ومحمداً ابني سليمان لما شخضا من البصرة ، أرسلاه إلى أبي جعفر ليخبره خبر إبراهيم ، قال : فأخبرته خبرهما ، فقال : والله ما أدرى كيف أصنع ! والله ما في عسكري إلا ألفا رجل ؛ فرقت جندي ، فع المهدى بالرى ثلاثون ألفاً ، ومع محمد بن الأشعث

بإفريقية أربعون ألفاً والباقون مع عيسى بن موسى ؛ والله لئن سلمت من هذه ٣٠٥ / ٣
لا يفارق عسكري ثلاثون ألفاً .

وقال عبد الله بن راشد : ما كان في عسكر أبي جعفر كثيرٌ أحد ؛ ما هم
إلا سودان وناسٌ يسير ؛ وكان يأمر بالخطب فيحزم ثم يوقد بالليل ، فيراه
الرأي فيحسب أن هناك ناساً ؛ وما هي إلا نار تضرم ، وليس عندها أحد .
قال محمد بن معروف بن سويد : حدثني أبي ، قال : لما ورد الخبر
على أبي جعفر ، كتب إلى عيسى بن موسى وهو بالمدينة : إذا قرأت كتابي
هذا فأقبل ودع كل ما أنت فيه ؛ قال : فلم ينشب أن قدم ، فوجهه على
الناس . وكتب إلى سلم بن قتيبة فقدم عليه من الرئي ، فضمه إلى جعفر
ابن سليمان .

فذكر عن يوسف بن قتيبة بن مسلم ، قال : أخبرني أخى سلم بن قتيبة
ابن مسلم ، قال : لما دخلتُ على أبي جعفر قال لي : اخرج ؛ فإنه قد خرج
ابنا عبد الله ، فاعمد لإبراهيم ولا يرو عنك جمعه ؛ فوالله إنهما جملاً بنى هاشم
المقتولان جميعاً ؛ فابسط يدك ، وثق بما أعلمتك ، وستذكر مقالتي لك .
قال : فوالله ما هو إلا أن قُتِل إبراهيم ، فجعلت أتذكر مقالته فأعجب .

قال سعيد بن سلم : فاستعمله على مسيرة الناس ، وضم إليه بشار بن سلم
العُقيلي وأبا يحيى بن خريم وأبا هُرَاسة سنان بن مخيَّس القشيري ، وكتب سلم
إلى البصرة فلحقته به باهلة ؛ عُرِبُها ومواليها ، وكتب المنصور إلى المهدي وهو
يومئذ بالرئي يأمره بتوجيه خازم بن خزيمة إلى الأهواز ، فوجهه المهدي - فيما
ذكر - في أربعة آلاف من الجند ، فصار إليها ، وحارب بها المغيرة ، فانصرف ٣٠٦ / ٣
إلى البصرة ، ودخل خازم الأهواز ، فأباحها ثلاثاً .

وذكر عن الفضل بن العباس بن موسى وعمر بن ماهان ، أنهما سمعا السندی
يقول : كنت وصيفاً أيام حرب محمد ، أقوم على رأس المنصور بالمذبّة ،
فرايته لما كثف أمر إبراهيم وغلظ ، أقام على مصلى نيفاً وخمسين ليلة ، ينام
عليه ويجلس عليه ، وعليه جبّة ملوّنة قد اتسخ جيّبها وما تحت لحيته منها ؛
فما غير الجبّة ، ولا هجر المصلّى حتى فتح الله عليه ؛ إلا أنه كان إذا ظهر

للناس علا الجبّة بالسواد ، وقعد على فراشه ؛ فإذا بطن عاد إلى هيئته . قال :
فأنته ريسانة في تلك الأيام ، وقد أهديت له امرأتان من المدينة ؛ إحداهما فاطمة
بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيدالله والأخرى أمة^(١) الكريم بنت عبد الله
من ولد خالد بن أسيد بن أبي العيص ؛ فلم ينظر إليهما ، فقالت :
يا أمير المؤمنين ؛ إن هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما ، وساءت ظنونهما لما
ظهر من جفائك لهما ؛ فنهروا ، وقال : ليست هذه الأيام من أيام النساء ؛ لاسيلا
لي إليهما حتى أعلم : أرأس إبراهيم لي أم رأسى لإبراهيم !

وذكر أن محمداً وجعفرأبى سليمان كتبا إلى أبى جعفر يُعلمانه بعد
خروجهما من البصرة الخبر في قطعة جراب ، ولم يتدرا على شيء يكتبان
فيه غير ذلك ؛ فلما وصل الكتاب إليه ؛ فرأى قطعة جراب بيد الرسول ، قال :
خلع والله أهل البصرة مع إبراهيم ، ثم قرأ الكتاب ، ودعا بعبد الرحمن الحنظلي^{٢٠٧/٣}
وبأبى يعقوب ختن مالك بن الهيثم ، فوجههما في خيل كثيفة إليهما ، وأمرهما
أن يحسأهما حيث لقيأهما ، وأن يعسكرا معهما ، ويسمعا ويطيعا لهما ؛
وكتب إليهما يعجزهما ويضعفهما ويوبخهما على طمع إبراهيم في الخروج
إلى مصرهما فيه ، واستأر خبره عنهما ، حتى ظهر وكتب في آخر كتابه :
أبلغ بنى هاشم عني مغلظة فاستيقظوا إن هذا فعل نؤام
تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتنتق مريض المستنفر الحامى

وذكر عن جعفر بن ربيعة العامري عن الحجاج بن قتيبة بن مسلم ، قال :
دخلت على المنصور أيام حرب محمد وإبراهيم ، وقد جاءه فتى البصرة والأهواز
وفارس وواسط والمدائن والسواد ، وهو ينكت الأرض بمخصرته ويتمثل :
ونصبيت نفسى للرماح درية إن الرئيس لمثل ذاك فعول
قال : فقلت : يا أمير المؤمنين ، أدام إعزازك ونصرك على عدوك ! أنت
كما قال الأعشى :

وإن حربهم أوقدت بينهم فحرت لهم بعد إبرادها^(٢)

وجدت صَبُورًا على حَرْها^(١) وكرَّ الحروب وتردَّادها^(٢)

فقال : يا حجاج ، إن إبراهيم قد عرف وعورة جانبي وصعوبة ناحيتي ،
وخشونة قرني ؛ وإنما جرَّاه على المسير إلى من البصرة اجتماع هذه الكُور
المُطَلَّة على عسكر أمير المؤمنين وأهل السواد معه على الخلاف والمعصية ، وقد
رميت كل كورة بحجرها وكل ناحية بسهمها ، وجهت إليهم الشهم^(٣)
النجْد الميمون المظفر عيسى بن موسى ، في كثرة من العدد والعدة ، واستعنت
بالله عليه ، واستكفيتها إياه ؛ فإنه لا حول ولا قوة لأمر المؤمنين إلا به .

قال جعفر بن ربيعة : قال الحجاج بن قتيبة : لقد دخلتُ على أمير
المؤمنين المنصور في ذلك اليوم مسلَّمًا ، وما أظنُّه يقدر على ردِّ السلام لتتابع
الفتوق والحُرُوق عليه والعساكر المحيطة به ، ولما أُلِّف سيف كائنه له بالكوفة
بإزاء عسكره ينتظرون به صبيحة واحدة فيشبون ؛ فوجدته صقراً أحوزياً
مشمراً ، قد قام إلى ما نزل به من النواصب يعركها ويمرُّسها ، فقام بها ولم
تقعده نفسه ؛ وإنه لكما قال الأول :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَامًا وَعَلَّمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا^(٤)
• وَصَبَّرَتْهُ مَلِكًا هُمَامًا^(٥) •

وذكر أبو عبيدة أنه كان عند يونس الجسري ، وقد وجه محمد بن عبد الله
أخاه لحرب أبي جعفر ، فقال يونس : قدِم هذا يريد أن يزِيل ملكًا ، فألهته
ابنة عمر بن سُلمة عمّا حاوله ، ولقد أهديت التيمية^(٦) إلى أبي جعفر في تلك
الأيام ، فتركها بمزجر الكلب ، فما نظر إليها حتى انقضى أمر إبراهيم .
وكان إبراهيم تزوج بعد مقدمه البصرة بهنكة بنت عمر بن سلمة ، فكانت
تأتيه في مصبغاتها وألوان ثيابها .

٣٠٩/٣

(٢) الديوان : « وحر الحروب » .

(٤) مما نسب إلى النابتة الذيباني ؛ العقد الثمين ١٧٥ .

(١) الديوان : « على رزها » .

(٣) ج : « السهم » .

(٥) بعده في العقد الثمين :

• حَتَّى عَلَا وَجَاوَزَ الْأَقْوَامَا •

(٦) ط : « التيمية »

فلما أراد إبراهيم الشخوص نحو أبي جعفر ، دخل - فيما ذكر بشر بن سلم - عليه نَمِيلَةُ الطُّهُمَيِّ وَجَمَاعَةٌ مِنْ قَوَادِهِ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ ، فقالوا له : أصلحك الله ! إنك قد ظهرت على البصرة والأهواز وفارس وواسط ، فأقيم بمكانك ، ووجه الأجناد ، فإن هُزِمَ لك جند أمددتهم ينجد ، وإن هُزِمَ لك قائد أمددته بقائد ، فخيِّف مكانك ، واتقاك عدوك ، وجببت الأموال ، وثبتت وطأتك ؛ ثم رأيك بعد . فقال الكوفيتون : أصلحك الله ! إن بالكوفة رجالاً لو قد رأوك ماتوا دونك ، وإلا يروك تقعد بهم أسباب شتى فلا يأتونك^(١) ، فلم يزالوا به حتى شخّص .

وذكر عن عبد الله بن جعفر المديني ، قال : خرجنا مع إبراهيم إلى باخمرى ، فلما عسكرنا أتاننا ليلة من الليالي ، فقال : انطلق بنا نطف في عسكرنا . قال : فسمع أصوات طنابير وغناء فرجع ، ثم أتانى ليلة أخرى فقال : انطلق بنا ، فانطلقتُ معه ، فسمع مثل ذلك فرجع وقال : ما أطمع في نصر عسكر فيه مثل هذا .

وذكر عن عفان بن مسلم الصفار ، قال : لما عسكر إبراهيم افترض معه رجال من جيراننا ، فأبيت معسكره ، فحزرت أن معه أقل من عشرة آلاف . فأما داود بن جعفر بن سليمان ، فإنه قال : أحصى في ديوان إبراهيم من أهل البصرة مائة ألف . ووجه أبو جعفر عيسى بن موسى - فيما ذكر إبراهيم بن موسى بن عيسى - في خمسة عشر ألفاً ، وجعل على مقدمته حميد بن قحطبة على ثلاثة آلاف . فلما شخّص عيسى بن موسى نحو إبراهيم سار معه - فيما ذكر - أبو جعفر حتى بلغ نهر البصريين ، ثم رجع أبو جعفر ، وسار إبراهيم من معسكره بالماخور من خريبة البصرة نحو الكوفة .

فذكر بعض بني تيم الله عن أوس بن مهلهل القطعي ، قال : مر بنا إبراهيم في طريقه ذلك ، ومنزلنا بالقباب التي تدعى قباب أوس ، فخرجت أتلقاه مع أبي وعي ، فانتبهنا إليه وهو على برذون له يرتاد منزلاً من الأرض ، قال : فسمعتة يتمثل أبياتاً للقطاعي :

أُمُورٌ لَوْ تَدَبَّرَهَا حَلِيمٌ^(١) إِذَا لَنَهَى وَهَيْبَ مَا اسْتَطَاعَا
وَمُعْصِيَةَ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ مِمَّا^(٢) يَزِيدُكَ مَرَّةً مِنْهُ اسْتِمَاعَا
وَخَبْرُ الْأُمْرِ مَا اسْتَقْبَلَتْ مِنْهُ وَلَيْسَ بِأَنَّ تَتَّبِعَهُ اتِّبَاعَا
وَلَكِنَّ الْأَدِيمَ إِذَا تَفَرَّى بَلَى وَتَعْيِبًا غَلَبَ الصَّنَاعَا

فقلت للذي معي : إني لأسمع كلامَ رجل نادم على مسيره . ثم سار فلما بلغ كرخشا قال له- فيها ذكر عن سليمان بن أبي شيخ عن عبد الواحد بن زياد بن لبيد - إن هذه بلادُ قومي ، وأنا أعلمُ بها ، فلا تقصد قصدَ عيسى بن موسى ، وهذه العساكر التي وُجِّهَتْ إليك ، ولكنني أسلكُ بك إن تركتني طريقاً لا يشعر بك أبو جعفر إلا وأنت معه بالكوفة . فأبى عليه . قال : فإنا معشر ربيعة أصحاب بيات ، فدعني أبيت أصحاب عيسى بياتاً ، قال : ٣١١/٣ إني أكره البيات .

وذكر عن سعيد بن هريم أن أباه أخبره ، قال : قلت لإبراهيم : إنك غير ظاهر على هذا الرجل حتى تأخذ الكوفة ، فإن صارت لك مع تحصنته بها لم تقم له بعدها قائمة ، ولِي بعدُ بها أهيلٌ ، فدعني أسيرُ إليها مخفياً فأدعو إليك في السرِّ ثم أجهز ؛ فلأنهم إن سمعوا داعياً إليك أجابوه ، وإن سمع أبو جعفر المهيعة بأرجاء الكوفة لم يردَّ وجهه شيء دون حُلوان . قال : فأقبل على بشير الرِّحَال ، فقال : ما ترى يا أبا محمد ؟ قال : إنا لو وثقنا بالذي تصيف لكان رأياً ؛ ولكننا لا نأمن أن تجيبك منهم طائفة ، فيرسل إليهم أبو جعفر خيلاً فيطأ البرى والنَّطِيف^(٣) والصَّغِيرَ والكبير ؛ فتكون قد تعرَّضت لما ثمَّ ذلك ، ولم تبلغ منه ما أملت . فقلت لبشير : أخرجت حين خرجت لقتال أبي جعفر وأصحابه ؛ وأنت تتوقَّى قتل الضَّعِيف والصَّغِيرِ والمرأة والرجل ؛ أو ليس قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجِّه السَّريَّة فيقاتل فيكون في ذلك نحو ما كرهت ! فقال : إن أولئك كانوا مشركين كلهم ، وهؤلاء أهلُ ملتنا

(٢) ط : « الشقيق » .

(١) ط : « يدبرها » .

(٣) النطف : الرجل المريب المتهم .

ودعوتنا وقبلتنا ، حكمهم غير حكم أولئك ؛ فاتبع إبراهيم رأيه ولم يأذن له ، وسار لإبراهيم حتى نزل باخمري .

وذكر خالد بن أسيد الباهلي أنه لما نزلها أرسل إليه سلم بن قتيبة حكيم ابن عبد الكريم : إنك قد أصحرت ، ومثلك أنفسُ به عن الموت ، فخذق على نفسك حتى لا تؤثى إلا من مأثى واحد ، فإن أنت لم تفعل فقد أعرى^(١) أبو جعفر عسكره ، فتخفيف في طائفة حتى تأتبه فتأخذ بقفاه .

٣١٢/٣

قال : فدعا إبراهيم أصحابه ، فعرض ذلك عليهم ، فقالوا : نخندق على أنفسنا ونحن ظاهرون عليهم ! لا والله لا نفعل . قال : فأتبته ؟ قالوا : ولم وهو في أيدنا متى أردناه ! فقال إبراهيم لحكيم : قد تسمع ، فارجع راشداً . فذكر إبراهيم بن سلم^(٢) أن أخاه حدثه عن أبيه ، قال : لما التقينا صف لهم أصحابنا ، فخرجت^(٣) من صفهم ، فقلت لإبراهيم : إن الصف إذا انهزم بعضه تداعى ، فلم يكن لهم نظام ، فاجعلهم كراديس ، فإن انهزم كرادوس ثبت كبردوس ، فتنادوا^(٤) : لا ، إلا قتال أهل الإسلام^(٥) يريدون قوله تعالى : ﴿ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا ۖ ﴾^(٥) .

وذكر يحيى بن شكر مولى محمد بن سليمان ، قال : قال المضاء : لما نزلنا باخمري أتيت إبراهيم فقلت له : إن هؤلاء القوم مصبّحوك بما يسدّ عليك مغرب الشمس من السلاح والكراع ، وإنما معك رجال عراة من أهل البصرة ، فدعني أبيته ، فوالله لأشتتن جموعه ، فقال : إني أكره القتل ، فقلت : تريد الملّك وتكره القتل !

وحدثني الحارث ، قال : حدثني ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : لما بلغ إبراهيم قتل أخيه محمد بن عبد الله ، خرج يريد أبا جعفر المنصور بالكوفة ، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى يعلمه ذلك ، ويأمره أن يقبل إليه ؛ فوافاه رسول أبي جعفر وكتابه — وقد أحرم بعمره — فرفضوا ، وأقبل إلى أبي جعفر ، فوجهه في القواد والجنود والسلاح إلى إبراهيم بن عبد الله ،

٣١٣/٣

(١) ابن الأثير : « أعرى » . (٢) ب : « سالم » .

(٣) ب : « فخرجنا بين صفهم » .

(٤ - ٥) ابن الأثير : « لا تصف إلا صف أهل الإسلام » . (٥) سورة الصف ٤ .

وأقبل إبراهيم ومعه جماعة كثيرة من أفناء الناس ؛ أكثر من جماعة عيسى ابن موسى ، فالتقوا بياخمرى - وهي على ستة عشر فرسخاً من الكوفة - فاقتتلوا بها قتالاً شديداً ، وانهزم حميد بن قحطبة - وكان على مقدمة عيسى بن موسى - وانهزم الناس معه ، فعرض لم عيسى بن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه ، ومروا^(١) منهزمين . وأقبل حميد بن قحطبة منهزماً ، فقال له عيسى بن موسى : يا حميد ، الله الله والطاعة^(٢) ! فقال : لا طاعة في الهزيمة . ومروا الناس كلهم حتى لم يبق منهم أحد بين يدي عيسى بن موسى ، وعسكر إبراهيم بن عبد الله ، فثبت عيسى بن موسى في مكانه الذي كان فيه لا يزول ، وهو في مائة رجل من خاصته وحشمه ، فقبل له : أصلح الله الأمير ! لو تنحيت عن هذا المكان حتى يثوب إليك الناس فتكرب بهم ! فقال : لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتل أو يفتح الله على يدي ؛ ولا يقال : انهزم .

وذكر عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن عليّ أن إسحاق بن عيسى بن عليّ حدثه أنه سمع عيسى بن موسى يحدث أباه أنه قال : لما أراد أمير المؤمنين توجيهي إلى إبراهيم ، قال : إن هؤلاء الخبيثاء - يعني المنجمين - يزعمون أنك لاقى الرجل ، وأن لك جولة حين تلقاه ، ثم يفيء إليك أصحابك ، وتكون العاقبة لك . قال : فوالله لكان كما قال ؛ ما هو إلا أن التقينا فهزمونا ، فلقد رأيتني وما معي إلا ثلاثة أو أربعة ؛ فأقبل عليّ مولى لي - كان ممسكاً بلجام دابتي - فقال : جعلت فداك ! علام تقيم وقد ذهب أصحابك ! فقلت : لا والله ، لا ينظر أهل بيتي إلى وجهي أبداً وقد انهزمت عن عدوهم . قال : فوالله لكان أكثر^(٣) ما عندى أن جعلت أقول لمن مرّ بي ممن أعرف من المنهزمين : أقرئوا أهل بيتي مني السلام ، وقولوا لهم : إني لم أجد فداءً أفديكم به أعزّ عليّ من نفسي ، وقد بذلتها دونكم . قال : فوالله إنا لعلّ ذلك والناس منهزمون ما يلوى أحدٌ على أحد . وصمد ابنا سليمان : جعفر ومحمد لإبراهيم ، فخرجا عليه من ورائه ، ولا يشعر من بأعقابنا من أصحاب إبراهيم ؛ حتى نظر

(٢) ج : « في الطاعة » .

(١) ب : « ويمرون » .

(٣) ب : « أكبر » .

بعضهم إلى بعض ؛ وإذا القتال من ورائهم ، فكروا نحوه ، وعقبنا في آثارهم راجعين ؛ فكانت إياها . قال : فسمعت عيسى بن موسى يومئذ يقول لأبي : فوالله يا أبا العباس ؛ لولا ابتنا سليمان يومئذ لانتفضحنا ؛ وكان من صنع الله أن أصحابنا لما انهزموا يومئذ اعترض لهم نهر ذو نثيتين مرتفعتين ، فحالتا بينهما وبين الثوب ؛ ولم يجدوا مخاضة ، فكروا راجعين بأجمعهم .

فذكر عن محمد بن إسحاق بن مهران ، أنه قال : كان بياخمرى ناس من آل طلحة فمخروها على إبراهيم وأصحابه ، وبثقوا الماء ، فأصبح أهل عسكره مرتظمين في الماء . وقد زعم بعضهم أن إبراهيم هو الذي نحر ليكون^(١) قتاله من وجه واحد ؛ فلما انهزموا منهم الماء من الفرار ، فلما انهزم أصحاب إبراهيم ثبت إبراهيم وثبت معه جماعة من أصحابه يقاتلون دونه ، اختلف في مبلغ عددهم^(٢) ، فقال بعضهم : كانوا خمسمائة ، وقال بعضهم : كانوا أربعمائة ، وقال بعضهم : بل كانوا سبعين .

٣١٥/٣

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : لما انهزم أصحاب عيسى بن موسى وثبت عيسى مكانه ، أقبل إبراهيم بن عبد الله في عسكره يدنو ويدنو غبار عسكره ؛ حتى يراه عيسى ومن معه ؛ فبيناهم على ذلك إذا فارس قد أقبل وكر راجعاً يجري نحو إبراهيم ، لا يعرج على شيء ؛ فإذا هو حميد بن قحطبة قد غير لأمته ، وعصب رأسه بعصابة صفراء ، فكر الناس يتبعونه حتى لم يبق أحد من كان انهزم إلا كرت راجعاً ، حتى خالطوا القوم ، فقاتلوهم قتالا شديداً حتى قتل الفريقان بعضهم بعضاً ، وجعل حميد بن قحطبة يرسل بالروس إلى عيسى بن موسى إلى أن أتى برأس ومعه جماعة كثيرة وضجة وصياح ، فقالوا : رأس إبراهيم بن عبد الله ؛ فدعا عيسى ابن موسى بن أبي الكرام الجعفرى ، فأراه إياه ، فقال : ليس هذا ؛ وجعلوا يقتتلون يومهم ذلك ؛ إلى أن جاء سهم عائر لا يدري من رمى به ، فوقع في حلق إبراهيم بن عبد الله فنحره ، فتنحى عن موقفه ، فقال : أنزلوني ، فأنزاه

عن مركبه، وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾^(١)، أردنا أمراً وأراد الله غيره؛ فأنزل إلى الأرض وهو مشخنٌ، واجتمع عليه أصحابه وخاصته يحمونه ويقاتلون دونه، ورأى حميد بن قحطبة اجتماعهم، فأنكرهم فقال لأصحابه: شدوا على تلك الجماعة حتى تزيلوهم عن موضعهم، وتعلموا ما اجتمعوا عليه، ٣١٦/٣ فشدوا عليهم، فقاتلوهم أشد القتال حتى أفرجهم عن إبراهيم، وخلصوا إليه فحزوا رأسه؛ فأتوا به عيسى بن موسى، فأراه ابن أبي الكرام الجعفرى، فقال: نعم؛ هذا رأسه، فنزل عيسى إلى الأرض فسجد، وبعث برأسه إلى أبي جعفر المنصور، وكان قتلته يوم الاثنين لخمس ليال بقين من ذى القعدة سنة خمس وأربعين ومائة. وكان يوم قتل ابن ثمان وأربعين سنة، ومكث منذ خرج إلى أن قتل ثلاثة أشهر إلا خمسة أيام.

وذكر عبد الحميد أنه سأل أبا صلابة: كيف قُتل إبراهيم؟ قال: إني لأنظر إليه واقفاً على دابةٍ ينظر إلى أصحاب عيسى قد وكَّوْا ومنحوه أكتافهم، ونكَّص عيسى بدابته القهقري وأصحابه يقتلونهم، وعليه قباء زرد^(٢)، فأذاه الحر، فحلَّ أزرار قبائه، فشال الزرد حتى سال عن ثدييه، وحسر عن لبتيه، فأتته نُسابة عائرة^(٣)، فأصابته فى لبتيه، فرأيتُه اعتنق فرسه، وكرَّ راجعاً، وأطافت به الزيدية.

وذكر إبراهيم بن محمد بن أبي الكرام؛ قال: حدثني أبي، قال: لما انهزم أصحاب عيسى تبعتهم ريايات إبراهيم فى آثارهم، فنادى منادى إبراهيم: ألا لا تتبعوا مدبراً؛ فكرت الرايات راجعةً، وراها أصحاب عيسى فخالوهم انهزموا، فكروا فى آثارهم؛ فكانت الهزيمة.

٣١٧/٣ وذكر أن أبا جعفر لما بلغته جولة أصحاب عيسى عزَّم على الرحيل إلى الرى، فذكر سلم بن فرقد حاجب سليمان بن مجالد، أنه قال: لما التقوا هُزم أصحاب عيسى هزيمة قبيحة حتى دخل أوائلهم الكوفة؛ فأتانى صديق لى كوفى، فقال: أيتها الرجل، تعلم والله لقد دخل أصحابك الكوفة؛ فهذا

(٢) زرد؛ أى مزرود.

(١) سورة الأحزاب ٣٨

(٣) النشابة، وأحدة النشاب وهو النبل. والعائر: ما لا يدري راميه.

أخو أبي هريرة في دار فلان ، وهذا فلان في دار فلان ؛ فانظر لنفسك وأهلك ومالك ؛ قال : فأخبرت بذلك سليمان بن مجالد ، فأخبر به أبا جعفر ، فقال : لا تكشفن من هذا شيئاً ولا تلتفتن إليه ؛ فإني لا آمن أن يهجم عليّ ما أكره ، وأعدّد على كلّ باب من أبواب المدينة إبلاً ودوابّ ؛ فإن أتينا من ناحية صرنا إلى الناحية الأخرى . فقبل لسلم : إلى أين أراد أبو جعفر يذهب إن دهمه أمر ؟ قال : كان عزم على إتيان الرى ، فبلغنى أن نبيخت المنجم دخل على أبي جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، الظّفَرُ لك ، وسيُقتل إبراهيم ، فلم يقبل ذلك منه ، فقال له : احبسنى عندك ، فإن لم يكن الأمر كما قلت لك فاقتلنى ، فبينا هو كذلك إذ جاءه الخبر بهزيمة إبراهيم ، فتمثّل بيت معقر بن أوّس ابن حمار البارقى :

فَأَلَقْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّتْ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْأَيَّابِ الْمَسَافِرُ^(١)

٣١٨/٣

فأقطع أبو جعفر نبيخت النوى جريب بنهر جَوْبَر ؛ فذكر أبو نعيم الفضل ابن دكين أن أبا جعفر لما أصبح من الليلة التي أتى فيها برأس إبراهيم - وذلك ليلة الثلاثاء لخمس بقين من ذى القعدة - أمر برأسه فنُصب رأسه في السوق . وذكر أن أبا جعفر لما أتى برأسه فوضع بين يديه بكى حتى قطرت دموعه على خدّ إبراهيم ، ثم قال : أما والله إن^(٢) كنت لهذا لكارهاً ، ولكنك ابتليت بى وابتليت بك .

وذكر عن صالح مولى المنصور أن المنصور لما أتى برأس إبراهيم بن عبد الله وضعه بين يديه ، وجلس مجلساً عاماً ، وأذن للناس ، فكان الدّاخل يدخل فيسلم ويتناول إبراهيم فيسئىء القول فيه ، ويذكر منه القبيح ، التماساً لرضا أبى جعفر ، وأبو جعفر ممسك متغيّر لونه ؛ حتى دخل جعفر بن حنظلة البهراني ، فوقف فسلم ، ثم قال : عظم الله أجرك يا أمير المؤمنين في ابن عمك ،

(١) البيت بهذه النسبة في اللسان (عصا) ؛ ونقل عن ابن برى أنه لعبدون السلى ، ويقال لسليم بن ثمالة الحنفى قال ؛ وأول الشعر :

تَذَكَّرْتُ مِنْ أُمِّ الْحَوِيرِثِ بَعْدَمَا مَضَتْ حَجِجٌ ، وَذُو الشُّوقِ ذَاكِرُ
(٢) ابن الأثير : « إني » .

وغفر له ما فرط^(١) فيه من حقل ! فاصفر لون أبي جعفر وأقبل عليه ، فقال :
أبا خالد ، مرحباً وأهلاً ها هنا ! فعلم الناس أن ذلك قد وقع منه ، فدخلوا
فقالوا مثل ما قال جعفر بن حنظلة .

* * *

وفي هذه السنة خرجت الترك والخرزرباب الأبواب فقتلوا من المسلمين
بأرمينية جماعة كثيرة .

* * *

وحج بالناس في هذه السنة السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس بن
عبد المطلب . وكان عامل أبي جعفر على مكة .

وكان والى^(٢) المدينة في هذه السنة عبد الله بن الربيع الحارثي ، والى
الكوفة وأراضيها عيسى بن موسى ، والى البصرة سلم بن قتيبة الباهلي . وكان
على قضائها عباد بن منصور ، وعلى مصر يزيد بن حاتم .

ثم دخلت سنة ست وأربعين ومائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث

[خبر استئام بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها]

فما كان فيها من ذلك استئام أبي جعفر مدينته بغداد ؛ ذكر محمد بن عمر أن أبا جعفر تحول من مدينة ابن هُبيرة إلى بغداد في صفر سنة ست وأربعين ومائة ، فنزلها وبني مدينتها .

• ذكر الخبر عن صفة بنائه إياها :

قد ذكرنا قبلُ السببَ الباعثَ كان لأبي جعفر على بنائها ، والسبب الذي من أجله اختار البُقعة التي بنى فيها مدينته ، ونذكر الآن صفة بنائه إياها .
 ذكر عن رشيد أبي داود بن رشيد أن أبا جعفر شخص إلى الكوفة حين بلغه خروجُ محمد بن عبد الله ، وقد هيأ لبناء مدينة بغداد ما يحتاج إليه من خشب وساج وغير ذلك ؛ واستخلف حين شخص على إصلاح ما أعد لذلك مولى له يقال له أسلم ؛ فبلغ أسلم أن إبراهيم بن عبد الله قد هزم عسكر أبي جعفر ، فأحرق ما كان خلفه عليه أبو جعفر من ساج وخشب ؛ خوفاً أن يؤخذ منه ذلك ؛ إذا غلب مولاة ؛ فلما بلغ أبا جعفر ما فعل من ذلك مولاة أسلم كتب إليه يلومه على ذلك ؛ فكتب إليه أسلم يخبر أنه خاف أن يظفر بهم إبراهيم فيأخذه ، فلم يقل له شيئاً .

٢٢٠/٣

وذكر عن إسحق بن إبراهيم الموصلي ، عن أبيه ، قال : لما أراد المنصور بناء مدينة بغداد ، شاور أصحابه فيها ؛ وكان ممن شاوره فيها خالد بن برمك ، فأشار بها ؛ فذكر عن علي بن عصمة أن خالد بن برمك خطب مدينة أبي جعفر له ، وأشار بها عليه ؛ فلما احتاج إلى الانقاض ، قال له : ما ترى في نقص بناء مدينة إيوان كسرى بالمدائن وحمل نقضه إلى مدينتي هذه ؟ قال : لا أرى ذلك يا أمير المؤمنين ، قال : ولم ؟ قال : لأنه علم من أعلام الإسلام ، يستدل به الناظر إليه على أنه لم يكن ليُزال مثل أصحابه عنه بأمر دنيا ؛ وإنما

هو على أمر دين ؛ ومع هذا يا أمير المؤمنين ؛ فإن فيه مصلتي على بن أبي طالب صلوات الله عليه ، قال : هيهات يا خالد ! أبيت إلا الميل إلى أصحابك العجم ! وأمر أن يُنْقَضَ القصر الأبيض ، فنُقِضَتْ ناحية منه ، وحُمِلَ نقضه ، فنظر في مقدار ما يلزمهم للنقض والحمل فوجدوا ذلك أكثر من ثمن الحديد لو نُحِلَ ، فَرُفِعَ ذلك إلى المنصور ، فدعا بخالد بن برمك ، فأعلمه ما يلزمهم في نقضه وحمله ، وقال : ما ترى ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، قد كنت أرى قبل الآن تفعل ، فأما إذ فعلتَ فلأني أرى أن تهدم الآن حتى تلحق بقواعده ؛ لثلاث يقال : إنك قد عجزت عن هدمه . فأعرض المنصور عن ذلك ، وأمر ٣٢١/٣
الآن يهدم . فقال موسى بن داود المهندس : قال لي المأمون - وحدتني بهذا الحديث : يا موسى إذا بنيتَ لي بناء فاجعله ^(١) ما يعجز عن هدمه ليبقى ^(٢) ظلله ورسمه .

وذكر أن أبا جعفر احتاج إلى الأبواب للمدينة ؛ فزعم أبو عبد الرحمن الهمازي أن سليمان بن داود كان بنى مدينةً بالقرب من موضع بناء الحجاج واسطاً يقال لها الزندورد ، واتخذت له الشياطين لها خمسة أبواب من حديد لا يمكن الناس اليوم عمل مثلها ، فنصبها عليها ، فلم تزل عليها إلى أن بنى الحجاج واسطاً ، وخربت تلك المدينة ، فنقل الحجاج أبوابها فصيرها على مدينته بواسط ، فلما بنى أبو جعفر المدينة أخذ تلك الأبواب فنصبها على المدينة ؛ فبقي عليها إلى اليوم . وللمدينة ثمانية أبواب : أربعة داخلية وأربعة خارجية ؛ فصار على الداخلة أربعة أبواب من هذه الخمسة ، وعلى باب القصر الخارج الخامس منها ، وصير على باب خراسان الخارج باباً جدياً به من الشام من عمل الفراعنة ، وصير على باب الكوفة الخارج باباً جدياً به من الكوفة ، كان عمله خالد بن عبد الله القسري ، وأمر باتخاذ باب لباب الشام ، فعُمل ببغداد ، فهو أضعف الأبواب كلها . وبنيت المدينة مدورة لثلاث يكون الملك إذا نزل وسطها إلى موضع منها أقرب منه إلى موضع ، وجعل أبوابها أربعة ؛ على تدبير العساكر في الحروب ، وعمل لها سورين ، فالسور الداخل أطول من السور الخارج ،

وبنى قصره في وسطها، والمسجد الجامع حول القصر .

٢٢٢/٣

وذكر أن الحجاج بن أرتاة هو الذي خطّ مسجد جامعها بأمر أبي جعفر ، ووضع أساسه . وقيل إن قبلتها على غير صواب وإن المصلّى فيه يحتاج أن ينحرف إلى باب البصرة قليلا ، وإن قبلة مسجد الرصافة أصوب من قبلة مسجد المدينة ؛ لأنّ مسجد المدينة بنى على القصر ، ومسجد الرصافة بنى قبل القصر وبنى القصر عليه ؛ فلذلك صار كذلك .

وذكر يحيى بن عبد الخالق أن أباه حدثه أن أبا جعفر ولّى كل ربع من المدينة قائداً يتولى الاستحاثات على الفراغ من بناء ذلك الربع .

وذكر هارون بن زياد بن خالد بن الصلت ، قال : أخبرني أبي ، قال : ولّى المنصور خالد بن الصلت النفقة على ربع من أرباع المدينة وهي تبنى . قال خالد : فلما فرغت من بناء ذلك الربع رفعت إليه جماعة النفقة عليه ، فحسبها بيده ، فبقى على خمسة عشر درهماً ، فحبسني بها في حبس الشرقية أياماً حتى أدّيتها ، وكان اللين الذي صنّع لبناء المدينة اللينة منها ذراعاً في ذراع .

وذكر عن بعضهم أنه هدم من السور الذي يلي باب المحول قطعة فوجد فيها لبنة مكتوباً عليها بمغرة وزنها مائة وسبعة عشر رطلاً . قال : فوزناها فوجدناها على ما كان مكتوباً عليها من الوزن . وكانت مقاصير جماعة من قواد أبي جعفر وكتابه تشرع أبوابها إلى رحبة المسجد .

وذكر عن يحيى بن الحسن بن عبد الخالق ؛ خال الفضل بن الربيع ، أن عيسى بن عليّ شكّا إلى أبي جعفر ، فقال : يا أمير المؤمنين ؛ إن المشي يشقّ على من باب الرحبة إلى القصر ، وقد ضعفت . قال : فتحمل في محفة ، قال : إني أستحي من الناس ، قال : وهل بقي أحد يستحيّ منه ! قال : يا أمير المؤمنين ، فأنزلي منزلة راوية من الروايا ، قال : وهل يدخل المدينة راوية أو راكب ؟ قال : فأمر الناس بتحويل أبوابهم إلى فُصلان الطاقات ؛ فكان لا يدخل الرحبة أحد إلّا ماشياً . قال : ولما أمر المنصور بسدّ الأبواب ممّا يلي الرحبة وفتحها إلى الفُصلان صيرت الأسواق في طاقات المدينة الأربع ،

٢٢٣/٣

في كل واحد سوق ، فلم تزل على ذلك مدة حتى قدم عليه بطريق من بطارقة الروم وافداً ، فأمر الربيع أن يطوف به في المدينة وما حولها ليرى العمران والبناء ، فطاف به الربيع ، فلما انصرف قال : كيف رأيت مدينتي - وقد كان أصدد إلى سور المدينة وقباب الأبواب ؟ قال : رأيتُ بناءً حسناً ؛ إلا أنني قد رأيتُ أعداءك معك في مدينتك^(١) ، قال : ومن هم ؟ قال : السوق ، قال : فأضرب عليها أبو جعفر ، فلما انصرف البطريق أمر بإخراج السوق من المدينة ، وتقدم إلى إبراهيم بن حبيش الكوفي ، وضم إليه جوّاس بن المسيّب اليامي مولاه ، وأمرهما أن يبنيا الأسواق ناحية الكرخ ، ويجعلها صفوفاً وبيوتاً لكل صنف ؛ وأن يدفعها إلى الناس . فلما فعلا ذلك حول السوق من المدينة إليها ، ووضع عليهم الغلة على قدر الذرع^(٢) ؛ فلما كثر الناس بنوا في مواضع من الأسواق لم يكن^(٣) رغب في البناء فيها إبراهيم بن حبيش وجوّاس ، لأنها لم تكن على تقديم الصنف من أموالهم ؛ فالزموا من الغلة أقلّ مما ألزم الذين نزلوا في بناء السلطان .

٣٢٤ / ٣

وذكر بعضهم أن السبب في نقل أبي جعفر التجار من المدينة إلى الكرخ وما قرب منها مما هو خارج المدينة ، أنه قيل لأبي جعفر : إن الغرباء وغيرهم يبيتون فيها ، ولا يؤمن أن يكون فيهم جوّاسيس ، ومن يتعرف الأخبار ، أو أن يفتح أبواب المدينة ليلاً لموضع السوق ، فأمر بإخراج السوق من المدينة وجعلها للشرط والحرّس ، وبنى للتجار بياب طاق الحرّاني وباب الشام والكرخ .

وذكر عن الفضل بن سليمان الهاشمي ، عن أبيه ، أن سبب نقله الأسواق من مدينة السلام ومدينة الشرقية إلى باب الكرخ وباب الشعير وباب المحول ؛ أن رجلاً كان يقال له أبو زكرياء يحيى بن عبد الله ، ولّه المنصور حسبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومائة ، والسوق في المدينة ؛ وكان المنصور يتبع من خرج مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن ، وقد كان لهذا المحتسب معهم سبب ، فجمع على المنصور جماعة استغواهم من السفلة ، فشغبوا واجتمعوا ، فأرسل المنصور إليهم أبا العباس الطوسي فسكنهم ، وأخذ

(١) ب : « بيتك » . (٢) ج : « الذراع » . (٣) ج : « ولم يكن » .

أبا زكرياء فحبسه عنده ، فأمره أبو جعفر بقتله ، فقتله بيده حاجبٌ كان لأبي العباس الطوسي يقال له موسى ، على باب الذهب في الرَّحبة بأمر المنصور ، وأمر أبو جعفر بهدم ما شَخَصَ من الدُّور في طريق المدينة ، ووضع الطريق على مقدار أربعين ذراعاً ، وهدم ما زاد على ذلك المقدار ، وأمر بنقل الأسواق إلى الكرخ .

وذكر عن أبي جعفر أنه لما أمر بإخراج التجار من المدينة إلى الكرخ كلمة أبان بن صدّقة في بَقَال ، فأجابه إليه على ألاّ يبيع إلا الخلل والبقل وحده ، ثم أمر أن يجعل في كل رُبْع بَقَال واحد على ذلك المثال .

٣٢٥/٣

وذكر عن علي بن محمد أن الفضل بن الربيع ، حدثه أن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة ، دخله فطاف فيه ، واستحسنه واستنظفه ، وأعجبه ما رأى فيه ؛ غير أنه استكثر ما أنفق عليه . قال : ونظر إلى موضع فيه استحسنه جداً ، فقال لي : اخرج إلى الربيع فقل له : اخرج إلى المسيّب ، فقل له : يحضرنى الساعة ببناءً فارهاً . قال : فخرجتُ إلى المسيّب فأخبرته ، فبعث إلى رئيس البنائين فدعاه ، فأدخله على أبي جعفر ؛ فلما وقف بين يديه قال له : كيف عملت لأصحابنا في هذا القصر ؟ وكَمْ أخذت من الأجرة لكل ألف آجُرّة ولينة ؟ فبقي البناء لا يقدر على أن يرُدّ عليه شيئاً ، فخافه المسيّب ، فقال له المنصور : مالك لا تكلم ! فقال : لا علم لي يا أمير المؤمنين ، قال : ويحك ! قل وأنت آمن من كل ما تخافه . قال : يا أمير المؤمنين ، لا والله ما أقف عليه ولا أعلمه . قال : فأخذ بيده ، وقال له : تعال ، لا علمك الله خيراً ! وأدخله الحجرة التي استحسنها ، فأراه مجلساً كان فيها ، فقال له : انظر إلى هذا المجلس وابن لي بإزائه طاقاً يكون شبيهاً بالبيت ، لا تدخل فيه خشباً ، قال : نعم يا أمير المؤمنين ، قال : فأقبل البناءُ وكل من معه يتعجبون من فهمه بالبناء والهندسة ، فقال له البناء : ما أحسن أن أجيء به على هذا ، ولا أقوم به على الذي تريد ! فقال له : فأنا أعينك عليه ، قال : فأمر بالآجر والحصى ، فجيء به ، ثم أقبل يحصى جميع ما دخل في بناء الطاق من الآجر والحصى ؛ ولم يزل كذلك حتى فرغ منه في يومه وبعض اليوم الثاني ،

٣٢٦/٣

فدعا بالمسيّب ، فقال له : ادفع إليه أجره على حسب ما عمل معك ^(١) ، قال : فحاسبه المسيّب ، فأصابه خمسة دراهم ؛ فاستكثر ذلك المنصور ، وقال : لا أرضى بذلك ؛ فلم يزل به حتى نقصه درهماً ، ثم أخذ المقادير ، ونظر مقدار الطاق من الحجرة حتى عرفه ، ثم أخذ الوكلاء والمسيّبُ بِمَحْمِلَانِ ^(٢) النفقات ، وأخذ معه الأمانة من البنائين والمهندسين حتى عرفوه قيمة ذلك ؛ فلم يزل يحسبه شيئاً شيئاً ، وحملهم على ما رفع في أجرة بناء الطاق ؛ فخرج على المسيّب مما في يده ستة آلاف درهم ونيّف ، فأخذه بها واعتقله ، فها برح من القصر حتى أدّاها إليه .

وذكر عن عيسى بن المنصور أنه قال : وجدتُ في خزائن أبي المنصور في الكتب ، أنه أنفق على مدينة السلام وجامعها وقصر الذهب بها والأسواق والفُصْلان والخنادق وقبابها وأبوابها أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً ، ومبلغها من الفلوس مائة ألف ألف فلتس وثلاثة وعشرون ألف فلتس ؛ وذلك أن الأستاذ من البنائين كان يعمل يومه بقيراط فيضة ، والروزكاري بحبتين إلى ثلاث حبات .

• • •

٣٢٧/٣

[ذكر الخبر عن عزل سلم بن قتيبة عن البصرة]

وفي هذه السنة عزل المنصور عن البصرة سلم بن قتيبة ، ولأها محمد بن سليمان بن عليّ .

ذكر الخبر عن سبب عزله إياه :

ذكر عبد الملك بن شيان أن يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن الهاشمي ، قال : كتب أبو جعفر إلى سلم بن قتيبة لما ولاه البصرة : أما بعد ، فاهدم دور من خرج مع إبراهيم ، واعقر نخلتهم . فكتب إليه سلم : بأيّ ذلك أبدأ؟ أبالدور أم بالنخل؟ فكتب إليه أبو جعفر : أما بعد ، فقد كتبتُ إليك أمرك بإفساد تمرهم ، فكتبتُ تستأذني في أية تبدأ به بالبصرة .

(٢) ج : « بحاب » .

(١) ج : « لك » .

أم بالشهريز^(١) وعزله وولّى محمد بن سليمان ، فقدم فعات .

وذكر عن يونس بن نجدة ، قال : قدم علينا سلّم بن قتيبة أميراً بعد الهزيمة وعلى شرطه أبو بركة يزيد بن سلّم ، فأقام بها سلّم أشهراً خمسة ، ثم عزّل ، وولّى علينا محمد بن سليمان .

قال عبد الملك بن شيبان : هدم محمد بن سليمان لما قدم دار يعقوب بن الفضل ، ودار أبي مروان في بني يشكر ، ودار عون بن مالك ، ودار عبد الواحد ابن زياد ، ودار الخليل بن الحُصَيْن في بني عديّ ، ودار عفوالله بن سفيان ؛ وعقّر نخلهم .

• • •

وغزا الصّائفة في هذه السنة جعفر بن حنظلة البهرانيّ .

وفي هذه السنة عُزّل عن المدينة عبد الله بن الربيع ، وولّى مكانه جعفر ابن سليمان ، فقدمها في شهر ربيع الأول

وعزّل أيضاً في هذه السنة عن مكة السريّ بن عبد الله ، وليها عبد الصمد ابن عليّ . ٣٢٨/٣

وحجّ بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، كذلك قال محمد بن عمر وغيره .

تم الجزء السابع من تاريخ الطبري

ويليه الجزء الثامن ، وأوله : ذكر حوادث سنة سبع وأربعين ومائة

(١) البري : ضرب من التمر أصفر ، مدور ؛ وهو أجود التمر ، واحده برنية . والشهريز : ضرب من التمر أيضاً ، فارسيّ معرب ، ذكره صاحب المعرب ، ولم يذكر وصفه .

فهرس الموضوعات

السنة الرابعة بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٧
- ذكر الوقعة بين الحرثي والسغد . . . ٧ - ١٢
- ذكر الخبر عن سبب عزل يزيد بن عبد الملك عبد الرحمن
- ابن الضحاك عن المدينة وما كان ولاه من الأعمال . ١٢ - ١٤
- أخبار متفرقة ١٤ ، ١٥
- ذكر الخبر عن سبب عزل عمر بن هبيرة سعيد بن عمرو الحرثي
- عن خراسان ١٥ - ٢٠
- أخبار متفرقة ٢٠

• • •

السنة الخامسة بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٢١
- ذكر خبر موت يزيد بن عبد الملك . . . ٢١ ، ٢٢
- ذكر بعض سيره وأموره ٢٢ - ٢٤
- خلافة هشام بن عبد الملك ٢٥
- أخبار متفرقة ٢٥ ، ٢٦
- ذكر ولاية خالد القسري على العراق . . . ٢٦ - ٢٨

• • •

السنة السادسة بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٢٩
- ذكر الخبر عن الحرب بين اليمانية والمضرية . . . ٣٠ - ٣٢
- خبر غزو مسلم بن سعيد الترك ٣٢ - ٣٥

- حج هشام بن عبد الملك ٣٥ - ٣٧
 ولاية أسد بن عبد الله القسري على خراسان ٣٧ - ٣٩
 أخبار متفرقة ٣٩

* * *

السنة السابعة بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٠
 غزو الغور ٤٠ ، ٤١
 أخبار متفرقة ٤١ ، ٤٢

* * *

السنة الثامنة بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٣
 غزو الختل ٤٣ - ٤٥
 أخبار متفرقة ٤٥

* * *

السنة التاسعة بعد المائة

- ذكر الأحداث التي كانت فيها ٤٦
 خبر مقتل عمر بن يزيد الأسدي ٤٦
 غزو غورين ٤٦ ، ٤٧
 ذكر الخبر عن عزل هشام خالداً القسري وأخاه عن خراسان ٤٧ - ٤٩
 ذكر الخبر عن دعاة بني العباس ٤٩ - ٥١
 ولاية أشروس بن عبد الله على خراسان ٥١ - ٥٣
 أخبار متفرقة ٥٣

* * *

السنة العاشرة بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٥٤

ذكر الخبر عما كان من أمر أشرس وأمر أهل سمرقند ومن يليهم

في ذلك	٥٤ - ٦٠
ذكر وقعة كمرجة	٦٠ - ٦٦
ذكر ردة أهل كردر	٦٦
أخبار متفرقة	٦٦

• • •

السنة الحادية عشرة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٦٧
ذكر السبب الذي من أجله عزل هشام أشرس عن خراسان	
واستعماله الجنيد	٦٧ - ٦٩
أخبار متفرقة	٦٩

• • •

السنة الثانية عشرة بعد المائة

ذكر ما كان فيها من الأحداث	٧٠
ذكر خبر قتل الجراح الحكمي	٧٠ ، ٧١
ذكر وقعة الجنيد مع الترك	٧١ - ٧٥
ذكر الخبر عن مقتل سورة بن الحر	٧٥ - ٨٧
أخبار متفرقة	٨٧

• • •

السنة الثالثة عشرة بعد المائة

ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث	٨٨
قتل عبد الوهاب بن بخت	٨٨
أخبار متفرقة	٨٨ ، ٨٩

• •

السنة الرابعة عشرة بعد المائة

- ذكر الأخبار عن الأحداث التي كانت فيها . . . ٩٠
 أخبار متفرقة ٩٠ ، ٩١
 * * *

السنة الخامسة عشرة بعد المائة

- ذكر الأخبار عما كان فيها من الأحداث . . . ٩٢
 * * *

السنة السادسة عشرة بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث . . . ٩٣
 وفاة الجعيد بن عبدالرحمن وولاية عاصم بن عبدالله خراسان . ٩٣ ، ٩٤
 ذكر خلع الحارث بن سريج ٩٤ - ٩٨
 أخبار متفرقة ٩٨
 * * *

السنة السابعة عشرة بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٩٩
 ذكر الخبر عن سبب عزل هشام عاصمًا وتوليته خالدًا على خراسان . ٩٩ - ١٠٧
 أخبار متفرقة ١٠٧
 أمر أسد بن عبد الله مع دعاة بني العباس . . . ١٠٧ ، ١٠٨
 * * *

السنة الثامنة عشرة بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث . . . ١٠٩
 ولاية عمار بن يزيد على شيعة بني العباس بخراسان . . . ١٠٩
 ذكر ما كان من الحارث بن سريج مع أصحابه . . . ١٠٩ - ١١١

أخبار متفرقة ١١٢ ، ١١١

• • •

السنة التاسعة عشرة بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١١٣
- ذكر غزو الترك ومقتل خاقان ١١٣ - ١٢٨
- ذكر الخبر عن مقتل المغيرة بن سعيد ونفر معه ١٢٨ - ١٣٠
- خبر مقتل بهلول بن بشر ١٣٠ - ١٣٤
- ذكر الخبر عن غزوة أسد الختل هذه الغزوة وسبب قتله ١٣٤ - ١٣٧
- بدر طرخان ١٣٧ - ١٣٨
- ظهور الصحاري بن شبيب الخارجي ١٣٧ ، ١٣٨
- أخبار متفرقة ١٣٨

• • •

السنة العشرون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٣٩
- خبر وفاة أسد بن عبد الله القسري ١٣٩ - ١٤١
- أمر شيعة بني العباس بخراسان ١٤١ ، ١٤٢
- ذكر سبب عزل هشام خالدًا ١٤٢ - ١٤٧
- ذكر الخبر عن عمل هشام في عزل خالد حين صحّ عزمه على عزله ١٤٧ - ١٥٤
- أخبار متفرقة ١٥٤
- ذكر الخبر عن سبب ولاية نصر بن سيار خراسان ١٥٤ - ١٥٩
- أخبار متفرقة ١٥٩

• • •

السنة الحادية والعشرون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ١٦٠
- ذكر الخبر عن ظهور زيد بن علي ١٦٠ - ١٧٣

- ذكر الخبر عن غزوة نصر بن سيار ما وراء النهر . . . ١٧٣ — ١٧٨
 أخبار متفرقة ١٧٨

• • •

السنة الثانية والعشرون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ١٨٠
 خبر مقتل زيد بن علي ١٨٠ — ١٩١
 أخبار متفرقة ١٩١

• • •

السنة الثالثة والعشرون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ١٩٢
 ذكر خبر صلح نصر بن سيار مع السُّغْد . . . ١٩٢
 وفادة الحكم بن الصلت على هشام بن عبد الملك . . . ١٩٢ ، ١٩٣
 ذكر الخبر عما كان بين هشام ويوسف بن عمر . . . ١٩٣ — ١٩٧
 أخبار متفرقة ١٩٧

• • •

السنة الرابعة والعشرون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ١٩٨
 ابتداء أمر أبي مسلم الخراساني ١٩٩ ، ٢٠٠
 أخبار متفرقة ٢٠٠

• • •

السنة الخامسة والعشرون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٢٠٠
 خبر وفاة هشام بن عبد الملك ٢٠٠
 ذكر الخبر عن العلة التي كانت بها وفاته . . . ٢٠٠ ، ٢٠١

- ذكر بعض سير هشام ٢٠٨ — ٢٠١
 أخبار متفرقة ٢٠٨
 خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ٢٠٨
 ذكر الخبر عن بعض أسباب ولايته الخلافة ٢٢٤ — ٢٠٨
 تولية الوليد نصر بن سيار على خراسان وأمره مع يوسف بن عمر ٢٢٦ — ٢٢٤
 تولية الوليد بن يزيد خاله يوسف الثقفي على المدينة ومكة ٢٢٧ ، ٢٢٦
 غزو قبرس ٢٢٧ ، ٢٢٨
 ذكر الخبر عن مقتل يحيى بن زيد بن علي ٢٣٠ — ٢٢٨
 * * *

السنة السادسة والعشرون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث الجلييلة ٢٣١
 ذكر بقية أخبار يزيد بن الوليد بن عبد الملك ٢٥٤ — ٢٣١
 خبر قتل خالد بن عبد الله القسري ٢٦١ — ٢٥٤
 ذكر بيعة يزيد بن الوليد الناقص ٢٦٢ ، ٢٦١
 ذكر اضطراب أمر بني مروان ٢٦٢
 ذكر خلاف أهل حمص ٢٦٦ — ٢٦٢
 ذكر خلاف أهل الأردن وفلسطين ٢٧٧ — ٢٦٦
 ذكر امتناع نصر بن سيار على منصور بن جمهور ٢٨٠ — ٢٧٧
 ذكر مخالفة مروان بن محمد ٢٨٥ — ٢٨١
 ذكر وقوع الخلاف بين البائية والتزارية في خراسان ٢٩٣ — ٢٨٥
 خبر الحارث بن سريج مع يزيد بن الوليد ٢٩٥ — ٢٩٣
 ذكر بيعة إبراهيم بن الوليد بالعهد ٢٩٥
 ذكر خلاف مروان بن محمد على يزيد بن الوليد ٢٩٨ — ٢٩٥
 ذكر خبر وفاة يزيد بن الوليد ٢٩٩ ، ٢٩٨
 أخبار متفرقة ٢٩٩
 خلافة أبي إسحاق لإبراهيم بن الوليد ٢٩٩

السنة السابعة والعشرون بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٣٠٠
- ذكر مسير مروان إلى الشام وخلع إبراهيم بن الوليد . . . ٣٠٢ - ٣٠٠
- ذكر ظهور عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر . . . ٣٠٩ - ٣٠٢
- ذكر خبر رجوع الحارث بن سريج إلى مرو ٣١٠ ، ٣٠٩
- خلافة مروان بن محمد ٣١٢ ، ٣١١
- ذكر الخبر عن انتفاض أهل حمص على مروان . . . ٣١٦ - ٣١٢
- ذكر الأخبار عن خروج الضحاك محكماً ودخوله الكوفة، ومن أين كان إقباله إليها ٣٢٣ - ٣١٦
- خبر خروج سليمان بن هشام على مروان بن محمد . . . ٣٢٩ - ٣٢٣
- أخبار متفرقة ٣٢٩

. . .

السنة الثامنة والعشرون بعد المائة

- ذكر خبر قتل الحارث بن سريج بخراسان . . . ٣٤٤ - ٣٣٠
- ذكر الخبر عن مقتل الضحاك الخارجي ٣٤٦ - ٣٤٤
- ذكر الخبر عن مقتل الخبيري وولاية شيان . . . ٣٤٧ ، ٣٤٦
- أخبار متفرقة ٣٤٨ ، ٣٤٧
- خبر أبي حمزة الخارجي مع عبد الله بن يحيى بن أبي طالب . ٣٤٨

. . .

السنة التاسعة والعشرون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٣٤٩
- خبر هلاك شيان بن عبد العزيز الخروزي ٣٥٣ - ٣٤٩
- ذكر إظهار الدولة العباسية بخراسان ٣٦٣ - ٣٥٣
- ذكر تعاقد أهل خراسان على قتال أبي مسلم . . . ٣٦٧ - ٣٦٣

٣٧١ — ٣٦٧	ذکر خبر مقتل الکرماني
٣٧٤ — ٣٧١	غلبة عبد الله بن معاوية على فارس
٣٧٦ — ٣٧٤	مجيء أبي حمزة الخارجي الموسمي
٣٧٦	أخبار متفرقة

. . .

السنة الثلاثون بعد المائة

٣٧٧	ذکر الأحداث التي كانت بها
٣٨٥ — ٣٧٧	ذکر خبر دخول أبي مسلم مرو والبيعة بها
٣٨٦ — ٣٥٨	خبر مقتل شبيب بن سلمة الخارجي
٣٨٨ — ٣٨٦	ذکر خبر قتل عليّ وعثمان ابني جديع
٣٩٠ — ٣٨٨	قدوم قحطبة بن شبيب على أبي مسلم
٣٩٣ — ٣٩١	ذکر قتل نباتة بن حنظلة
٣٩٤ ، ٣٩٣	ذکر وقعة أبي حمزة الخارجي بقديد
٤٠٢ — ٣٩٤	ذکر خبر دخول أبي حمزة المدينة
٤٠٢	أخبار متفرقة

. . .

السنة الحادية والثلاثون بعد المائة

٤٠٣	ذکر ما كان فيها من الأحداث
٤٠٤ ، ٤٠٣	ذکر خبر موت نصر بن سيار
٤٠٥ ، ٤٠٤	أمر أبي مسلم مع قحطبة عند نزوله الري
٤٠٦ ، ٤٠٥	ذکر خبر قتل عامر بن ضبارة ودخول قحطبة أصبهان
٤٠٩ — ٤٠٦	ذکر خبر محاربة قحطبة أهل نهاوند ودخولها
٤١٠ ، ٤٠٩	ذکر وقعة شهرزور وفتحها
٤١١ ، ٤١٠	أخبار متفرقة

. . .

السنة الثانية والثلاثون بعد المائة

- ٤١٢ ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث .
- ٤١٧ — ٤١٢ ذكر الخبر عن هلاك قحطبة بن شبيب .
- ٤٢٠ — ٤١٧ ذكر خبر خروج محمد بن خالد بالكوفة مسوداً .
- ٤٢١ خلافة عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس .
- ٤٢٩ — ٤٢١ ذكر الخبر عن سبب خلافته .
- ذكر بقية الخبر عما كان من الأحداث في سنة اثنتين وثلاثين ومائة .
- ٤٣٢ — ٤٢٩ ذكر هزيمة مروان بن محمد بموقعة الزاب .
- ٤٣٥ — ٤٣٢ ذكر خبر قتل إبراهيم بن محمد بن علي الإمام .
- ٤٣٧ — ٤٣٥ ذكر الخبر عن قتل مروان بن محمد .
- ٤٤٣ — ٤٣٧ ذكر الخبر عن تبييض أبي الورد وما آل إليه أمره وأمر من بيّض معه .
- ٤٤٥ — ٤٤٣ ذكر خبر خلع حبيب بن مرة المرتضى .
- ٤٤٦ ذكر خبر تبييض أهل الجزيرة وخلعهم أبا العباس .
- ٤٤٨ — ٤٤٦ ذكر خبر شخوص أبي جعفر إلى خراسان .
- ٤٥٠ — ٤٤٨ ذكر الخبر عن حرب يزيد بن عمر بن هبيرة بواسط .
- ٤٥٧ — ٤٥٠ أخبار متفرقة .
- ٤٥٨

. . .

السنة الثالثة والثلاثون بعد المائة

- ٤٦٠ ، ٤٥٩ ذكر ما كان فيها من الأحداث .
-

السنة الرابعة والثلاثون بعد المائة

- ٤٦١ ذكر ما كان فيها من الأحداث .
- ٤٦٢ ، ٤٦١ ذكر خبر خلع بسام بن إبراهيم .

- أمر الخوارج مع خزيمة بن خازم وقتل شيبان بن عبدالعزيز . ٤٦٢ — ٤٦٤
 ذكر قتال منصور بن جمهور ٤٦٤
 أخبار متفرقة ٤٦٤ ، ٤٦٥
 * * *

السنة الخامسة والثلاثون بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٦٦
 ذكر خبر خروج زياد بن صالح ٤٦٦ ، ٤٦٧
 أخبار متفرقة ٤٦٧
 * * *

السنة السادسة والثلاثون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٤٦٨
 ذكر قدوم أبي مسلم على أبي العباس ٤٦٨ ، ٤٦٩
 حج أبي جعفر المنصور وأبي مسلم ٤٦٩ ، ٤٧٠
 ذكر الخبر عن موت أبي العباس السفاح ٤٧٠ ، ٤٧١
 خلافة أبي جعفر المنصور ٤٧١
 أخبار متفرقة ٤٧١ — ٤٧٣
 * * *

السنة السابعة والثلاثون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان في هذه السنة من الأحداث ٤٧٤
 ذكر خبر خروج عبد الله بن علي وهزيمة ٤٧٤ — ٤٧٩
 ذكر خبر قتل أبي مسلم الخراساني ٤٧٩ — ٤٩٤
 ذكر خروج سبأذ للطلب بدم أبي مسلم ثم قتله ٤٩٥
 خروج ملبد بن حرمة الشيباني ٤٩٥ ، ٤٩٦
 أخبار متفرقة ٤٩٦
 * * *

السنة الثامنة والثلاثون بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٤٩٧
 ذكر خلع جمهور بن مرار المنصور ٤٩٧
 ذكر خبر قتل ملبد الخارجي ٤٩٧ ، ٤٩٨
 أخبار متفرقة ٤٩٩

. . .

السنة التاسعة والثلاثون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٠٠
 أخبار متفرقة ٥٠٠ ، ٥٠١
 خبر حبس عبد الله بن علي ٥٠١ ، ٥٠٢
 أخبار متفرقة أيضاً ٥٠٢

. . .

السنة الأربعون بعد المائة

- ذكر ما كان فيها من الأحداث ٥٠٣
 ذكر هلاك أبي داود عامل خراسان وولاية عبد الجبار ٥٠٣
 أخبار متفرقة ٥٠٣ ، ٥٠٤

. . .

السنة الحادية والأربعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٥٠٥
 ذكر الخبر عن خروج الرواندية ٥٠٥ - ٥٠٨
 ذكر خلع عبد الجبار بخراسان ومسير المهدي إليه ٥٠٨ ، ٥٠٩
 أخبار متفرقة ٥٠٩ - ٥١١

. . .

السنة الثانية والأربعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٥١٢
 ذكر خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند . . . ٥١٢
 ذكر خبر نكث إصبيهذ طبرستان العهد . . . ٥١٢ ، ٥١٣
 أخبار متفرقة . . . ٥١٣ ، ٥١٤

* * *

السنة الثالثة والأربعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٥١٥
 غزو الديلم . . . ٥١٥
 عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف . . . ٥١٥
 عزل حميد بن قحطبة عن مصر . . . ٥١٥
 أخبار متفرقة . . . ٥١٦

* * *

السنة الرابعة والأربعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٥١٧
 ولاية رباح بن عثمان على المدينة وأمر بني عبدالله بن حسن . . . ٥١٧ - ٥٣٩
 ذكر حمل ولد حسن بن حسن إلى العراق . . . ٥٣٩ - ٥٤٩
 ذكر بقية الخبر عن الأحداث التي كانت في سنة أربع وأربعين ومائة . . . ٥٤٩ - ٥٥١
 أخبار متفرقة . . . ٥٥١

* * *

السنة الخامسة والأربعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث . . . ٥٥٢
 ذكر الخبر عن مخرج محمد بن عبد الله ومقتله . . . ٥٥٢ - ٦٠٩

- ذكر خبر وثوب السودان بالمدينة ٦٠٩ — ٦١٤
 ذكر الخبر عن بناء مدينة بغداد ٦١٤ — ٦٢٢
 ذكر الخبر عن ظهور إبراهيم بن محمد ومقتله ٦٢٢ — ٦٤٩
 أخبار متفرقة ٦٤٩

° ° °

السنة السادسة والأربعون بعد المائة

- ذكر الخبر عما كان فيها من الأحداث ٦٥٠
 خبر استئمان بناء بغداد وتحول أبي جعفر إليها ٦٥٠ — ٦٥٥
 ذكر الخبر عن عزل سلم بن قتيبة عن البصرة ٦٥٥ ، ٦٥٦
 أخبار متفرقة ٦٥٦

١٩٩٩/١٦٤٢٢	رقم الإيداع
ISBN 977-02-5٧31-4	الترقيم الدولي

١/٩٩/٩٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)